



دولة الإمارات العربية المتحدة  
جامعة الوصل - دبي  
كلية الدراسات الإسلامية

# مجلة الموصل

متخصصة في الدراسات الإسلامية  
مجلة علمية محكمة سنوية

العدد الثاني  
1445 هـ - 2023 م



دولة الإمارات العربية المتحدة  
جامعة الوصل - دبي  
كلية الدراسات الإسلامية

# مجلة الموئل

متخصصة في الدراسات الإسلامية  
مجلة علمية محكمة سنوية



1445 هـ - 2023 م

ISSN: 3005 - 4044

المشرف العام

**أ. د. خالد توكال**

نائب مدير جامعة الوصل لشؤون البحث العلمي

رئيس التحرير

**أ. د. زياد علي دايع الفهداوي**

نائب رئيس التحرير

**أ. د. حمزة المليباري**

أمين التحرير

**د. عماد التميمي**

هيئة التحرير

**د. شريف عبد العليم**

**أ. صالح العزام**

## جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» - الاسم السابق - إلى: جامعة الوصل.

وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:

### المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

- ♦ رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦/١٩٨٧ م.
- ♦ وبتاريخ ٢/٤/١٤١٤هـ الموافق ١٨/٩/١٩٩٣ م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣ م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

### ١- برامج البكالوريوس:

- ♦ صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.
- ♦ ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.
- ♦ أعتد برنامج بكالوريوس علوم المكتبات والمعلومات عام ٢٠٢٠.
- ♦ احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٦/١٢/١٩٩٢ م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.
- ♦ واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩/١٠/١٤١٣هـ الموافق ٢١/٤/١٩٩٣ م.
- ♦ تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦/١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٦/١٩٨٧ م إلى نهاية عام ٢٠٢٢-٢٠٢٣ (١٢٨٩٧)؛ منهم (١٠٢٤٩) طالبة و (٢٦٤٨) طالبًا.
- ♦ تخرج فيها حتى يونيه ٢٠٢٣ (٣٣) دفعة من الطلاب، (٣٢) دفعة من الطالبات في تخصص الدراسات الإسلامية (١٦) دفعة من الطلاب، (٢٥) دفعة من الطالبات في تخصص اللغة العربية.

### ٢- برامج الدراسات العليا:

- ♦ أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥/١٩٩٦ م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وشرع في برنامج الدكتوراه بدءاً من العام ٢٠٠٤/٢٠٠٥ م.
- ♦ اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧/٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبتي الأدب والنقد واللغة والنحو.
- ♦ وفي ٢٤/٢/٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف.

### أعيد اعتماد برامج الماجستير والدكتوراه؛ فصارت الجامعة تمنح:

- ♦ درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية.
- ♦ درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.
- ♦ درجة الماجستير في الفقه وأصوله.
- ♦ درجة الدكتوراه في الفلسفة في الفقه وأصوله.
- ♦ درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.
- ♦ درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات اللسانية.
- ♦ بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا الي تاريخ صدور العدد، إلى جامعة (٣٢٥) طالبًا؛ منهم (٢٢٠) خريجًا بشهادة الماجستير و (١٠٥) خريجًا بشهادة الدكتوراه.

المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُستجدات في:

**الرؤية:**

تطمح جامعة الوصل إلى أن تكون لبرامجها وقدراتها البحثية الصدارة إقليمياً ودولياً.

**الرسالة:**

تقديم برامج غير ربحية ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا؛ لتأهيل كوادر متخصصة لسوق العمل المحلي والإقليمي، وتعزيز القدرات البحثية وتطوير التفكير الإبداعي وتنمية الشراكة المجتمعية في بيئة جامعية تتسم بالأصالة والحدائثة والابتكار.

**مجلس الأمناء:**

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

**كليات الجامعة: تشمل الجامعة الآتية:**

- ◆ كلية الدراسات الإسلامية.
- ◆ كلية الآداب.
- ◆ كلية الإدارة.

**نظام الدراسة:**

- ◆ مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلها.
- ◆ تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي وقد طُبّق منذ العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢، ثم تحول إلى نظام الساعات المعتمدة منذ العام الجامعي ٢٠٢١/٢٠٢٢.
- ◆ يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقررة.
- ◆ نظام الدراسة في الدراسات العليا، ومدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما.

**البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:**

- ١- المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًا منها:
  - ◆ ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها الحادية عشرة في مارس ٢٠٢٣.
  - ◆ مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠٢٠.
  - ◆ مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين.
  - ◆ المؤتمر الدولي للدراسات العليا والبحث العلمي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠١٩.
  - ◆ المؤتمر الدولي للسانيات، يقام كل عامين، عقدت النسخة الثانية عام ٢٠٢٣.
  - ◆ المؤتمر الدولي للسرديات، يقام كل عامين، عقدت النسخة الأولى في مارس ٢٠٢٢.
- ٢- المجلات المحكمة: تصدر جامعة الوصل ثلاث مجلات علمية محكمة، وهي:
  - ◆ مجلة جامعة الوصل، تصدر مرتين كل عام.
  - ◆ مجلة فكر ومعرفة، تصدر عن كلية الآداب مرة في العام.
  - ◆ مجلة الموائل، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية، مرة في العام.
- ٣- الكتاب العلمي: تصدر الجامعة الكتاب العلمي، وله فرعان:
  - ◆ الأول: الكتاب العلمي (مراجع دراسي)، وصدر منه ٣٢ كتابًا.
  - ◆ الثاني: الكتاب العلمي (غير المخصص لأغراض دراسية).
- ٤- مشروع طباعة الرسائل الجامعية، تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجانًا.

## قواعد النشر

### أولاً:

تنشر المجلة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريراً أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

### ثانياً:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.
٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:
٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.
٤. تقبل البحوث التي تكون جزءاً من رسالة جامعية لم تناقش بعد.
٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.
٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.
٧. يكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.
٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

- باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).
٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجه وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.
١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.
١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.
١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:
- ◆ يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آلياً توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا: (١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.
  - ◆ تذكر ببوغرافيا (معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من... إلى...)).
  - ◆ إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكتفى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).
  - ◆ يشار إلى الشروح والملاحظات في متن البحث بنجمة (هكذا: ×) أو أكثر.
  - ◆ تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.
١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.
١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغوياً، ولا تقبل المجلة بحوثاً غير مدققة لغوياً.

### ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.
٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.
٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجلات المحكمة، أو قد تكون جزءاً من كتاب محكم.
٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤) (٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .
٥. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشَرَّ إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.
٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتناسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.
٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.
٨. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

### رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.
٢. البحوث المرسلّة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.
٤. يحق للمجلة - عند الضرورة - إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.
٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونياً، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.
٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.



## خامساً: رسوم النشر:

◆ إسهاماً من مجلة الموثل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.

◆ ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة الموثل

ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٩ - فاكس ٠٠٩٧١٤١٢٨٧٨٠

أو البريد الإلكتروني: [maoj@alwasl.ac.ae](mailto:maoj@alwasl.ac.ae)



## الافتتاحية

بقلم: أ.د. زياد علي دايع الفهداوي

رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين، وبعد؛

فيسر هيئة تحرير مجلة الموثل بكلية الدراسات الإسلامية - جامعة الوصل بدبي، إصدار عددها الثاني، وهي مجلة علمية محكمة سنوية، تُعني بالدراسات الإسلامية، ويتألف هذا العدد من سبعة عشر بحثاً هي جزء من الأبحاث التي قدمت إلى الندوة الدولية الحادية عشرة لمركز بحوث السنة النبوية في جامعة الوصل بدبي - والتي جاءت بعنوان: (إنسانية الإنسان في السنة النبوية... قيم كونية وضوابط شرعية) في (مارس ٢٠٢٣م).

سلطت الندوة الضوء على المنهج النبوي في ترسيخ وتوظيف المبادئ الإنسانية للمجتمع المسلم، القائم على التسامح والتعاون والتكافل، بما يضمن المساواة في الحقوق والواجبات لكل فردٍ من أفراد المجتمع الإسلامي؛ ليطبق القيم الإسلامية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، واعتنت السنة بتكميلها وتهذيبها ليس للبشر فحسب؛ بل حتى للحيوانات، كما في قوله ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (٤/ ١٣٠)، رقم ٣٣١٨، عن ابن عمر رضي الله عنهما).

فينبغي أن تكون نظرتنا للإسلام نظرةً شاملةً تقتضي معاينة أهدافه ووسائله ومقاصده، وبالتالي فإن معرفة المقاصد الشرعية تقودنا إلى تحقيق فهم أعمق للدين، والتيسير على المعسرین .

وقد قال ابن عاشور (رحمه الله): «إِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي حَالِ الْأُمَّمِ كُلِّهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَا تَجِدُ شَرَائِعَهُمْ وَقَوَانِينَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ خَالِيَةً مِنْ إِصْرٍ عَلَيْهِمْ، مِثْلَ تَحْرِيمِ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِثْلَ تَكَالِيفِ شَاقَّةٍ عِنْدَ النَّصَارَى وَالْمَجُوسِ لَا تَتَلَفَى مَعَ السَّمَاخَةِ الْفِطْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ لَا تَجِدُهَا خَالِيَةً مِنْ رَهَقِ الْجَبَابِرَةِ، وَإِذْ لَالِ الرُّؤْسَاءِ، وَشِدَّةِ الْأَقْوِيَاءِ عَلَى الضُّعْفَاءِ، وَمَا كَانَ يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّقَاتِلِ وَالْغَارَاتِ، وَالتَّكَايُلِ فِي الدِّمَاءِ، وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ، فَارْسَلَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخَلِّصَ الْبَشَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ»<sup>(١)</sup>.

ولأهمية هذه الدراسات في الواقع المعاصر أخذت هيئة التحرير على عاتقها نشر هذه الأبحاث في عددٍ مستقلٍ، لتكون عوناً لزيادة إيمان المؤمنين، وارشاداً لغير المسلمين.

وتتقدم المجلة بأذكى آيات الشكر والتقدير للسادة الباحثين الذين أثروا المجلة ببحوثهم وللسادة العلماء الذين حكموا ودققوا بحوث العدد، ووجهوها توجيهاً سديداً يتلاءم والمكانة العلمية لجامعة الوصل كواحدة من أقدم روافد العلم في دولة الإمارات العربية المتحدة .

١ - (ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٩/ ١٣٧).

## نبذة عن كلية الدراسات الإسلامية:

تُشرف كلية الدراسات الإسلامية على سير العملية التعليمية بالتنسيق مع الأقسام العلمية في الكلية، وتسعى إلى ترقية الأداء التعليمي، وتطوير الخطط والبرامج، وتحديث الطرائق والمناهج، وتقوم بمتابعة اللوائح والنظم المعمول بها في الجامعة وتطبيقها، وتنفيذ القرارات الصادرة عن إدارة الجامعة ومجلسها والتنسيق مع عمادة الدراسات العليا لمتابعة الجانب الأكاديمي في برنامجي الماجستير والدكتوراه، والتعاون مع عمادة شؤون الطلبة لمتابعة سير العملية التعليمية وإجراء الامتحانات، فضلا عن تقويم تطبيق الخطة الدراسية ومتابعة تنفيذ توصيات هيئة الاعتماد الأكاديمي وتطبيق مفردات المساقات الدراسية.

## رؤية الكلية:

إعداد جيل من المختصين في الدراسات الإسلامية، يحوزون المعارف والمهارات المؤهلة لمعالجة مستجدات الحياة برؤية تأصيلية علمية متزنة، خدمةً للمجتمع ومؤسساته ما يحقق الكفاية منهم، بمنهج وسطي معتدل.

## الرسالة:

توفير برامج أكاديمية متنوعة في الدراسات الإسلامية، تتوافق مع المعايير الوطنية، وترفد المؤسسات بالكوادر المؤهلة.

## الأهداف:

- تعليم علوم الشريعة بما يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويتوافق مع مقاصد الشريعة وكيانها وأصولها الثابتة.
- بناء الشخصية المسلمة المتمية لدينها وأمتها، المعتزة بوطنها وأصولها، المتحصنة بالفهم الصحيح للإسلام القائم على الوسطية والاعتدال.
- ترسيخ مبادئ التسامح والحوار، وتأسيس أصول التواصل بين العاملين في حقل الدراسات الإسلامية على اختلاف مدارسهم، وبناء جسور الألفة مع سائر المشتغلين في حقل الدراسات الإنسانية بوجه عام.

- تكوين الملكة الفقهية والأصولية لدى الطالب وذلك بتنمية مهارات القراءة والكتابة، والقدرة على الاستنباط والاستدلال، وإنتاج البحوث العلمية.
- بناء النهج الإسلامي في سلوك منتسبي البرامج وتعاملهم مع عدم التفریط في انتمائه الديني والوطني.
- إعداد باحثين مختصين على صعيد الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، قادرين على تهيئة الحلول السليمة وفق منهج وسطي معتدل بما يجيب عن الكثير من المستجدات المعاصرة.
- رفد المؤسسات بالكوادر المؤهلة للعمل على صعيدي القطاع العام والخاص.

#### قسم الدراسات الإسلامية:

هو أحد الأقسام الرئيسة في الجامعة، أُسس في العام الجامعي (١٩٨٦-١٩٨٧م)، وقد تخرجت الدفعة الأولى في تخصص الدراسات الإسلامية في العام ١٩٩٠-١٩٩١م وما زال مستمرًا في عطائه، وقد فتح باب التسجيل أمام الوافدين للكالوريوس ابتداء من العام الجامعي ٢٠١٧ / ٢٠١٨م.

#### رؤية البرنامج:

طرح برنامج رائد وسطي قادر على تأهيل الكوادر أكاديميًا ومهنيًا في مجالات الدراسات الإسلامية على الصعيدين المحلي والإقليمي، وفق برنامج يجمع بين النظرية والتطبيق.

#### رسالة البرنامج:

نحو برنامج يجمع لرواده: المعرفة، ويكسبهم المهارات، ويمكنهم من القدرات الخاصة من الاستفادة من الدراسات الإسلامية، في بيئة تعليمية تُراعي المعايير الأكاديمية، سعيًا نحو التميز في ظل تنافسية عالية في أسواق العمل، وتحقيقًا للتنمية المستدامة للمجتمع.

ويهدف القسم إلى ترسيخ الفهم الصحيح للشريعة الإسلامية، وبناء العقيدة الصحيحة القائمة على منهج السلف الصالح في نفوس الطلبة، بما يعزز بناء المواطن الصالح، وإرساء المناهج السليمة في فهم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وتأهيل الطلبة ليكونوا دعاة عارفين بأصول الدعوة ومناهجها، فضلاً عن تنمية مهارات التفكير لديهم، وتفعيل قدراتهم في الحوار الحضاري مع الآخرين ليجمعوا في ذلك بين الأصالة والمعاصرة.

ويرتبط أكاديمياً بكلية الدراسات الإسلامية، وعمادة شؤون الطلبة، وكذلك بمركز البحوث المؤسسية والاعتماد الأكاديمي والتخطيط في الجامعة. ويضم نخبة من الأساتذة المتميزين من أصحاب الرتب العلمية العالية.

#### المرحلة الأولى: مرحلة البكالوريوس:

تأسس قسم الدراسات الإسلامية - مرحلة البكالوريوس - في العام الجامعي ١٩٨٦ - ١٩٨٧ م مدة الدراسة فيه أربع سنوات بالنظام الفصلي أو ما يحقق متطلبات التخرج وفق نظام الساعات المعتمدة لمنح شهادة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية.

#### المرحلة الثانية: مرحلة الدراسات العليا:

تأسس برنامج الدراسات العليا - لتخصص الدراسات الإسلامية في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م يخول الملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية.

وفي عام ٢٠١٦ م تم تجديد اعتماد برنامج الماجستير في الدراسات الإسلامية في التخصصين: فقه، وأصول الفقه بموجب القرار الوزاري رقم (١٤٤) لسنة ٢٠١٦ م بتاريخ ٣ / ٥ / ٢٠١٦ م، وتمت إعادة اعتماد البرنامج في ١٥ / ٤ / ٢٠٢١ م.

افتُتح برنامج الدكتوراه في التخصص نفسه في العام الجامعي ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م.

وتم إعادة اعتماد البرنامجين في العام الجامعي ٢٠٢٠ / ٢٠٢١ م، وقد بلغ عدد الخريجين حتى عام ٢٠٢٣ م، ٢٠٠ خريج على النحو التالي:

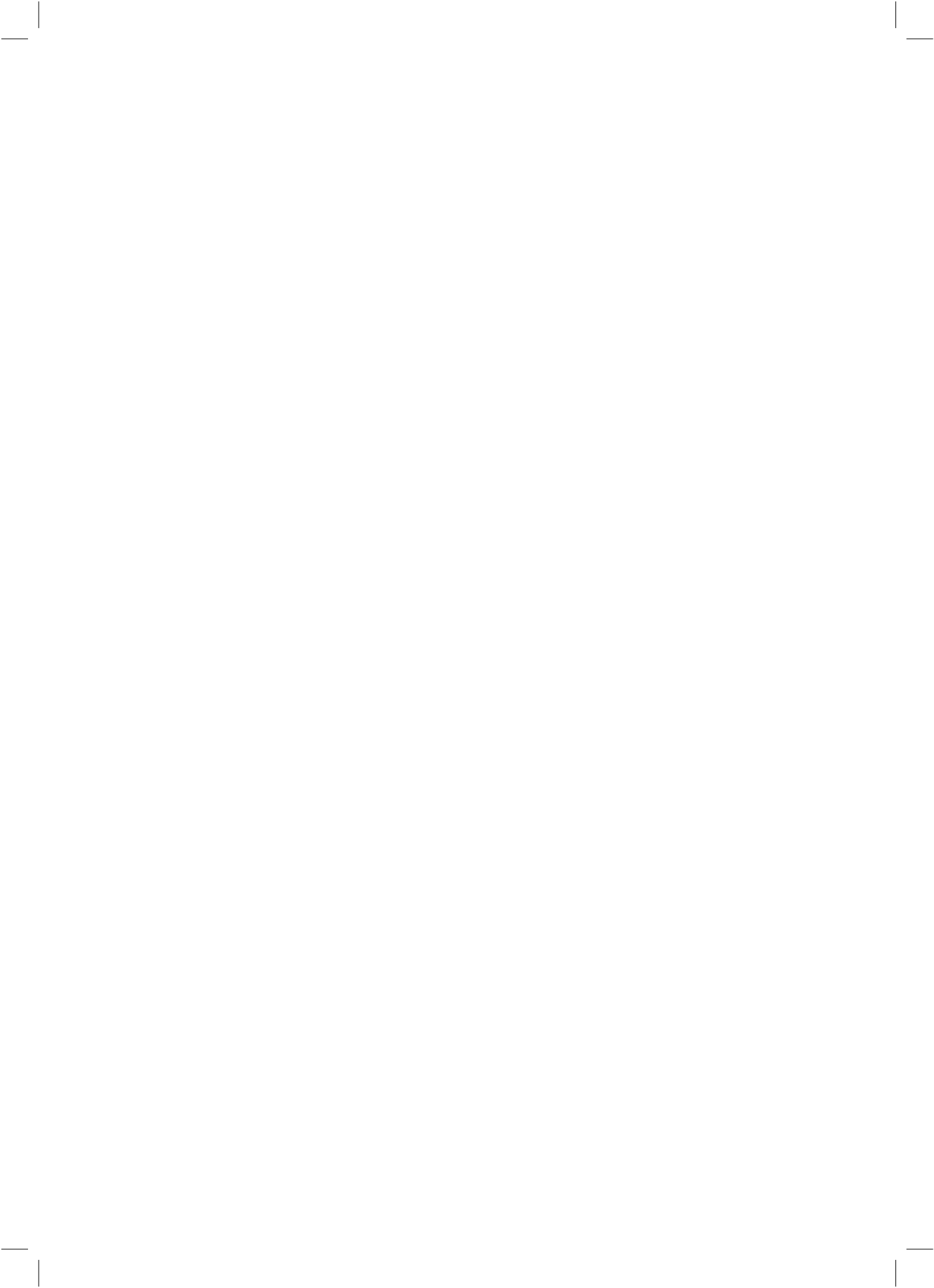
العدد	الدرجة العلمية
١٦٠	ماجستير
٤٠	دكتوراه

والبرنامجان متاحان للجنسين من الجنسيات الخليجية والعربية والإسلامية وفق شروط  
تحدها الجامعة.

## المحتويات

٩	الافتتاحية	١
١٧	الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان «دراسة عقديّة في ضوء السنة النبوية»	٢
٦٥	الحربة الإنسانية ودور السنة النبوية في السمو بها	٣
١٠٩	دور البناء الاجتماعي وفلسفة التاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النبويّة	٤
١٥١	إنسانية الإنسان في السنة النبوية (التعامل مع الغير نموذجًا)	٥
٢١٥	مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية	٦
٢٦٣	منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية	٧
٢٩٩	تغيير الحلقة الإنسانية التحديات والحلول - دراسة في السنة النبوية	٨
٣٥٧	إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية وتطبيقاتها في مجال العلاقات الدولية: النزاعات المسلحة نموذجًا	٩
٤١٥	القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل	١٠
٤٦١	إنسانية اليتيم في السنة النبوية - دلالات إعجازية	١١
٥٢١	إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ومهاراته في التواصل مع الأطفال - نماذج مختارة	١٢
٥٥١	أثر التسول في إهدار كرامة الإنسان ودور السنة النبوية في مواجهته	١٣
٦٠١	نماذج من المنهج النبوي في بناء السّواء وحماية إنسانية الإنسان	١٤
٦٤١	مبدأ الإنسانية في السنة النبوية وأثره في حسن تنشئة الولدان ورعاية الضعفاء والرفق بالحيوان	١٥
٦٨٥	إنسانية الإنسان في السنة النبوية: القيم والروابط الأسرية نموذجًا	١٦
٧٣٧	تفعيل القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية بين تنوع المقاربات ودعم المرجعيات	١٧
٧٩١	مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد للإمام البخاري موازنة تحليلية بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة	١٨





**الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان**  
**«دراسة عقديّة في ضوء السنة النبوية»**

**د. عصام الدين أحمد محمد بابكر**  
كلية التربية - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأمر درمان  
السودان

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.01>





## Abstract

The research is an attempt to put forward frameworks and holistic rules that clarify the intellectual controls on which honoring man and confirming his humanity is built, and then defines the scope of his personal freedom in the space of a cohesive society, through what was stated in the Sunnah about the person who is disciplined by the values of positive faith, the successor who is commanded to build the land and reform it.. The research is that confirms the higher a person rises to the heights of servitude, the greater his freedom. The Sunnah has decided that honoring the sons of Adam is a basic legitimate purpose, and that the blessing of honor is a privilege that God singled out for the sons of Adam from among all earthly creatures, and therefore this favor is defended and preserved by the religion.

**Keywords:** Disciplines, humanity, human, Prophetic Sunnah

## ملخص البحث

البحث محاولة لطرح أُطر وقواعد كلية توضح الضوابط الفكرية التي ينبني عليها تكريم الإنسان وتأكيد إنسانيته، ومن ثم تحدد مجال حريته الشخصية في حيز المجتمع المتناسك، من خلال ما ورد في السنة المطهرة عن الإنسان المنضبط بقيم العقيدة الإيجابية، المستخلف المأمور بعمارة الأرض وإصلاحها.. يؤكد البحث على أنه كلما ارتقى الإنسان في مراقبي العبودية زادت حريته.. وقد قررت السنة أن تكريم بني آدم مقصد شرعي أساس، وأن منة التكريم هي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، ولذلك يزداد عن هذه المنة وتصان بالشرع الحنيف.

الكلمات المفتاحية: الضوابط، الإنسانية، الإنسان، السنة النبوية



### المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُبْعُوثِ بِالْأَمْرِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَبِالنَّهْيِ عَنِ الْفُسَادِ وَالطَّغْيَانِ، فَلَمْ يَتْرِكْ ﷺ شَيْئًا يَقْرَبُ مِنَ الْجَنَانِ وَيَبْعَدُ مِنَ النَّيْرَانِ إِلَّا أَمْرًا بِهِ، وَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا يَقْرَبُ مِنَ النَّيْرَانِ وَيَبْعَدُ مِنَ الْجَنَانِ إِلَّا نَهْيًا عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

### وبعد

فقد أحببت المشاركة ببحث عنوانه: الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان «دراسة عقدية في ضوء السنة النبوية»، وهو من موضوعات المحور الثاني: [إنسانية الإنسان في السنة النبوية: الضوابط والمقاصد]، ضمن فعاليات الندوة الحادية عشرة التي جاءت بعنوان: إنسانية الإنسان في السنة النبوية: قيم كونية وضوابط شرعية.

### أهمية البحث:

وتأتي أهمية البحث في كونه يتطلع إلى طرح أُطر وقواعد كلية توضح الضوابط الفكرية التي ينبني عليها تكريم الإنسان، ومن ثم تحدد مجال حريته الشخصية في حيز المجتمع المتناسك، وتأتي المعالجة من خلال ما ورد في السنة المطهرة عن الإنسان المستخلف المأمور بعمارة الأرض وإصلاحها.

### أهداف البحث:

- ١- التعريف بمظاهر وضوابط تكريم الإنسان في السنة النبوية المطهرة.
- ٢- بيان تأكيد السنة على أنه كلما ارتقى الإنسان في مراقبي العبودية كلما تمتع بكونه إنسانا حرا مكرما.

١- من مقدمة الفوائد في اختصار المقاصد، للعز بن عبد السلام، ص: ٣١.

٣- توضيح الفرق بين معنى الحريات حسب ما جاء في لسان العرب والسنة النبوية؛ والمفهوم السائد الذي يخالف في كثير من حقائقه ما نجده في السنة والتراث العربي من أدب وشعر وحكم وقيم.

٤- بيان الضوابط التي تتحقق بالوقوف عندها الممارسة الصحيحة للحريات، مع الالتزام بقيم تكريم الإنسان، والمحافظة على الهوية الإسلامية للمجتمعات حسب ما جاء في السنة المطهرة.

#### مشكلة البحث:

تسود العالم قيم توصف بأنها قيم إنسانية كونية، تدعي تكريم الإنسانية، ولكن المتأمل في مخرجات تلك القيم من خلال ممارستها على أرض الواقع؛ يجدها تنحط بالإنسان المكرم، نفسه وقيمه ومثله.

ونحن نعلم أن السنة المطهرة قد جاءت بما يصلح حياة الناس في معاشهم ومعادهم.. فإلى أي مدي يمكننا أن نستجلي مظاهر تكريم بني آدم، ونتعرف على كيفية تحقيق هذا التكريم من خلال معرفتنا بتشوّف السنة النبوية للحرية، مثلاً وقيمة وممارسة؟

#### الدراسات السابقة:

وجدتُ دراسة واحدة لها بعض صلة بموضوع بحثي عنوانها: الكرامة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم «دراسة موضوعية»، وهي أطروحة قدمت لنيل درجة الماجستير في التفسير من الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين، قسم التفسير وعلوم القرآن. وكانت في رمضان ١٤٤٠هـ الموافق مايو ٢٠١٩م. إعداد الباحثة: براءة محمود محمد، وإشراف الأستاذ الدكتور: محمود هاشم عنتر.

تقع الرسالة في (٢٣٣) صفحة، وتحتوي مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة

ثم ذيلت بخمسة فهارس .

هدفت الدراسة إلى استقصاء موضوع الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم، واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي، ثم الوصف الموضوعي في التفسير. فخرجت بنتائج عدة أهمها:

- ١- مصطلح (الكرامة الإنسانية) ليس مصطلحا حديث النشأة وإنما هو مصطلح قديم منذ خلق الله عز وجل لآدم عليه السلام، وهبوطه إلى الأرض.
- ٢- الكرامة الإنسانية هي حق لكل إنسان ويجب أن يتمسك بها ويعض عليها بالنواجذ، فبخسرتها يخسر إنسانيته وكيانه.
- ٣- أظهرت الدراسة أن الله قد ميز الإنسان باستخدام لفظتين (التكريم والتفضيل)؛ فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره .

تشارك الدراسة مع بحثي في تناول (تكريم الإنسان) أو (الكرامة الإنسانية).. وإن كانت الباحثة قد توسعت في تناول الكرامة من جوانب متعددة .

وتختلف الدراسات في كون الباحثة اعتنت بالكرامة الإنسانية في القرآن، واعتنى بحثي بتكريم الإنسان في السنة النبوية، وأنه مقصد أساس من مقاصد الشريعة الإسلامية.

**منهج البحث:**

سأنتهج في هذا البحث بإذن الله تعالى المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، وسأقوم بتوثيق الآيات بذكر اسم السورة رقم الآية في صلب البحث معتمدا على تطبيق مصحف المدينة النبوية، أما الأحاديث فسأعتمد في ضبطها



على تطبيق خادم الحرمين الشريفين، وسأوثق الأحاديث من مصادرها الأصلية في هوامش كل صفحة على حدة، ولكنني سأكتفي بذكر مرجع واحد غالباً مخافة الإطالة، وعند توثيق مراجع السنة سأذكر اسم المؤلف ثم الكتاب، ثم الباب، ثم رقمي الجزء والصفحة، على النحو الآتي: أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً: ٢ / ١٢٣، مع بيان درجة الحديث إذا كان من غير الصحيحين معتمداً على حكم المحقق في كثير من الأحاديث.

سيكون منهجي عند توثيق الاقتباس من الكتب أن يتم تقديم اسم المؤلف، ثم الكتاب ثم المجلد والصفحة، على النحو الآتي: عبد الله بن المبارك، الزهد والرقائق: ١ / ٢٢٣.

هذا وقد حرصت على الاختصار وعدم الإسهاب في السرد إلا في مواضع قليلة، بعد أن وجدت نفسي مضطراً لتقليص الصفحات عما يزيد عن أربعين صفحة إلى ثلاثين فقط، التزاماً بالشروط المعلنة، فأرجو ألا يكون في الاختصار إخلالاً بتوضيح مراد الباحث، وأسأل المولى عز وجل القبول والسداد.

### هيكل البحث:

سيأتي البحث مقسماً على مقدمة وتمهيد، ومبحثين وخاتمة، ففي التمهيد الذي هو بعنوان: حول الأسس الفكرية لإنسانية الإنسان، سيكون الحديث لتأكيد المفهوم «كلما ارتقى الإنسان في مراقبي العبودية؛ كلما زادت حرته» في مطلب أول، ثم سأحدث عن قاعدة من مقاصد التشريع الإسلامي وهي: المقصد العام لتشريع الأحكام هو إصلاح الإنسان نفسه، في مطلب ثان، وهما - حسب ظني - أساسان متينان في تأكيد إنسانية الإنسان، ومقصدان عظيمان من مقاصد الشرع الحنيف.

المبحث الأول عنوانه: تكريم بني آدم مقصد شرعي أساس، سأتناول في مطلبيه: مظاهر تكريم الجنس البشري في السنة النبوية، وضوابط تكريم الإنسان في السنة النبوية.

أما المبحث الثاني وعنوانه: الأصل في الإنسان وتصرفاته الحرة، فسأتحدث فيه عن أن: الشرع الحكيم متشوّفٌ لحرية الإنسان، ثم ضوابط حرية الإنسان في السنة النبوية.

وسأختم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات، وسأذيل البحث بفهرس واحد للموضوعات.

وقبل الدخول في طيات البحث يتحتم عليّ أن أتقدّم بوافر الشكر وجيليل التقدير للأمانة العامة لندوة الحديث الشريف، وإدارة الندوة العلمية الدولية الحادية عشرة، لإقامتها هذه الندوة الموفقة عن إنسانية الإنسان في السنة النبوية: قيم كونيّة وضوابط شرعيّة.

كما أتقدم بوافر الشكر لكل من وقف معي وساعدني في بعض خطوات البحث، وخاصة الدكتور أحمد عبد القادر أستاذ علوم الحاسوب بالجامعات السعودية، والابنة اليمنية صفاء، طالبة الدراسات العليا في جامعة أفريقيا العالمية، لمساعدتهما لي في تدقيق ومراجعة نصوص القرآن والسنة من تطبيقي مصحف المدينة النبوية وخادم الحرمين الشريفين.

## تمهيد: حول الأسس الفكرية لإنسانية الإنسانية

المطلب الأول: كلما ارتقى الإنسان في مراقبي العبودية؛ كلما زادت حرته

العبودية هي الغاية من خلق الإنسان في هذه الحياة، حيث إن الغاية من خلق الإنسان أن يكون عبداً لله وحده لا شريك له، ولكن الناس وبسبب تعلقهم بمغريات الحياة الدنيا، وبسبب تسلط بعضهم على بعض؛ يقع كثيرون منهم في شرك العبودية للمهيات الحياة الدنيا، وشرك العباداة التي تنافي مقاصد وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا.

وبالرغم مما نجده مبثوثاً في القرآن الكريم والسنة المطهرة مما يحث الإنسان للقليل من الخضوع لمظاهر الحياة المادية إمعاناً في تحريره، إلا أن التعلق المفرط بالدنيا لا يزال يغلب الإنسان أسيراً لشهواتها، والشرع الحنيف يدعونا إلى الزهد عن الدار الفانية تحريراً للإنسان من ناحية؛ وجمعاً لهممة من ناحية أخرى، يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: (مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ، جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَفَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ<sup>(١)</sup>).

وقد استوعب العلماء هذه المعاني الداعية لضرورة تخلص الإنسان من إسار الدنيا إخلاصاً لله في العبودية، إذ بقدر ما يخلص العبد لربه؛ بقدر ما يتحرر من ربة الرق للناس والأشياء، ولهذا جاءت وصايا النبي ﷺ لمن طلب دلالة لما يجعله محبوباً عند الله وعند الناس؛ فقال له: (أزهد في الدنيا يُحبك الله، وأزهد في أيدي الناس يُحبك الناس<sup>(٢)</sup>).

١- أخرجه أحمد في مسنده من حديث زيد بن ثابت: ٤٦٧/٣٥، وقال المحقق: إسناده صحيح.

٢- أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا: ١٣٧٣/٢، والحاكم في المستدرک، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه: ٣٤٨/٤.

فإذا طمع العبد في شيء من حطام الدنيا من مال عارض أو منصب زائل أو جاه حائل، فإن ذلك كله مذموم، خاصة إذا صدر ممن له حق فيه، وتسمى عبودية الأشياء والأشخاص، وقد كان العلماء من السلف يحذرون منها، ومن كلامهم ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله لما ولي الخلافة فقال: (تعلمون أن الطمع فقر، وأن الإياس غنى، وإنه من أيس مما عند الناس استغنى عنهم<sup>(١)</sup>)، وقال رضي الله عنه: (ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع<sup>(٢)</sup>)، لأن طمع العبد في ربه ورجاءه منه يوجب عبوديته له، وإعراض القلب عن الله وعن رجائه يوجب انصراف قلبه عن عبوديته، وتعلقه بمن يرجو من المخلوقين<sup>(٣)</sup>، وتلك وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن حيث قال له: (يا بني، إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل. ولا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً، فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره<sup>(٤)</sup>)، وقال الأصمعي: كان يقال: (العبد حر إذا قنع، والحر عبد إذا طمع<sup>(٥)</sup>)، وهذا أمر يجده كل إنسان في نفسه، ولذلك روي أن رسول الله ﷺ قال: (استعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبْعٍ، وَمِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ حِينَ لَا مَطْمَعَ<sup>(٦)</sup>)، وصدق من قال:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أنني قنعت لكنت حراً<sup>(٧)</sup>

- ١- عبد الله بن المبارك، الزهد والرقائق: ١ / ٢٢٣.
- ٢- محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية: ٣ / ٣٠٨.
- ٣- انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: ١ / ٥٢.
- ٤- مجموعة من العلماء، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٨ / ٣٣٨٣.
- ٥- جار الله الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: ٣ / ٢٧٠.
- ٦- أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الدعاء والتهليل والتسبيح والذكر، وقال: هَذَا حَدِيثٌ مُسْتَقِيمٌ الْأَسْنَادُ، وَلَمْ يَخْرُجْهُ: ١ / ٧١٦، ولكن ضعفه الألباني في الجامع الصغير وزيادته، ص: ١٨٢٦.
- ٧- ينسب البيت تارة لابن العتاهية، كما في الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح: ٣ / ٣٠٩، والدر الفريد وبيت القصيد: ٣ / ٤٢١، وفي الكتاب نفسه ينسب البيت للحلاج، وقد ذكروا أنه قاله عندما قدم للقتل، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ١١ / ١٦٢، والبيت مسبوق بأبيات: طلبت المستقر بكل أرض \* فلم أر لي بأرض مستقرا وذقت من الزمان وذاق مني \* وجدت مذاقه حلوا ومررا أطعت مطامعي فاستعبدتني \* ولو أنني قنعت لعشت حرا

فالمقصود إذا هو أنه كلما ارتقى الإنسان في مراقبي العبودية وتعلق بالله؛ كلما صار حرا عزيزا عفيفا، والعكس بالعكس: كلما رهن الإنسان نفسه لعطايا العباد وانتظر منهم الرزق؛ كلما استذل لهم واستعبده، يؤكد هذه الحقيقة قول بعض الحكماء: (قلوب الجهال تستعبد بالأطماع وتسترق بالمنى وتعلل بالخدائع)، ثم قول عبد الله بن المبارك: (ما الذل إلا في الطمع)، وسبقى الإنسان أسيرا للمطامع والشهوات، ما دام قلبه متعلقا بماديات الحياة، وما في أيدي الناس، أما من استغني بما عند الله، فإن الله سيغنيه، لأن النبي ﷺ قال: (وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ<sup>(١)</sup>).

### المطلب الثاني: المقصد العام لتشريع الأحكام هو إصلاح الإنسان نفسه

إن إصلاح الإنسان واستقامته في هذه الحياة هو مقصد عزيز من مقاصد الشريعة، ولأجل هذا المقصد أرسل المولى عز وجل الرسل وأنزل الكتب، وهذا ما قاله الله سبحانه وعز وجل لآدم وزوجه لما أهبتهما من الجنة: ﴿ قَالَ أَهبطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا أَيُّنَّكُمْ مِّنِّي هُدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٢٣]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة<sup>(٢)</sup>).

والصلاح المعتبر في الشريعة هو ما يقيم الحياة الدنيا للحياة الآخرة لا اتباع الشهوات والشبهات، ذلك أن الأهواء والشهوات والملذات، قد تكون بناءة وقد تكون هدامة، وقد تكون نافعة وقد تكون ضارة، وقد تكون متزنة معتدلة وقد تكون جامحة مسرفة، وقد يكون في تلبيتها ظلم وبغي على النفس أو على الغير. كما أنها عادة ما تكون متسمة بالذاتية والنسبية، فهي ليس لها ضابط موضوعي محدد، وهي أيضا منحصرة - في الغالب الأعم - في الرغبات والمطالب المادية

١ - أخرجه البخاري، في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى: ١١٢ / ٢.

٢ - ابن جرير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن: ٣٨٩ / ١٨.

البدنية، مما يجعل مسيرتها مجحفة بالمصالح غير المادية.

ولا يخفى أن الانسياق وراء الأمزجة والشهوات، واتخاذها معيارا للأفعال والتصرفات، أو مرجعا للأحكام والتشريعات، قد أفضى ويفضي إلى مفسد وانحرافات لا حدود لها، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات<sup>(١)</sup>، قال ابن الجوزي رحمه الله: (اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة، من غير فكر في عاقبة، ويحثُّ على نيل الشهوات عاجلا، وإن كانت سببا للألم والأذى في العاجل، ومنع لذاتٍ في الآجل. فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذة تُعقب ألما، وشهوةٍ تورثُ ندمًا. وكفى بهذا القدر مدحا للعقل وذما للهوى<sup>(٢)</sup>).

وقد أكد الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى المعنى الذي نريده في هذا السياق بقوله: (المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبداً لله اضطراراً<sup>(٣)</sup>).

### المبحث الأول: تكريم بني آدم مقصد شرعي أساس

أتطلع في هذا المبحث لاستجلاء معالم إنسانية الإنسان، بذكر بعض مظاهر تكريمه، ثم الوقوف عند بعض وضوابط التي يحافظ بها الإنسان على أسس تكريمه.

#### المطلب الأول: مظاهر تكريم الجنس البشري في السنة النبوية

إن تكريم الله تعالى لجنس الإنسان، قضية معلومة مصرح بها ومنبه عليها في نصوص القرآن والسنة وآثار السلف من الصحابة والتابعين وسائر الفقهاء، فيما يلي نستعرض بعض مظاهر تكريم الإنسان في السنة المطهرة:

١- انظر: معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية: ٣/ ٣٤٢.

٢- ابن الجوزي، ذم الهوى، ص: ١٢.

٣- الشاطبي، الموافقات: ٢/ ١٦٨.

## المظهر الأول: تشريع الأحكام لحفظ النفس الإنسانية.

من المعلوم أن مقاصد الشريعة الضرورية خمسة وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدارين، وتسمى الكليات الخمس وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وقد ذكر العلماء أن هذه المقاصد ثبتت بالاستقراء والتنقيص في كل أمة وملة، وفي كل زمان ومكان، ولذلك استوعبتّها الملة المحمدية التي ختم الله بها النبوة والرسالة<sup>(١)</sup>.

ويعتبر حفظ النفس هو الكلية المقاصدية الشرعية الثانية بعد كلية حفظ الدين، ويقصد بحفظ النفس: مراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة والعزة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: ٤]، ومن أجل حفظ النفس شرعت أحكام كثيرة منها: منع القتل، وتشريع القصاص، ومنع التمثيل بالموتى أو تشويه أعضائهم، ومعاقبة المحاربين وقطاع الطرق والمستخفين بحرمة النفس البشرية، ولأجل هذا المقصد منع الاستنساخ البشري<sup>(٢)</sup> والتلاعب بالجينات<sup>(٣)</sup>، والمتاجرة بالأعضاء والتشريح لغير ضرورة معتبرة، وحرق أجساد الموتى، كما أمر الشرع الحنيف بتناول ما تقوم به النفس من أكل وشرب وعلاج<sup>(٤)</sup>.

وفي المقابل نهى الإنسان عن تعاطي كل ما يضر بدنه وعقله وروحه، بل حرم الشرع الانتحار الذي هو إزهاق الإنسان نفسه، فكما حرمت الشريعة قتل النفس

١- انظر: نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص: ٧٢.

٢- الاستنساخ هو: زرع خلية إنسانية أو حيوانية جسدية تحتوي على المحتوى الوراثي كاملاً في رحم طبيعي أو صناعي؛ وذلك بغرض إنتاج كائن حي (حيوان أو إنسان) صورة طبق الأصل من نظيره صاحب الخلية الأولى. انظر: أ. د. عبد الله بن محمد الطيار وآخرون، الفقه الميسر: ١٢ / ٧٤.

٣- الجينات: جزئيات مادّية دقيقة توجد في صبغيات الخلية، وإليها تُعزى الصّفات المميّزة للكائن الحي، وبها تُفسّر قوانين مندل الوراثة<sup>١</sup> استطاع العلماء التحكم في بعض الجينات الوراثة لدى الحيوانات<sup>٢</sup>، وهذا التحكم هو التلاعب بالجينات. د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة: ١ / ٤٢٨.

٤- نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص: ٨١.

التي حرم الله إلا بالحق؛ كذلك بينت السنة أنه ليس من حق الإنسان قتل نفسه، وجاء الوعيد الشديد من رسول الله ﷺ على من قتل نفسه، فقال في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة: (مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَابِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا<sup>(١)</sup>)، وفي حديث آخر من رواية ثابت بن الضحك قال رسول الله ﷺ: (وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ<sup>(٢)</sup>)، وما ذاك إلا لأن الدنيا كلها تهون عند الله أمام حياة الإنسان، وهذا ما قاله نبي الهدى والرحمة عليه الصلاة والسلام: (لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ<sup>(٣)</sup>)، وقد سبق الحديث (ليبان عظم حرمة المسلم، وأن قتله بغير حق أعظم من ذهاب الدنيا برمتها، والمراد أنه تعالى لو أقدر إنساناً على إذهاب الدنيا برمتها من دون ما فيها من المسلمين؛ فإذهابها ظلماً وعدواناً أهون في عقاب الله من العقاب على قتل رجل مسلم ظلماً<sup>(٤)</sup>).

ثم إنه ومن حرص الشرع الحنيف على حفظ النفس البشرية أن جعل النبي ﷺ حرمة نفس الإنسان أعظم من حرمة الكعبة بيت الله الحرام، فقد قال الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: (مَا أَطْيَبُكَ وَأَطْيَبَ رِيحِكَ، مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،

- ١- أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث: ١٤٠ / ٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة: ١٠٣ / ١.
- ٢- متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال: ٢٦ / ٨، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة: ١٠٤ / ١.
- ٣- أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم، باب تحريم الدم: ٨٢ / ٧، وقد حسن إسناده العجلوني في كشف الخفاء: ١٠٧ / ٢.
- ٤- الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير: ٣٦ / ٩.



حُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظْنَ بِهِ إِلَّا خَيْرًا<sup>(١)</sup>،  
فالكعبة على قدسيتها وشرفها وجلالة مقامها، هي أقل حرمة من حرمة الإنسان  
المؤمن، فما أعظم هذا التكريم؟!!

ولأن النفس الإنسانية بهذه المكانة من التكريم؛ نهى النبي ﷺ أن يحْمَلِ  
الإنسان نفسه فوق ما تطيق، مثل أن يدعو على نفسه، فقد روى أنس بن مالك أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ: (هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟) قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا  
كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (سُبْحَانَ  
اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: (اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ، فَشَفَاهُ<sup>(٢)</sup>. بل نهت السنة أن يعرِّضَ  
الإنسان نفسه للهلاك، فقال ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ)، قالوا: وَكَيْفَ  
يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: (يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ<sup>(٣)</sup>).

ومن كمال عناية السنة بحفظ النفس أمر رسول الله ﷺ الإنسان أن يعتني  
بمظهره شكرا لنعمة الله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، فقد روى عنه أبو  
هريرة قوله: (مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ<sup>(٤)</sup>)، وَرَأَى ﷺ رَجُلًا ثَائِرَ الرَّأْسِ فَقَالَ: (أَمَّا  
يَجِدُ هَذَا مَا يُسْكِنُ بِهِ شَعْرَهُ؟<sup>(٥)</sup>)، وَرَأَى رَجُلًا وَسَخَ الثِّيَابِ فَقَالَ: (أَمَّا يَجِدُ هَذَا

- ١- أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله: ١٢٩٧/٢.
- ٢- أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا: ٢٠٦٨/٤.
- ٣- أخرجه الترمذي في أبواب الفتن: ٥٢٣/٤، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وابن ماجه في كتاب  
الفتن، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (١٠٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ١٠٥: ٢ / ١٣٣٠.
- ٤- أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب تغليظ قتل مسلم ظلما: ٧٦/٤.
- ٥- أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب اللباس، باب حديث ابن عباس، وقال: هذا حديث صحيح على  
شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي: ٢٠٦/٤.

مَا يُنْفِي بِهِ ثِيَابَهُ<sup>(١)</sup>، وَرَأَى آخِرَ طَوِيلِ اللَّحْيَةِ فَقَالَ: (لَمْ يُشَوِّهُ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ؟)<sup>(٢)</sup>.

وقد عمل السلف بهذه التوجيهات النبوية فكان الإمام مالك رحمه الله وأجزل مثوبته (يلبس الثياب العذنية الجياد والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد. ويقول: ما أحبُّ لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم. وكان يقول: أحبُّ للقارئ أن يكون أبيض الثياب<sup>(٣)</sup>).

المظهر الثاني: العقل نعمة حث الشرع على حسن توظيفها.

كرم الله الإنسان بنعمة العقل وميزه بميزة التفكير، وبين سبحانه منزلة العقل في القرآن الكريم، لأنه منشأ الفكر وبه يتمكن الإنسان من الإدراك والتدبر وتصريف الحياة، لذلك نجد في نصوص الشرع كثيرا من الآثار التي تبين دور العقل وأنه مناط التكليف<sup>(٤)</sup>، فمن لا يعقل لا يعد مكلفا، لأن التكليف خطاب من الله ولا يتلقى ذلك الخطاب ويعمل بمقتضاه إلا من يعقل، وبفضل نعمة العقل يزداد الجنس البشري على مر العصور تطورا وتفوقا على غيره من المخلوقات التي تراوح مكانها ومكانتها الأولى.

وقد كان من شأن النبي ﷺ في تعامله مع الصحابة، استحسان استخدام العقل، فكان يرغبهم في التفكير وحسن تدبر الأمور، ويلقي عليهم الأسئلة التي تحفز الذهن، من ذلك قوله: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ)، قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (هِيَ

- ١- أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، كتاب اللباس، باب حديث ابن عباس: ٤ / ٢٠٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- ٢- أخرجه أبو داود في المراسيل، كتاب الطهارة، باب في الترجل، ص: ٣١٦.
- ٣- من مقدمة محقق الموطأ للإمام مالك: ١ / ٦٧.
- ٤- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه: ١ / ١١٦.

النَّخْلَةَ<sup>(١)</sup>، وذكر ابن حجر بعض فوائد الحديث فقال: (وفيه إشارة إلى أن الملغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال... وفيه التحريض على الفهم في العلم<sup>(٢)</sup>).

وكان عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على الاجتهاد والتفكير الإيجابي ويشني على من يفعل ذلك ويذم من لا يفعله، فمن ذلك ما رُوِيَ أنه عندما أراد أن يبعث معاذ بن جبل إلى اليمن سأله: (كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟)، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ)، قَالَ: فَيَسُنُّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟) قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا أَلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ، وَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يَرْضِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ<sup>(٣)</sup>).

وفي المقابل لم يثنِ ﷺ خيرا على من غالى في التمسك بظواهر النصوص ولم يُعْمَلِ عقله لفهمها، فعندما أخبره عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه أحضر عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود، وجعل ينظر فيهما ليعرف أبنغ الفجر أم لا؟ ضحك رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> وقال له: (إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا، إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ)، ثُمَّ قَالَ: (لَا بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ<sup>(٥)</sup>).

وفي حديث آخر قال ﷺ: (لَا تَكُونُوا إِمْعَةً؛ تَقُولُونَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنَانَا

- ١- أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم: ٢٢/١.
- ٢- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٤٦/١.
- ٣- أخرجه أبو داود، في كتاب الأفضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء: ٣/٣٠٣، وقال محققه: (إسناده ضعيف، وقال الخطيب البغدادي عن الحديث: (على أن أهل العلم قد قبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم). الفقيه والمتفقه: ٤٧٢/١.
- ٤- انظر: أبو داود، كتاب الصوم، باب وقت السحور: ٣٠٤/٢.
- ٥- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ سورة البقرة: ١٨٧، ٢٦/٦، ومسلم في كتاب الصوم، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر: ٧٦٦/٢.

وَأَنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا<sup>(١)</sup>، والإمعة هو من لا رأي له ولا عزم، ولا حول ولا طول، وهو الذي يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد أنا معك، لأنه لا رأي له يرجع إليه<sup>(٢)</sup>، والمسلم خلاف هذا الوصف، فهو يحسن التفكير ويقايس التصرفات فيختار أحسنها، وها هو رسول الله ﷺ يبين أن الله يحب الإنسان الذي يوطن نفسه ويتعقل في تصرفاته، فلا تجرفه الشبهات فيقع في الزلل، ولا تستهويه الشهوات فيقع في المعصية، فيروى أنه قال لعمران بن الحصين رضي الله عنه: (وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ مَجِيءِ الشَّهَوَاتِ وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ نَزْوِلِ الشُّبُهَاتِ<sup>(٣)</sup>).

وقد ذم النبي ﷺ الخوارج لضعف عقولهم وسوء فعالهم<sup>(٤)</sup>، ووصفهم بأنهم: (قَوْمٌ حُدَّثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَا جَرَهُمْ<sup>(٥)</sup>). قوله: (سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ) أي: ضعفاء العقول، والسفهاء جمع سفية وهو خفيف العقل<sup>(٦)</sup>.

وأثر عن العرب أنهم كانوا يقولون: (مَا أَحْسَنَ الْإِيمَانَ يُزِينُهُ الْعِلْمُ، وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يُزِينُهُ الْعَمَلُ، وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يُزِينُهُ الرَّفْقُ، وَمَا أَضْيَفَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ<sup>(٧)</sup>)، وهذا ما افتقده الخوارج وأشباههم من المتطرفين الذين كان يعوذهم الحلم والرفق والأناة، وهي صفات يحبها الله ورسوله.

- ١- أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو: ٤ / ٣٦٤، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
- ٢- انظر: أبو العلاء المباركفوري، تحفة الأحوذى: ٦ / ١٢٣
- ٣- أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، من حديث عمران بن الحصين: ٢ / ١٥٢، وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: ١ / ١٧٧٤.
- ٤- انظر: أبو الفرج ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين: ١ / ١٩٨.
- ٥- أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة: ٤ / ٢٠٠، ومسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج: ٢ / ٧٤٦.
- ٦- بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٦ / ١٤٤.
- ٧- ابن المبارك، الزهد والرفاق: ١ / ٤٧٠.

## المظهر الثالث: إهانة الأدمي ممنوعة حيا كان أو ميتا .

جاء في السنة ما يؤكد مراعاة كرامة الإنسان وحُرْمته مسلما كان أم كافرا، حيا أو ميتا، فهذا هو رسول الله الهادي إلى الصراط المستقيم يعلمنا تكريم الإنسان حيا أو ميتا وذلك أنه ﷺ مرَّتْ به جِنَازَةٌ فقامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةٌ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟) (١). كما عَظَّمَ ﷺ جَرمِةَ قَتْلِ المِعاہِدِ المِسالِمِ وبيَّن عقوبة القاتل في الآخرة فقال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ) (٢)، ولذلك اقتصر ﷺ من رجل قتل معاهدا، وذلك أنه أتى إليه برجل من المسلمين قد قتل معاهدا من أهل الذمة، فأمر به فضرب عنقه وقال: (أنا أولى من وفي بدمته) (٣).

والتزم أتباع النبي ﷺ بهذه القيم السمحة وأكدها قاداتهم، ذكر ذلك علقمة بن عبد الله المزني قال: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ الْأُخْفِ بْنِ قَيْسٍ إِذْ اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَنْتَ تَسْرِقُ أَوْلَادَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَتَبِيعُهُمْ، فَأَعْظَمَ الْقَوْمُ ذَلِكَ، فَقَالَ الْأُخْفُ: (إِنَّا جَعَلْنَا لَهُمْ ثَلَاثًا، وَجَعَلْنَا لَنَا عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا: جَعَلْنَا لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَذَرَارِيَهُمْ... (٤)).

ومن اعتناء أهل الإسلام بحقوق الأدميين مسلمين أو غير مسلمين؛ وصايا الخلفاء لولاتهم بحفظ حقوق الرعية وعدم إهانتهم، فهذا عمر بن الخطاب يوصي ولاته بأن يوفوا لأهل العهد بعهدهم، وألا يكلفوهم إلا ما يطيقون (٥)، وبيِّن في خطبة له أنه لا يرسل الولاة لإذلال الرعية، وإنما للقيام بما يصلحهم، قال: (أَلَا وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَبَعْتُ عُمَّالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي أَبَعْتُهُمْ

- ١- أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي: ٢ / ٨٥، ومسلم في كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة: ٢ / ٦٦١.
- ٢- أخرجه البخاري في كتاب الجزية باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم: ٤ / ٩٩.
- ٣- أبو جعفر الطحاوي، شرح معاني الآثار: ٣ / ١٩٥.
- ٤- الدولابي، الكنى والأسماء: ٣ / ٩٤٤.
- ٥- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل عن أهل الذمة ولا يسترقون: ٤ / ٦٩.

لِيَعْلَمُوَكُمْ دِينَكُمْ وَسَنَنَكُمْ، وَيَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ وَيَقْسِمُوا فِيكُمْ فَيُنْكُمُ، أَلَا مَنْ فَعَلَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُرَافِعْهُ إِلَيَّ، وَالَّذِي نَفْسٌ عُمَرُ بِيَدِهِ لَأَقْبَهُ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

ثم وجه رضي الله عنه كلامه للولاية أمرا بالترفق بمن تحتهم وإكرامهم فيقول: (أَلَا لَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتَذْلُوهُمْ، وَلَا تُجْمِرُوهُمْ<sup>(٢)</sup> فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتَكْفُرُوهُمْ<sup>(٣)</sup>، وَلَا تُنْزِلُوهُمْ الْغِيَاضَ<sup>(٤)</sup> فَتَضْيَعُوهُمْ<sup>(٥)</sup>)، وقد جرى الفقهاء في فتاويهم على تأكيد حقوق الإنسان، وأفتوا بتحريم بيع الإنسان لأي عضو أو أي جزء من جسمه أو من جسم غيره، قصد زرعه واستعماله لأشخاص آخرين أو لأي غرض آخر، لما في البيع من استرخاض وهو ان، بخلاف التبرع<sup>(٦)</sup>، ويوضح البدر العيني علة المنع بقوله: (ولا يجوز بيع شعر الإنسان ولا الانتفاع به لأن الآدمي مكرم غير مبتذل، فلا يجوز أن يكون شيء من أجزائه مهانا مبتذلا<sup>(٧)</sup>).

واستصحابا لمعنى التكريم نص العلماء على حرمة أكل لحوم الآدميين، وذهبوا إلى: (أن تحريم لحم الآدميين والآدميات تحريم تكريم واحترام وتخصيص، لا تحريم استخبات واستقذار<sup>(٨)</sup>)، كما ذهب الفقهاء إلى الجزم بطهارة الآدمي مسلما كان أم غير مسلم، واستدلوا على ذلك بقول المولى جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

- ١- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي: ٤ / ٤٨٥.
- ٢- تجمر وهم: تجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحبسهم عن العود إلى أهلهم. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٢٩٢.
- ٣- تكفروهم: يريد فتجعلوهم كفارا وتوقعوهم في الكفر لأنهم ربما ارتدوا إذا منعوا الحق. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث: ٣ / ٢٦٦.
- ٤- الغياض: جمع غيضة، وهي الشجر الملتف، لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ٤٠٢.
- ٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب: ١ / ٣٨٥.
- ٦- انظر: محمد بن إبراهيم التوبجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، ص: ٧١٧.
- ٧- بدر الدين العيني، البناية شرح الهداية: ٨ / ١٦٦.
- ٨- أبو محمد الجويني، الجمع والفرق أو كتاب الفروق: ١ / ٢٣٥.

تَفْضِيلًا ﴿[سورة الإسراء: ٧٠]، فقالوا: (تكريمهم يقتضي طهارتهم أحياء وأمواتا، وقضية التكريم ألا يحكم بنجاسته بعد الموت، وسواء في ذلك المسلم وغيره<sup>(١)</sup>).

وكما يحرم التصرف في أعضاء الأدمي الحي بالبيع ونحوه؛ كذلك يحرم الفعل نفسه للأموات من بني آدم وذلك لأن (إكرام الميت مندوب إليه في جميع ما يجب كإكرامه حياً، وإهانته منهي عنها، كما في الحياة<sup>(٢)</sup>)، ولهذا نهت السنة عن سب الميت أو ذكر شيء من معايبه، لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا<sup>(٣)</sup>)، وكذلك نهت السنة عن التعدي على الميت، لأن (أذى المؤمن في موته كأذاه في حياته<sup>(٤)</sup>)، وقريب منه النهي عن كسر عظم الميت، قال ﷺ: (كَسَرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ، كَكْسَرِهِ حَيًّا<sup>(٥)</sup>)، بل نهت السنة عن وطء القبور أو الجلوس عليها، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرَقَ ثِيَابُهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ<sup>(٦)</sup>)، وقد أوجب الفقهاء القصاص على من جرح ميتاً أو كسر عظمه، لعموم آيات القصاص<sup>(٧)</sup>.

ونجد غاية تكريم الإنسانية في الآداب التي يُؤدب بها المجاهدون والتوصيات التي يطلقها قادة المسلمين للمجاهدين تجسيدا لمعاني تكريم الأدمي حتى لو كان عدواً، فكان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أو صاه في خاصته بتقوى الله، وكذلك يوصيه بمن معه من المسلمين خيراً، ثم يقول: (اغزوا

- ١- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: ٢٢ / ٣٩١.
- ٢- الطيبي، شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن: ٤ / ١٤١٢.
- ٣- أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات: ٢ / ١٠٤.
- ٤- أخرجه ابن أبي شبة في المصنف موقوفاً على عبد الله بن مسعود، كتاب الجنائز، باب ما قالوا في سب الموتى وما كره من ذلك: ٣ / ٤٦.
- ٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال محققه: وهذا الحديث صحيح من رواية عمرة عن عائشة موقوفاً: ٤١ / ٢٥٩.
- ٦- أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن الجلوس في القبر والصلاة عليه: ٢ / ٦٦٧.
- ٧- ابن حزم، المحلى بالآثار: ١١ / ٣٩، والنووي، المجموع شرح المهذب: ٥ / ٢٨٣ - ٣٠٣.

وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَمَثَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا<sup>(١)</sup>، قال النووي في شرحه للحديث: (في هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهة المثلة، واستحباب وصية الإمام أمرائه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم<sup>(٢)</sup>).

وكان هذا هو ديدن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، إذ كانوا يوصون قادة الجيوش، مثال ذلك ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأحد القادة: (إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا. ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا، إلا للمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تعرقنه، ولا تغلن ولا تجبن<sup>(٣)</sup>)، وبهذا أصدر العلماء فتاويهم التي تصلح أسسا لقوانين الحروب، قال الإمامان أبو حنيفة ومالك وأصحابهما: (لا يقتل الأعمى ولا المعتوه ولا المقعد ولا أصحاب الصوامع الذين طينوا الباب عليهم لا يخالطون الناس<sup>(٤)</sup>).

ومن تكريم السنة لبني آدم أن اعتبر رسول الله ﷺ إكرام من شاب في الإسلام، واحترام حامل القرآن المعتمني به، ومن بيده سلطة وكان عادلا في حكمه؛ - اعتبر كل ذلك - إجلالا لله عز وجل فقال: (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ<sup>(٥)</sup>)، ولعله لهذا السبب تبرأ النبي ﷺ من الذي لا يرحم الصغير ولا يوقر

- ١ - أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته بأداب الغزو وغيرها: ١٣٥٧/٣.
- ٢ - أبو زكريا النووي، شرح صحيح مسلم: ٣٧/١٢.
- ٣ - أخرجه مالك في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والصبيان في الغزو: ٦٣٦/٣.
- ٤ - انظر: ابن عبد البر، الاستذكار: ٢٩/٥.
- ٥ - أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم: ٢١٢/٧، والبخاري في الأدب المفرد، باب يبدأ الكبير بالكلام والسؤال، ص: ١٨٥، وحسنه محققه.



الكبير حيث قال: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا<sup>(١)</sup>).

وقريب منه ما تعلمناه من السنة المطهرة من إكرام القادة والزعماء وأصحاب الرئاسات والإغضاء عن ذلاتهم، ومن باب أولى عدم تتبعها، وذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها أن النبي ﷺ قال: (أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْخُدُودَ<sup>(٢)</sup>)، قال الشافعي: (سمعت من أهل العلم من يعرف هذا الحديث ويقول: يُتَجَافَى لِلرَّجُلِ ذِي الْهَيْئَةِ عَنْ عَثْرَتِهِ<sup>(٣)</sup>)، ولعل هذا الكلام من قديم خلق كرام العرب الذي يتباهون به، وقد نظمه شهير الكرماء حاتم طيِّءٍ شعرا فقال مفاخرًا:

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارَهُ، ... وَأُعْرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا<sup>(٤)</sup>

وَكَانَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ يَقُولُ: (النَّاسُ إِمَامًا لئِيمٍ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْعَلُ عَرْضِي لِعَرْضِهِ خَطْرًا وَلَا أَجْعَلُهُ لِي نَدَا، وَإِمَامًا كَرِيمًا كَانَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، فَوَاللَّهِ لَا أُوْدِبُهُ، لِأَنِّي أَحَقُّ مِنْ غَفْرِهَا<sup>(٥)</sup>).

يفهم من السياق أن الإسلام يُكْرِمُ الكُبرياء، ويعطيهم المكانة اللائقة بهم من التقدير والتوقير، ويمنع تتبع عثراتهم لما في ذلك من ذهاب هيبة الكبار وأهل السلطة والزعامة، ما قد يؤدي إلى انفراط عقد الدولة وتفرق المجتمع، فإن الإنسان خلق مدنيا بالطبع والفطرة السوية يألف ويؤلف، فمن تكريمه الحفاظ عليه وعلى مجتمعه، وما يؤدي إلى اجتماع كلمتهم.

- ١- أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب الإیمان، حدیث سمرة بن جندب، وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم، ووافقه الذهبي: ١ / ١٣١.
- ٢- أخرجه الإمام أحمد من حدیث أم المؤمنین عائشة: ٤٢ / ٣٠٠.
- ٣- أخرجه الشافعي في مسنده، ص: ٣٦٣.
- ٤- ابن منظور الأفریقی، لسان العرب: ٤ / ٦١٥.
- ٥- محمد بن منصور بن حبیب المشهور بابن الحداد، الجوهر النفیس فی سياسة رئیس، ص: ١٣٨.

## المطلب الثاني: ضوابط تكريم الإنسان في السنة النبوية

الضابط الأول: السنة توافق الفطرة السوية لذلك أوجبت مراعاة حقوق الإنسان

إذا أنعمنا النظر في المقصد العام من التشريع النبوي في العبادات والمعاملات، فسنجد أنه لا يعدو مسaire حفظ الفطرة والتحذير من خرقها واختلالها. واعتبار ما أفضى إلى خرق عظيم فيها محذوراً وممنوعاً في الشرع، وما أفضى إلى حفظ كيانها يعد واجباً، وما كان دون ذلك في الأمرين فهو منهي أو مطلوب في الجملة، ويعد ما لا يمسها مباحاً<sup>(١)</sup>.

فلذلك كان قتل النفس أعظم الذنوب وأكبر الكبائر لقول النبي ﷺ: (الكَبَائِرُ: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَالْيَمِينُ الْعُمُوسُ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ قَالَ: وَقَتْلُ النَّفْسِ<sup>(٢)</sup>)، وقد جاءت النصوص الكثيرة تحرم التعدي على النفس، ومن ذلك ما منعه الإسلام من وأد البنات خشية العار، وقتل الصغار مخافة الفقر، حيث عد رسول الله ﷺ قتل البنات من الأعمال القبيحة التي حرّمها الله عز وجل فقال في الحديث الذي رواه عنه المغيرة بن شعبة: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ<sup>(٣)</sup>).

ومما جاء به الإسلام موافقا لحقوق الإنسان والفطرة البشرية؛ تحريم الترهّب والنهي عن التبتل لما روي عنه ﷺ أنه قال: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَصَى وَلَا اخْتَصَى، إِنَّ خِصَاءَ أُمَّتِي الصِّيَامُ<sup>(٤)</sup>)، جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: (إن خصاء الأدمي

١- انظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية: ٣ / ١٨٥ - ١٨٧.

٢- أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب قول الله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [سورة المائدة: ٣٢] / ٨ / ١٣٧.

٣- أخرجه البخاري في كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب ما ينهى عن إضاعة المال: ٣ / ١٢٠.

٤- أخرجه البغوي في شرح السنة، كتاب الصلاة، باب فضل القعود في المسجد لانتظار الصلاة: ٢ / ٣٧٠، وقال العراقي في جامع الأحاديث إسناده جيد: ١٢ / ٢٧٥.

حرام، صغيراً كان أو كبيراً لورود النهي عنه<sup>(١)</sup>، وقال ابن حجر: هو نهى تحريم بلا خلاف في بني آدم، ثم ذكر الحكمة من منعه وتحريمه بأن (فيه من المفاسد: تعذيب النفس والتشويه مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك، وفيه إبطال معنى الرجولية التي أوجدها الله فيه، وتغيير خلق الله، وكفر النعمة<sup>(٢)</sup>)، ويمتد النهي ليشمل الأعداء والرفيق فقد ذكر ابن حزم الإجماع على تحريم إحصاء الأعداء والممالك فقال: (اتَّفَقُوا أَنْ خِصَاءَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْعَبِيدِ وَغَيْرِهِمْ فِي غَيْرِ الْقِصَاصِ وَالتَّمْثِيلِ بِهِمْ حَرَامٌ<sup>(٣)</sup>)، وشدد الفقهاء النكير على إحصاء بالخصم مثله، أو إحصاء العبد، لأن في ذلك (إهانة وإيذاء، وإهداراً لكرامته وكرامته، وتغييراً لخلق الله كالتمثيل في الحروب والمعارك وتغيير خلق الله<sup>(٤)</sup>).

ومما راعته السنة من احترام حقوق الإنسان ومنعت منه؛ تعذيب السجناء والمخالفين حتى ولو كانوا غير مسلمين، فقد مرَّ حكيم بن حزام بأناس من أهل الذمة، قد أقيموا في الشمس بالشام، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: بقي عليهم شيء من الخراج، فقال: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعَذِّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ<sup>(٥)</sup>).

كل هذه الشواهد من الآثار وأقوال العلماء قليلة بالنظر إلى النصوص الوفيرة التي تدل على كرامة الأدمي حياً وميتاً، وهذا ما يؤكد أن تكريم الإنسان أصل فطري ومقصد شرعي في الإسلام، وقد رويت أحاديث كثيرة تؤكد هذه الحقيقة مثل قوله ﷺ: (لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ مِثْلِهِ مِنَ الْإِنْسَانِ<sup>(٦)</sup>)، وبالجملة

- ١- الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٩ / ١٢٠.
- ٢- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ٩ / ١١٩.
- ٣- ابن حزم الأندلسي، مراتب الإجماع، ص: ١٥٧.
- ٤- بكر أبو زيد، فقه النوازل: ٢ / ٣٢.
- ٥- مسند أحمد من حديث حكيم بن حزام، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم: ٢٤ / ٤٦.
- ٦- أخرجه سعيد بن منصور في سننه، من حديث سلمان الفارسي: ٢ / ٢٧٩؛ وحسن العراقي في المغني عن حمل الأسفار: ١ / ٨٩٩.

فإنه: (لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ<sup>(١)</sup>).

الضابط الثاني: تكريم الإنسان يذاد عنه ويصان بالشرع.

من المعلوم أن كل نفيس وعزيز وجليل القدر، هو بحاجة إلى حفظ ورعاية وحماية وصيانة، بما يتناسب مع نفاسته وجلالة قدره. والإنسان هو مستودع النفائس والكنوز المادية والمعنوية، وهو المستأمن عليها، من خلقته وفطرته وعقله، إلى أمانة تكليفه واستخلافه واستعماره الأرض، فلا يليق به أن يُترك سدى أو يبقى هملاً، فتذهب نفاسته، وتضيع كرامته ووظيفته<sup>(٢)</sup>.

ولذلك جاءت التشريعات النبوية، والاجتهادات الفقهية تبين مدى عناية الشرع الحنيف بتكريم الإنسان، ابتداءً من خلقه وإسجاد الكائنات له، ثم تسخير الكون كله لمصلحته، قال الراغب الأصفهاني: وقد أوجد الله تعالى كل ما في العالم للإنسان، كما نبه بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ [سورة النحل: ٥]، فللإنسان المكرم أن ينتفع بكل ما أوجده الله في هذا الكون المسخر لأجله، ولهذا التكريم والتسخير عد الإنسان هو المقصود من العالم، وما عداه وُجد لأجله. وللإنسان أن ينتفع بكل ما في العالم على وجهه، إما في غذائه أو في دوائه، أو رؤيته والاعتبار به<sup>(٣)</sup>، فإذا التزم ابن آدم بضوابط الوحي، وصان ما أكرمه الله به من قيم الإنسانية التي يتجاوز بها البهيمية؛ فإنه سيبقى عزيزاً مكرماً.

إن منّة التكريم هي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات

١- أخرجه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه محمد: ٦ / ١٦١، وحسنه محقق كشف الخفا: ٢ / ١٩٩.

٢- معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية: ٣ / ١٥٦.

٣- انظر: الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص: ٥١ - ٥٢ باختصار.

الأرضية<sup>(١)</sup>، ومرجع الإنسان وسنده في رعاية هذه المنة وحملها على وجهها؛ هو اتباعه لما وهبه الله من هداية الشرع ونور العقل، فهما نعمتان متكاملتان متلازمتان. والإنسان إنما يكون إنساناً عزيزاً مكرماً إذا استقام متمسكاً بتعاليم دينه، وإلا فإن فيه شبه البهائم والأنعام، وسيبقى ذليلاً بمعاصيه، فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة<sup>(٢)</sup>، لذلك يطلب من الإنسان الاستقامة احتراماً لإنسانيته المكرمة فطرة، وقد يما قال أرباب السلوك: (الاستقامة خير من ألف الكرامة<sup>(٣)</sup>)، ولأن الاستمرار على الاستقامة أمر نبوي لكل المؤمنين حيث قال عليه الصلاة والسلام: (اسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ تَحْصُوا، وَعَلَّمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ<sup>(٤)</sup>)، ووصى بها أحد أصحابه بعد أن طلب منه إجابة تغنيه عن سؤال غيره في شأن الإسلام، فقال: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمُوا<sup>(٥)</sup>)، ولذلك كان الصحابة يتواصلون بها ويوصون خيارهم، فهذا حذيفة بن اليمان يخاطب القراء بقوله: (يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ مِيْنًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا<sup>(٦)</sup>).

صفوة القول: إن الذي خلق الإنسان مكرماً، وأولاه عنايته بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لا بد وأنه يريد له ومنه حفظ هذه الكرامة وعدم تضييعها، ويريد منه وله استشعارها وتمثلها في تصرفاته ومسايعه، والسير في مسالكها والارتقاء في مدارجها، ومن هنا نجد السنة تأمرنا بكل ما يحفظ هذه الكرامة ويجسدها، وتنهانا عن كل ما يهدرها ويهدمها، ومن ذلك قول الرسول الكريم ﷺ: (كُلُوا

- ١- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٥ / ١٦٥.
- ٢- ابن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: ٢ / ١٦٧.
- ٣- الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١ / ٨٤.
- ٤- أخرجه أحمد في مسنده من حديث ثوبان، وقال محققه: حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح: ٣٧ / ٦٠.
- ٥- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإيمان: ١ / ٦٥.
- ٦- أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: ٩ / ٩٣.

وَأَشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: الأصل في الإنسان وتصرفاته الحرة

#### المطلب الأول: الشرع الحكيم متشوف لحرية الإنسان

الحرية في مصطلحات الأقدمين نقيض الرق والاسترقاق، أما اليوم فإن المقصود تجاوز هذا المعنى، وأمست كلمة (الحرية) مصطلحا مغايرا، فباتت ذات بعد سياسي واجتماعي عميق في العصر الحديث، لذا يتوجب علينا أن نستجلي المعنى الذي يناسب ما نحن بصددده؛ وقوفا على المعنى اللغوي من المعاجم، لننظر من بعد للمعنى في الشرع وصولا للوقوف على تشوُّف الشارع للحرية والإنسانية.

جاء في المعجم الوسيط: الحر الخالص من الشوائب يُقال ذهب حر أي لا نحاس فيه، وفرس حر عتيق الأصل، والحر: الخالص من الرقّ والكريم، والجمع: أحرار، وهي حرّة، والجمع: حرائر. والحر من الأشياء أفضلها.. ومن القول أو الفعل: الحسن منه يُقال: هذا من حرّ الكلام، وما هذا منك بحر، والمعنى ليس بحسن ولا جميل.. ويُقال سحابة حرّة أي كثيرة المطر<sup>(٢)</sup>.

وعرفها المرتضى الزبيدي بأنها: كرم الأصل... فلما يقال: أحرار العرب: فالمقصود أشرفهم<sup>(٣)</sup>.

وتطلق كلمة الحرية ويراد بها: الفضل وسمو الكمال، والمنزلة الرفيعة<sup>(٤)</sup>،

- ١- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الأطعمة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي: ١٥٠ / ٤.
- ٢- انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ١ / ١٦٥.
- ٣- انظر: المرتضى الزبيدي، تاج العروس: ١٠ / ٥٨٢، و١٠ / ٥٨٧.
- ٤- انظر: تكملة المعاجم العربية: ٣ / ١٠٦.

فيطلق لفظ الحرِّ على الإنسان كريم الأصل استعارةً، في حين يطلق لفظ العَبْد لِلتَّيْمِ<sup>(١)</sup>.

وجاء في معجم لغة الفقهاء: الحرِّيَّة: الخلوص من الشوائب أو الرِّقِّ أو اللؤم... فالحرية: هي القدرة على التصرف بملء الإرادة والاختيار<sup>(٢)</sup>، والتحرير بمعنى رفع القيد عن الشيء من كل وجه<sup>(٣)</sup>.

ويعطينا الجلال السيوطي معنى جميلاً للحرية فيصفها بأنها: أفعال، وأخلاق محمودة لا تستعبد الماطع، والأغراض الدنية<sup>(٤)</sup>، وقال في موضع آخر من نفس الكتاب: الحرِّيَّةُ ألا يكون تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات<sup>(٥)</sup>.

صفوة القول: (حقيقة الحرية الخلوص<sup>(٦)</sup>)، وبهذا يتوافق هذا المعنى مع الاصطلاح الشرعي، حيث وصفت الحرية بأنها خلوص حكمي يظهر في الأدمي لانقطاع حق الغير عنه...، ويقابل الحرِّ والحرية الرق<sup>(٧)</sup>.

فإذا رجعنا معنى الرق في المعاجم نجد: عبارة عن (عجز) حكمي شرع في الأصل جزاءً عن الكفر ويقابله الحرية<sup>(٨)</sup>. وبهذا فالحرية قدرة وقوة مادام نقيضها عجز، وهي خلوص وشرف، والحرية قدرة على ممارسة الحياة دون قيد إلا ما يضر بالآخرين، وهي تشريف للإنسان وتكريم له، ولذلك قال الفقهاء: (الأصل

١- انظر: أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي، المغرب في ترتيب المعرب، ص: ١١٠.

٢- محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنبيبي، معجم لغة الفقهاء، ص: ١٧٩.

٣- عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٩٢.

٤- جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: ٢٠٨.

٥- جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: ٢٢٠.

٦- نجم الدين النسفي، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، ص: ٦٣.

٧- التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١ / ٦٤١.

٨- محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، ص: ١٠٥.

في الناس الحرية؛ لأنهم أولاد آدم وحواء عليهما السلام، وقد كانا حرين<sup>(١)</sup>، وهي أيضا تمكين الإنسان من العيش والعمل والتحدث وإبداء الرأي بلا خوف ولا إكراه.

ونجد في السنة المطهرة أحاديث كثيرة توضح معنى أن يعيش الإنسان حرا آمنا لا يخيفه شيء، فقد سأل النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب لما عاد من هجرته عن أعجب شيء رآه بأرض الحبشة. قال: مرّت امرأة على رأسها مكتل فيه طعام، فمرّ بها رجل على فرس فأصابها فرمى به فجعلت أنظر إليها وهي تعيده في مكتلها وهي تقول: ويل لك يوم يضع الملك كرسية فيأخذ للمظلوم من الظالم فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذُه فقال: (كيف تقدّس أمة لا تأخذ لضعيفها من شديدتها حقّه، وهو غير متّنع؟)<sup>(٢)</sup>، ومعنى كلام النبي ﷺ: من غير أن يصيبه أذى يقلقله ويزعجه<sup>(٣)</sup>.

وربما يستغرب الإنسان ويتملكه العجب إذا علم أن النبي ﷺ طبق هذا المبدأ على نفسه: فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مشهدا شهده في مجلسه ﷺ، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه دينًا كان عليه، فاشتدّ عليه، حتى قال له: أخرج عليك إلا قضيتني. فانتهره أصحابه وقالوا: ويحك، تدري من تكلم؟ قال: إني أطلب حقي. فقال النبي ﷺ: (هلا مع صاحب الحق كُنتم؟) ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها: (إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك). فقالت: نعم، بأبي أنت يا رسول الله. قال: فأقرضته، فنقضى الأعرابي وأطعمه، فقال [أي الأعرابي]: أوفيت، أوفى الله لك. فقال ﷺ: (أولئك خيار

- ١- أبو العباس شهاب الدين الحموي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر: ٢ / ٣٤١.
- ٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الغصب، باب نصر المظلوم والأخذ على يد الظالم عند الإمكان: ٦ / ١٥٧، وقال ابن حجر في المطالب العالية: إسناده حسن: ١٣ / ٧٠٠.
- ومعنى غير متّنع: يقال تتنع الرجل: إذا تبلّد في كلامه، وكل من أكره في شيء حتى يبلق فقد تتنع. انظر: ابن فارس، مجمل اللغة: ١ / ١٤٤، و١ / ٣٣٨.
- ٣- ابن الأثير الجرجزي، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ١٩٠.



النَّاسِ، إِنَّهُ لَا قُدْسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ<sup>(١)</sup>.

وفي رواية الحاكم عن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن النبي ﷺ قَالَ بَعْدَ أَنْ أَدَّى لِلرَّجُلِ دَيْنَهُ وَوَفَّاهُ حَقَّهُ: (كَذَلِكَ يَفْعَلُ عَبْدُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَرَحَّمُ عَلَى أُمَّةٍ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ مِنْهُمْ حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ<sup>(٢)</sup>)، هذا هو العدل قرين الحرية مارسه خير البرية، وعلم أصحابه كيف يتعاملون مع أصحاب الحقوق.

وما فعله النبي ﷺ على نفسه وعلمه أصحابه؛ فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ولاته في مختلف الأمصار، فمن ذلك: ما رواه يزيد بن أبي منصور قال: بلغ عمر بن الخطاب أن عامله على البحرين أتى برجل يقال له أدرياس قامت عليه بيعة بمكاتبة عدو المسلمين وأنه قد هم أن يلحق بهم فضرب عنقه وهو يقول: يا عمراه! يا عمراه! فكتب عمر إلى عامله - واسمه الجارود - ذلك فأمره بالقدوم عليه، فقدم فجلس له عمر وبيده حرب، فدخل على عمر فعلا عمر لحيته بالحربة وهو يقول: (أدرياس لبيك! أدرياس لبيك! وجعل الجارود يقول: يا أمير المؤمنين! إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهم أن يلحق بهم، فقال عمر: قتلته على همه وأينا لم يهمه! لولا أن تكون سنة لقتلتك به<sup>(٣)</sup>).

وحتى يضبط تصرفات الولاة في الأرواح المعصومة؛ استن عمر رضي الله عنه تشريعاً ما زال سارياً تعمل به كثير الدول الآن، وهو عدم تنفيذ حكم الإعدام إلا بعد موافقة أعلى سلطة في الدولة عليه، فقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد (أَنْ لَا تُقْتَلَ نَفْسٌ دُونِي<sup>(٤)</sup>).

١- أخرجه ابن ماجه في أبواب الصدقات، باب لصاحب الحق سلطان، قال محققه: إسناده حسن: ٤٩٦/٣-٤٩٧.

٢- أخرجه ابن ماجه في أبواب الصدقات، باب الحبس في الدين والملازمة، وصححه المحقق: ٤٩٧/٢.

٣- المتقي الهندي، كنز العمال: ٧٦/١٥.

٤- ابن أبي شيبة، المصنف: ٤٥٣/٥.

يحضرني بذكر هذا المشهد حديث النبي ﷺ حين قال فيما رواه عنه أبو أمامة الباهلي: (إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرَّيْبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ<sup>(١)</sup>)، وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كَدَّتْ أَنْ تُفْسِدَهُمْ)، فقال أبو الدرداء: كلمةٌ سمعها معاويةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نفعه اللهُ تعالى بها<sup>(٢)</sup>، ولا يخفى ما هذه النصوص من غاية المحافظة على حرية الناس وحقوقهم في العيش الكريم بلا ريبة ولا خوف.

### المطلب الثاني: ضوابط حرية الإنسان في السنة النبوية

الضابط الأول: حرية النقد البناء متاحة مباحة في السنة على أن يلتزم الناقد بأدب النصيحة.

إن حرية الفكر تستتبع حرية الرأي والنقد والقول، وذلك واضح من مبدأ الإسلام في تكوين الشخصية الذاتية، والحض على صراحة القول، والأمر بالمعروف، وعدم إقرار المنكر، والجهر بالحق دون خشية من أحد أو مخافة لومة لائم: قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمُكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ<sup>(٣)</sup>).

وبهذا يعلم أن إبداء الرأي والنقد البناء، إنما هو واجب ديني في ضوء مفاهيم الإسلام يؤكدده قوله ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ<sup>(٤)</sup>)، وسيرة الخلفاء الراشدين في احترام حق

- ١- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس: ٧ / ٢٥١، وقال محققه حديث حسن.
- ٢- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس: ٧ / ٢٥٠، وقال محققه إسناده صحيح.
- ٣- أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب كيف يبائع الإمام الناس: ٩ / ٧٧، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية: ٣ / ١٤٧٠.
- ٤- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة: ١ / ٧٤.

النقد شاهد عملي على إدراكهم لقيمته وأهميته في الشأن العام، مصداق ذلك ما أخبر به الحسن البصري قال: كان بين عمر وبين رجل كلام في شيء، فقال له الرجل: اتق الله يا أمير المؤمنين. فقال له رجل من القوم: تقول لأمير المؤمنين: اتق الله؟! قال: دعه فليقلها لي، نعم ما قال. ثم قال عمر: (لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم<sup>(١)</sup>).

وقد أتاح الإسلام حرية النقد البناء لأن التناصح بين المؤمنين واجب، وقد نفى النبي ﷺ عن جماعة المسلمين من لم يهتم بما يصلح مجتمعه نصحا وإرشادا، فقال: (مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَا يُصْبِحُ وَيُمَسِّي نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ<sup>(٢)</sup>)، وقد تعلمنا من سنة الخلفاء الراشدين أنه: (إن حدث خطأ في تطبيق أحكام الدين، أو خلل في خط السياسة العامة، كان لأي مسلم حق توجيه النصح والتنبيه على موضع الخلل للحاكم وورده إلى الصواب<sup>(٣)</sup>)، مثال ذلك ما حصل من المرأة التي عارضت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد معالجة غلاء المهور، فقد ذكر أن عمر رضي الله عنه صعد المنبر وقال: أَيُّهَا النَّاسُ مَا إِكْثَرُكُمْ فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ؟ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَإِنَّمَا الصَّدَقَاتُ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَرْبَعُ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَمَا دُونَ ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَ الْإِكْثَارُ فِي ذَلِكَ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مَكْرَمَةً لَمْ تَسْبِقُوهُمْ فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا زَادَ رَجُلٌ صَدَاقَ عَلِيٍّ أَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ.

قال: ثُمَّ نَزَلَ فَأَعْتَرَضَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْ يَزِيدُوا النِّسَاءَ فِي صَدَقَاتِهِنَّ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ فَقَالَ:

١- عبد الرحمن الصالحى، الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص: ٢٧٤.

٢- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم: ١/ ٢١٦.

٣- انظر: أ. د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته: ٨/ ٦٤١٤.

أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مَثَرَةٌ مُسْمِنَةٌ﴾ [سورة النساء: ٢٠]، فَقَالَ: اللَّهُمَّ غُفْرَانَكَ، كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَرَكَبَ الْمُنْبَرَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَزِيدُوا النِّسَاءَ فِي صَدَقَاتِهِمْ عَلَى أَرْبَعِمِائَةٍ دَرَاهِمٍ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَ مِنْ مَالِهِ مَا أَحَبَّ<sup>(١)</sup>.

الشاهد من الخبر أن المرأة مارست حقها في النصيح وإبداء الرأي بعفو خاطر غير متعنتة، وتقبل أمير المؤمنين رضي الله عنه قولها ولم ينكر عليها، كيف لا؟ وقد تقرر عند الفقهاء أنه لا تثريب على المطالبة بالحقوق إذا صدرت من مدعيها ولا ينكر عليه، ولا يوبخ بسبب ذلك<sup>(٢)</sup>.

الضابط الثاني: الحريات لا تعني الفوضى والخروج عن حدود الأدب.

ربما يظن بعض الناس أن مبدأ الحريات العامة هو أن يترك كل إنسان يفعل أو يقول ما يشاء، وليس لأحد أن يسأله أو يوجهه مناصحا، ولا شك أن هذا الفهم يخالف المفهوم الشائع من أن مفهوم الحرية عند عقلاء الأمم هو الوقوف عند الحدود والمطالبة بالحقوق، وعليه: فمن لم يقف عند الحدود فليس له أن يطالب بالحقوق، وبالتالي فإنَّ الوقوف عند الحدود يقتضي ألا يخرج -الإنسان- عما أُذِنَ فيه إلى ما نُهي عنه<sup>(٣)</sup>.

لذلك ينبغي أن يعلم أن مفهوم الحريات ليس المقصود به مجرد الحريات المطلوبة التي يمارسها البعض متناسيا ما يجب عليه من حقوق تجاه مجتمعه، وولاء لوطنه، لكننا نرى بعض المتشبهين بالمفهوم المعاصر للحريات يقولون عن بعض

١- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي: ٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥.

٢- انظر: محمد الأمين بن عبد الله الهرري، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٥ / ٣٨٠، وزين الدين العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب: ٧ / ٩٧.

٣- انظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم: ٢ / ٨٣٣.

مخالفاتهم للشرع ومورثات مجتمعاتهم: (هذه حريات شخصية ليس لأحد أن يتكلم فيها!!).

صفوة القول: لقد أتاح الشرع الحنيف الحريات وهو متشوف لتمكينها في الناس، مع الحفاظ على القيم، وإشاعة الأمر بالمعروف والنهي المنكر لضمان استقامة المجتمع وتماسكه، وعدم شيوع الفوضى، فالسنة مع ما قررته من حريات؛ فإنها تعطي الأخلاق الأولية القصوى، مقصدها أن يكون المجتمع في غاية الحفاظ والصون، ويتحقق ذلك إن شاء الله متى تأدب المجتمع بسنة النبي الكريم ﷺ.

الضابط الثالث: إطلاق الحريات لا يعني التعدي على الثوابت.

ذكرت فيما سبق أن مجتمع المسلمين له خصوصيته التي بيّنها الإسلام، مما يلزم منه وجوب المحافظة عليها حرصاً على نقاء الدين وسلامة المسلمين، ويتبع ذلك المحافظة على الوحدة الفكرية للمسلمين، ولكننا نجد من يتحدث عن حرية الفكر والاعتقاد، والكلام في مجمله حق، ولكن إذا تعدى الأمر إلى خلط الثوابت الفكرية للإسلام بمصادر فكرية أخرى؛ فإن الأمر سيتعدى حرية الفكر إلى خطورة حرية الكفر، أو انتشار الشبهات المضرة، ولنا أن نستروح بما فعله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع عن شاب يهتم بمتشابه القرآن يثير به الجدل في المجالس، وتماخى الخبر أن رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ بن عسل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ فقال عمر: وأنا عبد الله عمر، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجّه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجِدُ في رأسي<sup>(١)</sup>.

١- الأجرى في كتاب الشريعة، باب تحذير النبي ﷺ أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن وعقوبة الإمام لمن يجادل فيه: ١/ ٤٨٣، والأثر صحيح، انظر: أبو عبد الله آل زهوي، سلسلة الآثار الصحيحة: ٢/ ٧٤.

فقد وجد عمر رضي الله عنه أن أفضل سبيل لكف الشبهات ودرئها حتى لا تستفحل؛ هو حسم مادتها من أصلها، ولا يجدي في مثل هذا الموقف التذرع بحرية الفكر التي تشتت الأمة وتضعف عزمها، فالرجل: اسْتَحَقَّ الضَّرْبَ، وَالتَّنْكِيلَ بِهِ وَهَجْرَهُ لَيْسَ لِأَنَّهُ سَأَلَ، وَلَكِنْ لَمَّا تَأَدَّى إِلَى عُمَرَ مَا كَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ؛ عَلِمَ أَنَّهُ مَفْتُونٌ، قَدْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، وَعَلِمَ عُمَرُ أَنَّ اشْتِغَالَهُ بِطَلَبِ عِلْمِ الْوَأَجِبَاتِ مِنْ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ أَوْلَى بِهِ، وَتَطَلَّبُ عِلْمِ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْلَى بِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مُقْبِلٌ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُهُ، سَأَلَ عُمَرُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُكِنَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُنْكَلَ بِهِ، وَحَتَّى: يُحَذِّرُ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ رَاعٍ يَجِبُ عَلَيْهِ تَفْقُدُ رِعِيَّتِهِ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ، فَأَمَكَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

كما ينبغي أن يعلم أن إشاعة الحريات لا تعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمسلمون مجتمع له خصائصه وقيمه ومميزاته، وهم خير أمة أخرجت للناس، ومناطق الخيرية في الإيمان بالله وإشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تكون أسباب الاستقامة فاشية في المجتمع، مصداق هذا الكلام ما ذكره أبو بكر الصديق رضي الله عنه في إحدى خطبه حين قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥]، قَالَ: وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ<sup>(٢)</sup>).

يؤكد هذا المعنى منه ما حكاه عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عَمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ<sup>(٣)</sup>)، وقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى

١- الأجرى في كتاب الشريعة، باب تحذير النبي ﷺ أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن وعقوبة الإمام لمن يجادل فيه: ٤٨٥ / ١.

٢- أخرجه أحمد، من حديث أبي بكر الصديق، وقال محققه: صحيح على شرط الشيخين: ٢٠٨ / ١.

٣- أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الكلام، باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة: ١٤٤٣ / ٥.

من الناس رَعَة سيئة<sup>(١)</sup>، فقرأ هذه الآية: ﴿كُتِّمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، ثم قال: (يا أيها الناس، من سرّه أن يكون من تِلْكُمْ الأُمَّةِ فليؤدِّ شرطَ الله فيها<sup>(٢)</sup>).

وهناك سلوك آخر يصفه ممارسوه بأنه ضرب من الحريات، وهو حرية التجمع وحرية تكوين الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، ولكن ربما يستخدمه بعض المغرضين لتمرير [أجندة] خاصة، وليسمح لنا المقام بذكر موقف شبيه لهذا السلوك المعاصر حدث في آخر سنة عاشها النبي ﷺ في الدنيا، وقد جاءت ردة الفعل تجاهه تؤكد أنه لا يمكن التسامح مع ممارسات تفرّق المجتمع بادعاء حرية تكوين منظمات مجتمع مدني أو مؤسسات علمية أو حتى دور عبادة، ثم عبر تلك المؤسسات يتم الاتصال بجهات أجنبية لها أجندتها المضرة بالبلاد والعباد، شاهدنا هنا هو (مسجد الضرار).

ولننظر إلى ما فعله النبي ﷺ بوحي من الله تعالى لما كاتب أبو عامر الراهب<sup>(٣)</sup> قومه من الأنصار وهو بالشام، وطلب منهم بناء مسجد يجتمعون فيه دون النبي ﷺ وأصحابه، قال ابن كثير: (وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعدهم ويمينهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كل حين<sup>(٤)</sup>)، وكان مما وعدهم ومنّاهم به قوله لهم: (استعدّوا بما استطعتم من قوّة وسلاح، وابنوا لي مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فأتي بجند من الروم فأخرج محمدا

١- رعة سيئة: الرعة أصلها من الورع، مثل العدة من الوعد. والرعة: الهدى وسوء الهيئة أو حسن الهيئة، أي هي بمعنى: الشان والأمر والأدب. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٥ / ٥.

٢- ابن جرير الطبري، جامع البيان: ١٠٢ / ٧، والسيوطي، جمع الجوامع: ٤٠٠ / ١٦.

٣- أبو عامر الراهب: هو عبد الله بن عمرو بن صيفي، كان من أهل يثرب من الأوس وكان قد تهرب وانتظر خروج رسول الله ﷺ، فلما رآه حسده وجد نبوته، وهجر المدينة إلى مكة، فلما فتحت مكة ثم الطائف هرب إلى قيصر، فمات هناك في السنة العاشرة من الهجرة. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٣ / ٤.

٤- ابن كثير، البداية والنهاية: ٢١ / ٥.

وأصحابه، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء<sup>(١)</sup>، فبنوا المسجد وكانوا على يقين (أنه سيظهر على محمد ﷺ)<sup>(٢)</sup>، وكانوا يرون أن أبا عامر إذا جاء لا يستطيع أن يصلى في مسجد بني عمرو بن عوف، وقد فضحت فلتات ألسنتهم خبيثتهم حيث كانوا يقولون: (إنما أصحاب محمد يلحظوننا بأبصارهم)<sup>(٣)</sup>.

كان المبنى في الصورة الظاهرة مسجداً، وباطنه دار حرب ومقرا لمن وفد من عند أبي عامر الراهب، ومجمعا لمن هو على طريقتهم من المنافقين<sup>(٤)</sup>، فأخبر الله عز وجل رسوله ﷺ فأرسل من يقوم بهدمه وإحراقه<sup>(٥)</sup>.

يحكي لنا هذا المشهد أمرا ربانيا وسياسة نبوية لإغلاق باب الفتن، وربما تشبه تلك الفعلة تصرفات بعض من يتصلون بجهات أجنبية من المعاصرين، استقواءً بأعداء الإسلام، واتخاذ عيون في الداخل، والتستر بمؤسسات ظاهرها البر وحققتها غير ذلك، ولهذا قال المولى جل ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، ثم قال: ﴿وَلِيَحْلِفْنَ﴾ أي الذين بنوه ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾ أي إنما أردنا ببنيانه الخير، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ إِيْمَهُمْ لِكَذِبُوتِ﴾، ثم قال الله تعالى لرسوله: ﴿لَأَنْقَمَ فِيهِ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧-١٠٨]، فنهاه عن القيام فيه، لئلا يقرر أمره<sup>(٦)</sup>.

فإذا كان الوحي يأتي للنبي ﷺ يخبره بما تضمرة نفوس أعدائه، فإنه يتحتم على أتباعه توخي الحذر والحيلة، حفاظا على استقرار المجتمع، وحرصا على بيضة الدين.

- ١- حسين بن محمد الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: ١٣٠ / ٢.
- ٢- أبو محمد عبد القادر بن حبيب الله، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، ص: ٣١٨.
- ٣- تقي الدين المقرئ، إمتاع الأسماع: ٧٦ / ٢ - ٧٧.
- ٤- ابن كثير، البداية والنهاية: ٢١ - ٢٢.
- ٥- المقرئ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٣ / ٣٧٣.
- ٦- المرجع السابق: ٥ / ٢٧.



## الخاتمة

الحمد لله على التمام، فقد وفق وأعان حتى اكتمل البحث، وأحسب أنني أول مستفيد من جمع مادته من أمهات الكتب، بمذاكرة المعلومات القديمة، فأنعشتها وزدت عليها فله الحمد والمنة.

وأحب أن أؤكد في الختام أن إنسانية الإنسان وإكرامه وتفضيله إنما يكون بتابع التشريعات الهادية؛ لأن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، ويقننا أن استمرار صلاحها يكون بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، فالصلاح والاستقامة، مطلوبان من الإنسان ما دام يعيش على ظهر البسيطة، يعبد ربه ويعمل لعمران الأرض، وبهذا تصلح الحياة الدنيا ويسعد الصالحون في الآخرة. وقد خرجت بعد اكتمال البحث بنتائج وتوصيات عدة أوجزها فيما يلي:

### أهم نتائج البحث:

أولاً: إن أكبر وأسمى مقاصد الشرع الحنيف التي تؤكد عنايته بإنسانية الإنسان هي تكريم ابن آدم، وتفضيله على سائر المخلوقات، وقد حفلت السنة بالكثير مما يؤكد هذه الحقيقة.

ثانياً: من تكريم الإنسان لنفسه أن يرتقي في مراقبي العبودية ويسمو عن البهيمية، ويقدر تحقيقه لهذا السمو تتحقق حريته وينعم بإنسانيته.

ثالثاً: ليس في قصد الشارع الحكيم إلى ضبط حياة العباد بما يصلحهم ويرقي حياتهم ويوصلهم إلى بر الأمان في دنياهم وآخرتهم؛ تقييداً لحرياتهم، وإنما هو تحرير لهم من رق الشهوات والشبهات، وتوظيف لطاقتهم الفكرية والبدنية لما يصلحهم في حياتهم الدنيا والآخرة.

رابعاً: أقرت السنة الحريات العامة، ومارسها الصحابة وأكدوا عليها باعتبارها أصل فطري ولد عليه بنو آدم، وهي من صميم مظاهر تكريم الإنسانية.

أهم التوصيات:

أولاً: أقترح على القائمين على أمر الأمانة العامة لندوة الحديث الشريف تخصيص واحدة من الندوات لتأصيل مفهوم الحريات في السنة، مقارنة بالمفهوم السائد في العصر الحديث، وهو إطلاق الحريات المطلبة دون مراعاة الحدود.

ثانياً: أوصي إخوتي الباحثين في مجالي الماجستير والدكتوراه بالاعتناء بدراسة مظاهر تكريم الإنسان في السنة النبوية المطهرة، وضروب ممارستها عملياً في الفقه والسياسة الشرعية، وتأكيد مناسبتها لمعالجة قضايانا المعاصرة.

وبالله التوفيق

## فهرس المصادر والمراجع

- الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج.
- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- إغائة اللهفان من مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣٢ هـ.
- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- البناء شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، دار صادر، بيروت.
- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ م.
- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى: ١٩٧٩ م.
- التنوير شرح الجامع الصغير، أبو إبراهيم عز الدين محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي المناوي، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه [صحيح البخاري]، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- الجمع والفرق أو كتاب الفروق، أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: عبد الرحمن بن سلامة بن عبد الله المزيني، أصل هذا الكتاب أطروحتان: الأولى ماجستير والثانية دكتوراه لنفس الباحث، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيمن المستعصي، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ذم الهوى، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بدون تاريخ.
- الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، أبو محمد عبد القادر بن حبيب الله بن كورو السندي، أصل الكتاب: أطروحة ماجستير للمؤلف، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

- الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السُّجِسْتَانِي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- السنن الكبرى [سنن النسائي]، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي، حققه وقدم له: مجموعة من علماء الأزهر الشريف، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأَجْرِيُّ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.
- طلبه الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١هـ.
- علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الشهير ببدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد مكي الحموي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الفائق في غريب الحديث، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الفقه الإسلامي وأدلته، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة الرابعة.
- الفقه الميسر، الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار وآخرون، مدار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- فقه النوازل، بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الشهير بالخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبه، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
- الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي، تحقيق: د. مصطفى عثمان صميذة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- الكنى والأسماء، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن الدولابي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهَرَرِي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البروفيسور هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج ودار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- المجموع شرح المذهب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.
- المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، بدون تاريخ.
- مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصدقاء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشرة: ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد، الملا القاري، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ [صحيح مسلم]، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنبي، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، طبعت على نفقة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- المغرب في ترتيب المغرب، أبو الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي الخوارزمي، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.



- الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ.
- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد ابن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

# الحرية الإنسانية ودور السنة النبوية في السمو بها

**د. عوض إبراهيم منصور بابكر**  
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية،  
كلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.02>





## Abstract

In these days, the slogans that call for freedom have abounded, and in the claim of those calling for them that Islam stands as obstacle in its application or compliance with it, so the goal of this research is to highlight the interest of the Sunnah and its maximization of generous morals, including freedom, explaining its concept and controls, and the number of the most prominent guidelines that the Prophet's Sunnah called for its achievement.

The problem of research is the revelation of the following questions. What is the concept of freedom, in the Prophet's Sunnah, and what are the manifestations of glorification of the Prophet's Sunnah of these values and what guidelines that the Prophet's Sunnah called for their achievement. As for the method followed, it is the inductive approach and the deductive approach, by collecting hadiths, and sayings of scholars that suit the topic of research and deriving its indications in a way that shows the interest of the Prophet's Sunnah of the value of freedom. This will be done according to the research plan, which consists of an introduction, three sections, and a conclusion.

**Keywords:** Freedom, Humanity, Emancipation, Guidance, the Sunnah of the Prophet

## ملخص البحث

كثرت في هذه الأيام الشعارات التي تنادي بالحرية وقد زعم المنادون بها أن الإسلام يقف حَجْرَ عَثْرَةٍ في تطبيقها أو الامتثال بها لذلك هدف هذا البحث لإبراز عناية السنة وتعظيمها للقيم الإنسانية والأخلاق الكريمة ومنها: الحرية وبيان مفهومها وضوابطها وتعداد أبرز الإرشادات التي دعت إليها السنة النبوية لتحقيقها.

وتتمثل إشكالية البحث في تجلية التساؤلات الآتية: ما مفهوم الحرية في السنة النبوية، وما مظاهر تعظيم السنة النبوية لهذه القيمة وما الإرشادات التي دعت إليها السنة النبوية لتحقيقها.

أما المنهج المتبع فهو المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، وذلك بجمع الأحاديث والآثار وأقوال العلماء التي تناسب موضوع البحث واستنباط دلالاتها بما يجلي عناية السنة النبوية بقيمة الحرية.

وسيتم ذلك وفق خطة البحث المكونة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

وصلى الله وسلم على نبي الهدى وعلى آله وأصحابه.

الكلمات المفتاحية: الحرية، الإنسانية، العتق، إرشادات، السنة النبوية



## بسم الله الرحمن الرحيم

كانت الأم قبل مبعث النبي ﷺ غارقةً في بحار العبودية بجميع أنواعها، إلا بقايا من رحمهم الله، ممن لم تسلب حرمتهم الطواغيت والأهواء والأخبار والرهبان والكهان وعلماء السوء والحكام والدرهم والدينار، والأغلال والآصار، فكانت بعثة النبي ﷺ لتحرير الإنسانية من جميع هذه العبوديات، وإعادتهم إلى خالقهم رب البريات الذي تجتمع في عبوديته الطاعة بالمحبة، والانكسار بالكبرياء، كما أوجز ذلك ربِّي بنُ عامر رضي الله عنه مجيباً لرستم - ملك الفرس - عندما سأله: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>.

بهذه الكلمات القلائل عرف ربِّي الهدف من بعثة النبي ﷺ وأن قوامها جلب الحرية للإنسانية ونبد العبودية إلا لله تعالى، موافقاً في ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

قال ابن عاشور رحمه الله: «على أنك إذا تأملت في حال الأمم كلهم قبل الإسلام لا تجد شرائعهم وقوانينهم وأحوالهم خالية من إصر عليهم، مثل تحريم بعض الطيبات في الجاهلية، ومثل تكاليف شاقة عند النصارى والمجوس لا تتلاقى مع السماحة الفطرية، وكذلك لا تجدها خالية من رهق الجبابة، وإذلال الرؤساء، وشدة الأقوياء على الضعفاء، وما كان يحدث بينهم من التقاتل والغارات، والتكابل في الدماء، وأكلهم أموالهم بالباطل، فأرسل الله محمداً ﷺ بدين من

١- أخرج ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٤٠١)، وانظر: (ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٢٢/٩)، (د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ١/ ٣٤).

شأنه أَنْ يُخَلِّصَ الْبَشَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ»<sup>(١)</sup>.

وقد كثرت في هذه الأيام الشعارات التي تنادي بالحرية وفي زعم المنادين بها أن الإسلام يقف حَجَرَ عَثْرَةٍ في تطبيقها أو الامتثال بها وجاهلوا أنها جزء من مكارم الأخلاق والفضائل التي جاءت الشريعة للدعوة إليها واعتنت السنة بتكميلها وتهذيبها ليس للبشر فحسب بل حتى للحيوانات، فقال ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

وسيتم في هذا البحث بيان هذه القيمة، وقد وسمته بـ «الحرية الإنسانية ودور السنة النبوية في السموبها».

### أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

- ١- الذب عن ادعاء القصور في الشريعة الإسلامية وأنها لا تؤمن بالحرية.
- ٢- إبراز عناية السنة النبوية بالحرية قبل أن تقرها المنظمات الدولية.
- ٣- بيان الفرق بين مفهوم وضوابط الحرية في تعاليم السنة النبوية وعند المناوئين لها.

### مشكلة البحث:

إن الناس بفطرتهم يسعون إلى الحرية، ولكن بعضهم ربما اجتالته الشياطين فطمست فطرتهم وأصبحوا لا يفرقون بين ما هو حسن فيعمل به، وما هو قبيح فينكر ويترك، فكسوا هذه القيمة الإنسانية بقيود وأصار أحالت معانيها إلى أغلال

١- (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩/ ١٣٧).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (٤/ ١٣٠)، رقم ٣٣١٨، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ووبال، وبعضهم الآخر أطلق لنفسه العنان، ولما كانت السنة النبوية هي الهداية إلى الرشده والمنجية من الضلال، جاء هذا البحث مجيباً عن هذه التساؤلات:

- ١- ما مفهوم الحرية في السنة النبوية؟
- ٢- ما مظاهر تعظيم السنة النبوية لقيمة الحرية؟
- ٣- ما الإجراءات التي أمرت بها السنة النبوية للقضاء على ما ينافي الحرية؟
- ٤- ما الإرشادات التي دعت إليها السنة النبوية لتحقيق الحرية والسمو بها؟

#### أهداف البحث:

- ١- إبراز عناية السنة وتعظيمها للأخلاق الكريمة ومنها: الحرية.
- ٢- بيان مفهوم وضوابط الحرية في تعاليم السنة النبوية.
- ٣- تعداد أبرز الإرشادات التي دعت إليها السنة النبوية لتحقيق الحرية.

#### منهج البحث:

سيجمع الباحث بين المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، وذلك بجمع الأحاديث والآثار وأقوال العلماء التي تناسب موضوع البحث واستنباط دلالاتها بما يجلي عناية السنة النبوية بقيمة الحرية.

#### الدراسات السابقة:

وقفت على دراسات عدة تتحدث عن الحرية، لكن أقربها لموضوع هذا البحث:

- ١- الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها. أ.د. محمد



الزحيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٧، العدد الأول، ٢٠١١ م.

٢- ضمانات الحرية بين واقعية الإسلام وفلسفة الديمقراطية، د. منيب محمد ربيع، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.

وهذه الدراسات تناولت الموضوع من ناحية مجملته و بعضها من ناحية فلسفية وقد استفدت منها وزدت عليها ما ذكرته السنة النبوية في هذا الباب.

#### خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على: أهمية البحث ومشكلته وأهدافه ومنهجه والدراسات السابقة وخطته.

المبحث الأول: مفهوم الحرية.

المبحث الثاني: تعظيم السنة لقيمة الحرية الإنسانية.

المبحث الثالث: محاربة السنة النبوية للعبودية والتحذير مما يسلب الحرية.

المبحث الرابع: توجيهات وإرشادات نبوية في المحافظة والسمو بقيمة الحرية:

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

## المبحث الأول: مفهوم الحرية

أولاً: تعريف الحرية في اللغة والاصطلاح:

الحرية لغة:

أصل المادة (حرر)، وقد وضع لأصلين: فالأول ما خالف العبودية وبرئ من العيب والنقص، والثاني: خلاف البرد، يقال هذا يوم ذو حر، ويوم حاراً.

أقول: والذي يعيننا هنا هو الأول: يُقال حرَّيحر - من باب تعب، بفتح الحاء في المستقبل - إذا صار حرّاً. والاسم الحرّية، والحرورة والحرورية والحرورية - بفتح الحاء وضمها - والحرارة والحرار.

والحر من كل شيء: اعتقه، وحرّ الفاكهة: خيارها، وحر كل أرض: وسطها وأطبها، يقال طين حر: إذا خلص من الاختلاط بغيره، وباتت فلانة بليلة حرة، إذا لم يصل إليها بعلها في أول ليلة.

والحرية من الناس: أختيارهم وأفاضلهم، ويقال: هو من حرّية قومه أي من خالصهم، والحر من الرجال خلاف العبد مأخوذ من ذلك لأنه خلص من الرق وجمعه أحرار ورجل حرّين الحرّية، والحرّة: الكريمة من النساء، وجمعهأ حرائر على غير قياس والحر: الفعل الحسن، قال طرفة:

لَا يَكُنْ حُبُّكَ دَاءً قَاتِلاً لَيْسَ هَذَا مِنْكَ مَاوَى بَحْرُ

أي بفعل حسن. ويقال حرّرتّه تحريراً إذا اعتقته، وتحرير الكتاب وغيره تقويمه: وتخليصه، بإقامة حرّوفه، وتحسينه بإصلاح سقطة.

وتحرير الرقبة: إعتاق الكلّ وإنما خصت الرقبة وهي عضو خاص من البدن لأن ملك السيد عبده كالحبل في الرقبة وكالغل هو محتبس بذلك كما تحتبس

الدَّابَّةُ بِالْحَبْلِ فِي عُنُقِهَا فَإِذَا أَعْتَقَ فَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ مِنْ ذَلِكَ<sup>(١)</sup> ..

من خلال معاني الحرية في اللغة نجد أن وصف الحرية يجمع بين:

- ١- الانعتاق من رق العبودية.
- ٢- البراءة من العيب والنقص.
- ٣- الحُسن والخيار من كل شيء.

الحرية في الاصطلاح:

- عرفها القاضي عبد رب النبي بأنها: «الخُرُوجُ عَنِ الرَّقِّ»<sup>(٢)</sup>.
- وعرفها الجرجاني بقوله: «الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار»<sup>(٣)</sup>.
- وعرفها السيوطي بأنها: أفعال، وأخلاق محموددة لا تستعبدتها المطامع، والأغراض الدنية»، وقال أيضاً: الحرّية: ألا يكون تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات»<sup>(٤)</sup>.
- وعرفها شهاب الدين الخفاجي، فقال: «التحرير من الحرّية وهي ضربان؛ أن لا يجري عليه حكم السبي، وأن لا تمتلكه الأخلاق الرديئة والرذائل الدنيوية»<sup>(٥)</sup>.

١- انظر: (الهروي، تهذيب اللغة، ٣/ ٢٧٥)، (الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤/ ١٥٢٠). (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٦)، (ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٢/ ٥١٩)، (النسفي، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، ص: ٦٣)، (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٦٣)، (ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ١٨٢)، (الزبيدي، تاج العروس، ١٠/ ٥٨٣).

٢- (القاضي عبد رب النبي، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٢/ ٢٤)

٣- (الجرجاني، التعريفات، ص: ٨٦).

٤- (السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: ٢٠٨، ص: ٢٢٠).

٥- (شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي، ٣/ ٢١).

- وعرفها الفقهاء: «القدرة على التصرف بملء الإرادة والاختيار»<sup>(١)</sup>.

من خلال تعريف الحرية في الاصطلاح نجد أنها تزيد على التعريف اللغوي: القدرة على التصرف بملء الإرادة والاختيار.

فإذا جمعنا بين هذه المعاني نجد أن وصف الحرية ينطبق على كل من انعتق عن رق العبودية وملك التصرف بملء الإرادة والاختيار واتصف بحميد الأخلاق وأحسن الأفعال.

وما تضيفه السنة لهذه المعاني هو أن يكون الانعتاق من كل رق وعبودية إلا عبودية الله تعالى، وأن يكون معيار تصرف العبد وإرادته وفق تعاليم الكتاب والسنة، لأن العبودية متأصلة في الإنسان، فهو إما أن يكون عبداً لله - وهذه هي الغاية العظمى - وإما أن يكون عبداً لمخلوق مثله - رق المخلوقات، وسُلطان المكونات - وإما أن يكون عبداً للهوى - المطامع، والأغراض الدنية - وأن يكون صاحبها كامل القدرة في التصرف بإرادته واختياره.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «الحرية الصحيحة التحرر من قيود الشيطان ومن قيود النفس الأمارة بالسوء، ولهذا كل من خالف الشرع فإنه رقيق وليس بحر، وإلى هذا يشير ابن القيم رحمه الله في بيتٍ أرى أن يُكتب بماء الذهب، يقول:

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان

وذلك أنه قال معنى البيت أنهم تحرروا من الرق الذي خلقوا له وابتلوا برق النفس والشيطان، يعني أنهم تحرروا من الرق الذي خلقوا له وهو الرق لمن؟، لله عز وجل ولكنهم ابتلوا برق النفس والشيطان، وهذا الذي يقول: أعطوني حريتي

- (محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبيبي، معجم لغة الفقهاء، ص: ١٧٩).

أقول ما شئت نقول: نحن إذا أعطيناك حريتك وقلت ما شئت من الكفر والفسوق والأخلاق الرديئة فإنك قد بليت برق وهو رق النفس والشيطان<sup>(١)</sup>.

المقارنة بين مفهوم الحرية في السنة النبوية، ومفهومها عند الغربيين:

عندما كانت الكنيسة في أوروبا مسيطرة على حياة الناس ومتسلطة عليهم، ثارت ضدها شعوبهم، منادية بفصل الدين عن الدولة، وما حدث في أثناء الثورة الفرنسية من انتهاكات لحقوق الإنسان، جعلهم يقومون بإعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي، ومما جاء فيه: «الحرية هي أن يمارس الفرد كل ما يحلو له شريطة ألا يكون في ذلك ضرر للآخرين، ومن هنا فإن ممارسة كل إنسان لحقوقه الطبيعية لا حد لها إذا عاقت أفراد المجتمع الآخرين عن التمتع بالحقوق نفسها. ومن ثم فهذه الحدود لا يرسمها إلا القانون»<sup>(٢)</sup>

وقد تبنت الأمم المتحدة هذا التعريف، مع قليل من التهذيب، حيث جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: «لا يُخضع أيُّ فرد، في ممارسة حقوقه وحرّياته، إلاّ للقيود التي يقرّها القانونُ مستهدفاً منها، حصراً، ضمانَ الاعتراف الواجب بحقوق وحرّيات الآخرين واحترامها، والوفاءً بالعدل من مقتضيات الفضيلة والنظام العام ورفاه الجميع في مجتمع ديمقراطي»<sup>(٣)</sup>.

١- (العثيمين، شرح العقيدة السفارينية، ص: ٦٧٧).

٢- المادة ٤، من إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي، الذي أصدرته الجمعية التأسيسية الوطنية في ٢٦ / ٨ / ١٧٨٩ م.

٣- المادة ٢٩ فقرة ٢، من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمده الجمعية العامة في باريس في ١٠ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨ بموجب القرار ٢١٧ ألف .

فمن خلال هذين الإعلانين، نجدهما متفقين في أن للإنسان مطلق الحرية في ممارسة ما يحلو له بشرطين:

أ- ألا يؤذي الآخرين.

ب- أن تكون ممارساته وفق القانون.

وهذا المفهوم للحرية عند الغربيين، يتوافق مع الحرية في السنة النبوية، وخالفها أيضاً.

فيتوافقان في أن الحرية الشخصية ليست مطلقة، وإنما مقيدة بقيدتين؛ ألا تؤذي الآخرين، وألا تخرق القانون.

ويختلفان في أن السنة النبوية تقيد الحرية بأنها لله، ووفق مراد الله، أي ليست كما يحلو للشخص بأن يفعل ما يحبه الله تعالى، وأن يكون المشرع له هو الله تعالى وليس الشعب.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «وَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الدِّينَ يُقَيِّدُ حُرِّيَّةَ الْإِنْسَانِ وَيَمْنَعُهُ بَعْضَ اللَّذَاتِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَى التَّمَتُّعِ بِهَا، وَيَحْزَنُهُ الْحَرَمَانُ مِنْهَا، فَكَيْفَ يَكُونُ هُوَ الْمَأْمَنُ مِنَ الْأَحْزَانِ، وَيَكُونُ بَاتِّبَاعِهِ الْفَوْزُ وَيَبْتَرِكُهُ الْخُسْرَانُ؟ فَجَوَابُهُ: إِنَّ الدِّينَ لَا يَمْنَعُ مِنْ لَذَّةٍ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي إِصَابَتِهَا ضَرَرٌ عَلَى مُصِيبِهَا، أَوْ عَلَى أَحَدِ إِخْوَانِهِ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ الَّذِينَ يَفُوتُهُ مِنْ مَنَافِعِ تَعَاوُنِهِمْ - إِذَا آذَاهُمْ - أَكْثَرُ مِمَّا يَنَالُهُ بِالتَّلَذُّ بِأَيْدَائِهِمْ، وَلَوْ تَمَثَّلَتْ الْمُسْتَحَلَّةُ الْمَحْرَمَةُ مَضَارُّهَا الَّتِي تُعْقِبُهَا فِي نَفْسِهِ وَفِي النَّاسِ، وَتَصَوَّرَ مَالَهَا مِنَ التَّأثيرِ فِي فَسَادِ الْعُمَرَانِ لَوْ كَانَتْ عَامَةً، وَكَانَ صَحِيحَ الْعَقْلِ مُعْتَدِلَ الْفِطْرَةِ لَرَجَعَ عَنْهَا مَثَمَلًا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا كَدْرٌ<sup>(١)</sup>

١- (محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١/ ٢٣٧).

## المبحث الثاني: تعظيم السنة لقيمة الحرية الإنسانية

أعلت السنة النبوية من شأن الحرية، ودعت إليها ورغبت فيها في عدة مجالات، ولما كان الإنسان مجبولاً على المحافظة على خصوصيته في نفسه وعرضه وماله ودينه وعقله فقد كفلت السنة النبوية لكل إنسان عدم المساس بأي واحدة منهن إلا بحقها، فقال النبي ﷺ: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ»، وزاد: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ<sup>(١)</sup>».

وقوله ﷺ: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»، يشير إلى أن التفاضل بين الناس إنما هو في عبوديتهم لله تعالى، وهذه هي الحرية الحقيقية، وليس الحرُّ من تأسره الشهوات، والأهواء.

ومن تأمل نصوص السنة النبوية وجد أن تحقيق الحرية بأنواعها - الشخصية والفكرية والاقتصادية وغيرها - مكفول في السنة لكل إنسان، وغاية وهدف سام من أهدافها، سعت في الحث على تثبيت دعائمه وفي تحريم ما يشينه أو ينتهكه.

فأما الحرية الشخصية، فقد كفلت السنة حقوقها لكل فرد دون تمييز لجنس أو لون أو عرق، كما قال رسول الله ﷺ مخاطباً الإنسانية بأنهم كلهم بنو آدم وكلهم مشتركون في الحقوق والواجبات، وأنهم جميعاً متعبدون لإله واحد لا لبعضهم بعضاً، وليسوا قسمين، سادة ورقيقاً، فقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا

١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، بابُ تحريمِ ظلمِ المسلمِ، وخذله، واحتقاره، ودِّمه، وعرضه، وماله (٤/ ١٩٨٦).

أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

وقال ﷺ أيضاً: «المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ: دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيَجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» (٢) (٣).

ففي هذا الحديث لم يفرق النبي ﷺ بين سيد وعبد وبين ذكر وأنثى، وجعلهم جميعاً في الحقوق سواء، ولم يكن هذا قولاً فقط بل أيضاً عضده بالفعل، فعندما فتح النبي ﷺ مكة وأجارت أم هانئ بنت أبي طالب أحد أحمائها أراد علي رضي الله عنه قتله، فذهبت إلى النبي ﷺ فشكته له، فقالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قَدْ أَجْرْتَهُ، فَلَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِي» (٤).

وقد كفلت السنة النبوية للمرأة حرية اختيار زوجها ومشاورتها قبل إمضاء عقد النكاح فقد قال النبي ﷺ: «لَا تُنْكَحُ الْأَيْمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبُكَرُ حَتَّى

١ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨ / ٤٧٤)، رقم ٢٣٤٨٩ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ... به.

إسناده صحيح، إسماعيل بن علية وسعيد الجريري، وأبو نضرة المذكور بن مالك كلهم ثقات، انظر على التوالي: (ابن حجر، تقريب التهذيب، (ص: ١٠٥)، و (ص: ٢٣٣)، و (ص: ٥٤٦)، وأما ما ذكر من اختلاط الجريري فإن ابن علية سمع منه قبل اختلاطه، انظر: (المزي، تهذيب الكمال، ١٠ / ٣٣٨).

٢ - قال الخطابي: «قلت: قوله: «تتكافأ دماؤهم»، معناه: أن أحرار المسلمين دماؤهم متكافئة في وجوب القصاص والقود لبعضهم من بعض لا يفضل منهم شريف على وضيع. وقوله: «يسعى بذمتهم أدناهم»، يريد أن العبد ومن كان في معناه من الطبقة الدنيا كالنساء والضعفاء الذين لا جهاد عليهم إذا أجازوا كافرين أمضي جوارهم ولم تخفر ذمتهم. وقوله: «ويجير عليهم أقصاهم»، معناه أن بعض المسلمين وإن كان قاصي الدار إذا عقد للكافر عقداً لم يك لأحد منهم أن ينقضه وإن كان أقرب داراً من المعقود له»، (الخطابي، معالم السنن، ٢ / ٣١٣).

٣ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر (٣ / ٨٠)، عبد الله بن عمرو... به، وإسناده حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٢ / ١٥٣)، عن علي بن أبي طالب... به، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به (١ / ٨٠).



تُسْتَأْذَنَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ»<sup>(١)</sup>.

ومن نكحت مكرهة فلها الحق في نقض العقد أو إمضاءه، كما جاء عن القاسم: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ وَلَدِ جَعْفَرٍ، تَخَوَّفَتْ أَنْ يُزَوِّجَهَا وَلِيَّهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى شَيْخَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَجْمَعِ ابْنِي جَارِيَةَ، قَالَا: فَلَا تَخْشَيْنَ، فَإِنَّ حَسَنَاءَ بِنْتَ خِدَامِ أَنْكَحَهَا أَبُوهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وعندما عتقت بريرة واختارت مفارقة زوجها مغيثاً طلب منها النبي ﷺ أن ترجع إليه فاعتذرت عن ذلك، فلم يلزمها أو يكفرها أو يصفها بالنفاق، بل تقبل اختيارها واعتذارها عن شفاعته صلى الله عليه وسلم، وما رضيته لنفسها، كما قال ابن عباس أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَانِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى حَيْثِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ، وَمَنْ بَغِضَ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ رَاجَعْتَهُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

وأما الحرية الفكرية، فهي مربوط الفرس في الإسلام، وما بعث النبي ﷺ إلا لهداية الإنسانية إلى دين الإسلام فمن أسلم قبل منه، ومن أصر على دينه لم يكره على تغييره وأمر بدفع الجزية مقابل حمايته وأداء حقوق مواطنته، وهذه كانت وصية النبي ﷺ لأمرأه جيشه عندما يرسلهم إلى الجهة التي يريد دعوتها للإسلام، قال بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا،

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: لَا يُنْكَحُ الْأَبُ وَعَيْرُهُ الْبُكَرُ وَالنَّيْبُ إِلَّا بِرِضَاهَا (١٧/٧).

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيل، باب في النكاح (٢٥/٩).

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب شفاعته النبي ﷺ في زوج بريرة (٤٨/٧).

وَلَا تَمَثَّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقَيْتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خَصَالٍ (أَوْ خِلَالٍ)، فَأَيْتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفِيءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهِمُ الْجَزِيَّةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنُ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ لم يكره الناس على دخول الإسلام إذا لم يرضوه من عند أنفسهم، بل حذر أصحابه بالمساس بمن سالم ودفع الجزية، كما قال رسول الله ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على أن السنة أعطت كل إنسان حرية الاختيار قوله ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقَتُهَا أَوْ مُؤَبِّقَتُهَا»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن رجب الحنبلي: «دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ فَهُوَ سَاعٍ فِي هَلَاكِ نَفْسِهِ، أَوْ فِي فَكَاكِهَا، فَمَنْ سَعَى فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَقَدْ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ، وَأَعْتَقَهَا مِنْ عَذَابِهِ، وَمَنْ سَعَى فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَقَدْ بَاعَ نَفْسَهُ بِالْهَوَانِ، وَأَوْبَقَهَا بِالْأَثَامِ الْمَوْجِبَةِ لِعُذْبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ»<sup>(٤)</sup>.

- ١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البُعوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِأَدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا (٣/١٣٥٧).
- ٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة (٣/١٧٠)، قال العراقي: «إسناده جيد». (العراقي، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، ص: ٢٦٤).
- ٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (١/٢٠٣).
- ٤- (ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٢/٢٨).

وأما في الحرية الاقتصادية، فقد راعت السنة جبلة الإنسان وفطرته على حب التملك، وجمع القناطر المقنطرة من الذهب والفضة وغيرها من زينة الحياة الدنيا، ولم تقف عقبة ضد هذه الفطرة، فأباحت تملك المال بلا سقف معين، سواء كان كسبه من تجارة أو إرث أو هبة أو غنيمة أو صدقة.

وحتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء أو يكون وبالاً على صاحبه، فقد أمرت السنة أن يراعى في هذا الجمع أمران، أحدهما: كيفية جمعه، والثاني: كيفية إنفاقه، فقال النبي ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»<sup>(١)</sup>.

بل عندما غلت الأسعار في عهد النبي ﷺ وطلبوا منه أن يلزم التجار بسعر معين رفض ذلك كما حكى أنس رضي الله عنه قال: «غَلَا السُّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعَّرْنَا! فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمُظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»<sup>(٢)</sup>.

ونهى الوسطاء عن استغلال البسطاء في البيع ومن ذلك النهي أن يتلقى أهل المدينة أهل البادية خارج السوق ليبعوا لهم أو منهم وذلك ليتيح لأهل البادية دخول السوق وعرض بضاعتهم بأنفسهم فقال ﷺ: «لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ دَعَا النَّاسَ يَرْزُقُ اللَّهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ»، وفي رواية: «يُرْزَقُ»<sup>(٣)</sup>..

١- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة (٦١٢/٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، باب في التسعير (٣٢٢/٥)، والترمذي في سننه، أبواب البيوع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التسعير (٥٩٧/٣) - واللفظ له - وقال الترمذي: حسن صحيح.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للبادي (١١٥٧/٣).

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما ف قيل له: «مَا قَوْلُهُ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قَالَ: لَا يَكُنْ لَهُ سَمْسَارًا»<sup>(١)</sup>.

وفي حرية الكلمة، أمر النبي ﷺ بالصدع بالحق وعدم مخافة الناس فقال ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَأَهُ أَوْ عَلِمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وحض أصحابه ألا يمنعوا صاحب حق من المطالبة بحقه، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُ، فَإِنَّ لَصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، ثُمَّ قَالَ: أَعْطُوهُ سَنًا مِثْلَ سَنَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمُتِلَ مِنْ سَنَةِ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثالث: محاربة السنة النبوية للعبودية والتحذير مما يسلب الحرية

#### المطلب الأول: وسائل محاربة السنة النبوية للعبودية<sup>(٤)</sup>.

بعث النبي ﷺ والمجتمع حوله منقسم إلى سادة وعبيد، سادة يعتبرون أنفسهم هم البشر وما سواهم أنعام، يسمونهم سوء العذاب ويتخذونهم سلعة تباع وتشترى، وإن شركوهم في أبيهم آدم، فكان هذا الانقسام سبباً في مساومة أشراف مكة للنبي في طرد العبيد الذين آمنوا به عن مجلسه إن أراد دخولهم في دينه، ولما كانت دعوته تقوم على أن العبودية لا تكون إلا لله وحده، وأن الناس

١- المصدر السابق.

٢- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧/ ٤٩٠)، رقم ١١٤٠٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ... به، إسناده صحيح، محمد بن جعفر (غندر)، وشعبة بن الحجاج، أبو مسلمة سعيد بن يزيد الأزدي ثقات، انظر على التوالي: (ابن حجر، تقريب التهذيب، (ص: ٤٧٢)، و (ص: ٢٦٦)، و (ص: ٢٤٢).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، بَابُ الْوَكَالَةِ فِي قَضَاءِ الدُّيُونِ (٣/ ٩٩)، رقم ٢٣٠٦، عن أبي سعيد الخدري.

٤- انظر: (د. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث: تلييس مردود، مجلة البحوث الإسلامية، ٣٢/ ١٧٥).

سواسية كلهم بنو آدم، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى، استخدم كل الوسائل التي تحقق هذه الغاية، وتجتث هذه الظاهرة من جذورها، وتفتح باب الحرية الإنسانية على مصراعيه، ومن ذلك:

١- الترغيب في عتق الرقاب تقرباً إلى الله تعالى، حيث رغبت السنة في السعي على بذل الحرية لمن أراد النجاة من النار، فقد قال النبي ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ أَمْرًا مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضُوٍّ مِنْهُ عَضُوًّا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>. وكذلك جعلت السنة النبوية الخيار الأوحده الذي يستطيع الولد أن يكافئ به حق والديه عليه، وهو أن يجدهما أو أحدهما مملوكاً فيهبه الحرية، فقال ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ»<sup>(٢)</sup>.

٢- التحذير من الوقوع في استعباد الناس، قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»<sup>(٣)</sup>.

٣- التوسع في تشريع أسباب العتق، ومن ذلك:

أ- اعتماد تحرير العبيد أحد أصناف مستحقي الزكاة الثمانية، كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَانِ فَلُوهُمُ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

التوبة: ٦٠

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب في العتق وفضله (٣/ ١٤٤).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد (٤/ ٢١٨).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إنهم من باع حراً (٣/ ٨٢).

ب- جعل العتق كفارة لبعض المخالفات، مثل الظهر<sup>(١)</sup>، أو الجماع في نهار رمضان، و الحنث<sup>(٢)</sup> والقتل الخطأ، وضرب العبد ظلماً.

فجاء في الظهر قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) المجادلة: ٣

وجاء في القتل الخطأ قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ النساء: ٩٢ أ

وجاء في الحنث قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّن أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُم أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) المائدة: ٨٩

وجاء في الجماع حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ، قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تَعْتِقُهَا...»<sup>(٥)</sup>.

وجاء في ضرب العبد ظلماً حديث زاذان أن ابن عمر دعا بغيلاً له، فرأى بظهره أثراً فقال له: أَوْجَعْتُكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْتَ عَتِيقٌ. قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ شَيْئًا مِّنَ الْأَرْضِ فَقَالَ: مَا لِي فِيهِ مَنَ الْأَجْرَ مَا يَزُنُ هَذَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدٌّ لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَارَتَهُ أَنْ يَعْتِقَهُ<sup>(٦)</sup>.

- ١- الظَّهَار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، يريد تحريم جماعها، وكان في الجاهلية طلاقاً، (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٦٥).
- ٢- الحنث: الخلف في اليمين، حنث في يمينه حنثاً وحنثاً: لم يبر فيها، (ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ١٣٨).
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: إذا جامع في رمضان... (٣/ ٣٢)، حديث رقم ١٩٣٦.
- ٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب صحبة المالك وكفارة من لطم عبده (٣/ ١٢٨١)، حديث رقم ١٦٥٧.

وحدث أبي مسعود الأنصاري قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلْفَحْتِكَ النَّارَ، أَوْ لَمَسْتِكَ النَّارَ<sup>(١)</sup>.

٤- حث أصحاب الممالك بمكاتبة مملوكيهم إن أرادوا الحرية، بل عونهم على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَفِ الَّذِينَ لَا يُحَدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ النور: ٣٣

٥- الحكم بأن من اشترى بعض محارمه فهو حر تلقائياً ولا يحتاج إلى إعتاق، كما قال رسول الله ﷺ: مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ فَهُوَ حُرٌّ<sup>(٢)</sup>.

٦- الأمر بمعاملة الممالك معاملة تليق بإنسانيتهم في الأكل والملبس والعمل كما جاء عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِستَهُ كَانَتْ حُلَّةً، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَانَلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: أَسَابَيْتَ فُلَانًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَنَلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، قُلْتُ: عَلَيَّ حِينَ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ

١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب صحبة الممالك وكفارة من لطم عبده (٣/ ١٢٨١)، حديث رقم ١٦٥٩

٢- أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب العتاق، باب: فِيْمَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ (٦/ ٨٥)، رقم ٣٩٤٩، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب مَا جَاءَ فِيْمَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ (٣/ ٦٣٨)، حديث رقم ١٣٦٥، وابن ماجه في سننه، أبواب العتق، باب مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ فَهُوَ حُرٌّ (٣/ ٥٦٥)، حديث رقم ٢٥٢٤، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (٢/ ٢٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

كَفَّهُ مَا يَغْلِبُهُ فُلِعِنَهُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: إِذَا آتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بَطْعَامَهُ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، أَوْ أَكْلَةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِي عِلَاجِهِ»<sup>(٢)</sup>.

٧- التربية النفسية لأصحابه في محو آثار العبودية عن الرقيق، ليعاملوهم كإخوة لينسوا الرق ويندمجوا في المجتمع ولا يشعروا بالدونية، ومن الهدي الذي اتبعه النبي ﷺ في ذلك:

أ- مناداتهم بالأفان لا تحط من كرامتهم، كما قال رسول الله ﷺ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأُمَّتِي، كُلُّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي، وَجَارِيَّتِي، وَفَتَاتِي، وَفَتَاتِي»<sup>(٣)</sup>.

ب- المؤاخاة بين بعض الأحرار من سادة العرب وبين بعض الموالى، فقد آخى بين مولاه زيد وعمه حمزة<sup>(٤)</sup>، وآخى بين سلمان، وبين أبي الدرداء<sup>(٥)</sup>.

ذكر الشيخ محمد أبو شهبه أن هذه المؤاخاة حدثت بين المسلمين بمكة، وقال: وهي تعتبر أول مؤاخاة في الإسلام، كان الغرض منها تقوية الأواصر والروابط بين المسلمين، وارتفاق الضعيف بالشريف، والفقير بالغني، ومن ليس من قريش بمن هو منهم، فالحكمة منها ظاهرة والغرض منها شريف<sup>(٦)</sup>.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الْمُعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا يَكْفُرُ صَاحِبُهَا بِإِنِّكَابِهَا إِلَّا بِالشُّرْكِ... (١٦/٨)، حديث رقم ٦٠٥٠

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب إِذَا آتَاهُ خَادِمُهُ بَطْعَامَهُ (٣/١٥٠)، رقم ٢٥٥٧

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ وَالْأُمَّةِ وَالْمَوْلَى وَالسَّيِّدِ (٤/١٧٦٤)، رقم ٢٢٤٩، عن أبي هريرة.

٤- (البخاري، صحيح البخاري، ٣/١٨٥)،

٥- أبو يعلى الموصلي، المسند، ٢/١٩٣).

٦- محمد أبو شهبه، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ٢/٥٢).



ج- تزويج زينب بنت جحش القرشية بمولاه زيد بن حارثة، وغيره من الأرقاء، وهذا يمثل الجانب التطبيقي لكسر الحواجز العرقية والأنفة الموروثة من مجتمع يحكمه الكبر والفخر بالأحساب والأنساب.

د- تولية مولاه زيد بن حارثة جيشاً فيه سادات العرب من المهاجرين والأنصار، ولما قتل ولي ابنه أسامة بن زيد قيادة الجيش نفسه، وفيه أبو بكر وعمر وزيرا الرسول وخليفته من بعده، فكان في ذلك رفع لمكانة الموالي من وهدة العبودية إلى مراقبي السؤدد والقيادة والرئاسة.

أقول: ولم يكن هذا بالأمر الهين خاصة على المتربصين بالإسلام، وحديثي الدخول فيه، فقد طعنوا في هذا القرار، حتى رد عليهم النبي ﷺ، وذلك فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ فِي إِمَارَتِهِ، وَقَالَ: إِنْ تَطَعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنتُمْ تَطَعُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِيْمَ اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْأَمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال الثوربشتي: «إِذَا طَعَنَ مِنْ طَعَنَ فِي إِمَارَتِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا مِنَ الْمَوَالِي، وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تَرَى تَأْمِيرَ الْمَوَالِي، وَتَسْتَنْكِفُ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ كُلَّ الْإِسْتِنْكَافِ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَرَفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَهُمْ قَدْرٌ بِالسَّابِقَةِ وَالْهَجْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى؛ عَرَفَ حَقَّهُمُ الْمُحْفُوظُونَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، فَأَمَّا الْمُرْتَهِنُونَ بِالْعَادَةِ وَالْمُتَحَنُّونَ بِحُبِّ الرِّئَاسَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، لِأَسِيْمَا أَهْلِ النِّفَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «ثم كان يبعث أسامة، وقد أمره في مرض على جيش فيهم جماعة

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب مَنْ لَمْ يَكْتَرِثْ بِطَعْنِ مَنْ لَا يَعْلَمُ فِي الْأُمْرَاءِ حَدِيثًا (٧٣/٩)، رقم ٧١٨٧

٢- شهاب الدين الثوربشتي، الميسر في شرح مصابيح السنة، ٤/ ١٣٣٤.

من مشيخة الصحابة وفضلائهم - رضي الله عنهم - وكأنه رأى في ذلك - سوى ما توسم فيه من النجابة - أن يمهّد الأمر ويوطئه لمن يلي الأمر بعده ؛ لئلا ينزع أحد يداً من طاعة، وليعلم كل منهم أن العادات الجاهلية قد عميت مسالكها، وخفيت معالمها»<sup>(١)</sup>.

أقول: كل هذه التوجيهات من النبي ﷺ جعلت المجتمع المسلم موحداً، نابذاً للعنصرية، سامياً بأخوته الإيمانية، حتى بلغ من تواضع عمر أنه كان يقول: «أبو بكرٌ سيِّدنا، وأعتق سيِّدنا يعني بلالاً»<sup>(٢)</sup>.

هـ- أوصى النبي ﷺ بطاعة ولي الأمر وإن كان من الموالي، فقال: «اسمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسَهُ زَبِيَّةً»<sup>(٣)</sup>، وقال أيضاً: «وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»<sup>(٤)</sup>، وقال أبو ذرٌّ رضي الله عنه: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»<sup>(٥) (٦)</sup>.

قال النووي: «فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يُؤْمَرُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْعَبْدِ مَعَ أَنْ شَرَطَ الْخَلِيفَةَ كَوْنَهُ قَرَشِيًّا؟ فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ بَعْضَ الْوَلَاةِ الَّذِينَ يُوَلِّيهُمُ الْخَلِيفَةُ وَنَوَابِهِ لَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ يَكُونُ عَبْدًا، وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ لَوْ قَهَرَ عَبْدٌ مُسْلِمٌ

١- المصدر السابق (٤/ ١٣٣٥).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مَنَاقِبِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... (٥/ ٢٧)، ٣٧٥٤، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... به.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً (٩/ ٦٢)، رقم ٧١٤٢، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣/ ١٤٦٨)، رقم ١٨٣٨، من حديث أمِّ الْحَصِينِ سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حِجَّةِ الْوُدَّاعِ وَهُوَ يَقُولُ... به.

٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار (٢/ ١٢٠)، رقم ٦٤٨.

٦- مُجَدَّعُ الْأَطْرَافِ أَيُّ مَقْطَعِ الْأَطْرَافِ وَالْجَدْعُ بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ الْقَطْعُ وَالْمُجَدَّعُ أَرَادَ الْعَبِيدَ لِحَسَنِهِ وَقَلَّةِ قِيَمَتِهِ وَمَنْعَتِهِ وَنَفَرَةَ النَّاسِ مِنْهُ، (النووي، شرح النووي على مسلم، ٥/ ١٤٩).

وَاسْتَوْلَى بِالْقَهْرِ نَفَذَتْ أَحْكَامَهُ وَوَجِبَتْ طَاعَتُهُ وَلَمْ يَجْزُ شَقُّ الْعَصَا عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>

المطلب الثاني: التحذير مما يسلب الحرية.

وكما سعى النبي ﷺ في عتق المماليك، حذر في الوقت نفسه من إحداث رق جديد، أو التفريط في الحرية بالوقوع في ذنب تكون عاقبته التضيق على صاحبه، فالتزام كل إنسان بأداء واجباته والحرص على التفريق بين حقوقه وحقوق غيره يجعله في سعة من أمره وبعيداً عما يكدر عليه عيشه أو عيش غيره سواء كان عامداً أو غافلاً، وقد حفلت السنة بأحاديث كثيرة في التحذير من انتقاص حقوق الآخرين، وأن هذا الانتقاص ربما يكون سبباً في سلب هذه الحرية أو جزءاً منها، وأول هذه الحقوق حق الله تعالى، ثم بقية الحقوق، فعن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالشَّيْبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ أيضاً: لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا<sup>(٤)</sup>.

- ١- (النووي، شرح النووي على مسلم، ٩/ ٤٧).
- ٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ التوبة: ٥ [التوبة: ٥] [١/ ١٤].
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَانَ بِاللِّسَانِ وَالْجُرُوحَ فِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾ المائدة: ٤٥ [المائدة: ٤٥] [٩/ ٥].
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ النساء: ٩٣ [النساء: ٩٣] [٩/ ٢]، رقم (٦٨٦٢).

ومنها المماثلة في أداء الدين: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِي الْوَاجِدِ يُحِلُّ عَرَضَهُ وَعُقُوبَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

المبحث الرابع: توجيهات وإرشادات نبوية في المحافظة والسمو بقيمة الحرية:

حرص النبي ﷺ أن يأخذ بأيدينا ويبصرنا بالبعد عما يكون سببا في هلاكنا أو وقوعنا في أسر شهوات النفس وكيد الشيطان، وضرب لذلك مثلا فقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا أَخَذُ بِحُجَزِكُمْ<sup>(٢)</sup> عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»<sup>(٣)</sup>..

قال أبو العباس القرطبي: «وهذا مثل لاجتهاد نبينا ﷺ في نجاتنا، وحرصه على تخليصنا من الهلكات التي بين أيدينا، ولجهلنا بقدر ذلك، وغلبة شهواتنا علينا، وظفر عدونا اللعين بنا، حتى صرنا أحقر من الفراش والجنادب، وأذل من الطين اللازب»<sup>(٤)</sup>.

أقول: انظر كيف خدع وميض وبريق النار الحشرات فوقعن فيها بلا وعي، وكذلك كثير من أصحاب العقول المغيبة يغترون ببهرج الألوان والمساحيق، والشعارات الرنانة، والسعادة الزائفة، فيقعون في مستنقعات البؤس والرذيلة مسرعين متعجلين هلاكهم، بلا تأمل ولا تعقل للمآلات والعواقب.

- ١- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب القضاء، باب في الدين هل يحبس به (٥/ ٤٧٣)، وقال أبو داود عقبه: قال ابن المبارك: يحل عرضه يعلظ له، وعقوبته: يحبس له، وقال ابن حجر: «اللي بالفتح المثل لوى يلوي والواجد بالجيم الغني من الوجد بالضم بمعنى القدرة ويحل بضم أوله أي يجوز وصفه بكونه ظلما»، وقال: «إسناده حسن»، (ابن حجر، فتح الباري (٥/ ٦٢).
- ٢- أصل الحجة: موضع شد الإزار، ثم قيل للإزار حجة للمجاورة. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٤٤).
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (٨/ ١٠٢)، رقم ٦٤٨٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
- ٤- (أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٦/ ٨٧).

من أجل ذلك كان هدي النبي ﷺ وإرشاده لبيان ما يضبط الفرد والمجتمع ، بتوجيه أفرادهِ على جلب ما يصلحهم ، ودرء ما يفسد عيشتهم ، ووفق هذا المعيار جاءت تعاليم السنة النبوية في بيان حدود وضوابط الحرية الصحيحة ، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : «إن ميزان الحرية الصحيحة النافعة هو ما أرشد إليه القرآن والنبي ﷺ ، وأما إطلاق عنان الجهل والظلم والأقوال الضارة المحللة للأخلاق ، فإن من أكبر أسباب الشر والفساد ، المؤدية إلى الفوضى المحضنة وانحلال الأخلاق التي هي قوام كل أمة .

فنتائج الحرية الصحيحة أحسن النتائج ، ونتائج الحرية الفاسدة أقبح النتائج ، فالشارع فتح الباب للأولى ، وأغلقه عن الثانية ، تحصيلاً للمصالح ودفعاً للمضار والمفاسد<sup>(١)</sup> .

وقال الشيخ محمد أبو زهرة : «بيد أن تلك الحرية التي يحميها القرآن ، ليست هي الحرية المطلقة ، فالحرية المطلقة كالحقيقة المطلقة ، أمور معنوية تتخيل ولا تحس ، ولا تتحقق في ذلك الوجود اللاغب المتناحر ، وإن الذين ينطلقون في حرياتهم انطلاقاً يخلعون الربقة ، ويهتكون الحمى ، يضيعون من حرية غيرهم بمقدار ما ينطلقون ، ولذلك لم يباح الإسلام الحرية المنطلقة من كل القيود ، لأنها هدم وليست ببناء . وإنما حمى الإسلام الحرية المقيدة بشكائم من الأخلاق وحماية حق الغير»<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ : محمد التويجري : «والحرية نوعان : الأولى : حرية إنسانية تليق بتكريم الله للإنسان ، وهي حرية الانتصار على هوى النفس ، والانطلاق من أسر الشهوة ، والتصرف بها في توازن تثبت معه حرية اختيار الأحسن شرعاً .

١ - (ابن سعدي ، القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ص : ١٠٨) .

٢ - (أبو زهرة ، شريعة القرآن من دلائل إعجازه ، ص : ٥٣) .

الثانية: حرية حيوانية، وهي هزيمة الإنسان أمام هواه، وعبوديته لشهوته، وانفلات الزمام من إرادته، وهي حرية لا يهتف بها إلا مخلوق مهزوم الإنسانية، فهؤلاء وإن حملوا صورة الآدمي في الظاهر فهم هابطون إلى درك الحيوان في الباطن: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٤٤ [الفرقان: ٤٤] (١).

وقال إبراهيم محمد طه: «الحرية المطلقة من كل قيد هي كذبة كبرى لا وجود لها في عالم الواقع. فأى مجتمع لا ينفك عن وجود قوانين وأنظمة وتشريعات يلزم بها أفرادها ويعاقب الخارج عنها؟، والفرق بين المجتمع الإسلامي وغيره أن دستوره وقوانينه مستمدة من الله وقوانين هؤلاء هي أهواؤهم وشهواتهم التي تواطؤوا عليها» (٢).

ومما حرصت عليه السنة النبوية من إرشادات وضوابط:

الإرشاد الأول: الخصوصية الفردية حرم آمن لكل شخص:

كفلت السنة النبوية لكل شخص حرماً آمناً، لا يجوز المساس به، أو التعرض له إلا بطيب نفس من صاحبه، سواء في ماله أو عرضه أو نفسه أو دينه، وأذنت لمن ضيق عليه في واحدة منهن أن يدافع عنها ولو أدى ذلك لهلاكه في سبيلها، فإن مات فهو شهيد، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» (٣).

وجاء عن أبي هريرة، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

١ - (محمد التويجري، موسوعة فقه القلوب، ٤ / ٣٠٩٩).

٢ - (إبراهيم محمد طه بويدان، التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين، ٢ / ١٦٢).

٣ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتال اللصوص (٤ / ٢٤٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الديات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد (٤ / ٣٠) - واللفظ له - وقال عقبه: «حسن صحيح».

أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: قَاتَلُهُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: فَأَنْتَ شَهِيدٌ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتَهُ؟ قَالَ: هُوَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وأمر النبي ﷺ ألا يمس مال امرئ إلا بطيب نفس منه، كما جاء في حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه: أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: أحب الحديث إليّ أصدقته، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنت استأنتيت بهم، وقد كان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإننا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نُعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ لهم، فقال رسول الله ﷺ: إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم ياذن، فأرجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس، فكلّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه: أنهم قد طيبوا وأذنوا<sup>(٢)</sup>.

وكذلك أمر النبي ﷺ باحترام خصوصية كل إنسان في منزله وأمر ألا يدخل على أحد بيته إلا بعد استئذانه، فلو تجسس عليه أحد أو اطلع عليه من غير استئذان، ففقأ عينه فهي هدر، كما قال ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَمْرًا أَطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ

١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل علي أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مُهدر الدم في حقه وإن قتل كان في النار وأن من قتل دون ماله فهو شهيد (١/١٢٤).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفع قوم جاز... (٣/٩٩)، رقم ٢٣٠٧، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة.

فَخَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَاتَ عَيْنُهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ»<sup>(١)</sup>.

الإرشاد الثاني: ألا تظن أنك وحدك في هذا الكون:

الإنسان يعيش في هذا الكون مع بني جنسه ومع خلق آخرين يشاركونه في عمارته، فلو سار كل إنسان في الاتجاه الذي يريد أو غرق في المعاصي والمنكرات أو استباح كل محذور، لهلك الكل وما استقام الأمر، ولكن الحرية المنضبطة هي نظام يتسق مع حدود وحقوق الآخرين، بأن يستمتع فيه كل إنسان بكامل حريته وفي حدود ما أعطي من صلاحيات بحيث لا تصطدم بحرية الآخرين، وحتى لا يكون ذلك مدعاة للاعتداء ومجلبة للبغضاء والشحناء ثم الاقتتال، والفساد في الأرض التي يشترك في عمارتها الجميع.

فقد وصف النبي ﷺ حال الناس في هذه الدنيا وبين أن مشاربهم مختلفة ولكن هذا الاختلاف لا يكون مدعاة لكي يتصرف كل أحد في الأمور التي تخص العامة بمفرده وبمناى عن الآخرين، لأن ذلك ربما يتأذى منه بعضهم، أو يجلب مفسدة يكون وبالها على الكل، كما قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا»<sup>(٢)</sup>.

فهذا حال من ينادون بالحرية الشخصية ويريدون فرضها على الكل وإن تظاهروا بحسن النوايا وتلبسوا بلبوس التقدم والتطور، كما قال مصطفى صادق الرافعي: «فهذا تمثيل لحالة طائفة في «الأسفل» تعمل لرحمة من هم في «الأعلى»:

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب من أطلع في بيت قوم ففقتوا عينه فلا دية له (١١/٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب: هل يُقرع في القسمة والاستهام فيه (٣/١٣٩).



عاطفة شريفة ولكنها سافلة، وحمية ملتهبة ولكنها باردة، ورحمة خالصة ولكنها مهلكة<sup>(١)</sup>.

لذلك من أراد أن يعمل عملاً في مكان فيه غيره، وجب عليه مراعاة حالهم، ولو كان هذا العمل هو قراءة القرآن، كما روى أبو سعيد رضي الله عنه، قال: «اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ، فَكَشَفَ السِّتْرَ، وَقَالَ: أَلَا إِنَّ كَلِّكُمْ مَنَاجِ رَبِّهِ، فَلَا يُؤْذِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ، أَوْ قَالَ: فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>.

بل ولو كانت الصلاة المفروضة، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحِينَ<sup>(٣)</sup> وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ أَوِ النَّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا مُعَاذُ، أَفَتَانَ أَنْتَ؟. أَوْ أَفَاتِنٌ. ثَلَاثَ مَرَارٍ: فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمِ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضَحْنَهَا ﴿١﴾ [الشمس: ١]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿١﴾ [الليل: ١]، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ»<sup>(٤)</sup>

وكما جاء عن أبي مسعود قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلَانٍ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»<sup>(٥)</sup>

١- (مصطفى صادق الرافعي، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، ص: ٢٣)،  
٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، بَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ (٢/٤٩٣)،  
وأخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (١/٣١٤)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ».  
٣- النَّوَاضِحُ: الْإِبِلُ الَّتِي يُسْتَقَى عَلَيْهَا، وَاحِدُهَا: نَاضِحٌ، (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/٦٩).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ (١/١٤٢).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ (١/١٤٢).

ولم يكن هذا الهدى من النبي ﷺ قولاً فقط، وإنما كان ديدناً له، كما قال ﷺ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ، أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَاتَّجُوزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»، وفي رواية: «مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ»، وفي رواية: «مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»<sup>(١)</sup>

الإرشاد الثالث: لا ترض لغيرك ما لا ترضاه لنفسك:

لما كان الغالب ممن يتعدون على حريات الآخرين أنهم ينظرون من زاوية أنفسهم ولا يراعون لحال ومشاعر المعتدى عليه نبهت السنة النبوية إلى توسيع دائرة الرؤية، حتى تتجلى مخاطر التسرع في النظر من جهة واحدة، وأن تضع نفسك في الجهة التي خفيت عن ناظريك حتى تكتمل الصورة وتستتير البصيرة، كما جاء عن أبي أمامة قال: «إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ائْذَنُ فِدَانًا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّ لَأُمَّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>.

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (١/ ١٤٣)، حديث ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩.

٢ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦ / ٥٤٥)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح»، وهو كما قال.

## الإرشاد الرابع: الالتزام بالقانون، فالمؤمنون على شروطهم:

من أصول تعاليم السنة النبوية أن المؤمنين على شروطهم، ومن ذلك الالتزام بالقوانين التي فرضها الحاكم وبويع على طاعته فيها، لما في القيام بذلك من الحفاظ على مصلحة الفرد والجماعة، وتنظيم شؤونهم، يقول المنصور فوري «الحرية الإنسانية هي الحرية التي ينالها كل فرد ضمن الالتزام بالقانون والدين، والحرية البهيمية هي التي ينالها الفرد في ظل إلغاء القانون والدين»<sup>(١)</sup>.

ومن تلك القوانين التي يجب احترامها قوانين استخدام المرافق العامة، فقد يحتاج بعض الناس إلى استخدام مرفق عام، يكن له فيه متاع، فقد أباحت لهم السنة النبوية ذلك شريطة أن يعطي الآخرين حقوقهم، ومن ذلك الجلوس في الطرقات، فبعد أن نهى النبي ﷺ من الجلوس فيها، بين بعض الصحابة أنهم يحتاجونها أحياناً، سمح لهم لكن بشروط، فقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»<sup>(٢)</sup>.

ويدخل في هذا الإرشاد ما تجعله الدولة من حدود وفواصل لتمييز الحقوق أو لتوعية رعاياها، مثل اللافتات التوعوية في الطرقات وحدود المخططات وعلامات المرور وغيرها مما يرشد كل فرد إلى حدود ملكه أو صلاحيات تصرفاته، وقد جاءت السنة بالنهي عن التعدي على هذه العلامات أو تغييرها والعبث بها،

١- (المنصور فوري، رحمة للعالمين، ص: ٣٧).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، بَابُ أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا وَالْجُلُوسِ عَلَى الصُّعَدَاتِ (٣/١٣٢).

كما في قوله ﷺ: «وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup> «<sup>(٢)</sup>» .

الإرشاد الخامس: لا تفرط في واجبك وأعط كل ذي حق حقه:

قامت السنة النبوية على التنظيم والعدل في حثها على الالتزام بالحقوق وأداء الواجبات وعدم الميل على جانب وترك الآخر سواء كانت حقوق النفس أو الزوجة أو الضيف أو غيرها: قال أبو جَحِيْفَةَ رضي الله عنه: «أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً»<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هَلْكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطَ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ. فَآتَى النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ»<sup>(٤)</sup> .

وثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، فَقُلْتَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِوَرِكَ<sup>(٥)</sup> عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسَبِكَ أَنْ

١ - قال النووي: «وَالْمَنَارُ مَنَارُ الْأَرْضِ بَفَتْحِ الْمِيمِ عَلَامَاتٌ حُدُودُهَا»، (النووي، شرح النووي على مسلم، ١٣ / ١٤١)، وقال الطيبي: «المنار العلم والحُدُودُ بين الأرضين، وذلك بأن يسويه أو يغيره ليستبيح بذلك ما ليس له بحق من ملك أو طريق»، (الطيبي، شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن، ٩ / ٢٨٠٥).

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (٣ / ١٥٦٧).  
٣ - ترك التزين والتهيئ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١١١).

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له (٣ / ٣٨).

٥ - الزور: الزائر، مصدر وضع موضع الاسم، كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم. وقد يكون الزور جمع زائر، كراكب وركب. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣١٨).

تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ  
 كُلِّهِ، فَشَدَّدْتُ فُشْدَدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً؟ قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ  
 نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ؟ قَالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَمَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُحْصَةَ  
 النَّبِيِّ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

### الإرشاد السادس: المناصحة:

تقدم قوله ﷺ: فإن تركوهم وما أرادوا...، وفيه الدلالة على أن عدم الأخذ  
 على يد الظالم مؤذن بظهور الفساد في البر والبحر وإن ترك أهل الباطل على فعل  
 ما يريدون فإن العقوبة ستنزل على الكل من غير استثناء، وكذلك جاء عن أبي  
 بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿عَلَيْكُمْ  
 أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
 ﷺ يَقُولُ: إِنْ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ يَدِيهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ  
 بِعِقَابٍ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: «ومن الاهتداء: أن نأمر بالمعروف وننهى  
 عن المنكر، فإذا كان هذا من الاهتداء، فلا بد أن نسلم من الضرر، وذلك بالأمر  
 المعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قال رضي الله عنه: وإني سمعت النبي ﷺ  
 يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أو فلم يأخذوا على يد الظالم،  
 أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» يعني أنهم يضرهم من ضل إذا كانوا يرون  
 الضال ولا يأمرونه بالمعروف، ولا ينهونه عن المنكر، فإنه يوشك أن يعمهم الله

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، بابُ حَقِّ الْجِسْمِ فِي الصَّوْمِ (٣/٣٩).

٢ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، بابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ (٦/٣٩٣)، وأخرجه الترمذي في سننه،  
 أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المائدة (٥/٢٥٦)، - واللفظ له - وقال  
 الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

بالعقاب؛ الفاعل والغافل، الفاعل للمنكر، والغافل الذي لم يمه عن المنكر»<sup>(١)</sup>.

أقول: لذلك صارت النصيحة هي الدين ووجب بذلها لكل أفراد المجتمع كما الدين يدين به الكل، فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(٢)</sup>.

### النتائج:

دعت السنة النبوية لتعظيم الأخلاق الكريمة والقيم النبيلة ومنها: الحرية وبينت مفهومها وضوابطها وعددت أبرز الإرشادات التي تحققها وذلك خلافاً لما يعتقده الطاعنون في السنة.

١- ففي بيان ضوابط تحقيق الحرية أرشدت السنة إلى أن هذه الدنيا كسفينة يعيش فيها كل الناس فلا تظن أنك وحدك في هذا الدنيا وتتصرف كما تشاء، مما يجلب الضرر لك أو لغيرك، وأن تجعل نفسك مكان من تريد التعدي على حرته إن سولت لك نفسك ذلك، وأن تراعي حقوق الآخرين وخصوصيتهم، وأن تلتزم بما اتفق عليه الآخرون أو فرضته الدولة لتنظيم شؤون الناس، وأداء الحقوق والواجبات والمناصحة.

### التوصيات:

- ١- يجب على المؤسسات التعليمية والهيئات الدعوية الذب عن تعاليم السنة وبيانها لمن كانت خافية عليه.
- ٢- الحرص على اتباع النبي ﷺ في الالتزام بهذه القيم حتى تكون ظاهرة ومطبقة في الواقع.

١- (ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، ٢/ ٤٥٥).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (١/ ٧٤).

## المصادر والمراجع

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمده الجمعية العامة في باريس في ١٠ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨ بموجب القرار ٢١٧ ألف، موقع الأمم المتحدة، <https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights>
- إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي، الذي أصدرته الجمعية التأسيسية الوطنية في ٢٦ / ٨ / ١٧٨٩ م، موقع الموسوعة السياسية، <https://political-encyclopedia.org>
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.
- التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين، إعداد: إبراهيم محمد طه بويدان، إشراف: أ.د. حسام الدين عفانه، رسالة ماجستير جامعة القدس الدراسات العليا قسم الدراسات الإسلامية، أجزت في آب ٢٠٠١ م.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- تقريب التهذيب، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، ط١، ١٤٠٦ هـ.
- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن أبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- حاشية الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، الْمُسَمَّاةُ، لشهاب الدين أحمد بن محمد المصري الحنفي، بيروت، دار صادر.
- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصور فوري، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- السُّمُوُّ الرُّوحِيُّ الْأَعْظَمُ وَالْجَمَالُ الْفَنِّيُّ فِي الْبَلَاغَةِ النَّبَوِيَّةِ، لمصطفى صادق الرافعي، تحقيق: وائل بن حافظ بن خلف، الطبعة: الأولى.
- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون .
- السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٦، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ط ٨، ١٤٢٧ هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح = الكاشف عن حقائق السنن، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط ١، ١٤١٧ هـ.



- شرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح العثيمين، الرياض، دار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦ هـ.
- شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
- شريعة القرآن من دلائل إعجازه، لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.
- طلبه الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، لعمر بن محمد نجم الدين النسفي، المطبعة العامرة، مكتبة المثني ببغداد، ١٣١١ هـ.
- العلل لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د / سعد بن عبد الله الحميد و د / خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط١، مطابع الحميضي، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة - ١٣٧٩.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- الكليات، لأيوب بن موسى الكفوي، أبي البقاء، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد ٣٢، من (ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤١١هـ - ١٤١٢هـ).
- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري، دار الكتب، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٩٩٦م.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية - ١٤١١ - ١٩٩٠.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، ط٢، بيروت: دار العربية، ١٤٠٣ هـ.
- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤٠٩ هـ.
- معالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، المطبعة العلمية - حلب، ط١، ١٣٥١ هـ.
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، ط٢، ١٤٠٨ هـ.
- معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة/ مصر، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني الرازي، أبي الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية - بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرون، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- موسوعة فقه القلوب، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الأردن، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٦ م.
- الميسر في شرح مصابيح السنة، لفضل الله بن حسن بن حسين شهاب الدين التوريشتي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٢، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت.



دور البناء الاجتماعي وفلسفة التاريخ في  
إبراز إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية

**د. فراس بن ساسي**  
دكتوراه في الدراسات الإسلامية  
تونس

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.03>





## Abstract

The research deals with the manifestations of human humanity in the social construction and philosophy of history through the Prophetic Sunnah, and in the context of that, it deals with the formulation of the concept of man in the light of these data, emphasizing the Islamic specificity and open to the requirements of universality with legal controls, and in this it works on all its human limits. In contrast to materialistic Western humanism, it states that humanity is a goal that does not differ in the wise, but rather the problem involved in formulating the components of this humanity.

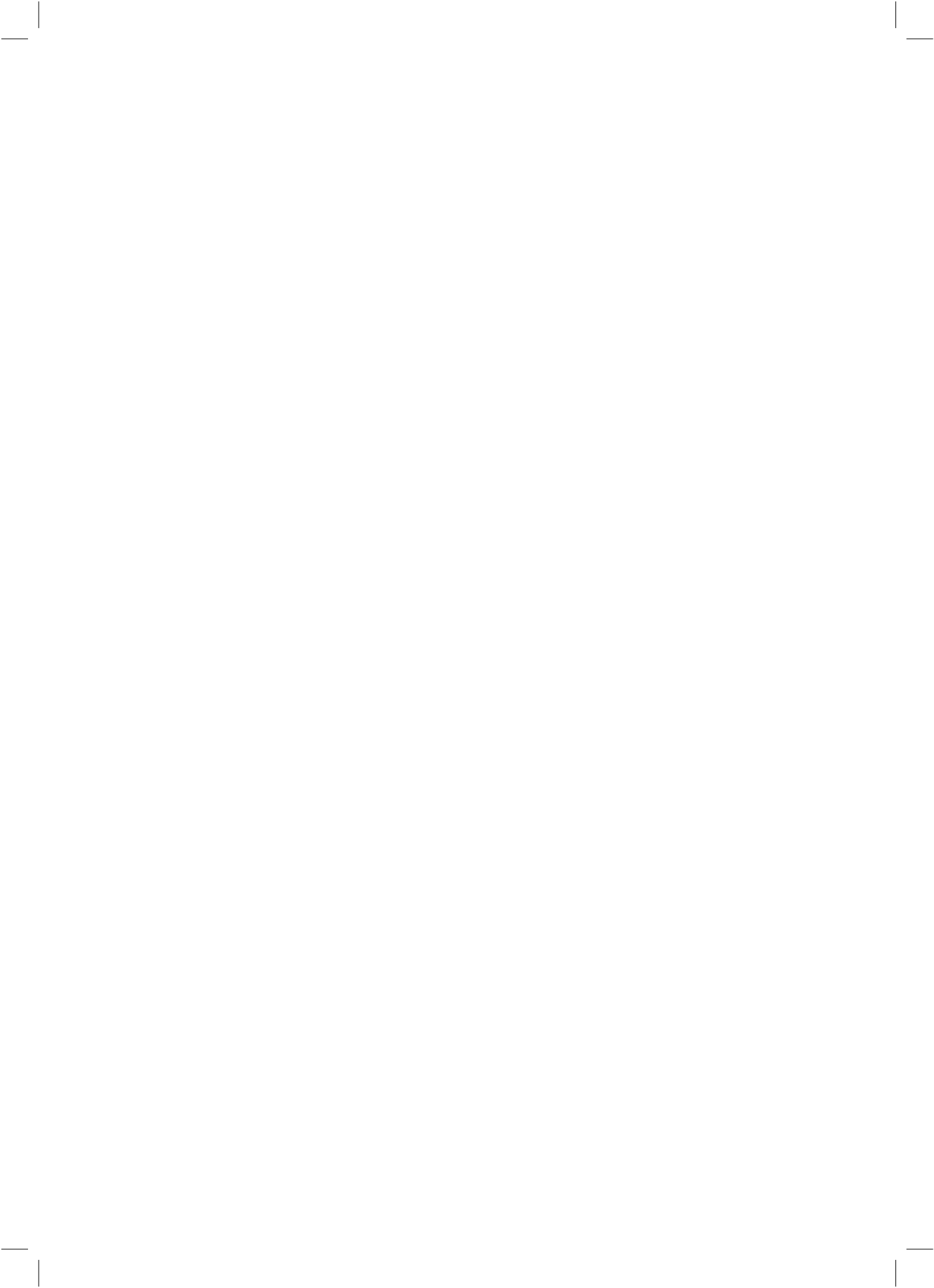
**Keywords:** Humanity -Sunnah of the Prophet-Social Construction-Philosophy of History.

## ملخص البحث

يتناول البحث تجليات إنسانية الإنسان في البناء الاجتماعي وفلسفة التاريخ من خلال السنة النبوية، ويتعرض في سياق ذلك لصياغة مفهوم الإنسان في ضوء هذه المعطيات مؤكداً على الخصوصية الإسلامية ومنفتحة على مقتضيات الكونية بالضوابط الشرعية، وهو في هذا كله يعمل على بيان حدود الإنسانية كما يطرحها الإسلام في مقابل الإنسانية الغربية المادية، وينص على أن الإنسانية هي مقصد لا يختلف فيه العقلاء، وإنما الإشكال المطروح في صياغة مقومات هذه الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية - الإنسان - السنة النبوية - البناء الاجتماعي - فلسفة التاريخ.





## مقدمة

تكتسي المسألة التاريخية والمسألة الاجتماعية أهمية بالغة في الحياة، فهما تُقدّر قيمة الإنسان وعليهما ينبنى كيانه ومن خلالهما تتبلور رؤيته الذاتية والكونية، وقد ظلّ الجانب الاجتماعي والجانب التاريخي ملاصقاً لكيونة الإنسان في مختلف العصور، كما أنه كان ولا زال محلّ اهتمام المفكرين والعلماء، بل إنّ كلّ حضارة نشأت ما كانت لتؤثر وتستقرّ وتُهيمن لولا قيامها على نظرة اجتماعية وقراءة للتاريخ معينة، ذلك أنّ هذين المعطين يُقدّمان فهماً معيناً للإنسان تنبثق عنه كلّ التشاريع والقوانين.

والسنة النبوية - باعتبارها نصاً تأسيسياً - لم تكن استثناءً، فقد اهتمت ببيان البناء الاجتماعي وفلسفة التاريخ لبناء النظرة الكونية الإسلامية المنبثقة من الوحي الإلهي، والناظر في تجليات هذين المعطين - أقصد التاريخي والاجتماعي - يرصد ملحظاً مهماً ومركزياً بل ومُطرداً، قوامه أنّ الرؤية الإسلامية الاجتماعية والتاريخية تعمل أساساً على إبراز إنسانية الإنسان وتكريمه والحفاظ على كيانه بتقديم أفضل نموذج يمكن أن يكون عليه الإنسان، وفي هذا الإطار يتنزّل هذا البحث الموسوم بـ«دور البناء الاجتماعي وفلسفة التاريخ في إبراز إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية».

### مشكلة البحث:

يُعالج البحث مشكلة إنسانية الإنسان باعتبارها مقصداً يُراد بلوغه، ويحاول أن يُفتش في الروابط بين المعطى الاجتماعي والتاريخي وبين الإنسانية عبر فحص البناء الاجتماعي وفلسفة التاريخ في السنة النبوية، واستخراج ما تتجلى من خلاله إنسانية الإنسان.

## إشكالية البحث:

ماهي تجليات إنسانية الإنسان في البناء الاجتماعي وفلسفة التاريخ من خلال السنة النبوية؟

## أهداف البحث:

- ١- بيان خصائص البناء الاجتماعي المكرّسة لإنسانية الإنسان في السنّ النبوية.
- ٢- بيان تجليات إنسانية الإنسان في القراءة الإسلامية للتاريخ.
- ٣- بيان دور السنة النبوية في صياغة الخطاب الإنساني انطلاقاً من المعطى الاجتماعي والمعطى التاريخي.
- ٤- التّصيص على ثراء السنة النبوية بالمعاني الإنسانية الكونية.
- ٥- صياغة مفهوم إنسانية الإنسان في السنة النبوية من خلال رصد التطبيقات وحشد التّجليات.

## أهميّة البحث:

- ١- معالجة قضية راهنة وهي «إنسانية الإنسان».
- ٢- التّصيص على أنّ الإسلام يحترم إنسانية الإنسان وي طرح لها مفهوماً راقياً.
- ٣- جمع عدّة مفردات متعلّقة بقضية الإنسانية من خلال تتبع نصوص السنة النبوية.
- ٤- توظيف التّداخل المعرفي بين علم الاجتماع وعلم التاريخ والعلوم الإسلامية لمعالجة قضية «إنسانية الإنسان».

## منهجية البحث

اعتمدت في هذا البحث على عدة مناهج منها:

المنهج الاستقرائي: خصوصاً في تتبع الأحاديث المكوّنة للبناء الاجتماعي الإسلامي، والأحاديث المعبرة عن فلسفة التاريخ.

المنهج الوصفي: اعتمده خاصة في وصف وتحليل الأحاديث التاريخية والاجتماعية، واستخراج قيم إنسانية الإنسان فيها.

المنهج المقارن: بالمقارنة أحياناً المنهج الإسلامي والمنهج الغربي المادي في تقرير إنسانية الإنسان.

عرض الدراسات السابقة ونقدتها

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسات تناولت موضوع توظيف المعطى الاجتماعي والتاريخي في إبراز إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية، ولكنني وقفت على بعض الدراسات المتعلقة بمسائل متعلقة بعموم قضية إنسانية الإنسان في الإسلام، ومنها:

١- إنسانية الإنسان في الإسلام للدكتورة آمنة محمد نصير (دار الشروق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م): وقد بحثت الدراسة مفهوم الإنسان في ظل الإسلام، وأوجه تكريمه من خلال معالجة مسألة الاستخلاف والأمانة والعلم والتكليف، ثم تناولت علاقة الحدود بإنسانية الإنسان كمحاولة للرد على شبهات تعارض بعض تشريعات الإسلام مع القيم الإنسانية.

٢- العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة للدكتور الطيب زبيدة (مقال في مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة عمر التليجي، الجزائر، العدد ٩،

سنة ٢٠٢١): وقد تناول المقال مسألة جزئية من مسائل إنسانية الإنسان وهي العلاقات الأفقية بين الإنسان والإنسان، وما جاء في السنة النبوية من ترشيدها والحفاظ عليها وتنظيمها في إطار كوني يراعي الخصوصية ويحفظ الهوية ويمنع الذوبان في الغير.

٣- حماية الكرامة الإنسانية في السنة النبوية للدكتورة خديجة تركستاني (مقال في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، السعودية، العدد ١٠٠، ٢٠١٣): بحث المؤلف في هذا المقال التشريعات التي جاءت في السنة النبوية والتي تعمل على حماية الكرامة الإنسانية بما في ذلك التشريعات الأخلاقية والتشريعات العقدية والتشريعات السياسية والاجتماعية، فكان أشبه بجمع لمظاهر الكرامة الإنسانية في السنة النبوية.

#### نقد الدراسات السابقة:

يمكن أن نرصد من خلال عرض ما سبق من الدراسات أوجه الجدة في هذا البحث، ومنها:

- ١- الربط بين المعطى الاجتماعي والمعطى التاريخ وبين إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية.
- ٢- العمل على صياغة مفهوم للإنسان والإنسانية في ضوء السنة النبوية من خلال البناء الاجتماعي والقراءة لفلسفة التاريخ.
- ٣- معالجة قضية الإنسانية في ضوء نصوص السنة النبوية دون غيرها.
- ٤- العمل على تأصيل الفكر الإنساني في السنة النبوية.
- ٥- توظيف التداخل بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية لإبراز إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية.

٦- تقديم استقراء تام لنصوص السنّة النبويّة بخصوص بعض المباحث كفلسفة التاريخ.

### المخطّط:

- ملخص البحث
- مقدّمة
- المبحث الأول: مفاهيم أساسية
- المبحث الثاني: تجلّيات إنسانية الإنسان في البناء الاجتماعي من خلال السنّة النبويّة.
- المبحث الثالث: دور فلسفة التاريخ في إبراز إنسانية الإنسان من خلال السنّة النبويّة.
- خاتمة

## المبحث الأول: مفاهيم أساسية

## ١- مفهوم علم الاجتماع

يدرس علم الاجتماع الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية<sup>(١)</sup>، ويُسمى بالفيزياء الاجتماعية<sup>(٢)</sup> أو البيولوجيا الاجتماعية<sup>(٣)</sup> أو علم المجتمع<sup>(٤)</sup>، ويمثل مجالاً علمياً مُفيداً للإنسان، فهو العين التي ندرك بها الفوارق بين الثقافات وتربنا العالم الاجتماعي من غير زاويتنا، وهو تقييم دقيق لآثار السياسات ومقياس لمدى نجاعتها وعمقها في التعاطي مع المكوّن الاجتماعي، علاوة عن كونه تفكيكا للذات وسبراً لأغوارها وتعزيزاً للمعرفة بها وببواعثها الكامنة وراء الأفعال والمواقف<sup>(٥)</sup>.

## ٢- مفهوم البناء الاجتماعي

وصف الأشكال البنائية وتحليل كل منها إلى عناصره الجزئية ودراسة العلاقات بين تلك العناصر بعضها مع البعض الآخر، وبحث الوظائف الاجتماعية لتلك العناصر<sup>(٦)</sup>.

## ٣- مفهوم فلسفة التاريخ

هي فرع معرفي يهتم «بمحاولة فهم مسار الأحداث التاريخية الإنسانية ككل محاولاً الوصول إلى علتها الكلية الشاملة»<sup>(٧)</sup>، وكان فولتير أوّل من استعمل اصطلاح فلسفة التاريخ في بحث نشره عام ١٧٥٦ في كتابه «مقال عن أخلاق

١- غدنز، أنتوني، علم الاجتماع (٤٧).

٢- تسمية سان سيمون

٣- تسمية كونت

٤- تسمية ماركس

٥- انظر: غندر، أنتوني (٥٣)

6- Rivers, W.H.R.1957: Social Organization Castes, London, P135

٧- النشاز، مصطفى، فلسفة التاريخ (٢٢)

الأمم وروحها»، وكان معناه عنده آنذاك لا يتجاوز مجرد تأمل التاريخ بطريقة المذهب العقلي، قبل أن يكتسب المصطلح معناه المشار إليه أولاً مع هيجل<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - الإنسانية

يشير مصطلح الإنسانية إلى مجموعة من معاني الإحسان إلى البشر وإعلاء قيمة الكرامة الإنسانية والاهتمام بالإنسان عموماً، وهذا القدر يكاد يكون متفقاً على حسنه بين جميع البشر<sup>(٢)</sup>.

ويجب التنبيه إلى أن الإنسانية المذكورة في هذا التعريف ليست محلّ جدل باعتبارها هدفاً نرثنا الوصول إليه، ولكنّ الطريقة التي نصل عبرها إلى هذا المقصد هو محلّ النزاع، ولأجل هذا ظهرت المقاربات والمذاهب، ومنها الإنسانية، وقد يُظنّ أنّ الإنسانية هي الإنسانية، ولكنّ الصواب أنّ الإنسانية إلى مذهب يفسّر كيفية تحقيق الإنسانية، وهو لا يعدوا أن يكون تصوراً فحسب، ومثله ما تقدّمه الأديان في مقاربة الإنسانية، ولذلك فالإنسانية مقصد، والوصول إليها هو الذي ينبغي أن يوضع على محك اختبار المشروعية.

وعليه، فإنّ مصطلح «إنسانية الإنسان» ذكر في البحث باعتباره هدفاً، وكُلّ ما سيقدم من تجليات وتصوّرات في ضوء السنّة النبوية هي منهج الإسلام في الوصول إلى هذه الإنسانية، وأنّ المقاربة المقدّمة تدرج ضمن ما رصدناه في مفهوم الإنسانية.

١ - النشاز، مصطفى، فلسفة التاريخ (٢٧-٢٨)

٢ - لو، ستيفن، الإنسانية: مقدّمة قصيرة جداً (٩)



## المبحث الثاني: تجليات إنسانية الإنسان في البناء الاجتماعي من خلال السنة النبوية

تعتبر القراءة في البناء الاجتماعي الإسلامي من خلال السنة النبوية سبيلاً للوقوف على خصائص الوحدة الأساسية محلّ البحث، وهي «الإنسان»، ورصد أبرز المقومات المشكّلة لمفهومه وقيّمته، وبناء المكاسب التي تُحقّق مقاصد إنسانيّته في ضوء هذا البناء، وهذا من أبرز ما يمكن أن يُدرس في سياق البحث عن إنسانية الإنسان في الفلسفات والمذاهب عموماً، وفي الإسلام خصوصاً، وذلك لكون البناء الاجتماعي هو الجزء الميداني العملي من حياة الإنسان، وفيه تنعكس المفاهيم النظرية، وتتحقّق المقاصد، وينال الإنسان منزلته وفق النموذج الاجتماعي المتّبع، لذلك فإنّ اختبار إنسانية الإنسان يجب أن تمرّ عبر المحكّ الاجتماعي كمؤشّر لهذه الإنسانية، وفيما يلي أبرز المقومات التي تبرز إنسانية الإنسان في البناء الاجتماعي في السنة النبوية:

١- تكريس السنة النبوية للإنسانية من خلال موقفها من ديناميكية السنن الحاكمة للمجتمع.

إنّ نظرة الاجتماعية تتضمن في طيّاتها تصوّراً للإنسان ومفهوماً للإنسانية لا محالة، فدراسة القوانين الحاكمة للمجتمع وفق تصوّر معين يمكننا من فهم النظرة للإنسان، وهذه القوانين تُعدّ محلّ إجماع في الوسط العلمي من حيث وجودها إلزاميتها وأطرادها، لكنّ المدارس تباينت في تحديد مصدرها وطبيعتها، وهنا تتحدّد أنماط تكريس الإنسانية وزاوية النّظر إليها فذهب ماركس إلى أنّ السلوك البشري محكوم بعناصر الإنتاج التي تُحدّد مسار حياته، أي أنّ إنسانية الإنسان محصورة في الجانب الإنتاجي وذهب ديكرت إلى أنّ الإنسان محكوم بحتمية اللاوعي لتكون الإنسانية عنده حبيسة اللاوعي، وادّعى دوركهايم خضوع

السلوك الإنساني لما يُسمّيه بالعقل الجمعي بما يجعل من الإنسانية نتاجاً طبيعياً للجبرية الاجتماعية، وادّعى رواد العلوم والإلحاد الجديد رفع الإرادة الحرة عن السلوك البشري والتزامه بالإكراهات البيولوجية والجينية دونما خروج عنها تماماً مثل أيّ حثالة كيميائية كما صرّح بذلك ستيفن هوكينغ، كلّ هذه النظريات تشترك في الجبرية التي يُفسّر بها إرادة الإنسان، فالبشر عندهم مُتَحَكِّمٌ في سلوكهم مُتَأَثَّرُونَ بما حولهم خاضعون لا حيلة لهم إلاّ المُجاراة، وهو ما رفضه الإسلام تماماً، حيث ناط السنن الكونية بالله العادل، وهو ما يمنح صفة الحرية كأساس للإنسانية من خلال التحرّر من كلّ سلطة غير إلهية، واعتبر السنن كونية أسباباً لها مآلات مُعيّنة، إلاّ أنّ اختيارات أعمالها تعود للإنسان، وهو مسؤول أمام أفعاله، والشبكة التي تحكم الكون ليست إلاّ جملة خيارات منضبطة يسير فيها الإنسان كما يُريد.

هذه النظرة تُعطي أكثر قيمة للإنسان وتُعلي من شأنه إزاء تصوّرات العدمية التي أفرزتها تيارات الحداثة وما بعد الحداثة، فبتعبير أوضح نقول «إنّ السنن الربّانية لا تفرض على الإنسان سلوكاً بعينه، إنّما تقول له إنّهُ إذا اختار كذا فالنتيجة الحتمية لهذا الاختيار هي كذا، فهي تدع له حرية الاختيار، ولكنها تُرتّب نتيجة مُعيّنة ثابتة لا تتغيّر، على الاختيار الحرّ الذي يختاره، وهي من ثمّ تكرم الإنسان إذ تدع له حرية الاختيار، وتتعامل في الوقت ذاته مع العنصر الإنساني فيه وهو الوعي والإرادة والحرية». فكأنّ السنّة النبوية تجعل من أساسيات تكريس الإنسانية الحرية والمسؤولية.

## ٢- تكريس الإنسانية من خلال الثابت الاجتماعي: الدين والأخلاق نموذجاً

تنطلق أغلب النظريات الاجتماعية من تحديد الموقف من مدى تغير العناصر الاجتماعية، وعليه يقوم البناء التحليلي للنظرية وتبني النظرية للإنسان والإنسانية، لأن النظريات الاجتماعية تنبثق عنها آثار تمس السلوك البشري الذي يعد ميداناً لهذه النظرية، لذلك ففضية الثابت والمتغير الاجتماعي تُعنى بالتكيس السلوكي للإنسانية وقد توجه كبار منطري علم الاجتماع إلى نفي الثبات عن كل العناصر الاجتماعية، واعتبارها كلها قابلة للتغير، حتى قال إميل دوركايم: «من هذا القبيل (يقصد محاولة تفسير الظواهر الاجتماعية بأن لها جذوراً في نفوس الأفراد) أن بعض هؤلاء العلماء يقول بوجود عاطفة دينية لدى الإنسان وبأن هذا الأخير مُزوّدٌ بحد أدنى من الغيرة الجنسية والبرّ بالوالدين ومحبة الأبناء، وغير ذلك من العواطف، وقد أراد بعضهم تفسير نشأة كل من الدين والزواج والأسرة على هذا النحو، ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان...، وحينئذ فإنه يمكن القول ببناء على الرأي السالف بأنه لا وجود لتفاصيل القواعد القانونية والخلقية في ذاتها»<sup>(١)</sup>، ولا غرابة في هذا، فمدرسة دوركايم تُعدّ من أهمّ محرّكات النسبية المعاصرة، والغريب أنها لقيت رواجاً واضحاً عند المتلقين العرب والمسلمين.

أما السنة النبوية فكانت صريحة في تقرير وجود مُعطيات اجتماعية ثابتة وقديمة قدم الإنسان، واعتبرتها مكوناً أساسياً للإنسانية تنتفي بانتفائه، وخلاصة نظرة السنة للإنسانية في ظل الموقف من المتغير والثابت، أن الإنسان لا يُحقّق الإنسانية إلا بتحقيق معطى الأخلاق ومعطى الدين، فالإنسان كائن ديني أخلاقي.

ونبدأ بقضية الأخلاق، فقد قال - صلى الله عليه وسلم - للأشجّ العصري:

١- دوركايم، إميل، قواعد في المنهج (١٦٨ - ١٦٩).

«إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: مَا هُمَا؟ قَالَ: الْأَنَاةُ وَالْحُلْمُ، قَالَ: شَيْءٌ جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَوْ شَيْءٌ أَتَخَلَّقُهُ؟ قَالَ: لَا بَلْ جُبِلْتُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، فأقرَّ بجبليَّة الأخلاق وإمكان الوصول إليها بمنأى حتى عن الإسلام ذاته، وبينَ فوقيتها عن كلِّ المؤثرات والتغيّرات، وهو ما يؤسّس لما يُسمّى بـ«موضوعية الأخلاق» ويُراد بها «أنَّ القيم الأخلاقية قائمة خارج النفس، ثابتة الوجود بعيدا عن تأثيرات الحسّ أو الذّوق أو أعراف المجتمع، ولها طابع الإلزام الذي يجده الإنسان في نفسه ولا يملك منه فكاكاً»<sup>(٢)</sup>، وهي مكوّن للإنسانية في الإنسان ومثاله من السنّة أيضا قول الرّسول -صلى الله عليه وسلّم-: «كُنْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ إِذْ لَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ تَحْمَلُونَ الْكُلَّ وَتَفْعَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمُ الْمَعْرُوفَ وَتَفْعَلُونَ إِلَى ابْنِ السَّبِيلِ»<sup>(٣)</sup>، فالأخلاق وفق الرؤية الإسلامية مُعطى موضوعي ثابت لا تكوّنه الأذواق ولا أنساق الاجتماعية، وأيّ تطوّر يطرأ عليها يُعدّ تشويهاً لها.

ويدعم هذا الطرح الواقع التاريخي الذي أكّد اتفاق البشرية منذ بدايتها على أغلب الأخلاق، حتّى قال سي. أس. لويس ردا على الرغم أن الحضارات لها مقولات أخلاقية مختلفة بصورة واسعة: «إنها كذبة، كذبة عظيمة جدا. لو يذهب شخص ما إلى المكتبة، ويمضي أياما في قراءة «موسوعة الدّين والأخلاق»؛ فسيكتشف بسرعة الاتفاق الهائل في اختيارات العقل العملي الناس. سيجمع من ترانيم بابل إلى ساموس، ومن قوانين مانو إلى كتاب الموتى، وتعاليم كونفوشيوس، والرواقين، والأفلاطونيين، والسكان الأصليين لأستراليا والهنود الحمر، الاستنكارات المتكررة الحماسية نفسها للقمع والقتل والعذر والباطل، والأوامر نفسها بالعطف على كبار السن، والصغار، والضعفاء، والصدقة،

١- أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره -صلى الله عليه وسلّم- عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، ذكر أشج عبد القيس رضي الله عنه، (١٢ / ١٧٨)

بهذا اللفظ. وصححه ابن حجر في الفتح (ابن حجر، فتح الباري (١٠ / ٦٠))

٢- العامري، سامي، براهين وجود الله (٢٢٧)

٣- الحاكم، المستدرک، كتاب الأطعمة، النهي الواضح عن تحصين الحيطان والنخيل (٤ / ١٣٣). بهذا اللفظ

والنزاهة، والصدق»<sup>(١)</sup>، لتكون بذلك الأخلاق - وفق الإسلام - قانوناً موضوعياً ثابتاً لا يطرأ عليه التغيير، ولا ينبغي أن يتكيف الفكر البشري مع ما فرضه التشويه المجتمعي للأخلاق حتى يعتبرها أمراً أخلاقياً كالمثلية مثلاً، وهذا الثبات الأخلاقي الذي يدعو إليه الإسلام يُلقى بظلاله على الممارسة الاجتماعية.

وبهذا يضع الإسلام حداً للنسبية التي تهدر القيمة الإنسانية وتؤصل للعدمية العنيفة، بل وللوقوع في مزلق إعدام الإنسان، فالمجتمع إذا احتكم إلى نظرية نسبية الأخلاق ألغى كل تحسين وتقبيح عقلي أو حتى ديني، ومنع النصيحة، إذ كل يرى ما يمارسه أخلاقياً بوجه من الوجوه، ومهدد لشرعنة العنف والتمييز والعنصرية والقتل وسلعة المرأة تحت مسميات المساواة والتطور والإرهاب وحفظ الجنس البشري.

كذلك عد الإسلام التدين مسألة ثابتة أصلية في الإنسان، ومكوناً أساسياً للإنسانية، فالإنسان متدين بطبعه، والدين يكرس الإنسانية، وفي هذا يقول - صلى الله عليه وسلم -: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدَعَاءَ؟». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]<sup>(٢)</sup>، فالإنسان يولد على قابلية للمعرفة الصحيحة هي بمثابة طريق السيارة الذي يوصل للمراد ما لم يطرأ ما يعكّر المسار، «والتاريخ البشري يحدثنا بأن الدين مكون مركزي في سائر الحضارات والأمم، والدراسات الأنثروبولوجية تؤكد ذلك بالكشف عن سريان هذه الظاهرة في التجمعات البشرية، وعلوم

1- C. S. Lewis, "The Poison of Subjectivism," in C. S. Lewis, Christian Reflections, Walter Hooper, ed. (Grand Rapids: Eerdmans, 1967), p. 77.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٩٤ / ٢) بهذا اللفظ، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٥٢ / ٨) بمثله

النفس والسوسيوولوجي كذلك تخبرنا، وغيرها بل بدأت تتشكل مجالات معرفية خاصة لدراسة هذه الظاهرة على وجه الخصوص، فأحد الفروع المعرفية الحديثة نسبياً، والتي تفرعت عن علوم الأعصاب (Neuroscience) ما بات يعرف بـ (Neurotheology) وهو مصطلح مركب من (Neuro) أعصاب، و (Theology) علم اللاهوت، وهو مجال بحثي يسعى للكشف عن طبيعة الصلة والعلاقة بين الجهاز العصبي في الإنسان وظاهرة التدين. وبات من المؤلف في كثير من الدراسات حول هذه المسألة، التعبير عن فطرية التدين بأن الدين أشبه ما يكون قد تم تسليكه في الإنسان (Religion is hardwired in humans) حتى بات مكوناً صميمياً فيه ويقول هنري برجسون: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة»<sup>(١)</sup>.

هذا الثبات في وجود النزعة الدينية في الإنسان مهم جداً في تكوين الرؤية الكونية وتحديد التصور الاجتماعي، بل والتأثير على مسار المجتمع، وفي هذا يقول الدكتور الدرّاز: «إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند هذا الحد. فليست كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهديب السلوك، وتصحيح المعاملة، و تطبيق قواعد العدل، ومقاومة الفوضى والفساد؛ إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة. ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم، لا يعدله رباط آخر من الجنس، أو اللغة، أو الحوار أو المصالح المشتركة.»<sup>(٢)</sup> وهو من أبرز ما يحقق إنسانية الإنسان ويثبت قيمة الإنسان ويُعلي من شأنه عبر ترشيد سلوكه وغرس الكواشف التي تُؤدّي به إلى مراعاة طبيعته والرقّي إلى منزلته الأصلية.

1- henri Bergson, les deux sources de la morale et de la religion, p 10

## ٣- تكريس الرؤية الكونية للإنسانية

لا يمكن أن ينفك الإنسان عن رؤية كونية تُشكّل مدار حياته، ومنها تنبع تفاعلاته، ودافعه السلوكي والثقافي، وهو إزاءها مُقيّد بما تفرضه عليه من الإلزامات الإيمانية النافذة فيه قطعاً، كما قال جلن شولتز: «إننا نجد على أسس حياة كل إنسان، إيمانياته. وتُشكّل هذه الإيمانيات قيمه التي تقود أعماله»<sup>(١)</sup> فلا تكاد نجد إنساناً إلا وله عقيدة تنبثق عن نظرتة للكون وللحياة ولنفسه حتى، ولا يُقصدُ هاهنا العقائد الدينية حصراً، بل تشمل مُطلق القناعات والمُنطلقات مهما كان كُنه تشكُّلاتها، أي مطلق «التصوّر الكوني المُعلن أو المضمّر الذي منه تندفع العواطف العفوية من القلب، وتنبجس الأفكار الفاعلة من الذهن»<sup>(٢)</sup>، فَمَنْ رامَ التعرّف على النظريات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، كان لزاماً عليه إدراك التصوّر الأساس الذي تُبنى عليه، وهي ملامح الرؤية الكونية بكلّ أبعادها، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا أنّ الكون ميدان النظرية، وأنّ الحياة تراخيها الزمنيّ وامتدادها التاريخي، ولنا أن نتأكد من عميق أثر الرؤى الكونية في النظريات المختلفة بمجرد دراسة النماذج الأشهر في التاريخ، ومنها النموذج الماركسي، والنموذج العلمي، والنموذج الديني.

والإسلام في بناء نموذج الاجتماعي، اعتمد على رؤية كونية تحقّق للإنسان إنسانيته من خلال مقوّم الثبات ومصدر الحرية ومعيار الأفعال، وهنا نتحدّث عن مركزية وجود الذات الإلهية الفاعلة في حياة الإنسان ومسار تحقيقه للإنسانية، خصوصاً وأنها ذات عنها صدر الخلق وقامت الخلائق وسُطرت الأحداث وسار الكون، وهو - سبحانه - الأوّل والآخر، والمتفرد بكلّ صفات الكمال والمنزّه عن كلّ نقصان، كما قال - صلى الله عليه وسلّم - : «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ

1- Glen Schultz, Kingdom Education (Nashville, TN: LifeWay, 1998), p. 39.-

٢- العامري، سامي، براهين وجود الله (٤٨)

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>، وقد يُظنُّ بأنَّ «الله» مجرد عقيدة نظرية ليس لها أي تأثير على الحياة والرؤى الكونية، والواقع أنَّ معظم الاختلافات العميقة بين النَّاسِ مرَدُّها هذا الأصل، فنفي الوجود الإلهي يستدعي نفي كلِّ ما هو غيبي ميتافيزيقي، ويهدم كلَّ ما هو موضوعي متعالٍ عن التأثير، لتتأسس النظرة المادية للكون، وهي أنَّ العالم كُله مادة، وما كان بخلاف ذلك فليس إلاَّ عدماً، وأيضاً النظرة النسبية التي ترفع عن كلِّ الوجود صفة الثبات مُطلقاً بما في ذلك الأخلاق والفطرة فضلاً عن الله تعالى ذاته، ومن ثمَّ كان الإخلال بأصل الوجود الإلهي منطلق المادية والنسبية الاجتماعية. وفي المقابل إثبات وجود الله عزَّ وجلَّ أضفى على بعض العناصر الاجتماعية ثباتاً، وألزم وجود أسباب ميتافيزيقية فاعلة في الكون لا تتقيَّد بالمعيار الطبيعي الفيزيائي، ليأتي إرساء النظرية الاجتماعية من منطلق المراوحة بين الأسباب المشاهدة والأسباب غير المشاهدة، وبه ندرك عمق الشَّرْح الحاصل لكلِّ تصوُّر اجتماعي يقوم على إلغاء الصَّانع الأوَّل، والميتافيزيقي تبعاً له، فالإسلام تحدَّث عن عدَّة أمور عدَّها أسباباً مؤثِّرةً في الكون والحياة، والأصل أنَّها غيبية، كالدعاء.

ثمَّ إنَّ تراخي الحياة في ظلِّ الوجود الإلهي يستطيل إلى ما يُسمى بالحياة الأخروية التي تبدأ بعد انتهاء الحياة الدنيا، وفيها تستردُّ المظالم ويُجازى الإنسان، وتتحقِّق الوعود، ويحلُّ العدل الإلهي بناءً على ما حصل في الحياة الدنيا، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ.»<sup>(٢)</sup>

لذلك كان البناء الاجتماعي المعتبر بالحياة الأخرى لا يشبه البناء الاجتماعي

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (٩ / ١٢٤)  
٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٨ / ١٨) بهذا اللفظ.



القائم على أُحَادِيَّةِ الحَيَاةِ، وهي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وتَتَأَثَّرُ تَبَعاً لِدَلِكِ حَتَّى مِنْطَلَقَاتِ السُّلُوكِ وَانضِبَاتِهِ، وَهِنَا يَطْرَحُ الإِسْلَامُ مَفْهُومَ الرِّقَابَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ الإِحْسَانُ، حَيْثُ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَنْ تَعْبُدَ اللهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(١)</sup>، وَهُوَ مَا يُجَلِّي إِنْسَانِيَّةَ الإِنْسَانِ مِنْ خِلَالِ مِرَاقَبَةِ سُلُوكِهِ وَتَحْدِيدِ بُوَصْلَتِهِ فِي اتِّجَاهِ مَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ كَمَا كَمَا أَرَادَ صَانِعُهَا.

#### ٤ - الطَّبِيعَةُ الإِنْسَانِيَّةُ

إِنْ تَحْدِيدُ الطَّبِيعَةِ الإِنْسَانِيَّةِ هِيَ فِي أَسَاسِ تَحْقِيقِ الإِنْسَانِيَّةِ، فَخِصَائِصُ الإِنْسَانِ تَعْطِي فِكْرَةَ عَلَى مَحْدَّدَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي تَصَوُّرٍ مَعْيَّنٍ، فَيَعْتَبَرُ الإِسْلَامُ مِثْلًا الإِنْسَانَ مَخْلُوقًا مُزْدَوَجَ التَّكْوِينِ، بِجَانِبِهِ المَادِّيِّ وَجَانِبِهِ الرُّوْحِيِّ، وَأَصْلُ خَلْقَتِهِ جُعِلَتْ لِتَتَكَيَّفَ مَعَ مُهْمَّتِهِ الكَوْنِيَّةِ حَصْرًا، حَتَّى إِنْ النُّظْرَةَ الفَاحِصَةَ لِكُنْهَ تُحِيلُنَا مُبَاشَرَةً عَلَى اتِّصَالِهِ العَضْوِيِّ بِالكُونِ وَاللَّهِ، أَيِ المِثْلِ العِلَاقِيِّ المَكُونِ لِمَحْدَّدَاتِ التَّصَوُّرِ الإِسْلَامِيِّ عُمُومًا، وَالإِنْسَانِ فِيهِ مُؤَثَّرٌ وَمُتَأَثِّرٌ، يَصْنَعُ كِيَانَهُ مِنَ القُدْرَاتِ وَالقُوَى العَقْلِيَّةِ وَالشُّعُورِيَّةِ وَالجَسَدِيَّةِ المُوَدَّعةِ فِيهِ، وَمِنْ مَوْقِعِهِ مِنْ سِوَالِ الوجودِ، وَيَتَوَسَّلُ بِالمُتَاحِ لِلوَصُولِ إِلَى اللهِ، وَتَمَثَّلُ المَوْكَلِ إِلَيْهِ بِعَيْنِ التَّكْلِيفِ الإِلَهِيِّ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ مُرِيدٌ مُخْتَارٌ، لَهُ مِنَ الحُرِّيَّةِ مَا تَحْسِنُ مَعَهَا المَحَاسِبَةَ عَلَى الخِيَارَاتِ، مُكْرَّمٌ بِتَكْرِيمِ اللهِ لَهُ، وَالكُونِ كُلَّهُ مُسَخَّرٌ لَهُ، أَمَدَهُ اللهُ بِالعَقْلِ وَفَضَّلَهُ بِالعِلْمِ، فَأَيُّ مُعَالَجَةِ أُحَادِيَّةِ الزَّأْوِيَةِ لِلإِنْسَانِ قِمْنَةً بِتَشْوِيهِهِ وَهَدْرَ قِيمَتِهِ وَطَعْنَ فِي إِنْسَانِيَّتِهِ.

١ - أخرج البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن الله عنده علم الساعة (٦ / ١١٥) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (١ / ٣٠) بنحوه.

## ٥- دور النظرية الاجتماعية الإسلامية في تكريس الإنسانية: المقاربة الإيبستيمولوجية نموذجاً<sup>(١)</sup>

تبنّي كلّ النظريات العلمية على نموذج معرفي أساس، يضبط مجالها، ويحدّد آلياتها، ويرصد مُقدّماتها، ويُميّز مصادرها، فهي تعمل في فلكه وتنظر للعالم والحقائق من منظوره، وأيّ نتاج علمي مهما كان مجاله لا بُدّ أن ينبثق عن خيار معرفي مُعيّن، بما في ذلك التّصوّرات الاجتماعية، وهي ذاتها محلّ نزاع بسبب اختلاف مرجعيّات المقاربات المعرفية أساساً.

ثمّ إنّ ما يحقّق إنسانية الإنسان، وجود مرجعية مراعية للخصوصية البشرية، وكاشفة لغوامض الحياة يهتدي بها الإنسان ويستنير، ويحسّ بالاهتمام والرعاية الإلهية وفق ما يخدم مصالحه ويراعي طبيعته.

في هذا المعترك العلميّ، يحظى الإسلام بتصوّر اجتماعي بلوره نموذج المعرفيّ، وأقصد به "جملة المقدمات المعرفية والمنطقية المتولدة من الرؤية الإسلامية للعالم، والتي تعتبر أساساً ميتافيزيقياً للنموذج، وتستنبط هذه المقدمات من قراءة الوحي والكون، ومن قراءة نقدية واعية للتراث الإسلامي و للتراث الإنساني، وتحدّد تلك المقدمات طبيعة المعرفة ومصادرها ووسائلها وغاياتها"<sup>(٢)</sup>، وما يهّمنا هنا السنّة النبوية، باعتبارها مرجعاً أساسياً للنموذج المعرفي الإسلامي، فقد تحدّث بوضوح عن النظرية الاجتماعية في الإسلام، وجعلت قوامها أولاً النظرة التوحيدية، الداعية إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وعدم الإشراف به، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ

١- انظر للتوسّع: عبد الحليم، مهور، إشراف ميلود سفاري، التّأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع: مقارنة في إسلامية المعرفة، جامعة السّطيف، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤، رسالة دكتوراه (١٨٩ / ٢٧٠)

٢- م.ن، ص ٢٢٩.

مُحَمَّدًا رَسُلُ اللَّهِ...»<sup>(١)</sup>، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»<sup>(٢)</sup>، فتفرّع عن هذه النظرة أبعاد معرفيّة منها «البعد الأول: وهو وحدة المعرفة التي يجب بمقتضاها أن تسعى كل العلوم إلى طلب معرفة الحقيقة بمنهج عقلي موضوعي نقدي، وهذا سوف يريحنا وإلى الأبد من الزعم الذي يقسم العلم إلى «عقلي» و «نقلي» بما يوحى بأن الثاني غير عقلي؛ أو يقسمه إلى دراسات «علمية ومطلقة» وأخرى «اعتقادية نسبية»، والبعد الثاني: وهو وحدة الحياة التي بمقتضاها يجب أن تأخذ كل العلوم في اعتبارها الطبيعة «الهادفة» للخلق وتعمل على خدمتها، وهذا سيقضى وإلى الأبد على الزعم القائل بأن بعض العلوم عظيم القيمة وبعضها محايد أو عديم القيمة، وأمّا البعد الثالث: فهو وحدة التاريخ التي يجب بمقتضاها أن تعترف كل العلوم بأن النشاط الإنساني كله ذو طابع اجتماعي أو مرتبط بالأمة، وأن تعمل على خدمة أهداف الأمة في التاريخ. وهذا سوف يقضى على تقسيم العلوم إلى «فردية» و «اجتماعية» مبرزا - وعلى الفور - جميع العلوم على أنّها إنسانية الطابع وذات ارتباط بالأمة.»<sup>(٣)</sup>، والإنسان في كنف التوحيد ينظر للدنيا والمجتمع بنزعة الحرّيّة التي تفكّ قيوده وتوسّع نطاق تفاعله وتربطه بالله المتعالّي عن الوجود، وهي تزكية للنفس البشريّة وعتق لها من سجن الأفكار والمعتقدات الفاسدة.

كما تحضر في النموذج المعرفي الإسلامي قضية الإيمان بقوة، فيطرح جدليّة الدين والمعرفة، ويُقدّم أطروحة مميزة أساسها أنّ «الإيمان ليس مجرد مقولة

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (١ / ١١) بهذا اللفظ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - بني الإسلام على خمس (١ / ٣٤) بنحوه مطوّلاً.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومادون قوم كراهية أن لا يفهموا (١ / ٣٧) بهذا اللفظ

٣- إسماعيل راجي الفاروقي، أسلمة المعرفة - المبادئ العامة - خطة العمل - الانجازات (٥)

أخلاقية، بل هو في الحقيقة، وفي المقام الأول مقولة معرفية، وهو بتعبير آخر، مفهوم مرتبط بالمعرفة وبصحة الأخبار التي يتأسس عليها<sup>(١)</sup>، ثم تأتي مقولة المرجعية لتُحدّد لنا مصادر المعرفة في الإسلام، والتي تنحصر في الوحي قرآناً وسُنّةً، وفي العقل، ملكة الإدراك والعلم، فالرؤية الإسلامية القومية التي يتكامل فيها الوحي والعقل والكون، ويصرف فيها العقل المسلم إلى النظر والدبر والعمل في عالم الشهادة وشؤونه، كما يوجهه الوحي، هي الرؤية التي مكنت السلف الأول ناصية الإبداع، وفتحت أمام العقل السلم أبواب التجريب والنظر والتنقيب في سنن الحياة والكائنات، وفتحت للإنسانية آفاقاً جديدة في مجال الحضارة<sup>(٢)</sup>.

## ٦- دور المقاربة الأخلاقية في تكريس الإنسانية

الأخلاق مكوّن أساس في الحياة البشرية، لا يمكن إدراك الخصوصية الإنسانية بمعزل عن بلورة تصوّر جليّ حولها، وهي أحد أبرز محرّكات الإنسانية، وتحقيق قيمة الإنسان، فهي الأساس للسلوك، والدافع الاجتماعي الأصيل، ومن ثمّ فإنّ المقاربة الأخلاقية هي بالأساس لسان كلّ مذهب يقدم مقاربة للإنسانية، فالربط بين المنظومة الأخلاقية ومدى تحقيقها للإنسانية، هو الذي يعطي لهذه المقاربة المشروعية.

والإسلام في هذا المساق كان شديد العناية بها، حتّى جعلها النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- مقصد البعثة في قوله: «إنّما بعثت لأتمّم صالح الأعمال»<sup>(٣)</sup>، وتحدّث عن أركان النظرية الأخلاقية بوضوح، فبيّن مصدر الإلزام فيها، وهو

١- إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة (٨٩)

٢- عبد الحميد أبوسليمان، أزمة العقل المسلم (١٢٢)

٣- أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٢ / ١٨٧٩) بهذا اللفظ. وقال ابن عبد البر: حديث مسند صحيح (ابن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنته الموطأ من معاني الرأى والآثار) (٢٦ / ١٢٧)

الله، الذي أودع فينا فطرة الميل إلى الأخلاق الحسنة ونبذ السيئة، وجعل الأخلاق موضوعية كما بينت ذلك في معرض الحديث عن الحتمية والتغير، وهو ذات ما أكده كانط لما كشف عن مصدر الإلزام الأخلاقي في تلك الملكة العليا في النفس الإنسانية، والتي توجد مستقلة عن الشهوة وعن العالم الخارجي معاً<sup>(١)</sup>، أضف إلى ذلك الإلزام الذي يفرضه القرآن والسنة، فالأخلاق، وإن كانت موضوعية وقابلة للتعرّف العقلي، فإنّ الإنسان عرضة لمجانبتها تحت تأثير المجتمع وإكراهات الواقع، فكان من دور الدين تبني الأخلاق الحسنة والتّحذير من السيئة في وظيفة كشفية بالأساس، ومن ثمّ عدت النصوص الإسلامية المصدر الأساسي في الإلزام الأخلاقي، مخالفةً بذلك كثيراً من النظريات الأخلاقية التي - وإن اتفقت في وجوب الإلزام - فإنها تختلف في مصدر الأخلاق، فمنهم من يرجعها إلى الدين ومنهم من يرجعها إلى المجتمع وغير ذلك من الفرضيات المطروحة.

وينتج عن الإلزام الأخلاقي مسائل مهمّة يستدعيها البناء النظري الأخلاقي، منها المسؤولية، والتي تكون في النظام الأخلاقي عبارة عن خيارات متعدّدة يختار بينها الإنسان بناءً على إرادة حرّة تكون أساس الجزاء، وهو عنصر آخر من عناصر النظرية، والإسلام كما يرى أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان حرّية الاختيار وملّكه مسؤولية يجازى عليها خيراً أو شراً، بما في ذلك الالتزام بالأخلاق، لذلك نجد ردعاً بجزاء دنيويّ وأخرويّ عن بعض الأخلاق، وحثاً على أخرى، وهو أمرٌ يفرضه كلّ نظرية أخلاقية، وقد تحدّث الدكتور الدّراز في كتابه الدستور الأخلاقي في القرآن عن شروط المسؤولية الأخلاقية والدينية في الإسلام، فذكر منها، الطابع الشخصي للمسؤولية، والذي يجعلها فردية ذاتية متّصلة بالشخص، كقول النبيّ - صلى الله عليه وسلم -: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته»<sup>(٢)</sup>،

١- الدّراز، محمّد، دستور الأخلاق (٢٦)

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك (٨/ ١٠٢) بهذا اللفظ.

ثم ذكر الأساس القانوني ويشمل الإبلاغ بمضمون الأخلاق عبر طريقتين، أولاهما الفطرة وثانيهما الوحي، و تحدث أيضا عن الحرية التي تستدعيها المسؤولية، وجوهر العمل ذاته الذي يجب أن يكون مستحقاً للثواب والعقاب<sup>(١)</sup>.

هذه النظرية الأخلاقية وما لها من أسس معرفية وعقائدية ركيعة، نجحت في اختبار التطبيق الاجتماعي، فأُسست مُجتمعاً إسلامياً قوياً وراسخاً بصفات قيادية وتضامنية، ومُقومات فعالة حققت مقتضيات الإنسانية، وكان للدافع الديني الدور الأهم في بلورة الشخصية المسلمة والبناء الأخلاقي المطلوب، ومقاربة الإنسانية في أبهى حُلة، ومن أهم التجليات الأخلاقية المُكرّسة للإنسانية والمحافظة على قيمة البشر نذكر:

- الحياء: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الحياءُ خيرٌ كُلُّهُ»<sup>(٢)</sup>
- الصبر: «إِنَّ نَاسًا مِّنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»<sup>(٣)</sup>
- الرحمة: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»<sup>(٤)</sup>
- الرفق واللين: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي

١- الدرّاز، محمّد، دستور الأخلاق (١٣٤ / ٢٢٢)

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار (١ / ٩٠).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (١ / ٤٨١) ومسلم في صحيحه، كتاب كتاب الزكاة، باب فضل التّعفف والصبر (١ / ٤٢٦)

٤- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس (١ / ٧٥١) وأبو داود في سننه، أبواب الأدب، باب في الرحمة (١ / ١٠٤١). وقال الترمذي: «حسن صحيح»

عَلَى مَا سِوَاهُ» (١)

• إفشاء السلام قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٢)

• كَفَّ الْأَذَى: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (٣)

• الْعَفْوُ: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا» (٤)

• التَّوَاضُعُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - -: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» (٥)

• الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ: عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» (٦)

• الصَّدَقُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - -: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (١/ ٤٩٦) ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (١/ ١٠٧٦)

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن المحبة المؤمنون من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (١/ ٩٤)

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل؟ (١/ ١٩٧) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (١/ ٩٠)

٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع (١/ ١٠٧٥)

٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١/ ١١٧٦)

٦- أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين، حديث أنس بن مالك (٣/ ١٣٥) وقال شعيب: «صحيح».

وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا»<sup>(١)</sup>

- كفالة اليتيم: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا»<sup>(٢)</sup>.
- إكرام في الشيبة: عن أبي موسى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ»<sup>(٣)</sup>.

المبحث الثالث: دور فلسفة التاريخ في إبراز إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية.

لا يزال الوعي بالتاريخ خصيصة بشرية لم ينل شرفها غيره من الكائنات، وهي أحد أوجه التكريم الإلهي التي تتساق مع طبيعة الوظيفة الموكلة للإنسان خاصة، بل أحد أبرز دعائمها، فالتاريخ ليس مجرد ذاكرة جامدة تحوي أحداثاً متفرقة بلا رابط ولا معنى، وليس أيضاً أداة تتمتع بها قصاً وتلاوةً في المجالس والمحافل للتباهي والترفيه، وإنما هو إدراك لكيونة الإنسان وتحقيق لذاته وعلم بواقعه وصلة بين الأزمنة الثلاث، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، فلا معنى لوجودك في زمان ما دون مشروعية تراكمية زمنية سابقة تبين سلفك وتحدد موقعك الثقافي والحضاري والاقتصادي والسياسي وترسم مستقبلك، لذلك كانت قراءة التاريخ قراءة للإنسان نفسه وبحث عن إنسانيته، وكان الاختيار العلمي المعتبر أن حركة التاريخ ليست اعتباطية ولا عشوائية، بقدر ماهي شبكة أحداث متسعة جداً تربطها قوانين صارمة تقودها في مسار محدد، هذا التعقيد الذي يعتري حركة التاريخ

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: «أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١/ ٥٠٧) ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (١/ ١٠٨١).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً (١/ ٤٩٣).

٣- أخرجه أبو داود في سننه، أبواب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (١/ ١٠٢٣) حسنه الحافظ (ابن حجر، تلخيص الحبير، ج ٢، ص ٦٧٣).



كان محلّ بحث في «فلسفة التاريخ»،

وفي هذا كُله، ستكون قراءة فلسفة التاريخ هي بحث في قيمة مكوّن التاريخ وهي الإنسان، وتقرير مدى تحقّق إنسانيّته في ضوء هذه القراءة للتاريخ، ويمكن الوقوف هنا على عدّة تجلّيات لإنسانيّة الإنسان من خلال دراسة فلسفة التاريخ، ومنها:

### ١- تدخل الإنسان في صناعة الحدث التاريخي علامة على إنسانيّته

الإنسان في أغلب النظريّات التاريخيّة لا يعدو أن يكون بنية مُسيّرة ومُتحمّك فيها من قبل قوى تمثّل سنن التاريخ وقوانينه، والإنسان في كلّ هذا أشبه بالدمى، إمّا أن يقوده روح العالم حسب النظرة المثاليّة لهيجل، أو تسوقه وسائل الإنتاج حسب ماركس، أو أن يكون «مجرّد آلة بيولوجيّة أسيرة القانون الفيزيائي، والإرادة الحرّة غير موجودة»<sup>(١)</sup> كما هو تصوّر المذهب الفيزيائي، أو التّحكّم الإلهي المطلق دون اختيار بشري كما قال القديس أوغسطين في نظريّة العناية الإلهيّة، أمّا السنّة النبويّة فتصوّرها مختلف تماماً، فهي وإن أقرّت بالتّقدير الإلهي للأحداث التاريخيّة فإنّها لا تُجرّد الإنسان اختياره وحرّيّته في صناعة الفعل التاريخي وتحمل المسؤوليّة أمام الله، وليس في هذا تناقض بتاتاً، فمشيئة الله القدريّة تكمن في إعطاء الإنسان قابليّة الاختيار والمشيئة، وتحديد حريّة الإنسان بضوابط لا يتجاوزها تمثّلها طبيعة الإنسان وقدراته، وإعطاء شبكة اختيارات أمام الإنسان مضبوطة ومعينيّة، وأمّا مشيئة الإنسان فتكمن في اختياره من هذه الشبكة ما سيتحمّل به مسؤوليّة المآلات المنجرّة عن هذا الاختيار، والتي رصدتها التقدير الإلهي منذ الأزل بعلمه الأزلي دون أن يطّلع الإنسان على شيء من هذه الاختيارات ومآلاتها، ولذلك قال الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ

1- Stephen Hawking, The Grand Design (New York: Bantam Books, 2010), p 32.

فَيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى × وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى × فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى × وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى × وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى × فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى»<sup>(١)(٢)</sup>، فالإنسان هو أحد المؤثرين الأساسيين في الحدث التاريخي الذي ينتجه فعله بإمضاء الله ومشيتته، وهو المسؤول الأساسي أيضا عن أفعاله أمام الله، وله في هذه الحياة آليات تفكير ووعي يساهم في إرشاده وتوفيقه إلى حسن الاختيار، هذا التصور الإسلامي حول مسألة القدر من أكد محرّكات السعي والإبداع في المسار التاريخي، وهو دعيمة أساسية من دعائم تحمّل المسؤولية وعدم الاتكال وإثبات إنسانية الإنسان باعتباره فاعلاً تاريخياً أساسياً لا وحدة هامشية فحسب، ولا يلغي هذا القول حدوث على الإنسان من خارج مشيئة قد يكون هو متسبباً فيها وغير مرید لها، أو أنّ الله قدرها عليه فيكون مسيراً.

## ٢- ترشيد الصّراع الحتمي في التاريخ سبيل لتحقيق الإنسانية

تؤكد السنة النبوية حتمية الصراع وديمومته إلى نهاية التاريخ، وتراهن على قيمته في تشكيل الحضارات وبناء الأمم ناهيك عن تمخضه عن طبيعة بشرية فطرية مستحيلة الانفكاك، فيقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تأكيد هذا المعنى: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيَزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، وَالْحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُوحَى إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرُ مُلَبَّثٍ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَادًا،

١- الليل ٥-١٠

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر (٢/٩٦) وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٨/٤٦). بهذا اللفظ.

يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَعَقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ». <sup>(١)</sup>، ولعلّ هذا الطرح النبوي يكشف عن حقيقة حتمية الصراع في كل زمان، ودور هذا الصراع في بث ثقافة التحدي وحشد دوافع الإبداع والنهوض، ولو أنّ السنن الكونية قامت على الركود والاستقرار لمال الكلّ إلى ركن الأمان ولأحجم عن التقدّم والبناء، ف«التدافع والصراع المركز في جبلّة بني آدم يقود إلى تحريك الحياة نحو الأحسن، وتخطّي مواقع الركون والسكون والفساد، ومنح القدرة للقوى الإنسانية الخيرة كي تشدّ عزائمها وتصلق قدراتها المقاومة الصاعدة في غمرة التحدّيات المتعاقبة التي يطرحها الصّراع» <sup>(٢)</sup> وهو ما يؤكّده توينبي في نظريته التاريخية الحضارية لما قال: «واضح أنّ بدء الحضارات لم يكن نتيجة العوامل البيولوجية أو البيئة الجغرافية، كلّ تعمل بمفردها. فلا ريب أنّ نتيجة نوع ما من التفاعل بينها جميعا. وبعبارة أخرى، ليس العامل الذي نسعى للتعرف عليه شيئا مفردا لكنّه متعدد، هو ليس وحدة، لكنّه علاقة» <sup>(٣)</sup> مؤسّسا بذلك لنظرية التحدّي والاستجابة المبنية على توسيع نطاق الصّراع ليستغرق عدّة أبعاد حياتية تخصّ الإنسان، وهو معنى يتساوق مع عدّة تطبيقات إسلامية منها مفهوم الجهاد الذي جعل ذروة سنام الإسلام وعُدّ شرف المسلم وسبيل نشره للعقيدة وحفاظه على كينونة الإنسان وقيّمته وإنسانيّته، طبعا مع مراعاة ضوابط صارمة تخرجه من بيداء العبيّة والعدوان إلى سعة السلام والإحسان والهداية والدعوة.

والسنّة إذ تؤكّد حتمية الصراع قانوناً كونياً، فإنّها لا تحثّ عليه مطلقاً إلاّ بضوابط معيّنة، ولا تجعله مقصدا بقدر ما تعدّه واقعاً يجب التفاعل الإيجابيّ معه وترشيده وتكريسه فيما تمليه العقيدة والإيمان لتحقيق الإنسانية الإسلامية. ولعلّ

- ١- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الخيل، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (١/٧٠٦) بهذا اللفظ وقال الألباني: «صحيح» (الألباني، صحيح النسائي (٨/١٣٣)) وقال شعيب: «حسن» (أحمد، مسند الأمام أحمد، تخ شعيب الأرنؤوط، (٢٨/١٦٦))
- ٢- خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، (٢٤٢)
- ٣- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ (١/١٠١)

ثقافة الصراع في العقيدة الإسلامية تتجاوز البشر إلى الشيطان والنفس التي تُعدّ عدوّاً للجنس البشري، وعائقاً أمام تحقيق مقتضيات الاستخلاف والقيام بواجب الإيمان والطاعة والإعمار لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

### ٣- تعلق نواميس قيام الحضارات وسقوطها بالقيم الإنسانية في منظور السنّة النبويّة

أزاح الإسلام ثقافة شعب الله المختار الذي ينال الرضا ولو بالخطأ والمعصية كما عند اليهوديّة تكريسا لشموليّة الإنسانية لكل من حقق شروطها، وأغرق في نوط النجاح والفلاح بعمل الإنسان ذاته وإن كان ينتمي إلى العقيدة الصحيحة ظاهرا، بل جعل أساس الانتماء حصول المقتضى في ذات البشر، وهو مسلك التوفيق والريادة، ولذلك يأتي التهديد الإلهي للمسلمين بانهيار أمّتهم وسقوط رايّتهم إن هم أخلّوا بقوانين التاريخ التي هي ذاتها قوانين الإسلام، لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «فإنّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيْمَةٌ وَعَاقِبَةُ العَدْلِ كَرِيْمَةٌ وَلِهَذَا يُرَوَى: «اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً»<sup>(١)</sup>، وهو من كمال العدل الإلهي الذي يجعل مصائر النَّاسِ رهين أفعالهم، دون مفاضلة مسبقة بينهم، وتأسيس الإسلام على البعد الكونيّ مُلغيا بذلك الحواجز الجغرافيّة والتاريخيّة والعرقية وغيرها.

يبقى أهمّ ما يعيننا في هذا المبحث ليس مجرد وجود قوانين لقيام الحضارات وسقوطها رصدتها السنّة النبويّة، وإنما تعلق هذه القوانين بقيم إنسانيّة كونيّة تسعى إلى الحفاظ على الكينونة الإنسانيّة، ونوط تقدّمه الحضاري بالتزامه الإنساني، وتكريس مقوّمات الإنسانية.

١- ابن تيميّة، مجموع الفتاوى (٣١ / ١٦)

ف نجد في هذه القوانين حديثاً عن الظلم والنصيحة وكشف الكرب والصبر وعدم المذلة والعلم والاختلاف والركون إلى الدنيا والمعاصي بشتى أنواعها وقطع الأرحام وغيرها، والملاحظ أنّ كلّ هذه القوانين التي كشفت عنها السنّة النبويّة تتماهى مع القيم الإنسانيّة الكونيّة، وكأنيّ بالسنّة النبويّة تكشف لنا عن القانون الإلهي الذي يكرّس الإنسانيّة، وتجعلها ضمن مسمّى العبادة بما لها من طبيعة إلزاميّة وقداسة في النفس الإنسانيّة عموماً، وفي الإسلام خصوصاً، لذلك فالإنسان المسلم في ضوء التشريع الإسلامي مطالب حسب تشريعات دينه بمراعاة القيم الإنسانيّة ليس فقط من منطلق كونها عبادة فقط، وإنما باعتبارها سبيلاً لبناء الحضارات كما بيّن ذلك خالق الكون والإنسان ومسارات الحياة، وفيما يلي بيان تفصيلي لهذه القوانين الإنسانيّة النبويّة:

القانون	الدليل
الظلم	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاخْفُظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا . «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ عَبْدًا بِأَبِّ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا» <sup>(١)</sup>
المسألة	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاخْفُظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا . «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ عَبْدًا بِأَبِّ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا» <sup>(٢)</sup>
ثقافة وحدة المصير	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مِثْلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمِثْلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَغْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا» <sup>(٣)</sup>
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» <sup>(٤)</sup>
الصبر	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» <sup>(٥)</sup>

- ١- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (٤ / ١٥٣) بهذا اللفظ . وقال الترمذي حسن صحيح .
- ٢- انظر التخریج السابق .
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٣ / ١٣٩) بهذا اللفظ .
- ٤- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤ / ٤١) بهذا اللفظ . وقال: حسن .
- ٥- أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما (٢ / ٦٨٠) بهذا اللفظ . وقال شعيب: صحيح .

الكرب	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أَعْلَمَ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» <sup>(١)</sup>
العسر	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أَعْلَمَ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» <sup>(٢)</sup>
الاختلاف في الفروع البسيطة	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ قَالَ : وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بَعْضٌ ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَالَ : فَمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسِ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ أَشْهَدْهُ ، بِمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْهُ <sup>(٣)</sup>
العلم	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» <sup>(٤)</sup>
كثرة السؤال	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» <sup>(٥)</sup>
الاختلاف	عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرَأُ خِلَافَهَا فِجْتَتْ بِهِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرْتَهُ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكِرَاهِيَةَ وَقَالَ كَلَاكَمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَخْتَلَفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا <sup>(٦)</sup>

١- انظر التخریج السابق.

٢- انظر التخریج السابق.

٣- أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (٣/ ١٤٠٣). بهذا اللفظ. وهو حسن.

٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١/ ٣١) بهذا اللفظ، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٨/ ٦٠) بمثله.

٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، (٩/ ٩٤) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (٤/ ١٠٢) بمثله.

٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان (٤/ ١٧٥) بهذا اللفظ.

الزكون إلى الدنيا	عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ : وَرَأَى سَكَّةً وَشَيْئًا مِنْ آلَةِ الْحَرْثِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الذُّلُّ <sup>(١)</sup>
ترك الزكاة	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ ، إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَطْرَ » <sup>(٢)</sup>
المعصية	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ ، إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَطْرَ » <sup>(٣)</sup>
الاستعفاف والاستغناء	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَا يُكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » <sup>(٤)</sup>
اتباع القرآن والسنة	قال - صلى الله عليه وسلم - : « وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابُ اللَّهِ » <sup>(٥)</sup>
الوهن وحب الدنيا	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يُوشِكُ الْأُمُّ أَنْ تَدَاعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمئِذٍ ، قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْدِرَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ » <sup>(٦)</sup>

- ١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع (١٠٣/٣) بهذا اللفظ.
- ٢- أخرجه الحاكم في مستدرکه، كتاب الجهاد، ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت (١٢٦/٢) بهذا اللفظ وقال: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- ٣- انظر التخریج السابق.
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (١٢٢/٢) بهذا اللفظ.
- ٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٨/٤) بهذا اللفظ وزاد مالك في الموطأ «وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -» (مالك، الموطأ، كتاب القدر، النهي عن القول بالقدر (١٣٢٢/٣)).
- ٦- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (١٨٤/٤) بهذا اللفظ. وهو صحيح.



قطع الرّحم	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» <sup>(١)</sup>
دعاء المظلوم	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» <sup>(٢)</sup>
فتنة النساء	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ. فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: لَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» <sup>(٣)</sup>
القسوة	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» <sup>(٤)</sup>
الإعجاب بالنفس	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جَمَّتُهُ وَبَرْدَاهُ، إِذْ حُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» <sup>(٥)</sup>
إتلاف المال	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ» <sup>(٦)</sup>
ترك الجهاد	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلَالًا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» <sup>(٧)</sup>

- ١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق (٥٦ / ٣) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحريم قطيعتها (٨ / ٨) بمثله.
- ٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (١٢٨ / ٢) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (٣٨ / ١) بنحوه.
- ٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة فقراء (٨٩ / ٨) بهذا اللفظ.
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته (٧ / ٨) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته - صلى الله عليه وسلم - الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٧٧ / ٧) بنحوه.
- ٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء (١٤١ / ٧) بمعناه ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (١٤٨ / ٦) بهذا اللفظ.
- ٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها (١١٥ / ٣) بهذا اللفظ.
- ٧- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة (٢٩١ / ٣) بهذا اللفظ.

التبایع بالعینة	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» <sup>(١)</sup>
الجماعة	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ» <sup>(٢)</sup>
الحدود	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «حَدُّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا» <sup>(٣)</sup>
طلب الإمارة	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيْتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتِ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أَعْنَتْ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكْفَرْتُ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ» <sup>(٤)</sup>
الفاحشة	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَسَّ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...» <sup>(٥)</sup>
السَّفَاهة	الحديث السابق

- ١- انظر التخریج السابق.
- ٢- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٣٩ / ٤) بهذا اللفظ. وقال: حديث غريب.
- ٣- أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الحدود، باب إقامة الحدود (٥٧٥ / ٣) وهو حسن.
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم (١٢٧ / ٨) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (٨٦ / ٥) بنحوه.
- ٥- أخرجه ابن حبان في سننه، أبواب الفتن، باب العقوبات (١٤٩ / ٥) بهذا اللفظ وهو حسن.

فكلّ هذه القوانين الكونيّة المرصودة في السنّة النبويّة، والتي كشف عنها الإسلام باعتبارها محرّكات للتاريخ، تكرّس الإنسانيّة في أعظم تجلّياتها، فكأنّ السنّة النبويّة تقول في فهمها للكون بأنّ الخالق جعل قوانين التّاريخ مسكونة بما يحافظ على إنسانيّة الإنسان، وأنّ التّاريخ - وفق النظرة الإسلاميّة - جاء لينصف الإنسانيّة، فما فائدة أن يكون الظلم مدعاة لسقوط الحضارة والاختلاف مدعاة لانهيار المجتمع والفاحشة مدعاة للأمراض والأوبئة إلاّ طلبا للحفاظ على الإنسانيّة من خلال أعظم مؤثّر وهي قوانين الحياة، وكان دور السنّة النبويّة أن كشفت عن هذه القوانين المكرّسة للإنسانيّة والمعروضة في الجدول السابق، وكلّ قارئ لها يدرك تعلقها بالحفاظ على إنسانيّة الإنسان إمّا في بعده الحضاري أو في كيانه المادّي أو في تكوينه الهوّوي أو في تميّزه البشري أو غير ذلك من خصائص الإنسان الواجب تحقّقها.

## الخاتمة

انتهيت في هذا البحث إلى جملة من النتائج المهمة في بابها، أبرزها:

- ١- تميّز البناء الاجتماعي الإسلامي عن غيره من المقاربات الاجتماعية الغربية.
- ٢- قيام البناء الاجتماعي في السنة النبوية على إبراز إنسانية الإنسان وتكريمه وإعلاء شأنه.
- ٣- تعدّد مظاهر إنسانية الإنسان في القراءة الإسلامية للتاريخ من خلال السنة النبوية.
- ٤- نوط السنة لقوانين قيام الحضارات بالقيم الإنسانية بما يحثّ على تكريس الإنسانية.
- ٥- تفعيل الخطاب النبوي للدور الاجتماعي والتاريخي للإنسان، وأنّ هذا التفعيل أساس تحصيل مقتضيات الإنسانية الحقيقية.
- ٦- صياغة السنة النبوية للخطاب الإنساني انطلاقاً من المعطى الاجتماعي والتاريخي.
- ٧- ثراء السنة النبوية بالمعاني الإنسانية الكونية.
- ٨- صياغة السنة النبوية لمفهوم إنسانية الإنسان في السنة النبوية من خلال رصد التطبيقات وحشد التجليات.
- ٩- مركزية المعطى الأخلاقي في تحقيق إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية.
- ١٠- أهمية تداخل العلوم الإنسانية والاجتماعية في معالجة قضية إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية.

وفي هذا المقام، أوصي بـ:

- ١- تفعيل التّداخل المعرفي في معالجة القضايا من خلال السنّة الاجتماعيّة.
- ٢- إطلاق مشروع «معجم المصطلحات الإنسانيّة في السنّة النّبويّة» وتقسيمها حسب مجالات تكريسها كالمعطى الاجتماعي والمعطى التاريخي والمعطى الأخلاقي.

### قائمة المصادر والمراجع

- ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح البراك، دار طيبة، ط ١، ٢٠٠٥.
- أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أبو سليمان، ط ١، ١٩٩٠.
- أسلمة المعرفة - المبادئ العامة - خطة العمل - الانجازات، إسماعيل راجي الفاروقي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٥.
- براهين وجود الله، العامري، سامي، مركز تكوين، الرياض، ط ١، ٢٠١٧.
- التأسيس الإسلامي لعلم الاجتماع: مقارنة في إسلامية المعرفة، عبد الحليم، مهور، إشراف ميلود سفاري، جامعة السطيف، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤، رسالة دكتوراه.
- التفسير الإسلامي للتاريخ، خليل، عماد الدين، مؤسسه الرسالة، بيروت، ط ١.
- التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: السيد عمر، سنة، د. ط، ٢٠١٠، ص ٨٩.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط ١، ١٩٩١.
- دستور الأخلاق، الدرّاز، محمد، مؤسسه الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تح شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط ١، د. ت. ط.
- سنن أبي داود، أبو داود، تح محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، سنة، ط ١.
- سنن الترمذي، الترمذي، تح بشر عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
- صحيح البخاري، البخاري، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- صحيح مسلم، مسلم، تح فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط ١، د. ت. ط.
- علم الاجتماع، غدنز، أنتوني، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط ٤، ٢٠٠٥.
- فلسفة التاريخ، النشاز، مصطفى، شركة الأمل، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.

- قواعد في المنهج، دوركايم، إميل، ترجمة الدكتور محمود قاسم، دار القاهرة، مصر، ط٢.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١.
- مختصر دراسة للتاريخ، توينبي، ترجمة فؤاد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م، ط١.
- المستدرک، الحاكم، تح مصطفى عبد القادر عطا، ط العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
- مسند الإمام أحمد، أحمد، ط المكنز والمنهاج، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ

إنسانية الإنسان في السنة النبوية  
(التعامل مع الغير نموذجا)

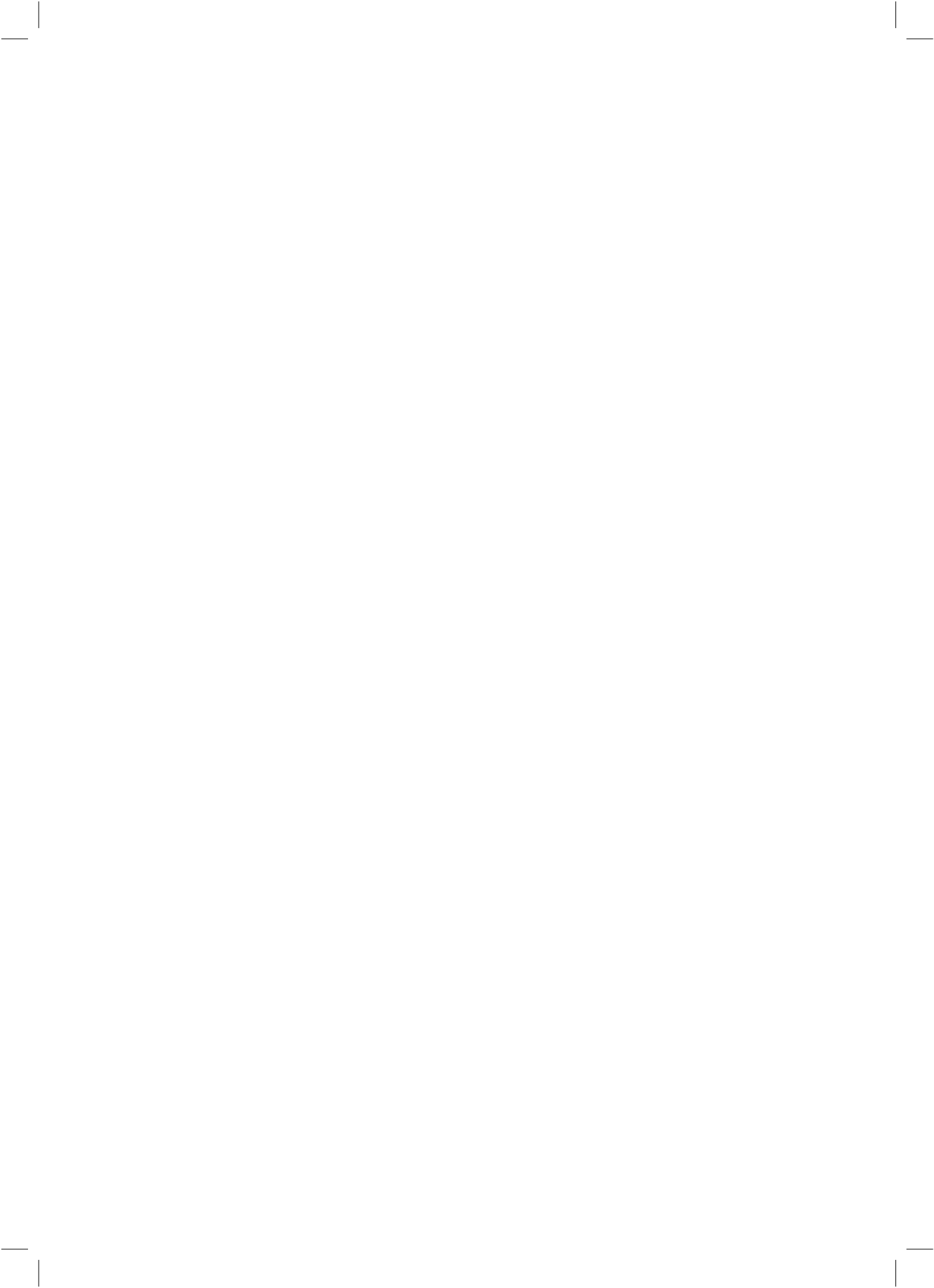
أ. د. هدى حسن صديق عبد السلام

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم- جامعة المنيا- جمهورية مصر العربية

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.04>







## Abstract

The Sunnah of the Prophet drew rules and controls for human interaction with others. We all know that material theories neglected the spiritual aspect of man, and focused on the purely material aspect, so man became like a deaf machine, executing what he is commanded without regard for those around him. Of the human beings, and accordingly, many people became devoid of humanity. As for the Sunnah of the Prophet, it took care of the human being in terms of being a human being devoid of any religious, social, sexual, ethnic... or other considerations.

**Keywords:** Humanity, Human, Prophetic Sunnah, treatment , others

## ملخص البحث

رسمت السنة النبوية قواعد وضوابط تعامل البشر مع غيرهم، متناولة في ذلك الجانب الروحي للإنسان، ومُعالِجة الجانب المادي، فكلنا يعلم أن النظريات المادية أغفلت الجانب الروحي للإنسان، واهتمت بالجانب المادي البحت، فأصبح الإنسان كالآلة الصماء، يقوم بتنفيذ ما يؤمر به دون مراعاة لمن حوله من بني البشر، وبناء على ذلك أصبح كثير من البشر مجردين من الإنسانية، أما السنة النبوية فقد اهتمت بالإنسان من حيث كونه إنسانا مجردا من أي اعتبارات دينية أو اجتماعية أو جنسية أو عرقية... أو غيرها، وبذلك تكون السنة النبوية قد أبرزت القيم الكونية الراحية لإنسانية الإنسان، فعالجت الجانب المادي ودعمت الجانب الروحي.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية، الإنسان،

السنة النبوية، معاملة، الغير



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد، ،

فإن الله تعالى قد كرم الإنسان، وفضله على سائر مخلوقاته، وسخر كل ما في الكون لخدمته، وأنعم عليه بنعمة الإنسانية، ومنحه القدرة على أن يرتقي بإنسانيته ليصل إلى أعلى المراتب والدرجات، كما أراد له الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالإنسان، وحفظت حقوقه، وحرمت الاعتداء عليه بأي شكل من الأشكال، وضمنت له سلامة نفسه وعرضه وماله، فالإنسان في الشريعة الإسلامية إنسانا مجردا عن كل الاعتبارات الدينية أو العرقية أو الاجتماعية... وخير من طبق هذا هو سيد الخلق أجمعين رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أمر بالاهتمام بالإنسان من حيث كونه إنسانا، دون اعتبار لجنس أو لون أو موطن... ووضع في ذلك القواعد والضوابط المنظمة التي تضمن سلامته وتحافظ على كرامته... سواء أكان مسلما أم غير مسلم، ذكرا أم أنثى، عربيا أم أعجميا، حيا أم حتى ميتا..

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع نفسه، فالموضوع يتعلق بأشرف العلوم بعد علوم القرآن الكريم وهو السنة النبوية، وإنه لشرف عظيم أن أحظى بعمل دراسة تتعلق بالسنة النبوية، خاصة وأن هذه الدراسة تلمس جانبا مهما من جوانب حياتنا ألا وهو تعامل الإنسان مع غيره من بني البشر، فقد رسمت السنة النبوية قواعد وضوابط تعامل البشر مع غيرهم، متناولة في ذلك الجانب الروحي للإنسان، ومُعَالَجَة الجانب المادي، فكلنا يعلم أن النظريات المادية أغفلت

الجانب الروحي للإنسان، واهتمت بالجانب المادي البحت، فأصبح الإنسان كآلة الصماء، يقوم بتنفيذ ما يؤمر به دون مراعاة لمن حوله من بني البشر، وبناء على ذلك أصبح كثير من البشر مجردين من الإنسانية، أما السنة النبوية فقد اهتمت بالإنسان من حيث كونه إنسانا مجردا من أي اعتبارات دينية أو اجتماعية أو جنسية أو عرقية... أو غيرها، وبذلك تكون قد أبرزت القيم الكونية الراحية للإنسانيته، فعالجت الجانب المادي ودعمت الجانب الروحي للإنسان، ولو اتبعنا ما جاء في السنة النبوية من قيم وإرشادات في تعامل البشر مع غيرهم، لنجونا جميعا، ولعاش الجميع في سلام وأمان ومحبة.

#### الدراسات السابقة:

إن الحديث عن موضوع (إنسانية الإنسان في السنة النبوية- التعامل مع الغير) ليس جديدا ولا فريدا في بابه، وإنما ورد ضمينا في كثير من كتب الأحاديث والسنن والسير والمغازي، وما صاحب ذلك من أحداث وأخبار وتفصيل، وقد تحدث العديد من الكتاب والمؤلفين ممن كتبوا التاريخ الإسلامي أو السير أو المغازي عن موضوع (إنسانية الإنسان في السنة النبوية- التعامل مع الغير) لكن بشكل عرضي، ولم تفرد له دراسة مستقلة، وأكثر من تحدثوا عن هذا الموضوع لم يذكروه بشكل مفصل، وأما جل الدراسات التي كتبت فيه ركزت على تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين، ومن هذه الدراسات:

- التعامل مع غير المسلمين - أصول معاملتهم واستعمالهم - دراسة فقهية، للدكتور: عبدالله بن إبراهيم بن علي الطريقي، الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء - بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - .
- التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية، تأليف: عبدالله بن عبدالعزيز حمادة الجبرين، الأستاذ بكلية المعلمين بالرياض.

• فن التعامل النبوي مع غير المسلمين الكاتب راغب السرجاني - دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة.

• التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، تأليف: ناصر محمدي محمد جاد - دار الميمان للنشر والتوزيع... وغير ذلك من الدراسات التي تدور حول هذا الموضوع.

جل هذه الدراسات وما شابهها تناولت تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين، وأمره بالنهاي عن أذاهم وظلمهم، وأمره أيضا بالإحسان إليهم والرفق بهم، وقبول هداياهم وعفوه عنهم.... وما إلى ذلك من أمور توضح سماحته وإنسانيته صلى الله عليه وسلم في التعامل مع غير المسلمين.

• وهناك دراسة أخرى بعنوان: إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم، للدكتور: حسين صبري - جامعة زايد - الإمارات العربية المتحدة. وهذه الدراسة تناولت تحليل لقضية التلازم بين «الاتساق» و «التمايز» في إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن هذه الدراسة والدراسات السابقة المذكورة، أغفلت بيان خصائص إنسانية الإنسان في السنة النبوية، ومنهج حفظها وترشيدها، الأمر الذي سيوضحه هذا البحث بإذن الله تعالى.

وجاء هذا البحث الموجز في مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة، وفيها أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث، وأدلة تكريم الله للإنسان.

- المبحث الأول: الأخلاق والآداب .
- المبحث الثاني: العلاقات بين البشر عامة .
- المبحث الثالث: العلاقات الأسرية، ويشمل مطلبين:
- المطلب الأول: علاقة الزوج بزوجته، ويشمل إحدى عشرة مسألة .
- المطلب الثاني: علاقة الأبناء بالآباء .
- المبحث الرابع: التعامل مع الخادم والأجير .
- المبحث الخامس: التعامل مع الجار .
- المبحث السادس: التعامل مع غير المسلمين .
- المبحث السابع: التعامل مع الإنسان بعد الممات .
- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث .

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يستر العيب، ويسد الخلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد: تعريف كلمة إنسان، وأدلة تكريم الله تعالى للإنسان:

تعريف كلمة إنسان:

إن الحروف الأصلية الثلاثة لكلمة إنسان هي (الهمزة - والنون - والسين)، هذه الحروف الثلاثة لها اشتقاقات عديدة في العربية، فتأتي تارة اسم ك (أنس)، وتارة صفة للدلالة على الطمأنينة والونس والسكن ك (أنس)، وتارة فعل ك (أنس - أنس) للدلالة على أفعال كثيرة مثل: عَلِمَ أو أَحَسَّ أو عَرَفَ أو أَبْصَرَ أو شاهد... كل هذه المعاني تدل على أن كلمة الإنسان هي اسم جنس لكائن حيٍّ مفكِّر قادر على الكلام المفصَّل والاستنباط والاستدلال العقلي، يقع على الذَّكر والأنثى من بني آدم، ويطلق على المفرد والجمع... وهو اسم سورة من سور القرآن الكريم، وهي السُّورة رقم (٧٦) في ترتيب المصحف...<sup>(١)</sup>.

أدلة تكريم الله تعالى للإنسان:

من المعلوم أن الله تعالى قد كرَّم الإنسان، وفضله على سائر مخلوقاته، وسخر كل ما في الكون لخدمته، وأنعم عليه بنعمة الإنسانية، ومنحه القدرة على أن يرتقي بإنسانيته ليصل إلى أعلى المراتب والدرجات، وهذا التكريم الإلهي للإنسان قد اتخذ صوراً وأشكالا متعددة، منها:

شرفه بأن خلقه بيده، ويا له من تشريف وتكريم وتعظيم، فمن صور تكريم الله تعالى للإنسان أنه خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه الكريمة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾

١ - د أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ١ / ١٢٨ - ١٣٠.



[سورة ص: ٧١-٧٢]، ليس أدل على تكريم الله للإنسان من أنه خلقه بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه المقدسة، وأمر الملائكة بالسجود له، إلا أن هذا السجود - كما فسره الإمام الطبري - سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة<sup>(١)</sup>.

١- كرمه بأن فضله على كثير من الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: أَي جَعَلْنَا لَهُمْ كَرَمًا أَي شَرَفًا وَفَضْلًا، وَهَذَا هُوَ كَرَمٌ نَفِي النُّقْصَانِ لَا كَرَمَ الْمَالِ، وَهَذِهِ الْكِرَامَةُ يَدْخُلُ فِيهَا خَلْقُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فِي امْتِدَادِ الْقَامَةِ وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَحَمَلُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا لَا يَصِحُّ لِحَيَوَانَ سِوَى بَنِي آدَمَ أَنْ يَكُونَ يَتَحَمَّلُ بِإِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَتَخْصِيصَهُمْ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ، وَهَذَا لَا يَتَسَعُّ فِيهِ حَيَوَانَ اتَّسَاعَ بَنِي آدَمَ، لِأَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ الْمَالَ خَاصَّةً دُونَ الْحَيَوَانَ، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ وَيَأْكُلُونَ الْمَرْكَبَاتِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، وَغَايَةُ كُلِّ حَيَوَانَ يَأْكُلُ لَحْمًا نَيْئًا أَوْ طَعَامًا غَيْرَ مُرَكَّبٍ<sup>(٢)</sup>.

٢- كرمه بأن ميزه بالعقل والنطق والتفكير، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١-٤]، قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (الإنسان) يُرَادُ بِهِ جَمِيعُ النَّاسِ فَهُوَ اسْمٌ لِلْجِنْسِ، وَ(الْبَيَانَ) عَلَى هَذَا الْكَلَامِ الْفَهْمُ، وَهُوَ مِمَّا فَضِّلَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَ<sup>(٣)</sup>.

٣- كرمه بأن خلقه في أجمل صورة وأحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤]، قال الإمام الطبري - رحمه الله -: أَي فِي أَعْدَلِ

١- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ١٧ / ١٠١.

٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٩٣.

٣- السابق ١٧ / ١٥٣.

خلق، وأحسن صورة<sup>(١)</sup>.

٤- كرمه بأن سخر له كل ما في الكون لخدمته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، قال الإمام القرطبي - رحمه الله: ذَكَرَ نِعْمَهُ عَلَى بَنِي آدَمَ، وَأَنَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ وَمَلَائِكَةَ تَحْوِطُهُمْ وَتَجِرُّ إِلَيْهِمْ مَنَافِعَهُمْ، ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عَامًّا فِي الْجِبَالِ وَالْأَشْجَارِ وَالثَّمَارِ وَمَا لَا يُحْصَى. ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾ أَيَّ أَكْمَلَهَا وَأَتَمَّهَا<sup>(٢)</sup>.

٥- كرمه بأن خلق كل البشر من نفس واحدة، وجعل لهم نفس الأب ونفس الأم، فلا تفاضل بينهم إلا بالإسلام والتقوى والعمل الصالح، وأنهم جميعا مشتركون في الأخوة الإنسانية، فلكل منهم حق على الآخر، كوجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم جميعا في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: المراد بالنفس آدم عليه السلام، و ﴿مِنْهُمَا﴾: يَعْنِي آدَمَ وَحَوَّاءَ... و ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: حَصَرَ ذُرِّيَّتَهُمَا فِي نَوْعَيْنِ، فَاقْتَضَى أَنَّ الْخُنْثَى لَيْسَ بِنَوْعٍ، لَكِنَّ لَهُ حَقِيقَةً تَرُدُّهُ إِلَى هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ وَهِيَ الْأَدَمِيَّةُ فَيُلْحَقُ بِأَحَدِهِمَا<sup>(٣)</sup>.

٦- كرمه بأن حفظه من الشرك والضلال، وأرسل الرسل لهدايته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [١٠٧]، وقال أيضا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

١- الطبري ٢٤ / ٥٠٧.

٢- القرطبي ١٤ / ٧٣.

٣- السابق ٥ / ٢.

[الحديد: ٢٥]... وغيرهما العديد من الآيات التي تدل على أن الله تعالى لما خلق الإنسان لم يتركه لهوى نفسه الأمانة بالسوء، وإنما أرسل إليه الرسل وأنزل الكتب السماوية لهدايته، وحفظه من الشرك والضلال.

وصور تكريم الله تعالى للإنسان والمحافظة على إنسانيته كثيرة ومتنوعة، وقد أردت الإشارة إليها بشكل شديد الاختصار، لتكون تمهيدا لهذا البحث الموجز، فالحديث عن هذه المسألة يحتاج إلى أبحاث ورسائل عدة، وأختتم هذه الجولة الموجزة بقول الشيخ عبد الله دراز - رحمه الله -: إن الكرامة التي يقرها الإسلام للشخصية الإنسانية ليست كرامة مفردة ولكنها كرامة مثلثة: كرامة هي عصمة وحماية، وكرامة هي عزة وسيادة، وكرامة هي استحقاق وجدارة..<sup>(١)</sup>.

وقد جاء هذا البحث ليوضح إنسانية الإنسان في السنة النبوية في موضوع تعامل الإنسان مع غيره من بني البشر كالزوجة والأبناء والجيران والخادم، والتعامل مع غير المسلمين، وكذا التعامل مع الإنسان حتى بعد وفاته...، ولفظة (التعامل) من المعاملة، ومصطلح المعاملة مصطلح واسع وفضفاض، ويشمل كل أمور الحياة المتعلقة بتعامل الإنسان مع كل من حوله من بني البشر، وكل ما حوله من البيئة المحيطة به من حيوان، أو نبات، أو ماء، أو أرض.... وغير ذلك.

قال ابن منظور - رحمه الله -: المعاملات: جمع معاملة... عامَلْتُ الرجلَ أُعَامِلُهُ مُعَامَلَةً<sup>(٢)</sup>.

وفي الاصطلاح: المعاملة هي الأحكام الشرعية المتعلقة بالأمور الدنيوية، أو هي التي تطلق على الأحكام الشرعية المنظمة لتعامل الناس في الدنيا<sup>(٣)</sup>. قال ابن عابدين - رحمه الله -: اعْلَمْ أَنَّ مَدَارَ أُمُورِ الدِّينِ عَلَى خَمْسَةِ أُمُورٍ: الإِعْتِقَادَاتِ،

١- محمد عبد الله دراز، نظرات في الإسلام ص ١١١، ط / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٢- ابن منظور، لسان العرب ١١ / ٤٧٦.

٣- محمد رواس قلعجي، معجم لغة الفقهاء ص ٤٣٨.

وَالْأَدَابِ، وَالْعِبَادَاتِ، وَالْمَعَامَلَاتِ، وَالْعُقُوبَاتِ...<sup>(١)</sup>.

والتأمل في المعاملات الإسلامية يلحظ أنها قائمة على ضوابط وقواعد شرعية، هدفها مصلحة الفرد والجماعة، وقد تميزت المعاملات في الإسلام بالتوسط والاعتدال، فلا إفراط مفضي إلى الملل، ولا تفريط مفضي إلى التقصير، وكلاهما - أي الإفراط والتفريط - مفضي إلى الترك، لذا فقد انتهج الإسلام منهجا وسطا بين الإفراط والتفريط، للمحافظة على ديمومة واستمرار العمل، قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، قال الإمام القرطبي - رحمه الله: وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ، وَأَصْلُ هَذَا أَنْ أَحْمَدَ الْأَشْيَاءَ أَوْسَطُهَا<sup>(٢)</sup>. وقال ابن كثير - رحمه الله: وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَطًا، خَصَّهَا بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ وَأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الأول: الأخلاق والآداب

مما لا شك فيه أن الشريعة الإسلامية كيان واحد لا يتجزأ، ونظرية شاملة لكل مناحي الحياة من عبادات ومعاملات وأخلاق وسلوك وفكر وعقيدة....، ولا يمكن تطبيق أحكامها في جزء ومنع تطبيقه في آخر، فلا يمكن تطبيق أحكام الشريعة في العبادات وترك تطبيقها في المعاملات أو الأخلاق أو السلوك...، فالشريعة الإسلامية ليست عبادات فقط أو معاملات فقط.... وإنما هي كيان كامل لا يتجزأ، فمثلا لا يمكن القيام بما أمر الله تعالى به من العبادات، ولم تنهى هذه العبادات صاحبها عن الغيبة أو النميمة أو سوء الظن أو قول الزور أو أذى الجار.... وما إلى ذلك من الصفات السيئة التي يجب ألا ينعت بها مؤمن.

١ - حاشية ابن عابدين ١ / ٧٩.

٢ - القرطبي ٢ / ١٥٣.

٣ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٢٧.

ومن المعلوم أن تطبيق العبادات لا بد أن يكون مقرونا بحسن الخلق، لأن العبادات بطبعها تهذب النفس، وتزكي اللب، وترقق القلب...، فإن لم تكن كذلك فليس لله حاجة في أن يؤديها العبد، فالعبادات مرتبطة ارتباطا وثيقا بحسن الخلق، والسنة النبوية مليئة بالمواقف والأحداث التي تؤكد على حسن الخلق، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة، ولم لا؟ وقد خاطبه الله تعالى قائلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، قال الإمام الطبري - رحمه الله -: أي وإنك يا محمد لعل على أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال الأخلاق والآداب، ما يلي:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو نبي الله تعالى لم يكن متشددا متعصبا، بل كان كريم الطبع، لين الجانب، متواضعا، رقيقا، كريما، كان يمزح أصحابه ونساءه، ويداعب الصبيان، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المريض، ويواسي الحزين، ويقبل عذر المعتذر...، وإن الإنسان ليعجز عن حصر صفاته الحسنة وأخلاقه النبيلة، وقد اختصر الإمام أنس بن مالك - رحمه الله - هذه الصفات في قوله فيما رواه الإمام البخاري - رحمه الله -: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»<sup>(٢)</sup>.

وأيضا عن أنس رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَبَقَ النَّاسُ

١- الطبري ٢٣ / ٥٢٨.

٢- أخرجه البخاري، باب الكنية للصبي وقيل أن يولد للرجل، ٨ / ٤٥، رقم (٦٢٠٣).

إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا»<sup>(١)</sup>. قال ابن حجر - رحمه الله -: «اقتصار أنسٍ على هذه الأوصافِ الثلاثِ مِنْ جوامِعِ الكَلِمِ لِأَنَّهَا أُمَّهَاتُ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

٢- ومن صور إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضاً في مجال الأخلاق والآداب: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان دائم الحث على حسن الخلق والإيتاء بكمارم الأخلاق بل إنه اشترط حسن الخلق لاكتمال الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(٣)</sup>.

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٤)</sup>. قال ابن حجر - رحمه الله -: أي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ناطقاً بالفحش وهو الزيادة على الحد في الكلام السيء، (ولاً متفحشاً) والمتفحش: المتكلف لذلك، أي لم يكن له الفحش خلقاً ولا مكتسباً... وحسن الخلق اختيار الفضائل وترك الرذائل»<sup>(٥)</sup>.

١- السابق، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ١٣/٨، رقم (٦٠٣٣). (أحسن الناس): أي أحسنهم خلقاً وخلقاً، (وأجود الناس): أي أكثرهم بدلاً لما يقدر عليه، (وأشجع الناس): أي أكثرهم إقداماً مع عدم الفرار... (وفزع أهل المدينة): أي سمعوا صوتاً في الليل يخافوا أن يهجم عليهم عدو، (فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت): أي إنه سبق فاستكشف الخبر فلم يجد ما يخاف منه فرجع يسكنهم، (لم تراعوا): هي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيساً وإظهاراً للرفق بالمخاطب.

٢- ابن حجر، فتح الباري ١٠/٤٥٧.

٣- أخرجه الترمذي، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٢ / ٤٥٧، رقم (١١٦٢)، وقال: حسن صحيح.

٤- أخرجه البخاري، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ٤ / ١٨٩، رقم (٣٥٥٩). ومسلم في الفضائل باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم رقم (٢٣٢١). (فاحشاً): ناطقاً بالفحش. (متفحشاً): متكلفاً في الفحش، يعني أنه لم يكن الفحش فيه خلقاً أصلياً ولا كسبياً، والفحش في الأصل الزيادة بالخروج عن الحد المألوف، والمراد به هنا سوء الخلق وبذاءة اللسان ونحو ذلك.

٥- فتح الباري ٦ / ٥٧٥

٣- ومن صور إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا في مجال الأخلاق والآداب: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان دائم الحلم لا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، فقد أخرج الترمذي في سننه عن أبي إسحاق، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ فَاخِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيُصْفَحُ»<sup>(١)</sup>.

٤- ومن صور إنسانية الإنسان في السنة النبوية في جانب الأخلاق والآداب أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ناصحا لأبي هريرة رضي الله عنه، ومبيناً للأخلاق الإسلامية، قال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنَعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسَنُ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا.....»<sup>(٢)</sup>، هذه هي الأخلاق الإسلامية التي يدعو إليها الإسلام، بعيدة عن البغض والكره والحقد والأذى.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، فقد بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٣)</sup>. قال الإمام أحمد - رحمه الله: قال ابن عبد البر: (لأتمم صالح الأخلاق) يدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل، فبذلك بُعث ليتممه<sup>(٤)</sup>.

والكلام عن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال حسن الخلق والآداب السامية لا ينضب ولا ينفذ، ويحتاج لأبحاث ورسائل عدة... لذا أختتم

- ١- أخرجه الترمذي، باب ما جاء في خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٣/ ٤٦٧، رقم (٢٠١٦) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
- ٢- أخرجه ابن ماجه، باب الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، ٢/ ١٤١٠، حديث رقم (٤٢١٧)، حكم الألباني: صحيح.
- ٣- أخرجه أحمد في مسنده ١٤ / ٥١٣، رقم (٨٩٥٢)، وقال: حديث صحيح.
- ٤- المصدر نفسه.

هذه الجولة القصيرة الموجزة بقول لفضيلة الإمام محمد الغزالي - رحمه الله - :  
 ظهر من هذه التعاليم - أي تعاليم الإسلام - أن الإسلام جاء لينتقل بالبشر خطوات  
 فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا  
 الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عدَّ الإخلال بهذه الوسائل خروجًا عليه  
 وابتعادًا عنه، فليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي  
 أصول الحياة التي يرتضيها الدين، ويحترم ذويها، وقد أحصى الإسلام بعدئذٍ  
 الفضائل كلها، وحثَّ أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة، ولو جمعنا أقوال  
 صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم في التحلي بالأخلاق الزكية؛ لخرجنا بسفر  
 لا يُعرف مثله لعظيم من أئمة الإصلاح<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: العلاقات بين البشر عامة

من مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في موضوع العلاقات بين البشر  
 عامة: أن النبي صلى الله عليه وسلم راعى الإنسان في كل حالاته، ووضع في  
 ذلك القواعد والضوابط المنظمة، هذه القواعد والضوابط ليست صعبة أو  
 شديدة بحيث يصعب على الإنسان فعلها من أجل الآخرين، ولكنها قواعد سهلة  
 مبسطة يستطيع الإنسان أن يأتيها ويمنعها الآخرين وهو في أبسط حالاته، لا تكلف  
 فيها ولا تشدد، مراعيًا في ذلك ظروف وأحوال جميع البشر على اختلافهم،  
 ومن هذه الأمور:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز للمتخاصمين أن يتهاجرا، لكن بحدود  
 بحيث لا يتعدى الهجر أكثر من ثلاثة أيام، فيعرض هذا ويعرض هذا،  
 وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، وهنا يجب التنبيه على أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم راعى ظروف وأحوال البشر، فالنفس البشرية مجبولة على الغضب،

١- محمد الغزالي، خلق المسلم، ص ١٣.



وألا تقبل من يخالفها أو ينازعها، ولم يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من المتخاصمين أن يتصالحوا في أول وقت الخصام، ولا أمرهم بقطع العلاقات بينهم، والمبالغة في الهجر والتباعد، وإنما انتهج منهاجاً وسطاً بين هذا وذاك، فأمر بالهجر لكن بحدود، بحيث لا يتعدى ثلاثة أيام، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرَضُ هَذَا وَيُعْرَضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»<sup>(١)</sup>. قال الإمام النووي - رحمه الله -: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليالٍ، وإباحتها في الثلاث الأولى بنص الحديث والثاني بمفهومه، قالوا وإنما عفي عنها في الثلاث؛ لأن الأدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك، فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حجر - رحمه الله -: ظاهر الحديث إباحة الهجر في الثلاث، وهو من الرفق؛ لأن الأدمي في طبيعته الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك، والغالب أنه يزول أو يقل في الثلاث<sup>(٣)</sup>.

٢- ومن صور إنسانية الإنسان في السنة النبوية في هذه المسألة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد راعى ظروف البشر وأحوالهم، فأراد أن يخفف ما بهم من آلام وأوجاع، وحاول إزالة ما في نفوسهم من ضيق وحزن، متخذاً في ذلك أبسط الأشياء، وهي الكلمة الطيبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الكلمة الطيبة صدقة»<sup>(٤)</sup>. قال ابن بطال - رحمه

١- أخرجه البخاري، باب الهجرة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ»، ٢١/٨، رقم (٦٠٧٧). ومسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، ٤/١٩٨٤، رقم (٢٥٦٠). (يهجر) يقطع. (يعرض) بوجهه وينصرف. (خيرهما) أفضلهما وأكثرهما ثواباً.

٢- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٦/١١٧.

٣- فتح الباري ١٠/٤٩٥.

٤- أخرجه البخاري، باب طيب الكلام، ٨/١١.

الله: الكلام الطيب مندوب إليه وهو من جليل أفعال البر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيه الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ويحسن موقعها من قلبه فاشتبهها من هذه الجهة، ألا ترى أنها تذهب الشحناء وتجلي السخيمة<sup>(١)</sup>.

٣- ولم تقف مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية عند هذا الحد، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل التبسم في وجه الآخرين صدقة يؤجر عليها صاحبها، فأمر بالتبسم في وجه من نقابلهم؛ لأن التبسم في وجه الآخرين يشعرهم بسعادة كبيرة، أو يخفف عنهم ما بهم من ألم أو ضيق أو هم، فالتبسم جالب للود مناف للكبر، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم التبسم في وجه الآخرين - وهو أبسط الأمور - صدقة، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ<sup>(٢)</sup>». قال المناوي - رحمه الله -: يعني إظهارك له البشاشة والبشر إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة<sup>(٣)</sup>.

٤- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ<sup>(٤)</sup>». قال ابن بطال - رحمه الله -: فيه أن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو مناف للتكبر وجالب للمودة<sup>(٥)</sup>.

١- ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٢٥ / ٩.

٢- أخرجه الترمذي، باب ما جاء في صنائع المعروف، ٤٠٤ / ٣، رقم (١٩٥٦)، وقال: حديث حسن غريب.

٣- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢٢٦ / ٣.

٤- أخرجه البخاري، باب من لا يثبت على الخيل، ٤ / ٦٥، رقم (٣٠٣٦). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه رقم (٢٤٧٥). (ما حجني): أي ما منعتني من دخول داره، أي كان يأذن كلما استأذن، وليس معناه أنه يدخل بدون استئذان أو يرى أزواجه.

٥- ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٩٣ / ٥.

٥- كما تظهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في أبهى صورها في مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم للإنسان في جميع ظروفه وأحواله ومنها مسألة النصح والإرشاد، فمن المعلوم أن النصح والإرشاد بين البشر مطلوب، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بعدم المبالغة فيهما؛ حتى لا يشعر الآخرين بالملل والسامة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا»<sup>(١)</sup>. قال ابن بطال - رحمه الله -: أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرفق بأمته؛ ليأخذوا الأعمال بنشاط وحرص عليها، وقد وصفه الله تعالى بهذه الصفة، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]<sup>(٢)</sup>. وقال الإمام النووي - رحمه الله -: في هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لئلا تملأ القلوب فيفوت مقصودها<sup>(٣)</sup>. وقال ابن حجر - رحمه الله: يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ تَرْكِ الْمَدَاوِمَةِ فِي الْجِدِّ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَشْيَةَ الْمَلَالِ<sup>(٤)</sup>.

٦- ويظل الإنسان في السنة النبوية إنسانا مجردا من أي اعتبارات دينية أو عرقية أو اجتماعية...، وقد ظهرت إنسانية الإنسان في أجمل وأفضل صورها في مسألة رد الأذى، فقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر في التعامل بين البشر، فأمر بعدم المبالغة في رد الأذى، بل اعتدال ورفق، فعن عائشة، رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتَهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ

١- أخرجه البخاري، بابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُم بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمُ كَيْ لَا يَنْفِرُوا، ١ / ٢٥، رقم: (٦٨). (يتخولنا بالموعظة): يتعهدنا مراعىا أوقات نشاطنا ولا يفعل ذلك دائما، (كرهة السامة): لا يجب أن يصيبنا الملل.

٢- ابن بطال ١ / ١٥٣.

٣- النووي، المنهاج ١٧ / ١٦٤.

٤- فتح الباري ١ / ١٦٣.

وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>. قال ابن بطال - رحمه الله -: في هذا الحديث أدب عظيم من أدب الإسلام، وحض الرفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه؛ لأن الرسول عليه السلام ترك مقابلة اليهود بمثل قولهم، ونهى عائشة من الإغلاط في ردها<sup>(٢)</sup>.

٧- واختتم هذه الجولة الماتعة في بيان إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال العلاقات بين البشر بما رواه الترمذي في سننه عن أبي ذر رضي الله عنه، أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>. قال الأمير الصنعاني - رحمه الله -: فيه إشارة إلى أن الصدقة لا تنحصر فيما هو أصلها، وهو ما أخرج به الإنسان من ماله متطوعاً فلا تختص بأهل اليسار، بل كل أحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال من غير مشقة، فإن كل شيء يفعل به الإنسان أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه البخاري، بابُ الرَّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، ٨ / ١٢، رقم (٦٠٢٤).

٢- ابن بطال، ٩ / ٢٢٦.

٣- أخرجه الترمذي، بابُ مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، ٣ / ٤٠٤، رقم (١٩٥٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

٤- الصنعاني، سبل السلام ٢ / ٦٣٧.

### المبحث الثالث: العلاقات الأسرية

يقصد بالعلاقات الأسرية: طبيعة الاتصال والتفاعل الذي يكون بين أعضاء الأسرة الواحدة، وذلك كعلاقة الزوج بزوجته، أو علاقة الآباء بالأبناء، أو علاقة الأبناء بعضهم ببعض.... وهكذا.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال العلاقات الأسرية، ما يلي:

١- أن السنة النبوية اهتمت بالإنسان باعتباره المحور الأول في الأسرة، والأسرة هي أساس تكوين المجتمع، وهي المنظمة الاجتماعية الأولى التي تشكل شخصية الفرد، وهي التي تربي لدى أبنائها الوعي الاجتماعي، وهي التي ترسخ القيم والمعتقدات في نفوسهم...، لذا فقد وضحت السنة النبوية خصائص إنسانية الإنسان في العلاقات الأسرية، وبيّنت مقوماتها ومنهج حفظها وترشيدها، وبذلك تكون السنة النبوية قد عالجت الإنسان من جميع الأمراض المعنوية التي قد تصيبه من فرط طغيان النظريات المادية التي أصبحت مسيطرة على العالم أجمع، والتي أغفلت الجانب الروحي له واهتمت بالجانب المادي البحت، فاخفت القيم والأخلاق الحميدة بين البشر، وأصبح الإنسان كالآلة الصماء، التي تعمل دون تفكير، وكل همه تحقيق النتائج المطلوبة أيا كان الأمر، دون أدنى تفكير فيمن حوله، هذه النظريات المادية قامت بقتل الإنسانية الموجودة داخل الإنسان والتي خلقه الله بها وفطره عليها، وفي السنة النبوية علاج لكل هذه الأمراض، فقد أعادت السنة النبوية للإنسان إنسانيته، وحرّرتة من القيود المادية التي حاوطته وقيده، وفي اتباع نهجها الخلاص والملاذ.

٢- أظهرت السنة النبوية كيفية تعامل النبي صلى الله عليه وسلم - وهو المثل

والقدوة - مع أفراد أسرته جميعا، فعلى الرغم من حياته المليئة بالمسؤوليات والالتزامات إلا أنه كان أفضل زوج، وأفضل أب، وأفضل قائد أسرة في التاريخ كله، فلم تمنعه هذه المسؤوليات والالتزامات من رعاية أسرته، وإعطاء كل فرد فيها حقه، فهو زوج وأب وقائد أسرة تحوي بين جنباتها أكثر من زوجة، وكلنا يعلم ما يكون بين الزوجات من غيرة ومنافسة ومواقف لا تخفى على أحد، هذا إذا كان الزوج إنسان عادي، فما بالنا والزوج هو نبي الله صلى الله عليه وسلم، وزوجاته كثر، وكلهن يتسابقن لإرضائه، فقد يفعلن المكائد والخدع لتظهر كل واحدة منهن أفضل من الأخرى، كل هذه المواقف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل معها بمنتهى الإنسانية، فكان صلى الله عليه وسلم - وهو رسول الله - لا يتفاخر عليهن بكونه نبيا، بل كان يتعامل معهن بصفة إنسانية، فقد كان يتعامل معهن بالحب والعاطفة والمشاعر الإنسانية، ولا يتوانى في أن يعطي كل واحدة منهن حقهما، في المبيت والنفقة وغيرهما، ولم يتعامل معهن كرسول أو نبي مرسل من الله إلا في حالات نادرة كانت تتطلب ذلك، ولم يقتصر الأمر على حسن معاملته لزوجاته فقط، بل أوصى صلوات ربي وسلامه عليه بالنساء خيرا، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لَيْسَ كُنْتُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتُهُ، وَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا<sup>(١)</sup>».

وفي هذا المبحث سوف أوضح - بإذن الله تعالى - إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال العلاقات الأسرية، وقد قسمته إلى مطلبين على النحو التالي:

١ - أخرجه مسلم، باب الوصية بالنساء ٢ / ١٠٩١، رقم (١٤٦٨ / ٦٠). (وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه): أي أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع فلا يتهدأ الانتفاع بها إلا بالصبر على تعوجها.

## المطلب الأول: علاقة الزوج بزوجته:

رسم القرآن الكريم نظام تعامل الزوج مع زوجته فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا  
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا  
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ [النساء: ١٩]، قال الإمام القرطبي - رحمه الله -:  
أمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمّة (خلطة) ما  
بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنا للعيش، وهذا واجب على  
الزَّوْج... (١).

وقال أيضا: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ  
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [الروم: ٢١] أي: جعل بين  
الزوج والزوجة المودة والرحمة، فهما يتوادان ويتراحمان، وما شيء أحب إلى  
أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما (٢).

فقد وضح القرآن الكريم الأسس التي تقوم عليها الحياة الزوجية، وهي  
المعاشرة بالمعروف والمودة والرحمة، وخير من سار على هذا المنهج الرباني القويم  
سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان زوجا عطوفا حنوناً، يحسن  
معاملة زوجاته، ويعدل بينهن، فعلى الرغم من تعدد زوجاته واختلاف طبائعهن  
وشخصياتهن، إلا أنه كان يجبد التعامل معهن كلهن، فقد كان صلوات ربي  
وسلامه عليه يعرف كيف يراضيهن ويراعي مشاعرهن، فلم تذكر كتب السنة  
والتاريخ أنه ضرب إحداهن مرة، أو أساء معاملته إحداهن، وإذا غضب من  
إحداهن أو عاقبها، كان ليئلاً حليماً حتى في غضبه وعقابه، ومن مظاهر إنسانيته  
صلوات ربي وسلامه عليه في تعامله مع زوجاته ما يلي:

١ - تفسير القرطبي ٩٧ / ٥.

٢ - النيسابوري، التفسير البسيط ١٨ / ٣٤.

١- الحث على المعاملة الحسنة والمعاشرة بالمعروف: تتجسد إنسانية الإنسان في السنة النبوية في حث النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج على حسن الخلق والمعاملة الحسنة مع زوجاتهم، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ<sup>(١)</sup> ». جاء في شرح هذا الحديث: فينبغي للإنسان أن يكون مع أهله خير صاحب وخير محب وخير مُربٍّ؛ لأن الأهل أحق بحسن خلقك من غيرهم... على العكس من ذلك حال بعض الناس اليوم؛ تجده مع الناس حسن الخلق، لكن مع أهله سيء الخلق والعياذ بالله، وهذا خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، والصواب أن تكون مع أهلك حسن الخلق ومع غيرهم أيضاً، لكن هم أولى بحسن الخلق من غيرهم<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن عساکر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، وَمَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلَّا كَرِيمٌ، وَلَا أَهَانَهُنَّ إِلَّا لَثِيمٌ<sup>(٣)</sup> ». قال الأمير الصنعاني - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: (وأنا خيركم لأهلي) أي فتخلقوا بخلقني واقتدوا بفعلني فألینوا لهم الجانب وأحسنوا معهم المعاملة، (ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لثيم): يعني أن كريم الطباع يكرم أهله؛ لأنهم أحق الناس بكرامته، واللثيم يهين نسائه للؤم طبعه<sup>(٤)</sup>.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالأمر بالمعاملة الحسنة والمعاشرة بالمعروف، ولكنه رغب في ذلك،

١- أخرجه أحمد ١٢ / ٣٦٤، وقال: حديث صحيح، رقم (٧٤٠٢).

٢- محمد بن العثيمين، شرح رياض الصالحين ٣ / ٥٦٩.

٣- ابن عساکر، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين ص ١٠٩، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ عَنْ عِكْرَمَةَ.

٤- الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير ٦ / ٣٣.



وحدث وشجع الأزواج عليه، وبين أن ما يفعله الزوج من خير وإحسان لأهل بيته إنما ثمرته تعود إليه، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»<sup>(١)</sup>.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لِي مَالٌ، أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: فَالْشُّطْرُ؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: فَالثَّلْثُ؟ قَالَ: «الثَّلْثُ وَالثَّلْثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أحمد في مسنده، عن خالد بن شريك، عن العرباض بن سارية، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنَ الْمَاءِ أُجِرَ»<sup>(٣)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»<sup>(٤)</sup>.

الأحاديث السابقة واضحة في الدلالة على المقصود، وهو إظهار مدى إنسانية الإنسان في السنة النبوية وذلك بترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في حسن معاشرته الزوجية، والتأكيد على أن ما يفعله الزوج من خير وإحسان إليها

١ - أخرجه البخاري، بابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ ٧/٦٢، رقم (٥٣٥١).

٢ - السابق، بابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ، رقم (٥٣٥٤).

٣ - أخرجه أحمد ٢٨ / ٣٨٦، رقم (١٧١٥٥)، وقال: صحيح بشواهده.

٤ - أخرجه مسلم، بابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالْمَمْلُوكِ، وَإِثْمُ مَنْ ضَيَعَهُمْ أَوْ حَبَسَ نَفَقَتَهُمْ عَنْهُمْ ٢ / ٦٩٢، رقم (٣٩ / ٩٩٥). (في رَقَبَةٍ) أَي فِي فَكِّ رَقَبَةٍ وَإِعْتَاقِهَا.

إنما يؤجر عليه، فعلى الرغم من وجوب نفقة الزوجة على الزوج، وعلى الرغم من كون هذا فرضاً إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن الزوج يؤجر عليه إذا قصد به وجهه الله تعالى، قال الإمام النووي: إن المباح إذا قصد به وجهه الله تعالى صار طاعةً ويثاب عليه، وقد نبه صلى الله عليه وسلم على هذا بقوله «حتى اللقمة تجعلها في امرأتك...» إذا قصد بها وجهه الله تعالى حصل له الأجر بذلك فغير هذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجهه الله تعالى، ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئاً أصله على الإباحة وقصد به وجهه الله تعالى يثاب عليه<sup>(١)</sup>.

٢- إشعار الزوجة بحبه ومودته: ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم - وهو أفضل الخلق وهو القدوة - كان يحب زوجاته ويدللهن ويعطف عليهن، ويشعرهن بهذا الحب بالقول والفعل، فكان يدل السيدة عائشة ويقول لها (يا حميراء) و (يا عائش) و (يا عويش)، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي: «يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم فقلت: نعم، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده<sup>(٢)</sup>». وقد أخرج البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: «يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام<sup>(٣)</sup>». وأخرج ابن السني - رحمه الله - عن عائشة - رضي الله عنها، «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غضبت عرك بأنفها، وقال ملاطفاً لها: يا عويش، قولي اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني

١- النووي، المنهاج ١١ / ٧٧ - ٧٨.

٢- أخرجه النسائي، السنن الكبرى، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللب ٨ / ١٨١، رقم (٨٩٠٢)، والحميراء تصغير الحمراء يريد البيضاء.

٣- أخرجه البخاري، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ٥ / ٢٩، رقم (٣٧٦٨).

من مضلات الفتن<sup>(١)</sup>».

وتتجلى مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بحب زوجاته ومودتهن، بل كان يشعرهن بهذا الحب وهذه المودة، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاؤُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ، فَيَشْرَبُ، وَتَعْرَقُ الْعِرْقُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاؤُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ»<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا أن حب النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته لم يكن بالقول فقط، بل بالفعل أيضا فكان صلوات ربي وسلامه عليه يعطف على زوجاته ويراعيهن ويعمل دوما على راحتهن، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةٌ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ»<sup>(٣)</sup>.

وتتجلى مظاهر الإنسانية في أبهى صورها في مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم الحالة النفسية لزوجاته، فمن المعلوم أن السيدة عائشة لم ترزق منه بأولاد، وكانت هذه المسألة تسبب لها ضيقا شديدا، فقد راعى شعورها في هذه المسألة، وكان يهون عليها، فكناها ببن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه؛ حتى تهدأ نفسها، وتقر عينها، فقد أخرج ابن حبان في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمَّا وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَفَلَّ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ»، وقال: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَنْتِ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ، فَمَا زِلْتُ أَكْنِي

١- المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٢٥٤، وضعفه اللباني في ضعيف الجامع ١ / ٦٤٣ برقم (٤٤٣). و(يا عويش): مُنَادِي مَصْغَرٍ مَرْخَمٍ.

٢- أخرجه مسلم، باب سؤر الحائض ١ / ٢٤٥، رقم (١٤ / ٣٠٠). (أتعرق العرق): هو العظم الذي عليه بقية من لحم... ويقال عرقت العظم وتعرقته وأعترفته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك.

٣- أخرجه البخاري، باب: هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها؟ ٣ / ٨٤، رقم (٢٢٣٥).

بها وما ولدت قط<sup>(١)</sup>».

٣- تجنب ضرب الزوجة أو إهانتها: ومن مظاهر إنسانيته الإنسان في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم حث في أكثر من موضع على تجنب ضرب الزوجة أو إهانتها أو إساءة معاملتها، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا..<sup>(٢)</sup>». قال الإمام النووي - رحمه الله -: فِيهِ أَنَّ ضَرْبَ الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ وَالِدَابَّةِ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا لِلأَدَبِ فَتَرَكُهُ أَفْضَلُ<sup>(٣)</sup>.

وعن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدْنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «أَنْ تَطْعَمَهَا إِذَا طَعَمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوْ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تَقْبَحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَلَا تَقْبَحَ أَنْ تَقُولَ: قَبْحَكَ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>». قال الإمام الصنعاني - رحمه الله -: دل الحديث على وجوب نفقة الزوجة وكسوتها، وأن النفقة بقدر سعته لا يكلف فوق وسعه، وفي الحديث دليل على جواز الضرب تأديباً إلا أنه منهي عن ضرب الوجه للزوجة وغيرها، وقوله (لا تقبح): أي لا تسمعها ما تكره وتقول قبحك الله ونحوه من الكلام الجافي، ومعنى قوله (لا تهجر إلا في البيت) أنه إذا أراد هجرها في المضجع تأديباً لها... فلا يهجرها إلا في البيت، ولا يتحول إلى دار أخرى أو

١- أبو حاتم ابن الدارمي البستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان باب: ذُكِرَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ كَانَتْ عَائِشَةُ تُكْنَى بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، ١٦ / ٥٥، حديث رقم (٧١١٧) وقال الألباني: صحيح، وقال المحقق: إسناد قوي، ورجاله ثقات رجال الشيخين. (فتل في فيه): أي يحنكه، والتحنيك هو أن يوضع قمر أو شيئاً حلواً ويجعله في فم المولود ويحك به حنكه بأصبعه حتى يتحلل في حنكه، والحنك أعلى داخل الفم، ويفعل ذلك ليكون الحلو أول ما يدخل جوف المولود، ويستحسن أن يقوم بذلك مؤمناً صالح تقي تبركاً وتفاؤلاً.

٢- أخرجه مسلم، باب: مُبَاعَدَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَنَامِ وَأَخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلُهُ وَأَنْتَقَامَهُ اللَّهُ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَاتِهِ، ٤ / ١٨١٤، حديث رقم (٢٣٢٨ / ٧٩).

٣- النووي، المنهاج ١٥ / ٨٤.

٤- سنن أبي داود، باب في حق المرأة على زوجها ٢١٤ / ٢٤٤، رقم (٢١٤٢)، حكم الألباني: حسن صحيح.

يحولها إليها<sup>(١)</sup>.

مما سبق يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم قد راعى حال الزوجات، وحث الأزواج على حسن معاملتهن، ونهاهم عن إهانتهم أو إيذائهم بأي شكل من الأشكال، وهنات تجلى مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في أروع وأجمل صورها.

٤- الصبر على الزوجة: ومن مظاهر إنسانيته الإنسان في السنة النبوية أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث الزوج على أن يتحمل زوجته ويصبر عليها، حتى وإن كره منها صفة فيجب عليه أن ينظر إلى ما يرضاه منها، وأن يذكر محاسنها، ويتجنب مساوئها؛ حتى تستمر الحياة، فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»<sup>(٢)</sup>. قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: في الحديث الإرشادُ إلى حُسْنِ العُشْرَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ البُغْضِ لِلزَّوْجَةِ بِمَجْرَدِ كَرَاهَةِ خُلُقٍ مِنْ أَخْلَاقِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَخْلُو مَعَ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ يَرْضَاهُ مِنْهَا، وَإِذَا كَانَتْ مُشْتَمَلَةً عَلَى المَحْبُوبِ وَالمَكْرُوهِ، فَلَا يَنْبَغِي تَرْجِيحُ مُقْتَضَى الكَرَاهَةِ عَلَى مُقْتَضَى المَحَبَّةِ<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عَوْجٌ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهَا، كَسَرْتَهَا وَكَسَرَهَا طَلَّقَهَا»<sup>(٤)</sup>. قال الإمام النووي - رحمه الله: فِي هَذَا الحَدِيثِ مَلَاظِفَةُ النِّسَاءِ، وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ، وَالصَّبْرُ عَلَى عَوْجِ أَخْلَاقِهِنَّ،

- ١- سبل السلام ٢/ ٢٠٧.
- ٢- أخرجه مسلم، باب الوصية بالنساء ٢ / ١٠٩١، رقم (١٤٦٨ / ٦٠). (لا يفرك مؤمن مؤمنة) قال أهل اللغة: فرکه يفركه إذا أبغضه والفرك البغض.
- ٣- الشوكاني، نيل الأوطار ٦ / ٢٤٤.
- ٤- أخرجه مسلم، باب الوصية بالنساء ٢ / ١٠٩١، رقم (١٤٦٨ / ٥٩).

وَاحْتِمَالُ ضَعْفِ عُقُولِهِنَّ، وَكَرَاهَةُ طَلَاقِهِنَّ بِلَا سَبَبٍ، وَأَنَّهُ لَا يُطْمَعُ بِاسْتِقَامَتِهَا<sup>(١)</sup>.

وتتجلى مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في هذه المسألة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته، فقد كان يصبر على معاتبتهن له، وكان يقبل منهن مراجعته دون تدمير أو تعصب أو غضب، بل وصل الأمر إلى أنهن كن يهجرنه في بعض الأحيان، وكان صلوات ربي وسلامه عليه يصبر عليهن، ولا يقابل الإساءة بالإساءة، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، « أن امرأته راجعته فأنكر عليها مراجعته، فقالت: وَلَمْ تُنْكِرْ أَنْ أَرَا جَعَكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيرَاجِعُنَّهُ، وَإِنْ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ... »، قال: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّ حَفْصَةَ، أَنْغَضِبُ إِحْدَاكُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ...<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حليما حتى في غضبه، فعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ عَلَيْهَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكَبِهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا ذَنْبَهَا، وَأَذْهَبْ غَيْظَ قَلْبِهَا، وَأَعِدْهَا مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ<sup>(٣)</sup>».

٥- مراعاة الزوجة حال مرضها: ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراعى زوجاته حال مرضهن، ولا يتضجر أو يتضايق منهن وهن مرضى، بل يتحمل ويواسي ويرقيهن، فعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمَعْوِذَاتِ<sup>(٤)</sup>».

١- النووي، المنهاج ١٠/ ٥٧.

٢- أخرجه البخاري، باب: مَوْعِظَةُ الرَّجُلِ ابْنَتُهُ لِحَالِ زَوْجِهَا ٧ / ٢٨، رقم (٥١٩١).

٣- ابن عساکر، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ص ٨٥، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ، رقم (٢٣).

٤- مسلم، باب رُقِيَةِ الْمَرِيضِ بِالْمَعْوِذَاتِ وَالنَّفْثِ ٤ / ١٧٢٣، رقم (٢١٩٢ / ٥٠).

وكان صلوات ربي وسلامه عليه يحث الأزواج على تحمل زوجاتهم وهن مرضى، ويرغبهم في ذلك ويبشرهم بأن لهم الأجر والثواب، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إِنَّمَا تَعَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»<sup>(١)</sup>.

وتجلى مظاهر الإنسانية في هذه المسألة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأنف أو يتقزز من زوجاته أثناء فترة الحيض، بل كان يداعبهن ويحدثهن ويأكل ويتسامر معهن، دون أن يتضايق أو يتضجر، وكان اليهود يعتزلون نساءهم أثناء فترة الحيض، فلا يكلمونهن أو يأكلون معهن أو يتعاملون معهن، بل كانوا لا يسكنونهن في بيت واحد، وعندما سأل أصحاب رسول الله عن ذلك، نزل قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٢٢٢]، وجاء التوضيح والتفسير من السنة المشرفة، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الاعتزال إنما يكون فقط في الجماع، ويجوز للأزواج أن يستمتعوا بزوجاتهم أثناء فترة الحيض ويأكلوا ويشربوا معهن، لكن لا يجامعونهن، فعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»<sup>(٣)</sup>.

١- البخاري، بابُ إِذَا بَعَثَ الْإِمَامُ رَسُولًا فِي حَاجَةٍ، أَوْ أَمَرَهُ بِالْمَقَامِ هَلْ يُسَهَّمُ لَهُ؟ ٤ / ٨٨ رقم (٣١٣٠).  
(تحت) أي زوجة له، (بنت رسول الله) هي رقية رضي الله عنها.

٢- مسلم، باب اصنعوا كل شيء إلا النكاح ١ / ٢٤٦، رقم (٣٠٢ / ١٦). (ولم يجامعوهن في البيوت) أي لم يخالطوهن ولم يسكنوهن في بيت واحد.

وعن مَيْمُونَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْطَجِعُ مَعِي وَأَنَا حَائِضٌ، وَيَبْنِي وَيَبْنِي بَيْنَهُ ثَوْبٌ»<sup>(١)</sup>.

وما روته السيدة عائشة رضي الله عنها في أكثر من موضع وبأكثر من رواية: قَالَتْ: «كُنْتُ أَغْسِلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا حَائِضٌ»<sup>(٢)</sup>. وَقَالَتْ رضي الله عنها: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُنَاوِلَهُ الْخُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ: «تَنَاوَلِيهَا فَإِنَّ الْخَيْضَةَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ»<sup>(٣)</sup>. وروى أيضاً: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ، فَيَشْرَبُ، وَاتَّعَرَّقَ الْعَرَقُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ»<sup>(٤)</sup>. وَقَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَبَّرُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ»<sup>(٥)</sup>.

الأحاديث السابقة واضحة في الدلالة على المقصود، وهو إظهار إنسانية الإنسان، وحسن معاملته في كل حالاته، ومراعاة ظروفه وأحواله، فقد رأينا كيف كان يتعامل اليهود مع زوجاتهم أثناء الحيض، كانوا يعتزلونهن ولا يعاملونهن حتى تنتهي فترة الحيض، وفي ذلك إخراج للزوجة وإشعارها بالمهانة والذل، على الرغم من أن هذا الشيء لا دخل لها فيه، وإنما هو مما خلقها الله تعالى به، لكن النبي صلى الله عليه وسلم راعى الزوجة في هذا الأمر بوصفها إنساناً لا يجب إجحاه، أو شعوره بالذل والإهانة.

## ٦- حفظ أسرار الزوجة: ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي

- ١- السابق، كتابُ الحَيْضِ، بَابُ الْأَضْطِجَاعِ مَعَ الْخَائِضِ فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ / ٢٤٣، رقم (٢٩٥ / ٤).
- ٢- السابق، كتابُ الحَيْضِ، بَابُ جَوَازِ غَسْلِ الْخَائِضِ رَأْسَ زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ وَطَهَارَةِ سُورِهَا وَالْإِتِّكَاءِ فِي حِجْرِهَا وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهَا / ٢٢٤، رقم (٢٩٧ / ١٠).
- ٣- السابق، كتابُ الحَيْضِ، بَابُ الْخَائِضِ تَنَاوُلِ مِنَ الْمَسْجِدِ / ٢٤٥، رقم (٢٩٨ / ١٢).
- ٤- سبق تخريجه.
- ٥- السابق، كتابُ الحَيْضِ، باب اصنعوا كل شيء إلا النكاح / ٢٤٦، رقم (٣٠١ / ١٥).



صلى الله عليه وسلم أمر بحفظ أسرار الزوجة وعدم نشرها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَسْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»<sup>(١)</sup>. قال الإمام النووي - رحمه الله -: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيمُ إِفْشَاءِ الرَّجُلِ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ مِنْ أُمُورِ الْأَسْتِمْتَاعِ وَوَصْفِ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ وَمَا يَجْرِي مِنَ الْمَرْأَةِ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَنَحْوِهِ...<sup>(٢)</sup>.

٧- مشاركة الزوجة في أعمال المنزل: وتتجلى مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يساعد أهله في أعمال المنزل، فلم يأنف أن يقوم بخدمة نفسه ومساعدة زوجاته في أعمال المنزل أو تربية الصغار، فعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَخِيضُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بَيْوتِهِمْ»<sup>(٣)</sup>. وأخرج أحمد في مسنده أيضا عن عائشة، قَالَتْ: سَأَلْتُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ بَشْرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ»<sup>(٤)</sup>.

٨- استشارة الزوجة واحترام رأيها: ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستشير زوجاته في بعض الأمور، وأحيانا كثيرة كان يأخذ برأيهن إن كان صوابا، ومن ذلك ما حدث في صلح الحديبية، فبعد أن فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من قضية الكتاب (أي كتاب شروط الصلح)، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «قَوْمُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ أَحْلِقُوا»، فَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى

١- صحيح مسلم السابق، بَابُ تَحْرِيمِ إِفْشَاءِ سِرِّ الْمَرْأَةِ ٢ / ١٠٦٠، رقم (١٢٣ / ١٤٣٧).

٢- النووي، المنهاج ١٠ / ٨-٩.

٣- أخرجه أحمد ٤١ / ٢٩٠، حديث رقم (٢٤٩٠٣)، وقال حديث صحيح.

٤- السابق ٤٣ / ٢٦٣، حديث رقم (٢٦١٩٤)، وقال حديث صحيح.

أُمُّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَجِبُ ذَلِكَ، أَخْرُجُ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرُ بَدَنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالَكَ فَيَحْلِقُكَ»، فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحْرَ بَدَنِهِ، وَدَعَا حَالَكَ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا<sup>(١)</sup>.

٩- حسن معاملة أهل الزوجة وأصدقائها: وتتجلى مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن معاملة أهل زوجته وأصدقائهن، وكتب السيرة مليئة بالمواقف والأحداث التي تؤكد ذلك، ولم يتوقف الأمر عند أهل الزوجة التي على قيد الحياة، لكنه صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل الزوجة التي توفيت ويكرم أصدقاءها، ويرحب بهم، ويحضر مناسباتهم.. فقد ثبت في السنة الصحيحة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتَهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَثَامَةُ الْمَزْنِيَّةِ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَانَةُ الْمَزْنِيَّةِ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالِكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا

١- أخرجه البخاري، بابُ الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ ٣ / ١٩٣، رقم (٢٧٣١).

٢- السابق، بابُ تَرْوِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ وَفَضْلَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٥ / ٣٨، رقم (٣٨١٨). (صدائق) جمع صديقة. (كانت وكانت) أي يذكر صفاتها وفضائلها.

رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبَلُ عَلَيَّ هَذِهِ الْعُجُوزُ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ<sup>(١)</sup>».

١٠- الترويح عن الأهل والترفيه عنهم: ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عبوس الوجه، مقتضب الجبين، دائم التعصب، وإنما كان جميل العشرة، دائم التبسم، خفيف الظل، يروّح عن أهل بيته ويتلطف معهم، فيداعبهم ويداعبونه، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «سَابَقَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَقْتُهُ<sup>(٢)</sup>». (فَسَبَقْتُهُ) أَي غَلَبْتُهُ فِيهِ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ حُسْنِ الْمُعَاشِرَةِ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ<sup>(٣)</sup>. وأخرج أبو داود أيضا عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بَتْلُكَ السَّبَقَةِ<sup>(٤)</sup>».

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان صلوات ربي وسلامه عليه يساعد في تربية الصغار، ويروّح عنهم، فكان لا يجد حرجا في أن يلعب معهم، فعن عبد الله بن الحارث، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُّ عَبْدَ اللَّهِ، وَعَبِيدَ اللَّهِ، وَكَثِيرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا»، قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ<sup>(٥)</sup>.

- ١- الحاكم، المستدرک علی الصحیحین ١/ ٦٢، حدیث رقم (٤٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ فَقَدْ اتَّفَقَا عَلَى الْاِحْتِجَاجِ بِرُؤَاثِهِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ.
- ٢- سنن ابن ماجه، باب حُسْنِ مُعَاشِرَةِ النِّسَاءِ، ١/ ٦٣٦، حدیث رقم (١٩٧٩)، صححه الألباني.
- ٣- السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ١/ ٦١٠.
- ٤- سنن أبي داود، باب فِي السَّبَقِ عَلَى الرَّجُلِ ٣/ ٢٩، رقم (٢٥٧٨)، و صححه الألباني.
- ٥- مسند أحمد ٣/ ٣٣٥، قال المحقق: إسناده ضعيف، يزيد بن أبي زياد- وهو الهاشمي مولا هم الكوفي- ضعيف، وعبد الله بن الحارث بن نوفل تابعي ولد في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروايته عنه مرسله، وأورده الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" ٨/ ٤٢١، ونسبه للبغوي عن داود بن عمر، عن جرير، ثم قال: وهو مرسل جيد الإسناد! وقد رواه أحمد بن حنبل في "مسنده" عن جرير مثله.

١١- القسمة بين الزوجات: ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم أوجب على الزوج أن يعدل بين زوجاته في المبيت والنفقة، فمن كان له امرأتان أو أكثر، فيجب العدل بينهما، فيجعل لكل واحدة يوما وليلة، سواء أكان الرجل صحيحا أم مريضا أم مجبوبا، وسواء أكانت المرأة صحيحة أم مريضة أم حائضا أم نفساء أم محرمة بإحرام أم كتائية؛ لقصد الأنس، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَايْتَهَنَ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضًا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

والعدل المقصود بين النساء هو العدل في المبيت والنفقة وما شابه، أما التسوية في العاطفة والمحبة والميل القلبي فهو غير مراد؛ لأنه غير مستطاع ولا مقدور، والشرع إنما يكلف بما هو مقدور للإنسان، فلا تكليف بالأمور الجبلية الفطرية التي لا تخضع للإرادة مثل الحب والبغض والميل القلبي، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي، فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمَنِي، فِيمَا تَمْلِكُ، وَلَا أَمْلِكُ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: يَعْنِي الْقَلْبَ»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن بطال - رحمه الله -: والذي سأل ربه ألا يلومه فيه ما كان لا يملكه من نفسه، هو ما جبلت عليه القلوب من الميل بالمحبة إلى من هو بيته، وذلك مما لا سبيل للعباد إلى خلافه ودفعه عنه، وهو المعنى الذي أخبر عنه تعالى أنهم لا يطيقونه من معاني العدل بين النساء، فعلم بذلك أن كل ما كان عارضا لقلب ابن

١- البخاري، بابُ هبة المرأة لغير زوجها وعنتها، إذا كان لها زوج فهو جائز، إذا لم تكن سفينة، فإذا كانت سفينة لم يجز، ٣/١٥٩، رقم (٢٥٩٣).

٢- أبو داود، باب في القسمة بين النساء، ٢/٢٤٢، رقم (٢١٣٤)، قال ابن حبان: رجاله ثقات على شرط مسلم إلا أنه اختلف في وصله وإرساله، والمرسل هو الصواب. وصحيح ابن حبان ١٠/٥.

آدم من شيء مال إليه بالمحبة والهوى مما لم يجتلبه المرء إليه باكتساب ولم يتجاوز به العارض منه في قلبه إلى ما يكرهه الله ولا يرضاه من العمل بجوارحه، فلا حرج عليه فيه ولا تبعة تلحقه فيه فيما بينه وبين الله، بسبب ما عرض له من فرط هوى وصباية نفس<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَقَالَ: يَا بِنْتِ، لَا يَغُرَّنَكَ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا - يُرِيدُ عَاتِشَةَ - فَقَصَّصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَتَبَسَّمَ»<sup>(٢)</sup>. قال ابن بطال - رحمه الله -: قال الطبري: ففيه دليل على أنه لا حرج على من كان عنده جماعة نسوة في إثارة بعضهن في المحبة على بعض إذا سوى بينهن في القسمة<sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الميل الظاهر إلى إحدى الزوجات في الأمور الحسية كالمبيت أو النفقة أو السكن؛ لأن ذلك يشعر بالغيرة والحقد والكره بينهن، وتوعد من يفعل ذلك بأن يأتي يوم القيامة وشقه مائل؛ عقوبة له على ميلانه وجوره في الدنيا، فكما مال في معاملته لزوجته أmaal الله شقه وجعل جسمه غير معتدل؛ عقوبة له، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»<sup>(٤)</sup>. قال الصنعاني - رحمه الله -: الحديث دليل على أنه يجب على الزوج التسوية بين الزوجات، ويحرم عليه الميل إلى إحداهن، وقد قال تعالى ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]، والمراد الميل في القسم والإنفاق لا في المحبة؛ لما عرفت من أنها مما لا يملكه العبد، ومفهوم قوله كل الميل جواز الميل اليسير، ولكن إطلاق الحديث

١- ابن بطال ٧ / ٣٤٥.

٢- البخاري، باب حُبِّ الرَّجُلِ بَعْضَ نِسَائِهِ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ، ٧ / ٣٤، رقم (٥٢١٨).

٣- ابن بطال ٧ / ٣٤٥.

٤- أبو داود، بابٌ فِي الْقِسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ، ٢ / ٢٤٢، رقم (٢١٣٣)، صححه الألباني.

ينفي ذلك ويحتمل تقييد الحديث بمفهوم الآية<sup>(١)</sup>.

وأخيراً أختتم هذه الجولة الماتعة في توضيح مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية بما رواه الترمذي في سننه عن سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ، وَوَعَّظَ... فَقَالَ: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُؤْطِنَنَّ فُرْشَكُمْ مِنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(٣)</sup>. مُرَادُهُ أَنْ حُسْنَ الْعِشْرَةِ مَعَ الْأَهْلِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الدِّينِ، فَالْمُتَّصِفُ بِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْخِيَارِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُتَّصِفَ بِهِ يُوقَفُ لِسَائِرِ الصَّالِحَاتِ حَتَّى يَصِيرَ خَيْرًا عَلَى الْإِطْلَاقِ<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الثاني: علاقة الأبناء بالأباء:

عملت السنة النبوية على توطيد العلاقة بين الوالدين والأبناء، فأمرت بحسن المعاملة، والبر بينهما، حتى وإن كان أحدهما كافراً، فلم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع الرحم الكافرة، لكن أمر بالتوسط والاعتدال في معاملتها، وأمر بصلتها وودها، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي

١- سبل السلام ٢/ ٢٣٨.

٢- الترمذي، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ٢ / ٤٥٨، رقم (١١٦٣). وقال: حديث حسن صحيح.

٣- سنن ابن ماجه، باب حُسن معاشرَةِ النِّسَاءِ، ١ / ٦٣٦، حديث رقم (١٩٧٧)، صححه الألباني.

٤- السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ١ / ٦٠٩.

وَهِيَ مُشْرَكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُدَّتْهُمْ مَعَ أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِيهَا»<sup>(١)</sup>. قال ابن بطال - رحمه الله: أن صلة المقاطع أنجع في سياسة النفوس، وأحمد عاقبة، وعلى مثل هذا المعنى دل حديث أسماء في صلة أمها وهي مشركة<sup>(٢)</sup>.

فقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أم أسماء باللين والمودة، وأمر أسماء أن تصلها وتودها، على الرغم من كونها كافرة، فلم يفرق النبي صلى الله عليه وسلم بين كونها مسلمة أو كافرة، ولكن تعامل معها على اعتبار أنها إنسان فهي أم ولها حق على ابنتها. وهناتجلى مظاهر إنسانية الإنسان في أروع وأجمل وأبهى صورها.

### المبحث الرابع: التعامل مع الخادم والأجير

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد على مدى معاملته للإنسان على أنه إنسان فقط، دون النظر إلى عمله أو رتبته، أو غناه أو فقره، أو دينه أو جنسه..، ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في التعامل مع الخادم أو الأجير ما يلي:

١- كان صلى الله عليه وسلم يأمر بحسن معاملة الإنسان أياً كان، حتى وإن كان خادماً أو أجيراً، فأمر بالتلطف معه، والرفق به، ومراعاة مشاعره، وعدم تكليفه بما لا يطيق من الأعمال، أو تكليفه بأعمال شاقة فوق طاقته واستطاعته، وإن حدث فيجب إعانته ومساعدته، فعن المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ

١- البخاري، كِتَابُ الْجَزِيَّةِ ٤/ ١٠٣، رقم (٣١٨٣). (أمي): هي قتيبة بنت الحارث.

٢- ابن بطال ٥/ ٣٦٥.

رَجُلًا فَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّيْكَ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيَطْعَمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(١)</sup>. قال ابن حجر - رحمه الله -: (وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ) أَي عَمَلٌ مَا تَصِيرُ قَدْرَتُهُمْ فِيهِ مَغْلُوبَةً، أَي مَا يَعْجُزُونَ عَنْهُ لِعَظَمَةِ أَوْ صُعُوبَتِهِ، وَالتَّكْلِيفُ تَحْمِيلُ النَّفْسِ شَيْئًا مَعَهُ كَلْفَةٌ، وَقِيلَ هُوَ الْأَمْرُ بِمَا يَشْقُ، قَوْلُهُ: (فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ) أَي مَا يَغْلِبُهُمْ وَحُذِفَ لِلْعَلْمِ بِهِ، وَالْمُرَادُ أَنْ يُكَلِّفَ الْعَبْدُ جَنْسَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ يَسْتَطِيعُهُ وَحْدَهُ، وَإِلَّا فَلْيُعْنَهُ بغيره، وَفِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرَّقِيقِ وَتَعْيِيرِهِمْ مِنْ وَلَدِهِمْ، وَالْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَيَلْتَحِقُ بِالرَّقِيقِ مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنْ أَجِيرٍ وَغَيْرِهِ<sup>(٢)</sup>.

٢- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في التعامل مع الخادم: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإطعام الخادم من الطعام الذي يقوم بتحضيره لسيده، إن لم يجلسه سيده معه للطعام فليناوله مما يأكل؛ لما في ذلك من مراعاة شعور الخدم، لأن نفسه قد تعلقت بما يقوم بتحضيره من الطعام، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإطعامه من هذا الطعام، إن كان كثيراً فليجلسه معه أو يعطيه منه ما يكفيه، وإن كان قليلاً فليناوله لقمة أو لقمتين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ

١- البخاري، باب المعاصي من أمر الجاهلية، وَلَا يُكْفَرُ صَاحِبُهَا بِأَرْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشَّرْكَ، ١ / ١٥، رقم (٣٠)، وأخرجه مسلم في الإيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل رقم (١٦٦١). (الربذة): موضع قريب من المدينة. (حلة): ثوبان إزار ورداء. (غلامه): عبده ومملوكه. (عن ذلك): عن سبب إلباسه عبده مثل ما يلبس لأنه خلاف اليهود. (سابت): شامت. (رجلا): هو بلال الحبشي رضي الله عنه. (فغيرته): نسبته إلى العار. (بأمة): بسبب أمه وكانت سوداء فقال له يا ابن السوداء. (فيك جاهلية): خصلة من خصال الجاهلية وهي التفاضر بالأباء. (إخوانكم خولكم): الذين يخولون أموركم - أي يصلحونها - من العبيد والخدم هم إخوانكم في الدين أو الأدمية. (تحت أرجلكم): في رعايتكم وتحت سلطانكم. (يغلبهم): يعجزون عن القيام به.

٢- فتح الباري ٥ / ١٧٥.



بَطْعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أَكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِي حَرِّهِ وَعِلَاجُهُ<sup>(١)</sup>». قال ابن حجر - رحمه الله -: إِذَا كَانَ الطَّعَامُ كَثِيرًا فَمَا أَنْ يَقْعُدَهُ مَعَهُ وَإِمَّا أَنْ يَجْعَلَ حَظَّهُ مِنْهُ كَثِيرًا، وَإِذَا كَانَ الطَّعَامُ قَلِيلًا فَلْيُنَاوِلْهُ مِنْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، بِحَسَبِ مَا يَدْفَعُ بِهِ شَرَّ عَيْنِهِ؛ لِتَعَلُّقِ نَفْسِ الخَادِمِ بِهِ - أَيِ بالطَّعَامِ الَّذِي حَضَرَهُ - ... وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ لِلْعَيْنِ حَظًّا فِي المَأْكُولِ، فَيَنْبَغِي صَرْفُهَا بِطَّعَامِ صَاحِبِهَا مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ؛ لِتَسْكُنَ نَفْسُهُ فَيَكُونَ أَكْفًا لَشَرِّهِ، وَقَدْ نَقَلَ بِنِ المُنْذِرِ عَنِ جَمِيعِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ الوَاجِبَ إِطْعَامُ الخَادِمِ مِنْ غَالِبِ القُوَّةِ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْهُ مِثْلُهُ فِي تِلْكَ البَلَدِ، وَكَذَلِكَ القَوْلُ فِي الأَذْمِ وَالكِسْوَةِ وَالعِلَّةِ فِي الأَمْرِ بِذَلِكَ أَنَّ تَسْكُنَ نَفْسُ الخَادِمِ<sup>(٢)</sup>. وجاء في منارِ القاري: دل هذا الحديث على الترغيب في مكارم الأخلاق، وحسن معاملة الخدم، وتطبيب نفوسهم، ومواساتهم، ومشاركتهم في الطعام على مائدة واحدة، أو إعطائهم شيئاً منه، ويستحب إجلاسهم على المائدة، ولا يجب، ويتأكد استحباب ذلك في حق من صنع الطعام، وحمله وشم رائحته، وتعلقت به نفسه<sup>(٣)</sup>.

٣- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم حليماً كان رحيماً بمن يخدمه، فلم يتضجر أو يتعصب أو يعيب على ما يفعله خادمه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَشْرَ سِنِينَ، لَا وَاللَّهِ مَا سَبَّي سَبَّةً قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتَهُ: لَمْ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَّا فَعَلْتَهُ<sup>(٤)</sup>». الحديث واضح في الدلالة على المقصود.

- ١- البخاري، باب الأكل مع الخادم، ٨٢/٧، رقم (٥٤٦٠)، ومسلم باب إطعام المملوك مما يأكل رقم (١٦٦٣) (ولي): تولى، (حره): حر الطعام ورائحته أثناء طبخه، (علاجه): تركيبه وتهيئته وإصلاحه.
- ٢- فتح الباري ٥٨٢/٩.
- ٣- حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ٣ / ٣٩٣.
- ٤- أخرجه أحمد في مسنده ٣٣٥ / ٢٠، رقم (١٣٠٣٤)، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٤- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية: أنها أحاطت حق الأجير بضمانات متعددة، منها: الرضا والطواعية، فلا يجوز الإكراه على العمل، ولا إلحاق الظلم بالأجير، ولا منعه حقه أو المماطلة في أدائه، أو استيفاء منفعة منه بغير عوض، وينبغي أن يكون الأجر عادلا متمشيا مع العرف السائد في البلد، إذ إن من استخدم عاملا بغير أجره فكأنه استعبده، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، وأمر بإعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»<sup>(١)</sup>. فيه المسارعة إلى إعطاء الأجير الأجرة، وقال المناوي - رحمه الله -: (قبل أن يجف عرقه): أي ينشف، لأن أجره عمالة جسده... فيحرم مطله والتسويق به مع القدرة، فالأمر بإعطائه قبل جفاف عرقه إنما هو كناية عن وجوب المبادرة عقب فراغ العمل إذا طلب وإن لم يعرق أو عرق وجف<sup>(٢)</sup>.

٥- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا في التعامل مع الخادم أو الأجير: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإعلام الأجير أجره قبل البدء في العمل؛ تجنباً للخصام أو الشجار الذي قد يحدث بين صاحب العمل والأجير، فعن أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَلْيُعَلِّمَهُ أَجْرَهُ»<sup>(٣)</sup>.

٦- وتتضح مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر عدم إعطاء الأجير أجره ومنعه منه بالكلية من كبائر الذنوب، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، وجعل آكل حق الأجير خصما

١- سنن ابن ماجه، باب: أَجْرُ الْأَجْرَاءِ، ٢ / ١٠٤، حديث رقم (٢٤٤٣)، حكم الألباني: صحيح.

٢- فيض القدير ١ / ٥٦٢.

٣- البيهقي، السنن الكبرى ٦ / ١٩٨، رقم (١١٦٥١).

له يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره<sup>(١)</sup> ». قال ابن حجر - رحمه الله - : ( ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره ) هو في معنى من باع حراً وأكل ثمنه ( أي الوعيد عليه أشد؛ لأن فيه مع كتم العتق أو جحد العمل بمقتضى ذلك من البيع وأكل الثمن )؛ لأنه استوفى منفعته بغير عوض وكأنه أكلها ولأنه استخدمه بغير أجره وكأنه استعبده<sup>(٢)</sup>. وجاء في منار القاري: هذا حديث قدسي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل، قال ابن التين: وهو سبحانه خصم لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح؛ وذلك لأن الخصم عدو وخصمه، قوي العداوة له، شديد الكراهة له، والمعنى: أن هؤلاء الثلاثة من أهل الكبائر فيتعرضون يوم القيامة لأشد العقوبة، لأنهم أعداء لله، خصوم له، والخصم مكروه مبغوض عند خصمه، إذا ظفر به عاقبه أشد العقوبة، فكيف بمن كان الله خصمه؟! فالله العزيز القهار المنتقم الجبار إذا أخذ الظالم لم يفلقته<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الخامس: التعامل مع الجار

إن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية شملت كل أمور الحياة، حتى في التعامل مع الجار، وتتمثل مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في التعامل مع الجار، فيما يلي:

- ١- البخاري، باب إثم من منع أجر الأجير ٣ / ٩٠، حديث رقم (٢٢٧٠). (أعطى بي) عاهد باسمي وحلف، (غدر) نقض العهد ولم يف به أو لم يبر بقسمه، (باع حراً) وهو يعلم أنه حر، (فاستوفى منه) العمل الذي استأجره من أجله.
- ٢- فتح الباري ٤ / ٤١٨.
- ٣- منار القاري ٣٠٥٣-٣٠٦.

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى حسن معاملة الجار، حتى ولو كان غير مسلم، فقد أخرج الطبراني في مسنده مرفوعاً عن جابر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الجيران ثلاثة، فجارٌ له حقٌّ، وهو أدنى الجيران، وجارٌ له حقان، وجارٌ له ثلاثة حقوق، فأما الذي له حقٌّ واحدٌ فجارٌ مُشركٌ، له حقُّ الجوار، وأما الذي له حقان، فجارٌ مُسلمٌ، له حقُّ الإسلام وحقُّ الجوار، وأما الذي له ثلاثٌ حقوقٌ فالجارٌ ذو الرحم، له حقُّ الرحم وحقُّ الإسلام وحقُّ الجوار، وأدنى حقِّ الجوار أن لا تؤذ جارك بقتارٍ قدرك إلا أن تعرف له منها<sup>(١)</sup>». جاء في التنوير: الحديث أفاد أن الجوار مراتب، وأن لكل حقاً أكد من الآخر باعتبار تعدد الصفة، فالأكثر حقاً أولاً بالرحمة وصراف الإحسان إليه، ثم الذي بعده، ثم الذي بعده، وفيه أن الكفر لا يسقط حق الجوار<sup>(٢)</sup>.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالإحسان إلى الجار، وذلك بالوقوف جانبه في السراء والضراء ومساعدته ومعاونته على أمور الحياة، ومراعاة شعوره... وغيرها، فقد أخرج الخرائطي - رحمه الله - عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما حقُّ الجار؟ إن استعان بك أعتته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات أتبعته جنازته، وإن أصابه خيرٌ هنأته، وإن أصابته مصيبةٌ عزيتّه، ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهةً فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك

١- أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٣ / ٣٥٦، حديث رقم (٢٤٥٨). كما أخرجه البزار (١٨٩٦) في كشف الأستار، وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٠٧)، وقال البغدادي في جامع العلوم: وقد روي هذا الحديث من وجوه آخر متصلة ومرسلة، ولا تخلو كلها من مقال. وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٧٤).

٢- الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير ٥ / ٣١١.

لِيَغِيظَ بِهِ وَلَدَهُ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقِتَارِ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا...<sup>(١)</sup>. الحديث واضح في الإحسان للجار ومنع أذاه، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُ الْإِكْرَامِ وَالْإِحْسَانَ لِلْجَارِ وَتَرَكَ أَذَاهُ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ أَخْرَجَهَا الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، وَالْخِرَاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي كِتَابِ التَّوْبِيخِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَاللَّفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ.. وَأَسَانِيدُهُمْ وَاهِيَةٌ لَكِنْ اخْتِلَافٌ مَخَارِجِهَا يُشْعِرُ بَأَنَّ لِلْحَدِيثِ أَصْلًا<sup>(٢)</sup>.

٣- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا في التعامل مع الجار أن جبريل عليه السلام ظل يوصي النبي صلى الله عليه وسلم بحق الجار، لدرجة أن النبي صلى الله عليه وسلم ظن أنه سيورثه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تعظيم حق الجار، فقد روى البخاري في صحيحه، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ»<sup>(٣)</sup>. قال ابن حجر - رحمه الله - : هذه مُبَالِغَةٌ تَبَيَّنَتْ عَنْ تَعْظِيمِ حَقِّ الْجَارِ وَأَنَّ إِضْرَارَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ<sup>(٤)</sup>. وجاء في عمدة القاري: قَوْلُهُ: (سَيُورِثُهُ) أَي: سَيَجْعَلُهُ قَرِيبًا وَارِثًا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَي يَأْمُرُنِي عَنْ اللَّهِ بِتُورِثِ الْجَارِ مِنْ جَارِهِ، وَهَذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْمُبَالِغَةِ فِي شِدَّةِ حِفْظِ حَقِّ الْجَارِ، وَإِسْمُ الْجَارِ يَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ وَالْعَبَادَ وَالْفَاسِقَ وَالصَّدِيقَ وَالْعَدُوَّ وَالْغَرِيبَ وَالْبَلَدِيَّ وَالنَّافِعَ وَالضَّارَّ وَالْقَرِيبَ وَالْأَجْنَبِيَّ وَالْأَقْرَبَ

١- الخِرَاطِيُّ، مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا وَمَحْمُودِ طَرَائِقِهَا ص ٩٤ بَابُ مَا جَاءَ فِي حِفْظِ الْجَارِ وَحُسْنِ مُجَاوَرَتِهِ مِنَ الْفَضْلِ، حَدِيثِ رَقْم (٢٤٧).

٢- فَتْحُ الْبَارِيِّ ١٠ / ٤٤٦.

٣- الْبُخَارِيُّ، بَابُ الْوَصَاةِ بِالْجَارِ ٨ / ١٠، رَقْم (٦٠١٤)، مُسْلِمٌ ٤ / ٢٠٢٥، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، رَقْم (١٤٠ / ٢٦٢٤). (ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ): أَي تَوَقَّعْتُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَجْعَلُ الْجَارَ وَارِثًا مِنْ جَارِهِ كَأَحَدِ أَقْرَبَائِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ مَا شَدَّدَ فِي حِفْظِ حَقِّهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ.

٤- فَتْحُ الْبَارِيِّ ١٠ / ٤٤٢.

داراً والأبعد<sup>(١)</sup>.

٤- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم وصى بالجار ووضح عظم حقه، فقد روى مسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك<sup>(٢)</sup>». قال الإمام النووي - رحمه الله -: في الحديث الوصية بالجار وبيان عظم حقه وفضيلة الإحسان إليه<sup>(٣)</sup>. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره...<sup>(٤)</sup>». قال الإمام النووي - رحمه الله -: قال القاضي عياض «معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيافته وبرهما وكل ذلك تعريف بحق الجار وحث على حفظه والإحسان إليه<sup>(٥)</sup>».

٥- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل كمال الإيمان بترك أذى الجار، واعتبر أذى الجار من الكبائر، فعن أبي شريح رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوايقه<sup>(٦)</sup>». قال ابن بطال - رحمه الله -: هذا الحديث شديد في الحض على ترك أذى الجار، ألا ترى أنه عليه السلام أكد ذلك بقسمه ثلاث مرات أنه لا

١- بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٢ / ١٠٨.

٢- أخرجه مسلم، باب الوصية بالجار والإحسان إليه / ٢٠٢٥، رقم (٢٦٢٥). (وتعاهد) في القاموس تعهده وتعاهدته واعتهدته: تفقده وأحدث العهد.

٣- النووي، المنهاج ١٦ / ١٧٦.

٤- أخرجه مسلم، باب الحث على إكرام الجار والضيافة، وكزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان ١ / ٦٨، رقم (٤٧).

٥- النووي، المنهاج ٢ / ١٨.

٦- أخرجه البخاري، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه، ٨ / ١٠، حديث رقم (٦٠١٦)، (بوايقه) جمع بائقة وهي الظلم والشر والشيء المهلك.

يؤمن من لا يؤمن جاره بوائقه، ومعناه أنه لا يؤمن بالإيمان الكامل، ولا يبلغ أعلى درجاته من كان بهذه الصفة، فينبغي لكل مؤمن أن يحذر أذى جاره ويرغب أن يكون في أعلى درجات الإيمان، وينتهي عما نهاه الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضىاه وحضا العباد عليه<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره<sup>(٢)</sup>». قال الإمام الصنعاني - رحمه الله -: الحديث دليل على عظم حق الجار، وأن من أذى الجار فليس بمؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا وإن كان يلزمه منه كفر من أذى جاره إلا أنه محمول على المبالغة لأن من حق الإيمان ذلك فلا ينبغي لمؤمن الاتصاف به، وقد عد أذى الجار من الكبائر فالمراد من كان يؤمن إيماناً كاملاً<sup>(٣)</sup>.

هذه هي الإنسانية التي دعت إليها السنة النبوية، فالأذى بغير حق محرمٌ لكلٍّ أحدٍ، ولكن في حق الجار أشدُّ تحريماً.

٦- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في التعامل مع الجار أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على التهادي بين الجيران، والمعاونة على أمر المعيشة، فقد روى البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً<sup>(٤)</sup>». قال ابن بطال - رحمه الله -: فيه الحض على التهادي والمتاحفة ولو

١- ابن بطال ٩ / ٢٢، ابن حجر ١٠ / ٤٤٣. البوائق: جمع بائقة وهي الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بعتة.

٢- أخرجه البخاري، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ٨ / ١١، حديث رقم (٦٠١٨).

٣- سبل السلام ٢ / ٢٠٤.

٤- البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليهما ٣ / ١٥٣، رقم (٢٥٦٦)، ومسلم في الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بقليل رقم (١٠٣٠). (لا تحقرن) لا تستصغرن شيئاً تقدمه هبة فتمتنع منها، و(فرسن شاة) ما دون الرسغ من يدها وقيل هو عظم قليل اللحم والمقصود المبالغة في الحث على الإهداء ولو في الشيء اليسير وخص النساء بالخطاب لأنهن يغلب عليهن استصغار الشيء اليسير والتباهي بالكثرة وأشباه ذلك.

بالتيسير؛ لما فيه من استجلاب المودة، وإذهاب الشحناء، واصطفاء الجيرة، ولما فيه من التعاون على أمر العيشة المقيمة للإرماق، وأيضاً فإن الهدية إذا كانت يسيرة فهي أدل على المودة، وأسقط للمثونة، وأسهل على المهدي لإطراح التكليف<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال ابن الزبير: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ»<sup>(٢)</sup>. قال الأمير الصنعاني - رحمه الله - هذا من أدلة عظم حق الجار على جاره<sup>(٣)</sup>.

### المطلب السادس: التعامل مع غير المسلمين

وتتضح مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهتم بالمسلمين فقط، وإنما كان اهتمامه بالناس جميعاً، ولم لا؟! وقد أرسله الله تعالى للناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها، وحتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٧)</sup> [الأنبياء: ١٠٧]، لم يقل للمسلمين فقط، وإنما قال للعالمين جميعاً، قال الإمام الطبري - رحمه الله -: أي أن الله تعالى أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأثم المكذبة رسلها من قبله<sup>(٤)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

١- ابن بطال ٧ / ٨٥.

٢- البخاري، الأدب المفرد، باب لا يشبع دون جاره ص ٥٢، رقم (١١٢)، وقال الألباني: حديث صحيح.

٣- الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير ٩ / ٢٢١.

٤- تفسير الطبري ١٨ / ٥٥٢.



لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]، قال الإمام الطبري - رحمه الله -: أي وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذبك<sup>(١)</sup>.

ومن نعم الله علينا وعلى الإنسانية جمعاء أنه أرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة؛ رحمة للعالمين، وهذه الرحمة لها صور وأشكال متعددة من الود والحب والتسامح والعفو والإيثار...، وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بأعلى درجات التسامح والعفو حتى لمن أساء إليه، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [المائدة ١٣]، قال الإمام الطبري - رحمه الله -: وهذا أمر من الله عز وجل ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالعفو عن هؤلاء القوم الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود، يقول الله جل وعز له: اعف يا محمد عن هؤلاء اليهود الذين هموا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكروههم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه<sup>(٢)</sup>.

والعفو والتسامح نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس، وقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة، فقد ضرب صلوات ربي وسلامه عليه أروع الأمثلة في التسامح والعفو والإحسان، فقد أُوذي صلى الله عليه وسلم كثيراً في مكة لدرجة جعلته يتركها وهي أحب الأماكن إلى قلبه؛ هرباً من أذى أهلها وشهرهم، ومع ذلك عندما قدر الله له النصر والفتح المبين ودخل مكة، لم يعذب من آذاه أو يقتلهم أو يطردهم من ديارهم وأموالهم، بل عفا عنهم وقال: «من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن

١- المصدر نفسه ٢٠/٤٠٥.

٢- الطبري ١٠/١٣٤.

دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن... ماترون أني صانع بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(١)</sup>. فقد سامحهم وعفا عنهم، واحترم فكرهم، وعاشوا سوياً في أمان وسلام تحت مظلة الإسلام.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في التعامل مع غير المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بحب الخير لجميع الناس وليس للمسلمين فقط، وقد جعل حب الخير لكل الناس من اكتمال الإسلام، قال صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»<sup>(٢)</sup>، لم يقل أحب للمسلمين، وإنما قال «أَحَبُّ لِلنَّاسِ»، قال الإمام المناوي - رحمه الله - (أَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ) أي: من الخير، ولفظ الناس يشمل الكفار فينبغي لكل مسلم أن يحب للكافر الإسلام وما يتفرع عليه من الكمالات<sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في التعامل مع غير المسلمين أيضاً ما رواه أنس رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(٤)</sup>. «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» أي: لا يتحقق الإيمان الكامل لأحد من المسلمين، «حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»: أي حتى يحب لأخيه الإنسان من الخير والمنفعة ما يحبه ويريده لنفسه، قال ابن العماد - رحمه الله -: الأولى أن يحمل قوله «حتى يحب لأخيه» على عموم الأخوة، حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من الدخول في الإسلام، ولذلك ندب الدعاء له بالهداية، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لكفار

١- البيهقي، معرفة السنن والآثار ١٣ / ٢٩٣.

٢- سنن الترمذي، باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس ٤ / ٥٥١، رقم: (٢٣٠٥)، حكم الألباني: حسن.

٣- فيض القدير ١ / ١٧٦.

٤- أخرجه البخاري، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ١ / ١٢، رقم (١٣)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه... رقم (٤٥). (لا يؤمن أحدكم): الإيمان الكامل، (ما يحب لنفسه): أي من فعال الخير.

قريش بالخير، ويحبه لهم، ويقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»، ويستفاد من الحديث: أن عاطفة المحبة للناس وحب الخير لهم جميعاً من كمال الإيمان، ولا يتحقق ذلك إلا إذا تجرد الإنسان من الأنانية والحقد والكراهية والحسد، وأحب لغيره من المباحات ما يحبه لنفسه من السلامة، والأمن، ورغد العيش والهداية والتوفيق<sup>(١)</sup>.

ومما يؤكد أن المراد محبة الخير للناس جميعاً، لا فرق بين مسلم وكافر ما أخرجه أحمد في مسنده عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أنه سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ قَالَ: «.. أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ»<sup>(٢)</sup>. لم يقل للمسلمين فقط وإنما قال للناس جميعاً.

ومما يؤكد على مراعاة إنسانية الإنسان في السنة النبوية في التعامل مع غير المسلمين، أن المدينة المنورة عندما هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم كانت تضم العديد من طوائف المجتمع المختلفة، فكان بها مسلمون، منهم المهاجرون وهم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، ومنهم الأنصار وهم أهل المدينة نفسها، وكان بها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكان بها قبائل مختلفة كقبيلتي الأوس والخزرج وما كان بينهما من حروب وصراعات سياسية واقتصادية استمرت لأكثر من مائة عام، كما كان بها كفار وعبدة أوثان..... وغير ذلك من الطوائف والطبقات، وعلى الرغم من وجود كل هذه الطوائف على اختلاف دياناتهم وهويتهم وعاداتهم وطباعهم، فقد عاش الجميع تحت مظلة الإسلام وبقيادة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم في سلام وأمان، دون تخويف أو ترهيب، وضربت المدينة المنورة في ذلك الوقت أروع الأمثلة على وسطية الإسلام واعتدال منهجه، وكانت مظهراً جميلاً من مظاهر

١- منار القاري ١/ ٩٠-٩١.

٢- مسند أحمد ٣٦/ ٤٤٥، رقم (٢٢١٣٠). وقال: صحيح لغيره.

إنسانية الإنسان، فلولا تعامل النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الإنسانية وهذا المنهج الوسطي البعيد عن التطرف والتشدد والمغالاة، لما عاش مجتمع المدينة بكل هذه الطوائف الكثيرة والمختلفة في سلام وسلم وأمن وأمان.

### المطلب السابع: التعامل مع الإنسان بعد الممات

لم تشمل مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية الإنسان حال حياته فقط، لكن بعد الممات أيضا، وتتمثل مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال التعامل مع الإنسان بع الممات، فيما يلي:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإكرام الإنسان حتى بعد مماته، فأمر بتغسيل الميت وتكفينه ودفنه، وحرّم الاعتداء على جثته، قال صلى الله عليه وسلم: «كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكْسْرِهِ حَيًّا»<sup>(١)</sup>. قال بدر الدين العيني - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: والمعنى أن حرمة بني آدم سواء في الحالتين، فكما لا يجوز كسر عظم الحي فكذلك كسر عظم الميت<sup>(٢)</sup>.

٢- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التمثيل بجثة الميت، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النهبى والمثلة»<sup>(٣)</sup>. (المثلة) بضم الميم وسكون الثاء: وهي العقوبة بقطع الأعضاء كجذع الأنف والأذن وفقى العين.. وغيره، ودل هذا الحديث على تحريم المثلة بالإنسان، أو الحيوان، وهي قطع بعض الأعضاء

١- سنن أبي داود، باب: في الحَفَّارِ يَجِدُ الْعَظْمَ هَلْ يَتَنَكَّبُ ذَلِكَ الْمَكَانَ؟، ٣ / ٢١٢، حديث رقم (٣٢٠٧)، حكم الألباني: صحيح.

٢- بدر الدين العيني، شرح سنن أبي داود ٦ / ١٥٨.

٣- أخرجه البخاري، باب النهبى بغير إذن صاحبه، ٣ / ١٣٥، حديث رقم (٢٤٧٤). والنهبي: أخذ الشيء من أحد عيانا وقهرا، والمثلة: العقوبة في تقطيع الأعضاء كجذع الأنف والأذن وفقى العين ونحوها إلا إذا كان ذلك قصاصا.

إمعاناً في التشفي والانتقام، والمثلة جريمة وحشية حرّمها الإسلام أشد التحريم لما فيها من العنف والقسوة وإهدار كرامة الإنسان<sup>(١)</sup>.

٣- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية: شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على كرامة الإنسان حتى وإن كان ميتاً، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الأموات، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا<sup>(٢)</sup>». قال ابن بطلال - رحمه الله -: (أفضوا إلى ما قدموا) يعنى إلى ما عملوه من حسن أو قبح، وقد أحصاه الله ونسوه، وقد ختم الله لأهل المعاصي من المؤمنين بخاتمة حسنة تخفى عن الناس، فمن سبهم فقد أثم، وقد جاء أنه لا يجب القطع على أحد بجنة ولا نار، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) فى الميت الذى شهد له بالجنة: (والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى)، فلهذا وجب الإمساك عن الموتى، والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحب منار القاري: فى الحديث نهى عن سب أموات المسلمين نهياً صريحاً، وذلك لأن أعراض المسلمين مصانة فى الحياة وبعد الممات لعموم قوله - صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، بل إن عرض الميت أولى بالحرمة والصيانة؛ لعجزه عن الدفاع عن نفسه، فالله يدافع عنه، وقوله: (فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) بفتح الهمزة من الإفضاء وهو الوصول إلى الشيء: أي ليس هناك أي مبرر لسبهم، وإن أساءوا فى حياتهم، لأنهم قد وصلوا إلى الجزاء العادل على أعمالهم إن كانت خيراً أو شراً، وانتهوا إلى أحكم الحاكمين، ولستم مسؤولين عن أعمالهم حتى تسبوهم بعد موتهم..

١- منار القاري ٣ / ٣٧١.

٢- أخرجه البخاري، باب ما ينهى من سب الأموات، ٢ / ١٠٤، حديث رقم (١٣٩٣).

٣- ابن بطلال ٣ / ٣٨٣.

والحديث دلّ على تحريم سب أموات المسلمين، لأن عرض المسلم حرام حياً كان أم ميتاً، وإذا كانت غيبة الحي حرام، فالميت أولى، ومن أدب الإسلام أن نشيد بمحاسن الميت، ونكف عن مساويه..<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الإسلام قد حرّم غيبة الأحياء، فغيبة الأموات من باب أولى؛ وذلك لأنه عاجز في الدفاع عن نفسه، كما أن ذلك قد يؤذي الحي بما يسمعه من مساوي عن الميت خاصة وإن كان أحد أقاربه، فعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَسُبُّوا مَوْتَانَا، فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا»<sup>(٢)</sup>.

٤- ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمنع كل ما كان فيه أذى للميت حتى ولو كان معنوياً، لذا فقد منع الجلوس على القبور؛ لأن الجلوس على القبر يؤذي صاحبه، مع أن الجلوس على القبر ليس فيه مساس بالجمّة، لكن فيه من الأذى المعنوي الذي نبه إليه رسولنا الكريم، لذا فقد منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْلِسْ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ»<sup>(٣)</sup>. وعن أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ رضي الله عنه أنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَصَلُّوا إِلَيْهَا»<sup>(٤)</sup>. ظاهر الحديثين يدل على النهي عن الجلوس على القبور؛ لما فيه من الاستخفاف بحرمة الأموات وإيذائهم معنوياً؛ لأن الميت يحس بما يفعل به، جاء في مرقاة المفاتيح: الظاهرُ عُمُومُهُ أي عموم النهي عن الجلوس على القبور... فَإِنَّ

١- منار القاري ٢ / ٤٠٨.

٢- أخرجه النسائي، باب: القَوْدُ مِنَ اللَّطْمَةِ ٨ / ٣٣، رقم (٤٧٧٥)، وضعفه الألباني.

٣- أخرجه مسلم، بابُ النَّهْيِ عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى الْقَبْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ٢ / ٦٦٧، رقم (٩٦ / ٩٧١).

٤- السابق، حديث رقم (٩٧ - ٩٧٢).

الْمَيْتَ تُدْرِكُ رُوحَهُ مَا يُفْعَلُ بِهِ فَيَحْسُ، وَيَتَأَذَى كَمَا يَتَأَذَى الْحَيُّ<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد، ،

• وضح البحث بعض مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مسألة تعامل الإنسان مع غيره من بني جنسه، وأقول بعضا وليس كل، لأن موضوع إنسانية الإنسان في السنة النبوية يحتاج إلى كتب ورسائل عدة، فالسنة النبوية راعت الإنسان من حيث كونه إنسانا دون النظر إلى جنسه أو لونه أو موطنه...، راعت الإنسان في جميع حالاته، فلم تقتصر على الاهتمام بالمسلمين فقط أو الأغنياء فقط أو الرجال فقط، أو النساء فقط...، وإنما اهتمت بالجميع دون تفرقة بين أي منهم، ولم تقتصر هذه الرعاية على الإنسان حال حياته فقط، بل راعته حتى بعد مماته وبعد دفنه.

• ظهر من خلال البحث كيف أن الإنسان في السنة النبوية إنسانا مجردا من كل الاعتبارات الدينية أو الجنسية أو العرقية... فقد استطاع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بحسن أخلاقه وكريم طبعه في تعامله مع البشر، أن يبني إنسانا راقيا محبا لغيره، متجردا من الحقد والغل والأنانية، يعلم ما له من حقوق ويؤدي ما عليه من واجبات، وأنه لا فرق بين إنسان وغيره إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَيَّ عَجْمِيٍّ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَيَّ عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَيَّ أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَيَّ أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى<sup>(٢)</sup> »

١- الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣ / ١٢١٧.

٢- أخرجه أحمد في مسنده ٣٨ / ٤٧٤، وقال: إسناده صحيح، حديث رقم (٢٣٤٨٩).

فالتقوى هي الميزان الذي يقاس به أفضلية الإنسان.

• ظهر من خلال البحث تفوق السنة النبوية في علاج الأمراض المعنوية التي قد تصيب الإنسان جراء طغيان النظريات المادية التي أصبحت مسيطرة على العالم، والتي أغفلت الجانب الروحي للإنسان واهتمت بالجانب المادي البحت، فاخفتت القيم والأخلاق الحميدة بين البشر، وأصبح الإنسان كآلة الصماء، التي تعمل دون تفكير، وكل همه تحقيق النتائج المطلوبة أيا كان الأمر، دون أدنى تفكير فيمن حوله، هذه النظريات المادية قامت بقتل الإنسانية الموجودة داخل الإنسان والتي خلقه الله بها وفطره عليها، وفي السنة النبوية علاج لكل هذه الأمراض، فقد أعادت السنة النبوية للإنسان إنسانيته، وحررتة من القيود المادية التي حاوطته وقيدته، وفي اتباع نهجها الخلاص والملاذ.

• ظهر من خلال البحث أن السنة النبوية وضعت القواعد والضوابط المرشدة لإنسانية الإنسان في بعدها السلوكي والفكري.

• ظهر من خلال البحث أن بهذا التعامل الإنساني الراقي الذي عامل به النبي صلى الله عليه وسلم كافة البشر، وهذه الأخلاق النبوية الطيبة كالحلم والتسامح والعفو والصفح واللين والرحمة والعطف والإيثار.... وغيرها من الصفات الحسنة، دانت للنبي صلى الله عليه وسلم مشارق الأرض ومغاربها، واستطاع بهذه الأخلاق أن يكون أكبر دولة في ذلك الوقت، وعلى الرغم من اختلاف طوائف هذه الدولة واختلاف طباع أهلها، إلا أن الجميع عاش في سلام وأمان ومحبة.

• وأخيرا.. أوصي بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا مخرج من الأزمات الراهنة، ولا صلاح لحال الأمم إلا بالتمسك بهما والعمل



بما فيهما، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا سببا في نشر تعاليم هذا الدين الوسطي الحنيف البعيد عن التشدد والتعصب والمغلاة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨.
- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.
- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين، لعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن منصور بن عساكر الدمشقي الشافعي (ت: ٦٢٠هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.
- التَّفْسِيرُ البَسِيطُ، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ.
- التَّنْوِيرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، المسمى: (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت: ١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجليل - بيروت.
- خلق المسلم، لفضيلة الإمام محمد الغزالي المصري (ت ١٩٩٦م)، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧ م.
- رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ)، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.
- سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث.
- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

- شرح سنن أبي داود، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- شرح صحيح البخارى، لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- صحيح البخاري، المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، المسمى: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- المجتبى من السنن (سنن النسائي)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦).

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معرفة السنن والآثار، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاکر الخرائطي السامري (ت: ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

- نظرات في الإسلام، د محمد عبد الله دراز، ط / ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م.
- نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.



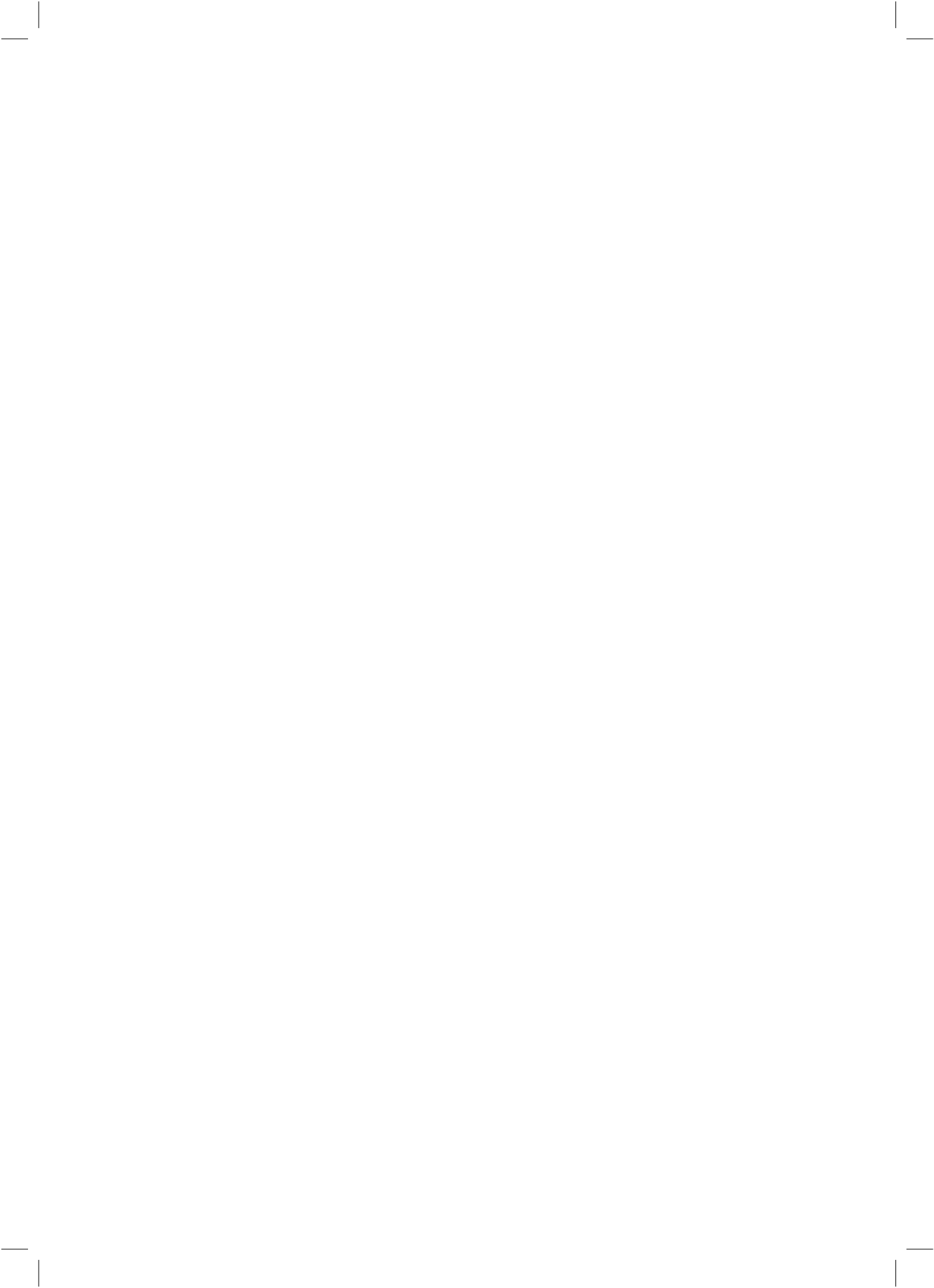
# مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية

**أ. د. هند بنت مصطفى محمد الطيب شريقي**

أستاذ الدعوة والاحتساب - قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة طيبة في المدينة المنورة

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.05>







## Abstract

The biography of the Prophet, peace and blessings be upon him, preserved for us treasures of sayings and actions in which he strengthened the humanity of women in various fields of life, and in all their social roles, so he treated her with benevolence and righteousness, politeness and good logic, ease and grace, consolation and mercy, good omen and glad tidings, appreciation and respect, as well as He made her equal with men in legislation, worship, and education. He also strengthened her moral values, took care of her instinct and instinct, achieved balance and mental health for her, involved her in building and developing society, and fulfilled her human rights after introducing her to them.

**Keywords:** Humanity, The Prophetic Sunnah, advocacy, women, Prophetic guidance

## ملخص البحث

حفظت لنا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام كنوزاً من الأقوال والأفعال التي عزّز فيها إنسانية المرأة في شتى مجالات الحياة، وفي جميع أدوارها الاجتماعية، فتحلّى تعامله معها بالإحسان والبر، والأدب وحسن المنطق، واليسر والسماحة، والمواساة والرحمة، وحسن الفأل والبشارة، والتقدير والاحترام، كما ساوى بينها وبين الرجل في التشريع والعبادات والتعليم، وكذلك عزّز قيمها الأخلاقية، وراعى فطرتها وغريزتها، وحقق لها التوازن والصحة النفسية، وأشركها في بناء المجتمع وتطويره، وأوفاه حقوقها الإنسانية بعد تعريفها بها.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية، السنة

النبوية، الدعوة، المرأة، الهدى النبوي



## المقدمة

الحمد لله الكريم والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين؛ أرسله الله تعالى شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آل بيته وصحابته الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

فإن الله تعالى أكرم خلقه بتكريمهم، بمساواتهم في أصل خلقتهم، فكلهم ينتسب لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُوعًا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ الآية النساء: ١، كما امتن الله على هذه الأمة بأن أرسل إليها خاتم رسله، خليله ومصطفاه من البشر، نبينا محمداً ﷺ، صاحب الخلق العظيم الذي امتدحه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤، وجعل سنة نبيه ﷺ مصدر هدى وعلم ورحمة للناس، يرجع إليها ويستضيء بها كل من أراد معرفة الدين والعمل به؛ حتى يفوز برضا الرحمن تبارك وتعالى، ويحظى برفقة النبي ﷺ في الجنة.

ومن أبرز جوانب سيرته العطرة وهديه الطاهر: حسن خلقه ورقى تعامله مع أطراف المجتمع الإنساني كافة: رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، مسلمين وغير مسلمين، وهو هادي يرتكز في أساسه على ما وصفه الله به: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، حيث انطلق هذا الهدي النبوي في التعامل إلى رحاب العالم والآفاق، وهو يحمل رسالة الرحمة للإنسانية على العموم، ويخص المرأة بمزيد الرعاية والعناية، يتمثل في منهجه في تعزيز مكانتها واحترام إنسانيتها وتقديرها، وقد تكررت وصيته ﷺ للمسلمين بالنساء، ومن ذلك قوله: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)،<sup>(١)</sup> وقد تكررت وصيته بهن خصوصاً في أواخر أيامه، وهي وصية ملزمة لجميع المسلمين.

١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ح ١٤٦٨.

ولذلك كتبت هذا البحث بعنوان: (مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية) ليكشف عن بعض ملامح هديه ﷺ في معاملته للمرأة، إنصافاً وتعزيراً، لتتحول من فرد مستضعف مقهور في المجتمع الجاهلي، إلى عنصر ذي مكانة كبيرة مؤثرة في بناء المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة.

ومما يؤكد أهمية الموضوع وأسباب اختياره ما يأتي:

- ١- شرف موضوعه، فاتباع هديه من معالم الإيمان، وستته هي المصدر الثاني للتشريع، وقد اتفق على ذلك العلماء والمسلمون قديماً وحديثاً.<sup>(١)</sup>
- ٢- وجوب الاقتداء بالأسوة الحسنة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۗ﴾ (١١) الأحزاب: ٢١، فيتعرف المسلم على حياته الخاصة والعامة، ويقتدي بسلوكه وأخلاقه، وهذا يوثق عرى الإنسانية بين الأفراد والمجتمعات -بعون الله-، خاصة في ظل زيادة نسبة التفكك وقضايا العنف الأسري.
- ٣- حاجة المرأة المسلمة المعاصرة إلى إبراز القدوات الحسنة ممن سبقها من نساء الصدر الأول من الإسلام من أمهات المؤمنين والصحابيات رضي الله عنهن، واللاتي ضربن أروع المثل في الاستجابة لدين الله.
- ٤- ضرورة التعريف بمكانة المرأة العالية في الإسلام، وأهمية السعي إلى رفع شأنها وإثبات حقوقها التي أقرها لها الشارع، بدلا من البحث عن حقوق مزيّفة يطالب بها المتغربون في يوم المرأة العالمي أو في يوم الأم وغيره، حيث تتعالى أصوات منظمات وجمعيات تدّعي الدفاع عن المرأة، وتطالب

١- كما نقل ذلك الإمام محمد بن علي الشوكاني فقال: "قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام"، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص ٣٣.

بسنّ قوانين وتشريعات تضمن للمرأة حقوقها وكرامتها، بعيدا عن الإسلام ومصادره.

### أهداف البحث:

سعى هذا البحث -بعون الله وتوفيقه- إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١- تأكيد ضرورة اتباع هدي النبي ﷺ في تعزيزه لإنسانية المرأة.
- ٢- توضيح أهم القيم النبوية السامية في تعامله ﷺ مع المرأة وتأكيد إنسانيتها.
- ٣- المساهمة في إبراز بعض معالم إنسانية المرأة من خلال مجالات متنوعة في السنة النبوية.

### مشكلة البحث وتساؤلاته:

يعالج هذا البحث مشكلة محددة يترجمها سؤال رئيس، هو: ما معالم إنسانية المرأة، وما مجالاتها في السنة النبوية؟ وقد تم تقسيم المشكلة إلى السؤالين الآتين:

- س١- ما أبرز التصرفات والمواقف النبوية التي رسّخت إنسانية المرأة؟
- س٢- ما أهم المجالات التي برزت فيها إنسانية المرأة في السنة النبوية؟

### الدراسات السابقة:

بعد البحث في مظان موضوع البحث وجدت الباحثة بعض الدراسات العلمية التي ترتبط بالموضوع، وهي:

أولاً: (دعوة النبي ﷺ للنساء): الجوهرة بنت محمد العمراني، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام الجامعي ١٤١٧هـ / ١٤١٨هـ. وقد تناولت

الرسالة: مكانة المرأة في الإسلام، ثم تحدثت بالتفصيل عن دعوة النبي ﷺ للنساء من خلال جوانب الدعوة، فذكرت موضوع دعوة النبي ﷺ للنساء، ودعوته لهن باعتبار مراحلهن، وميادين دعوته للنساء، وأساليب دعوته ﷺ للنساء، وخصائص دعوة النبي ﷺ للنساء، وأخيرا أوجه الاستفادة من دعوته لهن في العصر الحاضر.

ثانيا: (الاحتساب على النساء في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، دراسة تحليلية): الجوهرة بنت محمد العمراني، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العام الجامعي ١٤٢٢هـ / ١٤٢٣هـ. وقد تناول البحث الموضوعات الآتية: مشروعية الاحتساب وأهميته في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، وأصناف النساء المحتسب عليهن في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، مجالات الاحتساب على النساء في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، درجات الاحتساب على النساء في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، آداب الاحتساب على النساء في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين وضوابطه، آثار الاحتساب على النساء في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، وأوجه الاستفادة منه في العصر الحاضر.

ثالثا: (تطبيقات الحكمة النبوية في دعوة أفراد المجتمع، المرأة نموذجا)، د. هند بنت مصطفى محمد الطيب شريف، مشروع بحثي مقدم إلى كرسي سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عام ١٤٣٥هـ. وقد تناول البحث: مفهوم تطبيقات الحكمة النبوية وأهميتها، ومعالم تطبيقات الحكمة النبوية في دعوة المرأة، مجالات الحكمة النبوية في دعوة المرأة، التطبيقات الدعوية المعاصرة للحكمة النبوية في دعوة المرأة.

رابعاً: (وقفات دعوية من الهدى النبوي في بناء العلاقات الزوجية)، د هند بنت مصطفى محمد الطيب شريقي، بحث منشور في مجلة الدراسات الدعوية، العدد ٣، ١٤٣١ / ٢٠٠٩ م. وقد تناول البحث مفهوم الهدى النبوي وأهميته، وعرف بالدعوة إلى الله وبين حاجة الدعاة إلى معرفة الهدى النبوي، ثم وضح مفهوم العلاقة الزوجية وبين أهميتها وأسس بنائها في الإسلام، وعرض الوقفات الدعوية الآتية: ضرورة بناء العلاقة المتينة بين الزوجين، اقتداء الدعاة بالهدى النبوي في العلاقات الزوجية، ومراعاة التوافق بين الزوجين، وتناولت الباحثة الهدى النبوي في الجانب العبادي، والجانب الإنساني، والجانب الأسري، والجانب الجمالي، والجانب الترفيهي، مع ذكر عدد من الوقفات الدعوية المستنبطة في كل جانب.

وقد استفادت الباحثة من الدراسات السابقة ومنهجها وشواهداها، وينفرد هذا البحث باختلاف طريقة عرض المواقف النبوية وتحليلها والاستنباط منها، بحيث تعرض معالم إنسانية المرأة من خلال المواقف النبوية في مجالات الحياة المتنوعة، فمواقفه وأقواله وأفعاله في تعامله مع المرأة هي غاية الحكمة وغاية العدل.

**منهج البحث:**

استخدمت الباحثة المنهج الاستردادي التاريخي لجمع المعلومات ودراسة النصوص، وهو منهج «يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار، ويستخدم هذا المنهج في دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن طويل أو قصير، فهو مرتبط بدراسة الماضي وأحداثه؛ من أجل الاستفادة منه في فهم الحاضر والمستقبل»،<sup>(١)</sup> ثم دراسة النصوص النبوية المتعلقة بالموضوع وتحليلها عن طريق المنهج الاستنباطي الذي «يقوم على

١ - ذوقان عبيدات، د عبد الرحمن عدس، البحث العلمي، مفهومه وأدواته وأساليبه، ص ١٦٦.



التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها»<sup>(١)</sup>، كما استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، «وهو الجمع الدقيق والمتأنى للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث، ومن ثمّ التحليل الشامل لمحتوياتها، بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث»<sup>(٢)</sup>.

### تقسيم البحث:

للإجابة عن التساؤلات المذكورة كان تقسيم هذا البحث كما يأتي:

المقدمة وتشمل: أهمية الموضوع ودواعي اختياره، وأهداف البحث، ومشكلة البحث وأسئلته، ثم الدراسات السابقة، ثم منهج البحث، وأخيراً تقسيم البحث، ويتضمن تمهيدا ومبحثين:

المبحث الأول: أبرز التصرفات والمواقف النبوية التي رسّخت إنسانية المرأة، ويتضمن سبعة مطالب:

المطلب الأول: الإحسان والبر

المطلب الثاني: الأدب وحسن المنطق

المطلب الثالث: اليسر والسماحة المطلب الرابع: التوسط بين الرفق واللين، وبين الحزم والتشديد

المطلب الخامس: المواساة والرحمة

المطلب السادس: حسن الفأل والبشارة

المطلب السابع: التقدير والاحترام

١- د عبد العزيز عبد الرحمن علي الربيعه، البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، ص ١٧٨.

٢- د صالح حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ص ٩٠.

المبحث الثاني: مجالات بروز إنسانية المرأة في السنة النبوية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المجال الإيماني العبادي

المطلب الثاني: المجال الأخلاقي السلوكي

المطلب الثالث: المجال الفطري الغريزي

المطلب الرابع: المجال الاجتماعي النفسي

المطلب الخامس: المجال الحقوقي

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث وتوصيات الباحثة والمقترحات.

## التمهيد:

للدين الإسلامي سمت راقٍ ومنهج متميز في التعامل مع المرأة المسلمة والعناية بها، وإبراز مكانتها في المجتمع، حيث بوأها الدين منزلة كريمة وشملها بالرعاية والتقدير في جميع مراحل حياتها، وهذا التكريم ينمو ويزيد كلما تقدّم بها العمر، فتكون طفلة ثم يافعة ثم زوجة ثم أما، وزاد من تقديرها في مرحلة شيخوختها وهرمها، - حيث تكون في السن الذي تستثقلها فيه أغلب المجتمعات غير المسلمة - فأمر بإكرامها بمزيد من الحب والحنو والإحسان والتوقير.

وقد كان هدي رسول الله ﷺ في تعزيز إنسانية المرأة، وتقديرها من أفضل الهدى وأكمله، ولا عجب في ذلك إذ أنه القائل: (.. إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرَّجَالِ) <sup>(١)</sup>، وإن المتأمل في تعامله الشريف مع نسائه، أو بناته، أو نساء المؤمنين؛ ليدرك كيف عاش ﷺ مع نسائه وكان نعم الزوج لهن، وكيف كان مضرب المثل في الحنو والحدب على بناته، وكيف كان نموذجاً حياً في تعزيز مكانة المرأة من خلال تعامله مع النساء، وقد اشتهرت وصاياه للرجال بضرورة مراعاة النساء، كقوله: (اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ؛ فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ)، <sup>(٢)</sup> قال الإمام الشوكاني: «فيه الإرشاد إلى ملاطفة للنساء والصبر على ما لا يستقيم من أخلاقهن». <sup>(٣)</sup>

ذلك أن المرأة أضعف من الرجل طبعاً وقدرة، فلزم التذكير بحقوقها، والحض على إيفائها، وقد قال ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحْرِجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمِ

- ١ - أخرجه الترمذي في أبواب الطهارة، باب باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً، ح ١١٣، ١ / ١٨٩، وقال: وعبد الله ضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه في الحديث.
- ٢ - أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ح ٣٣٣١، ٤ / ١٣٣.
- ٣ - الإمام محمد الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ٦ / ٣٥٨.

وَالْمَرْأَةَ).<sup>(١)</sup> وقد كانت في ضعيفة مهضومة الحقوق لا شأن لها ولا رأي، بل لا ذمة ولا أهلية في كثير من البيئات الجاهلية، ولم يكن لها رأي في شؤون المجتمع أو في نفسها، ومن صور ظلمها واستضعافها في الجاهلية ما روي: (كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِأَمْرَاتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا وَإِنْ شَاءَ وَازْوَجَوْهَا، وَإِنْ شَاءَ وَالَمْ يَزَوْجُوا فَهَمَّ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ)، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ النساء: ١٩.<sup>(٢)</sup>

ومعرفة الهدي النبوي في تعزيز مكانة المرأة وإنسانيتها أمر ضروري لكل مسلم، فالسنة هي الشق الثاني للوحي، وهي المصدر الثاني للتشريع بالاتفاق بين العلماء، واتباعه ﷺ سبب لمحبة الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١، ومن علامات طاعته السير على طريقته والالتزام بهديه، والالتساء به، وهو من أسباب النجاة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١، قال الشيخ السعدي رحمه الله: «الأسوة الحسنة في الرسول ﷺ، فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة». <sup>(٣)</sup>

المبحث الأول: أبرز التصرفات والمواقف النبوية التي رسّخت إنسانية المرأة

منهج الحياة في الإسلام له منظومة قيمية متكاملة، والتزام الناس بها يضمن لهم ولمجتمعهم السعادة في الدنيا والآخرة، وللدن دور كبير في ترسيخ الأخلاق

١- أخرجه أحمد في مسنده، ح ٩٦٦٦، ٤١٦/١٥، وقال الأرئوط: حديث إسناده قوي.

٢- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ النساء ١٩، ح ٤٥٧٩، ٤٤/٦.

٣- الشيخ عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٠٩.

الفاضلة وتعزيز القيم الصالحة في المجتمعات، وقد أحدث انتشار الإسلام تغييرات اجتماعية هائلة في حياة المرأة بعد بعثة النبي وقد تكررت وصيته ﷺ للمسلمين بالنساء، ومن أبرز تلك المواطن خطبة حجة الوداع، حيث جاء عن رسول الله ﷺ أنه في خطبته: (فَحَمَدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ وَوَعَّظَ.. فقال: (أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا،..))<sup>(١)</sup>، فألغيت قيم الغزو والثأر واستضعاف المرأة، وقيم التفاخر بالحسب والنسب، وحلت محلها قيم احترام المرأة، وصون حقوقها، وقيم العدل وحفظ حقوق الضعفاء، وقيم المساواة والإخاء، كما أرسى الإسلام قيم التعاون وقيم الشورى وحسن التعامل وغيرها من القيم السامية.<sup>(٢)</sup>

### المطلب الأول: الإحسان والبر

اتصف تعامله ﷺ للمرأة بالبر والإحسان في أعلى صورته، ومنه إحسانه لزوجاته أمهات المؤمنين، فالعلاقة الهنيئة بين الزوجين تقوم على تقديم الخير والمعروف، وعلى سيادة مشاعر الألفة والمحبة بينهما، وقد بين النبي ﷺ أساس هذه العلاقة الخيرة بقوله: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي).<sup>(٣)</sup>

وقد عاش النبي ﷺ العلاقة الزوجية السامية بكيانه كله، إحساناً وعدلاً وبراً ووفاء لزوجاته، في حياتهن وبعد مماتهن رضي الله عنهن، وتجدد قدوة في الوفاء لشريكة طريقه في الدعوة، وأم أولاده أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فيفرح لرؤية ما يذكره بها ويتواصل بإحسانه وبره لأهلها بعد وفاتها، وتحكي عائشة غيرتها الشديدة منها ووفائه لها فتقول رضي الله عنها: (مَا غَرَّتْ عَلَيَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ:

١- الحديث أخرجه الترمذي في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ح ١١٦٣، ٤٥٩/٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٢- انظر، د محمود عطا عقل، القيم السلوكية، ص ٦٢.

٣- أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، ح ٣٨٩٥، ٧٠٩/٥، وقال: حديث حسن صحيح.

(أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ) قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا).<sup>(١)</sup>

ومن أوجه إحسانه لزوجته: الإفصاح والتعبير عن حبه لها، وإعلان مكانتها العالية في قلبه، فيعلن ﷺ عن حبه لعائشة رضي الله عنها إجابة عن سؤال السائل: من أحب الناس إليك، فيقول: (عائشة)،<sup>(٢)</sup> وهو قدوة للمسلمين في ذلك.

ومما يدل على هذه القيمة: تودده للزوجة بفعل ما يسر قلبها، من أنواع الملاطفة والمداعبة، وتحكي أم المؤمنين حاله ﷺ وتلطفه وتودده لها بقولها: (كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرِّقُ الْعَرَقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ).<sup>(٣)</sup>

ومن إحسانه في تعامله مع أهله تعاونه معهن في شؤون المنزل، وهو أمر لا ينقص من مكانته في قلوبهن، فهو زوج رحيم في بيته، يقترب من أهله ويشارك في مهام بيتهما، وتصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صنيعه في أهله وتجب عن سؤال: ماذا كان يصنع في بيته؟ بقولها: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)،<sup>(٤)</sup> فلم يمنعه تكليف النبوة والرسالة والدعوة والجهاد من أن يكون نعم الزوج الودود الكريم الذي يحمل مسؤولية بيته مع زوجته.

وكذلك رفقته بالأرامل والإماء، والمحتجات من النساء المسلمات، والعمل على قضاء حوائجهن، وحث الناس على السعي لمعونتهن، كقوله: (السَّاعِي عَلَى

- ١- أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، ح ٢٤٣٥، ٤ / ١٨٨٨.
- ٢- أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب في فضل عائشة، ح ٣٨٨٦، ٥ / ٧٠٦، وقال: حديث حسن صحيح.
- ٣- أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها، ح ٢٩٩، ١ / ٢٤٥.
- ٤- أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله، ح ٦٧٦، ١ / ١٣٦.

الْأرْمَلَةَ وَالْمَسْكِينَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ: كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ،<sup>(١)</sup> وكذلك تواضعه ﷺ ورفقه بذوات الحاجة من النساء وقضاء حوائجهن، فقد كان لين الجانب مع الأرامل والإماء والضعيفات مهتما بهن، موصيا المسلمين بتقديم العناية الخاصة المناسبة لهن، وكان عليه الصلاة والسلام لا يتوانى في قضاء حاجة الضعفة من النساء بنفسه، فعن أنس رضي الله عنه قال: (أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانَ انْظُرِي أَيَّ السُّكِّ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ) فحالا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها.<sup>(٢)</sup>

### المطلب الثاني: الأدب وحسن المنطق

اتصف خطابه ﷺ للنساء بمراعاة الأدب والذوق في الحديث، وتجنب الفحش والتفحش، فلم يؤثر عنه كلمة نابية أو جارحة، حتى في حالة الغضب، ويتجلى حسن الأدب في حديثه مع عائشة رضي الله عنها، وكذلك أدبها في مجاوبته، تقول رضي الله عنها: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضْبِي) قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: (أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضْبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ)، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ،<sup>(٣)</sup> وكذلك نجد أنه لا يقبل أن يصدر القول الفاحش منها، لما ردت على اليهود سبهم ولعنتهم، تقول رضي الله عنها: (أَنَّ يَهُودَ اتُّوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّأْمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعْنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: (مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ)، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعِ مَا قَالُوا؟ قَالَ: (أَوْلَمْ

١- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة، ح ٦٠٠٦، ٩/٨.

٢- أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به، ح ٢٣٢٦، ١٨١٢/٤.

٣- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، ح ٥٢٢٨، ٧/٣٦.

تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ. (١)

ومما يؤكد تعزيز السنة النبوية لإنسانية المرأة المسلمة: الثناء على خصالها الحميدة والمدح لها، وقد أثنى النبي ﷺ على نساء قريش بما فيهن من خصال «الحنوة على الأولاد، والشفقة عليهم، وحسن تربيتهم والقيام عليهم إذا كانوا يتامى، ونحو ذلك مراعاة حق الزوج في ماله وحفظه، والأمانة فيه وحسن تدبيره في النفقة وغيرها»، (٢) فقال ﷺ: (نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرٌ نِسَاءِ رَكْبِنَ الْإِبِلِ، أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ). (٣)

ومن حسن منطقته مع المرأة اختيار الاسم الأفضل في معناه لبعض المسلمات، فيغيّر الاسم القبيح في معناه، أو الاسم المتضمن للتزكية إلى اسم يبعث على التفاؤل والحسن، مثل تغييره اسم أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها: فقد (كَانَتْ جُوَيْرِيَةَ اسْمَهَا بَرَّةً فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْمَهَا جُوَيْرِيَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ مِنْ عِنْدَ بَرَّةٍ)، (٤) وقال النووي رحمه الله: «معنى هذه الأحاديث تغيير الاسم القبيح، أو المكروه إلى حسن». (٥)

ولم يكن نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام يشدد على المرأة أو يلزمها بما يصعب عليها، أو يتصيد لزلتها وخطئها، بل كان رحمة مهداة، يراعي المرأة ويخفف عنها عند توقع المشقة، مثل بكاء ابنها أثناء صلاتها معه، ومن ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجَدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ) (٦)، فكان ميسراً

١- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً، ح ٦٠٣٠، ١٢/٨.

٢- الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ١٦/ ٨٠.

٣- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ آل عمران: ٤٥، ح ٣٤٣٤، ٤/ ١٦٤.

٤- أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم، ح ٢١٤٠، ٣١٦٨٧.

٥- الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ٧/ ٢٦١.

٦- أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ح ٧٠٩، ١/ ١٤٣.



على المرأة غير شاقّ عليها، ومتى «يُسّر على الداخل في الطاعة أو المرید للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالباً التزايد منها، ومتى عُسّرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها»<sup>(١)</sup>.

وقد وصفه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بالسهولة واليسر، بعد موافقته لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما خرجت في حجة الوداع ثم حاضت فلم تطف بالبيت، فحزنت لذلك ورغبت في استكمال ما نقصها من الحج، وما أجمل وصف الصحابي الكريم له ﷺ في هذا الموقف الكريم: (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا سَهْلًا، إِذَا هَوَيْتِ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ).<sup>(٢)</sup>

وكذلك رفق مع النساء في الإنكار عليهن إذا ظهر منهن منكر ما، نتيجة مصيبة قاصمة أو صدمة قوية، فقد ترتكب المرأة بعض المنكر بسبب ضعفها وجزعها وعدم تحمل المصيبة، وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: (اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي) قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تَصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَاتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى).<sup>(٣)</sup>

### المطلب الثالث: التوسط بين الرفق واللين، وبين الحزم والتشديد

تبرز هذه القيمة في حكمته في تعامله مع المرأة، وذلك تبعاً للمصلحة المرجوة والمقصد المطلوب، فلم يمنعه رفق ولينه ومراعاته للمرأة وتقديره لها من التحذير الاحتساب عليها عند وقوع المنكر، ومن تنبيهها للخطأ، حرصاً منه ﷺ على جلب

- ١- الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ٤١/١٢.
- ٢- الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز لإفراد الحج والعمرة والقران ح ١٢١٣، ٢/٨٨١.
- ٣- أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح ١٢٨٣، ٢/٧٩.

المصالح للمرأة ودفع المفساد عنها، فينهى زوجه عن التفحش في الكلام، لما ردت على اليهود سبهم، ويقول: (مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ)،<sup>(١)</sup> كما يحتسب بحكمة عند وقوع المنكر، كموقفه من الساتر الذي تضمن التصاوير في بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تقول: (دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ قَرَامٌ<sup>(٢)</sup> فِيهِ صُورٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ)،<sup>(٣)</sup> فلم تمنعه مكانتها في قلبه من إظهار الغضب وهتك الستر حمية لله تعالى، كما يوقع العقوبة إذا اقتضى الأمر إقامة حد القطع على المرأة المخزومية التي سرقت،<sup>(٤)</sup> ويوقع ﷺ العقوبة على المرأة التي تتجاوز الحد في الألفاظ دون سبب يدفعها لذلك، كالمرأة التي لعنت ناقتها عندما بطأت بها، فأمر النبي ﷺ بتركها لها، وحرمها منها، وقال: (خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُلْعُونَةٌ)،<sup>(٥)</sup> فكانت الناقة تمشي ولا يعرض لها أحد من الناس.

والم تأمل لمواقفه التي غلب فيها الحزم والتشديد على المرأة يجد أنه كان لدفع المفساد عنها وجلب المصالح لها، وقد كان عليه الصلاة والسلام لا يغضب إلا لله، ولا يرضى السوء والمنكر في المسلمين رجالا ونساء، ومن ذلك تكرار تحذيره للنساء من كفران العشير وكفر النعمة وجحودها، تقول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: (مَرَّبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَقَالَ: (إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْمُتَنَعِمِينَ)، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا كُفْرَ الْمُتَنَعِمِينَ؟ قَالَ: (لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَطُولَ

- ١- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا، ح ٦٠٣٠، ١٢/٨.
- ٢- "القرام: الستر الرقيق. وقيل: الصفيق من صوف ذي ألوان"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/٤٩.
- ٣- أخرجه البخاري في باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ح ٦١٠٩، ٢٧/٨.
- ٤- الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب ٥٣ (لم يترجم له)، ح ٤٣٠٤، ٥/٥١، وجاء فيه: (فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ).
- ٥- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح ٢٥٩٥، ٤/٢٠٠٤.

أَيَّمَهَا بَيْنَ أَبَوَيْهَا، وَتَعْنَسَ فَيَرِزُقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ زَوْجًا، وَيَرِزُقَهَا مِنْهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَتَعْضَبَ الْغَضَبَةَ فَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ يَوْمًا خَيْرًا قَطُّ، وَقَالَ: مَرَّةً خَيْرًا قَطُّ. (١)

### المطلب الرابع: المواساة والرحمة

«المواساة للمؤمن أنواع: مواساة بالمال ومواساة الجاه ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجه لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلا تباعه من المواساة بحسب اتباعهم له»، (٢) وتبرز هذه القيمة في تعامله مع النساء ذوات الحاجات، ويتجلى رفقته بهن وحرصه على جبر كسرهن وتقديم الدعم لهن، وتتجلى رحمته في إكرامه لمن فقدت أحد أهلها، فقد كان يخص به أم سليم رضي الله عنها بالرعاية وكثرة الزيارة، رحمة وعطفا عليها إذ أن أخاها حرام بن ملحان كان ممن قُتل في بئر معونة، يقول أنس رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إِلَّا عَلَى أَرْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: (إِنِّي أَرْحَمُهَا قَتْلَ أَخْوَاهَا مَعِيَ)، (٣) كما تبرز قيمة رحمته بالنساء وحدهن عليهن في تفقده للضعيفات والفقيرات وكبيرات السن، ومن يستصغر الناس شأنهن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ - وَ شَابًا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «فَلَا كُنْتُمْ أَذْنَتُمُونِي) قَالَ: فَكَانَهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا - وَ أَمْرَهُ - فَقَالَ: (دُلُّونِي عَلَى قَبْرِه) فَدُلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا). (٤)

١ - أخرجه أحمد في مسنده، ح ٢٧٥٦١، ٤٥ / ٥٤٢، وقال الأرئؤوط: حديث حسن.

٢ - ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص ١٧١.

٣ - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير، ح ٢٨٤٤، ٤ / ٢٧.

٤ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز باب الصلاة على القبر، ح ٩٥٦.

ومن صور رحمته بالمرأة تقديم البشارة بالخير الديني والأخروي، تخفيفاً عن المرأة المصابة بمرض أو خوف أو قلق، بما يخفف عنه قلقها وخوفها ويعيد لها الهدوء والطمأنينة، وليدخل السرور إلى قلبها، وهو فعل محمود أمر به النبي ﷺ وفعله بنفسه، والمقصود به: «التخلق بالصفات التي تستدعي الاستئناس والارتياح والتحبب وبثّ الأمل في القلوب، والبعد عن أساليب التنفير ودواعي الانقباض»،<sup>(١)</sup> فالناس بطبيعة أحوالهم الدنيوية يملكون ما يكتفيهم من الهموم والمشاكل، ويحيط كثير منهم الضغط والشعور بالإحباط، ويدفعهم خطاب الأمل والتفاؤل والاستبشار إلى الاستجابة أكثر من مخاطبتهم بما يزيد شعورهم بالإحباط واليأس، ومن ذلك بشارته لأُم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: فقد (بَشَّرَهَا بَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ<sup>(٢)</sup> لَا صَخَبَ، فِيهِ وَلَا نَصَبَ)،<sup>(٣)</sup> فكان جزاؤها من جنس عملها، فقد استجابت للإسلام طوعاً دون منازعة وتعب، بل أزالته عنه كل نصب وأنسته من كل وحشة، وهوّنت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعالها.<sup>(٤)</sup>

وكان يبشّر المرأة بالأجر والثواب وتكفير الخطايا، تقول أم العلاء رضي الله عنها: (عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضَةٌ، فَقَالَ: (أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يَذْهَبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تَذْهَبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)،<sup>(٥)</sup> وبشارته للمسلمات بالنجاة من النار عند الصبر على فقد الولد، فقال: (أَيُّ امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ)، قَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: (وَاثْنَانِ)<sup>(٦)</sup>.

- ١- محمود محمد الخزندار، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، ص ١١١.
- ٢- يعني أنه "بشرها بقصر من زمردة أو لؤلؤة مجوفة"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٧٠/١.
- ٣- أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، ح ٢٤٣٣، ٤/ ١٨٨٧.
- ٤- انظر، الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ١٣٨.
- ٥- أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب عيادة النساء، ح ٣٠٩٢، ٣/ ١٨٤، وقال الألباني: حديث صحيح.
- ٦- أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ح ١٢٤٩، ٢/ ٧٣.

## المطلب الخامس: تقدير عقلها والثقة في تدبيرها

ومنه احترام عقل المرأة والحكمة في إقناعها والتعليل في الحوار معها، بذكر السبب والعلة عند الحاجة، ومثاله: حوارهِ العُقلي الإقناعي مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سألته عن الحجر، تقول: (سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ أَمِنْ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: (نَعَمْ) قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: (إِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ) قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفَعًا؟ قَالَ: (فَعَلَّ ذَلِكَ قَوْمُكَ، لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْ لَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثَ عَهْدِهِمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ، أَنْ أَدْخَلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنَّ الْأَصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ)،<sup>(١)</sup> وقد اهتم النبي بالإجابة عن تساؤلاتها، بل إنه يجيبها باستفاضة وتفسير وتعليل أكثر مما سألت، لتزداد معرفة وعلمها، فبيّن في حوارهِ معها سبب تركه ﷺ تعديل بناء البيت الحرام، وإكمال ما نقص منه بإدخال الحجر<sup>(٢)</sup> فيه، لإدراكه ﷺ أن المصلحة هنا أن لا يحدث في البناء أي تغيير «لأن قريشا كانت تعظم أمر الكعبة جدا، فخشى صلى الله عليه وسلم أن يظنوا -لأجل قرب عهدهم بالإسلام- أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك».<sup>(٣)</sup>

ومن ذلك استشارتها والأخذ برأيها في الأمور العظيمة، وقد فعل الرسول ﷺ هذا مع أم سلمة رضي الله عنها لما اشتكى لها في صلح الحديبية، ثم أخذ بمشورتها فكانت خيرا ونفعا للمسلمين، لما قالت: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، أَخْرُجُ ثُمَّ لَا تَكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ).<sup>(٤)</sup>

- ١- أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، ح ١٥٨٤، ٢/١٤٦.
- ٢- والحجر هو القدر الذي أخرج من الكعبة وهو على هيئة نصف الدائرة، وقدرها تسع وثلاثون ذراعا. انظر، الحافظ ابن حجر، فتح الباري ٣/٤٤٣.
- ٣- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٢٥.
- ٤- الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصلحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح ٢٧٣١، ٣/١٩٣.

ومن تقدير إنسانية المرأة تعزيره ﷺ لقيمة الشعور بالمسؤولية في نفس المرأة سواء كانت مسؤولية فردية عن نفسها ودينها وأخلاقها، أو مسؤولية اجتماعية تجاه المجتمع، وتفعل مبدأ التكليف والمسؤولية أمام الله والمجتمع، حيث أكد المنهج النبوي على مبدأ المساواة في خطاباته الدينية في سبيل ترقية المرأة، فالمرأة تشترك مع الرجل فيها على حد سواء، لأن الإسلام خاطب الجميع بوصف المكلفين، وذلك على مستوى المسؤولية الشخصية والمسؤولية العامة، ومن ذلك قوله ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)،<sup>(١)</sup> وحثها على المشاركة في الدعوة إلى الله وبناء المجتمع وتنميته، والإذن لها بالمشاركة في الجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك مما تكثر فيها الشواهد.

### المبحث الثاني: مجالات بروز إنسانية المرأة في السنة النبوية

أن تعامل النبي ﷺ مع المرأة، ووصاياه المتنوعة بالإحسان للمرأة يُعدّ تعليماً وتربيةً للصحابة رضي الله عنهم على منهج التعامل الصحيح مع المرأة، وهذه النقلة في النظر للمرأة وتعزيز مكانتها تحتاج إلى ممارسة عملية تطبيقية من مبلغ رسالة الإسلام نبينا محمد ﷺ، فهو القدوة التي يُقتدى بها، سواء في تعامله مع المرأة بشكل مباشر عملي، في مواقف الحياة المختلفة، أو بشكل غير مباشر مثل توجيهاته للناس ووصاياه الماثورة عنه في الإحسان إليها، وإيفائها حقوقها فهو المبلغ عن الله تعالى، ومن ذلك ما جاء في حجة الوداع لما قال: (أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ

١ - أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، ح ٥٢٠٠، ٧ / ٣١.

حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُؤْطَأَنَّ فُرُشَكُمْ مِنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بَيْوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ... (١).

### المطلب الأول: مجال التكليف الشرعي

يرتكز الخطاب الديني بالتكاليف الشرعية، على أن الحساب والجزاء يشمل الرجال والنساء على حد سواء، فهما سواء في الإنسانية، وفي أصل الخلقة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُؤًا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء: ١، والمرأة كالرجل في وجوب التسليم لشرع الله وحكمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب: ٣٦، ومن التوجيهات النبوية التي تبرز المساواة بين الرجل والمرأة في التعاون على القيام بالقربات: قوله ﷺ: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيَّقُظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيَّقُظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ). (٢).

ولا يبالغ القائل بأن مرحلة صدر الإسلام تعتبر مرحلة متميزة في تاريخ المرأة المسلمة، حيث خصها الإسلام بالخطاب الدعوي في أمور عديدة، فأمرها بما أمر به الرجال من القيام بالأعمال الصالحة والقربات، ومنها أجل الأعمال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة لدين الله، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية التوبة: ٧١، وكذلك حين ساوى بينها وبين الرجل في المبايعة على الإسلام، وكان النبي

١- أخرجه الترمذي في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ح ١١٦٣، ٣/ ٤٥٩، وقال: حديث حسن.

٢- أخرجه أحمد في مسنده، ح ٧٤١٠، ١٢/ ٣٧٢، وقال الأرئؤوط: حديث إسناده قوي.

يُبايع النساء كما يبايع الرجال، لكن لا يصفح النساء، فقد روت أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ، فَلَقَنَنَّا: (فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ)، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعْنَا. قَالَ: (إِنِّي لَا أَصَافِحُ النَّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ، قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ).<sup>(١)</sup>

وفي جانب العبادات يعلمها بنفسه ويوجه إلى البديل الأفضل عند تعديل السلوك المفضول، والإرشاد إلى الأكثر أجرا من الأعمال، فيعلم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها بقوله: (لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزَنْتَ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضًا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)،<sup>(٢)</sup> وقد حفظت لنا السنة النبوية حرصه ﷺ على تعزيز قيمة الوسطية في السلوك الديني، فالوسطية شعار أمة الإسلام في كل أمورها، فيوجه المرأة المسلمة إلى التوسط والاعتدال في عبادتها لتسلم من الوقوع في الإفراط أو التفريط، أو من الغلو والتقصير، كي لا تصل إلى حد السامة ونفور النفس، أو تغلو في النوافل فتضيع بها الفرائض أو الحقوق، ولا تفرط فيها بحيث تنحصر كل همومها بالدنيا وشهواتها، وتنسى الآخرة والإعداد لها، فيأمر بلزوم الاعتدال في العبادة، وتجنب تكليف النفس ما لا تطيق كي لا تفتن، فقد دخل النبي ﷺ المسجد (فَإِذَا حَبِلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: (مَا هَذَا الْحَبْلُ؟) قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لَزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا، حُلُّوهُ لِيُصَلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ).<sup>(٣)</sup>

كما يحث ﷺ المرأة المسلمة التي زنت على التوبة إلى الله، بعد وقوعها في المعصية ورغبتها أن تلقى الله بدون ذنب فرحمها وأمر وليها بأن يحسن إليها حتى

١- أخرجه أحمد في مسنده، ح ٢٧٠٠٦، ٤٤/٥٥٦، وقال الأرنؤوط: حديث إسناده صحيح.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسيح أول النهار وعند النوم، ح ٢٧٢٦.

٣- أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في الصلاة، ح ١١٥٠، ٢/٥٣.



تضع جنينها، خشية عليها من أذية أهلها لها لغيرتهم عليها ولحوق العار بهم، ورحمة لها لأنها تابت وأعلنت توبتها، واختارت إقامة الحد عليها في الدنيا، فأقام عليها الحد ثم صلى عليها وقال: (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدَتْ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟).<sup>(١)</sup>

وقد حفظت لنا سنته تحذيره للنساء تربية لهن على ضبط سلوكهن الانفعالي، حتى يبقى المجتمع متماسكا فلا يصدر سلوك خاطئ، كالجحود والنكران لفضل الزوج، بدلا من الاعتراف بالفضل والإكرام والرضا، فقد جاء في الحديث أنه قال: (وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) قَالُوا: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (بِكُفْرِهِنَّ) قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: (يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ يعظ النساء تعليما لهن، ودلالة لهن على الخير وتحذيرا من الشر، كقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَلَبًا)،<sup>(٣)</sup> كما كان يعظهن تأديبا وتصريحا بالنهي والزجر عن المنهيات، وقد (قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدِّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، قَالُوا: وَفُلَانَةُ تُصَلِّيُ الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدِّقُ بِأَثْوَارٍ،<sup>(٤)</sup> وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ).<sup>(٥)</sup>

١- أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ح ١٦٩٦، ٣/ ١٣٢٤.

٢- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب كفران العشير وهو الزوج، ح ٥١٩٧، ١/ ١٥.

٣- أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ح ٤٢٤٣، ٢/ ١٤١٧، ٢/ ١٤١٧، وقال الألباني: حديث صحيح.

٤- الأثوار جمع ثور وهي القطعة من الإقط وهو اللبن الجامد المستحجر، انظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١/ ٢٢٨.

٥- أخرجه الحاكم في المستدرک، في كتاب البر والصلة، ح ٧٣٠٥، وقال الذهبي: حديث صحيح.

## المطلب الثاني: اعتبار تقدير المرأة واحترام مشاعرها معيارا لخلق الرجل

دعوة الإسلام دعوة أخلاقية، تركز على منظومة قيمية وأخلاقية متكاملة، وقد قال عنها ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)،<sup>(١)</sup> ينظر الإسلام للمرأة نظرة أخلاقية قيمية، ولنبينا ﷺ من ذلك أجمل المعاني وأسمائها؛ فلقد كانت المرأة حاضرة في حياته ﷺ بكل تجلياتها، وكانت سائر الحقوق والأعمال تصدر منه ﷺ تجاهها مغلّفة بالرحمة مسبوقه بها، وملحوقه بها، ومصاحبة لها، فالحقوق إذا لم تقتنر بقيم الإسلام وآدابه جاءت منقوصة مشوّهة، مسلوّبة الجمال والكمال، يلحقها المنّ والأذى والشح والنقصان،<sup>(٢)</sup> وقد خص النبي ﷺ النساء باستحقاق المعاملة الخيرة الطيبة، فقال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ).<sup>(٣)</sup>

ومن صور المعاملة الإنسانية للمرأة في الجانب الأخلاقي: تعزيز قيمة الوفاء، فيضرب المثل بوفائه لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وذكرها بالخير دائما، وصلة أهلها، وصدقياتها حتى غارت منها عائشة رضي الله عنها.<sup>(٤)</sup>

ومن القيم الأخلاقية التي أظهرت إنسانية المرأة: قيمة العدل، وإيفاء الحقوق لأصحابها، ومنها: عدل الرسول ﷺ بأفعاله وأقواله بالأمر بإيفاء حق المرأة في المهر، وإيجاب النفقة للمرأة على زوجها، وحسن عشرتها، والإنصاف في التعامل معها، والعدل من أهم أسس الحياة الزوجية، لأنه يقوي بناء الأسرة، ويحقق صفاء القلوب وتآلف النفوس، ومن ذلك عدله في تعامله مع زوجاته، في النفقة

- ١- أخرجه أحمد في مسنده، ح ٨٩٥٢، ١٤ / ٥١٣، وقال الأرئوط: حديث صحيح.
- ٢- د مها جريس محمد الجريس، قيمة الرحمة في تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المرأة، وتطبيقاتها في سيرته، ص ٨.
- ٣- أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ح ٢٦١٢، ٣ / ٤٥٨، وقال: حديث حسن صحيح.
- ٤- أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، ح ٢٤٣٥، ٤ / ١٨٨٨.

والمبيت والمعاملة، وحتى في خروجهن معه للسفر والغزو كان يعدل بينهن، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أْفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيْتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا).<sup>(١)</sup>

وكذلك الحث على النظر إلى إيجابيات شريكة الحياة، وقد أمر النبي ﷺ المسلم بتقدير فضل المرأة، والموازنة بين ما يكون فيها من إيجابيات وسلبيات، بقوله: (لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)،<sup>(٢)</sup> فمن العدل الاعتراف بفضل شريك الحياة، وشكره والثناء عليه وتقدير ما يقدمه، وتكرار ذلك لطيب أثره على العلاقة الزوجية، ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله: في الحديث الإرشاد إلى حسن العشرة والنهي عن البغض للزوجة بمجرد كراهة خلق من أخلاقها، فإنها لا تخلو من وجود أمر يرضاه منها، وإذا كانت المرأة مشتملة على المحبوب والمكروه فلا ينبغي ترجيح مقتضى الكراهة على مقتضى المحبة.<sup>(٣)</sup>

وقد كان ﷺ شديد الحياء حتى وصفه الصحابة بأنه: (أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا)،<sup>(٤)</sup> إلا أن حياءه ﷺ الذي وصف به، وحياء الصحابيات الكريمات لا يتعارض مع الدعوة وطلب العلم والتفقه في الدين، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)<sup>(٥)</sup>، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الحياء من الإيمان، وهو الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما ما يقع سبباً لترك أمر شرعي؛

١- أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة المرأة لغير زوجها، ح ٢٥٩٣، ١٥٩/٣.

٢- أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ح ١٤٦٩، ١٠٩١/٢.

٣- انظر، الإمام محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ٦/٣٥٨-٣٥٩.

٤- أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ح ٣٥٦٢، ٤/١٩٠.

٥- أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، بدون رقم، ٣٨/١.

فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة»<sup>(١)</sup> «وعندما يكون الحياء امتناع النفس عن القبائح والنقائص؛ فإنه خلق يُمدح في الإنسان، لأنه يكمل الإيمان ولا يأتي إلا بخير، أما عندما يصبح الحياء زائداً عن حده المعقول؛ فيصل بصاحبه إلى الاضطراب والتحير، وينتقص نفسه من فعل الشيء الذي لا ينبغي الاستحياء منه؛ فإنه خلق مذموم في الإنسان، لأنه حياء في غير موضعه، وخجل يحول دون تعلم العلم وتحصيل الرزق»<sup>(٢)</sup> وقد أدركت الصحابيات ذلك فعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: (جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: (إذا رأت الماء)، فغطت أم سلمة، تعني وجهها، وقالت: يا رسول الله أو تحتلم المرأة؟ قال: نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها).<sup>(٣)</sup>

كما يعزز ﷺ قيمة العفة والستر والحياء لدى المرأة من خلال حرصه ﷺ على ستر المرأة وصيانتها من مخالطة الرجال، حتى وهي في المسجد، ويأمرها أن لا ترفع رأسها إن كانت تصلي خلف الرجال، خشية من انكشاف عورة أحد من الرجال، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (لقد رأيت الرجال عاقدي أزرهم في أعناقهم مثل الصبيان من ضيق الأزر خلف النبي ﷺ). فقال قائل: (يا معشر النساء لا ترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال).<sup>(٤)</sup>

ويحث المرأة على الجود والبذل ولو بأقل القليل، لما لهذه القيمة من أثر في التكافل الاجتماعي، فيحث أم بجيد رضي الله عنها على الصدقة ولو بالقليل: (إن لم تجدي له شيئاً تعطيه إياه إلا ظلماً محرَقاً فادفعيه إليه في يده)<sup>(٥)</sup> ويوجه المرأة

١- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٢٩.

٢- د. مصطفى البغا، ومحي الدين مستو، الوافي في شرح الأربعين النووية، ص ١٤١.

٣- أخرجه البخاري في كتاب باب الحياء في العلم، ح ١٣٠، ١/ ٣٨.

٤- أخرجه مسلم في، كتاب الصلاة، باب أمر النساء المصليات وراء الرجال أن لا يرفعن رؤوسهن... ح ٤٤١، ١/ ٣٢٦.

٥- أخرجه الترمذي في أبواب الزكاة، باب ما جاء في حق السائل، ح ٦٦٥، ٣/ ٤٣، وقال: حديث صحيح.

إلى الكرم والإنفاق رعاية لحق الجار لما في التهادي وحسن التواصل مع الجارات من ربط للصلاة ونشر للمحبة، وإزالة للضغائن، وعدم توفر الكثير لا يمنع من إهداء القليل، فيقول: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً)،<sup>(١)</sup> قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله، لا إلى حقيقة الفرسن، لأنه لم تجر العادة بإهدائه، أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله، بل ينبغي لها أن تجود بما تيسر، وإن كان قليلا فهو خير من العدم».<sup>(٢)</sup>

ومن أجمل ما سجلته لنا سيرة النبي ﷺ في تعامله مع أخطاء زوجاته وتهذيبه لسلوكهن الناتج عن عواطفهن القوية مثل الغيرة، ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضْرَبَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَقَ الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: (غَارَتْ أُمَّكُمْ) ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كَسَرَتْ صَحْفَتَهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ)،<sup>(٣)</sup> فلم يواخذها بما صدر منها من كسر للصحفة، لعلمه بطبيعة زوجته وغيرها من ضرائرها، فعالج هذا الخطأ بحكمة ورفق وعدل.

### المطلب الثالث: اعتبار خصائص المرأة الفطرية والغريزية في معاملتها

وتبرز مراعاته لفطرة المرأة وغريزتها بشكل جلي في حرصه ﷺ على الوفاء بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة، فإشباع الحاجة الجنسية بين الزوجين عامل مهم ومؤثر بشكل كبير في هدوء العلاقة الزوجية وتماسكها، وهو أمر فطري

١ - أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل، ولا تمتنع عن القليل لاحتقاره، ح ١٠٣٠، ٢/٧١٤.

٢ - الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ١٩٨/٥.

٣ - أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة، ح ٥٢٢٥، ٧/٣٦.

مشارك بين الرجل والمرأة، وقد راعى النبي ﷺ حاجة زوجاته، ووفاهن حقهن رغم تعددهن، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله أنه كان: (يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ، فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلَهُ يَوْمٌ تَسْعُ نِسْوَةٌ).<sup>(١)</sup> كما حفظت لنا سنته ﷺ صوراً جميلة تجمع بين إشباع الغريزة مع إرواء الحاجة إلى المحبة وإشباع العاطفة لدى الزوجة، وهو من الأسباب المهمة لدوام المحبة والألفة بين الزوجين، تروي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها موقفاً نبوياً راقياً يتدفق بالمحبة تقول: (حَضْتُ وَأَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَمِيلَةِ، فَنَسَلْتُ فَخَرَجْتُ مِنْهَا، فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي فَلَبِسْتُهَا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَنْفَسْتِ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، فَدَعَانِي، فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ فِي الْخَمِيلَةِ)، وَقَالَتْ: وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: (كَانَ يَقْبَلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ)، وَتَقُولُ: (وَكُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيَّ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنَ الْجَنَابَةِ).<sup>(٢)</sup>

ومن الحاجات الفطرية التي راعاها ما روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت تلعب بالدمى كالبنات في بداية زواجها لصغر سنها وهي عند رسول الله، تقول: (وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي فَكُنَّ يَنْقَمَعْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَتْ: (فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْرِبُهُنَّ إِلَيَّ).<sup>(٣)</sup> كما يعمل ﷺ على إدخال السعادة إلى قلب زوجته بفعله، حين يقوم ويسترها لتنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، مراعاة منه لحاجتها للترفيه، فتقول رضي الله عنها موصية الصحابة بمراعاة الحاجة للهو والترفيه عند الفتيات وتقول: (كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحَرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنُصَرِّفُ)، فَأَقْدَرُوا قَدَرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةَ السَّنَّ، تَسْمَعُ اللَّهْوَ)،<sup>(٤)</sup> فمن الضروري تلبية حاجة النفس للترفيه لأنه يعينها على تحمل مشاق العمل والجد في حياتها، ويزيل التعب ويدخل السرور

- ١- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من طاف على نساءه في غسل واحد، ح ٥٢١٥، ٧/ ٣٤.
- ٢- أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب النوم مع الحائض وهي في ثيابها، ح ٣٢٢، ١/ ٧١.
- ٣- الحديث أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة، ٤/ ٢٤٤٠، ١٨٩٠.
- ٤- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، ح ٥١٩٠، ٧/ ٢٨.

على النفس، خاصة بعد الجد والكدر، ليستعيد بها نشاطه، ويريح عقله وفكره، على أن لا تتعارض هذه الأنشطة الترويحية مع القيم والمبادئ الإسلامية، أو أن تكون سببا في التقصير في أداء العبادات والواجبات، وكان ﷺ يستغل المناسبات المختلفة ليبادر إلى إدخال السرور إلى نفس زوجته، ببعض أنواع من اللهو الجائز مرة أخرى، فهو يسابق عائشة رضي الله عنها حتى يسبق أحدهما فيسبقه المرة الأخرى بها، فلما سبقها (فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: (هَذِهِ بَتْلُكَ)).<sup>(١)</sup>

### المطلب الرابع: المجال الاجتماعي النفسي

مرّت المرأة المسلمة بنقلة هائلة أثناء تحوّلها من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع المسلم، الذي قدّر إنسانيتها ومكانتها، فقرر حقها - عند الحاجة - «أن تمارس جميع الأعمال التي يمارسها الرجل، بشرط مشترك بينهما وهو: الالتزام بالأحكام الشرعية والآداب الإسلامية، وبما يخصها كالحجاب والحياء، ويُفضل لها الأعمال التي تناسبها وتحفظ مكانتها وكرامتها وقداستها كأُم وزوجة وبنت وأخت، واعتبر الإسلام أهم وظائفها: التربية ورعاية البيت، فهي راعية المنزل، وربّة البيت، ووظيفتها مقدسة ومحترمة، ويتوقف عليها بناء الأمة والأجيال والرجال».<sup>(٢)</sup>

إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ العطرة في تعامله مع النساء ليدرك مدى تغيّر أحوال المرأة في صدر الإسلام، ويعلم يقينا أنها نالت حظوة عالية من التقدير والاحترام تعزيزا لمكانتها، وهذا لا يعني أن الإسلام أمر المرأة بالصفق بالأسواق، أو الخروج من البيت لغير مصلحة أو حاجة، بل أن الأمر الإلهي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ﴾ الأحزاب: ٣٣، كان ضابطا لسلوك المرأة، وموجدا لبيئة مجتمعية طاهرة سامية تكرم المرأة وتحفها بالعناية، وقد أكد حقها على ولي أمرها في النفقة بالمعروف،

١- الحديث أخرجه أحمد في مسنده، ح ٢٦٢٧٧، ٤٣/٣١٣، وقال الأرئوط: حديث إسناده جيد.

٢- د محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، ص ٢١٨.

(وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)،<sup>(١)</sup> كما أنها لم تطالب بالإنفاق على غيرها، فإن فعلت ذلك كان ذلك منها خيرا وعملا صالحا تتقرب به لله تعالى، وإن عملت للتكسب فإن هذا يدخل في حكم المندوب، لأنها تتكسب لأجل الادّخار فيما تحتاج إليه في المستقبل، أو للإنفاق على الفقراء والمساكين، أو لصلة رحمها، وغيره من وجوه البر والإحسان.<sup>(٢)</sup>

وإن مقصد التعامل النبوي مع المرأة وإشراكها في بناء المجتمع وتنميته يضيفي بعدا إنسانيا وإيمانيا لأعمالها التي تقدّمها، فالمسلمة التي تفقه مقاصد الإسلام تكون أقرب إلى إخلاص نيتها وغايتها لله، كما أنها تتفاعل بشكل مستمر لتقديم الخير، وقد أكدت السنة النبوية الأدوار الفعالة التي يمكن أن تساهم فيها المرأة كالمجالات الدعوية، والاجتماعية، والتعليمية والاقتصادية وغيرها، فقد كانت المرأة المسلمة حاضرة في بيعة العقبة الثانية،<sup>(٣)</sup> وكانت كذلك مع المهاجرين في الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة،<sup>(٤)</sup> وكانت أهلا لأن تؤتمن على سر هجرة النبي ﷺ وصاحبه،<sup>(٥)</sup> حيث لم يعلم به إلا بضعة نفر منهم عائشة وأسماء رضي الله عنهم أجمعين.

كذلك شاركت المرأة المسلمة في غزوات النبي ﷺ وجهاد المشركين، ومن النساء من اشتهرت بالشجاعة والمشاركة في القتال مثل أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها، وكانت ممن حضر بيعة العقبة الثانية، وقال عنها ﷺ: (ما التفت يوم أحد يمينا وشمالا إلا وأراها تقاتل دوني).<sup>(٦)</sup>

- ١- الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي عليه الصلاة والسلام، ح ١٢١٨، ٢/ ٨٨٦.
- ٢- انظر، د علي إبراهيم القصير، الكسب، حقيقته، حكمه، ضوابطه، مقاصده، ص ٩٨٥.
- ٣- حضر البيعة: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي رضي الله عنهما، انظر سيرة ابن هشام، ٤٤١/ ١.
- ٤- انظر، سيرة ابن هشام، ٣٢٢/ ١.
- ٥- انظر، سيرة ابن هشام، ٤٨٥/ ١.
- ٦- الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٤٢/ ٨.



ومن شواهد إنفاق المرأة من مالها وتحقيقها للتكافل الاجتماعي الأسري: ترغيبها في الإنفاق على الزوج والأبناء عند حاجة الزوج لذلك، وتبشيرها بأن لها أجران، كما قال لزينب زوج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وامرأة من الأنصار: (لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ).<sup>(١)</sup>

كما يوجهها لتقديم الخير للمسلمين وفعل المعروف حتى في الأوقات الحرجة، فيجيز لخالة جابر بن عبد الله رضي الله عنهم وهي في عدة طلاقها أن تخرج لجدّها نخلها، ويذكرها ببذل المعروف والصدقة، يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (طَلَّقْتُ خَالَتِي، فَأَرَادَتْ أَنْ تَجِدَّ نَخْلَهَا، فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ، فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: (بَلَى فُجْدِي نَخْلِكَ، فَإِنَّكَ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا)،<sup>(٢)</sup> وهذا يدل على حرصه ﷺ على ربط أفراد المجتمع برباط الأخوة والمودة والتراحم بينهم، وتعزيز شعور الجسد الواحد بين المسلمين.

ومن نماذج تعزيز إنسانية المرأة في الجانب الاجتماعي: المبادرة بتكليفها ببعض الأعمال التي تفيد المجتمع، أو توجيهها للقيام بتكليف من يعمل ذلك، كما أمر ﷺ أحد نساء الأنصار بأمر غلامها النجار أن يصنع له منبرا يجلس عليه في خطبته، ويقف عليه ليراه المسلمون، ولا شك أن إعطاء المرأة دورها الإيجابي في خدمة دينها له أثر كبير على ثقتها بنفسها واعتزازها بمساهمتها، ودافع لها لبذل المزيد، فقد (أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى فُلَانَةَ -امْرَأَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ.. (مُرِي غُلَامَكَ النَّجَّارَ، أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ)، فَأَمَرْتُهُ فَعَمَلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهَا فَوَضَعَتْهَا هُنَا)،<sup>(٣)</sup> فيشير ﷺ منابح الخير في نفس المرأة، بفتح أبواب كثيرة متنوعة لبذل الخير

١- أخرجه أحمد في مسنده، ح ٢٧٠٤٨، ٢٥ / ٤٩٠، وقال الأرنبوط: حديث صحيح.

٢- أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها.. ح ١٤٨٣، ١١٢١ / ٢.

٣- أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، ح ٩١٧، ٩ / ٢.

والترغيب فيه، تشجيعاً لها على الإحساس بالإيجابية، حتى في الأعمال التي قد تبدو بسيطة من أول وهلة، لأن ذلك يزيد حبا وإقبالا على عمل الخير، ويشجعها على العمل ويقبل هديتها، فهذه امرأة تهدي النبي ﷺ بردة من صنع يديها (قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا لِأَزَارُهُ...<sup>(١)</sup>).

ونقلت لنا سنته المطهرة حرصه على تعزيز ثقة المرأة المسلمة بنفسها، فهو يزرع الأمل والتفاؤل في قلبها، ويشير كوامن الخير فيها، ويحفزها ويرفع همتها، ويتعدى عن الإساءة والتجريح أو إشعارها بالدونية، ويظهر هذا جليا في إظهار فضل المرأة ومكانتها سواء في الدنيا أو في الآخرة، فيقول عن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: (خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيْمُ ابْنَةُ عَمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ)،<sup>(٢)</sup> ويقول عن ابنته فاطمة رضي الله عنها: (فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)،<sup>(٣)</sup> كما يبشّر ابنته فاطمة رضي الله عنها ويدخل السرور إلى نفسها بقوله: (أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ)،<sup>(٤)</sup> ويشني على أم المؤمنين عائشة ويظهر فضلها بين النساء فيقول: (فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)،<sup>(٥)</sup> ومن صور اعتبار مكانة المرأة وإنسانيتها: حفاوة استقباله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها، وإظهار فرحه بقدومها عليه: (وَكَاثَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

- ١- أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب البرود والخبر والشملة، ح ٥٨١٠، ١٤٦/٧.
- ٢- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب: ﴿وَأَيُّهَا الْمَلِيكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤) يَمْرُومُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرُّكْبَانِ ﴿٤٣﴾ آل عمران: ٤٢ - ٤٣، ح ٣٤٣٢، ٤/١٦٤.
- ٣- أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون رقم، ٢٠/٥.
- ٤- أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح ٣٦٢٤، ٤/٢٠٣.
- ٥- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله ﴿وَكَاثَتْ مِنَ الْقَتِينِ﴾ (١٢) التحريم: ١١ - ١٢، ح ٣٤١١، ٤/١٥٨.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا).<sup>(١)</sup>

وكان ﷺ يلبي دعوة من تدعوه لزيارة بيتها أو إلى طعامها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ لَطَعَامَ صَنَعَتْهُ لَهُ، قَالَ: فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ: (قَوْمُوا فَلَأُصَلِّيَ لَكُمْ)، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طَوْلِ مَا لُبَسَ، فَضَخَّحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ وَرَاءَنَا، فَصَلَّى لَنَا رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ).<sup>(٢)</sup> وقد حفظت لنا سنته دعاءه لصاحبات الفضل من الصحابيات كما يدعو لأولادهن لتطيب أنفسهن، فعن أنس رضي الله عنه قال: (دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ،... ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةِ مَنْبِتِ الْبَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لَأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَةً، قَالَ: (مَا هِيَ؟)، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: (اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ).<sup>(٣)</sup>

### المطلب الخامس: المجال الحقوقي

العدل والإنصاف سمة من سمات الدين الإسلامي، وهو الدين الذي أعطى لكل ذي حق حقه، وأوفى لكل من الرجل والمرأة من الحقوق والواجبات ما تهنأ به حياتهما في الدنيا، وكلف كل منهما بأعمال يقوم بها ويكمل دور الآخر، «وهذا الاختلاف في الأحكام الشرعية بين الذكر والأنثى؛ راجع إلى مراعاة طبيعة المرأة من حيث خلقتها وتركيبها العقلي والنفسي، وغير ذلك من صور الاختلاف»،<sup>(٤)</sup> وقد خصَّ الرجل بنوع من الحقوق، كما في قال تعالى: ﴿وَيُعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرِزْقِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٢٨، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ

١- أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، ح ٣٨٧٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٢- أخرجه أحمد في مسنده، ح ١٢٦٨٠، ٢٠/١١٣، وقال الأرنبوط: حديث إسناده صحيح.

٣- أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من زار قوما فلم يظفر عندهم، ح ١٩٨٢، ٣/٤١.

٤- د عمر عبد الله المقبل، قواعد قرآنية، ٥٠ قاعدة قرآنية في النفس والحياة، ص ٥٩.

فَوَمَوْتٌ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿النساء: ٣٤﴾، وقد جعل الله الرجل مسؤولاً عن المرأة في جميع أحوالها، كما خصَّ الرجل بالرسالة والنبوة والخلافة دون المرأة، وملَّكها الطلاق دونها، وجعله الولي في النكاح دونها، وجعل انتساب الأولاد إليه لا إليها، وجعل شهادته في الأموال بشهادة امرأتين في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ البقرة: ٢٨٢، وجعل شهادته تقبل في الحدود والقصاص دونها، إلى غير ذلك من الفوارق الحسية والمعنوية والشرعية بينهما، وكذلك صان الإسلام للمرأة حقوقها ومكَّنها من الحصول عليها، وقد كانت المرأة مظلومة مهضومة في الجاهلية، فلا حق لها في اختيار الزوج، أو تملك المال والإنفاق، ولا حق لها الميراث بدعوى أنها لا تحمل السلاح وتقاتل، وحُرمت من صداقها عند زواجها فيتملكه ولي أمرها، أو تزوج بالتبادل في زواج نهى عنه الإسلام وسماه زواج الشغار، وغيرها، فأنزلت آيات القرآن، توضح حقوقها وتنصفها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَمَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ النساء: ٣٢، وتلاها النبي ﷺ على المسلمين مبيناً حقوق المرأة المعنوية والمادية، وجاءت فيها الشرائع التفصيلية في معظم حياة المسلمين الاجتماعية من نظم الأموال، والمعاشرة، ومعاملات الأقرباء من الأبناء والنساء، وأشارت إلى عقود النكاح والصداق، وفصلت في بعض الأحكام التي تؤدي إلى انتظام الحياة الزوجية،<sup>(١)</sup> كما ذُكر وأوصى أفراد الصحابة بإعطائها حقها: (وَإِنَّ لِرِجَالِكُمْ عَلَيْكَ حَقًّا..).<sup>(٢)</sup>

١- انظر، د عماد سليمان عواد الحيصه، مكانة المرأة في الإسلام سورة النساء نموذجاً، ص ٢٢٤ وما بعدها.

٢- أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ح ١٩٧٥، ٣/ ٣٩.

وقد كان نبي الهدى ﷺ قدوة في تطبيق قيمة العدل والإنصاف، ومعلماً للرجال والنساء، وهي سمة دين الإسلام الذي كرم بني آدم على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧) الإسراء: ٧٠، فالكرامة الإنسانية لا تفرق بين الذكر والأنثى، بل تعطي كل ذي حق حقه، ومن الحقوق الإنسانية التي حظيت بها المرأة في الإسلام (حق الذمة المالية)، فقد كان لبعض الصحابييات رضي الله عنهن أموال يُدرن تجارتهن بها، أو ينفقن منها على مجتمعهن أو أسرهن، وكانت المرأة تعمل في عهد النبوة تكسبا وطلباً للمال، كما كانت تعمل تطوعاً دون أي مردود مادي، وكانت تستثمر كسبها في خدمة دينها، وكانت تحمل همّ دعوتها ودينها وتساعد بما تستطيع في سبيل نصرته، وقد حفظت لنا سيرتهن بعض أعمالهن ومساهمتهن في عهد النبوة، فهذه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها تاجرة في زمانها، فقد كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال،<sup>(١)</sup> وكانت بعد بعثته ﷺ توأسيه بمالها وتنفق عليه كي يتفرغ للدعوة في وقت تخلى عنه الكثير من قومه، وقد كان لهذا الدعم أثر كبير في حصول السكن النفسي والاستقرار، ومن جميل ثنائه عليه قوله ﷺ عنها: (مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَبِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ)،<sup>(٢)</sup> وقد كانت نعم المؤمنس للنبي ﷺ في طريق دعوته، مزيلة للوحشة التي تنشأ من الوحدة والتفرد، ومشاركة في حمل تكاليف الدعوة، والصبر على ما يلاقيه من ابتلاء ومصاعب في سبيلها.

١- انظر، سيرة ابن هشام، ٢٠٣/١.

٢- أخرجه أحمد في مسنده، ح ٢٤٨٦٤، ٤١، ٣٥٦، وقال الأرئووط: حديث صحيح.

ومن إنسانية المرأة في السنة النبوية اعتبار رأيها ورغبتها في موضوع مهم جدا وهو: الزواج، فمنع إجبارها على الزواج بمن لا ترغب فيه، أو بمن لا ترغب في الاستمرار زوجة له، وراعى أن كل واحد من الزوجين له سماته النفسية والثقافية، والفروق الفردية بين الناس من الأمور الطبيعية، وقد وجه الشرع الحكيم الرجل والمرأة إلى أهم عنصر في اختيار شريك الحياة، وهو الدين والخلق عند الرجل والمرأة سواء بسواء، في قوله ﷺ عن صفات المرأة: (تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرِ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ)،<sup>(١)</sup> كما بين أن الدين والخلق هما أهم صفات الرجل، بقوله: (إِذَا جَاءَ كَمُّ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ)<sup>(٢)</sup>، قال الإمام ابن القيم رحمه الله موضحا حق المرأة في الزواج بالرجل الكفء: «فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أصلا وكامالا، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمرا وراء ذلك، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسبا ولا صناعة، ولا غنى ولا حرية، فجوز للعبد القنّ نكاح الحرة النسبية الغنية إذا كان عفيفا مسلما، وجوز لغير القرشيين نكاح القرشيات، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات، وللفقراء نكاح الموسرات»<sup>(٣)</sup>، فللمرأة الحق في اختيار زوجها بالموافقة على الخاطب لها أو رفضه، ولا يجوز إجبارها على الزواج برجل لا تريده، وبين ذلك بيانا شافيا لا يدع مجالاً للشك أو الاجتهاد من ولي أمرها، فقال ﷺ: (لَا تُنكحُ الأيمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنكحُ البكرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ)، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذن؟ قال: (أَنْ تَسُكَّتَ)،<sup>(٤)</sup> ومن حرصه على موافقة المرأة على الزواج: رده نكاح التي زوجت بغير رضاها، كما

١- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الأكلء في الدين، ح ٥٠٩٠، ٧/٧.

٢- أخرجه الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء (إذا أتاكم من ترضون دينه فزوجوه، ح ١٠٨٥، ٣/٣٨٧، وقال: هذا حديث حسن غريب.

٣- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٥٩/٥.

٤- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر إلا برضاها، ح ٥١٣٦، ٧/١٧.

فعل مع خنساء بنت خذام الأنصارية رضي الله عنها، حيث (أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ نَيْبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَآتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّ نِكَاحَهُ).<sup>(١)</sup>

كما يقدر رأي المرأة ويحترم مشاعرها عند رغبتها في الطلاق والانفصال عن زوجها، ولا يجبرها على البقاء مع من لا تحب، وموقفه المعروف من بريرة وزوجها مغيث رضي الله عنهما، وذلك بعد أن أصبحت حرة، وكان متعلقا بها لا يريد فراقها وهي راغبة عنه، ذلك: (أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَيَّ لِحْيَتِهِ، .. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَوْ رَاجَعْتَهُ)، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: (إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ)، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ).<sup>(٢)</sup>

وكذلك أثبتت السنة النبوية حق المرأة في العدل مع ضرائرها، وقد ضرب النبي ﷺ مثلا عاليا في تعامله مع زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وفي حرصه على العدل بينهن في النفقة والمبيت والسفر، وما يقدر عليه من أمور الدنيا، وكان يتوعد ويحذر من لا يعدل بين زوجاته بقوله: (مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِأَحَدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّتَيْهِ سَاقِطٌ).<sup>(٣)</sup>

كما يميضي ﷺ جوار المرأة ويقبله ويلزم به المسلمين، ويساويها بالرجل، فلها حق إعطاء الأمان، فإذا أمنت وأجارت أحدا من الناس، وجب على المسلمين إنفاذ جوارها، واحترام العهد الذي أعطته، وقد قال ﷺ في خطبته عام الفتح لما قام في الناس خطيبا: (وَالْمُسْلِمُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ

١- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة، ح ٥١٣٨، ١٨/٧.

٢- أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ، ح ٥٢٨٣، ٤٨/٧.

٣- أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب في القسم بين الزوجات، ح ٢١٣٣، ٢٤٢/٢، وقال الألباني: حديث صحيح.

أَدْنَاهُمْ..)،<sup>(١)</sup> فأمضى جوار أم هانئ رضي الله عنها لما أجازت رجلاً أراد أخوها علي رضي الله عنه قتله، تقول: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلًا قَدْ أَجْرْتُهُ، فَلَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِيَّ)).<sup>(٢)</sup>

### الخاتمة

الحمد لله الكريم الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الهادي البشير، الذي كان قدوة للعالمين في أخلاقه وتعامله مع كل البشر، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من أغنى مجالات البحث وأعظمها فائدة: البحث في سنة نبينا ﷺ وسيرته العطرة، التي حفظت لنا صوراً مضيئة ونماذج رائعة من سمو الخلق وحسن التعامل مع المرأة، وحفظ حقوقها تحقيقاً لإنسانيتها، وهو برهان يُردّ به على كل من يوجّه سهامه لينال من عناية الشريعة الإسلامية بالمرأة، أو يدعي زوراً بأن الإسلام ظلمها ولم يوفها حقوقها، وقد عاشت الباحثة بين نصوص السنة النبوية لتنهل من معينها الزاكي، فكان هذا البحث بعنوان: (مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية)، غيض من فيض، ونقطة في بحر الهدى النبوي، وفيما يأتي أهم نتائج البحث:

١- حفظت لنا سيرة النبي ﷺ كنوزاً ثمينة من الأقوال والأفعال التي عزّز فيها النبي ﷺ إنسانية المرأة في شتى مجالات الحياة، وفي جميع أدوارها الاجتماعية وقد كان هذا التعامل مستنيراً بنور القرآن، ولذلك حقق أسمى الثمرات.

١- الحديث أخرجه أحمد في مسنده، ح ٨٥٦٨، ٢٣٧/١٤، وقال الأرنبوط: حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد، ح ٣٥٧، ١/٨٠.



- ٢- إن لتعلم الهدي النبوي في حفظ إنسانية المرأة وتحقيقها أهمية كبيرة لدى الدعاة والمرين، ومن ذلك هديه المتعلق بالتعامل مع المرأة، للمكانة الكبيرة التي حظيت بها في الإسلام، ولتكرار الوصية النبوية بها.
- ٣- شدة حاجة المرأة المسلمة في عصرنا الحاضر، إلى تطبيق هذا الهدي المطهر، لتنال حقوقها التي حفظها لها الدين، بعيدا عن مظاهر التغريب وادعاءات أصحاب الانحراف الفكري والعقدي.
- ٤- إن للهدي النبوي مع المرأة قيما سائدة ثابتة، تؤكد إنسانية المرأة المسلمة وتعززها، ذكر منها: الإحسان والبر، الأدب وحسن المنطق، اليسر والسماحة، التوسط بين الرفق واللين، وبين الحزم والتشديد، الموااة والرحمة، حسن الفأل والبشارة، التقدير والاحترام.
- ٥- من معالم إنسانية المرأة في السنة النبوية في المجال الإيماني العبادي: مساواتها بالرجل في التشريع والعبادات، وتعليمها ووعظها، وتوجيهها نحو الوسطية والأفضل من العبادات، وحثها على التوبة.
- ٦- وأبرز معالم إنسانية المرأة في المجال الأخلاقي السلوكي: تعزيز القيم الأخلاقية السامية كالعدل والوفاء والجود والكرم والحياء والعفة والستر، وتهذيب الانحرافات السلوكية لديها.
- ٧- أما في المجال الفطري الغريزي فإن أبرز المعالم المذكورة في البحث: إشباع حاجاتها الفطرية والعاطفية والنفسية.
- ٨- وفي المجال الاجتماعي والنفسي اعتنت السنة النبوية بتقدير مكانتها وإشراكها في بناء وتطوير المجتمع، وفي الدعوة إلى الله، ومساهمتها في التكافل الاجتماعي، والعمل على إدخال السرور إلى نفسها.

٩- ومن معالم إنسانيتها في السنة النبوية في المجال الحقوقي: إيفاءها حقوقها وتعريفها بها، مثل حقها في التملك، واعتبار رأيها في موضوع الزواج والطلاق، وإمضاء جوارها.

وأما توصيات البحث فهي كما يأتي:

١- توصي الباحثة الدعاة إلى الله والمربين بالتعمق في دراسة الهدي النبوي في المعاملة مع فئات المجتمع .

٢- ضرورة بذل الجهد في تعليم المرأة والفتاة المسلمة، سنة نبينا ﷺ وسير الصحابيات، لتقتدي بهن، وتعي مسؤوليتها وواجبها نحو مجتمعها ودينها، وتوعيتها بمكانتها في الإسلام، لحفظ هويتها وعقيدتها من التغريب.

٣- على القائمين على بناء المناهج التعليمية ورسم السياسات التعرف على الهدي النبوي التربوي، والاستفادة منه في بناء مناهجهم واستراتيجيات تربيتهم وتعليمهم للناشئة ذكورا وإناثا.

ومقترحات البحث كما يأتي:

١- تكثيف الأبحاث العلمية الخاصة بدراسة سنة النبي ﷺ ومنهجه في التعامل مع كافة فئات المجتمع، وتخصيص السنة النبوية بدراسات تجمع بين التأصيل والتطبيق العملي، لشدة حاجة المسلمين إليها.

٢- إجراء الدراسات التأصيلية الخاصة بمكانة المرأة وخصائصها في الإسلام، وتفردا عن غيرها في الأديان الأخرى، وإجراء الدراسات المقارنة بين واقعها في المجتمعات المعاصرة وبين ما حظيت في الإسلام، وذلك فيما يتعلق بالتشريعات الإسلامية الخاصة بها، والتي تحقق إنسانيتها.

٣- إعداد سلاسل من الحقائق العلمية التدريبية، لنشر الوعي والمعرفة بالهدي والخلق النبوي، والتدريب على تطبيقه عمليا بحيث تكون هذه الحقائق مبنية على ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة، محققة للحاجات المجتمعية.

## مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الإمام محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط: بدون، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطابعته ومناقشته، د عبد العزيز عبد الرحمن علي الربيع، الرياض، ط: ٢، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- البحث العلمي، مفهومه وأدواته وأساليبه، ذوقان عبيدات، د عبد الرحمن عدس، ط: ٢، ٢٠١٠م.
- حقوق الإنسان في الإسلام دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، د محمد الزحيلي، ط: ٥، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط: ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط: ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ط: دون.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط: ٢، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥ م.
- شرح صحيح مسلم، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: ٢، ١٣٩٢هـ.
- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٣٩٣ / ١٩٧٣ م.
- قواعد قرآنية، ٥٠ قاعدة قرآنية في النفس والحياة، د عمر عبد الله المقبل، الرياض، دار الحضارة الإسلامية، الرياض، ط: ٣، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م.
- قيمة الرحمة في تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المرأة وتطبيقاتها في سيرته، مها جريس محمد الجريس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، المجلد ٣٣، العدد ١١٣، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨ م.
- القيم السلوكية، د محمود عطا حسين عقل، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: ٢، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م.
- الكسب، حقيقته، حكمه، ضوابطه، مقاصده، د علي إبراهيم القصير، مجلة جامعة الملك سعود، م ١٨، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦ م.
- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د صالح حمد العساف، الرياض، الرياض، مكتبة العبيكان، ط: ٣، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.

- المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- مكانة المرأة في الإسلام سورة النساء نموذجا، د عماد سليمان عواد الحيصة، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، المجلد ٤٧، العدد ٣، ٢٠٢٠م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، الإمام محمد علي بن محمد الشوكاني، لبنان، دار الجيل، ط: بدون ١٩٧٣م.
- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، محمود محمد الخزندار، الرياض، دار طيبة، ط: ٨، ١٤٢٤هـ / ١٠٠٣م.
- الوافي في شرح الأربعين النووية، د. مصطفى البغا، ومحي الدين مستو، بيروت، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط: ١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.



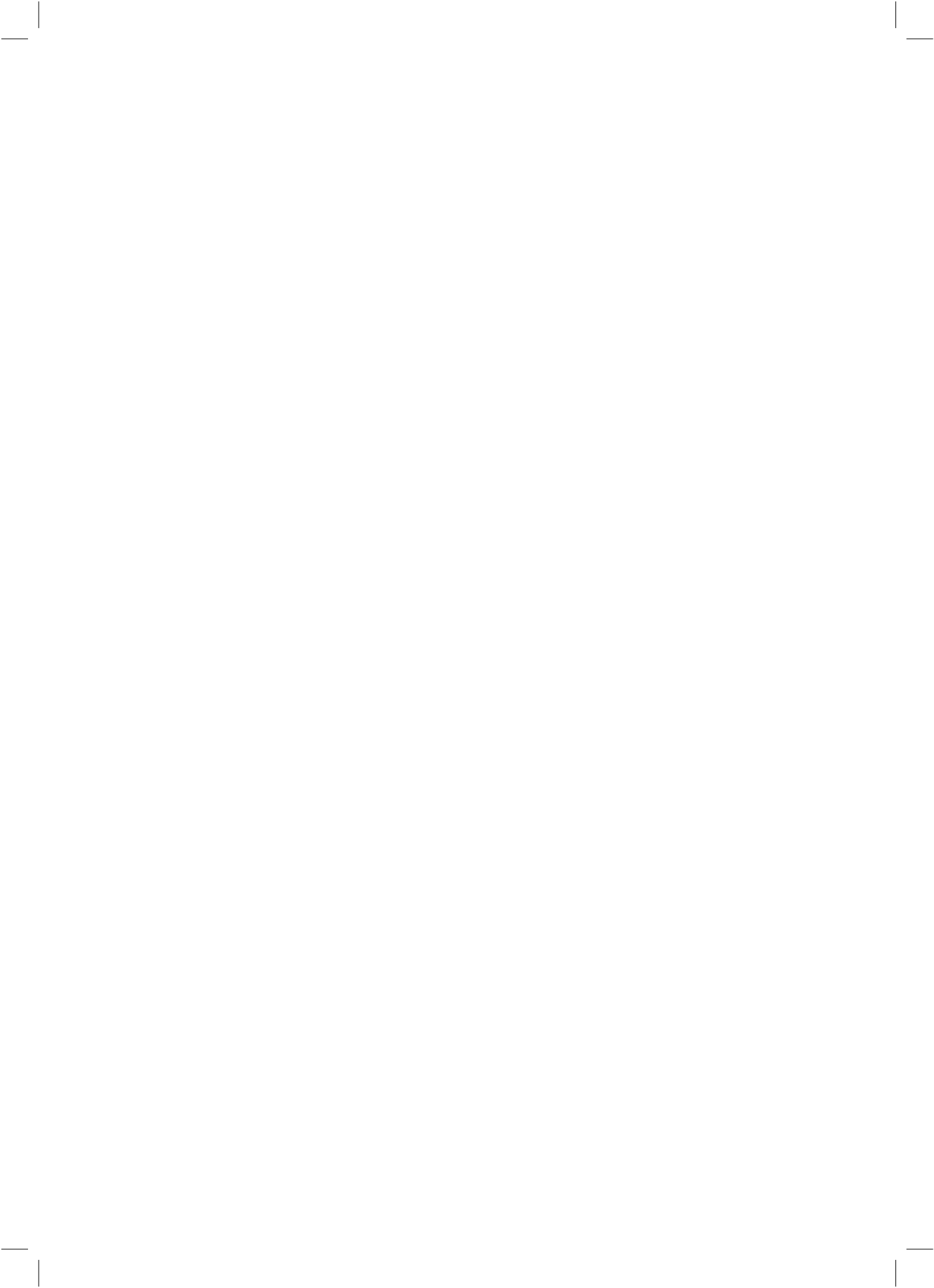
منظومة القيم مدخل أساسي لبناء  
إنسانية الإنسان في السنة النبوية

**د. خديجة بوسبع**

دكتوراه في الدراسات الإسلامية  
المملكة المغربية

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.06>







## Abstract

The research revolves around the system of values that have an important place in the Sunnah of the Prophet, as one of the most important timeless entrances to building a person who is beneficial to himself, his society and his surroundings. And it had the advantage of taking precedence in this construction by focusing on the values that varied between what is ideological, moral, human rights, and social... In order to activate this system, the Messenger (peace be upon him) adopted an integrated and diversified approach to build man and preserve his humanity, between what is preventive and curative. Thus, the Messenger (may God bless him and grant him peace) was able to build a person in whom the signs of righteousness are evident in himself and with others.

**Keywords:** System, values, humanity, human, Prophetic Sunnah

## ملخص البحث

يتمحور البحث حول منظومة القيم التي حظيت بمكانة مهمة في السنة النبوية، بوصفها من أهم المداخل الخالدة لبناء الإنسان النافع لنفسه ولمجتمعه ومحيطه. وقد كان لها فضل السبق في هذا البناء من خلال التركيز على القيم التي تنوعت بين ما هو عقائدي وأخلاقي وحقوقى واجتماعي... ولتنفيذ هذه المنظومة، فقد انتهج الرسول (ﷺ) لبناء الإنسان والحفاظ على إنسانيته منهجاً متكاملًا ومتنوعاً بين ما هو وقائي وعلاجي. وبذلك استطاع الرسول (ﷺ) بناء الإنسان الذي تتجلى فيه معالم الصلاح في تفاعله مع ذاته ومع الآخرين.

الكلمات المفتاحية: منظومة، القيم، إنسانية، الإنسان، السنة النبوية



## المقدمة

لقد خلق الله تعالى الإنسان، واختصه بمجموعة من الميزات؛ منها: أنه خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد الملائكة له تكريماً وتشريفاً، ووهبه العقل والإرادة، وجعله خليفة له في أرضه، وسخر له المخلوقات، وأرسل له الرسل لإخراجه من الظلمات إلى النور، وختمهم بنبينا محمد (ﷺ) لإتمام مكارم الأخلاق التي هي أساس بقاء الإنسان على إنسانيته أبد الدهر.

والتأمل في السنة النبوية يجدها تشكل منظومة قيِّمة متكاملة، لبناء إنسانية الإنسان في جميع مجالات الحياة ومستجداتها، وتقدم نموذجاً فريداً لإعداد مجتمع متوازن؛ يحفظ حق الخالق وحق النفس وحق الآخرين.

ونظراً لحيوية هذا الموضوع فقد أردت المشاركة ببحتي هذا الموسوم بـ «منظومة القيم: مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية». ضمن خطة بحث شملت مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: تعريف كل من «منظومة القيم»، و«إنسانية الإنسان».

المطلب الثاني: نماذج من منظومة القيم البانية لإنسانية الإنسان في السنة النبوية.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تحويل جاهلية الإنسان إلى إنسانية الإنسان.

المطلب الرابع: آثار منظومة القيم وأهدافها في بناء إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية.

الخاتمة ثم لائحة المصادر والمراجع.

## الدراسات السابقة:

تعددت الجوانب التي نالت اهتماماً كبيراً في كتابات المفكرين والأدباء حول الإنسان، إلا أن جانب القيم وعلاقته ببناء إنسانية الإنسان في مصادر الوحي لم يحظ بالنصيب الوافر الذي يستحقه، وقد كان لهذه الندوة شرف التنبيه والتنويه على أسبقية السنة النبوية في احتفائها بإنسانية الإنسان.

ومن الدراسات التي تناولت القيم في السنة النبوية:

كتاب: «القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)»<sup>(١)</sup>، فقد قسم الكاتب القيم إلى علمية واجتماعية وإدارية، إلا أنه لم يبين أهميتها في بناء إنسانية هذا الإنسان.

مقال: «العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة»<sup>(٢)</sup>، تناول هذا المقال دور قيم المساواة والكرامة الإنسانية في السنة النبوية في مقابل ثقافة الاستعلاء والفوقية التي يمارسها الغرب، دون أن يستوعب القيم الأخرى.

أما الإضافة العلمية التي أسعى إليها في هذا البحث - إن شاء الله - فتتمثل في ربط القيم الحضارية التي كانت تحتفي بها السنة النبوية بآثارها وأهدافها في بناء إنسانية الإنسان، وأن هذه المنظومة القيمية النبوية كانت ممارسات عملية، وسلوكات يومية، صنعت جيلاً فريداً يضرب به المثل في إنسانية الإنسان.

المطلب الأول: تعريف كل من «منظومة القيم»، و«إنسانية الإنسان»

أولاً: تعريف المنظومة

المنظومة لغة من نظم: «النَّظْمُ: التَّأْيِيفُ، نَظَمَهُ يَنْظُمُهُ نَظْماً وَنَظَاماً وَنَظَّمَهُ

١- محمد بن عبد الله السحيم، القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ).

٢- زبيدة الطيب، العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة.

فَانْتَظَمَ وَتَنَزَّاهُ. وَنَظَّمْتُ اللَّوْلُوَ أَيَّ جَمَعْتُهُ فِي السَّلْكِ، وَالتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَّمْتُ الشُّعْرَ وَنَظَّمْتَهُ، وَنَظَمَ الْأَمْرَ عَلَى الْمَثَلِ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَرْنَتْهُ بِأَخْرَ أَوْ ضَمَّمَتْ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، فَقَدْ نَظَّمْتَهُ. وَالنِّظَامُ: مَا نَظَّمْتَ فِيهِ الشَّيْءَ مِنْ حَيْطٍ وَغَيْرِهِ، وَكُلُّ شُعْبَةٍ مِنْهُ وَأَصْلُ نِظَامٍ. وَنِظَامٌ كُلُّ أَمْرٍ: مَلَكَهٗ»<sup>(١)</sup>. والمنظومة: مجموعة أفكار ومبادئ مُرتبطة ومنظمة.<sup>(٢)</sup>

ومن التعريف اللغوي نستخلص المعنى الاصطلاحي للمنظومة بوصفها مجموعة من المبادئ والمفردات والعناصر المتداخلة فيما بينها لتحقيق أهداف معينة.

### ثانيا: تعريف القيم

القيم لغة جمع قيمة، وهي: «ثَمْنُ الشَّيْءِ، وَقَوْمْتُ السَّلْعَةَ ثَمَّنْتَهَا أَيَّ: قَدَّرْتُهَا. وَاسْتَقَامَ الْأَمْرُ: (اعْتَدَلَ) فَهُوَ قَوِيمٌ وَمُسْتَقِيمٌ»<sup>(٣)</sup>.

الملاحظ أن مفهوم القيمة قد أخذ معان متعددة منها: تقدير قيمة السلعة والاعتدال والاستقامة، والمكانة الرفيعة.

أما اصطلاحاً فإن مفهوم القيم من المفاهيم التي يصعب تعريفها تعريفاً جامعاً ودقيقاً بسبب اختلاف الحقول التي ينتسب إليها وبسبب تعدد وجهات النظر. وقد عرفها بعض العلماء بأنها: المعايير الثابتة الخالدة، التي تمثل موازين صلاح الأقوال والأفعال والأشياء. موازين العقائد والشرائع والسلوك، وهي في النظرة الإسلامية بمثابة الروح السارية في كل شيء، والحاكمة لكل شيء، والتي يقاس بها صلاح أي شيء، فهي بديهة لا خلاف عليها، وروح سارية لا سبيل إلى إنكارها.

١- ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٥٧٨. بتصرف.

٢- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ٢٢٣٦.

٣- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٣/ ٣١٢. بتصرف.

ومنه فإن منظومة القيم وحدة متكاملة من القيم التي تشكل الإطار المرجعي للتعامل مع الآخرين والتفاعل معهم.

### ثالثاً: تعريف إنسانية الإنسان

الإنسان لغة: ج أناسي، مؤنث إنسانة، وهو اسم جنس لكائن حي مفكر قادر على الكلام المفصل والاستنباط والاستدلال العقلي، يقع على الذكر والأنثى من بني آدم، ويطلق على المفرد والجمع.<sup>(١)</sup>

وعموماً فإن دلالات الإنسان في المعاجم تدور حول معاني: الإنس وبني آدم والناس والمرء والشخص، والبشر... مع الحفاظ على استقلالية كل مفردة بمعناها وخصائصها التي يميزها عن غيرها.

أما اصطلاحاً فإن الإنسان هو «المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز، مع ما يلبس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر، وفتنة الغرور بما يحس من قوته وطاقته، وما يزدديه من الشعور بقدره ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور ومراتب الكائنات».<sup>(٢)</sup>

وإجمالاً فإن الإنسان هو الكائن البشري المتفرد عن باقي الكائنات بالهيئة والكلام والعقل والتفكير.

أما الإنسانية فمنسوبة إلى الإنسان ومن معانيها أنها «مجموع خصائص الجنس البشري التي تميزه عن غيره، ضدّ البهيمة أو الحيوانية»<sup>(٣)</sup>. كما يفهم من الإنسانية كل أعمال الخير التي يقوم بها الإنسان لخدمة أخيه الإنسان.

١- أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١ / ١٣٠.

٢- عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، مقال في الإنسان دراسة قرآنية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، مارس ١٩٦٩ / محرم ١٣٨٩هـ. ص ١٥.

٣- أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١ / ١٣٠. بتصرف.

واصطلاحاً فالإنسانية هي جوهر الإنسان النقي الذي تنبثق عنه كل الصفات والأعمال الصالحة التي تصدر عنه وتعود بالنفع عليه وعلى الآخرين.

المطلب الثاني: نماذج من منظومة القيم البانية لإنسانية الإنسان في السنة النبوية

أولت السنة النبوية عناية كبيرة بالإنسان، بوصفه المخلوق الذي كرمه الله سبحانه وتعالى عن غيره من المخلوقات، فقدمت مجموعة من الأسس والمقومات لبناء الإنسان، منها القيم التي كان لها الأثر الفاعل في هذا البناء، في انسجام وتواشج مع مجموع الخصائص والميزات التي اختص الله عز وجل بها الإنسان وعلى رأسها التكريم الإلهي؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٧٠]. إلا أن هذا التكريم ليس خاصاً بصنف من البشر دون غيره، ذلك أن التصور القرآني جاء بصيغة العموم «بني آدم»، فلا فرق بين أفراد الأسرة البشرية سواء أكان هذا الإنسان أيضاً أو أسوداً أو غنياً أو فقيراً، لأن التكريم الإلهي مشترك إنساني لا ينظر للفروقات اللونية أو الاعتقادية أو العرقية أو اللغوية.

فيكفي أنه إنسان ليستحق التكريم من الله سبحانه وتعالى الذي سخر له كل ما في الكون. لذلك اهتم رسول الله (ﷺ) في بنائه لإنسانية الإنسان بحفظ كرامته في السلم والحرب، في حياته وحتى بعد مماته، لذا نهى (ﷺ) عن المثلة عن أنس قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَحْتُ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُثَلَةِ».<sup>(١)</sup> ففي حفظ كرامة الإنسان ولو ميتاً أكبر دليل على رقي ونبل الرسالة الإسلامية.

إن بناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية لا يقوم إلا بمراعاة كرامة الإنسان واحترام جسده وروحه وعقله ووجدانه حتى يتمكن من حمل أمانة استخلاف

١ - أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم، باب النهي عن المثلة (٧/١٠١)، وحكم الألباني بصحته.



الأرض بوصفه سيداً فيها، وليس مجرد أداة للإنتاج وللاستهلاك كما هو الحال في الحضارة الحديثة.

والجدير بالذكر أن منظومة القيم التي تشكل المدخل الرئيس لبناء إنسانية الإنسان، وحماتها من تأثير مستجدات الحياة، قد سبقت السنة النبوية إلى تطبيقها وتفعيلها في المجتمع الذي كان يتعطش إلى أن ينعم فيه كل فرد بإنسانيته التي خلق عليها، بسبب عوامل الفساد والظلم والخوف التي كانت مستشرية قبل بعثة النبي (ﷺ). وقد تنوعت هذه المنظومة بين ما هو عقائدي، أخلاقي، اجتماعي... ومنها ما يأتي:

#### أولاً: قيمة التوحيد

مما لا شك فيه أن كل المرسلين جاؤوا بعقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد، ودين واحد هو دين الإسلام، وإن اختلفت الشرائع، فأصل الكتب السماوية واحد، ومردّها إلى مشكاة واحدة.

وقيمة التوحيد هي المنطلق الرئيس لبناء إنسانية الإنسان، وهي الأساس الذي يحرر الإنسان من مختلف أشكال العبودية لغير الله تعالى، وفي هذا تشرية وتكرية للإنسان، وتنظيم لعلاقته بخالقه. هذه العلاقة إذا حسنت انعكست آثارها على تفكيره وأخلاقه وإحساسه ومعاملته مع محيطه.

ورسول الله (ﷺ) استطاع بقيمة التوحيد حفز العقول على التأمل والتفكير في ملكوت الله وآياته الدالة على وحدانيته. ودفعها إلى نبذ الخرافات، والثورة على المعتقدات الفاسدة وعلى العصبية الجاهلية، فقيمة التوحيد إذن كبح للوساوس الشيطانية وإرجاع للإنسان إلى فطرته.

وبناء الإنسان قيمياً لم يكن نظرياً فقط بل لقد تم تنزيلها على أرض الواقع؛

ولنا في السيرة النبوية نموذجاً راقياً في النفور من الفواحش وترسيخ القيم الحميدة وعلى رأسها التوحيد حيث كانت باقي القيم امتداداً تطبيقياً له. ويستخلص ذلك مما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقَطِعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مَنَا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مَنَا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصَدَقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - قَالَتْ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، ... ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ.<sup>(١)</sup>

ويستنبط من قول النجاشي أن التوحيد مشترك إنساني، وأن الدين واحد وإن اختلفت الشرائع. كما نلاحظ مما سبق أن رسول الله (ﷺ) تمكن من بناء الإنسان الذي تترفع نفسه عن الرذائل وعن كل أنواع الظلم وعلى رأسها الشرك، ليرجع النفوس إلى نقائها الذي خلقت عليه، وأن تعزز بإيمانها وتقف في وجه المشركين ولا تخاف في الله لومة لائم. ولنا في الصحابة الكرام النموذج الأمثل في التحرر من جبروت كل الطغاة؛ فعن ربيعي ابن عامر في حوار مع رستم قائد الفرس قال: «اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمَنْ جَوَّرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلْنَا بَدِينَهُ إِلَى خَلْقِهِ لِنُدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبَلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى

١ - ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٣٣٦.

نُفِضِي إِلَى مَوْعِدِ اللَّهِ. (١)

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، قال: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ؛ أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (٢).

والمستخلص مما سبق أن الإيمان بوحدانية الله تعالى، يجعل الإنسان يتصرف وفق تكليفه المنسجم مع عقيدته الإسلامية بعيداً عن عبادة غير الله، فيعتز بإيمانه وبنفسه.

ثانياً: قيم حقوقية:

### ١- الحرية

تعددت القيم التي اعتبرها الإسلام ضرورية لبناء إنسانية الإنسان ومنها قيمة الحرية، هذه القيمة التي ترسخ احترام الإنسان، وتعطيه الحق في الاختيار والتعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته دون إكراه أو إذلال؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. وهذا ما نجد أيضاً في البند الخامس والعشرين من وثيقة المدينة: «وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ» (٣).

بناء على ما سبق فإن السنة النبوية لا تضيق ذرعاً بتنوع الانتماء العقدي.

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٦/٧ - ٤٧.

٢- أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرفاق والورع، باب ٥٩، (٤/٢٤٨). رقم الحديث ٢٥١٦. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٣- ابن هشام: السيرة النبوية لابن هشام، ١/٥٠٣.

فالحرية والمسؤولية أمران متلازمان يصنعان إنساناً فاعلاً داخل مجتمعه، مؤدياً لمسؤولياته، فلا إنسانية إذن في انعدام الحرية.

ومن تجليات قيمة الحرية في التربية النبوية لجيل الصحابة؛ إجابة الرسول الكريم (ﷺ) على الاستفسارات التي كانت تجول بخواطرهم ويستعظمونها مخافة التأثير في إيمانهم. فعن أبي هريرة، قال: جاء ناسٌ من أصحاب النبي (ﷺ)، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان».<sup>(١)</sup>

والمستخلص مما تقدم أن رسالة الرسول (ﷺ) لم تنسيه إنسانيته التي جعلته يفهم ما يمكن أن يخالج الخواطر من وساوس الشيطان، فتلطف بالصحابة، وأعطاهم الحرية في التعبير عما في بواطنهم ولم يعاتبهم وكان يجيب عن أسئلتهم دون ضيق، بل كان يراعي اختلاف القدرات العقلية للصحابة ويوفر لها الظروف لتنمو في بيئة سليمة بعيداً عن التأويلات الخاطئة من الجاهلين والحاquدين. بل تستنبط الحرية من السنة النبوية من ارتباطها بقيم أخرى كالتكريم والمساواة والعدل... فالحرية في تكريم الله لكل إنسان وفي انعدام الفوارق بين الناس فالكل سواء عند الله تعالى.

وعموماً فلا استخلاف للأرض ولا عمارة لها في غياب قيمة الحرية، لأن الحرية ركيزة بناء الإنسانية وهي حق ملازم وضروري ليظل الإنسان على إنسانيته، وحتى يتمكن من أداء الواجب في هذه الحياة.

## ٢- العدل

لقد مر فيما سلف أن السنة النبوية قد كرمت الإنسان لمجرد كونه إنساناً، ورفعت من شأنه وحرمت الاعتداء عليه في حياته وبعد مماته، دون تمييز بين مسلم

١- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (١/ ١١٩).

وكافر، وجعلت العدل من القيم البانية لإنسانية الإنسان. «وهذا الأمر العظيم في نفسه (العدل)، العظيم في أثره أوجبه الله عز جل على نفسه، وأوجبه على عباده، وحرّم عليهم الظلم قليله وكثيره، وما ذاك إلا لأن الحياة لا تستقيم مع الجور والظلم، والدول والممالك والحضارات لا تقوم إلا على نظام من العدل، ومساواة في الحقوق، وصيانة للعهود، وما لم يستيقن المحق أنه سينال حقه كاملاً، ويعلم الظالم أنه سيردع عاجلاً، فلن تقوم حضارة ولن يستقيم نظام دولة، ولن يستتب أمن»<sup>(١)</sup>.

فمادام الناس إما أخوة في الدين أو أخوة في الخلق، فمن العدل أن يكونوا سواء في المعاملة، خاصة وأن العدل من القيم التي أوجبها الله عز جل على نفسه، وأوجبها على عباده، وحرّم عليهم الظلم حفظاً لحقوقهم؛ النفسية والجسدية والمالية، فلا ينبغي إيذاء الإنسان؛ قولاً أو فعلاً، بل وحتى إشارة؛ فعن أبي ذرٍّ، عن النبي (ﷺ)، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنني حرّمتُ الظلمَ عليّ نفسي، وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا، ... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم، ثم أوفيتكم إياها، فمن وجد خيراً، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلو من إلا نفسه»<sup>(٢)</sup>.

ومن تجليات هذه القيمة في السنة النبوية: توعد رسول الله محمد (ﷺ) كل من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق المعاهدين والمستأمنين والذميين، فمنها نهيه (ﷺ) عن قتل النفس البشرية فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي (ﷺ) قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>(٣)</sup>. وقوله (ﷺ): «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه

١- محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)، ص ١٧٠.

٢- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٤).

٣- أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم (٤/ ٩٩).

فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَعِيرٍ طَيِّبٍ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وعلى ضوء ما سبق فإن بناء إنسانية الإنسان يقتضي العدل والمساواة في المعاملة الطيبة، فالناس في الإسلام كأسنان المشط في الحياة، ولا مجال لأفضلية إنسان على آخر، ويستشف هذا مما روي عن النبي (ﷺ) في خطبة الوداع حيث قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَأَفْضَلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالْتَّقْوَى)<sup>(٢)</sup>.

نتوصل إذن إلى أن حياة الإنسان مكرمة ومحفوظة في السنة النبوية، ومن ثمة فإن بناء إنسانية الإنسان القائم على القيم المحمودة يلغي الفوارق ويثبت العدل ويحفظ الحقوق ويبعد النزاعات.

### ثالثا: قيم فردية: الوسطية والاعتدال

تعد الوسطية والاعتدال من بين السمات المميزة للدين الإسلامي، التي تجعل المسلم مؤهلاً للشهادة على الآخرين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. وهي التي ترشد إلى التوازن في العقيدة والشريعة والمعاملات، وفي الحقوق والواجبات الدينية والدينية، بل في جميع الجوانب المكونة للإنسان؛ الجسدية والروحية والعقلية والوجدانية. فعن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخَى النَّبِيُّ (ﷺ) بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا،

١ - أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارا (١٧٠ / ٣). وحكم الألباني بصحته.

٢ - أخرجه ابن حنبل في مسنده، باب حديث رجل من أصحاب النبي (ﷺ) (٤٧٤ / ٣٨). وقال: إسناده صحيح.

فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكَلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكُلُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلِمَانَ قُمْ الْآنَ، فَصَلِّيًا فَقَالَ لَهُ سَلِمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هَلْكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَاتَى النَّبِيَّ (ﷺ)، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «صَدَقَ سَلِمَانٌ».<sup>(١)</sup>

ثم إن المهتدي بهدي رسول الله يسلك منهج الوسطية والتوازن لبيني الإنسان السوي الذي يعطي لكل ذي حق حقه؛ بلا إفراط ولا تفريط. وعن جابر بن عبد الله، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطِّينَ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطِّينَ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].<sup>(٢)</sup>

إن غاية قيمة الوسطية والاعتدال هي بناء إنسانية الإنسان، وجعله بعيداً عن مظاهر الغلو والتشدد والارتداء في أحضان التطرف والإرهاب.

#### رابعاً: قيم اجتماعية: التعاون والتكافل

اقتضت الحكمة الإلهية ألا يعيش الإنسان منعزلاً، لأن الضرورة تدفعه إلى البحث عن نشاطه الحياة ليتعاون معه على تحقيق المصالح ودفع المفسد.

والسنة النبوية في بنائها لإنسانية الإنسان جعلت التحلي بالقيم الإسلامية طريق الحياة الآمنة والمستقرة، ومن هذه القيم التي تحقق تلك المقاصد التعاون

١- أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من أفسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له (٣/ ٣٨).

٢- أخرجه ابن ماجة في الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب أتباع سنة رسول الله (ﷺ)، ٦/١. حكم الألباني بصحته.

الذي يعد من الواجبات الاجتماعية التي تعود بالنفع على أفراد المجتمع . لذا فقد شبه النبي (ﷺ) أفراد المجتمع الإسلامي في تعاونه وتكافله بالجسد الواحد، قال رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى».<sup>(١)</sup> فالإنسان مدني اجتماعي بطبعه محتاج إلى غيره بقدر احتياجه غيره له، وكلما تكاتف مجتمع صار قويا، وكلما عطف بعضه على بعض وأحس بعضه بالأم البعض صار في منعة وحصانة<sup>(٢)</sup>. فالتعاون يسهم في تماسك المجتمع عن النبي (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»<sup>(٣)</sup> فلا يمكن للبنيان أن يستقيم دون أن تتماسك لبناته، وكذلك المجتمع لا يصمد أمام التحديات والأخطار إلا بتعاون المسلمين وتضامنهم أفراداً وجماعات ليكونوا يداً واحدة ويصبحوا أكثر قوة .

فقيمة التعاون من القيم المركزية التي تسهم بشكل واضح في بناء إنسانية الإنسان، وفي نشر هذا الدين، وفي لم شمل المسلمين.

وقد تمكن خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) من بناء الإنسان الذي جسد النموذج الأعلى في اكتمال الإنسانية حيث البذل والعطاء بسخاء، ومن هؤلاء الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي عمل بمقتضى إنسانيته وإحساسه بمدى حاجة الفقراء، فتصدق بأمواله في سبيل الله مساعدة المسلمين؛ بشراء بئر رومة وتوسعة المسجد النبوي وإعداد جيش العسرة وإطعام الفقراء وتحرير العبيد. فعن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَخِيرٌ فَقَدْ غَزَا»<sup>(٤)</sup> قال ابن بطال: وقال الطبري: وفيه من الفقه أن كل من أعان مؤمناً

١ - أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ (١٠/٨).

٢ - موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١٠/٥٩.

٣ - أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، بابُ تَشْبِيكِ الْأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ (١٠٣/١).

٤ - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، بابُ فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ (٤/٢٧).



على عمل بر فللمعين عليه أجر مثل العامل، وإذا أخبر الرسول أن من جهز غازياً فقد غزا، فكذلك من فطر صائماً أو قواه على صومه، وكذلك من أعان حاجاً أو معتمراً بما يتقوى به على حجه أو عمرته حتى يأتي ذلك على تمامه فله مثل أجره. ومن أعان فإنما يجيء من حقوق الله بنفسه أو بماله حتى يغلبه على الباطل بمعونة فله مثل أجر القائم، ثم كذلك سائر أعمال البر، وإذا كان ذلك بحكم المعونة على أعمال البر فمثله المعونة على معاصي الله وما يكرهه الله، للمعين عليها من الوزر والإثم مثل ما لعاملها»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن ابن عمر، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>.

ولم تقتصر قيمة التعاون على المسلمين فيما بينهم، بل امتدت إلى غير المسلمين كما نجد في وثيقة المدينة التي نصت في بنودها<sup>(٣)</sup> على تعاون المسلمين واليهود على العيش المشترك وعلى حماية أمن وسلامة الجميع ضد كل عدوان خارجي. وإجمالاً فإن السنة النبوية في بنائها للإنسانية بناء متوازناً، أزلت من نفس المؤمن الأنانية وغرست فيه حب الإيثار والتعاون مع أخيه الإنسان فيما يعود عليهم بالنفع جميعاً.

فلا إنسانية في غياب المنظومة القيمية، لذا رغبت السنة النبوية في التحلي

١- ابن بطلان، شرح صحيح البخاري لابن بطلان، ٥١/٥ - ٥٢.  
 ٢- أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغضب، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه (٣/١٢٨).  
 ٣- "وإن يهود بني عوف - ويهود بني النجار... - أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأنتم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأتهم أمرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين... وإن بينهم النصر على من دهم يثرب". نظر: ابن هشام: السيرة النبوية لابن هشام، ١/٥٠٣-٥٠٤ بتصرف.

بالقيم، كالعدل والتعاون والتضامن وتفريج الكرب وبينت أن الجزاء من صنف العمل.

### خامسا: حسن الأخلاق

والمتصفح في القرآن الكريم وكتب السنة النبوية يجد أن الأخلاق قد حظيت بمكانة عظيمة؛ فهي إحدى ركائز الإسلام، والعنوان البارز لعلاقة العبد بربه وبنفسه وبالآخرين، وأساس صلاح الأمم وقيام الحضارات. بل وجعل الله تعالى إتمام مكارم الأخلاق من مقاصد بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ)، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

من هنا نفهم مسوغ كثرة النصوص التي تشيد بحسن الأخلاق ومنها قوله (ﷺ): «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ.»<sup>(٢)</sup> وعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله (ﷺ): «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٣)</sup>.

وتبرز أهمية حسن الأخلاق في كون نفعها لا ينحصر على صاحبها بل يتعداه إلى الآخر، ولولا حسن الأخلاق ما حسنت الأعمال والمعاملات.

فرسول الإنسانية (ﷺ) كَوَّنَ الإنسان النافع لنفسه وللآخرين؛ ويبدو هذا واضحا ليس فقط في الدعوة إلى حسن معاملة الناس، بل تعداه إلى الترغيب في الرفق بالحيوانات؛ ويتجلى ذلك في قصة دخول الجنة بسبب كلب عن أبي هريرة

- ١- أخرجه ابن حنبل في مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٥١٣/١٤). قال المحقق شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعه، وهو قوي الحديث.
- ٢- أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله (ﷺ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ (٣/٤٣٠). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
- ٣- أخرجه الترمذي، في كتاب البر والصلة عن رسول الله (ﷺ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ (٣/٤٢٣). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَاهُ بَغِيٌّ مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغَفِرَ لَهَا بِهِ»<sup>(١)</sup>.

وبالمقابل صورت لنا السنة النبوية مصير المرأة التي جردت من الإنسانية جراء حبسها لهرة؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، قَالَ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

تأسيساً على ما تقدم فإن السنة النبوية كان لها فضل السبق في بناء إنسانية الإنسان التي تجلت في أجمل حللها في الرفق والرحمة بالحيوان وفي الحفاظ على البيئة عن هشام بن زيد قال: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان لنا في رسول الله إسوة حسنة في نشر الرسالة الإسلامية بأخلاقه الفاضلة؛ وقد مدحه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤]. لذا فقد حرصت السنة النبوية في بنائها لإنسانية الإنسان على الأخلاق الحسنة، حتى لا تنقلب الحياة إلى فوضى وصراع حول المصالح الذاتية. فقيم الأخلاق هي اللبنة الأولى في الإسلام لبناء الإنسان الإيجابي الذي لا يتوانى في نفع الآخرين حتى في آخر لحظات حياته، لذا ينبغي التحلي بها وتربية الأبناء عليها ليتشبعوا بها، وتصبح أمراً معيشاً وملازماً لحياتهم. وأن تكون مجالاً للتنافس في هذه الحياة.

١- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، بابُ حديث الغار (٤/ ١٧٣).

٢- أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، بابُ حديث الغار (٤/ ١٧٦).

٣- أخرجه ابن حنبل في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (٢٠/ ٢٩٦). قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ومنه فإن الصادق الأمين (ﷺ) استطاع بناء الإنسان والمحافظة على إنسانيته من خلال التركيز على الجانب القيمي، ونقله من عبادة الحجارة والأوثان إلى بان للحضارة والعمران، بعد أن حرر العقول من المعتقدات الفاسدة وأصلح علاقة المخلوق مع الخالق ثم مع الآخر.

وللإشارة فإن منظومة القيم ليست جزراً متفرقة بل هي مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً، فإذا لم تشكل وحدة لا تكتمل إنسانية الإنسان.

**المطلب الثالث: المنهج النبوي في تحويل جاهلية الإنسان إلى إنسانية الإنسان**

يعد بناء إنسانية الإنسان مطلباً كونياً لكن بضوابط شرعية، لذا فهو في حاجة إلى منهج متكامل، لا يعتره نقص وقصور، كما هو الحال مع المناهج الوضعية، وهذا المنهج الكامل والمحيط بجميع جوانب الشخصية الإنسانية هو المنهج الرباني الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ).

وقد تعددت المناهج الوقائية والعلاجية التي اتبعتها الرسول الكريم (ﷺ) لبناء إنسانية الإنسان ومنها:

**أولاً: منهج انتقاء القيم**

أرسل محمد (ﷺ) في بيئة اختلطت فيها القيم؛ بين قيم تعود إلى الملة الحنيفية الإبراهيمية كالصدق والكرم والوفاء بالعهد والشجاعة والتعاون...، وبين قيم نشأت في البيئة الجاهلية كالعصية والزنا والخمر وواد البنات وإشعال الحروب على أتفه الأسباب، إذ قام نبي الله (ﷺ) في بنائه للإنسانية بانتقاء القيم والأخلاق التي تلائم الفطرة الإنسانية؛ فأقرّ وأثبت القيم الحميدة، ورفض وشجب الخصال الذميمة. «فقد جاء الإسلام - خاتماً للأديان - وهذه الخاتمة تقتضي أن يكون أكمل الأديان وأوفاهما بحاجات الإنسانية؛ وأبرعها في معالجة الأدواء التي حوتها قائمة

القيم الجاهلية؛ واختلف موقف الإسلام من هذه القيم تبعاً لنوعيتها .. ١ - فقابل بعضها بالرفض وقضى عليها قضاء مبرماً. ٢ - وأقر بعضها وشجعها ودعا إليها. ٣ - وسما ببعضها الآخر فعاد بالنفع على الدين والناس»<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن بناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية يبرز في تخلص القيم مما علق بها من شوائب الجاهلية وجعلها وفقاً لشرع الله تعالى، محققة العبودية له وحده، ومنضبطة في حدود الوسطية والاعتدال، مع تحريمه للذائل وهدمه للمعتقدات الفاسدة. ومن ثمة إتمام هذه المكارم وتركيتها ودمجها في المنظومة الأخلاقية الإسلامية.

### ثانياً: منهج التخلية والتحلية

ارتباطاً بما سبق فإن بناء إنسانية الإنسان اقتضى من رسول الله (ﷺ) العمل على تطهير النفوس وتخليتها من رواسب الجاهلية، وتحليتها بالأخلاق الفاضلة. وهو ما يمكن أن يصطلح عليه بمنهج التخلية والتحلية.

فَعَنَ الْمَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ، قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِّنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَبَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَقِيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ)، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطَعُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَالْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

١ - جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ص ٣٠ / نقلاً عن: حميد بن خبيش، البناء القيمي في السيرة النبوية، طريق الإسلام، منذ ٢٠١٦-٢٠١٣-٠٦، <http://iswy.co/e16nav>  
٢ - أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، (١٢٨٢/٣).

فالسب والشتم والافتخار بالحسب والنسب والتكبر من سمات الجاهلية التي تجعل إنسانية الإنسان تتلاشى، لذا فإن رسول الله (ﷺ) زجر هذا التصرف حتى لا يتسع أثره ويتسبب في نشر العداوة بين الناس.

والإنسانية في السنة النبوية لم تبني إلا في ظل منظومة القيم؛ التي تعزز السلوكات الأخلاقية الحميدة وتقوّم الخاطئة منها، وتمنع الاعتداء على الإنسان قولاً وفعلاً وإشارة.

### ثالثاً: منهج التوازن

نظراً لمكانة الإنسان في هذه الأرض؛ بوصفه المستخلف فيها والفاعل الأساس في كل إنتاج وتغيير، فإن السنة النبوية راعت مختلف الجوانب المكونة له سواء الروحية أو الجسدية أو الفكرية والنفسية فلم تكلفه بما يفوق طاقته، بل تعاملت معه بمنهج التوازن الذي يوافق احتياجاته وقدراته دون إفراط أو تفريط.

فقد كان رسول الله (ﷺ) يستنكر على الغلاة والمتشددين ويرشدهم إلى جادة الصواب. فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه، يقول: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ﷺ)، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَإَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ)؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

فنبى الله (ﷺ) في بنائه لإنسانية الإنسان بين لهذا الرهط ولكل من يكلف نفسه فوق طاقته مساوئ التفريط والإفراط، فالأول سيؤدي إلى فوات خير كثير

١ - أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٢/٧).

في العبادات أو الأمور الدنيوية، والثاني -أي الإفراط- سيؤدي لا محالة إلى الملل والضجر والنفور منها. لذا فإن التوازن في الأمور أرحمها للنفس وأنفعها للغير. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»<sup>(١)</sup>.

وبالتأمل فيما سبق ندرك أهمية هذا المنهج في بناء الإنسان المتوازن في نفسه وفي مجتمعه، وأنه من أسباب استمرارية الحياة.

#### رابعاً: منهج التدرج

من أهم المناهج التي قام عليها التشريع الإسلامي منهج التدرج الذي يراعي حال المكلفين، وخاصة في الإقلاع عن العادات السيئة والأخلاق الرذيلة التي ترسخت في النفوس، ويصعب الإقلاع عنها دفعة واحدة، فكان التدرج من أفضل المناهج لتغيير عقليات الناس، وإحداث نقلة نوعية في حياتهم بغية إحياء الإنسانية في الإنسان.

ومن نماذج هذا التدرج: تحريم الخمر والربا والزنا والتطفيف وغيرها من العادات السيئة التي استحكمت في النفوس الجاهلية، فسلك عليه الصلاة والسلام منهج التدرج دفعا للمفسدة وجلبا للمصلحة. قال ابن عاشور: «وَسَلَّكَ فِي نَهْيِهِمْ عَنِ الْفُسَادِ مَسَلَّكَ التَّدْرِجِ فَابْتَدَأَهُ بِنَهْيِهِمْ عَنِ نُوحٍ مِنَ الْفُسَادِ فَاشْفِيَهُمْ وَهُوَ التَّطْفِيفُ. ثُمَّ ارْتَقَى فَنَهَاهُمْ عَنِ جِنْسِ ذَلِكَ النَّوْعِ وَهُوَ أَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ. ثُمَّ ارْتَقَى فَنَهَاهُمْ عَنِ الْجِنْسِ الْأَعْلَى لِلْفُسَادِ الشَّامِلِ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمَفْسَادِ وَهُوَ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا. وَهَذَا مِنْ أَسَالِبِ الْحِكْمَةِ فِي تَهْيِئَةِ النَّفُوسِ بِقَبُولِ

١- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، بابُ الدين يسر وقولُ النبي (ﷺ): «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيَّ اللَّهُ الْخَنِيفَةُ السَّمْحَةُ»، (١٦/١).

الإرشاد والكمال<sup>(١)</sup>

والتدرج ليس فقط في المنهيات بل حتى في ترسيخ العقائد والعبادات والمعاملات مثال ذلك: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله (ﷺ) لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»<sup>(٢)</sup>.

ومن مزايا منهج التدرج أنه يتناسب مع الواقع، وبفضله تمكن رسول الله (ﷺ) من إعادة بناء الإنسان على أساس القيم الحميدة. فليس بالأمر الهين أن ترتقي بإنسانية الإنسان من مرتبة إلى مرتبة. فالنبي (ﷺ) جسد خير مرشد ومعلم وقائد لنقل الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان. فما أحوجنا لهذا المنهج في هذا الزمان الذي اختلطت فيه القيم والمفاهيم.

## خامساً: منهج إقامة الحدود والعقوبات الشرعية

بنت السنة النبوية إنسانية الإنسان في ذاته وإنسانية الإنسان في غيره، وتوقف هذا البناء على عدة معاملات وشرائع ومناهج وقيم؛ ومن أهم المناهج التي تحافظ على الكليات الخمس للإنسان إقامة الحدود والعقوبات الشرعية.

ويعد هذا المنهج علاجاً فاعلاً لمن لم ينفذ معه السلوك الحسن، وكان خير مساعد للحفاظ على إنسانية الإنسان؛ إذ يحمي الحياة من أن تسفك، والعقول

١- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٢ / ١٣٨.  
٢- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، بَابِ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَتُرْدِ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، (١٢٨ / ٢).



من أن تخرب، والأعراض من أن تنتهك، والأموال من أن تؤكل بالباطل. ففي عقاب المعتدي وإقامة الحدود حفظ لحقوق الله تعالى ولحقوق الإنسان وحفظ لنظام المجتمع وأمنه واستقراره. ويروي عبادة بن الصّامت رضي الله عنه وكان شهيداً بداراً وهو أحد النُّقباء لئلة العقبة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ، وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». (١)

وإنسانية الإنسان لا تتحقق إلا إذا طبقت الحدود والعقوبات على الجاني دون تمييز بين غني أو فقير فالكل سواء أمام الله تعالى، ويستشف ذلك من رواية عائشة، رضي الله عنها: أَنَّ فَرِيضًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: «اتَّشَفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنْهَمُ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ مُحَمَّدٌ يَدَهَا». (٢)

فالسنة النبوية لا تحابي أحداً على أحد، بل تقيم الحدود وتنزل العقوبات على كل من اعتدى على حقوق أخيه الإنسان، فبهذا المنهج تحفظ إنسانية الإنسان ولا تنزل إلى المرتبة الحيوانية، وتقي من إشاعة الفواحش وتردع كل من تسول له نفسه فعل الجرائم، وهي أيضاً علاج من حيث تقويم نفس المعتدي وتطهيرها من الآثام،

١ - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١٢/١).  
٢ - أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ (٤/١٧٥).

وفي هذا حفظ لحياة الإنسان ولأمنه وسلامته.

إن بناء إنسانية الإنسان على أساس إقامة الحدود الشرعية بمثابة سور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ففي عقاب المعتدي عبرة ورحمة لغيره وإصلاحاً للمجتمع ووقايته من انتشار الفواحش والجرائم.

نستنتج ما سلف أن منهج السنة النبوية في تفعيل المنظومة القيمية كان فريداً من نوعه؛ بصلاحه ودقته وفاعليته في كل زمان ومكان، وبذلك استطاع الرسول (ﷺ) بناء الإنسان الذي تتجلى فيه معالم الصلاح في نفسه ومع غيره وبناء مجتمع متماسك ومتعاون، وقد تواترت فيها روايات صحيحة وآثار حسنة.

**المطلب الرابع: آثار منظومة القيم وأهدافها في بناء إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية**

**أولاً: آثار منظومة القيم في بناء إنسانية الإنسان على مستوى الفرد**

إن الدين الإسلامي هو دين القيم بامتياز، وقد كان للسنة النبوية الأثر الكبير في تربية المسلمين عليها وفي غرسها في المجتمع المسلم، فقد استطاع الرسول (ﷺ) أن يبني جيلاً فريداً في تقدير الإنسان في ذاته ولذاته. فكانت «أولى الخطوات نحو هذه الحياة الراشدة الهنيئة إيجاد الفرد المسلم الصادق الذي تتمثل فيه صور الإسلام الوضيئة المشرقة، يراها الناس فيرون الإسلام، ويتعاملون معها فيزدادون إيماناً به وإقبالاً عليه. وهذا ما صنعه رسول الله (ﷺ) في صدر الدعوة، إذ كانت أولى خطواته في درب الإسلام الطويل أن يصنع رجالاً يتجسد فيهم الإسلام، فإذا هم مصاحف تمشي على الأرض، انتشروا في أنحاء الدنيا، فرأى الناس فيهم نماذج فريدة من البشر، يمثلون منهجاً للحياة فريداً أيضاً، فلما رأوا المنهج الفريد مجسداً في الفرد المؤمن الصادق أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجا.»<sup>(1)</sup>

١ - محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الكتاب والسنة، ص ١١-١٢.

وبناء إنسانية هذا الجيل لم يأت صدفة، بل تطلب الأمر جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً لنقلهم من وضع الجاهلية إلى وضع الإيمان؛ فقد ركز النبي (ﷺ) على بناء الجانب العقدي أولاً؛ لأن العقيدة في الله وفي عدله ورحمته، وفي العوض والجزاء عنده في دار الخلود، تهب الإنسان الصحة النفسية والقوة الروحية، فتشيع في كيانه البهجة، ويغمر روحه التفاؤل، وتتسع في عينه دائرة الوجود، وينظر إلى الحياة بمنظار مشرق، ويهون عليه مايلقى وما يكابد في حياته القصيرة الفانية، ويجد من العزاء والرجاء والسكينة ما لا يقوم مقامه ولا يغني عنه علم ولا فلسفة ولا مال ولا ولد ولا ملك المشرق والمغرب»<sup>(١)</sup>.

كما كانت للتربية النبوية في بناء الإنسانية آثار إيجابية أخرى على نفسية المؤمنين لأن إفساح المجال للفرد بالسؤال عما يجول في خاطره أمر يعزز شخصيته، ويجعله واثقاً بنفسه، ويكسبه الشجاعة في الحق، بدل أن يتوارى وي طرح تلك الأسئلة في الخفاء، وكثيراً ما يأخذ الإجابة غير الصحيحة»<sup>(٢)</sup>.

فقد كان رسول الله (ﷺ) يفسح للصحابة مجال التعلم وحرية الاستفسار في كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا؛ إذ «حرص النبي (ﷺ) على بناء سلوك ندي يكون نبراساً يستنير به العالم في قادم أيامه، ومن ثمة صياغة أمودج في البناء الإنساني يكون قدوة ومثلاً أعلى؛ هو في حقيقته مسؤولة تحملها ودافع عنها وعاش ومات من أجلها؛ من منطلق كونه رسولا خاتماً ومكلفاً برسالة عالمية محورها ووظيفتها الإنسان»<sup>(٣)</sup>.

ويرجع أيضاً للنبي الكريم (ﷺ) المستنير بنور الوحي الفضل الكبير في التركيز على منظومة القيم التي أسهمت في:

- ١- محمد بن عبد الله السحيم، القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)، ص ٥٧.
- ٢- يحيى ضاحي شطناوي، أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية، ص ٨٤.
- ٣- زبيدة الطيب، العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة، ص ٣٣.

- بناء الجوهر الإنساني وتشكيل الشخصية وإصلاحها نفسياً وخلقياً وروحياً واجتماعياً، فيرغب بعمل كل ما هو مفيد وجميل لنفسه وللآخرين، وهذا يرفع التقدير الذاتي للإنسان.
- امتلاك رؤية واضحة لأهدافه الحالية والمستقبلية في هذه الحياة.
- تحسين أفكار الفرد ومعتقداته عن الحياة وما تؤول إليه.
- فهم الآخرين من حوله وتقبل الحياة والآخرين على اختلافهم.
- القدرة على التكيف الإيجابي مع ظروف الحياة، وهذا يعطيه إحساساً بالسعادة والرضا والقدرة على مواجهة التحديات والصعاب من حوله.
- توفير وسيلة علاجية ووقائية للفرد، فيصبح لديه الإحساس بالأمان لأنها تعمل على ضبط نفسه تجاه الشهوات والمحرمات ليصل إلى الغاية القصوى وهي الامتثال للأوامر الشرعية لينال رضا الله عز وجل في الدنيا والآخرة.<sup>(١)</sup>

### ثانياً: آثار منظومة القيم في بناء إنسانية الإنسان على مستوى المجتمع

من أجل حياة تسودها الأمن والاستقرار والتعاون والتعارف مع الذات والآخر، فإن الدين الإسلامي ممثلاً في السنة النبوية ارتكز على منظومة القيم لبناء إنسانية الإنسان، فغيابها ينعكس سلباً على الإنسان. ف«كان من آثار العدل تحقيق المساواة بين جميع المكونات البشرية بصرف النظر عن الجنس أو الدين أو اللون، وتحقيق الأمن والأمان ونشر المحبة والألفة والشعور بالإنصاف والرضا. وتراجع رافعات الإرهاب ومسوغاته كالأحقاد وسائر أشكال الكراهية والحسد وإحلال صفات الاحترام والود محلها. وهكذا تبرز العلاقة بين خلق وقيمة العدالة وبين

١- إندونيسيا خالد محمد حسون، القيم الإسلامية ودورها في تعزيز القيم الإنسانية لتطوير المجتمع، ص ١٢٨. بتصرف

البناء الإنساني الذي باشره النبي (ﷺ) في تجربته في إقامة المجتمع الإسلامي الأول؛ حيث لم تكن العدالة شعارات بقدر ما كانت تطبيقات وممارسات يومية يعيشها الناس في حياتهم.<sup>(١)</sup>

فالسنة النبوية بتوجيهاتها الراشدة تحقق للإنسان إنسانيته وتحفظ مصالحه بعيدا عن الظلم وهضم الحقوق. بل من غاياتها جعل المسلمين كجسد واحد تجمعهم المحبة والألفة والتعاون، وتحفظ كيان المجتمع الإسلامي من التفرقة.

دون نسيان أن بعثة الرسول (ﷺ) اكتملت مكارم الأخلاق التي كان لها الأثر العظيم في نهضة الأمة الإسلامية وفي رقي حضارتها، فمنظومة القيم هي البوصلة التي تدير دفة القيادة لمركب الحضارة، إذ كان للقيم بأنواعها سواء الإيمانية والخلقية والاجتماعية والعملية وبصفة عامة لمنظومة القيم المنبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية الدور الكبير في بناء إنسانية الإنسان على الإيمان والصدق والإخلاص والتعاون والتضحية وتطهيرها من الأنانية والكراهية ومن مختلف نزغات الشيطان. هذه القيم التي كان لاضطرابها واختلالها الأثر الكبير في الآفات المعاصرة التي أسهمت في محاربة الدين وطمس الهوية وفي التراجع الحضاري والاختراق الخارجي. وجعلت فئة من المسلمين تحارب القرآن الكريم والسنة النبوية وتشكك في قدسيتهما، وترى أنهما سبب تخلف المسلمين، وبالمقابل تلهث وراء الغرب لتقليده وإرضائه، في الوقت الذي نجد فئة من الغربيين تشهد على عظمة رسول الله (ﷺ) وعظمة الإسلام بصفة عامة، وترى أنهما السبيل الأوحى لإنقاذ البشرية. يقول ول ديورانت: «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً (ﷺ) كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقى به في دياجير

١ - زبيدة الطيب، العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة، ص ٣٩.

الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح في التاريخ كله... وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً وقوامه البسالة والعزة القومية. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يوم الناس هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم»<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة

#### أولاً: نتائج البحث

- حظيت منظومة القيم بمكانة مهمة في السنة النبوية، بوصفها من أهم المدخل الخالدة لبناء الإنسان النافع لنفسه ولمجتمعه ولمحيطه، وقد دلت على ربانيتها شواهد كثيرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية التي كانت التطبيق العملي لهذه المنظومة، والتي تربي عليها الصحابة فصاروا قادة الأمة.
- تعددت القيم والمناهج التي انتهجها الرسول (ﷺ) لبناء إنسانية الإنسان، والتي لم تكن مجرد شعارات بل أمراً معيشاً. وقد استطاع بها الصادق الأمين محمد (ﷺ) نقل الإنسان من عبادة الحجارة والأوثان إلى بان للحضارة والعمران، بعد أن حرر عقل هذا الإنسان من المعتقدات الفاسدة، وأصلح علاقته بالخالق ثم بالآخرين. فكان بناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية أولى من بناء العمران، فخراب العمران أهون من ضياع الإنسان الصالح لذاته ولغيره.
- من الاستفادة من السنة النبوية أن علينا أن نتصالح مع أنفسنا ومع غيرنا حتى نستطيع العيش جميعاً في جو يسوده الأمن والسلم والتعايش بين الناس

١- ول ديورانت، قصة الحضارة، ١٣ / ٤٧.

كيفما كانت ألوانهم ومعتقداتهم وأعراقهم...

### ثانياً: التوصيات

- على مختلف المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والتربوية والإعلامية ومختلف المنابر إيلاء عناية بالغة للمنظومة القيمية الإسلامية في تربية الأبناء عليها، وإصلاح المفاهيم المغلوطة التي اكتسبوها في زمن العالم الذي صار قرية صغيرة.
- إن المسؤولية الكبيرة ملقاة على النخب المفكرة لاستخراج الجواهر الكامنة في القرآن الكريم والسنة النبوية من القيم الإسلامية لإعادة بناء إنسانية الإنسان، وإحياء ما رث منها بغية انتشال البشرية من وحل الرواسب الجاهلية القديمة والحديثة.
- ضرورة التعاون المؤسسي بين الجامعات الإسلامية في إبراز دور السنة النبوية في عنايتها بالإنسان ودعم القيم الانسانية التي تعزز التعايش السلمي بين الشعوب.

## لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية، يحيى ضاحي شطناوي، دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٧، العدد ١، ٢٠١٠.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
- الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد ابن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- شخصية المسلم كما يصوغها الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي، الطبعة الخامسة: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.



- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبو الحسن علي بن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
- العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة، زبيدة الطيب، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٩، العدد ١، جمادى الثانية ١٤٤٢هـ / جانفي ٢٠٢١.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- القيم الإسلامية ودورها في تعزيز القيم الإنسانية لتطوير المجتمع مع أموذج دور جامعة الملك عبد العزيز في تعزيز القيم الأخلاقية، إندونيسيا خالد محمد حسون، مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية المجلد ٦، العدد ١، كانون الثاني، يناير ٢٠٢٠ م.
- القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)، محمد بن عبد الله السحيم، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٢هـ.
- المجتبي من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
- مقال في الإنسان دراسة قرآنية، عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، مارس ١٩٦٩ - محرم ١٣٨٩هـ.
- قصة الحضارة، ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجليل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

## المواقع الإلكترونية

- البناء القيمي في السيرة النبوية، حميد بن خبيش، طريق الإسلام، منذ ٢٠١٦-٠٣-٠٦،  
<http://iswy.co/e16nav>



# تغيير الحلقة الإنسانية التحديات والحلول دراسة في السنة النبوية

**د. سهام عومارة**

دكتوراه في الحديث وعلومه

أستاذة متعاقدة مع كلية العلوم الإسلامية باتنة، الجزائر

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.07>





## Abstract

The beholder of the texts of the prophet's sunnah finds that it has already discussed the issue of changing human creature what may help know the religious orders towards what could arise later in this topic. The research followed the challenges humanity face in this field trying to find the possible solutions for prevention and treatment taking into account the texts of the prophet's sunnah. The research came up with a variety of results. Most notably, changing human creature continues as long as man's existential struggle against his enemy, satan, exists. Changing human creature is surrounded by many suspicions and invalid arguments. Human creature faces many contemporary challenges that offend human nature itself. The sunnah of the prophet was the pioneering to develop solutions, preventive and remedial alternatives that limit the offensive actions towards human creature.

**Keywords:** change, human creature, Prophet's sunnah, challenges, solutions.

## ملخص البحث

الناظر في نصوص السنة النبوية، يجد فيها سبقاً للكلام عن قضية تغيير الخلقة الإنسانية، ما يمكن الاستعانة به لمعرفة حكم ما استجد من نوازل حولها، وقد تتبّع البحث التحديات التي تواجهها البشرية في هذا المجال، مع محاولة وضع الحلول المناسبة للوقاية والعلاج منها، وهذا من خلال النظر في نصوص السنة النبوية وخلص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها: تغيير الخلقة مستمر ما بقي الصراع الوجودي بين بني الإنسان وعدوه الشيطان، تغيير خلقة الانسان تحفه عدة شبهات وحجج باطلة، الخلقة الإنسانية تواجهها تحديات معاصرة تقدرح في إنسانية الإنسان، السنة النبوية سبّاقة لوضع حلول وبدائل وقائية وعلاجية تحد من الاعتداء على الخلقة.

الكلمات المفتاحية: تغيير، الخلقة الإنسانية، السنة النبوية، التحديات، الحلول.



## مقدمة

من تكريم الله ﷻ للإنسان أن جعل له خلقة حسنة تميزه عن بقية المخلوقات فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]؛ لهذا كان من أبرز ما توعد به إبليس إلحاق التغيير بخلقته لقوله تعالى: ﴿وَلَأْمُرَهُمْ فليُغَيِّرَتِ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

وقد امتد هذا الوعيد الشيطاني إلى عصرنا بشكل فاحش، وانتصر له أصحاب الأفكار الهدامة فأصبح من أكبر التحديات التي تواجه الإنسانية حالياً بالنظر للتغيرات الخطيرة التي طالت الخلقة بسبب التطور الطبي والتقني، سواء بشكل جزئي مع الإبقاء على أصلها، أو الدعوة إلى تغييرها كلياً بجعل الرجل امرأة، أو المرأة رجلاً، وقد تعدى الأمر إلى أن أصبح تغيير الخلقة من أهم أبواب المتعة والاستمتاع، وتحقيق اللذات، وإشباع الرغبات، وما زاد في شيوعه تشجيع بعض الدول والحكومات على ذلك؛ بدعوى المحافظة على الحريات الفردية والحقوق الإنسانية.

وتكرس هذا التشجيع بوضع القوانين الوضعية، ونشاط الجمعيات والمنظمات الحقوقية على ترسيخه، ونشره إعلامياً، وممارسته ممارسة فعلية؛ مما جعل تحديات الخلقة الإنسانية تزداد حدة في هذا العصر المتسم بالانحطاط القيمي والأخلاقي، وهذا ما أحاول معالجته وفق ما جاء في السنة النبوية الشريفة تحت عنوان: «تغيير الخلقة الإنسانية التحديات والحلول - دراسة في السنة النبوية».

إشكالية البحث:

تعرضت الخلقة الإنسانية للتغيير والتبديل على مر العصور، طلباً للزينة والجمال، والرضا على شكل الإنسان، وتحقيق الكمال، غير أن تلك التغييرات



بقيت بشكل جزئي، ومع تطور الطب الجراحي والتقدم التقني، والافتتان الإعلامي أدخلت عليها تعديلات كلية طالت نوع جنسه؛ تحقيقاً للمُتَع الزائفة، واللذات الزائلة، وقد كان منطلق ذلك تحقيق الوعد الذي أخذه على نفسه عدو الإنسانية، والمتكبر عن السجود لأبيها آدم أبو البشرية، فكان من نتاج هذا الصراع بين بني الإنسان وعدوه الشيطان أن أغواه بتغيير خلقته، وحسده على خيريته، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَتَكْبَرُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ [ص: ٧٥-٨٦]، زد على ذلك الأسباب النفسية، والمنطلقات الفكرية الفلسفية الداعية إلى حرية التصرف في الذات الإنسانية، وهو ما شكل أكبر التحديات المعاصرة للخلقة.

فداء تغييرها الذي كان مبدؤه أفضلية خلقة الإنسان على خلقة الشيطان، وتسويغ ذلك من بني الإنسان، واستمراره على مر الزمان دعاني ل طرح التساؤلات التالية:

- ما أحكام تغيير الخلقة الإنسانية في السنة النبوية؟ وما التحديات التي تواجهها مادياً، وفكرياً؟ وما الحلول الوقائية والعلاجية التي جاءت بها السنة النبوية الشريفة لحفظها؟

#### أهداف البحث:

- أهداف من خلال هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:
- بيان الأدواء التي أثرت على الخلقة الإنسانية، للوصول إلى الدواء الذي أقرته أحكام السنة النبوية.
- بيان النظرة الصحيحة للخلقة الإنسانية، والقيود التي يمنع تجاوزها.
- الوقوف على خطر التغييرات الجزئية والكلية على جوهر الإنسان وشكله.

- بيان العوامل الخارجية المؤثرة على تغيير الخلقة الإنسانية سلبيا، بوصفها من أكبر التحديات في العصر الحالي لتهديدها الوجود الإنساني.
- بيان خطر التغييرات التي طالت الخلقة الإنسانية، وامتداد ذلك على مر الوجود الإنساني.
- تأسيس الحلول الشرعية الوقائية والعلاجية المتعلقة بتغييرات الخلقة، على ما ورد في السنة النبوية بتثبيت الفطرة والعقوبة على الانحراف بها.

### منهج البحث:

اتبعت في دراسة هذا البحث منهجين هما:

- **المنهج الاستقرائي:** حيث استقرأت النصوص النبوية الشريفة المتعلقة بالخلقة الإنسانية وتغييراتها، وذلك لاستنباط الأحكام الشرعية المنضوية تحتها.
- **المنهج التحليلي:** وذلك بتحليل نصوص السنة النبوية، وبيان المراد من الأحاديث المتعلقة بموضوع البحث.

### الدراسات السابقة

بعد البحث، لم أجد من تكلم عن هذه القضية في السنة النبوية بالشكل الذي أهدف إلى تحقيقه من هذه الورقة، اللهم إلا بعض البحوث التي درست موضوع تغيير الخلقة من النواحي الفقهية، كالبحت الموسوم بـ: «تغيير الخلق وأحكام التصرف بالبدن دراسة نقدية في أقوال المفسرين والفقهاء»<sup>(1)</sup>، الذي ركز فيه الباحث على معاني تغيير الخلقة عند المفسرين والفقهاء والمحدثين.

1- عبد الرحمن حليلي، بحث منشور في journal of Islamic ethics, online publication. Date 27/12/2019

وكذلك ورقة علمية موسومة بـ: «تغيير خلق الله ضوابطه وتطبيقاته»<sup>(١)</sup>، تطرق فيها صاحبها إلى ضوابط تغيير خلق الله تعالى، ثم بين بعض تطبيقاته، أما البحث المعنون بـ: «نوازل في عمليات تجميل الوجه»<sup>(٢)</sup>، فقد مهدت فيه صاحبة البحث ببيان حقيقة عملية التجميل، ثم ذكرت أنواع الإجراءات التجميلية في الوجه، والتجميل بالليزر، والحقن، والجراحة البسيطة، والتقشير الكيميائي.

وباعتبار مسألة تغيير الخلق الإنسانية نازلة من نوازل العصر، عقدت المجتمعات الفقهية في مختلف بلاد العالم الإسلامي، ملتقيات وجلسات علمية ناقش فيها أهل الفقه والاختصاص هذه المسألة، ومن تلك القرارات التي ناقشت المواضيع المتعلقة بتغيير الخلق، نجد:

- قرار مجلس المجمع الفقه الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي السادس من دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من يوم الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩ م إلى يوم الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩ م المتعلق بنازلة «تحويل الذكر إلى أنثى، والعكس»<sup>(٣)</sup>.
- قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي رقم: ٢٠٣ (٩٢١/ )، بشأن الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري (المجين)<sup>(٤)</sup>.

ففي طيات هذا القرار يتضح منع كل الأساليب الحديثة، كالعلاج الجيني

- ١- لصالح بن محمد الفوزان، وهو ورقة علمية مقدمة إلى حلقة نقاش ضوابط وقواعد في اللباس والزينة والتجميل من تنظيم الأمانة العامة بموقع الفقه الإسلامي يوم: الأربعاء ٢٨ شعبان ١٤٣٠ هـ.
- ٢- لنجلاء بنت صالح بن حميد، وهو بحث منشور في مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٨٧ ربيع الثاني ١٤٤٣ هـ - ديسمبر ٢٠٢١ م.
- ٣- قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، الدورات: من الأولى إلى السابعة عشر، القرارات: من الأولى إلى الثاني بعد المائة، (١٣٩٨-١٤٢٤ هـ / ١٩٧٧-٢٠٠٤ م)، ص ٢٦٢.
- ٤- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، الإصدار الرابع، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م، ص ٧٠٣-٧١١.

والهندسة الوراثية عند مساسها بخلقة الإنسان بأي وجه من الوجوه، وهذا حرصاً على بقاء خلقته التي ارتضاها الله ﷻ له دون تغيير ولا تبديل.

- قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي رقم: ١٧٣ (١١ / ١٨) لمجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، بشأن الجراحة التجميلية وأحكامها<sup>(١)</sup>.

وقد نص القرار على تعريف جراحة التجميل، وبين الضوابط والشروط العامة التي تبيح العمليات الجراحية التجميلية، مع ذكر الأحكام الشرعية المتعلقة بها.

وقد استفدت من هذين القرارين معرفة أحكام ما استجد من نوازل تغييرات الخلقة الإنسانية، في حين ما يميز بحثي عن الدراسات الأكاديمية السابقة؛ اقتصاره على ما ورد في السنة النبوية بما تعلق بالخلقة الإنسانية من أحاديث اشتملت على أحكامها، والتحديات التي تواجهها، والحلول الواردة فيها، وهذا ما أحسبه يحقق الجدة في البحث.

#### خطة البحث:

استلزمت مني كتابة هذه الورقة تقسيمها إلى: خمسة مباحث، في الأول منها بينت مفاهيم المصطلحات المتعلقة بالموضوع، وتكلمت في المبحث الثاني عن حكم تغيير الخلقة الإنسانية، وعلله في السنة النبوية، وفي المبحث الثالث وضحت الترابط الموجود بين تغيير الخلقة، وتغيير الخلق في السنة النبوية، وخصصت المبحث الرابع لذكر التحديات التي تواجه الخلقة الإنسانية على عدة مستويات، أما المبحث الخامس فبينت الحلول الشرعية الوقائية والعلاجية لتغيير الخلقة الإنسانية في السنة النبوية، وتوجت الورقة بخاتمة تضمنتها أهم النتائج، والتوصيات.

١- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المرجع نفسه، ص ٥٨٢-٥٨٥.

## المبحث الأول: مفهوم الخلقة الإنسانية

سأبين في المطلب الأول من هذا المبحث مفهوم الخلقة، أما المطلب الثاني فأخصه لبيان مفهوم الإنسانية، لأخلص في آخر المبحث لتعريف الخلقة الإنسانية، وذلك وفق التفصيل الآتي:

### المطلب الأول: مفهوم الخلقة

سأفرد هذا المطلب لبيان مفهوم الخلقة في اللغة والاصطلاح، وصولاً إلى المفهوم المستخلص لها، وهذا كالاتي:

#### الفرع الأول: لغة

«الخاء واللام والقاف»، أصل واحد وهو التقدير، يقال: خلق الأديم، إذا قدره قبل القطع، وجمعه خَلَقَاتٍ وَخَلَقٌ، والمصدر «الْخَلْقَةُ» بمعنى الفطرة<sup>(١)</sup>. قال الفيومي: «الْخَلْقَةُ هي: الفطرة، منه يقال عيب خَلْقِيٌّ، ومعناه موجود من الْخَلْقَةِ وليس بعارض»<sup>(٢)</sup>، وقال الزبيدي: «الْخَلْقَةُ، بالكسر: الفِطْرَةُ التي فُطِرَ عليها الإنسان»<sup>(٣)</sup>.

#### الفرع الثاني: اصطلاحاً

سار شراح الحديث، ومفسري القرآن، والفقهاء على نفس منوال اللغويين في جمعهم بين معنى الخلقة والفطرة، كما جُمعَ بينهما في قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ومن المفاهيم الاصطلاحية للفطرة الدالة على الخلقة نجد:

- ١- الرازي، مختار الصحاح، ص ٩٥. وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١ / ٦٨٩.
- ٢- أبو العباس الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ١٨٠.
- ٣- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٥ / ٢٥٨. وينظر: المعجم الوسيط، ص ٢٥٢.

- تعريف ابن حجر للفطرة حيث قال: «ما ابتدأ الله خلقه عليه»<sup>(١)</sup>.
- وعرفها ابن الجوزي بقوله: «فطرة الله؛ الخليقة التي خلق عليها الخلق»<sup>(٢)</sup>، وقال في موضع: «هي الخلقة التي خلق عليها البشر»<sup>(٣)</sup>.
- وعرفها الثعالبي، حيث قال: «الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، التي هي معدة مهياة، لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به»<sup>(٤)</sup>.
- وعرفها عبد الكريم يونس الخطيب بـ: «الصورة الإنسانية، وما فيها من جوارح، وما في كيانها من قوى عقلية، ونفسية، وروحية»<sup>(٥)</sup>.
- وقال محمد محمود حجازي: «الفطرة هي الخلقة والطبيعة التي خلق الله الناس عليها»<sup>(٦)</sup>.
- ولعدم وجود فارق بين الفطرة والخلقة أخلص إلى التعريف التالي للخلقة، وهو: «الفطرة التي خلق الله ﷻ عليها الإنسان».

### المطلب الثاني: مفهوم الإنسانية

سأبين في هذا المطلب مفهوم الإنسانية في اللغة والاصطلاح، وصولاً إلى المفهوم المستخلص لها، وهذا كالاتي:

- ١- ابن حجر، فتح الباري، ١٠ / ٣٣٩.
- ٢- ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ص ٢٩٢.
- ٣- ابن الجوزي، زاد الميسر في علم التفسير، ٣ / ٤٢٢.
- ٤- الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٤ / ٣١٢.
- ٥- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١١ / ٥١٨.
- ٦- محمد حجازي، التفسير الواضح، ٣ / ٢٧.

## الفرع الأول: لغة

الإنسانية من الأنس، ومن معانيه الموافقة لمقام البحث:

١- الظهور: فسمي الإنس بذلك لظهورهم بخلاف الجن فسموا جنًا لخفائهم، يقال: أنس الشيء: إذا رآه<sup>(١)</sup>، قال ابن فارس: «أنس»، الهمزة والنون والسين، أصل واحد، وهو ظهور الشيء لقوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٥٦]<sup>(٢)</sup>.

٢- عدم التوحش: فكل ما خالف طريقة التوحش يُأنس به، ويقال أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه<sup>(٣)</sup>، قال ابن منظور: «والأنس: خلاف الوحشة، والإيناس: خلاف الإيحاش»<sup>(٤)</sup>.

## الفرع الثاني: اصطلاحا.

عُرف مصطلح الإنسانية بتعريفات مختلفة، منها:

ما جاء في المعجم الوسيط: «الإنسانية: جملة الصفات التي تميز الإنسان، أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات»<sup>(٥)</sup>.

وعرفها جبران مسعود بقوله هي: «ما اختصَّ به الإنسان من المحامد، والإنساني من كان خيرا بطبعه محبا لإخوانه في الإنسانية»<sup>(٦)</sup>.

ويُعترض على هذا التعريف ب: تعميمه للأخوة لتشمل كل إنسان، ولم يأخذ بالتقييد القرآني لها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

١- الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٣.

٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١ / ١٤٥.

٣- المصدر نفسه، ١ / ١٤٥.

٤- ابن منظور، لسان العرب، ٦ / ١٢-١٤.

٥- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ١ / ٣٠.

٦- جبران مسعود، معجم الرائد، ص ١٣٨.

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿ [الحجرات: ١٠]، حيث قصر المولى ﷺ الأخوة على أخوة الإيمان، أما الإنسانية فرباطها الإحسان للخلق، سواء كان من جنس الإنسان، أو غيره من المخلوقات وحتى الجمادات، والكفرة داخلون في هذا.

فمعنى الإنسانية، يتجسد من خلال جانبين، الجانب المعنوي النفسي، والجانب المادي الجسدي، لتمييز الإنسان بخلقه عن باقي المخلوقات، والترابط الحاصل بين تغيير خلقته وإنسانيته، أن كمال خلقته وخلقته يدل على كمال إنسانيته، وإلحاق النقص بهما بما يمنع فعله شرعا قدح فيها.

### المطلب الثالث: التعريف المستخلص للخلقة الإنسانية

لم أقف في حدود اطلاعي على من عرف الخلقة الإنسانية بوصفها مركبا إضافيا؛ لأنها من المركبات الحادثة، والأصل أن مصطلح الخلقة يكون على إطلاقه، ويشمل خلقة جميع الموجودات وإضافة الإنسانية لها هو من باب خصوصية خلقة الإنسان وأفضليته على غيره.

والتعريف الذي استخلصه مما سبق، أن الخلقة الإنسانية هي: «ما فُطِرَ عليه الإنسان خَلْقًا وَخُلِقًا من قبل الله ﷻ دون بقية الخلق».

### المبحث الثاني: حكم تغيير الخلقة الإنسانية وعلله في السنة النبوية

سأفصل في هذا المبحث حكم تغيير الخلقة الإنسانية جزئياً، أو كلياً مع بيان عله في السنة النبوية، وهذا كالاتي:

#### المطلب الأول: حكم التغيير الجزئي للخلقة الإنسانية

سأبين في هذا المطلب حكم التغييرات الجزئية المدخلة على الوجه وباقي أعضاء الجسد، مع ذكر الحالات المستثناة من التحريم في السنة النبوية، وذلك



وفق التفريعات الآتية:

### الفرع الأول: النهي عن تغيير خلقة الوجه ودلالته

يعد وجه الإنسان المشتمل على أكرم الأعضاء لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩]، ولهذا أكدت السنة النبوية على هذا التكريم، بالنهي عن ضرب الوجه لما فيه من المكارم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ»<sup>(١)</sup>.

كما جاء النص في السنة النبوية النهي عن إدخال أي تعديلات على الوجه البشري، مما يعد تعديدا على كرامة خلقته، ومن ذلك:

- ما جاء في رواية البخاري عن علقمة، قال: «لَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ، الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ» فَقَالَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ: مَا هَذَا؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ؟» قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُهُ، قَالَ: «وَاللَّهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ: ﴿وَمَا آتَيْنَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]»<sup>(٢)</sup>.

فالحدِيث فيه دلالة على تحريم المساس بخلقته وجه الإنسان بوشم جلد وجهه، أو نخص حواجه، أو تفلج أسنانه، واللفظ الدال على التحريم هو اللعن؛ لأن اللعن لا يكون إلا في شيء محرم، أو كبيرة من الكبائر، يقول ابن حجر رحمه الله: «وفي هذه الأحاديث حجة لمن قال يحرم الوصل في الشعر، والوشم، والنمص، على الفاعل والمفعول به، وهي حجة على من حمل النهي فيه على التنزيه؛ لأن دلالة اللعن على التحريم من أقوى الدلالات، بل عند بعضهم أنه من

١- أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، ٤/ ٢٠١٦، حديث رقم: ٢٦١٢.

٢- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتنمصات، ٧/ ١٦٦، حديث رقم: ٥٩٣٩.

علامات الكبيرة»<sup>(١)</sup>.

### الفرع الثاني: النهي عن تغيير خلقة باقي أعضاء الجسد ودلالته

ورد النهي عن التغييرات التي تمس أعضاء الجسد عدة أحاديث، منها ما جمع بين وصل شعر الرأس ووشم الجلد، ومنها ما أفرد ذكر أحد التغييرين، ومن تلك الأحاديث أذكر:

- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»<sup>(٢)</sup>.
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»<sup>(٣)</sup>.

وقد شمل النهي عن تغيير خلقة شعر الرأس حتى ولو كان لمرض أصابه، فعن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أَنْكَحْتُ ابْنَتِي، ثُمَّ أَصَابَهَا شَكْوَى، فَتَمَرَّقَ<sup>(٤)</sup> رَأْسُهَا، وَزَوْجُهَا يَسْتَحْتِئُ بِهَا، أَفَأَصِلُ رَأْسَهَا؟ «فَسَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»<sup>(٥)</sup>.

وعن عائشة، رضي الله عنها: أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ تَزَوَّجَتْ، وَأَنَّهَا مَرَضَتْ فَتَمَعَطَ<sup>(٦)</sup> شَعْرُهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَصِلُوهَا، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

- ١- ابن حجر، فتح الباري، ١٠ / ٣٧٧.
- ٢- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ٧ / ١٦٥، حديث رقم: ٥٩٣٣.
- ٣- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الموصولة، ٧ / ١٦٦، حديث رقم: ٥٩٤٠.
- ٤- تمرق: انتثر وتساقط من مرض أو غيره. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٢٠-٣٢١.
- ٥- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ٧ / ١٦٥، حديث رقم: ٥٩٣٥.
- ٦- تمعط: أي تساقط من داء ونحوه. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٩٦.

«لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»<sup>(١)</sup>.

ويلحق اللعن من وشم جلده ذكراً أو أنثى لأي سبب من الأسباب؛ لأنه مغير للخلفة، وغالبه من باب الزينة والشهرة، كما لا يخفى ضرره على الجلد؛ لما يخلفه من أثر الثقوب والمواد المدخلة تحت الجلد كالكحل والمداد، وقد يصاحب ذلك رسم ذوات الأرواح فتزداد الحرمة، ويتأكد اللعن من عدة أوجه، كما يفعله المشاهير في وقتنا.

وقد منع مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره ١٧٣ (١١ / ١٨)، كل أنواع التحسين المدخلة على الجسد، حيث جاء فيه: «لا يجوز إجراء جراحة التجميل التحسينية التي لا تدخل في العلاج الطبي، ويقصد منها تغيير خلفة الإنسان السوية تبعاً للهوى والرغبات بالتقليد للآخرين، مثل عمليات تغيير شكل الوجه للظهور بمظهر معين، أو بقصد التدليس، وتضليل العدالة، وتغيير شكل الأنف، وتكبير أو تصغير الشفاه، وتغيير شكل العينين وتكبير الوجنات»<sup>(٢)</sup>.

ويلحق بالتحريم كل أنواع العلاج المستجدة التي لها تأثير على خلفة الجسد، كما نص على ذلك قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ٢٠٣ (٩٢١ / )، حيث منع العلاج الجيني للخلايا الجسدية فجاء فيه: «أما استخدام العلاج الجيني في اكتساب صفات معينة مثل: الشكل فلا يجوز، لما فيه من تغيير الخلفة المنهي عنه شرعاً، ولما فيه من العبث، وامتهان كرامة الإنسان، فضلاً عن عدم وجود الضرورة أو الحاجة المعتبرة شرعاً»<sup>(٣)</sup>.

١- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ٧ / ١٦٥، حديث رقم: ٥٩٣٤.

٢- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ص ٥٨٤.

٣- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ص ٧٠٦-٧٠٧.

## الفرع الثالث: التغييرات الجزئية المستثناة من التحريم في السنة النبوية

## ١- تعديل العيوب الخلقية

قد يخلق الإنسان بعاهات خلقية تمنع أعضائه من أداء وظائفها التي خلقت لأجلها، أو قد يصاب بمرض يحدث عيباً خلقياً، مما يتطلب التدخل الجراحي لتعديل هذا الخلل.

والدليل من السنة على جواز تعديل العيب الخلقى، ما جاء في الحديث: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَمَصَّاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>.

فمما يدل على جواز تعديل العيوب الخلقية من الحديث:

- قوله ﷺ: «وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ» قال النووي: «فمعناه يفعلن ذلك طلباً للحسن، وفيه إشارة إلى أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن، أما لو احتاجت إليه لعلاج أو عيب في السن ونحوه فلا بأس»<sup>(٢)</sup>.

- وقوله ﷺ: «الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى» فتعديل الخلقة، وإعادتها إلى الأصل بإصلاح العيب الخلقى فيها ليس من باب تغييرها المحرم، وإنما أملته الحاجة.

ومنه يستخلص أن تعديل العيوب الخلقية لا يشملها التحريم؛ لعدم مخالفته للنصوص الشرعية، وهو الضابط والشرط السابع الذي أقره مجمع الفقه الإسلامي الدولي حيث جاء في قراره رقم: ١٧٣ (١١ / ١٨) «أن لا يترتب عليها مخالفة للنصوص الشرعية، وذلك مثل قوله ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَمَصَّاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ

١- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، ٧ / ١٦٤، حديث رقم: ٥٩٣١.

٢- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٤ / ١٠٧.

لِلْحُسْنِ، الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لُعِنَتِ الْوَأَصِلَةُ، وَالْمُسْتَوْصِلَةُ، وَالنَّامِصَةُ، وَالْمَتَمِّصَةُ، وَالْوَأَشِمَةُ، وَالْمُسْتَوْشِمَةُ، مِنْ غَيْرِ دَاءٍ»<sup>(٢)</sup>، ولنهيه صلى الله عليه وسلم عن تشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وكذلك نصوص النهي عن التشبه بالأقوام الأخرى، أو أهل الفجور والمعاصي»<sup>(٣)</sup>.

## ٢- تعديل العيوب الطارئة على الخلقة

قد تتعرض خلقة الإنسان للتغير بغير إرادته، بسبب الحوادث الطبيعية، أو حوادث العمل، أو الحوادث المرورية، فيكون في حاجة لإصلاح ما اختل من أعضائه الوظيفية؛ لذا جاء الترخيص الشرعي في السنة النبوية من باب الضرورة لجبر الأعضاء وتعديل خلقتها، لإعادة وظيفتها التي لا تتأني إلا بالتدخل الجراحي.

والدليل من السنة على جواز تعديل العيوب الخلقية الطارئة، ما روي عن عبد الرحمن بن طرفة، أن جده عرفجة بن أسعد، «قُطِعَ أَنفُهُ يَوْمَ الْكَلَابِ»<sup>(٤)</sup>، فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرَقٍ، فَانْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ»<sup>(٥)</sup>.

- ١- سبق تخريجه، ص ١٠.
- ٢- أخرجه: أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في صلة الشعر، ٤ / ٧٨، حديث رقم: ٤١٧٠.
- ٣- صححه الألباني قال: «حسن صحيح». ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٤٨٥.
- ٤- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المرجع السابق، ص ٥٨٣.
- ٥- الكلاب: اسم ماء، وكان به يوم معروف من أيام العرب بين البصرة والكوفة.. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ١٩٦.
- ٥- أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الخاتم، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، ٤ / ٩٢، حديث رقم: ٤٢٣٢. الترمذي، الجامع، أبواب اللباس، باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب، ٤ / ٢٤٠، حديث رقم: ١٧٧٠. وقال عقبه: «هذا حديث حسن»، والنسائي، السنن الصغرى، كتاب الزينة، من أصيب أنفه هل يتخذ أنفا من ذهب، ٨ / ١٦٣، حديث رقم: ٥١٦١، وأبي داود الطيالسي، المسند، ٢ / ٥٨٦، حديث رقم: ١٣٥٤، وابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الزينة والتطيب، ١٢ / ٢٧٦، حديث رقم: ٥٤٦٢. قال ابن الملقن: «رواه الثلاثة، وصححه ابن حبان» ينظر: خلاصة البدر المنير، ١ / ٣٠٧، وحسنه البغوي، فقال: «هذا حديث حسن، لا يعرف إلا من حديث عبد الله بن طرفة، وعرفجة بن أسعد جده»، ينظر: شرح السنة، ١٢ / ١١٥، وصححه الألباني، فقال: «والحديث صحيح؛ لأن له شواهد يتقوى بها». ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤ / ٤٨١.

واستدلالات بالحديث، اتفق أصحاب المذاهب الأربعة على جواز تعديل خلقه الأنف رغم اختلافهم في فهم نص الحديث؛ فالحنفية<sup>(١)</sup> قالوا بجواز اتخاذ الأنف من الفضة دون الذهب، وفهموا من الحديث أن المحرم لا يرخص إلا للضرورة، وهي تندفع بالأدنى، وهو الفضة فبقي الذهب على أصل التحريم<sup>(٢)</sup>، أما المالكية فقالوا بالجواز سواء كان من ذهب أو فضة؛ لإقرار النبي ﷺ لعجرفة ﷺ<sup>(٣)</sup>، في حين يرى الشافعية والحنابلة، أن الجواز مرتبط بحال الضرورة فقط<sup>(٤)</sup>.

ويظهر والله أعلم، أن ترخيص النبي ﷺ في اتخاذ أنف من ذهب، رغم حرمة على الرجال، جاز من باب أولى تعديل أي عضو، وإرجاعه إلى أصل خلقته بأي وسيلة مباحة، ويدخل في ذلك ما توصل إليه تطور الطب الجراحي من زرع الأعضاء، والخلايا الجذعية، ويقاس على ذلك جميع الأعضاء التي قد تصبح معيبة، فجاز التدخل الجراحي لتعديل عيبها.

وقد أقر مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم: ١٧٣ (١١ / ١٨)، تعديل العيوب الطارئة للضرورة والحاجة، حيث جاء فيه: «يجوز شرعاً إجراء الجراحة التجميلية الضرورية، والحاجة التي يقصد منها:

- إعادة شكل أعضاء الجسم إلى الحالة التي خلق الإنسان عليها، لقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].
- إعادة الوظيفة المعهودة لأعضاء الجسم.
- إصلاح العيوب الخلقية مثل: الشفة المشقوقة (الأرنبية) واعوجاج الأنف الشديد والوحمات، والزائد من الأصابع والأسنان، والتصاق الأصابع إذا

١- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ١٣٢ / ٥.

٢- المصدر نفسه، ١٣٢ / ٥.

٣- التتائي، جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر، ١ / ٢٢٥.

٤- الماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، ٢ / ٤٧٩. ابن قدامة، المغني، ٣ / ٤٥.

أدى وجودها إلى أذى مادي أو معنوي مؤثر.

- إصلاح العيوب الطارئة (المكتسبة) من آثار الحروق، والحوادث، والأمراض وغيرها، مثل: زراعة الجلد وترقيعه، وإعادة تشكيل الثدي كلياً حالة استئصاله، أو جزئياً إذا كان حجمه من الكبير أو الصغر بحيث يؤدي إلى حالة مرضية، وزراعة الشعر حالة سقوطه خاصة للمرأة<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: حكم التغيير الكلي للخلقة الإنسانية

تكفل النبي ﷺ بيان حكم تغيير الخلقة في بعض أجزائها، وغلظ في الزجر عن ذلك بلعن الفاعل والمفعول به، ولم يقف الأمر عند هذا الحد في العصر الحديث؛ حيث أسهم التطور العلمي في المجال الطبي في تغيير الذكر إلى أنثى والأنثى إلى ذكر، كان لزاماً علي بيان حكم ذلك وفق التفصيل الآتي:

### الفرع الأول: معنى التغيير الكلي للخلقة الإنسانية

عرفها محمد بن محمد المختار الشنقيطي بأنها: «تحويل الذكر إلى أنثى والعكس، ففي الحالة الأولى - أي تحويل الذكر إلى أنثى - يجري استئصال عضو الرجل - الذكر - وخصيته، ثم يقوم الأطباء ببناء مهبل، وتكبير الثديين، وفي الحالة الثانية - أي تحويل الأنثى إلى ذكر - يجري استئصال الثديين، وإلغاء القناة التناسلية الأنثوية، وبناء عضو الرجل - الذكر -، وفي كلتا الحالتين يخضع الشخص الذي تجرى له الجراحة إلى علاج نفسي وهرموني معين»<sup>(٢)</sup>.

وجاء تعريف تغيير الجنس في موقع «ويكيبيديا» بأنه: «عملية أو عدة عمليات جراحية يتم من خلالها تغيير الملامح الجسدية للشخص المتحول جنسياً، وخصائصه الجنسية الحالية لتحاكي تلك المرتبطة اجتماعياً مع النوع الاجتماعي

١- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ص ٥٨٤.

٢- الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، ص ١٩٩.

الذي يتماثل معه الشخص، كما يتم إجراء هذه العمليات كجزء من علاج اضطراب الهوية عند الأشخاص المتحولين جنسياً<sup>(١)</sup>.

والملاحظ من التعريفين، أن تغيير الجنس جاء كعلاج للاضطرابات النفسية والهرمونية التي يعاني منها الشخص المراد تحويله، كي يندمج اجتماعياً مع نوعه الذي يميل إليه، في حين أن مثل هذا التغيير الكلي لجنس الشخص يكون لمجرد خلل جزئي قد يسهل تعديله بضوابط دينية واجتماعية، دون الحاجة لتلك العمليات المعقدة التي قد يبقى أثرها الجراحي، ولا يكون لها أثر نفسي على المتحول.

### الفرع الثاني: حكم التغيير الكلي لخلقة الإنسان في السنة النبوية

دلت نصوص السنة النبوية المحرمة للتغيرات الجزئية على حرمة التغيير الكلي للخلقة من وجهين:

أولاً: دلالة اقتضاء حرمة التغيير الجزئي للخلقة على حرمة التغيير الكلي، وشدته.

بناءً على ما تم تأصيله في المطلب الأول من حرمة تغيير أي جزء من الخلقة المعتدلة المفضي للخديعة والتزوير، فإنه يحرم من باب أولى تغييرها كلياً، بأن يحول الرجل إلى امرأة، وتحول المرأة إلى رجل، بل يكون اللعن أشد؛ لأن التحول من الجنس الأصلي إلى جنس آخر يتجسد فيه المنتهى من الأمر الشيطاني من تغيير الخلقة البشرية، لقوله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَّئَهُمْ وَلَا مَنِينَهِمْ وَلَا مَرَنَهُمْ فَلَيَبْتَكُنَّ ءَادَاتُ الْأُنْعَمِ وَالْأَمْرَهُمْ فَلَيَعْرِبُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

فالآية تضمنت حرمة تغيير خلق الله بجميع أوجهه، والتغيير الكلي بالجراحة

١ - موقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki>



فيه أبلغ أنواع تغيير الخلق بقيام الطبيب الجراح باستئصال الذكر والخصيتين، وذلك في حالة تحويل الذكر إلى أنثى، أو باستئصال الثديين وإلغاء القناة التناسلية الموجودة في الأنثى في حالة تحويلها إلى ذكر<sup>(١)</sup>.

وفي حديث علقمة الوارد فيه: «المُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللهُ»، دلالة على أن علة التحريم هي التغيير اللاحق بالخلق عن طريق الوشم، والنمص، والتفليج بين الأسنان الوارد ذكرها في أول الحديث: «لَعَنَ عَبْدُ اللهِ، الْوَأَشِمَاتِ وَالْمُتَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ»، وكلها تغييرات جزئية جاء فيها حكم اللعن، فمن باب أولى أن يلحق اللعن التغيير الكلي للجنس بتحول الرجل إلى امرأة والمرأة إلى رجل، بل التغييرات الجزئية أخف لبقاء الإنسان على أصله الذي خلقه الله عليه.

ثانياً: دلالة أحاديث حرمة التشبه في السنة النبوية على حرمة التغيير الكلي للخلق

نصت السنة النبوية على حرمة التشبه وغلظت فيه باللعن سواء كان من قبل الرجل أو المرأة، حفاظاً على بقاء كل طرف على طبيعته التي خلق عليها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرَّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»<sup>(٢)</sup>.

ففي الحديث دلالة على حرمة تشبه الرجال بالنساء والعكس، ولعن من فعل ذلك، وتغيير الجنس بالجراحة سبب يتوصل به لتحصيل هذا الفعل المحرم الذي يعتبر من كبائر الذنوب؛ لأن الرجل إذا طلب هذا النوع من الجراحة؛ إنما يقصد به مشابهة النساء، والمرأة لمشابهة الرجال<sup>(٣)</sup>.

١- الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، ص ٢٠٠.

٢- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، ١٥٩/٧، حديث رقم: ٥٨٨٥.

٣- الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، ص ٢٠١.

ولا يوجد أبلغ من تغيير الجنس دلالة على التشبه الأعمى، وصولاً للمطابقة النفسية والجسدية للجنس المراد التحول إليه، وهو ما يؤدي إلى مفاسد نفسية وجسدية عائدة على المتحول جنسيا أثبتها الطب الحديث بالنظر لكثرة العمليات الجراحية المعقدة، والتناقضات النفسية المنتهية بصاحبها في الغالب إلى الانتحار لصعوبة الاندماج.

**المطلب الثاني: علة تحريم التغيير الجزئي والكلي للحلقة الإنسانية في السنة النبوية**

نص الفقهاء وشراح السنة النبوية على أن الأحاديث الناهية عن المساس بخلقة الوجه، أو أي عضو من أعضاء الجسم تضمنت علة التحريم، وهي متعدية للتغيير الكلي، بل هي فيه أظهر، ومن تلك العلة نذكر:

**الفرع الأول: علة التغيير الدائم للحلقة**

إن كل التغييرات المنصوص عليها في السنة النبوية من الوشم والنمص، والوصل والتفليج، وما يقاس عليها من التغييرات الجزئية غير المنصوص عليها، أو الكلية فيها طابع التغيير الدائم اللاحق لخلقة الوجه والبدن، وهي سبب في زوال الحلقة الأصلية والتي يصعب إعادتها؛ لهذا جاء الجواز في إدخال التغييرات الزائلة بغرض التجميل؛ لأن زوالها وعودة الحلقة إلى أصلها مانع من تحقق علة التحريم فيها، كالكحل والحناء.

والنص على علة التغيير الدائم جاء في حديث علقمة رضي الله عنه: «لَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ، الْوَأَشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ»، قال ابن حجر في شرحه: «المغيرات خلق الله: هي صفة لازمة لمن يصنع الوشم والنمص والفليج وكذا الوصل»<sup>(1)</sup>، ولهذا نص العلماء على وجوب إزالة ما لحق الحلقة

١ - ابن حجر، فتح الباري، ١٠ / ٣٧٣.

من التغييرات الدائمة إلا إذا خيف الضرر المتحقق، وعلل ابن حجر ذلك بقوله: «ويصير الموضع الموشوم نجسا؛ لأن الدم انحبس فيه فتجب إزالته إن أمكنت ولو بالجرح، إلا إن خاف منه تلفا أو شيئا أو فوات منفعة عضو فيجوز إبقاؤه وتكفي التوبة في سقوط الإثم، ويستوي في ذلك الرجل والمرأة»<sup>(١)</sup>، فانحباس الدم خوف التلف وبقاء الشين وفوات المنفعة كلها علامات على دوام التغيير وصعوبة إزالته، والرجوع إلى الأصل.

### الفرع الثاني: علة التدليس والخديعة

علل النبي ﷺ حكمه في من وصلت شعرها، بأن سماه زورا لما ينظلي عليه من الخديعة والتزوير الذي يلحق خلقة المرأة، كما جاء في حديث سعيد بن المسيّب، قال: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ، آخِرَ قَدَمَةٍ قَدَمِهَا، فَخَطَبْنَا فَأَخْرَجَ كَبَّةً مِنْ شَعْرٍ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ الْيَهُودِ «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَاهُ الزُّورَ، يَعْنِي الْوَاصِلَةَ فِي الشَّعْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وتلحق تلك العلة جميع التغييرات التي جاء النص عليها في السنة النبوية من الوشم، والنمص، والتفليج لما تنظلي عليه من التدليس، ولعل النص على علة تحريم الوصل إنما لكثرتة بين النساء، وتعلقه بأحب زينة لهن وهي شعورهن، وإن كانت الخديعة والتدليس قد تكون أبلغ في النمص والتفليج لتعلقها بزينة الوجه.

والتدليس والخديعة متحققة في التغيير الكلي للخلقة الإنسانية، بل هي فيه أظهر؛ لأنها تطال الأعضاء الظاهرة والباطنة.

١- المصدر نفسه، ١٠ / ٣٧٢.

٢- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ٧ / ١٦٥، حديث رقم: ٥٩٣٨.

### الفرع الثالث: علة التشبه بالفساق والأراذل.

إن تغيير الخلقة من قبل الفساق والأراذل طلبا للحسن، والزينة، مما التصق بهم وأصبح من صفاتهم الملازمة لهم، مما أدخل التشبه بهم في عموم النهي عن التشبه؛ فقد روي عن ابن عمر أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

يتبع ذلك ما يدخله المشاهير من تعديلات على وجوههم، وأجسادهم للحصول على دوام الشهرة بين الناس، فيتهافت الشباب والشابات على التشبه بهم وتقليدهم، خاصة مع نشر ذلك عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

وتزداد الحرمة شدة في السنة النبوية إذا كان تشبه الإنسان بغير جنسه كتشبه الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل؛ لدلالة لفظ اللعن على التحريم، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثالث: ترابط تغيير الخلقة بتغيير الخلق في السنة النبوية

المتأمل في الأحاديث النبوية الداعية إلى حفظ ما فطر عليه الإنسان ذكرا كان أم أنثى يجد ترابطا بين الدعوة لحفظ الجانب المادي للإنسان المتمثل في خلقة الجسد، والجانب المعنوي المتمثل في خُلُقِ النفس، وهذا ما سأليناه في هذا المبحث من خلال مطلبين، أخص المطلب الأول منهما لبيان جمع السنة النبوية في النهي

١- أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ٤ / ٤٤، حديث رقم: ٤٠٣١. أحمد، المسند، ١٢٦ / ٩، حديث رقم: ٥١١٥. وأبو بكر البزار، في مسنده من طريق حذيفة عن النبي ﷺ، ٧ / ٣٦٨، حديث رقم: ٢٩٦٦، وقال عقبه: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن حذيفة مسندا إلا من هذا الوجه». وصحح إسناده العراقي فقال: «رواه أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح». ينظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ٢ / ٦٧٦. وقال الألباني: «صحيح». ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٥ / ١٠٩.

٢- سبق تخريجه، ص ١٤.

عن التشبه بين الخُلقة والخلق، أما المطلب الثاني فسأوضح فيه كيف جمعت السنة النبوية من النهي عن تخنث الرجال وترجل النساء بين الخُلقة والخلق، وهذا وفق التفصيل الآتي:

### المطلب الأول: جمع السنة النبوية في النهي عن التشبه بين الخُلقة والخلق

ورد في السنة النبوية التحذير الشديد عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وغلط اللفظ الدال على التحريم بلعن المتشبهين رجالاً ونساءً، وذلك لعلم النبي ﷺ أن التشبه هو مبدأ انحراف الخُلقة عما جبلت عليه، ولانعكاس التشبه المظهري على خلق الإنسان، بل قد يكون هو الداعي الأكبر لمحاولة تحقيق المطابقة الجسدية عن طريق العمليات الجراحية المُعقدة المحققة للتحويل الجنسي الكامل، فمعظم النار من مستصغر الشرر.

ومن الأحاديث الناهية عن التشبه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرَّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

جاء في فتح الباري: «قال الطبري: لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس قلت (أي الحافظ): وكذا في الكلام، والمشى؛ فأما هيئة اللباس فتختلف باختلاف عادة كل بلد فرب قوم لا يفترق زي نساءهم من رجالهم في اللبس، لكن يمتاز النساء بالاحتجاب والاستتار، وأما ذم التشبه بالكلام والمشى فمختص بمن تعمد ذلك، وأما من كان ذلك من أصل خلقته، فإنما يؤمر بتكلف تركه والإدمان على ذلك بالتدريج فإن لم يفعل وتمادى دخله الذم، ولا سيما إن بدا منه ما يدل على الرضا به»<sup>(٢)</sup>.

١- سبق تخريجه، ص ١٤.

٢- ابن حجر، فتح الباري، ١٠ / ٣٣٢-٣٣٣.

ولعل الغرض من تغيير الجنس، هو تحقيق الرغبات الجنسية، التي لا تتأتى بما هو عليه من الحلقة الأصلية، فكان منتهى التشبه تغيير الحلقة بما ييسر ذلك على الجنسين، كما أشار إلى ذلك ابن حجر في فتح الباري: «فأما من انتهى في التشبه بالنساء من الرجال إلى أن يؤتى في دبره وبالرجال من النساء إلى أن تتعاطى السحق بغيرها من النساء، فإن لهذين الصنفين من الدم والعقوبة أشد ممن لم يصل إلى ذلك، وإنما أمر بإخراج من تعاطى ذلك من البيوت كما في الباب الذي يليه لئلا يفضي الأمر بالتشبه إلى تعاطي ذلك الأمر المنكر»<sup>(١)</sup>.

وهذا سبحانه الله هو الغرض الأساسي للمغيرين للحلقة في هذا العصر، بجعل الذكر أنثى، أو بجعل الأنثى ذكراً؛ لإشباع غرائزهم التي لا تتلاءم مع خلقتهم وأخلاقهم، فيلجؤون إلى إجراء العمليات الجراحية المعقدة، من أجل التحول الجنسي، وإيجاد الآلات بعد أن خلقوا بدونها.

غير أنه ثبت طبيًا أن محاولة حصول المطابقة الكلية للجنس المتحول إليه يصاحبه مضاعفات جسدية واضطرابات نفسية وأخلاقية تمنع من الاستقرار، فعلى المستوى الجسماني قد توجد تقرحات وتشوهات لكثرة العمليات الجراحية في المكان الواحد، وعلى المستوى النفسي والأخلاقي، قد لا تتطابق الأحاسيس النفسية والصفات الأخلاقية مع البناء الجسماني الجديد، فينتهي بالمتحول إلى الانتحار.

المطلب الثاني: جمع السنة النبوية في النهي عن تخنث الرجال وترجل النساء بين الحلقة والخلق

ورد في السنة النبوية الشريفة النهي عن تخنث الرجال وترجل النساء ومن ذلك:

- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةٌ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَمِنَتِ الْمَلَائِكَةُ رَجُلٌ جَعَلَهُ اللَّهُ ذَكَرًا فَأُنْثِيَ نَفْسُهُ وَتَشَبَهَ بِالنِّسَاءِ، وَامْرَأَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ أُنْثَى فَتَذَكَّرَتْ وَتَشَبَهَتْ بِالرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

في الحديث أن السعي لتأنيث الرجل نفسه، وتذكير المرأة نفسها، وخروجهما عن التصرفات الطبيعية التي جُبل عليها، يكون سببا في لحوق اللعن في الدنيا والآخرة، ولا يمنع سياق الحديث أن يسعى المخنث والمرجلة إلى المشابهة الجسدية تحقيقا لأبلغ المشابهة، وهو في عصرنا متاح عن طريق الخضوع للتهيئة النفسية قبل العمليات الجراحية.

- وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدِي مُخْنَثٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فَعَلَيْكَ بَابُنَا غِيْلَانٌ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدَبَّرُ بِثَمَانٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلَنَّ هَؤُلَاءِ عَلَيْنَا»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن بطال في شرحه للحديث: «فلما سمع النبي ﷺ وصف المخنث للمرأة بهذه الصفة التي تهيم نفوس الناس منع أن يدخل عليهن؛ لثلاثا يصفهن للرجال فيسقط معنى الحجاب، قال غيره: وفيه من الفقه أنه لا ينبغي أن يدخل على النساء من المؤنثين من يفتن لمحاسنهن ويحسن وصفهن، وأن من علم محاسنهن لا يدخل في معنى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النور: ٣١]، وإنما غير أُولَى الْإِرْبَةِ الأبله العين الذي لا يفتن لمحاسنهن، ولا إرب له فيهن»<sup>(٣)</sup>.

١- أخرجه: الطبراني، المعجم الكبير، ٨ / ٢٠٤، حديث رقم: ٧٨٢٧، وضعفه الهيثمي قال: «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك». ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨ / ١٠٣، وقال الألباني: «ضعيف». ينظر: ضعيف الترغيب والترهيب، ٢ / ٣٧.

٢- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ٥ / ١٥٦، حديث رقم: ٤٣٢٤، وكتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ٧ / ١٥٩، حديث رقم: ٥٨٨٧.

٣- ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٧ / ٣٦٢.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ أَرْوَاحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَنَّثٌ فَكَانُوا يُعَدُّونَهُ مِنْ غَيْرِ أَوْلِي الإِرْبَةِ، قَالَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، وَهُوَ يَنْعَتُ امْرَأَةً، قَالَ: إِذَا أَقْبَلْتُ أَقْبَلْتُ بِأَرْبَعٍ، وَإِذَا أَدْبَرْتُ أَدْبَرْتُ بِثَمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَرَى هَذَا يَعْرِفُ مَا هَا هُنَا لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيَّ كُنَّ» قَالَتْ: فَحَجَبُوهُ<sup>(١)</sup>.

قال النووي: «ففيه منع المخنث من الدخول على النساء ومنعهن من الظهور عليه، وبيان أن له حكم الرجال الفحول الراغبين في النساء في هذا المعنى، وكذا حكم الخصي والمجبوب»<sup>(٢)</sup>.

ونخلص من الحديثين، إلى أن النبي ﷺ منع المخنث من الاختلاط بالنساء، مخافة أن تكون له إربة فيهن فتقع المحاذير الشرعية لما ظهر منه من وصف دقيق للمرأة، ومنعه من الدخول على النساء، ومخالطتهن يقتضي اختلاطه بالرجال فتستوي تصرفاته بما يطابق خلقته، والحال هذه تنطبق على الخنثى غير المشكل<sup>(٣)</sup>، الذي يملك حلقة الرجال، ويحتاج إلى تعديل تصرفاته بما يطابق خلقته، والبعد عن تصرفات النساء وهذا يحصل بالتدرج والتعزيز.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: «أَخْرَجُوهُمْ مِنْ بَيْوتِكُمْ» قَالَ: فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُلَانًا، وَأَخْرَجَ عُمَرَ فُلَانًا<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب، ١٧١٦/٤، حديث رقم: ٢١٨١.

٢- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٤/١٦٣.

٣- الخنثى غير المشكل هو: "الذي يتبين فيه علامات الذكورية، أو الأنوثة، فيعلم أنه رجل، أو امرأة، فليس بمشكل، وإنما هو رجل فيه حلقة زائدة، أو امرأة فيها حلقة زائدة". ينظر: ابن قدامة، المغني، ٣٣٦/٦.

٤- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ١٥٩/٧، حديث رقم: ٥٨٨٦، وكتاب الحدود، باب نفي أهل المعاصي والمخنثين، ١٧١/٨، حديث رقم: ٦٨٣٤.



يقول ابن بطال: «ما وجه لعن النبي عليه السلام المخنثين من الرجال، والخنث خلق الله لم يكتسبه العبد ولا له فيه صنع، وإنما يذم العبد على ما يكسبه مما له السبيل إلى فعله وتركه، ولو جاز ذمه على غير فعله لجاز ذمه على لونه وعرقه وسائر أجزاء جسمه؟ قيل: وجه لعن النبي ﷺ إياه إنما هو لغير صورته التي لا يقدر على تغييرها، وإنما لعنه لتأنيثه وتشبهه في ذلك بخلق النساء»<sup>(١)</sup>.

وقصر ابن بطال دلالة اللعن على التشبه المفضي لتأنيث الرجل على حسب ما كان في زمانه، غير أن اللعن الوارد في الحديث يشمل تغيير الخلق المصاحب لخلق الخنث في هذا الزمان، فما من متخنث إلا وغير صورته على صورة النساء ما أمكنه ذلك، بتغيير خلقه الوجه بعمليات التجميل، وتغيير خلقه الأعضاء عن طريق عمليات تغيير الجنس كلياً من ذكر إلى أنثى.

#### المبحث الرابع: تحديات تغيير الخلق للإنسانية الإنسان

تواجه الخلق الإنسانية عدة تحديات على عدة مستويات خاصة في العصر الحاضر، وهو ما سألناه في هذا المبحث، حيث أجعل المطلب الأول لبيان التحديات ذات البعد المادي، في حين أتكلم في المطلب الثاني عن التحديات النفسية والتصورات والمنطلقات الفكرية، محاولة مني للتأصيل والتأسيس لتلك الأبعاد وفق ما ورد في النصوص، وهذا كالاتي:

#### المطلب الأول: تحديات تغيير الخلق الإنسانية ذات البعد المادي

نظراً لما تتركه جملة التغييرات اللاحقة بالخلق الإنسانية من آثار جسدية، يصعب إزالتها، لذا فهي تشكل تحديات ذات أبعاد مادية أجملها في التفرجات الآتية:

١ - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٩ / ١٤١.

## الفرع الأول: استمرارية ظهور التغييرات الجزئية

خلقة الإنسان معرضة باستمرار للتغيير والتبديل، تحقيقاً للقسم الذي أخذهُ الشيطان على نفسه الملعونة لقوله تعالى: ﴿وَلَا أُضِلَّهُمْ وَلَا مِثْلَهُمْ وَلَا مِثْلَهُمْ وَلَا مِثْلَهُمْ﴾. فليبيِّنْ كُنَّ إِذْ أَنْكَرَ الْأَنْعَامَ وَالْأَمْمَرَهُمْ فَلْيُعْرِتْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿[النساء: ١١٩].

كما أن المناهي النبوية عن بعض التغييرات الجزئية، ليست من باب التحديد والحصر، وإنما هي من باب النهي عن ما رآه النبي ﷺ في عهده من المنكر، وعدم الحاجة لتأخير البيان، وعليها تقاس نوازل الخلقة؛ فالتغييرات في ازدياد، واطراد لدخولها في عموم الحديث الذي رواه الزبير بن عدي، قال: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «أَصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبُّكُمْ»<sup>(١)</sup>، فكل ما طرأ على الخلقة من تغييرات حديثة داخل في عموم الشر بما لم يخطر على بال الأولين، كيف لا وكل تقنياتها من نتاج أفكار المسيطرين على الأزياء والتجميل عالمياً،

ومن دلائل استمرارهم في التشجيع على تغييرات الخلقة، تسميتهم لها بغير اسمها؛ وقد تحقق الإعجاز في نبوة محمد ﷺ، بإخباره بتسمية المنكرات بغير اسمها، كالخمر، لما روي عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْشُرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخُمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»<sup>(٢)</sup>، فسموا النمص تشقيراً<sup>(٣)</sup>، وسموه تاتو

١ - أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ٤٩/٩، حديث رقم: ٧٠٦٨.

٢ - أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب في الداذي، ٣/٣٢٩، حديث رقم: ٣٦٨٨.

٣ - التشقير: هو صبغ الطرف العلوي والسفلي من الحاجب؛ ليظهر وسطه دقيقاً. ينظر: أحمد الخليل، من أحكام النمص والتشقير، ص ٤٠.

الحواجب<sup>(١)</sup>، وسموا الوصل باروكة<sup>(٢)</sup>، وكل هذه المسميات من باب تلبيس إبليس.

### الفرع الثاني: للرجال مدخل في التغييرات الجزئية للخلفة كالنساء

ارتبط النهي في السنة النبوية عن التغييرات الجزئية بالنساء لصدور غالب تلك المنهيات عنهن؛ لأن مطلب الزينة والتجمل يكون غالباً منهن، فجاء النهي بحسب الغالب، وصيغ اللعن الواردة في الأحاديث النبوية شملت الفاعلات والمفعولات بهن، فمن الفاعلات ذكرت: «الواشمات، النامصات، الواصلات» فكل تلك التغييرات جاءت بصيغة المؤنث دلالة على أنها من المهن التي تختص بها النسوة دون غيرهن، وها هو الواقع المعيش يدخل الرجال في الدائرة؛ حيث أصبح الرجال يمتنون الحلاقة النسائية، والتجميل، بل وبرعوا فيها، وتفوقوا فيها على النساء صويحبات الاختصاص؛ فقياساً عليهن، فإن الواشم، والنامص والواصل، مشمولون بحكم اللعن والعقوبة؛ بل قد يكون أمرهم أشد، لما في تلك الممارسات من تعديات غير شرعية أخرى، كلمس الرجال للنساء الأجنيات، والاختلاط، وكشف العورات، وقد نهوا عن ذلك لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُسْبَايَعَةِ، وَمَا بَايَعَهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ»<sup>(٣)</sup>، وما يصاحب تلك المهن من الاختلاط بالنساء؛ لما رواه عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَيِ النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ

- ١- ويطلق عليه اسم رسم الحواجب، وهو حاجب اصطناعي يرسم بواسطة آلة معبأة باللون المطلوب، ثم يجري تحضير الجلد بتطهيره، وتقوم الآلة بإزالة الطبقة العليا من الجلد، ويدخل اللون تحته، ثم تعطى المرأة حقنة خاصة تستعملها من أجل بعض التوش مستقبلاً، إضافة إلى استعمال الكريمات والمطهرات منعاً لحصول أي التهابات. ينظر: سميرة زكايره، نمص المرأة - دراسة فقهية مقاصدية معاصرة -، ص ٣٣.
- ٢- الباروكة: أن تضع المرأة على رأسها قلنسوة من شعر مستعار. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/٣.
- ٣- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة، ١٨٨/٣، حديث رقم: ٢٧١١.

مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: «الْحَمُو الْمَوْتُ»<sup>(١)</sup>، وقد يؤول الأمر بالممتهين لتلك المهنة إلى التخث والتغنج والعياذ بالله<sup>(٢)</sup>.

ومن المفعولات بهن ذكرت: «المستوشمات، المنمصات، المتفلجات»، وهؤلاء الموصوفات لم تعد تلك التغييرات خاصة بهن، بل أصبح من الرجال من يقوم بها شهوة وشهرة، فيلحقهم شرعا حكم اللعن، وقد يكون في حقهم أشد؛ لدخوله في باب تشبه الرجال بالنساء، فالمستوشم متشبه، والمنمص متشبه، والمتفلج متشبه، وقد يسهل ذلك بعد استهانة الرجال في لبس الحرير والذهب فمعظم النار من مستصغر الشرر.

### الفرع الثالث: التغييرات الجزئية للحلقة ذريعة لتغييرها الكلي

إن التغييرات الجزئية المنصوص على تحريمها في السنة النبوية، وما صاحبها من تغييرات جديدة بسبب تطور الطب الجراحي، كان مآله السعي للوصول إلى التغيير الكلي للحلقة كما هو حاصل اليوم؛ لأنه منتهى الأوامر الشيطانية الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَّئَهُمْ وَلَا مَئِينَهُمْ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيُبَيِّئْ لَنَّا أَعْدَابُ الْأَنْعَامِ وَالْأَمْرَهُمْ فَلْيَعْرِضْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

- ١ - أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المُغَيَّبَةِ، ٣٧/٧، حديث رقم: ٥٢٣٢. مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، ٤/١٧١١، حديث رقم: ٢١٧٢.
- ٢ - التغنج: يقال تغنجت الجارية في كلامها: من الغنج، والغنج في الجارية تكسر وتدل. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٦/١٣٤.

فبعد الإضلال، وطول الأمانى، والأمر بتغيير خلقة الأنعام بقطع الآذان، تنتهي الأوامر إلى تغيير خلق الله، ويكون مبدؤها بالتغييرات الجزئية المنصوص على تحريمها في السنة النبوية، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «لَعَنَ اللهُ الْوَأَشْمَاتَ وَالْمُسْتَوْشِمَاتَ، وَالنَّامِصَاتَ وَالْمَتَمِصَّاتَ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللهُ»<sup>(١)</sup>، وبالتدرج والتطورات الحاصلة في مجال التجميل يصار إلى تغيير الخلقة بالكلية طلباً للتشبه الكامل، والمطابقة لنوع الجنس المراد التحول إليه، وفي ذلك تحقيق لأعظم أهداف الشيطان في هذا الباب.

ولعل السر في اشتراك المتشبهين والمتشبهات، والمغيرين والمغيرات للخلقة في عقوبة الطرد من رحمة الله جل جلاله الواردة في الأحاديث النبوية إشارة إلى أن تغيير الخلقة يراد به تحقيق التشبه في إطار نفس الجنس حتى تشبه المرأة امرأة أخرى، وهو أخفه بين النساء مع كثرته لما فطروا عليه من الغيرة، وأغلظه تشبه المغير لخلق الله بغير جنسه، ولا يتحقق ذلك إلا بالتغيير الكلي بعد إدخال جملة من التغييرات الجزئية تهينة لنفسه في تقبل ما سيؤول إليه من جنس جديد.

#### الفرع الرابع: التغيير الكلي للخلقة قطع للنسل الإنساني

يعد حفظ النسل مقصداً من مقاصد خلق الإنسانية، وتكاثرها وفق ثنائية الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، غير أن تغيير الجنس بتحويل الرجل إلى امرأة، والمرأة إلى رجل فيه مانع من تحقيق هذا المقصد، لما يصاحب عملية التحويل من تغيير الآلات الجنسية الداخلية والخارجية، مما قد يحول دون قدرة المتحول على أداء وظائفه الجديدة ومنها الإنجاب، كما هو حال الإنسان العادي، وقد ثبت طبيًا ما لتلك العمليات من مضاعفات خطيرة، قد تؤدي إلى

١- أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، ٣/١٦٧٨، حديث رقم: ٢١٢٥.

الوفاة<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في السنة النبوية النهي عن التبتل والإخصاء، حفظا للنسل من جانب العدم، لما روي عن سعد بن أبي وقاص، أنه قال: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبْتُلَ<sup>(٢)</sup>، وَلَوْ أَدَانَ لَهُ لِأَخْتَصَيْنَا»<sup>(٣)</sup>، ومن باب الحديث يستفاد حرمة المساس بالخلقة بما يؤثر على القدرة على التناسل، ومن باب أولى دخول التعديلات على الجهاز التناسلي بغرض تغيير الجنس في الحرمة، بل هو أشد لما فيه من كشف العورات ومساس تلك التعديلات بالفوارق الجوهرية بين الرجل والمرأة، عن طريق تغيير الأعضاء التناسلية نزعا، أو زرعا.

#### الفرع الخامس: التغيير الكلي للخلقة مدخل للبهيمية والمثلية

يعد الضلال الناتج عن التغيير الكلي للخلقة الإنسانية مدخلا للبهيمية العمياء التي نص عليها القرآن في قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، كما أن تغيير خلقة البهائم، مدخل لسعي الإنسان لتغيير خلقته من باب المشابهة لها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلَيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ [النساء: ١١٩]، لذا عطف أمر الشيطان بتغيير خلقة الإنسان على أمره بقطع آذان الأنعام، لقوله تعالى: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

ومن جهة فالتعديلات الجوهرية المدخلة على المتحولين جنسيا إنما تفعل؛ لأجل تحقيق المطالب الغريزية، بالسعي لإشباع الغرائز الأنثوية بعد الذكورة، أو إشباع الغرائز الذكورية بعد الأنوثة، وهذا لا تفعله حتى البهائم، وهي منه براء

- ١- الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، ص ١٩٦-٢٠٢ بتصرف.
- ٢- التبتل: أي ترك النكاح والانقطاع عنه. ينظر: عياض بن موسى اليحصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ٧٧.
- ٣- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والإخصاء، ٧/ ٤، حديث رقم: ٥٠٧٣. مسلم، صحيح، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ٢/ ١٠٢٠، حديث رقم: ١٤٠٢.

مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان: ٤٤].

وتحققا للخروج عن الإنسانية وتعدي أوصاف البهائم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، يُدعى للمثلية واحترام حقوق الداعين لها، وهي آفة يفضي التساهل مع أصحابها إلى نشر الرذيلة بما لم تُهيأ له الخلقة الإنسانية، ولا الخلقة الغريزية الحيوانية، وقد أوجس النبي ﷺ خيفة بحدوثها فعن جابر قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلٌ قَوْمِ لُوطٍ»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث نبوءة تحققت في هذا الزمان حيث كثرت ظهور هذه الجريمة في بلاد المسلمين بعد أن فشلت بشكل كبير في الكافرين.

وهذه الدعوة الخبيثة المناقضة للفطرة هي أشد أنواع تغييرات الخلقة؛ لأن الميل إليها لا يصدر ممن استوت خلقته وأخلاقه، بل غالب المقبلين على فعلها منقلبي الفطرة كأسلافهم من قوم لوط الذي عوقبوا بأغلظ العقوبات الدنيوية كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣-٧٤]، كما غلظت عقوباتهم في الشريعة الإسلامية وأغلبها نصت على القتل، سواء كان القتل بالسيف أو القتل حرقا، أو رميا من شاهق، أو رجما بالحجارة، لاختلاف الفقهاء في فهم قوله ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

- ١- أخرجه: الترمذي، الجامع، أبواب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، ٤/ ٥٨، حديث رقم: ١٤٥٧، وقام بتحسينه، حيث قال: «هذا حديث حن غريب»، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط، ٢/ ٨٥٦، حديث رقم: ٢٥٦٣. وأحمد، المسند، ٢٣/ ٣١٧، حديث رقم: ١٥٠٩٣. والحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الحدود، ٤/ ٣٩٧، حديث رقم: ٨٠٥٧، وقام بتصحيحه، فقال: «صحيح الإسناد» وأقره الذهبي، وصححه الألباني، حيث قال: «صحيح». ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٣٢٢.
- ٢- أخرجه: أبو داود، السنن، كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، ٤/ ١٥٨، حديث رقم: ٤٤٦٢. والترمذي، الجامع، أبواب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، ٤/ ٥٧، حديث رقم: ١٤٥٦، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، بابا من عمل عمل قوم لوط، ٢/ ٨٥٦، حديث رقم: ٢٥٦١، وأحمد، المسند، ٤/ ٤٦٤، حديث رقم: ٢٧٣١. وصححه الحاكم في المستدرک، ٤/ ٣٩٥، حديث رقم: ٨٠٤٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٦٢٢.

## المطلب الثاني: تحديات تغيير الحلقة الإنسانية ذات الأبعاد النفسية والتصورية والفكرية

تواجه الحلقة الإنسانية تحديات ذات طابع معنوي متصلة بنفس وعقل الإنسان، لأجل تسهيل القابلية لإحداث التغييرات على الذات رغم مخالفتها للفطرة، وهو ما أبينه في التفريعات الآتية:

### الفرع الأول: تحديات تغيير الحلقة الإنسانية ذات الأبعاد النفسية

لا تتغير الذات الإنسانية إلا إذا كان للنفس استعدادات لرفض فطرة الله التي فطر الناس عليها، والاعتراض بتعديلها من باب طلب الكمال المزيف، ويتأتى ذلك بأهم عاملين لانحراف الفطرة وهما:

#### أولاً: غواية الشيطان بتغيير خلقه الإنسان

تعد الخيرية في الحلقة مبدأ العداوة الأبدية بين بني الإنسان والشيطان، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ ﴾ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿ [ص: ٧٥-٨٦]، وقد جاء ذكر سعي إبليس الحثيث بالغواية والإغراء لتغيير خلقه الإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَضِلُّنَّهُمْ وَلَا تُمَيِّنُهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فليبتكنَّ ءآذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فليغيرنَّ خلقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩]، فبحسب قوة الإغراءات الشيطانية، يضعف الإيمان أو يزول، فيكون الإقبال على التغييرات الخلقية، التي هي من وحي شياطين الإنس والجن لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عَرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وهذا التزيين الشيطاني إنما يكون عبر خطوات لقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا



لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [النور: ٢١]،  
فالتغيير الكلي للخلقة كما هو حاصل اليوم، إنما وقع بسبب التدرج في التغييرات  
الجزئية سواء المنصوص عليها في السنة النبوية، أو المستحدثة بفعل التطور التقني  
والطبي الجراحي.

### ثانيا: أهواء النفس الأمارة بالسوء

كما قد يتخذ هوى النفس الأمارة بالسوء إلها لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ  
إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَاقِبِ وَجْهِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فيأمر الإنسان بأن يدخل على الجسد الذي يكتنز روحه  
تعديلات تتوافق وروحه الشريرة رغبة في الحصول على أحسن صورة، طلبا  
للذة، أو الشهرة، وكل المنهيات السابق ذكرها في الأحاديث النبوية دلت دلالة  
قاطعة أن العامل النفسي يلعب دورا كبيرا في تقبل التغييرات المشينة المدخلة على  
الجسد المكرم.

وأخلص مما سبق أن اتباع غواية الشيطان وهوى النفس الأمارة بالسوء ينتج  
عنهما نتيجتين خطيرتين خاصة على مستوى التغيير الكلي للخلقة، وهما:

### ١- التغيير الكلي للخلقة قدح في التكريم الإلهي للإنسان

مَنْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ بِتَكْرِيمِ خَلْقِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَذَكَرَ كَيْفِيَةَ خَلْقِهِ  
بِالتفصيل دون بقية الخلق لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾  
ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا  
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾  
[المؤمنون: ١٢-١٤]، وهذا التكريم مس جميع أطوار خلقه، وجُرم الاعتداء عليه

في كل طور، ويشتد التجريم، بعد كمال خلقه ونفخ روحه.

وقد جاء في السنة النبوية التأكيد على ما ورد في القرآن الكريم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدَّقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلِكُ فَيَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِّبَ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»<sup>(١)</sup>.

لذا فإدخال أي تغيير على الخلق التي ارتضاها الخالق لهذا المخلوق المُكرم في أي طور من أطوار خلقه يعد قدحا في التكريم الإلهي له مع التفاوت في الإثم والحرمة، وخاصة إذا كان هذا التغيير كلياً؛ حيث يخرج عن خلقته الحسنة إلى أسوأ خلقه؛ لاستحالة أن يُماثل الله تعالى فيما اختص به من التفرد بالخلق.

وجاء في السنة النبوية، النص على حرمة منازعة الله في الخلق الذي هو من لوازم ربوبيته، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلِيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»<sup>(٢)</sup>، وإن كان الحديث يدل على استحالة بدء الخلق من العدم لأي جنس من أجناس المخلوقات صغرت أم كبرت، فإن التغيير الكلي للخلق داخل في دلالة هذا الحديث؛ فمن الظلم تحويل الرجل إلى امرأة، أو المرأة إلى رجل، وإن كان هذا من باب التغيير، وليس من باب التخليق الأولي غير أنه لا تنتفي فيه المنازعة لأحسن الخالقين.

١- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٤/ ١١١، حديث رقم: ٣٢٠٨، مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤/ ٢٠٣٦، حديث رقم: ٢٦٤٣، واللفظ له.

٢- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور، ٧/ ١٦٧، حديث رقم: ٥٩٥٣. كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ٩/ ١٦١، حديث رقم: ٧٥٥٩.

## ٢- التغيير الكلي للخلقة فيه إبطال لعبودية الإنسان لله ﷻ

فتحقيق عبودية الإنسان لله ﷻ يتوافق مع الخصائص الخلقية للمكون الثنائي للبشرية، فالذكر والأنثى يشتركان في وجوب تحقيق الخضوع للخالق المستحق للعبادة وحده، ويفترقان فيما لا يحقق ذلك الخضوع إلا بما يوافق خلقه كل واحد منهما، فالرجل مأمور بالصلاة جماعة لتوافقها مع خلقته وبنائه الجسماني، ومأمور بالصوم وحج الفريضة، فلا عذر له في خلقته لتركهم، في حين أن عبادات المرأة من الصلاة في بيتها، وإفطارها في رمضان بسبب حيضها ونفاسها، وحجها مع المحرم أو الرفقة الآمنة، إنما شرعت لمراعاة خلقتها، وما فيها من ضعف جسدها التي فطرت عليه.

غير أن الخضوع للعمليات الجراحية بغرض تغيير الجنس كلياً فيه من المفاسد العائدة على العبادة بالبطان بما لا يحصيه إلا الله تعالى، خاصة ما تعلق بالطهارة التي تعد مدخلاً لكثير من العبادات التي تفسد بفساد الأعضاء التناسلية بفعل التغييرات الجذرية الداخلية والخارجية المدخلة على المتحول جنسياً، وكذلك توجد إشكالات متعلقة بالميراث، والحجاب، ويمتد ذلك حتى في حالة موته فهل يعامل معاملة الرجال أو النساء.

الفرع الثاني: تحديات تغيير الخلقة الإنسانية ذات الأبعاد التصورية والفكرية

يعد الانحراف في التصورات والأفكار المتعلقة بالذات الإنسانية أكبر التحديات التي تواجه العالم سواء في العالم الغربي ومن يدور في فلكه، أو العالم الإسلامي الذي لم يسلم من داء تغييرها، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: الدعوة والانتصار لمبدأ الحرية المطلقة في الجسد

يعد الانتصار لظاهرة تغيير الخلقة الإنسانية في العالم الغربي بكل الوسائل

المتاحة العلمية، والإعلامية امتداد للنظرة الفلسفية للجسد البشري عند الفلاسفة والمفكرين الغربيين، فقد فاضل «سقراط» و«أفلاطون» بين الروح والجسد، ومالوا إلى ما له طابع الخلود أي الروح، أما الجسد فيلحقه الزوال<sup>(١)</sup>، في حين يرى «أرسطو» أن الروح والجسد وحدة متكاملة لا يمكن فصلهما<sup>(٢)</sup>، وفي الفلسفة الحديثة تغيرت النظرة للجسد وبدأوا في الإعلاء من شأنه ف«ديكارت» يرى أنه مع اختلاف جوهر الروح والجسد، إلا أنه يوجد ارتباط بينهما؛ أي علاقة تأثير وتأثر<sup>(٣)</sup>، أما «سبينوزا» فقد قدم الجسد على النفس، باعتبار الجسد هو القادر على أن يعطينا مفهوما صحيحا للإنسان<sup>(٤)</sup>، وكان الجسد أكثر حضورا في الفلسفة المعاصرة، فأصحابها لا يرون سمو النفس على حسابه خاصة في المذهب الوجودي الذي من رواده «جون بول سارتر» الذي جعل الجسد هو لب المشكلة في الفلسفة الوجودية<sup>(٥)</sup>، كما يعد أول من ربط الجسد بمبدأ الحرية، لفلسفته المبنية عليها<sup>(٦)</sup>.

فهذا المنطلق الفلسفي انتهى بالحضارة الغربية إلى تبني مبدأ الحرية المطلقة غير المنضبطة في التعامل مع الجسد الإنساني، وأن يفعل به صاحبه ما يشاء وفق الرغبات الغريزية أو النفسية أو المجتمعية، ما أدى إلى إخراجها عن طبيعته، والهدف الذي خُلق لأجله بتحقيق العبودية المطلقة لخالقه.

وقد آل بالأفراد والمجتمعات الغربية في الناحية العملية إلى الإفراط في إطلاق العنان لحرية التصرف في الأجساد بلا ضوابط، حتى انتهى بهم الأمر إلى نصرة دعوات المثليين المنحرفين عن فطرتهم سياسيا وقانونيا، وإعلاميا من باب

- ١- خديجة زيتلي، أفلاطون، السياسة، المعرفة، المرأة، ص ١٠٢.
- ٢- ماجد فخري، أرسطو، دار الأهلية، ص ٦٤.
- ٣- رينيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية، في الفلسفة الأولى، ص ٧٧.
- ٤- باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، ص ٨٩.
- ٥- عبد الفتاح الديدي، القضايا المعاصرة في الفلسفة، ص ٢٥٨.
- ٦- أحمد بوزيد، جان بول سارتر، عالم الفكر، ص ٢١.

مبدأ الحرية المطلقة.

ثانياً: التساهل في أحكام تغيير الخلقة بالفتاوى الشاذة

فظهر داء تغيير الخلقة وانتشاره على مستوى البلدان الإسلامية، كان نتيجة التساهل في إصدار فتاوى لا مستند شرعي لها، وقد يكون هذا عن طريق الفهم الخاطئ لأدلة السنة النبوية، وتأويلها بما يوافق تهور أعدائها من المستشرقين والحدائين؛ لأن غالب أدلة حرمة المساس بالخلقة الإنسانية بلا مسوغ وردت فيها، وقد كان الاستدلال لتلك الفتاوى الشاذة بطريقتين:

الطريقة الأولى: رد أدلة السنة النبوية المحرمة لتغيير الخلقة

فمرد التساهل في الفتوى وشذوذها الصادر من غير أهل الشأن من أصحاب العلم والمعرفة والخبرة بالحديث أدى بأعداء السنة النبوية من المستشرقين والحدائين إلى وضع ضوابط قاسية وباطلة لقبول الحديث، مما أدى لرد الأحاديث الصحيحة، ولم تسلم الأحاديث الناهية عن تغيير الخلقة من الرد، رغم ورود أغلبها في البخاري ومسلم كما أوردتها في طيات البحث.

الطريقة الثانية: تأول أدلة تحريم تغيير الخلقة

من أجل تبرير الفتاوى الشاذة الخاصة بتغيير الخلقة، مع التسليم بصحة الأحاديث الواردة في الصحيحين لجأ المخالفون إلى تأويلها بما يوافق هواهم، ومن ذلك ما ذهب إليه الشيخ محمد زكي إبراهيم حيث قام بتقييد مسألة النمص بأن تكون بعلم الزوج وقصد التجميل له، وكذلك دفعاً للمضرة والمرض، أما الوصل فيحرم وتلعن القائمة به في حالة لبسها لغش الخطيب أو الزوج<sup>(١)</sup>، وقد ساق الضوابط التي تميز نمص المرأة لشعر وجهها، فقال: «والمتنمصة هي التي

١ - جمال البناء، العودة إلى القرآن، ص ١٤٢-١٤٥.

يزال ما بها من شعر، والملعونة هنا؛ هي التي تزيل ما لا داعي لإزالته من الشعر، أو تبالغ فيه، أو الشعر الذي لا يكون في وجوده تشويه للمرأة ولا نقص للأثوثة، ... فلا شك أبداً في أن ذلك التمنص يصبح مطلوباً شرعاً، وهو ضرب من النظافة، فوق أنه أصل في التجميل المشروع»<sup>(١)</sup>، وتبنى موقفه وانتصر له جمال البنا فقام بالاستناد لهذه الفتوى برد أحاديث التمنص والوصل تحت مسمى قاعدة حسن فقه السنة في تفسير الحديث ودعا إلى دراسة جميع أبعاد الأحاديث ومقاصدها<sup>(٢)</sup>.

ويظهر أن التأويل الذي ساقه المجيزون لبعض تغييرات الخلقة لا يتوافق مع دلالة الأحاديث، ولا مع مقاصدها الشرعية؛ لأن النهي الوارد فيها جاء على إطلاقه، إلا إذا كان في وجود الشعر، لذا المرأة ليس من خلقتها، وفيه مشابهة بالرجال كاللحية والشارب، كما في شرح النووي لحديث التمنص، قال: «وهذا الفعل حرام إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب، فلا تحرم إزالتها بل يستحب، وأن النهي إنما هو في الحواجب، وما في أطراف الوجه»<sup>(٣)</sup>.

### الفرع الثالث: تأثير البيئات والثقافات المنحرفة

فالإنسان ابن بيئته ولا يمكن أن يعيش بمعزل عن بني جنسه، غير أن وجوده في بيئة منحرفة عقدياً وأخلاقياً يسهم في الانحراف عن فطرته التي فطر عليها لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانَهُ أَوْ يُنَصِّرَانَهُ، أَوْ يمجِّسَانَهُ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةِ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»<sup>(٤)</sup>، ولا تسلم الخلقة الإنسانية من تأثير البيئات الفاسدة ممثلة في الوالدين والصحبة السيئة، وبالتدرج في فعل المنكرات، خاصة في باب التجميل يدخل

١- المرجع نفسه، ص ١٤٢-١٤٥.

٢- جمال البنا، السنة ودورها في الفقه الجديد، ص ٢٤٣. العودة إلى القرآن، ص ١٤٤-١٤٥.

٣- شرح النووي على مسلم، ١٤/١٠٦.

٤- أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٢/٩٥، حديث رقم: ١٣٥٩.

عليها تغييرات ممنوعة شرعا، وغير مستساغة عقلا.

والمجتمعات الغربية بما عليه من الفساد العام والتطور العلمي، جعلت فيها خلقة الإنسان محل تجربة، وقد وصل شرر ذلك إلى البلاد الإسلامية بفعل سهولة التواصل، والتقليد الأعمى.

الأمر الذي أدى إلى الغفلة والإعراض عن الله تعالى بفعل نواهيته، وترك أوامره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا وَهُمْ نَارًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٠٧-٠٨]، حتى ينتهي الأمر بأصحابها إلى انتكاس الفطرة السليمة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

### المبحث الخامس: الحلول الشرعية للوقاية من داء تغيير الخلقة الإنسانية وعلاجه في السنة النبوية

جاء في السنة النبوية حلولا استباقية وقائية مانعة لحصول داء تغيير الخلقة والتلاعب بها، في حين هيأت الدواء بعد حصول ذلك الداء وعلاجه، وهو ما سأبينه من خلال عناصر هذا المبحث:

#### المطلب الأول: الوقاية من داء تغيير الخلقة الإنسانية في السنة النبوية

فمن باب الوقاية خير من العلاج أرست السنة النبوية عدة وسائل للتوقي من داء تغيير الخلقة بلا داعي شرعي، وهو ما سأفصله في الفروع الآتية:

#### الفرع الأول: تثبيت الفطرة الإنسانية

حرصت السنة النبوية على حفظ الخلقة الإنسانية من التغيير الجزئي، أو

الكلي بتثبيت الفطرة ومحاربة كل ما يؤدي إلى انحرافها، وذلك من خلال عدة وسائل جاء النص عليها في قوله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ - أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ - الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ»<sup>(١)</sup>، وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن خصال الفطرة عشرة حيث قالت رضي الله عنها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ»، قَالَ زَكَرِيَّا: قَالَ مُضْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمُضْمَضَةَ»<sup>(٢)</sup>.

فكل تلك الخصال التي يأمر بها المسلم تعبدا لخالقه، تسهم في تثبيت خلقته على الوجه الذي يضمن الجمال والحسن، والرضا والقناعة بما أعطاه الله تعالى ولا يتأتى ذلك إلا بإخلاص الوجدانية له.

### الفرع الثاني: المفهوم الصحيح لحرية التصرف في الجسد

تقوم الذات الإنسانية على ثنائية الروح والجسد، والسعي لتحقيق لذات الروح على حساب الجسد بدعوى الحرية، كان سببا في إدخال التعديلات المحرمة عليه بما يخالف المسؤولية التي تناط بالإنسان تجاه بدنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية من خلال أحكامها جسدت مبدأ الحرية، بدءاً

١ - أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب، ٧ / ١٦٠، حديث رقم: ٥٨٨٩، باب تقليم الأظفار، ٧ / ١٦٠، حديث رقم: ٥٨٩١، كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط، ٨ / ٦٦، حديث رقم: ٦٢٩٧.

٢ - أخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ١ / ٢٢٣، حديث رقم: ٢٦١.

٣ - أخرجه: الترمذي، الجامع، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، ٤ / ٦١٢، حديث رقم: ٢٤١٧. وقال عقبه: «هذا حديث حسن صحيح».



من تحرير الإنسان من عبوديته لغير الله ﷻ، وضبط تصرفاته في نفسه، وما يحيط به من مخلوقات، إلا أن حرية اختياره كانت محل جدل بين الفرق الإسلامية؛ فارتبط مفهوم الحرية في الإسلام مع ظهور المعتزلة<sup>(١)</sup> وهو ينسجم مع مبدأ العدل عندهم، فيعتبرون حرية الإرادة أساس التكليف والمحاسبة عليه، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة: ٧-٨]، أما الخوارج فيرون أنّ الإنسان حر في أفعاله على سبيل الحقيقة؛ لذلك فهو مسؤول عنها، في حين أن الجبرية<sup>(٢)</sup> يرون نفي القدرة عن الإنسان لفعل شيء بإرادته الحرة؛ مما أدى بهم إلى الظلم والجور إباحة المحرمات، وهذا عن طريق توظيفهم للجبر كمبرر لسلوكاتهم، وكقضاء وقدر إلهي، ولا مسؤولية لهم في ذلك، وقد سوغ الجبرية مذهبهم استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وكذلك قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وتطبيقاً لهذه الآراء على خِلقَة الإنسان نجد أن منها ما ينحو منحى حرية التغيير بلا مسؤولية، ومنها من يقيدتها بحسب التكليف، غير أن التوسط هو المفهوم الصحيح للحرية المتعلقة بالجسد بلا إفراط أو تفريط كما هو عند أهل الجدل من الفرق الإسلامية، ويظهر ذلك جلياً في التطبيق العملي، حيث أن الإفراط أو التفريط في مبدأ الحرية يؤدي إلى امتهان الجسد الإنساني، وإخراجه عن أهم وظائفه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦].

١- الشهرستاني، الملل والنحل، ١/٥٢.

٢- المصدر نفسه، ١/٨٧.

## المطلب الثاني: علاج داء تغيير الحلقة الإنسانية بالعقاب الشرعي والتعديل الجراحي

ورد في السنة تعزيرات نبوية للمغيرين لخلقهم وخلقهم، زجرا وعقوبة، يسترشد به القضاة فيما بعده ﷺ، وقد فشا التعدي على الحلقة بما لم يعهده السابقون، في حين أبيض التدخل الجراحي لمن لا يصح حاله إلا به، وهذا على التفصيل الآتي:

### الفرع الأول: العقوبة بالتعزير على التشبه والتخنت والترجل لحفظ الحلقة الإنسانية

أولا: تعزير المتشبه والمتشبهة حفظا للحلقة الإنسانية

إذا لم ينتهي ويرتدع المتشبه والمتشبهة بمجرد النهي مخافة لحوق اللعنة في الآخرة، والمتحققة جزما لصدورها من النبي ﷺ، شرع ﷺ عقوبة دنيوية من باب التعزير الوارد ذكرها في حديث أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِمُخَنَّثٍ قَدْ خَضَّبَ يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ بِالْحَنَاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالَ هَذَا؟» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ، فَأَمَرَ بِهِ فَنُفِيَ إِلَى النَّقِيعِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنِّي نَهَيْتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ»<sup>(١)</sup>.

فيظهر من الحديث أن النبي ﷺ عزر المتشبه بالنساء بنفيه وامتنع عن قتله؛ لأن جرمه لا يرقى لعقابه بالقتل تعزيرا، ما يدل أن فعله قابل للإصلاح بمنعه من مجالسة النساء، واعتياده مخالطة مجالس الرجال في أطراف المدن، وتلحق

١ - أخرجه: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحكم في المخنثين، ٤ / ٢٨٢، حديث رقم: ٤٩٢٨. والدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب العيدين، باب التشديد في ترك الصلاة وكفر من تركها والنهي عن قتل فاعلها، ٢ / ٣٩٩، حديث رقم: ١٧٥٨. والبيهقي: السنن الكبرى، كتاب الحدود، باب ما جاء في نفي المخنثين، ٨ / ٣٩١، حديث رقم: ١٦٩٨٧. والسنن الصغير، كتاب الصلاة، باب من ترك الصلاة المكتوبة متعمدا، ١ / ٢١٧، حديث رقم: ٥٥٩. وصححه السيوطي في السراج المنير، ص ٥١١، فقال: «صحيح». وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١ / ٤٩١.

عقوبة التعزير النساء المتشبهات بالرجال بما يتلاءم وطبيعتهن، فيُستبعد النفي في حقهن خوفا عليهن من الفساد بل يعزرن مثلا: بحسهن في البيوت، فيختلطن بالنساء السويات، فتحفظ خلقتهن الأنثوية وتطغى عليهن، فيستقمن.

وللقضاة الشرعيين تعزير المتشبهين والمتشبهات بأي عقوبة تحقق الإصلاح بحسب درجة التشبه، فتغلظ العقوبة التعزيرية كلما أمعن الشخص في تحقيق المشابهة بغير جنسه الذي خلق عليه، وبحسب عظم تأثيره على غيره من الأسوياء، وخاصة إذا كان ذا شهرة طاغية على الشباب الذين يسهل استمالتهم بدافع الاعجاب والقدوة الفاسدة.

ثانيا: تعزير المتخنث من الرجال والمرجلة من النساء حفظا للخلقة الإنسانية

يعد تخنث الرجل، وترجل المرأة من أشد وأعلى درجات التشبه؛ لأن مفاسدهما تلحق خلقة الإنسان وخلقه، مما قد يسهم في السعي نحو تحقيق الانسجام الجسدي مع الميلان النفسي، فيلحق الفساد العظيم الجسد والنفس معا.

لذا عَزَرَ النبي ﷺ الخنثى الذي له خلقة الرجال وتصرفات النساء بنفيه عن البلاد، لما قد يشكله من فتنة بسبب مخالطته للنساء بلا إنكار، ولما يظهر منه من عدم الرغبة فيهن فعن ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرَّجَالِ، وَالْمُتَرَجَّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: «أَخْرَجُوهُمْ مِنْ بِيُوتِكُمْ» قَالَ: فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَانًا وَأَخْرَجَ عُمَرُ فَلَانًا<sup>(١)</sup>، وتعزيره يحقق المصلحة الشرعية حيث يعزل عن النساء ويخالط الرجال، فتنجلي عنه أخلاق النساء، وَيُخَشَّوْشُنُ كما هو حال الرجال.

والنسوة المترجلات، تلحقهن العقوبة المناسبة لهن فلا ينفون خشية عليهن،

١- البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ١٥٩/٧، حديث رقم: ٥٨٨٦، وكتاب الحدود، باب نفي أهل المعاصي والمخنثين، ١٧١/٨، حديث رقم: ٦٨٣٤.

بل يعزرن بما يناسبهن، بوعظهن بالحسنى، أو حبسهن في البيوت، ومنعهن من مخالطة الرجال، ويغلظ القاضي العقوبة التعزيرية في حقهن بحسب الضرر المتأتي عن ترجلهن، وسدا لذريعة فسادهن.

### الفرع الثاني: حفظ الخلقة الإنسانية بتعديل خلقة الخنثى المشكل جراحيا

يظهر من حديثي أم سلمة<sup>(١)</sup> وعائشة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما أن الخنثى الذي كان على عهد رسول الله ﷺ كان غير مشكل لمعاملته إياه معاملة الرجال، في حين أن الخنثى المشكل كان متأخر الظهور، ولم يرد له ذكرٌ في حديث ولا أثر، بل ناقشه الفقهاء فيما نقل عنهم في كتب الفقه، بدء بتعريفه<sup>(٣)</sup> وانتهاء إلى بيان أحكامه، غير أنهم لم يتعرضوا لإخضاع خلقته للتعديل، بل تعد نازلة من نوازل العصر، أحدثها تطور الطب والجراحة، والتساهل في تعديل خلقة الخنثى المشكل بدون احترام الضوابط الشرعية.

وقد ناقش مجلس المجمع الفقه الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي هذه النازلة «تحويل الذكر إلى أنثى، والعكس»، في قراره السادس من دورته الحادية عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من يوم الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩م، إلى يوم الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩م، وتوصل مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بعد بحث موضوع تحويل الذكر إلى

١- سبق تخريجه، ص ١٧.

٢- سبق تخريجه، ص ١٨.

٣- عرف الكاساني من الخنفية الخنثى المشكل بأنه: «من له آلة الرجال والنساء، والشخص الواحد لا يكون ذكرا وأنثى حقيقة، فيما أن يكون ذكرا، وإما أن يكون أنثى». الكاساني، بدائع الصنائع، ٧/ ٣٢٧. وعرفه ابن عرفة من المالكية بأنه: «من له فرج الذكر والأنثى، إن وجد دليل تخصيصه بأحدهما، فواضح، وإلا فمشكل». ابن عرفة، المختصر الفقهي، ٣/ ٣٤٦. وعرف الشافعي الخنثى بقوله: «الذي له ذكر كالرجال وفرج كالنساء أو لا يكون له ذكر ولا فرج ويكون له ثقب يبول منه». ينظر: الماوردى، الحاوي الكبير، ٨/ ١٦٨. وعرفه ابن قدامة من الحنابلة بقوله: «الخنثى هو: الذي له ذكر وفرج امرأة، أو ثقب في مكان الفرج يخرج منه البول». ينظر: ابن قدامة، المغني، ٦/ ٣٣٦.

أنثى، والعكس، إلى القرار الآتي<sup>(١)</sup>:

أولاً: الذكر الذي كملت أعضائه ذكوره، والأنثى التي كملت أعضائها أنوثتها، لا يحل تحويل أحدهما إلى النوع الآخر، ومحاولة التحويل جريمة يستحق فاعلها العقوبة؛ لأنه تغيير لخلق الله، وقد حرم سبحانه هذا التغيير، بقوله تعالى، مخبراً عن قول الشيطان: ﴿الْأُنثَىٰ وَالْأُنثَىٰ وَلَمْ يَكُن لَّهُنَّ الْآلَةُ الْإِنثَىٰ خَلَقَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١١٩]، فقد جاء في صحيح مسلم، عن ابن مسعود، أنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ»، ثم قال: «أَلَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»، وهو في كتاب الله عز وجل يعني قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ثانياً: أما من اجتمع في أعضائه علامات النساء والرجال، فينظر فيه إلى الغالب من حاله، فإن غلبت عليه الذكورة جاز علاجه طبيياً بما يزيل الاشتباه في ذكوره، ومن غلبت عليه علامات الأنوثة جاز علاجه طبيياً، بما يزيل الاشتباه في أنوثته، سواء أكان العلاج بالجراحة، أم بالهرمونات، لأن هذا مرض، والعلاج يقصد به الشفاء منه، وليس تغييراً لخلق الله ﷻ.

ففي الفقرة الثانية من القرار نص على جواز علاج الخنثى المشكل بحسب الغالب، فتعدل خلقته إلى رجل إذا غلبت عليه علامات الذكورة، وتعديل خلقته إلى أنثى إذا غلبت عليه علامات الأنوثة، ونص على الوسائل العلاجية كالجراحة أو الأدوية الهرمونية، وعده القرار حالة مرضي قابلة للعلاج.

١ - قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، ص ٢٦٢.

## الخاتمة

من خلال ما تم عرضه في البحث، أصل إلى تسجيل النتائج والتوصيات الآتية:

### النتائج:

- تغيير حلقة الإنسان بلا داعي قدح في إنسانيته؛ سواء كان التغيير جزئياً أو كلياً.
- الاعتداء على حلقة الانسان بالتبديل والتغيير من كبائر الذنوب لما فيه من اللعن، والوعيد.
- تغيير حلقة الإنسان وجه من أوجه الصراع الأبدي بين بني الإنسان وعدوه الشيطان؛ لذا فهي محل للتبديل والتحويل ما بقي هذا الصراع الوجودي، الذي كان مبدؤه أحقية الخيرية في الحلقة.
- تغيير حلقة الانسان تحفه عدة شبهات وحجج فلسفية وجدلية، متعلقة بالحرية.
- الحلقة الإنسانية تواجهها تحديات معاصرة على المستوى المادي، والنفسي والفكري.
- تعد السنة النبوية السباقة لوضع حلول وقائية وعلاجية تحد من الاعتداء على الحلقة، بتثبيت الفطرة والعقوبة على مخالفتها: كالعقاب على التشبه، والتخنث، والترجل.
- التطور المذهل في الطب الجراحي أسهم في تجسيد كل ما يصبوا إليه المعتدون على الحلقة الإنسانية.

## التوصيات:

- أوصي نفسي والمسلمين والمسلمات بتقوى الله في خلقتهم، وعدم التعرض لها بالتغيير إلا وفق الضوابط الشرعية.
- أوصي بتحسين وتجميل الخلق بما جمل وحسن به النبي ﷺ خلقته.
- أوصي بوضع قوانين موافقة للشرع ضابطة للتعديلات التي يباح فيها المساس بالخلق لدواعي طبية ونفسية.
- أوصي بالعمل على إشاعة فقه التعامل مع الخلق الإنسانية بين المسلمين، ورد الشبهات التي تساق حولها.
- أوصي بإعمال الرقابة التجارية على المنتوجات الوافدة من البلدان الغربية، المتعلقة بالتجميل، لثبوت ضررها على خلقة النساء.
- أوصي لمواجهة التحديات التي تواجه الخلق إعداد دراسات أكاديمية جامعة بين الجانب الشرعي، والفلسفي، أو الشرعي والطبي، أو الشرعي والقانوني.
- أوصي بعدم التسرع في إخضاع الخنثى المشكل لعملية تعديل الخلق إلا بعد تبين جنسه بعد البلوغ.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

## قائمة المصادر والمراجع

- أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، رسالة دكتوراه، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية.
- أرسطو، ماجد فخري، بيروت، دار الأهلية، ط ١، ١٩٨٨ م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، ط ٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- أفلاطون السياسة المعرفة المرأة، خديجة زيتلي، الرباط، دار الأمان، ط ١، ٢٠١١ م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لأبي الحفص عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، رينيه ديكارت.
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي وابن السبكي والزبيدي، استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، الرياض، دار العاصمة للنشر، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي جمال الدين بن الجوزي، تحقيق: طارق فتحي السيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- تغيير الخلق وأحكام التصرف بالبدن دراسة نقدية في أقوال المفسرين والفقهاء، لعبد الرحمن حللي، بحث منشور في journal of Islamic ethics. online publication. .Date 27 / 12 / 2019



- تغيير خلق الله ضوابطه وتطبيقاته، لصالح بن محمد الفوزان، ورقة علمية مقدمة إلى حلقة نقاش ضوابط وقواعد في اللباس والزينة والتجمل، من تنظيم الأمانة العامة بموقع الفقه الإسلامي يوم: الأربعاء ٢٨ شعبان ١٤٣٠هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، القاهرة، دار الفكر العربي.
- التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، بيروت، دار الجيل الجديد، ط ١٠، ١٤١٣هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- جان بول سارتر، أحمد بوزيد، الكويت، دار الإعلام، ١٩٧١ م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ.
- جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي، تحقيق: نوري حسن حامد المسلاتي.
- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، علي بن محمد الماوردي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م.
- خلاصة البدر المنير، لأبي حفص عمر بن علي ابن الملقن، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، محمد ناصر الدين الألباني، رتبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، دار الصديق، ط ٣، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١.

- السنة ودورها في الفقه الجديد، جمال البناء، القاهرة، دار الفكر الإسلامي.
- سنن الترمذي (الجامع)، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- السنن الصغرى (المجتبى من السنن)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- السنن الصغرى للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، باكستان، جامعة الدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، لأبي الحسن علي بن خلف بن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- صحيح ابن حبان بترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني.
- ضعيف الترغيب والترهيب، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- علم الأخلاق، باروخ سبينوزا، ترجمة: جلال الدين سعيد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.

- العودة إلى القرآن، جمال البنا.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تخريج وتصحيح: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩.
- القضايا المعاصرة في الفلسفة، عبد الفتاح الديدي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧ م.
- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- مختار الصحاح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- المختصر الفقهي لابن عرفه، لمحمد بن محمد ابن عرفه، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٩٨٨م بدأت - وانتهت ٢٠٠٩م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، دار الحديث.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية.
- معجم الرائد، لجران مسعود، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٩٢ م.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط ٢.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، د. ط.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- المغني، موفق الدين ابن قدامة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، د. ت، د. ب، مؤسسة الحلبي، د. ط.
- من أحكام النّص في الفقه الإسلامي، أحمد بن محمد الخليلي، ط ١، ١٤٢٨.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن سرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- نوازل في عمليات تجميل الوجه، لنجلاء بنت صالح بن حميد، بحث منشور في مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٨٧ ربيع الثاني ١٤٤٣ هـ - ديسمبر ٢٠٢١ م.
- موقع : <https://ar.wikipedia.org/wiki>

### قرارات المجامع الفقهية

- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، الإصدار الرابع ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.
- قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، الدورات: من الأولى إلى السابعة عشر، القرارات: من الأول إلى الثاني بعد المائة، (١٣٩٨-١٤٢٤هـ / ١٩٧٧-٢٠٠٤م).

إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية  
وتطبيقاتها في مجال العلاقات الدولية:  
النزاعات المسلحة نموذجاً

أ. د. سيد حسن عبد الله حسن  
أستاذ القانون العام (السياسة الشرعية)  
بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.08>





## Abstract

The humanity of man in international armed conflicts through the prophetic approach is an integrated law of rational values and virtuous morals, formulated by the Prophet's Sunnah in a way that is rarely repeated in man-made systems, based on the fact that man is honored by God Almighty, even if he is an enemy, and humane treatment accompanies him to the fullest. And the most beautiful picture, so that his body, money and display are preserved from all vulgarity, in accordance with the guidance of the Prophet of Mercy - may God's prayers and peace be upon him - whom his Lord Almighty singled out for noble morals, so his morals in peace and war were an example of mercy and tolerance, so that the human world would live in security, safety, tranquility and peace.

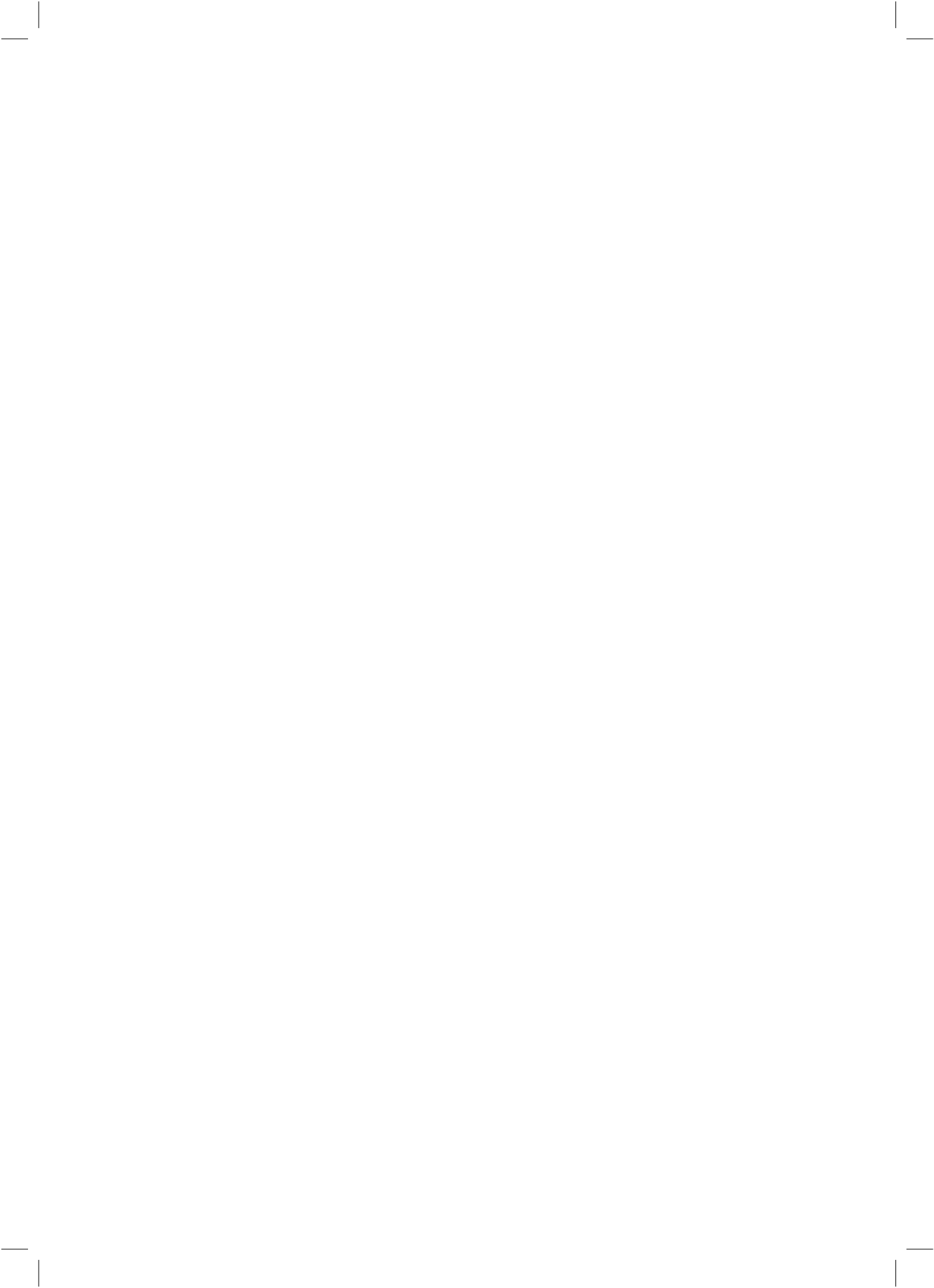
**Keywords:** Prophetic Sunnah, humanity, human, relations, international, conflicts.

## ملخص البحث

إنسانية الإنسان في النزاعات المسلحة الدولية من خلال المنهج النبوي قانون متكامل من القيم الراشدة والأخلاق الفاضلة، صاغتها السنة النبوية بصورة يندر أن تتكرر في النظم الوضعية، بناءً على أن الإنسان مكرم من الله تعالى، حتى وإن كان عدواً، فإن المعاملة الإنسانية تصحبه على أكمل وجه وأجمل صورة، فيصان بدنه وماله وعرضه من كل ابتذال، عملاً بهدي نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم - الذي اختصه ربه تعالى بمكارم الأخلاق، فكانت أخلاقه في السلم والحرب مضرب المثل في الرحمة والتسامح؛ ليحيا العالم الإنساني في أمن وأمان وطمأنينة وسلام.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، الإنسانية، الإنسان، العلاقات، الدولية، النزاعات.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العالمين، القائل في كتابه الحكيم المبين، في وصف رسالة خاتم النبيين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وصلاة وسلاما على رسول الإنسانية، رسول الرحمة والمودة والسماحة والسلام، القائل في وصف نفسه -: «أَنَا رَحْمَةٌ مُّهِدَاةٌ»<sup>(١)</sup> فكان رحمة للخلق، وهديّة من الله تعالى إليهم، صاحب روح كبيرة وسعت آلام الإنسانية وآمالها، وبعد:

فإن «إنسانية الإنسان» في أعظم صورها المثالية، نبتت تحت ظلال الشريعة الإسلامية، واستقت قيمها من معين السنة النبوية، التي جاء بها خير البشرية، رحمة للعالمين، وخلصاً من عبية الجاهلية، قائلًا: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِيَدَعَنَّ رِجَالَ فَخْرِهِمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا»<sup>(٢)</sup>.

ومن المتفق عليه أن الإنسانية قد بلغت في شخص النبي - ﷺ - مبلغاً عجبياً في الكمال والسعة، حيث شملت تلك الصفة كل الناس؛ الضعيف منهم والقوي، السيد منهم والعبد، القريب منهم والبعيد، الصاحب منهم والعدو، وفي كل

١- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، ١ / ٩١، رقم: ١٠٠؛ وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، وقال الذهبي في التلخيص: هذا حديث صحيح على شرطهما؛ ورواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في اسمائه - ﷺ -، ٢ / ١٤٤، رقم: ١٤٠٤، قال البيهقي: «حديث مرسل».

٢- أخرجه أبو داود في سننه، عن أبي هريرة - ﷺ -، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، ٤ / ٤٩٢ (رقم: ٥١١٨). واللفظ له؛ ورواه الترمذي، كتاب المناقب، ٥ / ٧٣٤، رقم: ٣٩٥٥، وقال: «هذا حديث حسن». قال الخطابي: العبّية: الكبر والنخوة، وأصله من العبّ وهو الثقل، وقوله: «مؤمن تقي وفاجر شقي». معناه: أن الناس رجالان مؤمن تقي وهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسباً في قومه، وفاجر شقي، فهو الدنيء وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً. والجعلان: جمع جعل: ضرب من الخنافس، تدير الأوساخ بأنفها». معالم السنن، ٤ / ١٤٨.

الأحوال، السلم والحرب، الشدة والرخاء، العسر واليسر، وفي النصر والهزيمة. والحرب أبغض الأشياء إلى النفس المؤمنة، لأن قوامها قتل النفس البشرية، والمؤمن لا تسوغ له نفسه أن يهدم ما بناه الله تعالى، وهذا ما سطره القرآن الكريم أنه أمر مبغض للمؤمنين لا يحبونه ولا يرتضونه لذاته، ولكن قد يقبلونه إذا أمر الله تعالى به وكتبه عليهم؛ لأنه خير لهم، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، والحرب في الإسلام ليست اتلافاً وفساداً وتحلاً من كل القيود الإنسانية، بل استوجبتها الضرورة لدفع قوى الشر والفساد. وأكثر من هذا فقد جعل الإسلام الحرب محصورة في الذين يقاتلون في الميدان أو يرسمون ويدبرون الخطط، دون العمال الزراعيين أو اليدويين، وأمثالهم، فهم بناء العمران، والحروب الإسلامية ليست لإزالة العمران أو تقويض دعائمه<sup>(١)</sup>؛ بناءً على أنه إذا كان السعي في العمارة محموداً، فإن السعي في التخريب مذموم، والإنسان مستخلف لعمارة الأرض لا لتخريبها أو تدميرها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]<sup>(٢)</sup>.

ويجد الناظر في السيرة النبوية أن احترام الكرامة الإنسانية في النزاعات المسلحة هو العنوان الأمثل لهذه المرحلة، ففيها نهى النبي -ﷺ- عن المثلة، وتشويه أجسام القتلى، ويوجب دفنهم ولا يتركهم نهباً لو حوش الأرض، ووحوش الطير، ونهى أن يتجه القاتل إلى ضرب الوجه ليشوه جسمه إلا إذا لم يكن من ذلك يد، وعن تعذيب الجريح في المعركة، أو قتله إذا عجز عن المقاومة، بل يبقى ويداوى حتى يؤسر، وكل ذلك إعمالاً لمبدأ الإنسانية.

١- الشيخ محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص: ١٠٥.

٢- محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، ٤٣/١.

لقد غرس النبي ﷺ -- في أصحابه -- وهم في الحرب -- أرق شمائل الإنسانية الرحيمة في السلم، فكان في حربه أوسع صدراً، وأكثر رحمة، وأبر بالأسرى والضعفاء، رحيماً بكل شيء، ساعياً بين الناس بخلق الإيمان والإصلاح، لا بفوضى الدم والخراب والفساد، وصفه ربه - ﷻ - بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم: ٤]، وعن سعد بن هشام بن عامر، قال: «أُنْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -» قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ - ﷻ -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم: ٤]»<sup>(١)</sup>، يعني أنه كان يتأدب بأدابه ويتخلق بأخلاقه، وكما جسدت أخلاق محمد آيات الوحي، يظل الوحي مُعبراً عن أبعاد إنسانية محمد - ﷺ - في بشريته ونبوته، وموثقاً لسيرته كلها<sup>(٢)</sup>، التي جمعها في قوله: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمْ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٣)</sup>، وجمع ابن عمر - رضي الله عنهما - خيرته وخيرته أمة - ﷺ - في جملتين: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا»، «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٤)</sup>.

وقد كانت هذه الأخلاق مصدر فخر كثير من غير المسلمين، حملتهم إنسانية النبي محمد - ﷺ - ورجاله على قرع أبواب الإسلام طواعية واختياراً، لاعنوة ولا قهراً؛ إيماناً منهم بأنه نبي الرحمة، وأنه المبعوث رحمة للعالمين حقاً وصدقاً.

١ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٣/١٥، رقم: ٢٥٢٤٠؛ والبيهقي في شعب الإيمان، ١٥٤/٢، رقم: ١٤٢٨، والطبراني في الأوسط، ٣٠/١، رقم: ٧٢. تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢ - ينظر: د/ حسين صبري، إنسانية محمد - ﷺ -، ص: ٣٣.

٣ - أخرجه الحاكم في المستدرک، ٦٧٠/٢، رقم: ٤٢٢١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط مسلم" والطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم: ٦٨٧٥. وفي رواية: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد، ١٨٨/٨، رقم: ١٣٦٨٣.

٤ - أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته - ﷺ -، ٤/١٨١٠، رقم: ٢٣٣١.

## أهمية الدراسة:

١- تُظهر هذه الدراسة - من خلال طرح الندوة - أهمية التجديد والابتكار في أدوات توظيف السنة النبوية في تمكين العالم أن يحيا آمناً مطمئناً بمعزل عن النزاعات المسلحة وما يصحبها من تخريب وتدمير.

٢- تُظهر هذه الدراسة أهمية دراسة أحكام القانون الدولي الإنساني في الإسلام في ضوء السنة النبوية المطهرة؛ لما لها من دور بارز في التأثير على سلوك أطراف النزاع، فقد تكون مراعاة مبادئ الإنسانية طريقتاً لإنهاء النزاع، وتقليل درجات الدمار، مما يخفف من الآلام الضحايا.

٣- تُظهر هذه الدراسة - من خلال إنسانية النبي - ﷺ - أن الفضيلة في الحرب مبدأً أساسياً، وأن مبدأ المعاملة بالمثل مقيد بالفضيلة واحترام الإنسانية، فإذا تعارض مع الفضيلة، أهمل وأُتبع الفضيلة؛ لأنها المبدأ الثابت المقرر الذي لا يقبل التخلف كيفما كانت الحال.

## الدراسات السابقة:

مبدأ الإنسانية في نطاق العلاقات الدولية من منظور السنة النبوية لا يذكر على وجه مخصوص في الدراسات البحثية، بل تُذكر الوقائع والشواهد كدليل، دون تخصيصها بدراسة دقيقة في مجال مخصوص.

ومن هذه الدراسات الدارسة القيمة للدكتور / حسين صبري، «إنسانية محمد»، إصدار: جامعة زايد، دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد تضمنت أجمل وأفضل ما قيل في وصف وشرح إنسانية النبي محمد - ﷺ - بأسلوب بديع<sup>(١)</sup>، يغلب عليه الطابع الأدبي، قسمه إلى قسمين، القسم الأول: إنسانية محمد

١- إصدار: جامعة زايد، دولة الإمارات العربية المتحدة، إصدار دار: كتبنا. ٢٠٢٠ م

بين «الاتساق والتمايز»، والقسم الثاني: إنسانية محمد بين الموضوعية والذاتية. وقد كانت هذه الدراسة نواة لكثير من القضايا التي تناولتها في هذا البحث، مع مراعاة أن تكون دراستي على هذا النحو الذي طرحته ندوة الحديث في ثوبها الجديد، فهو خير سفير عن السنة النبوية وحاجة الواقع المعاصر إلى أحكامها؛ لتسود روح المحبة والوئام والتسامح والسلام بين أبناء الإنسانية جمعاء، وكما أحسنت دولة الإمارات العربية المتحدة أن تجعل من منظومة العيش فيها قانوناً للتسامح، فقد أحسنت جامعة الوصل بجعل موضوع ندوة الحديث هذا العام تحت شعار: «إنسانية الإنسان: قيم كونية وضوابط شرعية» وقد وجدت في هذا العنوان: «إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية وتطبيقاتها في مجال العلاقات الدولية: النزاعات المسلحة نموذجاً» مسوغاً أن تكون مشاركتي في هذا الموضوع بهذا البحث؛ لعلها تشكل إضافة جديدة للمكتبة الحديثية في ثوبها النقي النابض بروح الابتكار والتجديد، مع خالص الشكر والتقدير للقائمين على أمرها.

### حدود هذا البحث:

تدور مسألة البحث حول إنسانية الإنسان في السنة النبوية في إطار ما يجب أن تكون عليه العلاقة الدولية، وخاصة في النزاعات المسلحة التي يئن العالم من شررها؛ لينعم الجميع بقوانين العيش في سلام وإخاء ومودة وئام، وتحقن الدماء، وتصان مقدرات البناء والتنمية، سيراً على هدي سيد الأنام، الذي رغب أصحابه في كراهية لقاء العدو، «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا لِلَّهِ الْعَافِيَةَ»<sup>(١)</sup>، وهي دعوة كانت - ولا زالت - تأخذ بها الاتفاقيات والقوانين الدولية بهدف إيقاظ الضمائر وتنبئها بأن الاحتكام إلى مبادئ الإسلام السمحة فيه الخلاص والنجاة،

١ - أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: كان النبي - ﷺ - إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، ٤ / ٥١ رقم: ٢٩٦٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، ٣ / ١٣٦٢، رقم: ١٧٤١.

وأن التلاحم والتآخي تحت مظلة تعاليم الأديان السماوية يُجنب العالم جميعاً آفة القتال والتخريب والتدمير، ليحيا الجميع في رغد من البناء والتعمير.

### خطة البحث:

قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، تناولت في التمهيد التعريف بالقانون الدولي الإنساني، بما يتفق وطبيعة الموضوع محل البحث، بصورة مختصرة مراعاة لطبيعة البحث. وجعلت المبحث الأول في عمومية مبدأ إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية مقارنة بما عليه العمل في القانون الدولي الإنساني، وجعلت المبحث الثاني في تناول نماذج من صور حماية المدنيين وغير المقاتلين في ضوء السنة النبوية، وجعلت المبحث الثالث في وجوب حماية جثث الأعداء من التمثيل وغيره في ضوء أحكام السنة النبوية، وتناولت في المبحث الرابع المعاملة الإنسانية للأسير في ضوء السنة النبوية، وفي المبحث الخامس تناولت صور حماية الأعيان في ضوء السنة النبوية، وذلك كله إعمالاً لمبدأ الإنسانية، وختمت بحثي بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

### مدخل تمهيدي في

التعريف بالقانون الدولي الإنساني بما يتفق وطبيعة الموضوع محل البحث.

عرفت اللجنة الدولية للصليب الأحمر القانون الدولي الإنساني بأنه: مجموعة القواعد الاتفاقية أو العرفية المنشأ التي تستهدف على وجه التحديد تسوية المشكلات الإنسانية المترتبة مباشرة على النزعات المسلحة الدولية أو غير الدولية، والتي تفيد لأسباب إنسانية حق أطراف النزاع في استخدام سبل ووسائل الحرب محل اختيارها والتي تحمي الممتلكات والأشخاص المتضررين أو المحتمل تضررهم من النزاع<sup>(١)</sup>.

١ - د/ عمر سعد الله، القانون الدولي الإنساني، وثائق وآراء، ص: ٦.

وينظم القانون الدولي الإنساني العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية وغيرها من رعايا القانون الدولي العام، ويتكون من قواعد تسعى في أوقات النزاع المسلح أو لأسباب إنسانية إلى حماية الأشخاص الذين لا يشاركون أو الذين كفوا عن المشاركة في الأعمال العدائية، ولتقييد وسائل وأساليب الحرب<sup>(١)</sup>.  
أهم قواعد ومبادئ الإنسانية في النزعات المسلحة المقررة وفق قواعد القانون الدولي الإنساني:

١- يجب على أطراف النزاع في كل الأوقات التمييز بين المدنيين والمقاتلين بغية تجنب إلحاق الأضرار بالسكان المدنيين والممتلكات المدنية. ولا يجوز مهاجمة السكان المدنيين في مجموعهم ولا المدنيين كأفراد. ويمكن شن الهجمات فحسب ضد الأهداف العسكرية، وليس لدى الأطراف في أي نزاع حق غير مقيد في اختيار أساليب وسائل الحرب. ويُحظر استخدام أسلحة أو أساليب حرب عشوائية الأثر، مثل استخدام تلك الأسلحة وتلك الأساليب التي يحتمل أن تسبب أضراراً زائدة أو ألاماً لا لزوم لها.

٢- يحظر جرح أو قتل عدو بعد استلامه أو من كف عن المشاركة في القتال. ومن ثم يحق للأشخاص الذين لا يشتركون أو الذين كفوا عن المشاركة في الأعمال العدائية أن ينالوا احترام حياتهم وسلامتهم البدنية والعقلية، ويجب حماية مثل هؤلاء في جميع الأحوال وأن يعاملوا معاملة إنسانية دون أي تمييز لا يخدم الغرض.

٣- يجب البحث عن الجرحى والمرضى وأن يتم جمعهم والاعتناء بهم في أقرب وقت تسمح به الظروف، وتوفير الأفراد العاملين في الخدمات الطبية والمرافق الطبية ووسائل النقل والمعدات. ويعتبر شكل الصليب الأحمر أو الهلال

١- القانون الدولي الإنساني، اللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRIC) ديسمبر، ٢٠١٤م، ص: ٤.



الأحمر أو البلورة الحمراء مرسوماً على خلفية بيضاء هو العلامة المميزة الدالة على ضرورة احترام هؤلاء الأشخاص والأعيان.

٤- يحق للمقاتلين والمدنيين الأسرى الذين يجدون أنفسهم تحت سلطة طرف معاد احترام حياتهم وكرامتهم وحقوقهم الشخصية ومعتقداتهم السياسية والدينية وغيرها. ويجب توفير الحماية لهم من جميع أعمال العنف أو الانتقام ويحق لهم تبادل الأخبار مع عائلاتهم وتلقي المساعدات. ويجب احترام الضمانات القضائية الأساسية لهم في أية إجراءات جنائية ضدهم<sup>(١)</sup>..

٥- يحظر عدد من وسائل الحرب على وجه التحديد بموجب القانون الدولي الإنساني للمعاهدات والقانون الدولي الإنساني العرفي، ومن أمثلة ذلك:

- السلب: يحظر السلب - أي الاستيلاء بقوة من رعايا العدو على الممتلكات الخاصة من جانب الجيش المغير أو الغازي.
- التجويع: يحظر تجويع السكان المدنيين كأسلوب للحرب. كما يحظر شن الهجوم أو التدمير أو الإزالة أو إتلاف أشياء ضرورية لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين
- الغدر: يحظر قتل العدو أو إصابته بجروح أو أسره بالجوء إلى الغدر. كما يحظر التظاهر بالإصابة أو بجروح أو المرض بغية مهاجمة المحارب من العدو. وتعتبر غير محظورة عمليات خداع الحرب، أي الأفعال المقصود بها إرباك العدو والتي لا تنتهك القانون الدولي. وذلك مثل استخدام التمويه والشراك الخداعية وعمليات التضليل وترويح المعلومات الخاطئة<sup>(٢)</sup>.

١- القانون الدولي الإنساني، المرجع السابق نفسه، ص: ٦، ٥.

٢- القانون الدولي الإنساني، المرجع السابق نفسه، ص: ٥٤.

ولا خلاف في أن مبدأ الإنسانية في نطاق العلاقات الدولية في ضوء السنة النبوية هو مفتاح الحماية للمدنيين في النزعات المسلحة، وهو الأمر الذي حمل رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر (السيد / لوكا بيتر يديس - رئيس بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في النيجر) أن يعلن في (٢٥ / نوفمبر ٢٠١٥ م) إلى القول: «في الوقت الذي تضاعف فيه عدد الأزمات الإنسانية المرتبطة بالنزعات المسلحة والعنف، علينا أن نوسع دائرة الحوار والفانون الدولي الإنساني ليشمل القواعد الأخرى مثل الشرع والفقهاء الإسلامي لكي نوفر للضحايا حماية أوسع نطاقاً وأكثر فاعلية قدر الإمكان»<sup>(١)</sup>.

يقول البارون ميشيل دي توب - أستاذ القانون الدولي بلاهاي: «إن إعلان الحرب مبدأ إسلامي، وإنه الرحمة بالمحاربين، وتجنب غير المحاربين ويلات الحرب من النساء، والزراع، والشيوخ والأطفال، وعدم تخريب أملاك العدو، كل هذه قواعد إسلامية أثرت في القانون الدولي»<sup>(٢)</sup>.

إن الناظر في الشريعة الإسلامية الغراء، يجد أن الإسلام قد نظم أصول العلاقات الدولية، ووضع ضوابط معينة للحرب فجعل الحرب المشروعة هي الحرب الدفاعية وحرمة المباغته والمفاجئة، ونظم المعاهدات والمهادنات، فعرف معاهدات الصداقة والتبادل التجاري، ومعاهدات الصلح وعقد الذمة ووثائق الأمان، وأقام العلاقات الدبلوماسية على أساس الاحترام المتبادل بين الدول.

١ - انظر: د / أحمد الداودي، القانون الدولي الإنساني الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص: ٢١٢.

٢ - انظر: د / أحمد وفيق، علم الدولة د. / أحمد وفيق، ط القاهرة ١٩٣٧ م، ج ٩ / ٣٤٦ وما بعدها.

## المبحث الأول

عمومية مبدأ «إنسانية الإنسان» في ضوء السنة النبوية والقانون الدولي الإنساني اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق البشر جميعاً من لدن آدم (ﷺ) إلى أن يرث الأرض ومن عليها من ذكر وأنثى، ثم يتكاثرون، فينتج عن هذا التكاثر الكثير من صور الشعوب والقبائل، يتعارفون فيما بينهم بكل طريق يصنع التلاحم وتبادل المنافع، ومن ثم عمارة الأرض بأكملها، قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣]، فقد قرر أن الناس جميعاً أمة واحدة، وأن الاختلاف عارض ومنشؤه اختلاف الأهواء، وأن الله (ﷻ) أرسل الرسل بالهداية ليحكموا بأمر الله تعالى في هذا الاختلاف، وليبينوا لهم طريق الهداية فيسلكه من تغلب على هواه، ويضل الآخر ويشقى.

والإنسانية صفة مشتركة بين من خلقهم الله تعالى من عهد نبي الله آدم (ﷺ) ونسله، وقد عمهم الخطاب في القرآن الكريم، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء... وقوله (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) يقول: وجعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضاً نسباً بعيداً، وبعضكم يناسب بعضاً نسباً قريباً...»<sup>(١)</sup>.

١ - تفسير الطبري، ٢٢ / ٣١٠.

وتعدد اللغات الأشكال والألوان في خلق الإنسان مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى؛ لأن الحياة لا تكتمل إلا باجتماع الأضداد على ما ينفع، وخاصة أن الجنس واحد، فإن كل واحد خلق كما خلق الآخر من أب وأم، والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنسين، فإن من سنن التفاوت أن لا يكون تقدير التفاوت بين الذباب والذئب، وإنما التفاوت بين الخير والشر، والنفع والضرر.

ولا سبيل إلى هذا التلاحم الإنساني والتشكيبك المجتمعي إلا بالتقوى من جانب، والتعاون الإنساني من جانب آخر، فمن شأن هذا التعارف أن يجعل كل فريق ينتفع بما عند الفريق الآخر، وتكون خيرات الأرض كلها لابن هذه الأرض، وهو الإنسان، فلا يختص فريق بخير إقليمه ويحرم منه غيره، بل وفق قوانين العدل والمساواة.

أما التقوى في الإسلام: فلقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]، ومعيار التقوى هو المعيار اللائق بإنسانيته؛ لأن التفاوت والتفاضل إنما يكون في دائرة الممكن للإنسان، فليس في مقدور كل إنسان أن ينتسب إلى قبيلة بعينها أو إلى عرق مخصوص، أما معيار التقوى ففيه العدالة والحرية للإنسان الذي يستطيع أن يصل إلى أعلى درجاتها؛ لأنها في دائرة القدرة والاستطاعة.

وأما التعاون الإنساني: فلأن الإنسان اجتماعي بطبعه، لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن الآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

قال الحسن: مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير، ولذلك خلقهم يعني للاختلاف بالغنى والفقير<sup>(١)</sup>، يقول الماوردي: «واعلم أن الدنيا لم تكن

قط لجميع أهلها مسعدة، ولا عن كافة ذويها معرضة؛ لأن إعراضها عن جميعهم عطب وإسعادها لكافتهم فساد لا تتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون. فإذا تساوى جميعهم لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً، وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا، فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزاً. وإذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة؛ لأن ذا الحاجة ووصول، والمحتاج إليه موصول»<sup>(١)</sup>.

والعمل من أجل نفع الإنسانية مراد شرعاً، قال تعالى: ﴿هُوَ أَشْأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] والمعنى أي: «جعلكم عمارها، قالوا: كان ملوك فارس قد أكثروا في حفر الأنهار وغرس الأشجار، لا جرم حصلت لهم الأعمار الطويلة فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه، ما سبب تلك الأعمار؟ فأوحى الله تعالى إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي...»<sup>(٢)</sup>.

وفي السنة النبوية العمل على نفع الإنسانية جزء من عقيدة المؤمن، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) -: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بِهِيْمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>، فلفظ «الإنسان» عام في النفع يعم المسلم وغيره.

وفي حالة التفاوت، فإن ثمرة هذا التفاوت محمودة، وفي صالح بني الإنسانية، وخاصة المسلم الذي يجب عليه إعادة الحساب، ومراجعة النفس، والأخذ بأسباب القوة والمنع، سواء في بناء الإنسان الفرد أو بناء المجتمع.

١- المرجع السابق، نفسه، ص: ١٣٢.

٢- تفسير الرازي، ١٨ / ٣٦٧.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع، أو مجاوزة الحد الذي أمر به، ٣ / ١٠٣، رقم: ٢٣٢٠، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ٣ / ١١٨٨، رقم ١٥٥٣.

## الاختلاف في الدين ليس سبباً موجباً للقتال في الإسلام:

لم يشأ الإسلام أن يجعل الاختلاف في الدين سبباً موجباً للقتال، فقد قام الدليل على أن أصل العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم، وليس الحرب، فالجهاد مشروع لحماية الدعوة الإسلامية ودفع العدوان على المسلمين، فمن لم يُجب الدعوة ولم يقاومها ولم يبدأ المسلمين باعتداء لا يحل قتاله ولا تبديل أمنه خوفاً، وهنا تحضرني مقولة عزيزة للشيخ عبد الوهاب خلاف - رحمه الله - يقول: «فعلى من يدعي من الملوك والأمراء أنه يحارب للدين أن يحمي الدعوة الإسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه، ويقرن ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان ومن عرف حال الدعاة إلى الدين عند الأمم الحية وطرق الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب على المسلمين في ذلك وما ينبغي في هذا العصر»<sup>(١)</sup>.

وهذا التوجيه بليغ في دلالته؛ فإن حماية الدعوة الإسلامية إنما يكون في المقام الأول بتسليح الدعاة بسلاح العلم والحجة لا بسلاح القهر والغلبة.

وفي السنن عن رباح بن ربيع (رضي الله عنه) قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي غَزَاةٍ، فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ وَالنَّاسُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ، أَدْرِكُ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ: لَا تَقْتُلْ ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا»<sup>(٢)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): «وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قُوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والمقعد ونحوهم فلا يقتل

١ - انظر: الشيخ عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية، ص: ٩٠.

٢ - أخرجه أبو داود في سننه من كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ٣/٥٣، رقم: ٢٦٦؛ والترمذي في سننه من كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء، ٣/١٣٦، رقم: ١٥٧٣. وقال: حديث حسن صحيح.

عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله...؛ لأن القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا إظهار دين الله، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٠) [البقرة: ١٩٠].

يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: «إنه تعالى لما بين دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للمعذرة، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل عذر للكافر في الإقامة على كفره إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ أن في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١١) [يونس: ٩٩]، ويؤكد هذا التأويل قوله سبحانه بعد نفي الإكراه في الدين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] يعني وهو أعلم قد ظهرت الدلائل ووضحت البيّنات ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف والابتلاء»<sup>(١)</sup>. هذا من جانب.

ومن جانب آخر: فإن الآلام في معترك الدعوة إلى الله تعالى وإن عظمت تبقى قوانين الصفح هي الحاكمة للمشهد، فما كان لها ان تتشفى من الخصوم وتقتل الأخضر واليابس، بل تصفح وتعفو، كما حدث في يوم فتح مكة، ففي سيرة ابن هشام: «ولما نزل رسول الله (ﷺ) مكة واطمأن الناس قام على باب الكعبة فقال: «يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) [الحجرات: ١٣]،

١- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٧/١٥-١٦.

ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(١)</sup>.

والحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية لا الهجومية، وإن وقعت كانت الإنسانية من أظهر سماتها، فلا غدر ولا خيانة، فإذا ما كان هناك عهد بين المسلمين وبين غيرهم ونقضه الأعداء، أو هموا بنقضه بأن بدت منهم خيانة، أو غدروا بالمسلمين فلا يجوز إعلان الحرب عليهم إلا بعد أن ينبذوا<sup>(٢)</sup> إليهم عهدهم على سواء، بأن يبلغ نبأ هذا النبذ إلى جميع الأعداء الذين نقضوا العهد، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقد قيل: إن مجرد خوف الخيانة دون التحقق من وقوعها من جانب العدو كان لنبذ العهد<sup>(٣)</sup>، وهذا القول غير صحيح ودليله ما رواه أبو داود والترمذي: عن سليم بن عامر - رجل من حمير - قال: «قَالَ: كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَفَاءٌ لَا غَدْرٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عَقْدَهُ وَلَا يَحْلِلُهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْدَهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ. قَالَ: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ بِالْجِيُوشِ»<sup>(٤)</sup>.

١- عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام، ٢/ ٤١٢، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، ٩/ ١١٨؛ ورواه ابن إسحاق معضلاً كما في (ابن هشام): ٢/ ٢٧٤؛ وقد ذكره الغزالي في (الإحياء) ٤/ ٣١٨، من حديث أبي هريرة دون قوله: «اذهبوا». وقال الحافظ العراقي في تخريجه: «رواه ابن الجوزي في (الوفاء) من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف».

٢- النبذ: قال الأزهرى: معناه إذا عاهدت قوما فعلمت منهم النقض بالعهد فلا توقع بهم سابقاً إلى النقض حتى تلقي إليهم أنك قد نقضت العهد والموادعة، فيكونوا في علم النقض مستويين. تفسير القرطبي، ٣٢/ ٨.

٣- انظر: المستشار علي منصور، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، ص ٣٠٢.

٤- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب الإمام يكون بينه وبين العدو عهد، ٣/ ٨٣، رقم: ٢٧٦١، والترمذي في سننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغدر، ٤/ ١٤٣، رقم: ١٥٨٤، وقال: حديث حسن صحيح.



وقد قدم الله الوفاء بالعهود والمواثيق على نصره الضعفاء والمظلومين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ أَنْ يَقْبَلُواكُمْ أَوْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، والمعنى كما قال الزمخشري: «ميثاق» أي عهد، فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم؛ لأنهم لا يبتدئون بالقتال، إذ الميثاق مانع من ذلك»<sup>(١)</sup>.

قال ابن العربي: «إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين، فإن الولاية عليهم قائمة والنصرة لهم واجبة، حتى لا تبقى منافع تطرف، حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عدونا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى أحد منهم، كذا قال مالك وجميع العلماء، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال، والقدرة والعدد والقوة والجلد»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا دليل على حسن تربية النبي (ﷺ) لأصحابه على الوفاء بالعهد وعدم الغدر، وأن كل عهد جائز ألزمه المرء نفسه فلا يحل له نقضه سواء أكان بين مسلم أم غيره، لزم الله تعالى من نقض عهده، وتلك قمة الإنسانية، ومن رحمها خرجت أكثر المواثيق الدولية في مجال هذه الحماية.

هذه السلوكيات الرائدة في ساحة المعركة ليست بمعزل عن المنهج الإنساني في السنة النبوية، الذي جعله رسول الله (ﷺ) ملاك الأمر كله، فقد روى

١- الزمخشري، تفسير الكشاف، ١٣٦/٢.

٢- ابن العربي، أحكام القرآن، ٤٤٠/٢. واختلف العلماء في القوم الذين كان بينهم وبين المسلمين عهد من هم؟ قال بعضهم: هم المسلمون، فإنه كان بينهم وبين رسول الله عهد، فإنه -ﷺ- وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعصيه ولا يعين عليه، وعلى أن كل من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل ما لهلال. وقال ابن عباس: هم بنو بكر بن يزيد. وقال مقاتل: هم خزاعة وخزيمة بن عبد مناة. انظر: تفسير الرازي مجلد، ٥، ١٠/٢٩٩.

عبدالرحمن بن عائد (رضي الله عنه) قال: «كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِذَا بَعَثَ بَعْثًا قَالَ: تَأَلَّفُوا النَّاسَ، وَتَأَنَّنُوا بِهِمْ، وَلَا تُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ، فَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا وَأَنْ تَأْتُونِي بِهِمْ مُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ، وَتَأْتُونِي بِنِسَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وروى أبي بن كعب - (رضي الله عنه) - قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) - بَعْثًا إِلَى اللَّاتِ وَالْعُزَّى فَأَغَارُوا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ فَسَبُّوا مَقَاتِلَهُمْ وَذَرَبْتَهُمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُوا عَلَيْنَا بِغَيْرِ دُعَاءٍ. فَسَأَلَ أَهْلَ السَّرِيَةِ، فَصَدَّقُوهُمْ فَقَالَ رُدُّوهُمْ إِلَى مَا مَنِيَهُمْ ثُمَّ ادْعُوهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وعن بُرَيْدَةَ، عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ<sup>(٣)</sup>، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْرُزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْرُزُوا وَلَا تَغْلُوا<sup>(٤)</sup>، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تَمَثَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقَيْتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ (أَوْ خِلَالٍ)، فَأَيْتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ..، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعْنُ بِاللَّهِ وَقَاتِلُهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا<sup>(٥)</sup> ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا

١- أخرجه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ٩/ ٤١٥، رقم: ٢٠١٩.

٢- أخرجه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ٩/ ٤١٥، رقم: ٢٠٢٠.

٣- (سرية) هي قطعة من الجيش تخرج منه تغير وتعود إليه. قال إبراهيم الحربي: هي الخيل تبلغ أربعمئة ونحوها. قالوا: سميت سرية لأنها تسري في الليل ويخفي ذهابها. النووي، شرح النووي على مسلم، ٣٧/ ١٢.

٤- (ولا تغلوا) من الغلول ومعناه الخيانة في الغنم، أي لا تخونوا في الغنمة.

٥- (أن تخفروا) يقال أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرتة أمنتته وحميته النووي، شرح النووي على مسلم، ٣٧/ ١٢.

حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُواكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا؟»<sup>(١)</sup>.

قال محمد بن الحسن الشيباني: «وإذا لقي المسلمون المشركين، فإن كانوا قوماً لم يبلغهم الإسلام، فليس ينبغي لهم أن يقاتلوهم حتى يدعوهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(١٥)</sup> [الإسراء: ١٥]، وبه أوصى رسول الله ﷺ أمراء الجيوش: «فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله» ولأنهم ربما يظنون أننا نقاتلهم طمعاً في أموالهم، وسبي ذراريهم، ولو علموا أننا نقاتلهم على الدين ربما أجابوا إلى ذلك من غير أن تقع حاجة إلى القتال. وفي تقدم عرض الإسلام عليهم دعاء إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فيجيب البداية به»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن جماعة في تحرير الأحكام: «إذا خاف الإمام من المهادين خيانة جاز أن ينبذ إليهم عهدهم. قال الله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾<sup>(٥٨)</sup> [الأنفال: ٥٨]، وإذ نبذ إليهم عهدهم بلغهم المأمن، فإن كانوا نساء أو أطفالاً بلغهم أهاليهم، ولا يقتل ما في أيدينا من رهائهم، فإن الكفار لما نقضوا عهدهم في زمن معاوية امتنع المسلمون من قتلهم، وقالوا: وفاء بغدر، خير من غدر بغدر. وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»<sup>(٣)</sup>.

هذه القصص الإنسانية كان أبطالها أولئك النفر الذين تربوا على منهج النبي ﷺ في حسن الوفاء بالعهد وعدم الغدر، فإذا غدرت الدولة الأجنبية اعتبرت

- ١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، ٣/ ١٣٥٧، حديث رقم: ١٧٣١.
- ٢- محمد بن الحسن الشيباني، شرح كتاب السير، ١/ ٧٥-٧٦.
- ٣- أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه، ٣/ ٢٩٠، رقم: ٣٥٣٥، والترمذي في كتاب البيوع، ٣/ ٥٦٦، رقم: ٢٦٤، والدارمي في سننه، كتاب "البيوع" ٣/ ١٦٩٢، رقم: ٢٦٣٩ وصححه الشيخ الألباني، في صحيح الترمذي برقم ١٠١٥. والقصة ذكرها ابن جماعة، في تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص: ٢٣٤.

الدول الإسلامية هذه الرهائن أسرى حرب، أو إعادتهم إلى دولتهم.

## المبحث الثاني

حماية المدنيين وغير المقاتلين في ضوء السنة النبوية إعمالاً لمبدأ الإنسانية

الناظر في النصوص النبوية المنظمة لإجراءات سير الحرب، ومدى شمولها على مبدأ الإنسانية، يجد أنها تملأ كل جنباتها، وتحول دون إراقة الدماء، متى وجد المسلم إلى ذلك سبيلاً. وقد سبق القول بأن القتال لا يكون إلا ضد من يقاتل من الأعداء، فإن وقع قتال من لا يقاتل كالنساء والصبيان فهو اعتداء يُغضب الله تعالى، قال الله ﷻ ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وفي السنة النبوية الكثير من النصوص التي تكفل هذه الحماية، وتنتهي عن استهداف النساء والصبيان والشيوخ والعسفاء-الأجراء- وأصحاب الصوامع، ففي الصحيحين عن نافع، أن عبد الله (رضي الله عنه)، أخبره: «أن امرأةً وجدت في بعض مغازي النبي (ﷺ) مقتولةً، «فأنكر رسول الله (ﷺ) قتل النساء والصبيان»<sup>(١)</sup>.

عن أنس (رضي الله عنه) أنه (ﷺ) يقول: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأةً، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»<sup>(٢)</sup> وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَآخِرُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِنْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩١]، أي أن القتل وإن

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب قتل النساء في الحرب، ٤ / ٦١، رقم: ٣٠١٤؛ ومسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ٣ / ١٣٦٤، رقم: ١٧٤٤.

٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، (٢ / ٣٤٣، رقم: ٢٦١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى، باب ترك قتال من لاقتال فيه، ٩ / ٩٠، رقم: ١٨٦١٧، وابن أبي شيبه في المصنف، ٦ / ٣٨٤، رقم: ٣٣١١٨ وضعفه الألباني.

كان فيه شر وفساد، ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أشد، فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه»<sup>(١)</sup>.

ويتفرع عن هذا الحكم أنه لا يجوز للمقاتل المسلم إذا اقتحم بيتاً من البيوت على أصحابه، في أرض العدو، أو صادف أمامه أحداً من هذه الفئة، لا يجوز أن يوجه عليه السلاح بحجة أنه من أهل الكفر والحرب ممن استبيحت دماؤهم؛ لأن النص الشرعي قد أخرج هؤلاء المسنين الضعاف من دائرة الإباحة.

وعليه فإن النصوص الشرعية التي تأمر بقتل الشيخ من أهل الكفر، ومنها ما جاء في سنن أبي داود، عَنْ سَمْرَةَ بِنِ جُنْدُبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «اقتلوا شيوخ المشركين، واستبقوا شرخهم»<sup>(٢)</sup>، فهذا الحديث إن صح يجمع بينه وبين الأحاديث التي تنهى عن قتل الشيخ في الحرب، بأنه محمول على من كان فيه من الشيخ نفع للمقاتلين، ولو بالرأي، كما ذكر الإمام الشوكاني<sup>(٤)</sup>.

وفي سنن أبي داود عن رباح بن ربيع، قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي غَزَاةٍ، فَمَرَّ بِأَمْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ وَالنَّاسُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لَتِقَاتِلَ، أَدْرِكُ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ: لَا تَقْتُلْ ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا»<sup>(٥)</sup>.

ولفظ (العسيف) أي الأجير، يشمل كل من يستأجره العدو للقيام بأعمال في ميدان المعركة، لرعاية الدواب وحراسة الأمتعة، ويشمل اليوم أفراد الخدمات

- ١- ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص: ١٠٠.
- ٢- قال ابن الأثير: الشخ هو الشاب، وأراد بهم الصغار الذين لم يبلغوا الحلم. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٥٦.
- ٣- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ٣/ ٥٤، رقم: ٢٦٧٠، قال عنه الشيخ الألباني: ضعيف.
- ٤- يقول الإمام الشوكاني: "وقد جمع بين الحديثين بأن الشيخ المنهي عن قتله في الحديث الأول هو الفاني الذي لم يبق فيه نفع للكفار ولا مضرة على المسلمين، وقد وقع التصريح بهذا الوصف بقوله: "شيخا فانيا" والشيخ المأمور بقتله في الحديث الثاني هو من بقي فيه نفع للكفار ولو بالرأي". نيل الأوطار، ٧/ ٢٩٢.
- ٥- سبق تخريجه، هامش (٣٢)

الطبية المصاحبة لجيوش العدو، سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين أم مراسلين حربيين، والإجراء في المصانع، وعمال النظافة في الطرقات، والعمال الزراعيون واليدويون، فجميعهم يتمتعون بالحصانة الشرعية ضد توجيه السلاح عليهم، بشرط أن لا تكون لهم صلة بالأعمال القتالية.

وعلة النهي عن قتل العمال الزراعيين واليدويين بأنهم بناء العمران، والحرب الإسلامية لا تفني العمران بل تبقى.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ تَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا تَغْدِرُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَمَثَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا الْوَالِدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ<sup>(١)</sup>.

قال ابن رشد: «واختلفوا في أهل الصوامع المنتزعين عن الناس، والعميان والزمنى والشيخوخ الذين لا يقاتلون، والمعنوه والحراث والعسيف؛ فقال مالك: لا يقتل الأعمى ولا المعنوه ولا أصحاب الصوامع، ويترك لهم من أموالهم بقدر ما يعيشون به. وكذلك لا يقتل الشيخ الفاني عنده»<sup>(٢)</sup>.

ثم ساق العلة التي من أجلها يحرم قتل هؤلاء، والتي من أجلها اختلف الفقهاء في حكم، قائلاً: «والسبب الموجب بالجملة لاختلافهم اختلافهم في العلة الموجبة للقتل؛ فمن زعم أن العلة الموجبة لذلك هي الكفر لم يستثن أحداً من المشركين، ومن زعم أن العلة في ذلك إطاقة القتال للنهي عن قتل النساء مع أنهن كفار - استثنى من لم يطق القتال، ومن لم ينصب نفسه إليه كالفلاح

١ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤/ ٤٦١، رقم: ٢٧٢٨؛ والبيهقي في السنن الصغير، ٧/ ٤٤٦، رقم: ٢٨٦٢؛ والبزار في مسنده (البحر الزخار)، ١١/ ٩٣، رقم: ٤٨٠٦. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفي رجال البزار إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وثقه أحمد، وضعفه الجمهور، وبقية رجال البزار رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ٣١٧)، رقم: ٩٦١١.

٢ - ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ٢/ ١٤٦.

والعسيف»<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام الشوكاني: «فيه دليل على أنه لا يجوز قتل من كان متخلياً للعبادة من الكفار كالرهبان؛ لإعراضه عن ضرر المسلمين. والحديث وإن كان فيه المقال المتقدم لكنه معتضد بالقياس على الصبيان والنساء بجامع عدم النفع والضرر وهو المناط، ولهذا لم ينكر - ﷺ - على قاتل المرأة التي أرادت قتله، ويقاس على المنصوص عليهم بذلك الجامع من كان مقعداً أو أعمى أو نحوهما ممن كان لا يرجى نفعه ولا ضرره على الدوام»<sup>(٢)</sup>.

هذا التوجيه يفتح الباب واسعاً أمام القول بحرمة قتل كل من يقوم بعمل إنساني لا شأن له بالعملية القتالية.

ومفاد ما تقدم أن السنة النبوية سبقت النظم القانونية الدولية بتقرير مبدأ حصانة غير المقاتلين، وتقليل القتل وحسم سبيله عند الإمكان، وهو المبدأ الذي قرره البروتكول الأول الإضافي إلى اتفاقية جنيف المعقودة في (١٢ أغسطس ١٩٤٩ والمتعلقة بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة.

وفرَّع الفقهاء على هذه الوجوه والقيم والمبادئ الإنسانية الكثير من الأحكام، منها: ما ذهب إليه الإمام الغزالي - رحمه الله - من: «أن الكفار إذا تترسوا بجماعة من أسارى المسلمين، فلو كففنا عنهم لصدومونا وغلبوا على دار الإسلام وقتلوا كافة المسلمين، ولو رمينا الترس لقتلنا مسلماً معصوماً لم يذنب ذنباً وهذا لا عهد به في الشرع، .. وهذا بخلاف ما لو تترس الكفار في قلعة بمسلم إذ لا يحل رمي الترس؛ إذ لا ضرورة، فبنا غنيةً عن القلعة، فنعدل عنها إذ لم نقطع بظفرنا بها؛ لأنها ليست قطعة بل ظنية»<sup>(٣)</sup>.

١- ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ١٤٨/٢.

٢- نيل الأوطار، ٧/٢٩٢.

٣- الإمام الغزالي: المستصفى، ص: ١٧٦.

وهذا توجيه شديد من الإمام الغزالي يرمى فيه حق البريء أن يؤخذ بغير ذنب، كما هو رأيه في مسألة ضرب المتهم البريء<sup>(١)</sup>؛ إعلاء لقيم الإنسانية، وتطبيقاً لقاعدة أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته بحكم قضائي بات.

وقريب منه مسألة ضرب المتهم بعد الاعتراف، التي ورد النهي عنها في عموم الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن أزهري بن عبد الله - رضي الله عنه -: «أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْكَلَاعِيِّينَ<sup>(٢)</sup> سُرِقَ لَهُمْ مَتَاعٌ، فَاتَّهَمُوا أَنَسًا مِنَ الْحَاكَةِ، فَاتَّوَا النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ فَحَبَسَهُمْ أَيَّامًا، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُمْ، فَاتَّوَا النُّعْمَانَ فَقَالُوا: خَلَيْتَ سَبِيلَهُمْ بَغَيْرِ ضَرْبٍ وَلَا امْتِحَانٍ، فَقَالَ النُّعْمَانُ: مَا شِئْتُمْ؟ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَضْرِبَهُمْ فَإِنْ خَرَجَ مَتَاعُكُمْ فَذَكَ، وَإِلَّا أَخَذْتُ مِنْ ظُهُورِكُمْ مِثْلَ مَا أَخَذْتُ مِنْ ظُهُورِهِمْ، فَقَالُوا: هَذَا حُكْمُكَ، فَقَالَ: هَذَا حُكْمُ اللَّهِ وَحُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: إِنَّمَا أَرْهَبُهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ أَيُّ: لَا يَجِبُ الضَّرْبُ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْتِرَافِ<sup>(٣)</sup>.

يضاف إلى ما تقدم: أن الحماية التي كفلها القانون الدولي للإنساني للعاجزين عن القتال في المادة (٤١) من البروتوكول الأول الإضافي المتضمن أن العدو إذا «افصح بوضوح عن نيته في الاستسلام» تجب أساسها في الأمان الذي يمنح للمقاتلين أثناء سير القتال، سواء كانوا فرادى أو جماعات، فإنه يجب التوقف عن قتالهم وتوفير الحماية لهم ولملكاتهم، حتى يرجعوا إلى بلادهم، أي أنهم لا يدخلون

- ١- يقول الإمام الغزالي: " فإن قيل: فالضرب بالتهمة للاستنطاق بالسرقة مصلحة فهل تقولون بها؟ قلنا: قد قال بها مالك - رحمه الله - ولا نقول به لا لإبطال النظر إلى جنس المصلحة لكن؛ لأن هذه مصلحة تعارضها أخرى وهي مصلحة المضروب، فإنه ربما يكون بريئاً من الذنب، وترك الضرب في مذنب أهون من ضرب بريء، فإن كان فيه فتح باب يعسر معه انتزاع الأموال ففي الضرب فتح باب إلى تعذيب البريء المستصفي، ص: ١٧٦.
- ٢- الكلاعيين نسبة إلى ذي كلاع يفتح كاف وخفة لام قبيلة من اليمن. حاشية السندي على سنن النسائي، ٦٦/٨.
- ٣- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في الامتحان بالضرب، ٤/ ٣٥، رقم: ٤٣٨٢؛ والنسائي في سننه، كتاب تعظيم السرقة، باب امتحان السارق بالضرب والحبس، ٦٦/٨ رقم: ٤٨٧٤. وحسنه الألباني.



في عداد الأسرى ولا يجوز القبض عليهم، ويمنحون الأمام سواء تم طلب ذلك كتابة أو شفاهة أو تصريحاً أو إشارة، وذلك لتوسيع دائرة حق الدماء<sup>(١)</sup>، بل أثبت الفقهاء هذا الحق ولو بحسن الظن، فإذا ظن العدو خطأ أن أحد المسلمين أعطاه الأمام فإنه يستحقه، وإن لم يخطر ذلك ببال المسلم، ولو دخل أحدهم أراضي الدولة الإسلامية دون استخدام العنف فهو آمن. قال ابن قدامة: «فإذا دخل الحربي دار الإسلام، رسولاً أو تاجرًا، وقد جرت العادة بدخول تجارهم إلينا، كان أماناً له، ولم يجز التعرض له؛ «لأن رسول الله (ﷺ) قال لرسولي مسليمة: «لَوْ لَا أَنَّكَ رَسُولٌ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ»<sup>(٢)</sup>؛ ولأنهم دخلوا يعتقدون الأمان، فأشبهه ما لو دخلوا بإشارة المسلم<sup>(٣)</sup>. وهذه الحالة تشبه في العصر الحاضر رفع الراية البيضاء أثناء القتال دلالة على عدم استخدام العنف ومن ثم يحظر استهداف العدو<sup>(٤)</sup>.

وفي كل ما تقدم دليل على أن مبدأ الإنسانية هو السمة البارزة في النزاعات المسلحة سيراً على هدي النبي (ﷺ) الذي جعل الحرب للضرورة، وسلك كل سبيل فيه حقن للدماء، حماية لأرواح المدنيين وغير المقاتلين، حتى إنه لا يجوز بيع السلاح في الفتن أو في عموم الحروب، سواء بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين غيرهم؛ عملاً بالنهي الوارد عن النبي (ﷺ)<sup>(٥)</sup>؛ لكون هذا البيع وسيلة إلى القتل المحرم، وهو قتل من لا يجوز قتله.

- ١- الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ٦/ ٥٢.
- ٢- سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الرسل، ٣/ ٨٤، رقم: ٢٧٦٢، وأخرجه ابن حبان في الإحسان، ١١/ ٢٣٦٦، رقم: ٤٨٧٩. وقال الألباني: صحيح. «صحيح أبي داود» (٢٤٦٧). وانظر: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، لأبي الحسن الهيثمي، ٥/ ٢٢٠. والنسائي في سننه، ١/ ٩٤٦ رقم ٤٨٨٩، وقال: حديث منكر لا يحتج به، أخرجه ليعرف القصاص.
- ٣- ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، ٤/ ١٦٣.
- ٤- انظر: د/ أحمد الداودي، قانون الحرب في الإسلام أسبابه وأحكامه، ص: ١٣٢.
- ٥- بوب البخاري باباً في الصحيح عن بيع السلاح في الفتنة وغيرها، ٣/ ٦٣. ورواه البزار والطبراني في الكبير، قال الهيثمي: «وفيه بحر بن كنينز السقاء، وهو متروك مجمع الزوائد، ٤/ ٨٧»

## النهي عن التجويع في القتال:

نهى الإسلام عن التجويع ولو للأعداء، كوسيلة من وسائل «الحصار الاقتصادي»<sup>(١)</sup>، وهو ما يتضح من قصة ثمامة (رضي الله عنه)، فقد أمره النبي (ﷺ) «أن يدير أهل مكة وهم حرب عليه»، جاء في الصحيحين في حديث طويل عن أبي هريرة (رضي الله عنه): «فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتُ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسَلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ (ﷺ)»<sup>(٢)</sup>.

وفي سيرة ابن هشام من تمة قصة ثمامة: «ثُمَّ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالُوا: أَصَبَوْتُ يَا ثُمَامُ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُ خَيْرَ الدِّينِ، دِينَ مُحَمَّدٍ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَصِلُ إِلَيْكُمْ حَبَّةٌ مِنَ الْيَمَامَةِ - وَكَانَتْ رَيْفَ مَكَّةَ - حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ). ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْيَمَامَةِ، فَمَنَعَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا إِلَى مَكَّةَ شَيْئًا، فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): إِنَّكَ تَأْمُرُ بِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّكَ قَدْ قَطَعْتَ أَرْحَامَنَا وَقَدْ قَتَلْتَ الْأَبَاءَ بِالسِّيفِ، وَالْأَبْنََاءَ بِالْجُوعِ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَيْهِ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَمْلِ»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان من حق ثمامة أن يفعل ذلك؛ لأن قريشاً مع المسلمين في حرب متصلة؛ ولأنها استباححت لنفسها من قبل أن تقاطع المسلمين وأن تحصرهم في

١ - وهي وسيلة ضغط على الطرف الآخر لحمله على الرجوع إلى الطريق القويم، وذلك إذا ارتكب ما يخالف قاعدة من القواعد المستقرة في العلاقات الدولية، أو لمنعه من تحقيق أغراض غير مشروعة.

د. / أحمد أبو الوفا، الإعلام بقواعد القانون الدولي في شريعة الإسلام، ١٤ / ٣٤٦.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الغزوات، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، ٥ / ١٧٠، رقم: ٤٣٧٢، ومسلم في الجهاد والسير باب ربط الأسير وحبسه، ٣ / ١٣٨٦، رقم ١٧٦٤. واللفظ للبخاري.

٣ - سيرة ابن هشام (ت السقا)، ٢ / ٦٣٩.

شعب بني هاشم بمكة، وأن تتعاهد على تجويعهم ومقاطعتهم<sup>(١)</sup>، وهي ما تزال جادة في إنزال الضرر بهم ما وجدت للإضرار سبيلاً، وقد مكث النبي (ﷺ) ومن معه محصورين لمدة ثلاث سنوات في شعب بني هاشم حتى أنفقوا أموالهم وصاروا إلى حد الضر والفاقة، لكن رحمة النبي (ﷺ) كانت أعلى من الخصومة، وأرفع من العداوة، وأعظم من مقابلة التجويع بمثله، فمراعاة مبادئ الإنسانية جوهر دعوته، ومرتكز نبوته.

قال ابن حجر عن خبر ثمامة: «الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب...، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير»<sup>(٢)</sup>.

ومرد هذا الحكم أن صلة الرحم أمر محمود عند كل عاقل وفي كل دين، والإهداء إلى الغير من مكارم الأخلاق، وقال (ﷺ): «بُعِثْتُ لِأَتَمَّ مَكَارِمَ

١- يقول ابن عبد البر: «فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَفْشُو وَيَنْتَشِرُ اجْتَمَعُوا فَتَعَاقَدُوا، عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَأَدْخَلُوا مَعَهُمْ بَنِي الْمَطْلَبِ، أَلَّا يَكْلُمُوهُمْ وَلَا يَجَالِسُوهُمْ وَلَا يَنَاقِحُوهُمْ وَلَا يَبَايَعُوهُمْ. وَاجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ مَلُؤُهُمْ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً، وَعَلَقُوهَا فِي الْكَعْبَةِ. فَانْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمَطْلَبِ كُلَّهُمْ كَافِرِينَ وَمُؤْمِنِينَ، فَصَارُوا فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ مَحْضُورِينَ مُعْتَدِينَ مُجْتَنِّينَ، حَاشَا أَبَا لَهَبٍ وَوَلَدَهُ فَإِنَّهُمْ صَارُوا مَعَ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ، فَبَقُوا كَذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَى أَنْ جَمَعَ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى نَقْضِ مَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَعَاقَدَتْ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ». الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر، ص ٥٢.

وتجدر الإشارة أن نقض الصحيفة تم نتيجة مجهود كبير قام به هشلم بن عمرو: فقد ذهب إلى زهير بن أبي أمية وقال له: قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أقد رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ، وَتَكْحَلَ النِّسَاءَ، وَأَخْوَالَكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَلَا يُنْكَحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ؟ ثم ذهب إلى المطعم بن عدي وقال له: «يَا مُطْعِمُ أَقْدَ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ، مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ!»، ثم ذهب إلى البخترى بن هشام، وقال له نحواً من ذلك. وهو ما فعله أيضاً مع زمة بن الأسود، وذهبوا جميعاً وانفقوا على نقض الصحيفة، وأقبل زهير فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال: «يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَنْأَكِلُ الطَّعَامَ وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يُبَاعُ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لَا أَقْدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةَ». وفعلاً تم نقض الصحيفة وتمزيقها وبطل ما فيها. راجع: سيرة ابن هشام (رت السقا)، ١ / ٣٧٥ - ٣٧٦.

٢- فتح الباري، ج ٨، ص ٨٨.

الأخلاق»<sup>(١)</sup>، فعرف أن ذلك حسنٌ في حق المسلمين والمشركين جميعاً.

أما ما ثبت في السنة من أن النبي (ﷺ) لم يقبل هدية عامر بن مالك - الذي يدعى ملاعب الأُسنة -<sup>(٢)</sup>؛ فلأن أباه كان أجار سبعين نفراً من أصحاب رسول الله (ﷺ) ثم قتلهم قومه، وهم أصحاب بئر معونة. وفي هذا قصة معروفة<sup>(٣)</sup>، فلهذا رد رسول الله (ﷺ) هديته<sup>(٤)</sup>. والثابت من سيرة النبي (ﷺ) أنه كان يرفض هدية من كان يحس أنه يستهدف بهديته هوى في نفسه، أو غرض خاص، أو من يتبغى رد العوض بهديته<sup>(٥)</sup>.

ونظائر هذا الحكم في مجال العلاقات الدولية والاقتصادية كثيرة، وخاصة ما يعرف بـ«المعونات الملوثة»<sup>(٦)</sup> أو المعونة محاولة لاختبار العملية التكنولوجية مما يعنى فساد هذه المعونات.

- ١- سبق تخريجه. هامش رقم (١١).
- ٢- رُوِيَ «إِنَّ عَامَرَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ إِهْدَى إِلَيْهِ فَرَسَيْنِ قَدْ كَانَ أَحَدُهُمَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ، فِعْوَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَوْقَ هَدِيَّتِهِ، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي خَطْبَتِهِ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَهْدُونَ مَا نَعْرِفُهُ أَنَّهُ لَنَا. ثُمَّ لَا يَرْضَوْنَ بِالْمِكَافَأَةِ بِالْمِثْلِ» ذكره محمد بن الحسن الشيباني في شرح السير الكبير، ١/ ١٤٤، ولم أقف له على أصل.
- ٣- (أصحاب بئر معونة) الذين قتلوا يوم بئر معونة سنة أربع للهجرة ومعونة موضع من جهة نجد. وروى البخاري فيها حديثاً عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: «دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلِيَّ بْنَ أَبِي تَالِبٍ وَأَصْحَابَ بَيْرِ مَعُونَةَ ثَلَاثِينَ غَدَاةً، عَلِيٌّ رَجُلٌ، وَدُكْوَانٌ، وَعَصْبَةُ عَصَبَتِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، قَالَ أَنَسٌ: «أَنْزَلَ فِي الَّذِينَ قَتَلُوا بَيْرَ مَعُونَةَ قُرْآنَ قِرْآنَهُ، ثُمَّ نَسَخَ بَعْدَ بَلْغَا قَوْمِنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضَى عَلَنَا وَرَضِينَا عَنْهُ». صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ٤/ ٢١، رقم: ٢٨١٤.
- ٤- انظر: شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن، ١/ ٩٧.
- ٥- انظر: فتح الباري لابن حجر، ٥/ ٢٣٠.
- ٦- انظر: د/ حمدية زهران، مشكلات تمويل التنمية في البلاد المتخلفة، ص ٧.

## المبحث الثالث

## حماية جثث الأعداء من التمثيل إعمالاً لمبدأ الإنسانية في ضوء أحكام السنة النبوية

التمثيل أو المثلَّة بالجملة، فصل أي عضو معها وتشويهها. قال ابن الأثير: (مثلوا بهم) مثل به يمثل: إذا نكَّل به، ومثل بالقتيل: إذا جدعه. وشوه خلقته، والاسم: المثلَّة<sup>(١)</sup>.

والنهي عن التمثيل بجثث العدا من أهم مبادئ الإنسانية ويمثل نموذجاً لاحترام الكرامة الإنسانية، فالقتيل وإن كان عدواً إلا إنه إنسان كرمه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وتكريماً للإنسانية نهى الإسلام أن يقصد المقاتل ضرب العدو في وجهه اثناء القتال، احتراماً وصوراً لكرامته.

ومن المشاهد أن الخصم إذا ظفر بخصمه انتقم منه شر انتقام ومثل بجثته، وليس هذا من شيم دعاة الفضيلة والمبادئ الصادقة، وإنما هو عمل ياباه صاحب كل ضمير حي، فالنبي - ﷺ - أمر بدفن جثث قتلى الأعداء يوم بدر، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن يزيد - رضى الله عنه - «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ - عَنِ النَّهْبِ<sup>(٢)</sup>، وَالْمُثَلَّةِ<sup>(٣)</sup>، وفي صحيح مسلم: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا

١- ابن الأثير، جامع الأصول، ٢/ ٢١٠. يقول ابن حجر العسقلاني: "حدثني صالح بن كيسان قال: خرجت هند والنسوة منها يمثلن بالقتلى، يجدن الآذان والأنف، حتى اتخذت هند من ذلك حزماً وقلائد وأعطت حزمها وقلائدها، أي اللاتي كن عليها لوحشي جزاء له على قتل حمزة، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها" فتح الباري، ٧/ ٣٥٢.

٢- ابن حجر، فتح الباري، ٥/ ١٢٠.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب النهب بغير إذن صاحبه، ٣/ ١٣٥، رقم: ٢٤٧٤.

تَغْلُوا<sup>(١)</sup>، وَلَا تَعْدُرُوا، وَلَا تَمَثَلُوا<sup>(٢)</sup>.

فمن محاسن الإسلام أنه أرشد إلى دفن الكافر رغم عداوته إذا لم يوجد من أهل ملته من يقوم بدفنه. ومن الأحاديث المرشدة إلى هذا؛ حديث عَلِيِّ (رضي الله عنه)، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم): إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ مَاتَ فَمَنْ يُوَارِيهِ؟ قَالَ: (أَذْهَبَ فَوَارِ أَبَاكَ)<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي بن كعب - (رضي الله عنه) - قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمٌ أَحَدٌ، أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةً وَسَبْعُونَ، وَمِنْهُمْ سِتَّةٌ فِيهِمْ حَمَزَةٌ، فَمَثَلُوا بِهِمْ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَنْ أَصْبَنَا مِنْهُمْ يَوْمًا لِتَرْبِيبِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ فَتَحَ مَكَّةَ، أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾ [النحل: ١٢٦]، فَقَالَ رَجُلٌ: لَا قَرِيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ غَيْرِ أَرْبَعَةٍ<sup>(٤)</sup>.

وعن يَعْلَى بْنِ مَرَّةٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: سَافَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) غَيْرَ مَرَّةٍ فَمَا رَأَيْتُهُ يَمُرُّ بِجِيْفَةِ إِنْسَانٍ فَيَجَاوِزُهَا حَتَّى يَأْمُرَ بِدَفْنِهَا لَا يَسْأَلُ: مُسْلِمٌ هُوَ أَوْ كَافِرٌ؟<sup>(٥)</sup>.

وعن سمرة بن جندب (رضي الله عنه)، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَحْتَسِبُ عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ الْمُثَلَّةِ»<sup>(٦)</sup>.

قال السهيلي: «وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة، فإن قيل: فقد مثل

- ١- (ولا تغلوا) من الغلول ومعناه الخيانة في الغنم أي لا تخونوا في الغنيمه.
- ٢- سبق تخريجه.
- ٣- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب مواراة المشرك، ٤ / ٧٩ رقم: ٢٠٠٦. وقال الشيخ الألباني: صحيح.
- ٤- أخرجه الترمذي أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة النحل، ٥ / ١٥٠، رقم: ٣١٢٠. وقال: " هذا حديث حسن غريب ". وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ٢ / ٢٣٨، رقم: ٤٨٧، والحاكم في المستدرک، ٣ / ٣٥٨، رقم: ٣٣٨٨. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- ٥- رواه الدارقطني في سننه، كتاب السير، ٥ / ٢٠٤، رقم: ٤٢٠٣.
- ٦- أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ٤ / ٤٤٤، رقم: ٢٠١٠، وأبو داود في سننه، باب في النهي عن المثلة، ٣ / ٦، رقم: ٢٦٦٩، وابن حبان في صحيحه، ١٢ / ٤٣٤، رقم: ٥٦١٦، وقال الألباني: صحيح.

رسول الله (ﷺ) بالعربيين فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم بالحرّة؟ قلنا: في ذلك جوابان: أحدهما أنه فعل ذلك قصاصاً؛ لأنهم قطعوا أيدي الرعاء وأرجلهم وسملوا أعينهم، وقيل: إن ذلك قبل تحريم المثلة، فإن قيل: فقد تركهم يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا عطاشاً. قلنا: عطشهم؛ لأنهم عطشوا أهل بيت النبي (ﷺ) تلك الليلة»<sup>(١)</sup>.

وفي غزوة الخندق طلب أعداء المسلمين جثة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، وعرضوا دفع عشرة آلاف درهم مقابل ذلك، فأمر النبي (ﷺ) بتسليم الجثة ورفض أخذ المال، فعن ابن عباس-رضي الله عنهما- «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَرَادُوا أَنْ يَشْتَرُوا جَسَدَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَبَى النَّبِيُّ (ﷺ) أَنْ يَبِيعَهُمْ إِيَّاهُ»<sup>(٢)</sup>.

ومفاد هذا الحديث أن تسليم الجثث فيه صون لها عن الابتذال، وحماية من الأذى الذي يسببه تعفنها، وصوناً لها أن تأكلها السباع، وهذا حكمه حكم التمثيل بالجثث.

قال الصنعاني معلقاً على مجمل الأحاديث الواردة في وصايا الرسول (ﷺ) لأمرء الجيوش: «إذا بعث الأمير من يغزو أوصاه بتقوى الله وبمن يصحبه من المجاهدين خيراً ثم يخبره بتحريم الغلول من الغنيمة وتحريم الغدر وتحريم المثلة وتحريم قتل صبيان المشركين وهذه محرمات بالإجماع»<sup>(٣)</sup>.

ومما يدخل في التمثيل بالجثث حمل رؤوس القتلى من بلد إلى بلد، فعن عقبة بن عامر الجهني (رضي الله عنه) أنه قدم على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) برأس (يناق البطريق)، فأنكر ذلك. فقيل له: يا خليفة رسول الله إنهم يفعلون ذلك بنا. قال

١- هامش سيرة ابن هشام ت السقا، ٩٦/٢.

٢- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء لا تفادي جيفة الأسير، ٢١٤/٤، رقم: ١٧١٥، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحكم". وضعفه الألباني.

٣- الصنعاني، سبل السلام، ٤٦٧/٢.

فاستنان بفارس والروم؟ لا يحمل إلي رأس، إنما يكفي الكتاب والخبر. وفي رواية قال لهم: لقد بغيتم. أي تجاوزتم الحد. وفي رواية كتب إلى عماله بالشام: لا تبعثوا إلي برأس، ولكن يكفيني الكتاب والخبر<sup>(١)</sup>. وعلة النهي عن ذلك؛ لأنها جيفة، فالسبيل دفنها لإمطة الأذى، ولأن إبانة الرأس مُثلة، وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن المثلة ولو بالكلب العقور. وقد بين الخليفة الراشد أبو بكر (رضي الله عنه) أن هذا من فعل أهل الجاهلية، وقد نهينا عن التشبه بهم؛ ولأن فصل رأس الجثة بعد القتل من أجل إرسالها هنا أو هناك تمثيل بالجثة.

يضاف إلى ما تقدم أن الإسلام حرم التعذيب والتمثيل ولو بالحيوان، وجاء النهي صريحاً في ما رواه الطبراني في المعجم الكبير، نسبة إلى الإمام علي (رضي الله عنه) وقد جيء بقاتله ابن ملجم - مكتوفاً بين يدي الحسن، فقال الإمام علي للحسن (رضي الله عنهما): إن بقيت رأيت فيه رأبي وإن هلكت من ضربتي هذه فاضربه ضربة ولا تمثل به فإني سمعت رسول الله (ﷺ) ينهى عن المثلة ولو بالكلب العقور<sup>(٢)</sup>.

وأساس هذه الأحكام أن الإسلام ما قصد من تشريع القتال إزهاق الأرواح وتعذيب عباد الله، وإنما أراد دفع الشر وحماية المسلمين ودعوتهم من العدوان، فهو وسيلة لا يلجأ إليها إلا للضرورة ولا يتجاوز فيها أدنى حدودها، ولا يشرع التمثيل بالجثث ولو على وجه المعاملة بالمثل؛ لأن المسلم لا يقابل الغدر بالغدر، بل بالوفاء.

في ضوء ما تقدم يمكن القول بأن المنهج النبوي في مجال هذا الوجه من وجوه الإنسانية سبق بمئات السنين ما ألزمت به المادة (١٧) من اتفاقية جنيف

١- محمد بن الحسن، شرح السير الكبير (ص: ١١٠).

٢- رواه الطبراني في المعجم الكبير، ٩٧/١، رقم: ٦٨، قال الهيثمي: " رواه الطبراني، وهو مرسل، وإسناده حسن...مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٩/ ١٤٥.



الأولى، لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان، المؤرخة في (١٢ أغسطس ١٩٤٩م) والمتعلقة بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة، وإلزام أطراف النزاع بالفحص الطبي للجثث والتأكد من هوية المتوفى قبل دفن جثته طبقاً للشعائر الدينية للمتوفى إن أمكن».

إن الناظر في واقع الصراعات المسلحة، مقارنة بما عليه الحال في المنهج النبوي ليتساءل: أي إنسانية أرحم من هذه الإنسانية التي جاء بها النبي (ﷺ)؟، لا سيما في عالمنا المعاصر، عالم المتناقضات والدعاوى الواهية الزائفة لحماية حقوق الإنسان، إن البشرية الآن تتن من قبح هذا الجرم الذي تحمل عليه الرغبة في الانتقام، أو الخلافات المذهبية، أو النعرات الطائفية، أو تحت راية العصية الممقوتة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## المبحث الرابع

### المعاملة الإنسانية للأسير في ضوء السنة النبوية

حظيت الفئات الضعيفة البائسة، ومنهم الأسرى في السنة النبوية المطهرة بأسمى معاني الإنسانية في المعاملة، على نحو يندر أن يتكرر في المواثيق الدولية، حتى وإن بلغت الرتبة في الكمال في التشريع.

ومنشأ هذه الحماية في الأصل قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ، مَسْكِينًا وَبَيْتًا وَأَسِيرًا ۗ ﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان: ٨ - ٩]، قال ابن كثير: «قال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهد لهذا أن رسول (ﷺ) أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء»<sup>(١)</sup>.

١ - ابن كثير، تفسير ابن كثير ت سلامة، ٨ / ٢٨٨.

وفي تفسير الكشاف: «عن الحسن: كان رسول الله (ﷺ) يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه»<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: «وحدثني نبيه بن وهب، أخو بني عبد الدار، أن رسول الله (ﷺ) حين أقبل بالأسارى فرققهم بين أصحابه، وقال: استوصوا بالأسارى خيراً. قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى. قال: فقال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شد يدك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، قال وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر، لو صيبة رسول الله (ﷺ) إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها. قال: فاستحيتي فأردتها على أحدهم، فإردتها علي ما يمسه»<sup>(٢)</sup>. وقوله: «خصوني بالخبز» إشارة إلى أن الخبز عندهم أفضل من التمر؛ وذلك لندرة القمح والبر وكثرة التمر، فلهذا كان إثارة الأسير بالخبز هو من باب الإكرام والحفاوة.

وفي صحيح مسلم ما جاء عن العقيلي الأسير، حين نادى رسول الله (ﷺ) عن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقييل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وأسرا أصحاب رسول الله (ﷺ) رجلاً من بني عقييل، وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله (ﷺ) وهو في الوثاق قال: يا محمد، فاتاه فقال: ما شأنك؟ فقال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقه الحاج؟ فقال: (إعظماً لذلك) أخذتك، بجريرة حلفائك ثقيف. ثم انصرف عنه فناداه

١- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤/٦٦٨.

٢- سيرة ابن هشام، ١/٦٤٥. وبنحوه في الطبراني في الصغير والكبير، قال الهيثمي: «وإسناده حسن» مجمع الزوائد، ٦/٨٦.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) رَحِيمًا رَقِيماً، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ، أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ. ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَاتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمَانٌ فَأَسْقِنِي، قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ. فَفُدِيَ بِالرَّجْلَيْنِ. (١)

يقول الشوكاني: «وفي الحديث مشروعية إجابة الأسير إذا دعا، وإن كرر ذلك مرات والقيام بما يحتاج إليه من طعام وشراب ومعنى قوله «هذه حاجتك»: أي حاضرة يؤتى إليك بها الساعة» (٢).

ويجد الناظر في هذه المعاملة أنها ضرب من المفاخر، التي قلما يصل إليها قانون وضعي، ولن تصل إليها قواعد قوانين دولية في المستقبل، فأكثر ما ورد النص عليه في اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة الأسرى المؤرخة في (١٢ أغسطس ١٩٤٩ م) أنه يجب توفير المأوى والغذاء والملبس والمحافظة على وحدة الأسرة من الأسرى، وعدم تعذيب الأسير للحصول على معلومات عسكرية، ومع أهمية هذه الواجبات إلا أنها مازالت حبراً على ورق.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - في بيان هذه الوجوه من إكرام الأسير: «إنهم كانوا يؤسرون ونيران الحرب ملتهبة، وربما كان من بعضهم من قتل فيكون الاعتداء عليه غليظاً لشفاء الغيظ وحب الانتقام، كما فعل الأوربيون والأمريكان فيمن سموهم مجرمي الحرب، ولو كان الله تعالى استبدل بنصرهم هزيمة - لكانوا بمقتضى هذا المنطق الغريب في العقل، ولا ينفذ إلا قانون الانتقام - هم مجرمي الحرب! فالإسلام حث على إكرام الأسير منعاً لتلك الروح الانتقامية الغليظة. وقد كان النبي (ﷺ) يوصي بأسرى بدر، وكانهم في ضيافة، وليسوا في

١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ٣/ ١٢٦٢، رقم: ١٦٤١.

٢ - نيل الأوطار، ٧/ ٣٦٠.

أسرى!!»<sup>(١)</sup>.

وفي شأن كسوة الاسرى:

عن جابر (رضي الله عنهما) قال: لما كان يوم بدر أُتِيَ بِأَسَارَى، وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، «فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يُقَدِّرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ، فَلَذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ - قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ» قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ»<sup>(٢)</sup>، والحكمة في مكافأة النبي ﷺ عبد الله بن أبي، ما كان يوم بدر، فقد أُتِيَ بِأَسَارَى وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يُقَدِّرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ - إِيَّاهُ؛ فَلَذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ - قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي شأن المحافظة على وحدة الأسرة من الأسرى:

نصت اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت في المادة (٨٢) منها على أنه: «يجمع أفراد العائلة الواحدة، وبخاصة الولدان والأطفال معاً في معتقل واحد طول مدة الاعتقال، إلا في الحالات التي تقتضي فيها احتياجات العمل، أو أسباب صحية أو تطبيق الأحكام الواردة في الفصل التاسع من هذا القسم بصفة مؤقتة. وللمعتقلين أن يطلبوا أن يعتقل معهم أطفالهم المتركون دون رعاية عائلية. ويجمع أفراد العائلة الواحدة المعتقلون كلما أمكن في المبنى نفسه، ويخصص لهم مكان إقامة منفصل عن بقية المعتقلين، ويجب توفير التسهيلات اللازمة لهم للمعيشة في حياة عائلية»<sup>(٤)</sup>.

١- العلاقات الدولية في الإسلام، ص: ١١٥.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، ٤ / ٦٠، رقم: ٣٠٠٨.

٣- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٣ / ٢١٥.

٤- د/ عبد الغني محمود، حماية ضحايا النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية ص: ٣٩.

وأساس هذا النصر نهى النبي - ﷺ - عن التفريق بين أفراد الأسرة في الأسر، جاء في الصحيحين عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «قدم على النبي (ﷺ) سببي، فإذا امرأة من السببي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السببي أخذته فأصقتة ببطنها وأرضعتة، فقال لنا النبي (ﷺ) أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو أيوب - رضي الله عنه - قال: «سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

قال الترمذي: «العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي - ﷺ - وغيرهم كرهوا التفريق بين السببي بين الوالدة وولدها وبين الولد والوالد وبين الأخوة»<sup>(٣)</sup>.

### حكم تعذيب الأسير:

سيراً على ما أوجبه السنة النبوية في هذا المقام استنبط العلماء مسألة عدم جواز تعذيب الأسير، ولو كان بقصد الحصول على معلومات عسكرية منه، ففي كتب الفقه المالكي: «قيل للمالك: أيعذب الأسير إن رجي أن يدل على عورة العدو؟ قال: ما سمعت بذلك»<sup>(٤)</sup>.

وأصل هذا الحكم ما جاء في صحيح مسلم بشأن يوم بدر، يقول أنس - رضي الله عنه -:

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٨/٨، رقم: ٥٩٩٩، ومسلم في صحيحه، في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، ٤/٢١٠٩، رقم ٢٧٥٤.

٢- أخرجه الترمذي في سننه، واللفظ له، أبواب السير، باب في كراهية التفريق بين السبي، ٤/١٣٤، رقم: ١٥٦٦، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه، كتاب، باب، ٢/٧٥٦، رقم: ٢٢٥٠؛ والحاكم في المستدرک على الصحيحين، ٢/٦٣، رقم: ٢٣٣٤، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

٣- سنن الترمذي، ٤/١٣٤، رقم: ١٥٦٦.

٤- المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل، ٤/٥٤٨؛ ابن عرفة، المختصر الفقهي، ٣/٤٣.

«فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غَلَامٌ أَسْوَدٌ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمِيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرْبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمِيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ، فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرْبُوهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَنْصَرَفَ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقْتُمْ، وَتَرَكُوهُ إِذَا كَذَبْتُمْ قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَاهُنَا، هَاهُنَا، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدٍ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -»<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض: «فيه جواز ضرب الأسير لمعنى يوجب ذلك، وليستخبر ما عنده من أمر العدو»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «وفى ضرب أصحاب النبي - ﷺ - غلام قریش ليسألوه، جواز تهديد المتهم وتخويله ليصدق، وجواز ضرب الأسير من العدو لمعنى يوجب ذلك، ويستخبر ما عنده من سر العدو. ويحتج به في تهديد الحكام للمتهمين ليصدقوا عن أحوالهم، وينكشف لهم تهمتهم»<sup>(٣)</sup>.

ومن الأهمية بمكان التأكيد على أن ما قرره الفقهاء في مسألة تعذيب الأسير بقصد الحصول على معلومات عسكرية، سبقوا به ما قرره المادة (١٧) من اتفاقية جنيف الثالثة، ونصها: «لا يجوز ممارسة أي تعذيب بدني أو معنوي أو أي إكراه على أسرى الحرب لاستخلاص معلومات منهم من أي نوع. ولا يجوز تهديد أسرى

١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ٣/ ١٤٠٤ رقم: ١٧٤٩.

٢ - ابن عرفة، المختصر الفقهي، ٣/ ٤٣.

٣ - القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ١٣٧.

الحرب الذين يرفضون الإجابة أو سبهم أو تعريضهم لأي إزعاج أو إجحاف». حماية «إنسانية الأسير» في ضوء السنة النبوية والقانون الدولي الإنساني بين النظرية والتطبيق.

حماية «إنسانية الأسير» في الإسلام، في ضوء ما جاءت به السنة النبوية في القتال كانت شريعة سائدة وعقيدة راسخة لدى قادة وجنود الجيوش الإسلامية، في صراعها التاريخي دفاعاً عن العقيدة والاعتداء الواقع عليهم، كما كان هذا محل فخر الكثير من المستشرقين.

يقول غوستاف لوبون: «إن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من المسلمين»، وقال في شأن طريقة تعامل النبي - ﷺ - مع أصحابه في فتح مكة: «وعامل محمد قريشاً، الذين ظلوا أعداء أشداء له عشرين سنة بلطف وحلم، وأنقذهم من سورة أصحابه بمشقة، مكتفياً بمسح صور الكعبة وتطهيرها من الأصنام (٣٦٠) صنماً، التي أمر بكبّها على وجوهها وظهورها، وبجعل الكعبة معبداً إسلامياً، وما أنفك هذا المعبد يكون بيتاً للمسلمين»<sup>(١)</sup>.

وفي شأن الحروب الصليبية وازن «غوستاف لوبون» بين معاملة «ريتشارد قلب الأسد» ومعاملة «صلاح الدين الأيوبي» في الحروب الصليبية فقال: «كان أول ما بدأ به «ريتشارد قلب الأسد» الإنجليزي أنه قتل أمام معسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسيراً مسلماً سلّموا أنفسهم إليه، بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب، مما أثار حفيظة صلاح الدين الأيوبي النبيل الذي رحم نصارى القدس، فلم يمسه بأذى، والذي أمّد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات والأزواد والأدوية أثناء مرضهما»<sup>(٢)</sup>.

١- انظر: غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص: ١١٢-١١٣.

٢- انظر: المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤١.

وذكر «يورجا المؤرخ»: أن الصليبيين ابتدئوا سيرهم على بيت المقدس أسوأ طالع، فكان فريق من أعداء المسلمين يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها، وقد أسرفوا في الفسوق، فكانوا يبقرون البطون، ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء. أما صلاح الدين الأيوبي - طيب الله ثراه - فقد بذل الأمان للصليبيين عندما استرد بيت المقدس، ووفى لهم بجميع عهوده، وجاء المسلمون على أعدائهم وأوطأوهم مهاد رآفتهم، حتى إن «الملك العادل» شقيق السلطان أطلق ألف رقيق من الأسرى، ومن على جميع الأرمن، وأذن للبطريك بحمل الصليب وزينة الكنيسة، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن<sup>(١)</sup>.

وقد شهد - أيضاً - بمثل هذه الشهادة أحد الصليبيين الذين حضروا الواقعة فقال عن المسلمين: «هؤلاء الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم ونساءهم بثتى الطرق وسلبناهم أموالهم، وأخرجناهم من منازلهم عراة، تداركونا وسدوا خلتنا وأطعمونا بعد أن أهلكنا الجوع، وما زالوا يحسنون إلينا، حتى غمرونا ببرهم وإحسانهم لما كنا أسرى في ديارهم، وفي قبضة أيديهم، فلو ضاع لأحدنا شيء لما أبطأ أن رد إلى صاحبه»<sup>(٢)</sup>.

ولما وفد على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) قوم من أهل سمرقند، وشكوا إليه قتيبة بن مسلم الباهلي بأنه دخل المدينة على غدر منه، وأسكن المسلمين بها، فكتب عمر إلى واليه في الولاية المجاورة، وأمره أن يرفع شكواهم إلى القاضي وإن ثبت لديه ما ادعوه أمر بإخراج المسلمين من سمرقند. فلما رفعت القضية إلى قاضي المسلمين «جمع بن خاطر الباجي» حكم بإخراج المسلمين فعجب أهل سمرقند من عدالة المسلمين وأكبروها ودخلوا في الإسلام طائعين<sup>(٣)</sup>.

١- انظر: المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤١.

٢- انظر: المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤٢.

٣- تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، ٤/ ٦٩؛ الشيخ محمد أبو زهرة: نظرية الحرب في الإسلام، ص ٤٠.



وتلك صورة أعلى من أن توصف بالإنسانية، بل هي فوق الإنسانية، زرعها النبي (ﷺ) في نفوس أتباعه، لم يخل منها قلب مؤمن تقي نقي، فصارت نموذجاً ونبراساً راشداً وصافياً، بهتدي به المصلحون في كل وقت وحين.

### المبحث الخامس

حماية الأعيان والشجر والحيوان في ضوء السنة النبوية إعمالاً لمبدأ الإنسانية من الثابت أن الأسلحة التقليدية المستخدمة في العملية القتالية في التاريخ الإسلامي الأول، كانت تشمل السيوف والرماح والسهام والمنجنيق، والتراشق بالنار، وقطع الأشجار وإشعال الحرائق فيها، وفي المباني، وقطع المياه وإفسادها على العدو في بلاده، عن طريق ما يلقي فيها من سموم، ودماء وقاذورات، وإرسال الحيات والعقارب وما شاكلها التي من شأنها أن تلدغ الإنسان فتقتله أو تصيبه»<sup>(١)</sup>.

والرمي بالمنجنيق<sup>(٢)</sup> يشبه الرمي بالمدافع، والطائرات، والدبابات، ونحو ذلك، جاء في الشرح الممتع: «المنجنيق بمنزلة المدفع ففي الوقت الحاضر لا يوجد منجنيق لكن يوجد ما يقوم مقامه، من الطائرات، والمدافع والصواريخ وغيرها»<sup>(٣)</sup>.

- ١- انظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٧/ ١٠٠؛ الدردير، الشرح الكبير وحاشية الدسوقي، ٢/ ١٧٧؛ الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ٦/ ٣٠.
- ٢- المنجنيق: قال ابن عابدين: آلة ترمى بها الحجارة. قلت: وقد تركت اليوم، للاستغناء عنها بالمدافع الحادثة... ومنها «الرصاص»، وقد استغني به عن النبل في زماننا. حاشية ابن عابدين، ٤/ ١٢٩.
- ٣- وكانت وفاة ابن عابدين سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م. قال الواقدي: ثُمَّ تَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى الْكُتَيْبَةِ وَالْوُطَيْحِ وَسَلَّامٍ، حَصَّنَ ابْنُ أَبِي الْحَقِّيقِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَتَحَصَّنُوا أَشَدَّ التَّحَصُّنِ، وَجَاءَهُمْ كُلُّ فُلٍّ كَانَ قَدْ أَنْهَزَمَ مِنَ النَّطَاةِ وَالشَّقِّ، فَتَحَصَّنُوا مَعَهُمْ فِي الْقَمُوصِ وَهُوَ فِي الْكُتَيْبَةِ، وَكَانَ حَصْنًا مَنِيعًا، وَفِي الْوُطَيْحِ وَسَلَّامٍ. وَجَعَلُوا لَا يَطْلَعُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ مُغْلِقِينَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَنْ يَنْصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَى مِنْ تَغْلِيقِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَبْرُزُ مِنْهُمْ بَارِزٌ. مغازي الواقدي، ٢/ ٦٧٠.

وفي عصرنا وجدت الأسلحة الفتاكة، والقنابل النووية، والجرثومية، أو ما يعرف بأسلحة الدمار الشامل، التي تحرق الأخضر واليابس، من إنسان وحيوان ونبات، على نحو ما يعرف بأسلحة الدمار الشامل، وهي الأسلحة النووية، والكيمياوية والبيولوجية.

وفي تقديري أن استخدام كل ذلك محرم شرعاً؛ لأنها تهلك البشر، والجهاد شرع لإحياء البشر بالإسلام، لا لفناء الإنسانية، إلا إذا اعتدى بها العدو، فإنه يُقاتل بها في دائرة محدودة، وهي منعه من الاستمرار في جريمته.

ويستدل لهذا الحكم بما جاء في قوله تعالى: ﴿ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَيُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّدُخُلِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ [الفتح: ٢٥].

ووجه الاستشهاد بالآية أن كفار مكة حينما منعوا النبي (ﷺ) والمسلمين من أداء العمرة في عام الحديبية، هم النبي (ﷺ) بقتال هؤلاء الكفار واستشارة الصحابة في ذلك، لكن الله (ﻋَظِيمٌ) صرف النبي (ﷺ) والمسلمين عن هذا القتال، بسبب وجود بعض المؤمنين والمؤمنات بين أهل مكة يخشى بأن يصيبهم الهلاك في غمرة زحف المسلمين إلى مكة واجتياحها<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن الآية دالة على منع القتال ضد جهات من العدو، يختلط فيهم المسلمون بغيرهم من الكفار، مع خشية هلاك بعض المسلمين في خضم هذا القتال، وهو المعنى المراد الوصول إليه من تحريم استخدام أسلحة التدمير الشامل ضد جهات معادية يتوافر فيها مسلمون، وهو مسوغ للقول بتحريم استعماله على أي حال.

١ - القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ١٦ / ٢٨٦.

وهذا الرأي أخذ به الإمام الشوكاني (حمه الله) في شرحه بتحريم استعمال الأسلحة التي لا تفرق بين من يجوز قتله من أفراد العدو ومن لا يجوز، إذا لم تكن هناك ضرورة تدعو لذلك، يقول: وأما قوله: «وخلوا عمن لا يقتل» فوجهه ما تقدم من النهي عن قتلهم، فإذا لم تدع الضرورة إلى ما يعم من يجوز قتله ومن لا يجوز قتله، كان الواجب اجتناب قتل من لا يجوز قتله، وترك السبب الذي لا يمكن فيه تخصيص من يجوز قتله ومن لا يجوز كالرمي بالمنجنيق والمدافع وما يشابه ذلك»<sup>(١)</sup>.

ومن جانب آخر منع النبي (ﷺ) القتل بالتحريق على كل حال، لأحد من عباد الله، مسلماً كان أو غير مسلم، فقد ثبت في صحيح البخاري - وغيره - من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي بَعْثٍ فَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: «إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشوكاني: «هذا الحديث قد دلَّ على منع التحريق على كل حال فإن النبي (ﷺ) قال بعد الأمر بإحراق رجلين مشركين قد بالغوا في الأذى لرسول الله (ﷺ) واستحقا القتل، ثم علل ذلك بهذه العلة التي تفيد أنه لا يجوز التحريق بالنار لأحد من عباد الله، سواء كان مشركاً أو غير مشرك، وإن بلغ في العصيان والتمرد على الله أي مبلغ، فما وقع من بعض الصحابة محمول على أنه لم يبلغه الدليل»<sup>(٣)</sup>.

أما التحريق الوارد في حديث المتخلفين عن الجماعة، فله توجيه آخر، روى

١- الإمام الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص: ٩٥٤.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله، ٤ / ٦١، رقم: ٣٠١٦.

٣- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص: ٩٥٣.

البخاري في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِحَطَبٍ، فَيَحْطَبُ، ثُمَّ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ، فَيُؤَدِّنَ لَهَا، ثُمَّ أُمَرَ رَجُلًا فَيُؤَمُّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بِيُوتَهُمْ...»<sup>(١)</sup>.

قال ابن فرحون المالكي: وفائدة قوله «لقد هممت» تقديم الوعيد كالتهديد على العقوبة؛ لأن المفسدة إذا ارتفعت واندفعت بالأخف من الزواجر لم يعدل إلى الأعلى»<sup>(٢)</sup>.

### النهي عن إلقاء السم في مياه العدو:

نهى الإسلام أشد النهي عن استخدام الغازات السامة التي أصابت العالم بالفجيرة في كل بقعة تراق فيها دماء الأبرياء، سواء كانت هذه الأسلحة السامة مستخدمة مع المسلم أو غير المسلم، فهما في الحرمة سواء.

ومن نقول الفقهاء في هذه المسألة استنباطاً من السنة النبوية: «قال الأوزاعي: بلغني أن النبي (ﷺ) نهى أن يلقي السم في آبار العدو ومياههم. ولا يفعل ذلك المسلم في طعام ولا سلاح، وهو قول مالك. قيل لسحنون: فإن أخذ المسلمون قلالاً مملوءة خمرًا فجعلوا فيها سمًا ونصبوها للعدو فشربوا منها فماتوا؟ فكره أن يعمل بهذا»<sup>(٣)</sup>.

ومن كتاب ابن سحنون: وكره مالك أن يسم النبل والرماح يرمى بها العدو»<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، من كتاب الجمعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجمعة ١/ ١٣١، رقم: ٦٤٤؛ ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجمعة، ١/ ٤٥١، رقم ٦٥١.

٢- تبصرة الحكام لابن فرحون، ٢/ ١٠٧-١٠٨.

٣- ابن زيد القيرواني، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ٣/ ٦٩.

٤- المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

والأصل فيه ما روي عن سمرة بن جندب (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) «نَهَى أَنْ يُلْقَى السُّمُّ فِي آبَارِ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(١)</sup>.

ومثل هذه الأمور حتى وإن قيل بمشروعيتها، فإن ذلك القول يكون مقصوراً على حالة التعدد في الخيارات بشأن السلاح الذي يشكل ضغطاً على العدو لحمله على الاستسلام أو وقف الاعتداء؛ لذا يجب على صاحب القرار أن يحتاط وأن يكون حذراً في اللجوء إلى هذه الوسيلة؛ لأن تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة الراجحة.

وبالنسبة لاستهداف الأعيان: فإن الشواهد التاريخية من السنة النبوية تجزم بأن الحرب في الإسلام ليست حرباً شعواء تأتي على الأخضر واليابس، بل هي حرب مبنية على مراعاة قانون الفضيلة، وأن تدمير الأعيان قاصر على حالة الضرورة الحربية، وإن حدث هذا بغير ضرورة فهو فساد في الأرض، والله لا يحب الفساد.

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج النبي (ﷺ) في الخشية من الله، تأكيداً للوازع الديني في الالتزام بأحكام الحرب في الإسلام، فجمع الخليفة الراشد كل القيم الإنسانية في وصيته الجامعة لأسامة بن زيد (رضي الله عنهما): «لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرَمًا، وَلَا تَقَطَّعَنَّ شَجَرًا مُثْمَرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِلْمَأْكَلَةِ، وَلَا تُحَرِّقَنَّ نَخْلًا وَلَا تُغْرِقَنَّه، وَلَا تَعْلُلَنَّ، وَلَا تَجَبَّنَنَّ»<sup>(٢)</sup>.

وفي وصية الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) النهي عن قتل الفلاحين أو من يعملون بالحراثة في الأرض، عن زيد بن وهب، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ (رضي الله عنه) «لَا تَعْلُوا،

١ - أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، ٤ / ٣٣٦، رقم: ٣٤٨٤. قال في الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء: إسناده ضعيف ٣ / ٦٤، رقم: ٢٠٠٥.

٢ - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (ت التركي)، ١٨ / ٢٩٧، رقم: ١٨١٩٩؛ والبغوي في شرح السنة رقم: ٢٦٩٦.

وَلَا تَعْدُرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْفَلَاحِينَ الَّذِينَ لَا يَنْصُبُونَ  
لَكُمْ الْحَرْبَ»<sup>(١)</sup>.

ومن فقه هذه المسألة ما ذهب إليه الإمام الأوزاعي أنه لا يحل للمسلمين أن يفعلوا شيئاً مما يرجع إلى التخريب في دار الحرب؛ لأن ذلك فساد، والله لا يحب الفساد، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]<sup>(٢)</sup>.

ورأى الإمام مالك (رضي الله عنه) أنه: لا يجوز أبداً قتل النساء والصبيان من الأعداء، ولو تترس بهم أهل الحرب<sup>(٣)</sup> والتترس هو أن يحتمي العدو بمن لا يجوز قتله عرفاً أو شرعاً وهي مكيدة معروفة قديماً وحديثاً.

هذه الوجوه التشريعية المستقاة من السنة النبوية إعمالاً لمبدأ الإنسانية جاءت الاتفاقيات الدولية في مجال حماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة متفقة معها، وفق ما نصت عليها المادة (٤ / ٥١)<sup>(٤)</sup> وهي مع ما سبق ذكره مصدر أمن وأمان وطمأنينة نفسية، يستظل العالمين بظلها، وفق المنهج الإنساني الذي جاء به النبي ﷺ - مرسلًا من رب العالمين، رافعاً راية التشريع السامية في بناء الإنسانية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- ١- سنن سعيد بن منصور، ٢ / ٢٨١، رقم: ٢٦٢٥.
- ٢- انظر: محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، ص: ٤٣. وانظر: الشيخ عيش: منح الجليل شرح مختصر خليل، ٧ / ٥١٤؛ المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل، ٤ / ٥٤٥.
- ٣- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦ / ١٤٧؛ الصنعاني، سبل السلام، ٤ / ٤٩.
- ٤- ونصها: "يحظر الهجمات العشوائية التي تشتمل على ما يلي: تلك التي لاتوجه إلى هدف عسكري محدد، أو تلك التي تستخدم طريقة أو وسيلة للقتال لا يمكن أن توجه إلى هدف عسكري محدد، أو تلك التي تستخدم طريقة أو وسيلة للقتال ولا يمكن حصر آثارها على النحو الذي يتطلبه هذا الحق "البروتكول" ومن ثم فإن من شأنها أن تصيب، في كل حالة الأهداف العسكرية والأشخاص المدنيين أو الأعيان المدنية دون تمييز." www.icrc.org-resources-documents-misc.

## الخاتمة

في نهاية هذا البحث فإنه من عظيم الفخر أن يخط الباحث بيده بعض ما سطرته السنة النبوية، في مجال «إنسانية الإنسانية» التي يُجزم الباحث فيها بأن النبي (ﷺ) صار امتثال القرآن أمراً ونهياً له سجية وخلقاً تطع به، مع ما عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل، وتلك قمة الإنسانية، وإن شئت فقل: «ما فوق الإنسانية»، التي لا يمكن وصفها إلا في سجلات من الكتب تحت اسم «إنسانية محمد (ﷺ)»، وفي كتب السنة النبوية والسير الكثير من الشواهد الدالة على اجتماع هذه الصفات في خير البشر - (ﷺ) - فقد سأل هرقل أبا سفيان عن سيرة النبي، (ﷺ)، قائلاً: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَهَلْ يَغْدُرُ؟ قُلْتُ: لَا...، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وواقع الحال إن الإنصاف تظهر معالمه بصورة أكبر حينما يخطه غير المسلمين، ولا أدل على ذلك مما كتبه (غوستاف لوبون) في كتابه «حضارة العرب» معترفاً بعظيم أثر الإنسانية في شخصية النبي (ﷺ)، قائلاً: «وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وأخذ بعض العلماء الغرب ينصفون محمداً مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله. قال العلامة «بارتملي سنت هيلر»: «كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاء، وأشدهم تديناً وأعظمهم رافة، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، ونعدُّ دينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده جزيلاً النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته»<sup>(٢)</sup>.

١- ابن كثير: البداية والنهاية، ٤ / ٢٦٥؛ مختصر تاريخ دمشق، لجمال الدين ابن منظور الانصاري، ١ / ٦٧.

٢- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص: ١٢٠.

لقد غرس النبي (ﷺ) - في أصحابه - وهم في الحرب - أرق شمائل الإنسانية الرحيمة في السلم، فكان في حربه أوسع صدراً وأكثر رحمة وأبر بالأسرى والضعفاء، يحقن الدماء، ويقطع الطريق على الخصومة والشحناء.

ومن نتائج هذا البحث أن هذه الدراسة قد كشفت عن مدى التجديد والابتكار في معالجة قضايا الواقع الإنساني من خلال ما تضمنته السنة النبوية، من وجوه المعالجة لكافة الإشكاليات، بأسلوب علمي هادئ وهادف، على النحو الذي تتبناه جامعة الوصل بدبي، من خلال هذه الندوة الدولية المعنية بالسنة النبوية، جزى الله تعالى القائمين عليها خير الجزاء.

والبحث يوصي بجعل مخرجات هذه الندوة في إطار دولي بلغات متعددة؛ لتكون خير سفير عن السنة النبوية وأثرها في صياغة واقع العالم الإنساني تحت مظلة التراحم والتسامح، ليسود من جديد قانون: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى...»<sup>(١)</sup>، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (الباحث).

١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٦٦/٣) رقم: ٥٦٢٢.



## أهم المصادر والمراجع

## أولاً: القرآن الكريم وتفسيره:

- أحكام القرآن، لأبي بكر العربي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- التفسير الكبير، لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي (فخر الدين الرازي)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم الزمخشري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط: ١، ١٤٠٧ هـ.

## ثانياً: الحديث النبوي الشريف وشروحه:

- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تح الدكتور يحيى إسماعيل ط: ١، الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، نبيل سعد الدين سليم جرّار، القاهرة، أضواء السلف، ط: ١، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، القاهرة، مكتبة دار البيان، ط: ١، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م.
- حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن)، لأبي الحسن، نور الدين السندي، ط: ١، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م.

- سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، تخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، بدون طبعة.
- سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، مكة المكرمة مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- سنن الدارقطني لأبي الحسن علي الدارقطني، تخ: شعيب الارنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- السنن الصغير للبيهقي، تخ: عبد المعطي قلعجي، باكستان، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ط: ١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- السنن الكبير للبيهقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- سنن النسائي لأبي عبد الرحمن النسائي، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م.
- سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور، تخ، حبيب الرحمن الأعظمي، الهند، الدار السلفية - ط: ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- شرح سنن ابن ماجة لمحمد الأمين بن عبد الله بن يوسف البُوَيْطِي، جدة، دار: دار المنهاج، ط: ١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.
- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان، تخ: شعيب الأرنؤوط، ط: ٢، ١٤١٤ / ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري تخ: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تخ محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي، تخ: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تخ: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١١ - ١٩٩٠ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- مسند الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، المملكة العربية السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤١٢ هـ / ٢٠٠٠ م.
- مسند الشاميين، لأبي القاسم الطبراني، تخ: حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ م.
- المطالب العالیه بزوائد المسانید الثمانية، لابن حجر العسقلاني، مكة المكرمة، دار العاصمة، ط: ١، ١٤١٩ هـ.
- معالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، حلب، المطبعة العلمية، ط: ١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، د إحياء التراث العربي، ط: ٢، ١٣٩٢ هـ.
- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، لأبي الحسن نور الدين الهيثمي تحقيق: حسين أسد الدارني، دمشق، دار الثقافة العربية، ط: ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعي، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط: ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، بيروت، المكتبة العلمية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- نيل الأوطار، للشوكاني. تحقيق: عصام الدين الصبابي، الناشر: دار الحديث، مصر، ط: ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

### ثالثاً: كتب الفقه الإسلامي وأصوله، وقواعده:

- آثار الحرب، الأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلي، د. ت، د. ط.
- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن الماوردي، بيروت، دار الحديث - القاهرة، ط: ١، ١٩٧٣م.
- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، بيروت، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، ١٩٨٦م.
- الإعلام بقواعد القانون الدولي في شريعة الإسلام د. / أحمد أبو الوفا، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، القاهرة، دار الحديث بدون طبعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن مسعود الكاساني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- التاج والإكليل لمختصر خليل لأبي عبد الله المواق، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٤م.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط: ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية، ط: ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

- رد المحتر على الدر المختار، لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين، ط: ٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط: ١.
- شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات، الطبعة: بدون طبعة، ١٩٧١ م.
- شرح كتاب السير، لمحمد بن الحسن الشيباني، القاهرة، الشركة الشرقية للإعلانات، الطبعة: بدون طبعة، ١٩٧١ م.
- الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المستشار علي منصور، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥ م.
- الشيخ عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبها، ١٣٥٠ هـ
- العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- علم الدولة د. / أحمد وفيق، ط القاهرة ١٩٣٧ م.
- قانون الحرب في الإسلام أسبابه وأحكامه، د/ أحمد الداودي نيويورك، بلجريف مكميلان، ٢٠١١ م.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، لموفق الدين عبد الله بن قدامة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- المختصر الفقهي لابن عرفة، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- المستصفي، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

- النُّوادر والزيادات على ما في المدوَّنة من غيرها من الأمهات، لأبي محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي، تحقيق: الدكتور / محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩ م.

#### رابعاً: كتب التاريخ والتراجم والسير:

- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط: ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٧ هـ.
- حضارة العرب، غوستاف لوبون:، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢ م.
- الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، المحقق: الدكتور شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف القاهرة، ط: ٢، ١٤٠٣ هـ.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر البيهقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٥ هـ.
- السيرة النبوية، لعبد الملك ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، مصر، مطبعة الحلبي، ط: ٢، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لجمال الدين ابن منظور الانصاري، تخ: روحية النحاس، ط: ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤ م.
- المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي. بيروت، ط: ٣، ١٤٠٩ / ١٩٨٩.

#### خامساً: مصادر في القانون الدولي الإنساني:

- القانون الدولي الإنساني، اللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRIC) ديسمبر، ٢٠١٤ م.
- القانون الدولي الإنساني، وثائق وآراء، د/ عمر سعد الله، عمان، دار مجدولاي للنشر، ٢٠٠٢ م.

- القانون الدولي الإنساني في النزاعات المسلحة المعاصرة، إعداد/ عمر مكي - المنسق الإقليمي للقانون الدولي الإنساني بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، اللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRC).
- حماية ضحايا النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، د/ عبد الغني محمود، القاهرة، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ٢٠٠٠ م.
- مشكلات تمويل التنمية في البلاد المتخلفة، د/ حمدية زهران، دار النهضة العربية، ١٩٧٨ م.

القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر  
وأثرها في بناء مجتمع متكافل

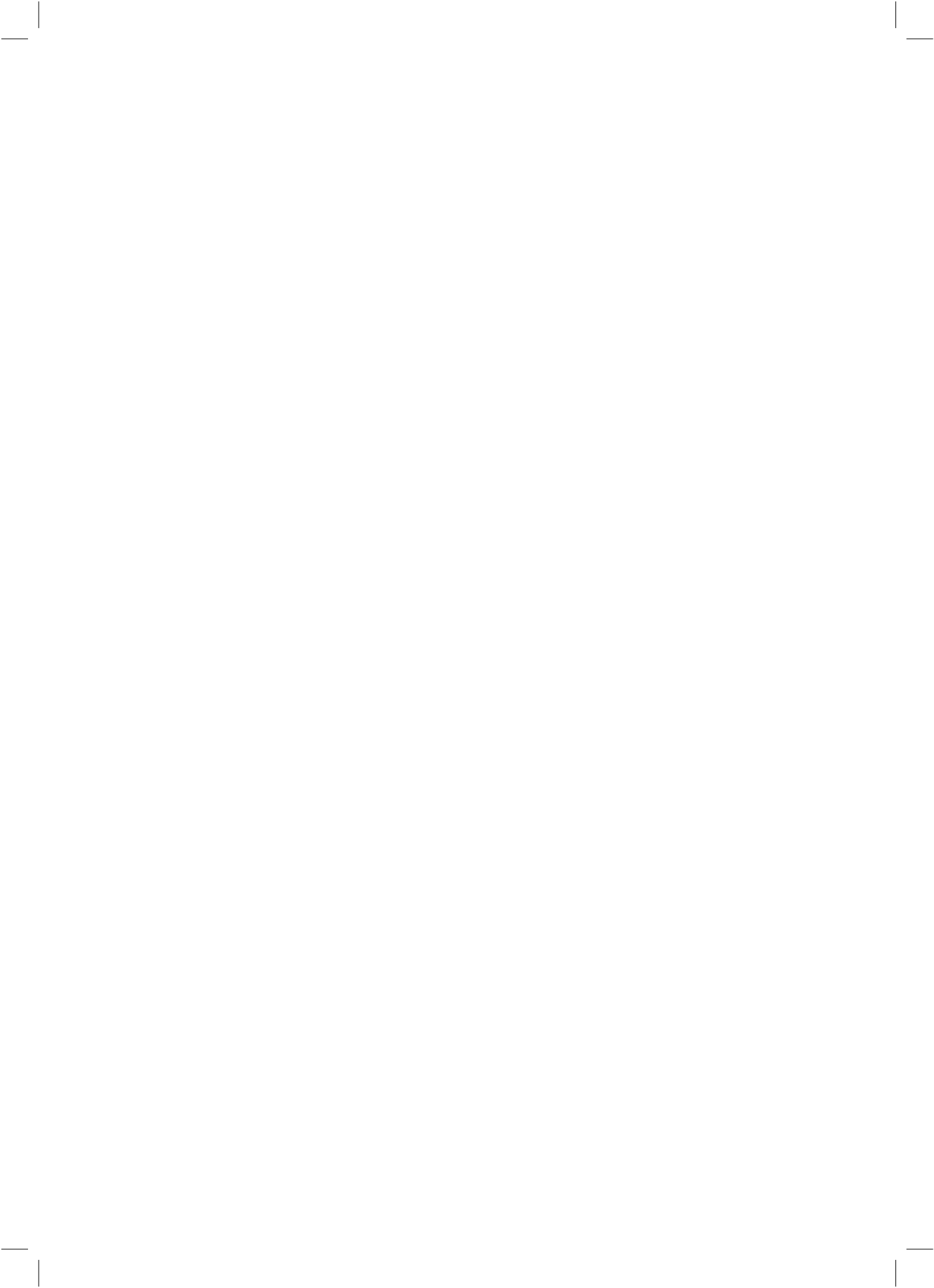
د. محمد ضاحي عبد الرؤف حافظ

دكتوراه في الدراسات الإسلامية

مصر

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.09>







## Abstract

The research aims to contribute to shedding light on the humanity of the Prophet's Sunnah in dealing with the insolvent, as this issue has an Islamic root in the Prophet's Sunnah, and is not a product of the present era. the insolvent, and this is not a waste of his dignity, and a digestion of his humanity; Rather, all of this is to preserve the rights of the debtors, and in it is a statement of the strength and greatness of our glorious Sharia, which possesses a strong arsenal of regulations, laws, and rulings that ensure the preservation of people's rights.

**Keywords:** Values, humanity, insolvent, society, solidarity, Prophetic Sunnah

## ملخص البحث

يهدف البحث إلى الإسهام في تسليط الضوء على إنسانية السنة النبوية في التعامل مع المعسر، فهذه القضية لها تأصيل إسلامي في السنة النبوية، وليست وليدة العصر الحاضر، فلقد اهتمت السنة النبوية بالاستراتيجيات التي تحقق الاستدامة التكافلية بين أبناء المجتمعات، فغرست في نفوس أتباعها التيسير على المدين المعسر، وهذا ليس إهدارا لكرامته، وهضما لإنسانيته؛ بل كل هذا حفاظا على حقوق الدانين، وفيه بيان على قوة وعظمة شريعتنا الغراء التي تملك ترسانة قوية من الأنظمة، والقوانين، والأحكام الكفيلة بحفظ حقوق الناس.

الكلمات المفتاحية: القيم، الإنسانية، المعسر، المجتمع، التكافل، السنة النبوية



## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،،،

فإن النظرة إلى الإسلام ينبغي أن تكون نظرةً شاملةً تقتضي معاينة أهدافه ووسائله ومقاصده، وبالتالي فإن معرفة المقاصد الشرعية تقودنا إلى تحقيق فهم أعمق للدين، ولعل من أبرز مقاصد الشريعة الإسلامية: تحقيق النفع العام للمجتمع المسلم؛ ذلك النفع القائم على التسامح والتعاقد والتكافل، بما يضمن المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد وفئة من المجتمع الإسلامي. والحديث عن المساواة هنا لا يلغي حقيقة التمايز والاختلاف الموجودة أصلاً، وفطرة وغريزة بين الجنسين أولاً، وبين فئات من الجنس الواحد طبقاً للطاقات والقدرات الذهنية والجسدية والنفسية والاقتصادية، وربما تكون التعاملات المالية من أكثر الوجوه التي تتجلى من خلالها القدرة على العطاء والتسامح.

فلقد جاء رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه بكل ما يحسن العلاقة بين الناس، ويعمق معاني التكافل النفسي والاجتماعي والاقتصادي، ولذلك تعددت وتنوعت وصاياه وتوجيهاته الكريمة التي تربي في الناس كل القيم الإنسانية الرفيعة، وتدفعهم إلى التحلي بمكارم الأخلاق، وتربي فيهم الرحمة بالفقراء، والرفق بالضعفاء، والتيسير على المعسر؛ لذا فقد اخترت أن يكون موضوع بحثي بعنوان: «القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل».

فقد حاول البحث إبراز قيمة الموضوع، وبيان أهميته، والتحذير من مغبة إهماله؛ لأن العسر غالباً لا ينفك عن الدين، ولما تعارف الناس على التعامل

بالديون؛ استفحلت ظاهرة العسر المالي في مختلف الشرائح الاجتماعية، و صارت من الخطورة بمكان؛ فتطرق البحث إلى دعوى العسر، ووسائل إثباته، و لم تغفل الشريعة الإسلامية عن هذا التعامل البشري فدعت إلى الرحمة بالمدين المعسر، و صون كرامته.

### أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

- ١- بيان عناية السنة النبوية بالمعسر ورعايته نفسياً ومادياً واجتماعياً.
- ٢- تقديم رؤية السنة النبوية في التعامل مع هذه القضية في ضوء الهدي النبوي.
- ٣- معالجة قضية لها صلة بواقعنا الذي نعيشه؛ لكثرة المعسرين في زماننا.
- ٤- بيان كيفية الاستفادة المجتمعية من هذه الشخصيات في ضوء العرض لأحاديث السنة النبوية.
- ٥- المساهمة من خلال هذا البحث في حل مشكلة اجتماعية تنذر بخطر جسيم يهدد مستقبل وأمن وحياة الفرد والمجتمع.

### ثانياً: منهج البحث:

لقد اعتمدت في بحثي على كل من المنهج الاستقرائي والتحليلي وهما كالتالي:

- ١- قمت باستقراء الأحاديث النبوية في بيان التعامل مع المعسر وبيان أوجه الرعاية اللازمة له وتحليل ذلك؛ لبيان الجوانب الإعجازية.
- ٢- قمت بتأصيل المفاهيم الأساسية للموضوع، وهي المعسر، والتكافل المجتمعي.
- ٣- اعتماد المصادر والمراجع الأصيلة في العزو.

- ٤- عزو الآيات إلى مواطنها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة، ورقم الآية.  
 ٥- تخريج الأحاديث النبوية من مراجعها الأصيلة، وبيان درجتها صحةً وضعفًا.  
 ثالثاً: الدراسات السابقة:

إنّ جزئيات موضوع البحث تطرّق إليها الفقهاء المتقدمون بصورة متفرقة ومتناثرة في كتب الحديث والتفسير والفقه، وغير ذلك في أبواب الحجر والتفليس، والرهن والقرض، والكفالة والقضاء، وهي بحاجة إلى ضم بعضها إلى بعض في دراسة معمّقة، والمكتبة الإسلامية غنية في هذا المجال، وقد حاولت جاهداً في المكتبات عساني أجد مثل موضوعي وهي: «القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل»، فلم أجد بحثاً مطابقاً له، وإنما وجدت دراسات معاصرة لها صلة بموضوع بحثي ومنها:

- ١- أحكام المعسر في الفقه الإسلامي، للدكتور عبد الله حسن الحديثي، رسالة دكتوراة، بحث فيه مؤلفه عن آثار المعسر في العبادات والمعاملات، والجنايات والسياسة الشرعية من الناحية الفقهية، مع بيان الرأي الراجح في كل مسألة؛ غير أنه لم يتعرض للمسائل المؤدية للمعسر والتي تتضمن بطريقة غير مباشرة علاجاً لمسألة المعسر، كما أنه لم يتعرض إلى بيان القيم الإنسانية في هذه الأحكام، وبيان السبق بمقارنتها بفلسفات وثقافات الآخرين.
- ٢- أثر الإعسار في العبادات دراسة مقارنة؛ للباحث محمد نصري، تناول فيها الإعسار في العبادات دون المعاملات كما يظهر من عنوانها، غير أنه لم يتعرض إلى بيان القيم الإنسانية في هذه الأحكام، وبيان السبق بمقارنتها بفلسفات الآخرين؛ لذا جاءت دراستي لتنفرد في هذا المجال ببيان القيم الإنسانية في أحكام الشريعة الإسلامية في التعامل مع المعسر، وبين أوجه

تميزها عن غيرها من شرائع وحضارات الآخرين.

ثالثا: خطة البحث:

جاء بحثي في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما التمهيد ففي التعريف ببعض مصطلحات البحث.

المبحث الأول: التعريف بالتعسير، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: العسر لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: معنى المعسر في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالمعسر.

المطلب الثالث: صور التعسير.

المطلب الرابع: أقوال السلف في شأن المعسر.

المطلب الخامس: المعسر في الشرائع الأخرى.

المبحث الثاني: ذم التعسير والنهي عنه في السنة النبوية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأحاديث التي تحذر من الإفراط في الاستدانة.

المطلب الثاني: الأحاديث التي تحث على التيسير على المعسرين.

المطلب الثالث: أحاديث في الفصل بين المعسرين ودائنيهم.

المبحث الثالث: معاملة المعسر في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وفيه

مطلبين:

المطلب الأول: المعسر بين الشريعة والقانون.

المطلب الثاني: الوسائل المعينة على ترك التعسير.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.



## تمهيد

## التعريف ببعض مصطلحات البحث

أولاً: القيم الإنسانية لغة واصطلاحاً:

١- القيم لغة: تعددت تعريفات القيم في اللغة، وإن كان جميعها يشير إلى الأمور الآتية: الثبات، والدوام والاستمرار، قيمة الشيء وثمرته، إعطاء الشيء وحقه، الاستقامة، الأمر المستقيم الذي لا زيغ فيه<sup>(١)</sup>، لذا كانت القيم مما يتمسك به.

٢- القيم اصطلاحاً: هناك عدة تعريفات في الاصطلاح للقيم، ومنها:

أ- معيار لمعرفة الصالح من الفاسد، وهي تختص بالحياة الإنسانية بالذات، ولا يعرفها الحيوان.

ب- صفات ومعاني قد تكون فكرية أو سلوكية، وهي ذاتية وثابتة ومطلقة، لا تتغير باختلاف من يصدر الحكم عليها<sup>(٢)</sup>

ومن ثمّ يمكن تعريف القيم الإنسانية على أنها الأخلاقيات والمبادئ السامية التي نشأ عليها الفرد، والتي تضع له القواعد الرئيسية لتعاملاته مع الآخرين، ولهذه القيم أثر عظيم على الأفراد، فهي تدعو لنشر المحبة والود بين أبناء المجتمع الواحد، وتحض على نبذ الشر والحق، والظلم والكرهية، وتدفع الفرد إلى المشاركة في الأعمال الخيرية والتطوعية، والوقوف بجانب الآخرين في السراء والضراء، وتدعو الفرد إلى الالتزام بحسن الخلق في تعاملاته مع البشر جميعهم دون تفرقة بينهم، على أساس الأصل أو الدين أو اللون أو العرق أو الجنس.

١- ابن منظور، لسان العرب، مادة قوم، فصل القاف، ١٢/٤٩٨، دار صادر، بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ) الهروي، تهذيب اللغة، (باب القاف والمين)، ٩/٢٦٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (٢٠٠١م)

٢- مانع بن محمد علي المنع، القيم بين الإسلام والغرب، ص١٥، ط١ (٢٠٠٥م)

إنّ للقيم الإنسانية مجموعة من الخصائص المستمدة من الإسلام؛ فهي تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، كما أنها تستمد من الأحكام الشرعية المتعلقة بالحلال والحرام، والمكروه والمندوب والمباح، فهي التي تحدد سلوكيات الإنسان في حياته.

وعليه فإن وجود القيم الإسلامية في المجتمع يُسهم في ارتباط المجتمع بالقرآن والسنة، كما يُحفز المسلم على مراعاة الآخرة في حياته، وللقيم دور في تقليل حدّة الخصومة والتوتر؛ لذا لا بدّ من تنمية القيم الإسلامية في المجتمع.

ثانياً: المجتمع المتكافل لغة واصطلاحاً:

#### ١- المجتمع لغة:

لفظة المجتمع مشتقة من الفعل: جمع، قال ابن فارس: «الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدل على تضام الشيء»<sup>(١)</sup>.

والجمع بمعنى: ضمُّ الشيء بعضه لبعض بعد تفرقة، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعاً، وجمعه وأجمعه فاجتمع، وتجمع واستجمع، ومن ذلك: المجموع، وهو الذي جمع من هاهنا وهاهنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وتجمع القوم: اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، والجماع: أخلاط من الناس، وقيل: هم الضروب المتفرقون من الناس<sup>(٢)</sup>.

وجماع الناس: أخلاطهم من قبائل شتى، ومن كل شيءٍ، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعضٍ يقال له: جماعٌ<sup>(٣)</sup> والمجتمع: موضع الاجتماع، والجماعة من الناس<sup>(٤)</sup>.

١- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (جمع) ١/ ٤٢٦، دار الفكر، ط (١٩٧٩م)

٢- ابن منظور، لسان العرب، مادة (جمع) فصل الجيم، ٨/ ٥٣

٣- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٩١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٢٠٠٥م)

٤- الزبيدي، تاج العروس، ٢٠/ ٤٥٤، دار الهداية، ط (د.ت)

## ٢- المجتمع اصطلاحاً:

وضع العلماء المختصون بعلم الاجتماع عدة تعريفات للمجتمع، وكلها تعريفات متشابهة ومتقاربة، من هذه التعريفات تعريف المجتمع بأنه: كل مجموعة أفراد تربطهم رابطةٌ ما، معروفةٌ لديهم، ولها أثرٌ دائمٌ أو مؤقتٌ في حياتهم، وفي علاقاتهم مع بعض<sup>(١)</sup>.

ويعرف المجتمع المسلم بأنه: خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون، تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعاتٍ إسلاميةٍ وأحكام، ويرعى شؤونهم ولاةٌ أمر منهم وحكام<sup>(٢)</sup>.

وعليه فإن المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل؛ فالإسلام يطالب كل قادرٍ على العمل أن يعمل، وأن يعان على عمله؛ ليكفي نفسه وأسرته، والناس متفاوتون، فمنهم العاجز الذي لا يقدر على العمل، ومنهم العاطل الذي لا يجد عملاً ولم يبادر المجتمع لتيسير عمل مناسب له، وفيهم العاملون الذين لا يكفيهم دخلهم لتحقيق معيشة إنسانية لا ثقة؛ لقلة الدخل، أو لكثرة العيال، أو لغلاء الأسعار، أو غير ذلك من الأسباب، والإسلام لم يترك هؤلاء للفقر ينهبهم والضياع يشتتهم، بل كفل لهم ما يعينهم على تكاليف الحياة.

١- علي عبد الواحد وافي، علم الاجتماع، ص١٦، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط(د.ت)

٢- حسن أبو غدة وآخرون، الإسلام وبناء المجتمع، ص٣، مكتبة الرشد ناشرون، ط(٢٠١٧م)

## المبحث الأول: التعريف بالإعسار

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإعسار لغة واصطلاحاً.

أولاً: الإعسار لغة: مصدر من الفعل أعسر: إذا أضاق وافتقر، والعسر: ضد اليسر، وهو الضيق، والشدة والصعوبة، والعسرة الاسم، وهي قلة ذات اليد، وكذلك الإعسار<sup>(١)</sup>.

قال صاحب العين: «المعسر - خلاف الموسر والعُسرة والمُعسرة والمعسرة والعُسرى - خلاف الميسرة، وأما العُسْرُ فخلاف اليسر عسر عسراً وعُسْرٌ فهو عسير وقد عسرته - ضيقت عليه، تعسر وتعاسر واستعسر - اشتد، وقيل المعسر - الفقير وقد أعسر - صار ذا عُسْرٍ والمعسور - خلاف الميسور واستعسرته - طلبت معسوره ومنه استعسار الغريم»<sup>(٢)</sup>.

وقال صاحب المعجم الوسيط: «(عسر) الأمر والزمان عسراً صعباً واشتدَّ فهو عسر، وفي التنزيل العزيز ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [سورة القمر، الآية: ٨] وَفَلَانَ تَصْعَبُ فِي الْأُمُورِ وَقَلَّتْ سَمَاحَتُهُ فِيهَا وَعَلَيْهِ الْأَمْرُ اخْتَلَطَ وَفَلَانَ كَانَ لَا يَعْمَلُ إِلَّا بِيَدِهِ الْيُسْرَى فَهُوَ أَعْسَرُ وَهِيَ عَسْرَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

إذن فالإعسار لغة مصدر عسر بمعنى افتقر، وأصل المعسر يدل على الصعوبة والشدة والضيق، والعسرة: تعسر وجود المال أو الإقلال منه، والعسر بالضم من الإعسار وهو الضيق، والمعسر: الذي يضغط على غريمه، والمعاصرة: ضد

- ١- ابن منظور، لسان العرب، مادة عسر، فصل العين، ٥٦٣/٤، دار صادر، بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ) الفيومي، المصباح المنير، مادة (عسر): ص ١٥٥، المكتبة العلمية، بيروت، ط (د.ت) البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع، ص ٢٥٥، مكتبة السوادبي، للتوزيع، ط١ (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)
- ٢- الفراهيدي، العين، ١/ ٣٢٧، باب (العين والسين والراء معهما)، دار الهلال، ط (د.ت)
- ٣- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ٢/ ٦٠٠، باب العين، ط (د.ت)

المياسرة، والتعاسر: ضد التياسر، والمعسور: ضد الميسور، وهما مصدران؛ وقال سيبويه: هما صفتان، ولا يجيء عنده المصدر على وزن مفعوله البتة<sup>(١)</sup>.

ثانيا: الإعسار اصطلاحا:

ذكر العلماء تعريفات متعددة للإعسار، وهي في حقيقتها لا تبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي الذي بيناه: الضيق والشدة وعدم المياسرة؛ منها:

١- المعسر: هو مسكين الزكاة<sup>(٢)</sup>

هذا التعريف ذكره عميرة في حاشيته على شرح المنهاج، ومن الملاحظ أنه قد جعل المعسر هو المسكين، وهو أحد الأصناف الثمانية الذين يستحقون الزكاة.

٢- المعسر: هو من زاد خرجه على دخله<sup>(٣)</sup>

يلاحظ أن هذا التعريف للمعسر جعل محوره هو الارتكاز على عدم كفاية المدخولات.

٣- المعسر: قال الإمام القرطبي: هي ضيق الحال من جهة عدم المال<sup>(٤)</sup>

فالمعسر عنده هو من لم يكن عنده مال، مما يؤدي به ذلك إلى الشدة والضيق.

ثالثا: الإعسار عند الفقهاء:

تعددت تعريفات الفقهاء للإعسار في العديد من أبواب الفقه، ولكنني لم

- ١- ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، فصل العين، ٥٦٥ / ٤، الرازي، مختار الصحاح: ٤٣١ / ١، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٥ (١٩٩٩م) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣٢١ / ٤، ط (١٩٧٩م) الأصفهاني، المفردات، ٣٣٤ / ١، ط ١ (١٤١٢هـ) الفيومي، المصباح المنير، ٥٥٩ / ٢
- ٢- عميرة، حاشية عميرة على شرح المنهاج، ٧٠ / ٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط (١٣٧٥هـ، ١٩٣٥م)
- ٣- المحلى، كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين، ٧٠ / ٤، تحقيق / محمود صالح أحمد، دار الكتاب، ط (١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)
- ٤- المصدر نفسه، ٧٠ / ٤

أقف على حد دقيق للإعسار عندهم، وإنما اكتفوا بإيراد بعض التعريفات العامة ومنها:

فالمعسر عند الحنفية: من عدم المال أصلاً<sup>(١)</sup>

وعند المالكية: هو الذي ليس عنده ما يباع<sup>(٢)</sup>

وعند الشافعية: «من لا يملك شيئاً من المال»<sup>(٣)</sup>

وعند الحنابلة: «من لا شيء له ولا يقدر على شيء»<sup>(٤)</sup>

فالناظر إلى هذه التعريفات يلاحظ عدم دقتها، وأن أقرب التعريفات في نظري هو تعريف الشافعية، لكن يلاحظ عليه أن معرفة المعسر متوقف على معرفة المفلس؛ لذا فقد اخترت تعريفاً أرى أنه الأنسب: «المعسر هو المدين الذي لا يملك فاضلاً عن حاجته» وأقصد بحاجته ما لا بد منه؛ ليعيش حياة كريمة.

المطلب الثاني: معنى العسر في القرآن الكريم:

ذُكرت كلمة العسر ومشتقاتها في كتاب الله في اثني عشر موضعاً:

١- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥].

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٠].

٣- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ

- 
- ١- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ٤/ ٣١٨، ط (د.ت)  
 ٢- الدسوقي المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٤/ ٢٣١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط (د.ت)  
 ٣- البكري، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ٤/ ٦٣، دار الفكر، ط (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)  
 ٤- المرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٢٤/ ٢٩٩، دار إحياء التراث العربي، ط (د.ت)

أَتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴿سورة التوبة، الآية: ١١٧﴾.

٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧٣].

٥- قوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢٦].

٦- قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة القمر، الآية: ٨].

٧- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَّ فَسُدُّعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٦].

٨- قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٧].

٩- قوله تعالى: ﴿فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [سورة المدثر، الآية: ٩].

١٠- قوله تعالى: ﴿فَسَتِيرُهُ لِّلْعَسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [سورة الليل، الآية: ١٠].

١١- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الشرح، الآية: ٥-٦].

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة يدرك تعلق معظم هذه الآيات بلفظة المعسر، وأن سياقها وموضوعها يتحدث عن ذلك، وإن كان أوثقها صلة هو الموضع الثاني قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٠].

قال ابن كثير: قوله ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨٠﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٠] يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاءً، فقال ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حلَّ عليه الدين: إمَّا أَنْ تَقْضِي وَإِمَّا أَنْ تُرَبِّي، ثمَّ يندب إلى الوضع عنه، ويعدُّ على ذلك الخير والثواب الجزيل، فقال ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٠] أي: وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالمعسر.

ذكرت فيما سبق أن العلماء يستعملون بعض الألفاظ للدلالة على المعسر؛ لذلك كان من تمام معرفة حد المعسر أن أبين أهم هذه الألفاظ؛ كالمفلس، والفقير؛  
أولاً: تعريف المفلس لغة واصطلاحاً وعلاقته بالمعسر:

١- المفلس لغة: أصل كلمة إفلاس من فِلس، والجمع فلوس، وأفلس الرجل إذا لم يبق له مال<sup>(٢)</sup>، وقال صاحب المعجم الوسيط: فلس من الشيء فلساً خلا منه وتجرد فهو فلس، ويُقال هو فلس من الخير، (أفلس) فلان: فقد ماله فأعسر بعد يسر فهو مفلس، مفلسون ومفالس وفلاناً طلبه فأخطأ موضعه، (فلس) القاضي فلانا حكم بإفلاسه، (الإفلاس) حالة تترتب على توقف التاجر عن الوفاء بديونه<sup>(٣)</sup>.

٢- في الاصطلاح: يطلق على معنيين: أحدهما: أن يستغرق الدين مال الدين، فلا يكون في ماله وفاء ديونه، والثاني: أن لا يكون له مال معلوم أصلاً<sup>(٤)</sup>.

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٧١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٩هـ)

٢- ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلس) فصل الفاء، ٦/١٦٦

٣- إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، باب الفاء، ٢/٧٠٠

٤- ابن قدامة، المغني، ٤/٤٩٣، مكتبة القاهرة، ط(د.ت)، ابن رشد، بداية المجتهد، ٢/٢٨٠، دار

الحديث، القاهرة، ط(٢٠٠٤م) الدكتور سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، ١/٢٩٠، ط٢ (١٩٨٨م).



وعلى هذه التعريفات فهناك علاقة بين الإفلاس والإعسار؛ إذ أن كل مفلس معسر، وليس العكس، فالإفلاس إعسار وزيادة، ولا يكون إفلاس من غير إعسار.

ثانياً: تعريف الفقير لغة واصطلاحاً وعلاقته بالمعسر:

١- الفقير لغة: يدور مفهوم الفقر في اللغة حول الحاجة والعوز، فالفقير هو المحتاج، وهو ضد الغنى، والفقير: مكسور فقار الظهر، وهو مشتق من انفقار الظهر أي: انكسار فقاره، فكأن الفقير مكسور الظهر من شدة حاجته، والفقير الذي له ما يأكل، والمسكين من لا شيء له<sup>(١)</sup>.

٢- الفقير اصطلاحاً: وقد اختلف العلماء في معنى الفقر، وحده الذي يجيز الأخذ من الصدقة، وحد الغنى الذي لا يجوز معه الأخذ منها على عدة أقوال:

١- هو الذي لا يجد ما يقع كفايته<sup>(٢)</sup>

٢- الفقير: هو الذي لا مال له<sup>(٣)</sup>

وعليه فإن المعسر فقير وزيادة، فكل معسر فقير، وليس كل فقير معسر؛ لأنه قد يكون فقيراً ولكن ليس ملزماً بأي حق من الحقوق التي تجعله يعسر تجاه الوفاء به.

إذن فالإفلاس هو أعلى درجات الإعسار، والفقر هو بداية الإعسار.

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٣، الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ٦/ ٤١٥، دار العلم

للملايين، بيروت، ط٤ (١٩٨٧م)

٢- المرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٣/ ٢١٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ (د.ت)

٣- الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ٦/ ١٥١، ط (١٩٨٤م)

## المطلب الرابع: صور التعسير: للتعسير صور كثيرة:

أولاً: المعسر في العبادات، وله صور كثيرة منها:

١- في الصلاة من الثابت البدء بالطهارة بالماء، فإذا لم يجد الماء أو وجده لكنه لا يستطيع أن يستعمله لمرض أو خوف فيحق له عند ذلك أن ينتقل إلى التراب، وهذا ليس ما نقصده هنا؛ أما ما نقصده هو من وجد الماء يباع ولكنه أعسر بتمنه، فما حكمه؟ اختلف فيه على أقوال:

القول الأول: لم يلزمه أن يشتريه وله أن يتيمم ويصلي، وهذا مذهب الجمهور<sup>(١)</sup> بيد أن الإمام الحسن البصري في قول له: يجب عليه أن يشتريه ولو بكل ماله؛ مستدلاً بأن هذه تجارة رابحة؛ لأنه اشترى شيئاً يتوصل به للعبادة، وما دامت تجارة رابحة فلا مانع من شرائها ولو بماله كله، والمقصود بالتجارة الربحة: الصلاة<sup>(٢)</sup>.

بيد أننا نجيب على ما ذهب إليه الإمام الحسن البصري بأن هذه العبادة يمكن أن يتوصل إليه بطريق شرعي آخر، ألا وهو التيمم وما ينفق في سبيل شراء الماء ينفق في باب آخر من أبواب الخير.

٢- المعسر في فدية الصيام: فإذا أعسر من وجبت عليه فدية الصيام فهل تسقط أم تبقى في ذمته؟ على قولين:

١- الشيخ صالح عبد السميع الأبوي الأزهرى، جواهر الإكليل، ١/ ٢٧، تحقيق / محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط(د.ت)، الخطاب الرعياني، مواهب الجليل، ١/ ١٠٠، ط(د.ت)، ابن عرفة، حاشية الدسوقي، ١/ ١٣٤، ط(د.ت)، الكاساني، بدائع الصنائع، ١/ ٤٨، دار الكتب العلمية، ط(١٩٨٦م)، ابن مودود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ١/ ٢٦، دار الكتب العلمية، ط(١٩٣٧م)، الماوردي، الحاوي الكبير، ١/ ٣٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١٩٩٩م)، الشافعي، الأم، ٢/ ٤٦، دار المعرفة، بيروت، ط(١٩٩٠م) ابن قدامة، المغني، ١/ ٢٤، مكتبة القاهرة، ط(د.ت)، ابن حزم، المحلى، ٢/ ٣٦، ط(د.ت).

٢- الكاساني، بدائع الصنائع، ١/ ٤٨، ابن حزم، المحلى، ٢/ ١٣٦.

القول الأول: من أعسر في الفدية فإنها مستقرة في ذمته، وأنه مطالب بها، ومتى أيسر أخرجها؛ لأنه حق مالي لله عز وجل إذا عجز منه العبد وقت الوجوب ثبت في ذمته<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: من عجز عن الفدية سقطت عنه ويستغفر الله<sup>(٢)</sup>.

بيد أن القول الأول هو الراجح؛ لما صحح من حديث الذي وقع على امرأته في نهار رمضان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْآخَرَ وَقَعَ عَلَى امْرَأَتِهِ فِي رَمَضَانَ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «أَتَجِدُ مَا تَحْرُرُ رَقَبَةً؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «أَفَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «أَفَتَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مُسْكِينًا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ وَهُوَ الزَّنْبِيلُ فَقَالَ: «أَطْعِمْ هَذَا عَنْكَ». فَقَالَ: مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتِ أَحْوَجَ مِنَّا، قَالَ: فَأَطْعِمَ أَهْلَكَ<sup>(٣)</sup>.

٣- التّعسير على المدين عند تأخره عن قضاء الدين - لعدم مقدرته - وعدم إنظاره، ويخرج من هذه الصورة: أن يكون المدين قادرًا على الإعطاء، ومع ذلك يمتنع عن دفع دينه، فيجوز للدائن عندئذ شكايته لولي الأمر - أو من ينوب عنه - لأخذ ماله عنوة، لذا قال صلى الله عليه وسلم: «مطل الغنيّ ظلم<sup>(٤)</sup>».

- ١- الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، ١/ ٤٣٩، دار الكتب العلمية، ط١ (١٩٩٤م)، الشيرازي، المهذب، ١/ ١٨٥، دار الكتب العلمية، ط (د.ت)، ابن قدامة، المغني، ٣/ ١٥
- ٢- ابن الهمام، فتح القدير، ٢/ ٨٢، ط (د.ت)، ابن مودود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ١/ ١٧٧، الشرنبلالي، مراقي الفلاح، ١٧٦، المكتبة العصرية، ط١ (٢٠٠٥م)
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب المجامع في رمضان، ٣/ ٣٢، برقم (١٩٣٧)
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحوالات، باب إذا حال علي ملى فليس له رد، ٣/ ٩٤، برقم (٢٢٨٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب تحريم مطل الغني، ٣/ ١١٩٧، برقم (١٥٦٤) (متفق عليه)

٤- التعسير في النفقة، وهي تضيق الرجل على أهله في النفقة، ولها حالتان:

أولاً: إذا كان هذا بغير اختياره فلا شيء عليه، كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنهَآ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۗ﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٧].

ثانياً: إذا كان هذا باختياره - مع قدرته على الإنفاق عليهم بما يسد حاجتهم - فيحرم عليه، كما قال تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٨].

ويمكن إضافة صور أخرى من صور التعسير:

- التّعسير مع الأجير: بعدم إعطائه حقه كاملاً، أو ببخسه.

- التّعسير على من أراد النكاح بالمغلاة في مهور النكاح، بل واشتراط بعض الشروط الخارجة عن المهر: كحجز قاعة لإقامة العرس، وغيره مما يدفع الشباب للزعوف عن النكاح.

المطلب الرابع: أقوال السلف في شأن المعسر

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلةً، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كُلْ. قال: فإني صائمٌ. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصلياً، فقال له سلمان: إن ربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم: صدق سلمان<sup>(١)</sup>.

كان أبو موسى يشدد في البول، ويبول في قارورة، ويقول: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول، قرضه بالمقاريض، فقال حذيفة: «لوددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد، فلقد رأيتني أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نتماشى، فأتى سباطة خلف حائط، فقام كما يقوم أحدكم، فبال، فانتبذت منه، فأشار إلي فجئت، فقامت عند عقبه حتى فرغ<sup>(٢)</sup>.

عن الحسن قال: «إن هذا الدين دينٌ واصل، وإنه من لا يصبر عليه يدعه، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، وكان يقال: ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق، فإنه لا يدري ما قدر أجله، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف، وكلف نفسه ما لا يطيق، أو شك أن يسبب ذلك كله، حتى لعله لا يقيم الفريضة، وإذا ركب بنفسه التيسير والتخفيف، وكلف نفسه ما تطيق كان أكيس أو قال: كان أكثر العاملين، وأمنعها من هذا العدو وكان يقال: شر السير الحقة<sup>(٣)</sup>.

قال الضحاک: «من كان ذا عُسرة فنظرة إلى ميسرة، وكذلك كل دين على المسلم، فلا يحل لمسلم له دين على أخيه - يعلم منه عُسرة - أن يسجنه، ولا يطلبه حتى يسره الله عليه<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن القيم: «لما ذكر شيئاً من مكائد الشيطان، قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيها ظفر، وقد اقتطع أكثر الناس - إلا القليل - في هذين

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ٣٨/٣، برقم (١٩٦٨)

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، ١/٢٨٣، برقم (٢٧٣)

٣- ابن المبارك، الزهد والرفائق، ١٣٣٠، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (د.ت)، الحقة: شدة السير (ينظر، لسان العرب لابن منظور ١٠/٥٧.

٤- السيوطي، الدر المنثور، ١١٣/٢، ط (د.ت)

الواديين: وادي التَّقْصِير، ووادي المِجَاوِزَة وَالتَّعَدِّي. وَالْقَلِيل مِنْهُمْ الثَّابِت عَلَى الصَّرَاطِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الخامس: المعسر في الشرائع الأخرى

لما تعارف الناس على التعامل بالديون؛ استفحلت ظاهرة العسر المالي في مختلف الشرائع الاجتماعية، وصارت من الخطورة بمكان؛ حيث استغلها بعض المحتالين الذين يتسترون خلف العسر للهروب و التملص من أداء ديونهم، و الحقوق التي عليهم، و لم تغفل الشريعة الإسلامية عن هذا التعامل البشري فدعت إلى الرحمة بالمدين المعسر، و صون كرامته، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٠].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، و من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا و الآخرة، و من ستر مسلما ستره الله في الدنيا و الآخرة، و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(٢)</sup>. و لم تجعل للدائنين سلطانا على شخصه، لا بحبسه، و لا ببيعه؛ خلافا للقوانين الأوروبية القديمة الجائرة، التي أهالت التراب على المعايير الأخلاقية، و القيم الإنسانية.

إن الناظر في شرائع من قبلنا والحضارات الأخرى يجد:

١- بيع المعسر واسترقاقه في الدين إذا لم يكن له وفاء، قال الإمام ابن عاشور: «وقد قيل: إن ذلك كان حكما في الجاهلية وهو حكم قديم في الأمم؛ كان من حكم المصريين، ففي القرآن الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَخِيذَ»

١- ابن القيم، إغاثة اللهنان، ١/ ١١٦، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١ (١٤٣٢هـ)

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٤/ ٢٠٧٤، برقم (٢٦٩٩)

أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴿ [سورة يوسف، جزء من الآية: ٧٦] وكان في شريعة الرومان استرقاق المدين، وأحسب أن في شريعة التوراة قريبا من هذا، وروي أنه كان في صدر الإسلام، ولم يثبت<sup>(١)</sup>.

وقد كانت بعض النظم القانونية القديمة تبيح للدائن حق استرقاق المدين، وتملكه وإجباره على العمل لديه حتى يستوفي منه حقه، بل إن للدائن قتل مدينه وتمزيق جسده، وفي حالة تعدد الدائنين كان لهم تقاسم الثمن وتمزيق جسد المدين بمقدار الدين<sup>(٢)</sup>.

وفي المقابل، أجازت الشريعة الاسلامية الحجر على المدين المعسر، الذي لديه قسط معتبر من المال لا يفي بتسديد ديونه، وهذا ليس إهدارا لكرامته، و هضما لإنسانيته؛ بل كل هذا حفاظا على حقوق الدائنين، و تبرئته من دينه في أقرب فرصة ممكنة، وإذا كان المدين معسرا معدما لا يملك شيئا؛ لم تجز الحجر عليه، و لم تر في حبسه فائدة، بل أمرت بالتصدق عليه، و إمهاله حتى يتيسر أمره، إضافة أنها ضمنت للمدين المعسر الحد الأدنى من المعيشة، من النفقة، و المسكن، و الملابس، له و من هم تحت ولايته و رعايته؛ من زوجة، و أولاد، و لم تمنعه من ممارسة حقوقه الشخصية و المدنية كالزواج، و الطلاق.

وهذا بيان على قوة و عظمة شريعتنا الغراء التي تملك ترسانة قوية من الأنظمة، و القوانين، و الأحكام الكفيلة بحفظ حقوق الناس، و ما يكفل حقوق الدائنين، و صيانة كرامة المدينين لا سيما المعسرين، فقد كانت الشريعة الإسلامية من أهم المصادر التي اعتمد عليها واضعوا القوانين الحديثة؛ لأنهم اعترفوا بأن الشريعة الإسلامية زاخرة بأحكام المدين المعسر قبل أن تعرف أوروبا، و العالم كله قوانين الإعسار.

١- الإمام ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣/٩٦، الدار التونسية للنشر، تونس، ط (١٩٨٤ م)

٢- العكيلي عزيز، أحكام الإفلاس في القانون، ص ٢٣، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط (١٩٨٧ م)

٢- منع المدين المعسر من التصرف في أمواله، و تجويز مطالبته بالدين باستثناء الوالدين، كما أنه يحرم من ممارسة حرياته المالية؛ فلا يبيع، ولا يشتري، ولا يتصدق، ولا يهب، ولا يسافر بعد أن تستغرق الديون أمواله، و كل عقد؛ سواء أكان معاوضة أو تبرع، أبرمه مع غيره بعد الحجر عليه فهو عقد باطل، أو معرض للإبطال إذا لم يرض الدائنون بالمعاملة التي ينشئها المدين المعسر مع غيره.

بينما منحت الشريعة الإسلامية الصلاحية للقاضي، أو الحاكم صلاحية إجبار المدين المعسر على العمل و التكسب، و إلزامه بقبول الهبة، أو الهدية، أو الصدقة؛ لأن قبولها فيه مصلحة، تتمثل في تبرئته من دينه، وذلك مما لا معرفة فيه على المدين.

ومن ثم فيجب الدعوة الى تنوير القوانين - التي تحكم المسلمين بأحكام الشريعة الإسلامية الصالحة للتطبيق في كل زمان و مكان.

المبحث الثاني: ذم التعسير والنهي عنه في السنة النبوية وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأحاديث التي تحذر من الإفراط في الاستدانة:

١- الاستعاذة من الدين:

أ- عن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرته أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو في الصلاة: «... اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله، من المغرم؟ فقال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، و وعد فأخلف»<sup>(١)</sup>.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، ١/ ١٦٦، برقم (٨٣٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ١/ ٤١٢، برقم (٥٨٩) (متفق عليه)



ب- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

فالاستعاذة من الدين سنة نبوية؛ لأن المديونيات لها تأثير كبير على الأخلاقيات، نتيجة للضغوط التي يعاني المعسر ويلاتها، فيفقد صوابه في الكثير من التصرفات.

## ٢- تعليم الصحابة المعسرين للأدعية التي تخلصهم من العسر والدين:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: «يَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟»، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي، وَدِيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا أَعَلَّمْتُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قَلْتَهُ أَذْهَبَ عَزٌّ وَجَلَّ هَمٌّ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنُكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ، وَقَهْرِ الرَّجَالِ»<sup>(٢)</sup>.

والمأمل في هذه الأحاديث يلاحظ حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تخلص صحابته المعسرين من ديونهم، فكان يرشدهم إلى الأدعية التي تخلصهم من هذه الأعباء الضخمة التي تثقل كاهل المتعثرين عن سداد ديونهم.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب الحيس، ٧/٧٦، برقم (٥٤٢٥)

٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب في الاستعاذة، ٢/٦٥١، برقم (١٥٥٥) إسناده ضعيف. غسان بن عرف المازني قال الحافظ: لين الحديث، وقال الذهبي: ليس بالقوي، وضعفه الساجي والأزدي، وقال العقيلي: لا يتابع على كثير من حديثه. الجريري: هو سعيد بن إياس، وأبو نضرة: هر المنذر بن مالك العبدي

٣- إباحة عقد السلم<sup>(١)</sup>:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُسَلِّفُونَ بِالْتَّمْرِ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلَاثَ، فَقَالَ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ، فَفِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ»<sup>(٢)</sup>.

فالأصل في السنة النبوية جواز الاستدانة، وقد مارسها النبي صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والفعلية؛ حيث ثبت أنه اشترى طعاما من يهودي إلى أجل؛ عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، وَارْتَهَنَ مِنْهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ»<sup>(٣)</sup>، وفي المقابل أن أمعنا النظر في النصوص النبوية الأخرى نجد أنه تحذر من المديونيات التي تؤدي إلى العسر.

## ٤- اعتبار الدين من المعاصي العظيمة:

رَوَى أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَلْقَاهَا بِهَا عَبْدٌ بَعْدَ الْكِبَائِرِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، أَنْ يَمُوتَ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، لَا يَدْعُ لَهُ قَضَاءً»<sup>(٤)</sup>.

فالمدين الذي يأخذ أموال غيره دون معرفة بإمكانياته في السداد؛ يقع في ظلم غيره؛ بسبب عسره وعدم وفائه بأموال الآخرين، ويعتبر داخلا في ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup>.

- ١- السلم لغة: يأتي بمعنى الإعطاء والتسليف والترك، واصطلاحا: بيع موصوف في الذمة ببدل يعطى عاجلا، (ينظر: نزيه حماد، معجم المصطلحات، ص ٢٤٨)
- ٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب السلم، باب السلم في كيل معلوم، ٨٥ / ٣، برقم (٢٢٣٩)
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب السلم، باب الرهن في السلم، ٨٦ / ٣، برقم (٢٢٥٢)
- ٤- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب التشديد في الدين، ٢٤٦ / ٣، برقم (٣٣٤٢)، قال المناوي: رواه أبو داود في البيوع ولم يضعفه (كشف المناهج والتنقيح في تخريج أحاديث المصايح، ٥٢٠ / ٢)
- ٥- أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ١١٥ / ٣، برقم (٢٣٨٧)

## ٥- يعدل النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث بين الدين والكفر:

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالدِّينِ» قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْدِلُ الدِّينَ بِالْكَفْرِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ»<sup>(١)</sup>.

وهذا أمر خطير يحذر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من الديون، والاستهانة بها، والتفريط في آدائها.

## ٦- التخويف من أمر الدين بعدم الصلاة على من مات مدينا:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - قَالَ: (تُوْفِّي رَجُلٌ فغَسَلْنَاهُ وَحَنَطْنَاهُ وَكَفَّنَاهُ، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ بِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: تُصَلِّي عَلَيْهِ؟، «فَخَطَا خَطِي ثُمَّ قَالَ: أَعَلَيْهِ دَيْنٌ؟»، قُلْنَا: دَيْنَارَانِ) (قَالَ: «أَتَرَكَ لَهُمَا وَفَاءً؟»، قَالُوا: لَا) (قَالَ: «فَصَلُّوا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) (فَإِنَّ عَلَيْهِ دَيْنًا)) (فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ - رضي الله عنه -: هُمَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ) (أَنَا أَتَكْفُلُ بِهِ) (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «بِالْوَفَاءِ؟»، قَالَ: بِالْوَفَاءِ) (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «أَحَقَّ الْغَرِيمُ وَبَرِيٌّ مِنْهُمَا الْمَيْتُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، «فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ: مَا فَعَلَ الدِّينَارَانِ؟»، فَقَالَ: إِنَّمَا مَاتَ أَمْسٌ، فَعَادَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: لَقَدْ قَضَيْتَهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «الآنَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ»<sup>(٢)</sup>.

فهذا كله للتحذير من الاستهانة بالاستدانة من الآخرين دون دراسة الضخص لإمكانياته في السداد، وإرجاع أموال الناس وعدم أكلها بالباطل، واستمر هذا

١- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الدين، ٢٦٤ / ٨، برقم (٥٤٧٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، ٤٣٣ / ١٧، برقم (١١٣٣٣) وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ٧١٤ / ١، برقم (١٩٤٩)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

٢- أخرجه أحمد في مسنده، ٤٠٦ / ٢٣، برقم (١٤٥٣٦) إسناده حسن من أجل عبد الله بن محمد بن عقيل، فإنه يعتبر به في المتابعات والشواهد فيحسن حديثه، وباقى رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح

التشديد في النهي عن الصلاة على من مات مدينا حتى امتن الله على المسلمين بالفتوحات فنسخ الحكم السابق؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدِّينَ، فَيَسْأَلُ: «هل ترك لدينه فضلاً؟». فإن حدث أنه ترك لدينه وفاءً صلى، وإلا قال للمسلمين: «صلُّوا على صاحبكم»، فلما فتح الله عليه الفتوح؛ قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن تُوفِّي من المؤمنين، فترك ديناً ولم يترك وفاءً؛ فعلي قضاؤه، ومن ترك مالا؛ فلورثته»<sup>(١)</sup>.

فقد غلب اليسر العسر، وما كان امتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المدين المعسر في بداية الدعوة إلا تحفيز للمدينين على أداء الديون.

#### ٧- الدِّين يمنع من دخول الجنة:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا نَزَّلَ مِنَ التَّشْدِيدِ؟ فَسَكَّنَا وَفَزَعَنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، سَأَلْتُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نَزَّلَ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ ثُمَّ أَحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَقْضَى عَنْهُ دِينُهُ»<sup>(٢)</sup>.

فهذا أمر خطير أن يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم مشكلة الدين الكثير مانعة من دخول الجنة، حتى لو كان المعسر شهيدا وحصل على شرف الشهادة في سبيل الله مرات عديدة.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب الدِّين، ٣/ ٩٧، برقم (٢٢٩٨)، وأخرجه مسلم في

صحيحه، كتاب الطلاق، باب من ترك مالا فلورثته، ٣/ ١٢٣٧، برقم (١٦١٩)

٢- أخرجه النسائي في سننه، كتاب البيوع، باب التغليظ في الدين، ٦/ ٨٧، برقم (٦٢٣٧)، قال ابن الأثير:

وإسناده حسن، (ابن الأثير، جامع الأصول، ٤/ ٤٦٤)

## المطلب الثاني: الأحاديث التي تحث على التيسير على المعسرين .

جاءت الكثير من الأحاديث النبوية لترغيب الناس في التيسير على المعسرين؛ لينالوا الجزاء الأخروي الذي أعده الله لهؤلاء الميسرين؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم يعد الميسرين على المعسرين باستجابة الدعاء في الدنيا، والفوز في الآخرة، ومن ذلك:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(١)</sup>.

فياله من بشارة وجزاء وفير لمن بادر بهذا الترغيب النبوي في التيسير على أصحاب الديون، وإمهالهم لحين مقدرتهم على السداد.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا». قَالَ: «فَلَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

فالتجاوز والتجاوز معناهما: المسامحة في الاقتضاء، والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير، والمتأمل هنا يجد من المبشرات ما يحفز الكثير من الميسرين للتيسير على المعسرين؛ لينالوا هذا الجزاء الكبير بالفوز في الدارين، وهو ما يؤيد حديث حذيفة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِّنْ كَانَ قَبْلُكُمْ، فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرَ، قَالَ: كُنْتُ أَدَايِنُ النَّاسَ فَأَمَرُ فِتْيَانِي أَنْ يَنْظُرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، ١٤ / ٣٢٩، برقم (٨٧١١)، إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير داود بن قيس - وهو الفراء - فمن رجال مسلم.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب فضل إنظار المعسر، ٣ / ١١٩٦، برقم (١٥٦٢)

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ<sup>(١)</sup>، كما يدخل في التجاوز: الإنظار، والوضيعة، وحسن التقاضي.

٣- عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدِّينُ، فَإِذَا حَلَّ الدِّينُ فَأَنْظَرَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيماً لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

فهذا حديث في فضل التنفيس عن المعسرين؛ قال النووي (ت ٦٧٦هـ) شارحاً: «ومعنى ينفس: أي يمد ويؤخر المطالبة، وقيل معناه: يفرج عنه»<sup>(٤)</sup>.

وقد ورد بهذا المعنى في أحاديث كثيرة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا - فَأَوْمَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ -: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»<sup>(٥)</sup> وعن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من

- ١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب فضل إنظار المعسر، ٣/ ١١٩٤، برقم (١٥٦٠)
- ٢- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣٨/ ١٥٣، برقم (٢٣٠٤٦)، قال الهيثمي: " رجاله رجال الصحيح ينظر الهيثمي، مجمع الزوائد، ٤/ ١٣٥
- ٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب فضل إنظار المعسر، ٣/ ١١٩٦، برقم (١٥٦٣)
- ٤- النووي، شرح النووي على مسلم، ١٠/ ٢٧
- ٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٥/ ١٤٩، برقم (٣٠١٥)، وقال محققه: والحديث ضعيف جداً نوح بن جَعُونَةَ لا يعرف بجرح ولا تعديل، ولم يروعه غير عبد الله بن يزيد المقرئ، فهو في عداد المجاهيل، وقال الذهبي في "الميزان" ٤/ ٢٧٥: أجوز أن يكون نوح بن أبي مريم، أتى بخبر منكر، ثم أشار إلى هذا الحديث من "مسند الشهاب" (٧٤٥) من طريق ابن أبي ميسرة، عن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثم قال: فالآفة نوح. وأقره ابن حجر في "لسان الميزان" ٦/ ١٧٣ في تسمية نوح، وقال: هو نوح بن أبي مريم بعينه، فإن اسم أبي مريم يزيد بن جَعُونَةَ، جزم بذلك ابن حبان، وترجمته (يعني: نوح بن أبي مريم) مستوفاة في التهذيب وقد أجمعوا على تكذيبه.

أنظر معسرا إلى ميسرته أنظره الله عز وجل بذنبه إلى توبته»<sup>(١)</sup>.

وفيه أنه يوفقه للتوبة، قال ابن العربي: هذا إذا أنظره من نفسه لا بأمر الحاكم، فإن رفعه حتى أثبت له ثواب<sup>(٢)</sup>.

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مَعْسِرًا، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(٣)</sup>.

٦- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ تَسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ، وَأَنْ تُكْشَفَ كُرْبَتُهُ، فَلْيُفْرَجْ عَنْ مَعْسِرٍ»<sup>(٤)</sup>.

فالمأمل يلاحظ شيوع مصطلح العسر ذي الدلالة المادية في السنة النبوية، كما إنه يامعان النظر في هذه النصوص الشرعية المباركة يدرك أن معنى العسر ظرف طارئ، ووصف عارض يحل بالمدين.

المطلب الثالث: أحاديث في الفصل بين المعسرين ودائنيهم.

لاشك بأن العسر من أكبر الهموم والأزمات في حياة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لذا أطلعنا كتب السنة بالكثير من الأحاديث التي توّسط فيها بين المدين المعسر والدائن، ومنها:

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجَهًّا، وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا، وَأَسْمَحِهِمْ كَفًّا، فَادَانَ دَيْنًا كَثِيرًا، فَلَزِمَهُ غُرْمَاؤُهُ حَتَّى تَغَيَّبَ عَنْهُمْ أَيَّامًا

١- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٣٥٦/٢، برقم (٢٢١٧) وقال: لَا يُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ الصَّدَاقِيُّ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: وَفِيهِ الْحَكْمُ بْنُ الْجَارُودِ؛ ضَعَفَهُ الْأَزْدِيُّ. وَشَيْخُ الْحَكْمِ، وَشَيْخُ شَيْخِهِ لَمْ أَعْرِفْهُمَا (ينظر، الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٤/١٣٥)

٢- الكحلاني، محمد بن إسماعيل، التنوير شرح الجامع الصغير، ١٠/١٥١  
٣- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب أبواب الصدقات، باب إنظار المعسر، ٣/٤٩٢، برقم (٢٤١٧)، وقال محققه: إسناده صحيح.

٤- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣٨٣/٤، برقم (٤٧٤٩) وسنده ضعيف، ففي هذا السند زيد العمي وهو زيد بن الحواري، وهو ضعيف (الكشي، المنتخب من مسند عبد بن حميد، ٢/٤٨)

فِي بَيْتِهِ، حَتَّى اسْتَادَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُرْمَاؤُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ، فَجَاءَهُ وَمَعَهُ غُرْمَاؤُهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خُذْ لَنَا حَقَّنَا مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ»، قَالَ: فَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ نَاسٌ، وَأَبَى آخَرُونَ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خُذْ لَنَا بِحَقَّنَا مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْبِرْ لَهُمْ يَا مُعَاذُ»، قَالَ: فَخَلَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَالِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى غُرْمَائِهِ، فَاقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ، فَأَصَابَهُمْ خَمْسَةٌ أَسْبَاعَ حُقُوقِهِمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعْهُ لَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلُّوا عَنْهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ»<sup>(١)</sup>.

والناظر بإمعان هذا الحديث يجده تضمن أصول المحاكمة المدنية العادلة، فحثهم الرسول صلى الله عليه وسلم على التصديق عليه، ولم يجبرهم على مسامحة مدينهم، وهذا هو العدل.

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي ثَمَارِ ابْتِاعَهَا، فَكَثُرَ دَيْنُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ، فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِ»، فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِرُغْمَائِهِ: «خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث يدل على أن الرجل الذي اشترى الثمار وقع في عسرة، ولما كان لا يملك وفاء دينه؛ حث النبي صلى الله عليه وسلم على التصديق عليه؛ حتى يكون له مال يقسمه على الدائنين.

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَدَرٍ دَيْنًا

١- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب التفليس، باب لا يؤاجر الجر في دين عليه ولا يلازم إذا لم يوجد له شيء، ٦/ ٨٣، برقم (١١٢٧١)، وقال البيهقي: تفرّد ببعض ألفاظه الواقي.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب استحباب الوضوع من الدين، ٣/ ١١٩١، برقم (١٥٥٦)



كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَرْنَفَعْتُ أَصْوَاتَهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سَجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا» وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشُّطْرِ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُمْ فَاقْضِهِ<sup>(١)</sup>.

وهذا نموذج آخر يحكي لنا كيف تدخل النبي صلى الله عليه وسلم مصلحا بين الدائن ومدينه، وهي نماذج واقعية تشير إلى حيوية السنة النبوية في التعامل مع الواقع المعيشي.

### المبحث الثالث: معاملة المعسر في

#### الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وفيه

#### المطلب الأول: المعسر بين الشريعة والقانون

عالجت التشريعات في النظم القانونية المختلفة الأحوال التي تنجم عن توقف المدين أو عجزه عن سداد ديونه الناشئة عن تعاملاته مع التجار والمنشآت التجارية، والتزاماته الأخرى التي تجمعها مع دائنيه الآخرين، حيث تنبعت تلك النظم القانونية على اختلاف نظرتها في معالجة مشكلة الإحجام عن السداد أو عدم القدرة عليه.

توجهت تلك التشريعات عند مواجهتها للمعسرين إلى الأخذ على يد المدين والتشدد معه من أجل سداد ديونه بأسرع وقت، وقد كانت بعض النظم القانونية القديمة تبيح للدائن حق استرقاق المدين، وتملكه وإجباره على العمل لديه حتى يستوفي منه حقه، بل إن للدائن قتل مدينه وتمزيق جسده، وفي حالة تعدد الدائنين

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التقاضي والملازمة في المسجد، ١ / ٩٩، برقم (٤٥٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب استحباب الوضع من الدين، ٣ / ١١٩٢، برقم (١٥٥٨)

كان لهم تقاسم الثمن وتمزيق جسد المدين بمقدار الدين<sup>(١)</sup>.

وبعدما دخلت المجتمعات في التطور والرقى تحولت نظرة التشريعات إلى حصر التعامل مع المدين في ماله فقط للوصول إلى تحقق الوفاء وسداد ما غرمه، حيث عمدت التشريعات المختلفة إلى إرساء فكرة التصفية الجماعية لممتلكات المدين وأمواله وما يلزم عند إجرائها من وجود وكيل عن التفليسة من أجل نقل أموال المدين ووضعها بحيازة نائب عنه يتولى إدارتها وبيعها والتصرف بشأنها بمعرفة القضاء لتوزيع أثمانها على الدائنين كل حسب نصيبه من الدين<sup>(٢)</sup>.

غير أن الشريعة لما كانت حائثة على العمل وطلب الرزق والتجارة، فإنها جاءت بالقواعد التي تحكم الناس في معاملاتهم والتوسعة عليهم في تنوع صور التمويل والإقراض لبطء وبث الرخاء بين الأفراد من أجل تحقيق رسالة الإنسان في إعمار الأرض. إلا أن الشريعة الإسلامية اعتنت في الوقت ذاته بحكم علاقة المدين بالدائن من أجل ضمان الحقوق واستقرار المعاملات في المجتمع عن طريق نظرة عامة غير جزئية لقضايا الدين والاقتراض على ضبط أموره والمبادرة إلى قضاء دينه والتشديد في ذلك لما ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

ولم تكن معالجة الفقه الإسلامي المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية قائمة على الترغيب والترهيب بنزعة مثالية أخلاقية فقط، بل إنها جاءت متوازنة الطرح، وفق رؤية ذاتية خاصة بها؛ حيث أخذت بالحزم مع المدين الموسر، وبينت أن (لي

١- العكيلي عزيز، أحكام الإفلاس في القانون، ص ٢٣، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط ١ (١٩٨٧م)

٢- د/ خالد عبد العزيز الرويس، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، ص ٢٠٨

٣- سبق تخريجه، ص ١٥

الواجد يحل عقوبته وعرضه<sup>(١)</sup> كما جاءت قواعد الشريعة بإمهال المدين المعسر وجعلت ذلك من باب التصدق عليه؛ لإبقاء العلاقة بين الدائن والمدين في إطارها الاجتماعي قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُوْعُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٠] وحضت قواعد الشريعة على أن من أنظر معسراً أو وضع عنه يسر الله عليه في الدنيا والآخرة (ومن سرّه أن ينجبه الله من كرب يوم الآخرة فلينفس عن معسر أو يضع عنه) كما أن قواعد الشريعة الإسلامية من جهة أخرى جعلت عند تعاملها مع حالات التعامل مع المعسر مصرفاً من مصارف الزكاة يكون للغارمين. إن المعسر - في الإسلام - لا يطارد من صاحب الدين، أو من القانون والمحاكم. إنما ينظر حتى يوسر..

ثم إن المجتمع المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين. فالله يدعو صاحب الدين أن يتصدق بدينه - إن تطوع بهذا الخير. وهو خير لنفسه كما هو خير للمدين. وهو خير للجماعة كلها ولحياتها المتكافلة. لو كان يعلم ما يعلمه الله من سريرة هذا الأمر! ذلك أن إبطال الربا يفقد شرطاً كبيراً من حكمته إذا كان الدائن سيروح يضايق المدين، ويضيق عليه الخناق. وهو معسر لا يملك السداد. فهنا كان الأمر - في صورة شرط وجواب - بالانتظار حتى يوسر ويقدر على الوفاء. وكان بجانبه التحبيب في التصدق بالدين كله أو بعضه عند الإعسار.

على أن النصوص الأخرى تجعل لهذا المدين المعسر حظاً من مصارف الزكاة، ليؤدي دينه، وييسر حياته.

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب لصاحب الحق مقال، ٣/١١٨، (٢٤٠١)

## المطلب الثاني: الوسائل المعينة على ترك التعسير.

بعد عرض هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ينبغي وضع بعض الوسائل التي تكون معينا نابعا للمعسر للتخلص من عسرته ومنها:

١- يجب معرفة أن البعد عن التعسير فائدة للطرفين:

فالأول سلمت له أخلاقه، فلم تصبه لوثة من الأخلاق الرديئة، والثاني ربما يرتدع ويعرف أن ما هو واقع فيه من التعسير والتشدد أمر مذموم. فيجب معرفة المرء للمكاسب التي سيجنحها الميسر، في الأجلين القريب والبعيد، كما يجب أن يتعرف على المضار التي قد يتسبب فيها بتعسيره وتشديده على غيره من الناس.

٢- يجب علينا أن نقوم بتربية الأبناء على التيسير في الأمور:

فتربية الأبناء على التيسير على الآخرين والسهولة في المعاملة، وإنظار المعسرين، وبهذا ينشئ الناشئ على هذا الخلق، ومن ثم يصبح سجية له وطبعاً. فزرع الأخلاق الحميدة واجب لتقوية الإيمان، فهي سبب لترك جميع الأخلاق السيئة، فمن قوي إيمانه اتصف بما هو أهل له من أخلاق المؤمنين، وترك ما يخالفها، وعليه يتعلم الناشئ أن يعامل المرء غيره بما يحب أن يعاملوه به، فهو لا يرضى أن يعسر أحدٌ عليه في أي جانب من جوانب حياته، فعليه أن يعامل الناس بالتيسير؛ لأن التّعسير على الناس قد يحملهم على نيل شهواتهم في الحرام بعدما حُرِّموا في الحلال.

وهنا أتساءل سؤالا مهما للذين يرفضون التيسير على المعسرين هل السجن أفضل حل للمعسرين؟<sup>(١)</sup>

وأجيب عليه بما أعدته لجنة في المجلس الوطني الاتحادي بدولة الإمارات

١- جريدة الرياض العدد (١٤٥٤٦) الصادر بتاريخ الإثنين ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ، ٢١ أبريل ٢٠٠٨م

العربية المتحدة تقريراً عن تفاقم مشكلة تعثر سداد القروض، وهو من أحسن التقارير عن الموضوع إذ اعتمد أسلوباً شمولياً للتوصل إلى حلول جذرية للمشكلة.

وقد لفت نظري ما أشار إليه التقرير من أن هناك نحو عشرة آلاف شخص في دولة الإمارات في المحاكم أو السجون من جراء تبعات هذه المشكلة، ويهمني هنا على وجه الخصوص من يتم سجنهم بسبب تعثر السداد، وهو تقليد نأخذه كإحدى المسلّمات في منطقتنا لكنه في الحقيقة لا يتفق مع ما استقر عليه القانون الدولي منذ فترة. ومع أن التقرير لم يدع إلى إلغاء سجن المدينين، إلا أنه قدم اقتراحات مفيدة للتقليل من الحاجة إليه.

ومن المفارقات أن «سجن المدينين» في الحقيقة اختراع أوروبي، إلا أن الغرب تخلى عن ذلك الأسلوب منذ فترة طويلة، في حين ما زالت الدول النامية تعتمد عليه كوسيلة أساسية لحل مشكلة تعثر السداد، وذلك بالضغط على المدين عن طريق حبسه لكي يأتي هو بحلول مقبولة أو يُعاقب ضمناً على عدم قدرته على ذلك، في حين أن الحلول الأخرى تتطلب جهداً كبيراً من جانب الأجهزة التنفيذية وقوانين مفصلة، وإجراءات فنية وقضائية عديدة للتعامل مع المشكلة.

تخلت الدول الغربية تدريجياً عن سجن المدينين؛ لأنه ليس أفضل الحلول لتسهيل سداد الديون، نظراً للتكلفة الاقتصادية الباهظة من جراء إبقاء عشرات الآلاف مقيدى الحرية ومعدومي النشاط الاقتصادي خلال فترة سجنهم، فضلاً عن الأضرار التي يُحدثها للمدين وأسرته مما يفوق أي فوائد يمكن تحقيقها للدائن. وصدر أول قانون في الولايات المتحدة يحد من استخدامه في عام ١٨٣٣ م، إلى أن تم إلغاؤه نهائياً، وصدر قانون في بريطانيا في عام ١٨٦٩ م يمنع سجن المعسرين، ثم تم إلغاء سجن المدينين بشكل عام. وبالطبع لا زال من الممكن قانونياً حبس

المدين المليء في حالات معينة كالنصب والاحتيال، ورفض دفع نفقة الأطفال والزوجة المطلقة، إنما يتم ذلك بقرار من المحكمة في حالات استثنائية.

وقد تم تضمين هذا التوجه في القانون الدولي إذ نص الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية الصادر عام ١٩٦٩م على عدم جواز السجن بسبب عدم الوفاء بالالتزامات التعاقدية. وحيث صادقت جميع دول العالم تقريباً على الميثاق فإن هذا المبدأ قد أصبح عرفاً دولياً ملزماً، مما يعني أن علينا البحث عن وسائل أخرى غير السجن لحل مشكلة تعثر السداد، وهناك وسائل كثيرة مجرّبة تتبعها الدول الصناعية، وهي وسائل أكثر صعوبة وتعقيداً، ولكنها تحقق الغرض من حماية حقوق الدائنين دون إحداث أضرار جسيمة بالمدين وأفراد أسرته من جهة وبالاقتصاد من جهة تعطيل الآلاف من المدينين عن العمل والإنتاج نتيجة حجزهم.<sup>(١)</sup>

وأضيف إلى هذا بعض الوسائل المحفزة على ترك التعسير والذي يجب أن تحتذي بعض الدول بهذا النموذج المثالي؛ وهو ما تقوم به صحة دبي بدولة الإمارات العربية الشقيقة؛ فهي تقوم بعلاج المعسرین ببطاقات تأمين مجانية بطاقة زايد للتأمين الصحي<sup>(٢)</sup>، وهي بطاقة صحية مجانية توفر باقة متنوعة من الخدمات الطبية للمرضى المعسرین، والحالات غير القادرة على كلفة العلاج، وذلك بالتعاون مع مجموعة مختارة من شركات التأمين، ضمن محور الأعمال والمبادرات الإنسانية، التي رصدتها الهيئة في أجندة الاحتفاء بـ«عام زايد»؛ للتركيز على الجانبين الإنساني والخيري.

وهي وسيلة طيبة قد تدفع بعض الذين يرفضون التيسير على المعسرین إلى التخلق بخلق التسامح واللين والرفق في تعاملهم مع من تعسر في أداء ما عليه.

١- جريدة الرياض العدد (١٤٥٤٦) الصادر بتاريخ الإثنين ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ، ٢١ أبريل ٢٠٠٨م

٢- جريدة الإمارات اليوم، بتاريخ ٢٠ ديسمبر، ٢٠١٨م

## الخاتمة

وتشتمل على

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث:

- ١- بيان قوة وعظمة شريعتنا الغراء التي تملك ترسانة قوية من الأنظمة، والقوانين، والأحكام الكفيلة بحفظ حقوق الناس، وما يكفل حقوق الدائنين، و صيانة كرامة المدينين لا سيما المعسرين.
- ٢- الشريعة الإسلامية من أهم المصادر التي اعتمد عليها واضعوا القوانين الحديثة؛ لأنهم اعترفوا بأن الشريعة الإسلامية زاخرة بأحكام المدين المعسر قبل أن تعرف أوروبا، والعالم كله قوانين لحل مشكلة الإعسار.
- ٣- منحت الشريعة الإسلامية صلاحية إجبار المدين المعسر على العمل و التكسب، والزامه بقبول الهبة، أو الهدية، أو الصدقة؛ لأن قبولها فيه مصلحة، تتمثل في تبرئته من دينه، و ذلك مما لا مذمة فيه على المدين.
- ٤- الدعوة الى تنوير القوانين - التي تحكم المسلمين إلى امثال أحكام الشريعة الإسلامية الصالحة للتطبيق في كل زمان و مكان.
- ٥- استفحلت ظاهرة العسر المالي في مختلف الشرائح الاجتماعية، وصارت من الخطورة بمكان؛ حيث استغلها بعض المحتالين الذين يتسترون خلف العسر للهروب من أداء ديونهم، و الحقوق التي عليهم، ولم تغفل الشريعة الإسلامية عن هذا التعامل البشري، فدعت إلى الرحمة بالمدين المعسر، و صون كرامته، ولم تجعل للدائنين سلطاناً على شخصه، لا بحبسه، ولا ببيعه؛ خلافاً للقوانين الأوروبية القديمة الجائرة، التي تغافلت المعايير الأخلاقية، و القيم الإنسانية.

٦- جاءت السنة النبوية بكل ما يهذب سلوكنا ويحرك نوازح الخير بداخلنا لنفيد أنفسنا، ويعم خيرنا على كل المحيطين بنا، فتنحسّن علاقاتنا بهم، وتتضاعف أواصر الثقة والمحبة والتعاون والتضامن في ما بيننا؛ فنجد في الكثير من الأحاديث النبوية القيم والوصايا والتوجيهات الأخلاقية، والاجتماعية والفكرية التي تربط الأخلاق بالإيمان وتمازج بين العقيدة والعمل، وتعمق علاقة الدنيا بالآخرة.

٧- التيسير على المعسر منه ما هو فرض ومنه ما هو مندوب؛ فالفرض هو الإنظار، أي: تأجيل الدين لحين ميسرة، والمندوب هو إسقاط الدين عن المعسر، ومن روائع التشريع الإسلامي أن المندوب هناله أجر أكبر عند الله من الفرض.

ثانياً: أهم التوصيات:

- ١- إنشاء هيئة مستقلة في كل دولة تتولى مسؤولية مشكلات المعسر، ووضع الحلول التي تناسب معها بما يضمن حق الدائن والمدين.
- ٢- تقوم وزارة الصحة في كل بلد من البلدان بإصدار بطاقات تأمين صحية واجتماعية لمساعدة هذه الفئة التي ليست بالقليلة في المجتمعات المعاصرة.
- ٣- إصدار القوانين المنبثقة من شريعتنا الإسلامية لمعالجة مشاكل المعسر، معالجة جذرية.



## المصادر والمراجع

- أحكام الإفلاس في القانون، العكيلى عزيز، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت، ط١ (١٩٨٧ م).
- الاختيار لتعليل المختار، ابن مودود الموصلى، دار الكتب العلمىة، ط (١٩٣٧ م).
- الإسلام وبناء المجتمع، حسن أبو غُدَّة وآخرون، مكتبة الرشد ناشرون، ط (٢٠١٧ م).
- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، البكرى، ط١ (١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م).
- إغائة للهفان، ابن القيم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١ (١٤٣٢ هـ).
- الأم، للشافعى، دار المعرفة، بيروت، ط (١٩٩٠ م).
- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف، المرادوى، دار إحياء التراث العربى، ط (د.ت).
- بداية المجتهد، ابن رشد، دار الحديث، القاهرة، ط (٢٠٠٤ م).
- تاج اللغة وصحاح العربىة، الجوهرى، دار العلم للملاىين، بيروت، ط٤ (١٩٨٧ م).
- التحرير والتنوير، الإمام ابن عاشور، الدار التونسىة للنشر، تونس، ط (١٩٨٤ م).
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثر، دار الكتب العلمىة، بيروت، ط١ (١٤١٩ هـ).
- تهذيب اللغة، الهروى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط١ (٢٠٠١ م).
- جامع الأصول فى أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق / عبد القادر الأرنبوط، مكتبة دار البيان، ط (د.ت).
- الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، للإمام البخارى، تحقيق / محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١ (١٤٢٢ هـ).
- جريدة الرياض العدد (١٤٥٤٦) الصادر بتاريخ الإثنين ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ، ٢١ أبريل ٢٠٠٨ م).
- جواهر الإكليل، صالح عبد السميع الآبى الأزهرى، تحقيق / محمد عبد العزيز الخالدى، دار الكتب العلمىة، ط (د.ت).

- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي المالكي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط (د.ت).
- حاشية عميرة على شرح المنهاج، عميرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط (١٣٧٥هـ، ١٩٣٥م).
- الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١٩٩٩م).
- الدر المنثور، السيوطي، ط (د.ت).
- رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، ط (د.ت).
- الزهد والرقائق، ابن المبارك، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (د.ت).
- سنن ابن ماجة، لابن ماجة، دار الرسالة العلمية، ط (٢٠٠٩م).
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط (د.ت).
- سنن الترمذي، للإمام الترمذي، تحقيق / أحمد محمد شاکر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م).
- السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق / محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣ (٢٠٠٣م).
- شرح النووي على مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣ (١٣٩٢هـ).
- علم الاجتماع، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط (د.ت).
- العين، الفراهيدي، دار الهلال، ط (د.ت).
- فتح القدير، ابن الهمام، ط (د.ت).
- القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ط ٢ (١٩٨٨م).
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨ (٢٠٠٥م).

- القيم بين الإسلام والغرب، مانع بن محمد علي المانع، ط١ (٢٠٠٥ م).
- كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين، المحلى، تحقيق / محمود صالح أحمد، دار الكتاب، ط (١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣ م).
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٢ (١٤١٤ هـ).
- لسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢ (١٩٧١ م).
- المجتبى من السنن، للإمام النسائي، ط٢، (١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، تحقيق / حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط (١٩٩٤ م).
- المحلى، ابن حزم، ط (د.ت).
- مختار الصحاح، الرازي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥ (١٩٩٩ م).
- مراقبي الفلاح شرح متن نور الإيضاح، الشرنبلالي، المكتبة العصرية، ط١ (٢٠٠٥ م).
- المستدرک علی الصحیحین، للإمام الحاكم، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م).
- مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق / أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، (١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م).
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (د.ت).
- المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ط (د.ت).
- المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي، مكتبة السوادى، للتوزيع، ط١ (١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م).
- المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ط (د.ت).
- معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيه حماد، الدار الشامية، ط (١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م).
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، باب العين، ط (د.ت).

- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ط (١٩٧٩ م).
- مغني المحتاج، الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، ط (١٩٩٤ م).
- المغني، لابن قدامة، مكتبة القاهرة، ط (د.ت).
- المفردات، الأصفهاني، ط (١٤١٢ هـ).
- المهذب، الشيرازي، دار الكتب العلمية، ط (د.ت).
- مواهب الجليل، الخطاب الرعيني، ط (٣ د.ت).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق / علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط (د.ت).
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي، ط (١٩٨٤ م).



# إنسانية اليتيم في السنة النبوية دلالات إعجازية

**د. محمود ضاحي عبد الرؤف حافظ**  
عضو المراكز الثقافية بديوان عام وزارة الأوقاف المصرية

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.10>





## Abstract

Islamic Sharia took care of the orphan in all aspects of his life, so it urged full attention to the orphan, and this concern included three main aspects: (caring for the orphan financially - caring for the orphan socially - caring for the orphan psychologically).

Likewise, the Islamic law has given the aspect of the rights of the orphan great attention in the two sources of revelation, so the solid evidence in the Qur'an and Sunnah came to clarify and confirm the rights of the orphan.

The Islamic law is the only source that guarantees all human rights, including the orphan's right to life, and it is unique in this regard from others, as the constitutional laws approve articles and legislate articles, but they do not apply that on the ground of reality, because these texts or these articles contain their content on human distinction. And racism, which Islam erased and endorsed equality and justice among all segments of society.

**Keywords:** Humanity, the orphan, Prophetic Sunnah, significance, miracle

## ملخص البحث

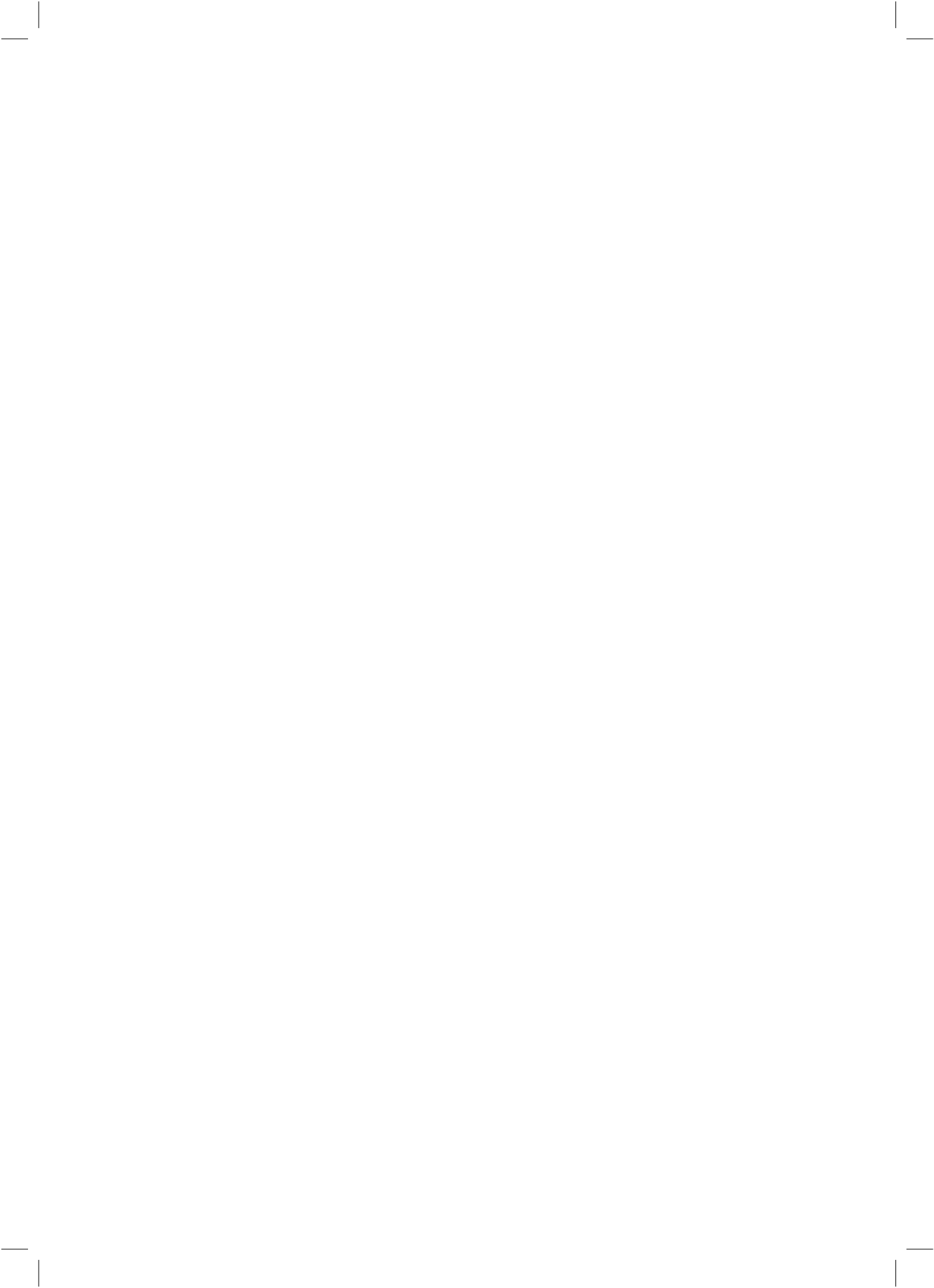
اهتمت الشريعة الإسلامية باليتيم في جميع جوانب حياته، فحثت على الاهتمام الكامل لليتيم واشتملت هذه الاهتمام على ثلاثة جوانب رئيسية: (الاهتمام باليتيم مالياً - الاهتمام باليتيم اجتماعياً - الاهتمام باليتيم نفسياً).

وكذلك فقد أولت الشريعة الإسلامية جانب حقوق اليتيم اهتماماً كبيراً في مصدرَي الوحي، فجاءت الأدلة الراسخة في القرآن والسنة تبين وتؤكد على حقوق اليتيم.

والشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد الضامن لجميع حقوق الإنسان، والتي منها حق اليتيم في الحياة، وانفردت بذلك عن غيرها، إذ إن القوانين الدستورية تقر بنوداً وتشرع مواداً، ولكنها لا تطبق ذلك على أرض الواقع، لأن هذه النصوص أو هذه المواد يحتوي مضمونها على التمييز الإنساني والعنصرية التي محاها الإسلام وأقر المساواة والعدل بين جميع أطراف المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية، اليتيم، السنة النبوية، دلالة، إعجاز





## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد،،،

فقد سبقت السنة النبوية كافة المنظمات والمؤسسات المجتمعية التي تولي إهتمامها في العناية باليتيم، إذ وضع تشريعات بضوابط لتحافظ على حقوقه من الضياع، وجعلها قابلة للتطبيق العملي، فهي ليست قرارات تقال في الاجتماعات وتكون مستحيلة التطبيق، بل هي تشريعات إلهية وتعليمات نبوية، إذ بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن اليتيم لا يدل على الدونية، بل اليتيم ابتلاء وقد ابتلى الله به بعض الأنبياء والرسل - عليهم السلام -، ورغب القرآن والكريم والسنة المطهرة في الاعتناء باليتيم لأنه إنسان ناله التكريم الإلهي، ومن الممكن أن يكون اليتيم إضافة عظيمة للمجتمع، فلو تمت سياسته ومعالجة أموره كما جاء في الهدى النبوي الكريم، لاستطاع أن يقدم أفضل مالمديه لهذه المجتمعات.

فاليتيم طفل برئ يشعر بنقص وضعف لفقد والده، ويزداد معاناته وإحساسه بالضعف حين يجد نفسه وحيداً بمفرده وقد تخلى عنه فئات المجتمع، لذا فقد اشتدت عناية النبي - صلى الله عليه وسلم - به؛ لمحاولة تعويضه عن جزء من الرعاية التي فقدها، لينشأ نشأة سليمة صحية متوازنة كغيره من الأطفال.

وبالنظر إلى العصر الذي نعيش فيه يعد الحديث في هذا الموضوع من الأهمية بمكان، حيث كثرت فيه أعداد اليتامى لأسباب عديدة منها: انتشار الموت الجماعي؛ إما بسبب الحروب، أو بسبب الحوادث والكوارث الطبيعية والصناعية ونحوها، فلا يكاد يخلو مجتمع من هذه الظاهرة التي تفشت في زماننا هذا بكثرة.

كما أن هناك فئة من اليتامى تسمى باليتيم الحكمي وهي نسبة كبيرة لا يستهان بها في المجتمعات، لم يعطها البعض اهتماماً مع أن إهمالها وعدم معالجة مشكلاتها يعرض المجتمع جميعاً إلى الزعر والاضطراب.

لذا أردنا الكشف عن الوجه الإعجازي في الهدى النبوي في التعامل مع اليتيم بشتى أنواعه حتى يعرف الجميع بأن الحقائق الكبرى في التعامل مع هذه القضية إنما يستمد من التوجهات الإسلامية النبوية التي هي صورة من صور الوحي الإلهي؛ لذا فقد اخترت أن يكون موضوع بحثي بعنوان: «إنسانية اليتيم في السنة النبوية دلالات إعجازية»

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

- ١- بيان عناية السنة النبوية باليتيم ورعايته نفسياً ومادياً واجتماعياً.
- ٢- تقديم رؤية السنة النبوية في التعامل مع هذه القضية في ضوء الهدى النبوي.
- ٣- الكشف عن الدلالات الإعجازية في نصوص الأحاديث النبوية.
- ٤- بيان كيفية الاستفادة المجتمعية من هذه الشخصيات في ضوء العرض لأحاديث السنة النبوية.
- ٥- المساهمة من خلال هذا البحث في حل مشكلة اجتماعية تنذر بخطر جسيم يهدد مستقبل وأمن وحياة الفرد والمجتمع.

ثانياً: منهج البحث:

لقد اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي والتحليلي لعرض المعاناة، وتحليل أسبابها، ووضع حلول لمعالجة هذه المشكلات الاجتماعية، ف جاءت طريقتي في البحث كالتالي:

- ١- قمت باستقراء الأحاديث النبوية عن اليتيم وبيان أوجه الرعاية اللازمة له، وتحليل ذلك لبيان الجوانب الإعجازية التي انفرد بها الهدي النبوي عن غيره من المنظمات العالمية المعني بجانب حقوق الإنسان.
- ٢- قمت بتأصيل المفاهيم الأساسية للموضوع، وهي اليتيم، والسنة، والإعجاز.
- ٣- اعتماد المصادر والمراجع الأصيلة في العزو.
- ٤- عزو الآيات إلى مواطنها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة، ورقم الآية.
- ٥- تخريج الأحاديث النبوية من مراجعها الأصيلة، تخريجاً مختصراً وفق الضوابط الحديثة المعاصرة.

### ثالثاً: الدراسات السابقة:

لا شك أن هناك الكثير من الدراسات السابقة في موضوع اليتيم ورعاية الإسلام له، وقد أفدت من بعض تلك الدراسات، وكلها دراسات جمعت بين القرآن الكريم والسنة النبوية؛ بيد أنني في دراستي هذه اقتصرت على استجلاء دور السنة النبوية في معالجة هذا الموضوع، ومنها:

#### ١- العناية باليتيم في ضوء القرآن الكريم/د/فريدة محمد أحمد الغامدي.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

الفصل الأول: تناول تعريف اليتيم وثواب الإحسان إليه وكفالاته.

الفصل الثاني: تناول جوانب العناية باليتيم.

#### ٢- حقوق اليتيم في الشريعة الإسلامية/عمر بن مانع حماد الجهني.

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: تناول مفهوم حق اليتيم وبيان سنه.

الفصل الثاني: تناول عناية الشريعة الإسلامية بحقوق اليتيم في القرآن والسنة.

الفصل الثالث: تناول ما أقره التشريع الإسلامي وما أقره ميثاق حقوق الطفل العالمي من حقوق اليتيم.

٣- اليتيم محمد رسول الله والذين معه/عبد الحميد جودة البحار.

تناول الكتاب سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - اليتيم، منذ الولادة وحتى المبعث.

٤- معاملة اليتيم في ضوء الكتاب والسنة دراسة موضوعية/فايزة حامد علي الحارثي.

تكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: يتحدث عن تأصيل مفهوم اليتيم ومعالجة شؤونه.

الفصل الثاني: يتحدث عن العناية النفسية لليتيم ومكانته وجزاء كافلة

الفصل الثالث: يتحدث عن العناية الاجتماعية تجاه اليتيم والترغيب في الإحسان إليه والترهيب والزجر عن الإساءة إليه أو التعدي على حقوقه

الفصل الرابع: يتحدث عن العناية بأموال اليتيم ودقة الضوابط التي لا يمكن أن تكون من صنع البشر والتي وضعها الخالق للعناية بأموال اليتامى واستثمارها.

الفصل الخامس: كيفية الاجراءات التي يتسلم فيها اليتامى أموالهم من حيث الاختبار قبل التسليم، وإيناس الرشد، والتأكد من حسن التصرف.

وأما بحثي فهذا فهو يتناول جانب من جوانب العلوم الشرعية وهي السنة النبوية المطهرة ليتحدث عن إنسانية اليتيم، وهو ما خلقت منه الدراسات السابقة، وقسمته إلى مواضيع متكاملة مترابطة ليستفيد منها القارئ ويعم بها النفع، وكذلك وضحت فيه أنواع اليتيم الحكمي توضيحاً شافياً عاجلت فيه بعض المشاكل التي تتعرض لها هذه الفئة من الأيتام، ووضحت آثار إهمال اليتيم، ووضعت عدة مقترحات للاهتمام بفئة الأيتام واستغلالها في بناء المجتمع بدل أن تكون هذه الفئة محل خطر على المجتمع بآثره، فإذا تم دمجها في المجتمع استفاد المجتمع بآثره من سواعد هذه الفئة، وهذا ما انفرد به بحثي عما سبقه.

### إنسانية اليتيم في السنة النبوية دلالات إعجازية

#### خطة البحث

تكونت خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فاشتملت على: الحمد على الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسباب اختيار الموضوع، منهج البحث، الدراسات السابقة.

التمهيد: احتوى على التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المبحث الأول: اليتيم في السنة النبوية المطهرة، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: مكانة اليتيم في السنة النبوية المطهرة.

المطلب الثاني: أنواع اليتيم.

المطلب الثالث: الاهتمام باليتيم وكفالاته.

المطلب الرابع: الآثار السلبية في إهمال اليتيم وطرق علاجها.

المبحث الثاني: حقوق اليتيم في السنة النبوية المطهرة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الحقوق الشخصية.

المطلب الثاني: الحقوق المدنية.

المبحث الثالث: مظاهر الاعتناء باليتيم وأثر ذلك في علاج مشكلاته.

الخاتمة: وتحتوي على: (أهم النتائج، المقترحات، المصادر، فهرس الموضوعات).

### التمهيد: التعريف بمصطلحات عنوان البحث

بادئ ذي بدء لا بد أن نتعرف على مفردات البحث قبل البدء به، حتى يتسنى لنا التعرف على معاني مصطلحات البحث، والذي احتوى على عدة مصطلحات، وهي:

أولاً: الإنسانية:

إن تعريف الإنسان من الأهمية بمكان، وترجع أهميته إلى حيث كونه من خلق الله تعالى: «فالإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهُ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، وَسَخَّرَ لَهُ الْمَخْلُوقَاتِ وَطَوَّعَهَا فِي خِدْمَتِهِ، فَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْجَمَادُ وَكُلُّ الْكَائِنَاتِ مُلْتَزِمَةٌ فِي طَاعَتِهِ، وَهَذَا تَكْرِيمٌ مَنْحَهُ اللَّهُ لَهُ، وَاسْتَمَرَ التَّكْرِيمُ فِي فَلَكِ الدُّوْرَانِ حَتَّى أَسْجَدَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ لَهُ مَلَائِكَتُهُ الْكَرَامُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ أَبْنَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما عن تعريف الإنسان في اللغة: فيقول صاحب المصباح المنير: «الإنسان: من الناس اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع. واختلف في اشتقاقه مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة فقال البصريون من الأنس فالهمزة أصل ووزنه فعلان وقال الكوفيون مشتق من النسيان فالهمزة زائدة ووزنه إفعان على النقص والأصل إنسيان على إفعلان ولهذا يرد إلى أصله في التصغير فيقال أنيسيان»<sup>(٢)</sup>.

وقال صاحب القاموس المحيط: «الإنس: البشر، كالإنسان، الواحد إنسي وأنسي، والجمع أناسي»<sup>(٣)</sup>.

- ١- د. محمود ضاحي: دور الخطاب الدعوي في تصحيح المفاهيم الخاطئة، ص ٣٧٩، رسالة دكتوراه - ط جامعة الأزهر الشريف ٢٠٢٢م، والآية من سورة البقرة: ٣٤.
- ٢- الحموي: المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير: ج ١، ص ٢٥، ط المكتبة العلمية بيروت.
- ٣- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ج ١، ص ٥٣٠ وما بعدها، ط ٨، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.



الإنسان: الجنس المخلوق والمركب من جسد وروح، المتصف بكثير النسيان.

## الإنسان في الاصطلاح

عرف العلماء الإنسان في الاصطلاح بأنه: «الخليقة المسئول بين جميع ما خلق الله يدين بعقله فيما رأى وسمع، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب، فلا تدركه الأبصار والأسماع»<sup>(١)</sup>.

الإنسان: هو ذاك الكائن المصنوع بيد الخالق والذي احتوى في تركيبه على مواد أكسبته الاصطفاء من بين الخلائق ومنحته التكريم الإلهي الذي منعت منه جميع المخلوقات العلوية والسفلية.

إن الإنسان يحمل في طياته من المميزات ما يجعله الخليقة المفضلة من بين المخلوقات، ولذا بلغ مبلغاً لم يصل إليه أحد من المخلوقات الأخرى، والإنسان مكرمٌ من قبل الخالق سبحانه، إذ إن المصدر الأساسي الذي احتوى على بيان كامل شافي تبين فيه حقيقة الإنسان هو القرآن الكريم ذلك أنه فصل الحديث عنه غاية التفصيل، وتجلى ذلك في آيات كثيرة جاءت على النحو التالي:

١- أنه مخلوق في أحسن تقويم، وتجلى ذلك التكريم بوضوح في قول الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>

٢- أنه شخصية مكرمة، ويتضح ذلك جلياً في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْآلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

تَفْضِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>. تزويده بنفحة روحية إلهية لم تعطى لأحد غيره، ويتجلى

ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ

١- الأستاذ / عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن: ص٧، ط٤، نهضة مصر للطباعة والنشر - ٢٠٠٥ م.

٢- سورة التين: ٤.

٣- سورة الاسراء: ٧٠.

مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ (١).

٣- تسخير الكون له تحت طوعه ومشيبته، ويتجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٢).

من خلال ما سبق يتضح: أن حقيقة الإنسان في القرآن مشتملة على التكريم الإلهي الذي اختصه به من بين المخلوقات، ومنحه تسخير الكون تحت مشيبته، وأسجد له ملائكته المقربين وهذا تأكيد على مدى اعتناء الإسلام بالإنسان وانفراده من بين الأديان والقوانين الوضعية بالضمانات التي تحفظ له الحقوق وتبين ما عليه من واجبات، وحقوقه عبارة عن اختصاص شامل وفق قواعد وضوابط تنظم علاقته بأخيه الإنسان، وكذلك علاقته بجميع المخلوقات، وفق نظام يشتمل على العدل والمساواة.

## ثانياً: تعريف اليتيم

### اليتيم في اللغة:

إذا أردنا أن نعرف اليتيم في اللغة نجد أن معاجم اللغة العربية توضح هذا المعنى بجلاء.

يقول صاحب لسان العرب: اليتيم: «الانفراد؛ عن يعقوب. واليتيم: الفرد. واليتيم واليتيم: فقدان الأب. وقال ابن السكيت: اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم، ولكن منقطع. قال ابن بري: اليتيم الذي يموت أبوه، والعجبي الذي تموت أمه، واللطيم الذي

١- سورة الحجر: ٢٨ - ٢٩.

٢- د. موسى عمر كيتا، د. علي منذو عثمان: مفهوم ومميزات حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية والنظام السياسي الوضعي: ص٤١٥-٤١٦ مجلة جامعة المدينة العالمية، عدد الحادي عشر ٢٠١٥م (بتصرف وباختصار)، والآية من سورة لقمان: ٢٠.

يموت أبواه . وقال ابن خالويه: ينبغي أن يكون اليتيم في الطير من قبل الأب والأم لأنهما كليهما يزقان فراخهما، وقد يتم الصبي، بالكسر، بيتما ویتما، بالتسكين فيهما. ويقال: يتم ويتم وأيتمه الله، وهو يتيم حتى يبلغ الحلم. الليث: اليتيم الذي مات أبوه فهو يتيم حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم، والجمع أيتام ويتامى ویتمة، فأما يتامى فعلى باب أسارى<sup>(١)</sup>.

وعرفه صاحب القاموس المحيط بأنه: «اليتيم، بالضم، بالضم: الانفراد، أو فقدان الأب، ويحرك، و في البهائم: فقدان الأم. واليتيم: الفرد، وكل شيء يعز نظيره»<sup>(٢)</sup>.

واليتيم هو: الصغير الذي فقد من يعوله سواء كان والده ميتاً أو حياً.  
اليتيم في الاصطلاح: لم يختلف العلماء في تعريف اليتيم في الاصطلاح عن علماء اللغة، بل كان بينهم توافق

يقول صاحب أحكام القرآن، الأيتام هم: «الفاقدون لأبائهم وهم صغار ولا يطلق ذلك عليهم بعد البلوغ إلا على وجه المجاز لقرب عهدهم باليتيم»<sup>(٣)</sup>.  
وعرفه صاحب تفسير القرآن العظيم بأنه: «الصغار الذين لا كاسب لهم من الأباء»<sup>(٤)</sup>.

واليتيم اصطلاحاً هو: الصغير الذي فقد من يحنو عليه ويؤدبه ويعلمه ويحسن تربيته.

- ١- ابن منظور: لسان العرب، باب: الياء المثناة من تحتها، ج١٢، ص٦٤٥، ط٣، ط صادر بيروت ١٤١٤هـ.
- ٢- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، باب: الياء، ج١، ص١١٧٢.
- ٣- الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، ج٢، ص١٢، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ.
- ٤- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج١، ص٣١٧، ط٢، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

## السنة النبوية

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليه، فهي تعني عند المحدثين: «كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة، أو سيرة»<sup>(١)</sup>.

## الدلالة

عرفها صاحب البحر المحيط بأنها: «كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالماً بوضعه له»<sup>(٢)</sup>.

## الإعجاز

والمعجزة من المصطلحات التي اهتم بها علماء الإسلام إذ إنها تصطبح بعث الأنبياء والرسول.

فعرّفها صاحب الاتقان بأنها: «المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية»<sup>(٣)</sup>.

عرفها صاحب الجامع لأحكام القرآن بأنها: «واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلهما، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة»<sup>(٤)</sup>.

- ١- عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب: الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت، ص٤، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٢- الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ج٢، ص٢٦٨، ط١، ط دار الكتبي ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣- السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٤، ص٣، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٤- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ج١، ص٦٩، ط٢، ط دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤.

المبحث الأول: اليتيم في السنة النبوية المطهرة ويشتمل على:

المطلب الأول: مكانة اليتيم

إن الشريعة الإسلامية اعتنت باليتيم أيما اعتناء، إذ اعتبرته عنصراً فعالاً ومهماً في المجتمع، وهي بذلك أعلنت مكانته بين أقرانه من الإنسانية في المجتمع الإنساني، واتضح ذلك جلياً من النصوص التي جاءت تؤكد على مكانة اليتيم من القرآن والسنة، أما النصوص القرآنية فمنها قوله تعالى: ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْيُسُفَىٰ وَالَّذِينَ فِي الدُّرُوبِ يَسْتَكْفِرُونَ﴾ (٣٦) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧) ﴿١﴾. وفي هذه الآية يؤكد المولى سبحانه - وتعالى - على مكانة اليتيم إذ قرنت الوصية به بالوصية بالوالدين، وما ذلك إلا تأكيداً على علو مكانته بين أقرانه من أفراد المجتمع.

فكما أن القرآن الكريم اهتم باليتيم وبين مكانته فكذلك السنة النبوية المطهرة بينت ووضحت بجلاء كوضوح الشمس في رابعة النهار بأن اليتيم له مكانة عظيمة وشأن كبير في الشريعة الإسلامية فعن سهل بن سعد، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِأَصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى (٢).

وفي هذا الحديث دلالة إعجازية إذ يوضح أثر التكفل في إقتراب المتكفل من مجالسة النبي - صلى الله عليه وسلم - في دا الخلود، إذ إن الكفالة فيها جبر لخاطر المكفول وتعويضاً لحرمانه، فعوض بجبر الخاطر حسن الجوار.

١ - سورة النساء: ٣٦ - ٣٧.

٢ - أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، (٩/٨).

ونجد الإمام الحافظ بن حجر<sup>(١)</sup> في شرح هذا الحديث ينقل قول الإمام ابن بطلال<sup>(٢)</sup>: «حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك»<sup>(٣)</sup>.  
ثم قال: «وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى»<sup>(٤)</sup>.

ولما كان كافل اليتيم أداة إرشاد لمن لا يعقل تصريف أمر دنياه، وهو جاهل في تصريف شؤون حياته احتاج لمن يأخذ بيده إلى طريق المعرفة، ولذلك منح الكافل درجة القرابة من النبي - صلى الله عليه وسلم -، فجعلت الشريعة هذه المنحة لمن كفل يتيماً له أو لغيره أي سواء كان الكافل له قرابة بينه وبين اليتيم، أو ليس له قرابة، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدِ الدِّيَلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْغَيْثِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْلَايَةٌ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى<sup>(٥)</sup>.

وهذا الحديث يدل على أن أجر الكافل لليتيم مضمون سواء كان الكافل له قريباً - قرابة الدم - أم كان أجنبياً عنه.

وفيه تحفيز لأفراد المجتمع ليعتنوا باليتيم لأنه فرد مهم من أفراد المجتمع، إذا أهمل كانت النتيجة السلبية للإهمال تعود على باقي أفراد المجتمع فتفقدتهم

- ١- ابن حجر: " (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ - ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلانى من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين مولده ووفاته بالقاهرة انكب على الحديث ورحل فى طلبه وولى القضاء مرة وتصانيفه كثيرة منها الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة، وأشهرها الفتح البارى فى شرح صحيح البخارى " الزركلى: الأعلام، ج ١، ص ١٧٨، ط ١٥، ط دار العلم للملايين ٢٠٠٢م، وانظر: موقع وزارة الأوقاف المصرية: موسوعة الأعلام، ج ١، ص ١٢٣.
- ٢- ابن بطلال: " (٤٤٩ - ٥٠٠ هـ - ١٠٥٧ م) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة، له شرح البخارى " الزركلى: الأعلام، ج ٤، ص ٢٨٥.
- ٣- ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخارى: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ١٠، ص ٤٣٦، دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩ هـ.
- ٤- نفس المرجع السابق: ج ١٠، ص ٤٣٦.
- ٥- أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة، (٤ / ٢٢٨٧).

الطمأنينة والسلامة.

إن كفالة اليتيم سبب لجلب السعادة والطمأنينة للكافل، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشتكى قساوة قلبه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحبُّ أن يلين قلبك؟» فقال: نعم، قال: «ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتقدر على حاجتك»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث إرشاد طبي يعالج فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - من يعانون من الضيق النفسي، وفيه دلالة إعجازية على أن ضيق الصدر يدل على فقدان الشفقة والعطف في قلب الشاكي، وعلاج ذلك لا يكون إلا في العطف على الأيتام، ففي الشفقة بهم زوال الضيق الذي ربما يوصل صاحبه إلى اليأس والقنوط، وربما يحتاج إلى آلاف الجنيهات أو الملايين للبحث عن العلاج عند الأطباء، ولكن علاجه لا يكون إلا عن طريق الشفقة والعطف والرحمة باليتيم، فعرف بذلك مكانة اليتيم. انتهى.

والعناية باليتيم حتى تكتمل أجزاؤها وينال الكافل ثواب أجرها لا بد أن تتسم بالإخلاص لأنه شرط لقبول الأعمال ونقيضه سبب لردها فعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «من مسح رأس يتيماً أو يتيمة لم يمسه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيماً عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين إصبعيه»<sup>(٢)</sup>.

١ - صهيب عبد الجبار: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، (٢٤٤/١٠). (الحديث حسن لغيره) انظر: محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، (٣٤١/٢)، ط٥، ط مكتبة المعارف - الرياض.

٢ - أخرجه أحمد بن حنبل: كتاب تنمة مسند الأنصار، باب: حديث أب أمامة الباهلي (٦١٤/٣٦)، والحديث: إسناده ضعيف: انظر البغوي: شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب البر والصلة، باب ثواب كافل اليتيم (٤٤/١٣)، ط٢، ١٤٠٣هـ.

وهذا الحديث يؤكد على أن الاخلاص شرط من شروط قبول العمل، وهو يوافق قول الله - تعالى - ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (١).

وتظهر مكانة اليتيم وعظم أجره في اهتمام الصحابة - رضوان الله عليهم - والوصية بهم، فورد عن علي بن أبي طالب (٢) قوله: «أَعِينُوا الضَّعِيفَ وَالْمَظْلُومَ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرَّقَابِ، وَارْحَمُوا الْأَرْمَلَةَ وَالْيَتِيمَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَرَدُّوا التَّحِيَّةَ عَلَى أَهْلِهَا بِمَثْلِهَا أَوْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا» (٣).

وفي هذه الوصية دلالة إعجازية حيث أشار بالإعانة في حق الضعيف والمظلوم والغارم، ووجه بالرحمة في حق الأرملة واليتيم وذلك لأنهما فقدا المعين لهما، مما يعرضهم إلى الإنكسار الذي لا يتعرض له غيرهم من فئات المجتمع الأخرى، ولهذا احتاجوا لمن يحنو عليهم ويشفق بهم، فدل ذلك على عظم مكانتهم. انتهى.

### المطلب الثاني: أنواع اليتيم

اليتيم على نوعين، يتم حقيقي، وهو من فقد أباه، ويتم حكمي وهذا المسمى يندرج تحته عدة أنواع لليتم، وقبل أن أبين أنواع اليتيم الحكمي يجدر بنا أن نعرف به حتى تتضح لنا المعالم، فنقول:

- ١ - سورة البينة: ٥.
- ٢ - الإمام علي - رضي الله عنه - " علي بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فرَّبني في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، وزوجه بنته فاطمة، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد " ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ج ٤، ص ٤٦٤، ط ١، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ.
- ٣ - ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ج ٧، ص ٣٤١، ط ١، ط دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



اليتيم الحكمي هو: «الطفل الذي فقد معيله وحاميه وراعيه، ويمكن أن يقاس عليه الأطفال الذين لهم آباء غير ميتين، لكنهم في حكم الأموات، ويمكن اعتبار أولادهم في حكم الأيتام»<sup>(١)</sup>.

لا شك أن حرمان الطفل من حنان الأبوة والعطف عامل قوي من عوامل اليتيم التي تصيب بعض الأطفال الذي يكون آباؤهم على قيد الحياة ولكنهم في نفس الوقت أموات في جانب عاطفة الأبوة، ولهذا وجهت الشريعة الإسلامية برعاية الفئات التي لا تجد من يحنو عليها، حتى يصيروا من أفراد المجتمع ويقوموا بواجباتهم تجاه مجتمعاتهم وأوطانهم ودينهم، مما يكون سبباً في سعادة المجتمع وانتشار الطمأنينة والألفة بين أفراد المجتمع.

وأرى أن هناك فئات في المجتمع تندرج تحت اليتيم الحكمي، وقبل أن أبين هذه الفئات أبين الفروق بين اليتيم الحقيقي واليتيم الحكمي، فأقول:

هناك فوارق بين اليتيم الحقيقي واليتيم الحكمي في جانب اللقيط بنت عليها الشريعة الإسلامية أحكاماً شرعية مهمة، منها:

أولاً: في جانب النسب: اليتيم الذي فقد أباه معلوم النسب، أما اللقيط فهو في الغالب مجهول النسب، وغالباً ما يكون من زنا.

ثانياً: في جانب الميراث: اليتيم يرث والديه، أما اللقيط فلا يرث من قام بتربيته بعد وفاته، لأن الإرث يثبت بسبب البنوة الصحيحة - أي المولود على فراش زواج صحيح.

ثالثاً: في جانب الرحمة والشفقة: اليتيم يكون غالباً موضع الرحمة والشفقة من المجتمع بسبب فقدانه لوالديه، وربما لعدم وجود من يرعاه وينفق عليه، فمن

١ - تسنيم محمد جمال: حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي، ص١٢، فلسطين ٢٠٠٧ م.

المألوف أن يحترم الناس اليتيم ويكرموه لأجل والده لا لذاته، بينما اللقيط غالباً ما يوجد شعور داخلي باحتقاره وإهماله عند بعض الناس، لفقره، وجهل نسبه، وكونه ابن زنا غالباً.

رابعاً: في جانب ما يحل ويحرم: اللقيط يعتبر أجنبياً بالنسبة للملتقطة فلا يحل لها أن تنظر إلى شيء منه إذا كبر، ولا يحل للقيط أن ينظر إلى شيء من أفراد الأسرة التي يعيش معها، لأن اللقيط يجوز له أن يصابه هذه الأسرة ويتزوج من بناتها ونسائها، بينما اليتيم هو أحد أبناء العائلة التي تربي في كنفها<sup>(١)</sup>.

إذا كانت هذه الفوارق موجودة لا محالة بين اليتيم الحقيقي والحكمي، إلا أنني أرى أن المجتمعات الإنسانية أخطأت في حق فئة كبيرة من فئات المجتمعات سنعرف بها لا حقاً، إذ جعلتها في نظرها أعداء وصدرت في وسائل إعلامها الخوف والزرع منها مع أنها لم تلجأ إلى ما هي فيه محبة لهذا الوضع السيء الذي لا يحبه ولا يتمناه أحد ولكنها وجدت نفسها في موضع الحرمان بسبب الظروف القهرية التي أجبرت عليها، وزاد ألمها المأوجرحها تعمق من نظرة المجتمعات إليها، فبدل أن يحتضنها المجتمع ويعوضها حرمانها زاد عليها معاناة فوق معاناتها وألماً فوق الألم فصدرها كأنها فئة إجرامية لا بد من السعي للتخلص منها، فبدل أن تكون عضواً بنائاً في المجتمع ربما يكون أحدهم سبباً في ازدهاره، جعلها تصرف البعض مصدر ازعاج وقلق وهدم للمجتمع .

إن المجتمع لا بد أن يغير نظرتة البائسة والظالمة في حق هذه الفئات حتى يأمن أفراد المجتمع من شرورها ويستفيد من سواعد أفرادها، فيكونوا في المستقبل القريب مصدر ازدهار وتقدم وطمو.

١ - المرجع السابق: ص ١٥ وما بعدها (بتصرف).

واليتيم الحكمي ليس شخصاً واحداً بل يندرج تحته مجموعة كبيرة تعرضت إلى اليتيم الحكمي رغم وجود آبائهم على قيد الحياة وهذه الفئة يندرج تحتها مسميات منها:

١- أبناء الأسرى ذوو الأحكام العالية: هذه الفئة لا يستطيع أحد من المجتمعات الإنسانية أن ينكر وجودها فهذه الفئة مع رغم وجود آبائهم على قيد الحياة إلا أنهم يحرموا من رؤيتهم بسبب ما وقع فيه الأباء من ظلم الأسر مما يكون دافعاً قوياً إلى حرمانهم من الرعاية وحنان الأبوة فيتعرضون إلى ما يتعرض إليه الحكم الحقيقي<sup>(١)</sup>.

٢- اللقطاء<sup>(٢)</sup>: هذه الفئة قد تتعرض إلى ما لا يتعرض إليه اليتيم الحقيقي، فاليتيم الحقيقي بعضهم ربما يعيشون في دفاء الأبوة لبعض الوقت وربما يصل إلى سنين، أما الطفل اللقيط فيحرم حرماناً أبدياً من حنان الأبوة الحقيقيين ويكون ذلك بسبب خطأ وقعت فيه الأم، فتكون النتيجة إلقاء طفل صغير تسلب منه حقوقه، لذا وجه الإسلام برعايته وتبنيه من قبل أبناء المجتمع حتى لا ينحرف سلوكه فيكون انحرافه سبباً في بث الرعب والقلق في المجتمعات الإنسانية.

٣- مجهولو النسب: تلك هي فئة أخرى مثل سابقتها قد تتعرض إلى حرمان دائم بسبب جريمة وقع فيها الأباء بسبب سوء أخلاقهم وبعدهم عن خالقهم، مما كان سبباً في إبعاد طفل وحرمانه من أبسط حقوقه وهو الانتساب إلى والديه، وهذه الفئة تتعرض إلى مشكلات نفسية وأزمات إنسانية، بسبب أنهم قد يعيرون بذلك في مستقبلهم ولهذا وجه الإسلام بالرحمة والاعتناء

١- تسنيم محمد جمال: حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي: ص١٣.

٢- اللقيط: هو "الطفل الذي يوجد منبوذاً في شارع، أو باب مسجد ونحوه، أو يضل عن أهله، ولا يعرف له نسب ولا كفيل" مجموعة من المؤلفين: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٦٦، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٤هـ.

بهم ومعاملتهم كعاملات الأيتام الحقيقيين وتعويضهم من الحرمان الذي يتعرضون له بسبب فقدان الأسري.

٤- أبناء المعاقين: المعاق هو فرد من أفراد المجتمع أصيب بإحدى العاهات التي تسببت له في عدم القدرة على رعاية شؤونه، وهو بالطبع لا يقدر على رعاية أسرته، ولذا كان على أفراد المجتمع أن يتكفلوا برعاية أسرة المعاق حتى لا يكونوا في المستقبل سبباً بسبب والدهم، فعاملتهم بالحسنى وإلحاقهم باليتيم الحكمي هو وسيلة من وسائل رعايتهم ومساعدتهم على مصاعب الحياة، حتى يكونوا أعضاء نشطين وفاعلين في المجتمع الإنساني.

٥- فاقد الأم: لقد اهتم الإسلام بالأم أيما اهتمام لأنها هي عمود البيت ومصدر الحنان والسعادة للأسرة، ولذا وجه الإسلام الأبناء بملازمتها واتخاذها صاحباً ورفيقاً في الحياة، فمن وجدها لم يفقد شيئاً، ومن فقدتها لم يجد شيئاً، ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن جاءه يسأله عن أحق الناس بحسن صحابته؟ قال له مجيباً أمك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: «ثم أبوك»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يؤكد على أن مصدر السعادة للأبناء لا تكتمل إلا في وجود الأم فهي مصدر الحنان والطمأنينة وفي ذلك دلالة إعجازية لأن حرمان الأبناء من الأم سواء كان بسبب موتها أو بسبب طلاقها سبب كبير في تشريد الأسرة وضياعها، ولذا حُكم على فاقد الأم باليتيم الحكمي لأنه في أمس الحاجة إلى من يعوضه غياب والديه.

١- أخرجه البخاري: كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، (٢/٨).

ولما كان الأمر كذلك خفف الله الحكيم في قصة السيدة خولة بنت ثعلبة<sup>(١)</sup> - رضي الله عنها - فعن عروة، قال: قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك. قالت عائشة: «فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> قال: وزوجها أوس بن الصامت<sup>(٣)</sup>.

وهذا دلالة على مدى اهتمام الشريعة الإسلامية بالمحافظة على الأسرة وضمن الحقوق لأفرادها.

الأطفال المتشردون: إن هذه الفئة هي مصدر إزعاج للمجتمعات الإنسانية، ويسموا بأطفال الشوارع، وهي فئة من الفئات التي همشت ولم تجد من يحنوا عليها، حتى أصبحت مصدراً للقلق والخوف، لأنهم بسبب إهمالهم يتسلطون على باقي أفراد المجتمع إما بترويعهم، أو بسلب أموالهم، أو بخطف أبنائهم.

إنني أؤكد بأن المجتمعات الإنسانية أخطأت في حق هذه الفئة التي كان جرمها الوحيد أنها وجدت نفسها ملقاة في الشوارع، إما بسبب حالات زنا وقعت فيها الأمهات، أو بسبب فقر تورثه الأباء والأمهات، وكان الأجدار بالمجتمعات أن تعني بهذه الفئة وتساعدتها على الانتفاع بها بدل من تركها عرضة للسلوك السيء الذي

١- السيدة خولة بنت ثعلبة: "خولة بنت مالك: بن ثعلبة بنت أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عمرو بن عوف، ويقال خولة بنت حكيم" ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص١١٤.

٢- سورة المجادلة: ١.

٣- أخرجه الحاكم النيسابوري: كتاب التفسير، باب: تفسير سورة المجادلة، (٢/٥٢٣)، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجه (انظر: الشيباني: جامع الأصول، كتاب تفسير القرآن وأسباب النزول، سورة الحديد، (٢/٣٧٨).

يتعلمونه بسبب الإهمال .

إنني أرى: أن المجتمعات تستطيع أن تستفيد من هذه الفئة لتصبح في المستقبل مصدر سعادة للمجتمع لا مصدر رعب لأبنائه، ويكون ذلك عن طريق وضع قوانين دستورية تضمن حقوقهم وتكفلهم ماديا ومعنويا وتعليمياً.

ولنا أن نتساءل: هل الأفضل أن نهتم بأطفال الشوارع المتشردون فنقول بتعليمهم صنعة أو حرفة يكتسبون من وراءها فيكونوا مصدر بناء في المجتمع ، أم نتركهم للشوارع فيكونوا مصدر قلق ورعب ؟ !!!

لا شك أن المجتمعات الإنسانية في أشد الحاجات لجهود جميع أفرادها، لذا ينبغي علينا أن ننظر بعين الاعتبار إلى جميع من حرم من حقوقه من أفراد المجتمع .

### المطلب الثالث: الاهتمام باليتيم وكفالاته

اهتمت الشريعة الإسلامية باليتيم في جميع جوانب حياته، فحثت الشريعة الإسلامية على الاهتمام الكامل لليتيم واشتمل هذه الاهتمام على ثلاثة جوانب رئيسية:

أولاً: الاهتمام باليتيم مالياً: المال عصب قوي يتكأ الإنسان عليه ليتغلب به على ظروف الحياة القاسية، واليتيم أشد احتياجاً إلى هذا العصب حتى لا يكون عرضة لسؤال الناس بعد نفاذ ماله، فالمحافظة على مال اليتيم والاتجار بها حتى لا تنفذ منه حتى يبلغ أشده واجب ديني، ولهذا أعطاه النبي - صلى الله عليه وسلم - من أموال الغنائم وأعطاهم النصيب الأوفر، فعن الفضل بن حسن الضمري، أَنَّ ابْنَ أُمِّ الْحَكَمِ، أَوْ ضِبَاعَةَ ابْنَتِي الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ، عَنِ إِحْدَاهُمَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ سَبِيًّا، فَذَهَبْتُ أَنَا وَأُخْتِي فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَكُونَا إِلَيْهِ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَأْمُرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِّنَ

السَّبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبَقَكُنَّ يَتَامَى بَدْرٍ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث فيه دلالة اعجازية وهي أن المال يقوي عصب اليتيم ويعينه، أما غيره فله بدائل تقويه على مصاعب الحياة كالتسبيح وغيره.

لذا وجب على أوصياء الأيتام أن يحفظوا لهم أموالهم ويتاجروا فيها حتى لا تأكلها الصدقة فلا يجد ما يعينه عند رشده، فقد ورد عن عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّجَرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى، لَا تَأْكُلْهَا الزَّكَاةُ»<sup>(٢)</sup>.

وفي قول سيدنا عمر - رضي الله عنه - دلالة على مدى الاهتمام المالى في حق اليتيم من جانب أوصيائه وحفظ ماله سواء كان عن طريق الاتجار فيه، أو ترك ماله والانفاق عليه من مال وصيه، لأن ذلك سيعود على اليتيم بالارتياح النفسي<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: الاهتمام باليتيم اجتماعياً: إن فقدان اليتيم لوالديه له من أشد العوامل النفسية السيئة التي يتعرض لها اليتيم، لأنه بفقدان والديه يكون فاقداً لعامل الحنان والسرور والبهجة التي مصدرها الوالدين، ولما كان الإسلام دين رحمة للإنسانية وبالإنسانية، وحامل لواءه - صلى الله عليه وسلم - هو باعث الرحمة في الكون كله، وجدنا أنه يوجه إلى الاهتمام الاجتماعى لتعويض اليتيم حرمان والديه، فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ

- ١- أخرجه أبو داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى، (٣/ ١٥٠)، والحديث إسناده حسن انظر: الشيباني: جامع الأصول، ٤ كتاب في أقسام الدعاء، فصل: في أدعية الصلاة (٤/ ٢٢٧).
- ٢- أخرجه الطبراني: الأوسط، باب العين، فصل من اسمه علي، (٤/ ٢٦٤)، والحديث: إسناده صحيح، انظر: أبو الحسن الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٤٧) مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ٣- أنيس عبد الرحمن عقيلان: أساليب الرعاية في مؤسسات رعاية الأيتام وعلاقتها بالتوافق النفسي: ص٢١، ٢٢، ٢٠٢هـ - ٢٠٠٢م.

إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

واهتم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بكفالة الأيتام حتى كانت كفالتهم منقبة مدحوا بها، فها هو سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يرثيه كعب بن مالك - رضي الله عنه -<sup>(٢)</sup> ويذكر عنايته باليتيم فيقول:

«كم من يتيم كان يجبر عظمه... أمسى بمنزله الضياع يطوف

ما زال يقبلهم ويرأب ظلمهم... حتى سمعت برنة التلهيف

أمسى مقيما بالبقيع وأصبحوا... متفرقين قد أجمعوا بخوف»<sup>(٣)</sup>.

وذكر صاحب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: «أن ابن عمر كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله من اليتامى، فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده، وكانت له سويقة محللة يشربها بعد غدائه، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء ويده السويقة ليشربها، فناولها إياه، وقال: خذها فما أراك غبنت»<sup>(٤)</sup>.

١ - أخرجه البغوي: شرح السنة، كتاب البر والصلة، باب: ثواب كافل اليتيم، (٤٣/١٣)، والحديث: إسناده ضعيف فيه يحيى بن سليمان قال فيه البخاري منكر الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات. (انظر: أبو العباس شهاب الدين الشافعي: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، كتاب الأدب، باب: حق اليتيم (١٠٣/٤)).

٢ - سيدنا كعب بن مالك: "أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي. يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، أمه ليلي بنت زيد بن ثعلبة، من بني سلمة أيضا. شهد العقبة الثانية، واختلف في شهوده بدرًا، ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين كعب وبين طلحة بن عبيد الله حين آخى بين المهاجرين والأنصار، كان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يرددون الأذى عنه، وكان مجودا مطبوعا، قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر، وعرف به، ثم أسلم وشهد العقبة، ولم يشهد بدرًا، وشهد أحدا والمشاهد كلها حاشا تبوك، فإنه تخلف عنها وتوفي كعب بن مالك في زمن معاوية، سنة خمسين. وقيل سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره. يعد في المدنيين. روى عنه جماعة من التابعين" ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج ٣، ص ١٣٢٣ - ١٣٢٤، ط ١، ط دار الجليل - بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣ - محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٢٥، ط ٢، ط دار التراث - بيروت - ١٣٨٧هـ.

٤ - أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٢٩٩، ط دار السعادة - مصر - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



لا شك أن اهتمام الصحابة والسلف بإنسانية الأيتام يدل على أهمية هذه الإنسانية في جانب الأيتام، ولما كان الأمر كذلك توأصى الصحابة - رضوان الله عليهم - فيما بينهم بالاهتمام بالأيتام، فقد كتب أبو الدرداء<sup>(١)</sup> إلى سلمان الفارسي - رضي الله عنهما -<sup>(٢)</sup> يوصيه قائلاً: «يا أخي ارحم اليتيم، وأذنه منك وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وأتاه رجل يشتكي قسوة قلبه - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتحب أن يلين قلبك؟» فقال: نعم، قال: «أدن اليتيم منك، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؛ فإن ذلك يلين قلبك، وتقدر على حاجتك»<sup>(٣)</sup>.

فركفالة اليتيم وإيواءه لها أثر صحي على اليتيم وكافله، فاليتيم يشعر بالألفة والأخوة مما يكون تعويضاً له عن فقدان والده وأما الكافل فينشرح صدره ويزداد في إيمانه، مما يكون سبباً في توفيقه وقضاء حوائجه.

وهنا دلالة إعجازية أرشد إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي أن علاج قسوة القلب لا يكون إلا بكفالة اليتيم وقضاء حوائجه قضاءً لما استصعب من أمور علي أي إنسان. والله أعلم.

**ثالثاً: الاهتمام باليتيم نفسياً:** لقد اهتم الإسلام بالكفالة النفسية لليتيم، لأن اليتيم في أشد الحاجة إلى من يداوي ويضمّد جرحه الذي تعرض له بسبب

- ١- سيدنا أبو الدرداء: "أبو الدرداء اسمه عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وقيل: اسمه عامر بن مالك، وعويمر لقب، وأمه محبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، تأخر إسلامه قليلاً، كان آخر أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، أخى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بينه وبين سلمان الفارسي، شهد ما بعد أحد من المشاهد، واختلف في شهوده أحد" ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٦ ص ٢٤.
- ٢- سيدنا سلمان الفارسي: "سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير، أصله من رامهرمز، وقيل من أصبهان، وكان قد سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم سبيعت، فخرج في طلب ذلك، فأسر وبيع بالمدينة، فاشتغل بالرّق، حتى كان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد، وفتوح العراق، وولي المدائن" ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ١١٩.
- ٣- أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٢١٤.

فقدان والده، فهو بحاجة ماسة إلى المحبة والأخوة، التي يجلبان له الطمأنينة والسعادة، التي حرما منها بفقدان والده: فاليتيم يحتاج إلى أن يشعر بالأمن ويحس بالاطمئنان، وهو بحاجة إلى الحب والانتماء، ولقد جاءت تعاليم الإسلام متضمنة كل الجوانب التي من شأنها أن تعوض اليتيم الحرمان النفسي الذي تعرض له حتى تقوى شوكته التي لازمتها في حياة والديه، ولا يحس بأنه فرد مجهول في المجتمع بسبب فقدان والده<sup>(١)</sup>.

والكفالة النفسية لليتيم لا تكمل إلا إذا كانت متضمنةً لعدة أمور، منها:

العطف والرحمة والرأفة: والمتفقد لآيات القرآن الكريم يجد النصوص الصريحة التي توجه بالعطف والرحمة لليتيم قال الله - تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة في هذه الآية: «أنه قد اتجه الميثاق الإنساني الذي أخذ على بني إسرائيل إلى الإحسان إلى الضعفاء فقال تعالى: (وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ) واليتيم هو من فقد أباه، فإن الأب هو العائل الكالئ الحامي، ومن فقداه فقد انفرد في هذا الوجود، والأم وإن كانت هي الحانية العاطفة التي تغذيه بأنبال العواطف، لا تحميه، وبالفطرة الأولى لا تعوله؛ ولذلك لا تعوض حماية الأب، وكلاءته.

والمسكين هو الذي أسكنته الحاجة، أو المرض المزمن، وإن كلمة المسكين بعمومها تشمل الفقير، لأن الفقير أسكنته الحاجة وأذلته، وهؤلاء جميعا الضعفاء، وإنه قد يشمل ابن السبيل أيضا، وهو الذي ينقطع عن ماله، ويكون في بلد بعيد عن بلده فهو قد أذلته الحاجة أيضا.

١ - عبد العزيز الحياط: المجتمع المتكافل في الإسلام، ص ١٨١، ط ٢، ط مؤسسة الرسالة، عمان، ١٩٨١ م (بتصرف).

٢ - سورة البقرة: ٨٣.

وفى الحقيقة إن اليتامى والمساكين بهذا العموم هم الضعاف في الجماعة، ورعاية الضعفاء وقاية لبناء الأمة من الانهيار، وإلا كانوا أشتاتا غير متراحمين يأكل بعضهم بعضا. وقدم الإحسان على اليتامى وإن كانوا أغنياء على المساكين؛ لأن اليتيم ضعيف، وإن كان كثير المال وهو ذو حاجة وإن كان غنيا، والإحسان إليه أن يقوم القائم عليه بتربيته، وألا يقهره ولا يذله، وأن يضمه إلى عياله.

فإنه إن لم يُحط بالعطف والرعاية والمحبة تربي على النفرة من الجماعة فيكون الشذاذ والكارهون للمجتمعات؛ ولذلك كانت النصوص الكثيرة الداعية إلى إكرام اليتيم، فاليتمى إكرامهم فيه تقوية للأمة بإنشاء نشء على الخلق القويم<sup>(١)</sup>.

إن الإسلام يسعى دائما على بناء أمة متراحمة ومتألفة يحوطها أجواء المحبة، ولا يكون ذلك إلا بالتراحم بين جميع أفراد المجتمع، وإيواء اليتيم يجعله فردا صالحا في المجتمع، لأنه إن لم يجد من يحنو عليه يصبح فردا خطيرا على المجتمع.

والاحسان إلى اليتيم يكون: «إيوائه، والعطف الذي يقوم مقام عطف أبيه، وسد حاجاته، والاختلاط به بالرحمة، فيجعله مع أولاده مختلطا بهم، مؤتسبا معهم، ويسوي بينهم وبينه، لكي ينشأ أليفا مألوفاً مع المجتمع الذي يعيش فيه، وإن قهر اليتيم وإذلاله ينشئه نفرا شادا، فيكون عدوا للجماعة لا يألفها، ويكون منه الإجرام، والإيذاء، وقد قال الله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن إذلال اليتيم وقهره وتعييره بيطمه يزيده نفرة ويربي عنده حب الانتقام من باقي أفراد المجتمع، ولذا وصى القرآن الكريم بعدم قهره حتى لا يكون أداة تخويف لأفراد المجتمع.

والقهر المقصود به في هذه الآية هو: كل أنواع القهر سواء كان عن طريقه

١- محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير، ج١، ص٢٩٢، ط دار الفكر العربي.

٢- المرجع السابق، ج٣، ص١٦٧، والآية من سورة الضحى: ٩.

إذلاله، أو العبوس به، أو أخذ ماله ظلماً وعدواناً<sup>(١)</sup>.

«وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلظ في أمره بتغليظ العقوبة على ظلمه، وقوله وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ أَي لا تزجره ولا تغلظ له القول»<sup>(٢)</sup>.

ولما كان قهر اليتيم أمرٌ منهى عنه قرن الله - عز وجل - قهر اليتيم وظلمه بالتكذيب بالدين، فقال - تعالى - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

قال صاحب جامع البيان: «فهذا الذي يكذب بالدين، هو الذي يدفع اليتيم عن حقه، ويظلمه. يقال منه: دعت فلاناً عن حقه، فأنا أدعه دعاً»<sup>(٤)</sup>.

وقيل: يدع اليتيم: «أي يقهره ويظلمه»<sup>(٥)</sup>.

وقال صاحب تفسير القرآن العظيم: «هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه»<sup>(٦)</sup>.

ويتبين من خلال أقوال العلماء أن الله توعد من يظلم اليتيم ويهضمه حقه ولا يحسن إليه بأنه خاسر خسراناً مبيناً لأن المكذب بالدين يصيبه الخسران المبين، كما قال الله - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٣﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَبِيتَهُمْ

- ١ - محمد أمين الشنيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ٨، ص ٥٦٣، ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م
- ٢ - مجموعة من الباحثين: الموسوعة العقدية، ج ٢، ص ٣٧٨.
- ٣ - سورة الماعون: ١ - ٢.
- ٤ - الطبري: جامع البيان، ج ٢٤، ص ٦٢٩.
- ٥ - الطبري: جامع البيان، ج ٢٤، ص ٦٣٠.
- ٦ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج ٨، ص ٤٩٣، ط ٢، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

وَلَا مُرْتَهَمٌ فَلْيَبْتِكُنْ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْيَمَ فَلْيَحْزَنْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾<sup>(١)</sup>.

ولما كان قهر اليتيم يذهب بصاحبه إلى الخسران كان لزاماً على المجتمع الإنساني أن يرعى اليتيم ويكفله.

والكفالة تعني: «والكافل والكفيل: الضامن، والأثنى كفيل أيضاً، وجمع الكافل كفل، وجمع الكفيل كفلاء، وقد يقال للجمع كفيل كما قيل في الجمع صديق. وكفلها زكريا، أي ضمنها إياه حتى تكفل بحضانتها»<sup>(٢)</sup>.

والكفيل هو «الضامن، تقول: كفل به يكفل كفالة. والكافل: الذي يكفل إنسانا يعوله»<sup>(٣)</sup>.

والكفالة في الاصطلاح عرفها صاحب الاختيار لتعليل المختار بأنها تعني: «ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة، ولا تصح إلا لمن يملك التبرع، وتجاوز بالنفس والمال، وتنعقد بالنفس بقوله: تكفلت بنفسه أو برقبته»<sup>(٤)</sup>.

والكفالة التي تخص الدراسة تعني: الحفظ، والرعاية، وفي الحديث الشريف: «الأمم ضامنن، والمؤذن مؤتمن»<sup>(٥)</sup>.

ويمكن أن تعرف الكفالة اصطلاحاً بأنها: ضم اليتيم إلى الكافل ورعايته

١- سورة النساء: ١١٦ - ١١٩.

٢- ابن منظور: لسان العرب، باب: فصل الكاف، ج ١١، ص ٥٩٠، ط ٢، ط دار صادر بيروت ١٤١٤هـ.

٣- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب: كفل، ج ٥، ص ١٨٧، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤- مجد الدين أبو الفضل الحنفي: الاختيار لتعليل المختار، باب: الكفالة، ج ٢، ص ١٦٧، ط مطبعة الحلبي - القاهرة - ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٥- الدكتور سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص ٢٢٤، ط ٢، ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، والحديث: أخرجه الترمذي: كتاب أبواب الصلاة، باب: ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، (١/ ٤٠٢) والحديث: رجاله موثوقون. انظر: الهيتمي: مجمع الزوائد، كتاب الصلاة، باب: أذان الأعمى، (٢/ ٢).

والاحسان إليه والقيام على شئونه قياماً يضمن له حقوقه ويحقق له أمنه ويزيل عنه وجع الحرمان.

«إن كفالة اليتيم من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وقد جعل كفالة اليتيم للقريب والبعيد على حد سواء ومن المعلوم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الفردوس الأعلى، فكافل اليتيم معه، إن أصلح وابتغى وجه الله - تعالی - في هذا العمل»<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيد ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الحديث دلالة إعجازية يبين فيها - صلى الله عليه وسلم - قرب مجلس كافل اليتيم من مجلسه، فأشارته بالسبابة والوسطى يدل على التلازم بينه وبين كافل اليتيم، وهو في ذلك يرشد أصحابه إلى أن أفضل الأعمال التي يتقرب بها المسلم من مجلسه - صلى الله عليه وسلم - كفالة اليتيم: «وفضل هذا على غيره من الأعمال لأن اليتيم قد فقد تربية أبيه وهي أعظم الأغذية لتعهده لمصالحه فإذا قبض الله أباه فهو الولي لذلك اليتيم في جميع أموره لبيتلي به عبيده لينظر أيهم يتولى ذلك فيكافئه والذي يكفل اليتيم يؤدي عن الله ما تكفل به فلذلك صار بالقرب منه في الجنة وليس في الجنة بقعة أشرف من بقعة بها سيدنا محمد وسائر الرسل - صلى الله عليهم وسلم - فإذا نال كافل اليتيم القرب من تلك البقعة فقد سعد جده وسما سعده»<sup>(٣)</sup>.

١ - توفيق الهادي: من أحاديث فضل كفالة اليتيم في الكتاب والسنة، ص ١٨٥، ٢٠١٥ م.

٢ - أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، (٩ / ٨).

٣ - المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٦، ص ٣٧، ط ١، ط المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦ هـ.

### المطلب الرابع: الآثار السلبية في إهمال اليتيم وطرق علاجها:

لا شك أن إهمال اليتيم وفقدانه حقه بجوار فقدان والده له أثر سلبي على اليتيم، وكذلك على المجتمع، لأن الإهمال يعرضه إلى مشاكل كثيرة تغذي سلوكه العدواني<sup>(١)</sup> تجاه باقي أفراد المجتمع، ومن هذه الآثار:

السرققة: «وهي سلوك يعبر عن حاجات نفسية يؤديها الطفل اليتيم لإثبات نفسه أو لحمايته، وقد تكون بدافع الإشباع أو التباهي وسط أقرانه.

الكذب: وهو صفة يكتسبها اليتيم نتيجة تفاعله مع البيئة حيث يكبر الشعور بالخوف وافتقاد الأمن والشفقة في ذاته والآخرين

الوحدة النفسية: وقد يتعرض الطفل اليتيم دائماً إلى حالة نفسية تعوقه عن تحقيق أهدافه وإشباع احتياجاته النفسية مما يجعله يعيش في صراع نفسي قد يؤدي إلى الانعزال والانسحاب عن الآخرين.

الخوف والقلق والخجل: يشعر الأيتام دائماً بالخجل من وضعهم الاجتماعي في المجتمع ويتعرضون أحياناً للمخاوف من أن يعرف الناس هويتهم ومن يكونوا وأين يعيشون مما يتسبب ذلك في عدم الاحتكاك بغير الأيتام<sup>(٢)</sup>.

لا شك أن إهمال اليتيم وعدم الاعتناء به يؤدي به إلى اكتساب سلوكيات

١- العدوان لغة: "الظلم الصراح". والاعتداء مشتق من العدوان "ابن فارس: مقييس اللغة، باب: عدو، ج ٤، ص ٢٤٩، الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، باب: عدا، ج ١، ص ٢٠٣، ط ٥، ط المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت - صيدا ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

والعدوان اصطلاحاً: "أفعال عدوانية نحو الآخرين، وما تشتمل من عداة معنوي نحوهم، ومحاولة لتخريب ممتلكات الآخرين، أو هو السلوك العدواني الذي يتأتى عن مشاعر ودوافع تتضمن عنصر التدمير وسوء النية نحو الآخرين" حنان ديار: دور التكفل في تخفيف السلوك العدواني لدى الطفل اليتيم، ص ٣٥٨، ٢٠١٣ م.

٢- علي عبد الله السويهي: المشكلات النفسية والاجتماعية لدى الأيتام في الجمعية الخيرية بمكة المكرمة - دراسة وصفية تحليلية - ص ٢٣، ٢٠١٠ م وانظر: أحمد بن عبد الرحمن البار: مشكلات الاندماج الاجتماعي والهوية لدى الأيتام ذوي الاحتياجات الخاصة، ص ٦٥، ٢٠١١ م.

سلبية تؤثر عليه وتجعله مصدر إزعاج في المجتمع ، مما يكون سبباً في إحياء غريزة الانتقام ممن كان سبباً ودافعاً إلى إجباره على فقد شخصيته ومكانته في المجتمع وهذا لا شك أنه يؤدي بالمجتمع إلى وجود اضطرابات فكرية وأمنية تؤثر على جميع جوانب الحياة، مما يكون سبباً في فقدان المال من بعض الأشخاص بسبب وجود سلوك السرقة، أو وجود صفة الزعر والخوف بسبب غريزة وحب الانتقام لدى الأطفال المحرومين .

لذا فإنه لا سبيل للنجاة من مخاطر الفكر الانتقامي لدى الأطفال الأيتام أو غيرهم بسبب إهمالهم وضياع حقوقهم إلا بالسعي لوجود حلول جزرية وعاجلة ليتفادى أفراد المجتمع خطر السلوكيات السلبية لدى المحرومين .

وأرى أن علاج ذلك يكون عن طريق عدة عوامل ، منها:

- ١- الاهتمام باليتيم خاصة، أو المحرومين بشكل عام منذ لحظة بداية اليتيم أو الحرمان، حتى يكونوا أفراداً فاعلين من أفراد المجتمع ، تحوطهم الواجبات التي تكون على أفراد المجتمع عامة من التخطيط والبناء للحاضر والمستقبل .
- ٢- وضع بنود خاصة برعاية الأيتام والمحرومين في ميزانية الدول، يستطيع من خلالها القائمين على الحكم بتوفير الرعاية الخاصة بهم وتعويضهم الحرمان، سواء كان الحرمان بسبب فقدان الوالدين، أو بأي سبب آخر .
- ٣- مخالطة أفراد المجتمع لليتيم سواء كانت المخالطة مالياً أو اجتماعياً، أو أي نوعٍ آخر من أنواع المخالطة التي تحو فكر الانتقام لدى الأطفال المحرومين .
- ٤- إصدار قوانين خاصة بمعاملة اليتيم خاصة والمحرومين عامة وتجرىم إهانتهم وتوبيخهم، حتى يأمن المجتمع الإنساني من الأفكار الشريرة التي يكتسبها المحروم بسبب تسلط بعض أفراد المجتمع عليه بالإهانة والاحتقار .



## المبحث الثاني: حقوق اليتيم في السنة النبوية ووسائل حمايتها:

إن أي عنصر من عناصر المجتمع الإنساني له حقوق وعليه واجبات، ولا تستطيع المؤسسات القائمة بالحكم مطالبة الفرد بواجباته تجاه الدولة إلا إذا وفرت له الحقوق التي تساعد على بناء دولته ووطنه، فإذا كان هذا الأمر في جانب الفرد الذي يمتلك حنان الأبوة أمرًا لا بد منه، فمن باب أولى أن توفر الدولة حقوق الطفل اليتيم الذي يفتقد حنان الأبوة، لأنه ليس من المعقول أن نطالب المحروم بما لا يستطيع القيام به.

والطفل اليتيم له حقوق أولتها له الشريعة الإسلامية الغراء، ونادت بها حديثاً المنظمات والقوانين الدولية.

وقبل أن نبين حقوق الطفل اليتيم، نعرف بالحق في اللغة والاصطلاح وبيان بعض معانيه التي ورد بها في القرآن الكريم، فأقول:  
أولاً: الحق لغة:

الحق مصطلح إسلامي له من الدلائل والشواهد ما تقويه، واعطاء الحق مهمة من المهمات التي جاء الإسلام ليؤكددها ويهتم بها، والحق مادة أصيل في اللغة لها عدة معان، ومن ذلك:

الحق: «نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق. وحق الأمر يحق ويحق حقا وحقوقا: صار حقا وثبت»<sup>(١)</sup>.

وقال صاحب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: «الحق خلاف الباطل وهو مصدر حق الشيء من بابي ضرب وقتل إذا وجب وثبت ولهذا يقال لمرافق

١- ابن منظور: لسان العرب: باب: الحاء، ج ١٠، ص ٤٩٦.

الدار حقوقها وحقت القيامة تحق من باب قتل»<sup>(١)</sup>.

وفي لسان العرب: «الحق أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، وما أتى به من القرآن، وكذلك قال في قوله -تعالى-: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال صاحب المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن: «الحق هو: مصلحة ثابتة للشخص على سبيل الاختصار والاستئثار يقررها الشارع الحكيم»<sup>(٣)</sup>.

من خلال ما سبق: يمكن أن يعرف الحق في اللغة بأنه: الشيء الثابت بدليل وهو خلاف الباطل.

### ثانياً: الحق في الاصطلاح

لقد تنوعت تعريفات العلماء للحق اصطلاحاً، فكان للقدماء تعريفات، وللمحدثين تعريفات وهذا يدل على أصالة المعنى فمن تعريفات القدماء للحق اصطلاحاً:

عرفه صاحب البناية شرح الهداية بأنه: «ما يستحقه الرجل»<sup>(٤)</sup>.

وقيل الحق: «اختصاص مظهر فيما يقصد له شرعاً»<sup>(٥)</sup>.

وأما تعريفات المحدثين فجاءت على النحو التالي:

- ١- أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: باب: (ح ق ق) ج ١ ص ١٤٣.
- ٢- ابن منظور: لسان العرب: باب: الحاء، ج ١٠، ص ٤٩، والآية من سورة الأنبياء: ١٨.
- ٣- د. يحيى بن محمد بن حسن زمزمي: المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن، ص ٢٨، ١٤٢٤هـ.
- ٤- بدر الدين العيني: البناية شرح الهداية: ج ٨، ص ٣٠١، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥- الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد: مجلة البحوث الإسلامية، ج ٤٠، ص ٣٥٨.

الحق: مصلحة ثابتة للفرد أو المجتمع أو لهما، يقررها الشارع الحكيم»<sup>(١)</sup>.

وقيل الحق «اختصاص يقرر به الشارع سلطة أو تكليفا»<sup>(٢)</sup>.

من خلال ما سبق من تعريفات القدماء والمحدثين للحق، يمكن أن يعرف الحق في الاصطلاح بأنه: اختصاص مجموعة من القواعد الشرعية كنظام شامل منظم لعلاقة الأفراد بعضهم مع بعض وفق ضوابط شرعية ملزمة تضمن تنفيذها على أكمل وجه.

### ثالثاً: معاني الحق في القرآن

جاء ذكر لفظ الحق في القرآن الكريم بكثرة، وهذه دلالة على أصالة هذا المعنى، ولا عجب في ذلك فالقرآن الكريم هو الحق وهو دعوة إلى الحق المبين، ومن معاني الحق في القرآن الكريم: «حيث ورد في مئتين وثمانية وثمانين موضعاً، فأطلق في بعضها على معنى: الوجوب والثبات. كما في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ونحوه.

كما أطلق على معانٍ أخرى أشار إليها صاحب القاموس المحيط، فقال: الحق: من أسماء الله تعالى، أو من صفاته، والقرآن، وضد الباطل، والأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق»<sup>(٤)</sup>.

- ١- د. محمد يوسف موسى: الفقه الإسلامي: ص ٢١٠، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية: ج ٤٠، ص ٣٦٠.
- ٢- الشيخ / مصطفى أحمد الزرقاء: المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي: ص ١٩، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٣- سورة البقرة: ٢٣٦.
- ٤- د. يحيى بن محمد بن حسن زمزمي: المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن: ص ٣٠، الفيروز آبادي: القاموس المحيط: تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي: ص ٨٧.

وجاء لفظ الحق بمعنى البيان، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا فَاَلُؤُا أَلْتَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾<sup>(١)</sup> «أي بينت لنا الحق في أمر البقرة، فعرفنا أنها الواجب علينا ذبحها منها»<sup>(٢)</sup>.

وورود لفظ الحق بغزارة في القرآن يدل دلالة واضحة على مدى اعتناء الإسلام بالحقوق واختصاصه بضمان تنفيذها ليؤدي الإنسان ما عليه من واجبات.

### حقوق اليتيم

أولت الشريعة الإسلامية جانب حقوق اليتيم اهتماماً كبيراً في مصدرى الوحي، فجاءت الأدلة الراسخة في القرآن والسنة تبين وتؤكد على حقوق اليتيم، ومن ذلك قول الحق سبحانه - وتعالى - : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأما السنة النبوية المطهرة فجاءت مؤكدة أيضاً على إعطاء اليتيم حقه، مستعملةً في ذلك جانب الترغيب تارة وجانب التهيب تارة، أما في جانب التهيب فقد جاءت أحاديث كثيرة ترغب في العناية بحقوق اليتيم، ومن ذلك قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى<sup>(٤)</sup>.

وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى<sup>(٥)</sup>.

١- سورة البقرة: ٧١.

٢- الطبري: جامع البيان: ج ٢، ص ١١٢.

٣- سورة النساء: ٩.

٤- أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيمًا، (٩/٨).

٥- أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرفاق، باب: الإحسان إلى الأرملة، (٤/٢٢٨٧).

ومعنى قوله (له): «بأن يكون جدا أو عما أو أخوا أو نحو ذلك من الأقارب أو يكون أبو المولود قد مات فتقوم أمه مقامه أو ماتت أمه فقام أبوه في الترية مقامها»<sup>(١)</sup>.

ومعنى قوله (أو لغيره): «أي أجنبي عنه ليس من الأقارب»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى كافل اليتيم: «القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية»<sup>(٣)</sup>.

وهذه النصوص جُلُّها يدل على قرب مكانة كافل اليتيم، لأن الكفالة حق من حقوقه، والكفالة تدخل السرور على اليتيم والنبى - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالَ إِلَى اللَّهِ إِذْ خَالَ السُّرُورَ عَلَى الْمُسْلِمِ، أَوْ أَنْ تَفْرَجَ عَنْهُ غَمًّا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْعَمَهُ مِنْ جُوعٍ»<sup>(٤)</sup>.

والكفالة أيضاً تنفيس كربة وقع فيها اليتيم، والنبى - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»<sup>(٥)</sup>.

- ١- ابن حجر: فتح الباري، باب: من يعول يتيماً، رقم (٦٠٠٥)، ج ١٠، ص ٤٣٦.
- ٢- عمرو بن مانع حماد الجهني: حقوق اليتيم في الشريعة الإسلامية، ص ٧٣، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ٣- النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١٨، ص ١١٣، ط ٢، ط دار إحياء التراث العربي ١٣٩٢ هـ.
- ٤- عبد الله بن المبارك: الزهد والرفائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، رقم (٦٨٤)، ج ١، ص ٢٣٩، ط دار الكتب العلمية - بيروت - والحديث: ضعيف، انظر: الشيخ الألباني: ضعيف الترغيب والترهيب، باب: الصلة والبر وغيرهما رقم (١٥٨٣)، ج ٢، ص ٩٦، ط مكتبة المعارف - السعودية.
- ٥- أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب: في المعونة للمسلم، (٢٨٧ / ٤)، والحديث: صحيح، انظر: الشيخ الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، باب: الترغيب في التيسير على المعسر، (١ / ٢٢١).

فلاعتناء باليتيم وقضاء مصالحه وتنفيس كربيه من الأعمال التي يحبها الله ويجازي فاعلها الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة

ولما كان الاعتناء باليتيم يقابل بالثواب العظيم، في المقابل حذرت السنة المطهرة من الاعتداء على اليتيم وهضم حقه بأي وسيلة من الوسائل التي تدخل عليه الحزن بسبب فقدان، وبسبب الظلم من قبل هاضم حقه، ولذا بينت السنة المطهرة من خلال نصوصها جزاء المعتدي على اليتيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ رِبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ في هذا الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عد أكل مال اليتيم من السبع الموبقات: «أي المهلكات، وأجمل بها ثم فصلها ليكون أوقع في النفس»<sup>(٢)</sup>.

ولما كان الاعتداء على مال اليتيم من المهلكات الموبقة، بين النبي - صلى الله عليه وسلم - عقوبة أكل مال اليتيم فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ حَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُدْقِيَهُمْ نَعِيمًا: مُدْمِنٌ خَمْرًا، وَأَكْلُ رِبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

- ١- أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب: قول الله - تعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النساء: ١٠ (١٠/٤).
- ٢- أبو الحسن الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ١، ص ١٢٣، ط ١، ط دار الفكر العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣- أخرجه أبو بكر البيهقي: باب: قبض اليد على الأموال المحرمة، (٣٦٩/٧)، والحديث: صحيح الإسناد. انظر: ابن حجر: تحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، باب: عراك بن مالك عن أبي هريرة، (٣٦٩/٢٥)، ط ١، ط مجمع الملك فهد، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

وجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الاعتداء على مال اليتيم كبيرة من الكبائر التي توبق صاحبها وتهلكه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»<sup>(١)</sup>.

ومما سبق يتبين لنا: خطورة الاعتداء على مال اليتيم، وأن عقوبة الاعتداء على حقوق الأيتام شديدة في الدنيا والآخرة.

وقد تكفلت الشريعة الإسلامية بضمان حقوق اليتيم وحفظتها من الضياع كما حذرت من قبل من الاعتداء عليها، فحفظت له حقوقاً هامةً منها حقوقاً شخصية، وأخرى مدنية:

#### المطلب الأول: الحقوق الشخصية:

١- «الحقوق المتعلقة بالولادة.

٢- حق الحياة.

٣- حق النسب.

٤- حق الرضاعة.

٥- حق الحضانة.

٦- حق الولاية عليه.

٧- حق الوصاية عليه»<sup>(٢)</sup>.

١- أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب: قول الله - تعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النساء: ١٠ (١٠ / ٤).

٢- تسنيم محمد جمال: حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي، ص ٢١.

لقد أولت الشريعة الإسلامية حقوق اليتيم بعناية بالغة، فاقت العناية بباقي أفراد المجتمع، إذ إنها ألزمت كل أفراد المجتمع بتتبع أحوال اليتيم في جميع المراحل حتى يشتد عضده ويستطيع مواجهة أعباء الحياة، وضمنت له جميع الحقوق التي تساعد على ذلك، ونفصل القول في حق من الحقوق:

### حق اليتيم في الحياة

يدهش المرء من الصورة التي صورتها المنظمات العالمية وصدرتها للإنسانية بخصوص أنها نادت بحقوق الإنسان، وأن هذه الحقوق حققت العدل والمساواة والإخاء في المجتمعات، مع أن الواقع خلاف ذلك.

إن هذه الحقوق نادت بها الشريعة الإسلامية منذ ألف وأربعمائة وثلاثة وأربعون من هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وطبقها قولاً وعملاً، فسعدت الإنسانية كلها بذلك، وقد شهد بذلك علماء الغرب، إذ يقول الدبلوماسي الألماني مراد هوفمان إذ قال: إن الشريعة الإسلامية قد تضمنت قوانين مختلفة تكفل توافر الحقوق، وبخاصة حق الحياة وسلامة الجسد والحرية والمساواة في المعاملة، وحق الملكية الخاصة والزواج وحرية الضمير، وبراءة المتهم حتى تثبت إدانته، وحق اللجوء، وكذلك عدم الحكم إلا بعد سماع أقوال الطرفين، وهذه الحقوق جميعها قد كفلها الإسلام منذ كان تشريعه»<sup>(١)</sup>.

ولا عجب في ذلك؛ لأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد الضامن لجميع حقوق الإنسان، والتي منها حق اليتيم في الحياة، وانفردت بذلك عن غيرها، إذ إن القوانين الدستورية تقر بنوداً وتشرع مواداً، ولكنها لا تطبق ذلك على أرض الواقع، لأن هذه النصوص أو هذه المواد يحتوي مضمونها على

١- كمال الدين عبد الغني المرسي: من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ج١، ص١٥٦، ط١، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



التميز الإنساني والعنصرة التي محهاها الإسلام وأقر المساواة والعدل بين جميع أطراف المجتمع .

ونحن لا نريد بهذا الكلام إجراء مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية، لأنه لا وجه للمقارنة بينهما ويتأكد ذلك ويتجلى بوضوح في حق الحياة، إذ إن الشريعة الإسلامية لا تفرق في هذا الحق بين إنسان وآخر .

«فلإنسان قبل أن يؤمن بالإسلام الحقُّ في أن يؤمن أو يكفر، فإذا أثر أيَّ ديانة من الديانات، فلا اعتراض عليه، ويبقى له حق الحياة والأمن والعيش بسلام، وإذا أثر الإسلام ودخل فيه وآمن به، فعليه أن يُخلص له ويتجاوب معه في أمره ونهيه وسائر هديه في أصوله وفروعه»<sup>(١)</sup> «فحق الحياة حق مقدس في نظر الإسلام، لا يحل انتهاك حرمة ولا استباحة حماه»<sup>(٢)</sup> .

ولا عجب في ذلك إذ إن الشريعة الإسلامية جاءت لتجدد الحياة للإنسانية التي هضم حقها في الديانات والأعراف السائدة التي كانت قبل الإسلام، فكان الأطفال يقتلن خشية الفقر، فجاء الإسلام وحذر من ذلك فقال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وما أبلغ من دليل على حق الحياة للإنسان سواء كان مسلماً وغير مسلم من توبيخ النبي - صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل أسامة بن زيد - رضي الله عنه -<sup>(٤)</sup> حينما قتل الرجل، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ

- ١- د. صالح بن عبد الله حميد: تليس مردود في قضايا حية، ص٣٦، موقع وزارة الأوقاف السعودية.
- ٢- خالد عبد الرحمن العك: تربية الأولاد في ضوء القرآن والسنة، ص٩٢، ط١، ط دار المعرفة - بيروت - ١٩٩٨ م.
- ٣- سورة الإسراء: ٣١.
- ٤- سيدنا أسامة بن زيد: " أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبى وقد ذكر ابن منده، وأبو نعيم في نسبه: ابن رفيدة بن لؤي بن كلب وهو تصحيف، وإنما هو ثور بن كلب، لا شك فيه. أمه أم أيمن حاضنة =

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرْقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ  
مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيَّ فُطَعِنَتْهُ  
بُرْمُحِي حَتَّى قَتَلْتَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةَ،  
أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي  
لَمْ أَكُنْ أَسَلَّمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ<sup>(١)</sup>.

لا شك أنه: «إذا ثبت حق الحياة للطفل بشكل عام فثبوته في حق اليتيم فاقده الأب أو جب»<sup>(٢)</sup>.

ويرى الباحث: أن حق الحياة لأفراد المجتمع واجب، أما في حق اليتيم فهو فرض عين، لأنه لو أهمل اليتيم لبغى الناس على كل الأيتام ولكانت فتنة مجتمعية تأذن بخراب المجتمعات، مما يكون سبباً في هلاك المجتمع بأسره.

### المطلب الثاني: الحقوق المدنية

لليتيم حقوق مدنية منها:

- ١- «حق الكفالة
- ٢- الحق المالي
- ٣- حق الاعاشة من بيت مال المسلمين
- ٤- حقه في التعليم
- ٥- حق الحضانة...»<sup>(٣)</sup>.

= النبي صلى الله عليه وسلم فهو، وأمين أخوان لأم، ويكنى أسامة: أبا محمد، وقيل: أبو زيد، وقيل: أبو خارجة، وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبويه، وكان يسمى: حب رسول الله "ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٩٤.

١- أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب: بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن زيد، (٥ / ١٤٤).

٢- تسنيم محمد جمال: حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي، ص ٣١.

٣- المرجع السابق: ص ٥٨ وما بعدها.

ونفصل القول في حق اليتيم في التعليم، وحقه في الحضانة والعتلة في اختيار هذين الحقين عن غيرهما، هو أن تعليم اليتيم من أهم الحقوق التي تساعد على الارتقاء بشخصيته في المجتمع مما يعطيه الدافع القوي على تحقيق باقي حقوقه المدنية والشخصية وغيرها من الحقوق، وأما الحضانة فتعوضه جزءاً من حنان الأبوة الذي افتقده.

والتعليم حق أصيل من حقوق الطفل اليتيم: إذ إن الإسلام «منح الطفل اليتيم الحق في التعليم كغيره من الأطفال لتصل شخصيته وتميز ملامح هويته، ويتسع إدراكه، وحتى يعتمد على نفسه عندما يشتد عوده فلا يعود بحاجة إلى العطف والرعاية من أحد.

إن المؤسسات الحكومية وأدوار رعاية الأيتام لا بد أن يهتموا بجانب تعليم الأيتام وعدم إهمال هذا الحق، فقد يكون هذا الطفل اليتيم في المستقبل القريب مصدر سعادة للبشرية بسبب تعليمه، وقد يكون العكس ويصبح مصدر قلق وإزعاج إذا أصبح جاهلاً وترك كأطفال الشوارع.

لذا أرى: أنه لا بد أن تسن قوانين خاصة بحماية حقوق الأيتام، والسعي على الحفاظ على هذه الحقوق حتى يكون اليتيم عضواً هاماً وفعالاً في بناء المجتمعات الإنسانية.

لقد أوجبت الشريعة الإسلامية عدة وسائل كافلة أن تضمن حقوق اليتيم، من أهمها:

#### حق الحضانة:

قبل أن نبين حق اليتيم في الحضانة وأثر هذا الحق عليه في الحفاظ على باقي حقوقه الشخصية والمدنية، نعرف بالحضانة لغة واصطلاحاً، فأقول:

الحضانة لغة: عرفها صاحب لسان العرب بأنها: «حضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحيه، وكذلك المرأة إذا حضنت ولدها»<sup>(١)</sup>.

وفي المعجم الوسيط: «حضنه حضنا وحضانة جعله في حضنه يقال حضن الطائر البيض رقد عليه للتفريخ وحضن الرجل الصبي رعاه ورباه فهو حاضن، وهي الولاية على الطفل لتربيته وتدير شؤونه»<sup>(٢)</sup>.

### الحضانة في الاصطلاح:

والحضانة في الاصطلاح لها عدة تعريفات عند العلماء:

وعرفها الحنفية بأنها: «تربية الطفل ورعايته، والقيام بجميع أموره في سن معينة، ممن لهم الحق في الحضانة»<sup>(٣)</sup>.

وعرفها المالكية بأنها: «حفظ الولد في مبيته، ومؤنته، وطعامه ولباسه ومضجعه وتنظيف جسده»<sup>(٤)</sup>.

وعرفها الشافعية بأنها: «حفظ من لا يستقل وتربيته»<sup>(٥)</sup>.

وعرفها الحنابلة بأنها: «حفظ الصغير ونحوه عما يضره وتربيته بعمل مصالحه»<sup>(٦)</sup>.

ويمكن أن تعرف الحضانة اصطلاحاً: بانها: ضم اليتيم وتربيته ورعاية مصالحه حتى يشتد عوده ويستغني عمن يخدمه.

- ١- ابن منظور: لسان العرب، باب: الحاء المهملة، ج ١٣، ص ١٢٣.
- ٢- إبراهيم مصطفى وآخرون: مجمع اللغة العربية، باب: الحاء، ج ١، ص ١٨٢.
- ٣- ابن نجيم: البحر الرائق: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٤، ص ١٧٩، ط دار الكتاب الإسلامي.
- ٤- الكشناوي: أسهل المدارك، ج ٢، ص ٣٠٥، ط المكتبة العربية - بيروت.
- ٥- الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: ج ٥، ص ١٩١، دار الكتب العلمية، ط ١، ط دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٦- البهوتي: الروض المربع شرح زاد المستقنع، ص ٦٢٧، ط دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.

لا شك أن الحضانة حق أصيل من حق أي طفل صغير، فضلاً أن يكون طفلاً يتيماً فهو أشد الناس حاجة إلى رعاية حاضنه.

ولذا نظرت الشريعة الإسلامية إلى الطفل اليتيم نظرةً شاملةً فأحاطته من جميع جوانب حياته، فالحضانة حق للصغير وواجبة على الأم، وهي أحق الناس بها وأقدرهم عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوك»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يشتمل على دلالة إعجازية تبين أن الصغير أنفع الناس لرفقته هي الأم، ومن هنا نصت التشريعات الحديثة بامتداد حضانة الأم لأولادها إلى سن الخامسة عشرة، وقال الفقهاء أن البنت في حضانة أمها إلى أن تتزوج كما لا يمكن أن تقوم (دور الحضانة) مقام الأم، كما لا يصح التخلي عن هذا الواجب الطبيعي بحجة العمل الوظيفي.

وإذا كانت الحضانة واجبة في حق الطفل، فهي في حق اليتيم أوجب، والحضانة تحتاج إلى إنفاق، والمقصود من الانفاق: «ما يشمل الطعام، والكسوة، والسكن، والتعليم، والعلاج، والزواج.

وقد ذهب الفقهاء إلى استمرار النفقة إلى بلوغ الأولاد حد الكسب إذا كانوا ذكوراً ولم يكونوا عاجزين عن الكسب وإلى أن يتزوجن إذا كنَّ إناثاً<sup>(٢)</sup>.

والباحث يميل إلى ما ذهب إليه الفقهاء في استمرار النفقة على اليتيم الذكر حتى بلوغ الرشد، وللأثني حتى الزواج وذلك لفقدان العائل لهم، ويكون ذلك

١- أخرجه البخاري: كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، (٢/٨).

٢- د. عبد الحميد الأنصاري: حقوق اليتيم وحمايتها في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية، ص٦، ٢٠٠٨ م.

عن طريق قوانين لا زمة في كل الدساتير القانونية، حتى يأمن اليتيم على نفسه.

**المبحث الثالث: مظاهر الاعتناء باليتيم وأثر ذلك في علاج مشكلاته.**

لا شك أن اهتمام الشريعة الإسلامية باليتيم مثلاً يحتذى به، إذ إنها أولته اهتماماً لا مثيل له من بين الأديان السماوية الأخرى، والقوانين الدستورية، ولكن أصبح اليتيم في العصر الحاضر يحمل بين جنبات حياته مشاكل لا حصر لها سبب الإهمال الذي تعرض له، مما يدعونا أن نبحث عن العلاج لما يتعرض له اليتيم من مشاكل لا يستطيع المجتمع المعاصر إنكارها، ونتذكر مظاهر عناية النبي - صلى الله عليه وسلم - والسلف الكرام باليتيم الذي وجد كل سبل احترام الذات، والعطف في هذا الجيل الذي كان يحيطه الإيمان في كل جنباته.

«ولعل ما يجعل مُعالجة هذا الموضوع مُلحةً في هذه اللحظة بالذات، هذا التفاوت العجيب بين ما شرعه الإسلام في ضمان حقوق اليتيم، وبين حالة الأيتام في هذا العصر الذي يضجُّ بالمشاكل والمشاكل، أنستِ الناس أنَّهُ هناك فئة اجتماعية تُئنُّ تحت وطأة الفقر والإهمال، هي فئة الأيتام والأرامل، فقريبٌ منَّا حرب غزاة خلَّفت ١٣٤٦ طفلاً في دائرة اليتم والحِرمَان؛ منهم من فقد أباه، ومنهم من فقد أمه، ومنهم من فقد أبويه معاً، وخلَّفت الحرب في العراق خمسة ملايين يتيم، ومليار طفل في العالم تنقصه واحدة أو أكثر من الخدمات الأساسية للبقاء والنمو، وفي كلِّ يوم يتزايد أعداد الأطفال الأيتام بنحو ٥٧٦٠ طفلاً؛ أي: أزيد من مليونين كلَّ عام، وتُشير منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» إلى أنَّهُ هناك أكثر من ٢١٠ ملايين طفل يتيم في جميع أنحاء العالم، وحسب منظمة الأغذية والزراعة وفي سنة ٢٠٠٧ يُوجد في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أكثر من ٤٠ مليون طفل يتيم، من بينهم نحو ١١،٤ مليون يتيم؛ بسبب مرض السيدا تحديداً.

ونظراً لقلّة العناية بهذه الشريحة، فإنَّ ١٠٪ من الأيتام الذين يُغادرون الملاجئ يُقدّمون على الانتحار، ويتحوّل أزيد من ٦٠٪ من الفتيات إلى مُمارسة البغاء، وينضمُّ ٧٠٪ من الأطفال الذكور إلى عالم الجريمة، بالإضافة إلى استغلال العديد منهم في مهن غير آدمية، لا لشيء إلا لأنهم أصبحوا أيتاماً، لا كافل لهم ولا مؤوي، ولقد كان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أوى إلى فراشه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَأَوَّانَا، فَكَمْ مَن لَّا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَّ»<sup>(١)</sup>.

نلاحظ من هذه الدراسة أن إهمال اليتيم من قبل المجتمع أدت به إلى الانحراف مما يكون أداة قلق على الجميع في المستقبل، ولذا نجد أن الشريعة الإسلامية متمثلة في النبي - صلى الله عليه وسلم - ضربت لنا أروع الأمثلة في مظاهر الاعتناء باليتيم، ومن ذلك:

١- شهادة سيدنا جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه -<sup>(٢)</sup> أمام النجاشي<sup>(٣)</sup> ملك الحبشة يشرح له محاسن الإسلام وأخلاقياته السامية، «قَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقَطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مَنَا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ

١- د. محمد ويلالي: كفالة اليتيم تأصيلاً وتنزيلاً، ص٢، بحث مقدم إلى الجمعية المغربية لكفالة اليتيم، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، والحديث: أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، (٤/ ٢٠٨٥).

٢- جعفر بن أبي طالب: "جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخو علي بن أبي طالب لأبويه، وهو جعفر الطيار، وكان أشبه الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلقاً وخلقا، أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل" ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٥٤١.

٣- النجاشي: "أصحمة النجاشي ملك الحبشة، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخبره معهم ومع كفار قريش الذي طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكبر عليه أربعاً، وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له وملك الحبشة، مثل كسرى للفرس، وقصر للروم ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١١٩ وما بعدها.

لَتَوْحِيدِهِ، وَلِنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحَجَارَةِ  
وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصَدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحْمِ، وَحُسْنِ  
الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدَّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ،  
وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، ...»<sup>(١)</sup>.

وفيه دلالة على مدى عناية النبي - صلى الله عليه وسلم - باليتيم، وأنه جاء  
ليحميه من الاعتداء على حقوقه ويضمن له حياةً كريمة.

٢- «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ، إِنْ لِفُلَانٍ نَخْلَةٌ، وَأَنَا أَقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَمُرْهُ يُعْطِنِي أَقِيمُ بِهَا حَائِطِي، فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْطَهُ إِيَّاهَا بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ»، فَأَبَى، فَأَتَاهُ  
أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَقَالَ: بَعْنِي نَخْلَتِكَ بِحَائِطِي، فَفَعَلَ فَاتَى أَبُو الدَّحْدَاحِ النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي  
وَقَدْ أَعْطَيْتُكُمَهَا، فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ  
عَذْقٍ دَوَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ» مَرَارًا فَاتَى أَبُو الدَّحْدَاحِ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ:  
يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ أَخْرِجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَقَدِ بَعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: رَبِّحْ  
السُّعْرُ»<sup>(٢)</sup>.

وفيه دليل على مدى العناية منه - صلى الله عليه وسلم - إذ إنه يبحث عما  
يُدخل الفرح والسرور عليه، ويضمن لمن يقدم على ذلك غرساً من الجنة، وفيها  
بشرى عظيمة لمن يعطف على اليتيم.

٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج الأرمال ومن في رعايتهن أيتام

١- أخرجه ابن خزيمة: كتاب الزكاة، باب: ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى أرض الحبشة،  
(٢ / ١٠٧٩)، والحديث: حسن، انظر: الوادعي: صحيح المسند من دلائل النبوة (٩٩ - ١٠٠).

٢- أخرجه ابن حبان: باب: ذكر السبب الذي من أجله قال - صلى الله عليه وسلم - ذلك، (١٦ / ١١٣)،  
والحديث صحيح على شرط مسلم. انظر: الألباني: السلسلة الصحيحة (٦ / ١١٣١).



وذلك من أجل القيام عليهن وعلى مصالحي أولادهن كما حدث عندما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنها. وكان أولادها، عمر وسلمة وزينب ودرة، أيتام في حجر النبي صلى الله عليه وسلم قام بكفالتهم وأحسن رعايتهم. فعن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلُّ يَمِينِكَ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ»<sup>(١)</sup>. لا شك أن هذا الاعتناء من جانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه كان علاجاً لكثير من المشكلات العصرية التي يتعرض لها فئة كبيرة من الأيتام، والذي كان سبباً في وجود أطفال الشوارع، ووجود جزء من فئة المسجلين خطراً بسبب إهمال المجتمع لهم، وتركهم عرضة للتسول ومصاحبة أقران السوء. والله أعلم.

١ - أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (٣/ ١٥٩٨).

الخاتمة: واحتوت على: (أهم النتائج، والمقترحات، والمصادر، والفهارس)

أولاً: أهم النتائج:

- ١- أثبت البحث أن اليتيم له مكانة عظيمة في الشريعة الإسلامية، لم تسموا إليها أي الأديان السابقة، ولن تسمو إليها القوانين الدولية الحالية.
- ٢- بين البحث اهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم - باليتيم، والذي استخدم لحمايته والعطف عليه جانب الترغيب محفزاً أمته إلى التسابق في إكرام اليتيم، وحسن معاملته، ومحذراً من التعدي عليه وعلى حقوقه.
- ٣- أظهر البحث أن اليتيم لا يرتبط بفقدان الوالد، بل هناك أيتام آباؤهم ما زالوا على قيد الحياة، وهؤلاء أطلق عليهم اليتيم الحكمي.
- ٤- وضع البحث أن إهمال اليتيم له آثار سلبية تقع على اليتيم والمجتمع بأسره، مما يكون سبباً في تغذية جانب الانتقام عند اليتيم، وتجعله فريسة انتقام من المجتمع في المستقبل القريب.
- ٥- بين البحث أن اليتيم له حقوق ثابتة في الشريعة الإسلامية، وعليه واجبات تجاه وطنه، ولن يستطيع أداء الواجبات حتى يمتلك حقوقه.
- ٦- أظهر البحث أهمية حق التعليم لليتيم إذ به يشد عضده، ويمتلك قوته، وذاده، وينمي فكره، ويبنى شخصيته ويجعله مكتفياً بنفسه عن سؤال غيره.
- ٧- أثبت البحث اهتمام أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - باليتيم، وكان بعضهم يضمه إلى بيته ويجعله مع أبنائه، ويساوي بينه وبينهم.

ثانياً: أهم المقترحات

من خلال البحث والاطلاع على أحوال اليتيم وما آل إليه الأيتام في العصر

- الحاضر، يقترح الباحث عدة اقتراحات، من أهمها:
- ١- إصدار قوانين دستورية تضمن لليتم حقه من الرعاية والانفاق حتى يستطيع العمل وينفق على نفسه.
  - ٢- إلزام دور الرعاية الخاصة برعاية الأيتام على الاهتمام بالجانب العلمي لدى الطفل اليتيم.
  - ٣- وضع ميزانية خاصة للأيتام في بنود الميزانيات الخاصة بالدول.
  - ٤- قيام الجمعيات الأهلية والخيرية على إعداد برنامج قابل للتطبيق لتعليم الأيتام حرفة أو صنعة يفتنون منها في المستقبل القريب.
  - ٥- وضع قوانين ملزمة في الدول تضمن الرعاية الصحية اللازمة للأيتام.

## المراجع والمصادر

- تحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة: ابن حجر العسقلاني، ط ١، ط مجمع الملك فهد، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الاتقان في علوم القرآن: السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أحكام القرآن: الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ.
- الاختيار لتعليل المختار: مجد الدين أبو الفضل الحنفي، ط مطبعة الحلبي - القاهرة - ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- أساليب الرعاية في مؤسسات رعاية الأيتام وعلاقتها بالتوافق النفسي: أنيس عبد الرحمن عقيلان: ٢٠٠٢م.
- الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، ط دار الجيل - بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- أسهل المدارك: الكشناوي، ط المكتبة العربية - بيروت.
- الاصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد أمين الشنقيطي، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الأعلام: الزركلي، ط ١٥، ط دار العلم للملايين ٢٠٠٢م.

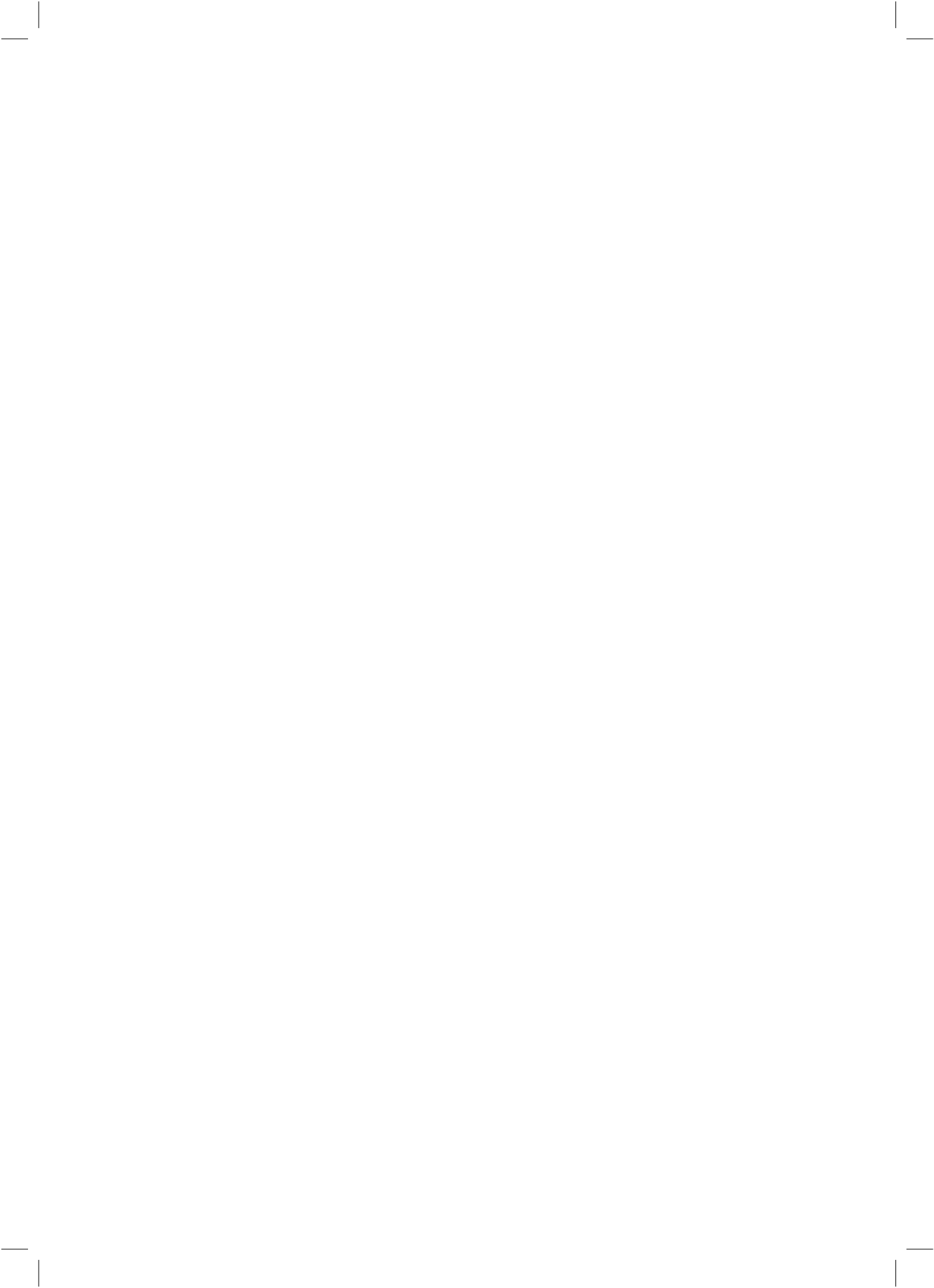
- الإنسان في القرآن: عباس محمود العقاد: : ص٧، ط٤، نهضة مصر للطباعة والنشر - ٢٠٠٥ م.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ابن نجيم، ط دار الكتاب الإسلامي.
- البحر المحيط في أصول الفقه: الزركشي، ط١، ط دار الكتبي ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق: علي بشري، ط١، ط دار احياء التراث العربي ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- البناية شرح الهداية: أبو محمد بدر الدين العيني، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير الطبري، ط٢، ط دار التراث - بيروت - ١٣٨٧ هـ.
- تحفة المودود بأحكام المولود: ابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرناؤط، ط١، ط مكتبة دار البيان دمشق ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- تربية الأولاد في ضوء القرآن والسنة: خالد عبد الرحمن العك، ط١، ط دار المعرفة - بيروت - ١٩٩٨ م.
- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام: أكرم ضياء العمري، ط١، ط دار اشبيليا ١٩٩٧ م.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- تلبيس مردود في قضايا حية: صالح بن عبد الله حميد، ص٣٦، موقع وزارة الأوقاف السعودية.
- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: صهيب عبد الجبار، ط٢٠١٤ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر: البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ط دار طوق النجاة ١٤٢٢ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، ط دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

- حقوق اليتيم في الشريعة الإسلامية: عمرو بن مانع حماد الجهني، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي: تسنيم محمد جمال، فلسطين ٢٠٠٧م.
- حقوق اليتيم وحمايتها في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية: عبد الحميد الأنصاري، ٢٠٠٨م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني، ط دار السعادة - مصر - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- دور الخطاب الدعوي في تصحيح المفاهيم الخاطئة: د. محمود ضاحي، رسالة دكتوراه - ط جامعة الأزهر الشريف ٢٠٢٢م.
- الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت: عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- الروض المربع شرح زاد المستقنع: البهوتي، ط دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.
- الزهد والرقائق: عبد الله بن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
- زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي.
- سنن أبو داود: أبو داود، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية - بيروت.
- السنن للترمذي: الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- شرح السنة: أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش م، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- صحيح ابن حبان مخرجا: ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٢، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- صحيح ابن خزيمة: ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ط ٣، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥، ط مكتبة المعارف - الرياض.
- ضعيف الترغيب والترهيب: محمد بن ناصر الدين الألباني، ط مكتبة المعارف - الرياض.
- الطبقات الكبرى: ابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ط دار صادر بيروت ١٩٦٨ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩ هـ.
- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة: مجموعة من المؤلفين، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٤ هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ط ١، ط المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦ هـ.
- القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط ٨، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- كشف القناع عن متن الاقناع: البهوتي الحنبلي، ط دار الكتب العلمية.
- لسان العرب: ابن منظور، ط ٣، ط دار صادر بيروت ١٤١٤ هـ.
- المجتمع المتكافل في الإسلام: عبد العزيز الخياط، ط ٢، ط مؤسسة الرسالة، عمان، ١٩٨١ م.
- مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى وآخرون.
- مختار الصحاح: الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، ط المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت - صيدا ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي: مصطفى أحمد الزرقاء، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن الهروي، ط ١، ط دار الفكر العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- المستدرک علی الصحیحین: أبو عبد الله الحاکم النیسابوری، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، ط ١، ط دار الکتب العلمیة بیروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- المسند الصحیح المختصر: مسلم، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربی - بیروت.
- مشكلات الاندماج الاجتماعي والهوية لدى الأيتام ذوي الاحتياجات الخاصة: أحمد بن عبد الرحمن البار، ٢٠١١م.
- المشكلات النفسية والاجتماعية لدى الأيتام في الجمعية الخيرية بمكة المكرمة - دراسة وصفية تحليلية - علي عبد الله السويهي، ٢٠١٠م.
- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقیق: عبد السلام محمد هارون، باب: كفل، ١٣٩٩هـ ٦١ - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: الشربيني، ط ١، ط دار الکتب العلمیة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- مفهوم ومميزات حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية والنظام السياسي الوضعي: موسى عمر كيتا، د. علي منذو عثمان: مجلة جامعة المدينة العالمية، عدد الحادي عشر ٢٠١٥م.
- من أحاديث فضل كفالة اليتيم في الكتاب والسنة: توفيق الهادي، ٢٠١٥م.
- من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي: كمال الدين عبد الغني المرسي: ط ١، ط دار المعرفة الجامعية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن: يحيى بن محمد بن حسن زمزمي، ١٤٢٤هـ.
- الموطأ: مالك ابن أنس، تحقیق: بشار عواد معروف - محمود خليل، ط مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.
- الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة: سعيد بن علي وهف القحطاني، ط ١، ١٤٣٢هـ.





إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ومهاراته في  
التواصل مع الأطفال - نماذج مختارة

**د. بولمعالي النذير**

أستاذ التعليم العالي

جامعة يحيى فارس - المدية - الجمهورية الجزائرية

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.11>





## Abstract

The Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, dealt with many societal groups, with men and women, with the old and the young, with the infidel and the believer, with the Arab and non-Arab, with the scholar and the educated... and left an impact on the psyche of many of them; He used to choose the ways of dealing according to the listeners who stood before him. Today, we are in front of a huge prophetic increase in how the Prophet, peace and blessings be upon him, deals with a temporarily weak group in society, but it will be a pioneer and a leader after years of its age, and they are the children; The children of today are the men of tomorrow and the guardians of religion; Good dealing with young people at that time had a great purpose, which was to build the men of tomorrow; It is only a few years and you will find him responsible, the educator, and the bearer of the torch of construction, development and change (socially, politically, economically and educationally).

**Keywords:** art - skills - prophetic - communication - children - dealing.

## ملخص البحث

إن من إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم أن تعامل صلى الله عليه وسلم مع فئات مجتمعية كثيرة؛ فقد تعامل مع الرجل والمرأة ومع الكبير والصغير ومع الكافر والمؤمن ومع العربي والأعجمي ومع العالم والمتعلم... وترك أثرا في نفسيات الكثير منهم؛ فقد كان يتخير طرق المعاملة حسب من يقف أمامه من المستمعين؛ فنحن اليوم أمام زاد نبي ضخم في كيفية تعامله صلى الله عليه وسلم مع فئة ضعيفة مؤقتا في المجتمع غير أنها ستكون رائدة وقائدة بعد سنوات من عمرها وهم فئة الأطفال؛ فأطفال اليوم هم رجال الغد وحماة الدين؛ فحسن التعامل مع صغار السن حينها كان له مقصدا كبيرا وهو بناء رجال الغد؛ فقط هي بضع سنوات وستجده هو المسؤول وهو المربي وهو حامل مشعل البناء والتطور والتغيير (اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وتربويا)؛ لقد غرس في أطفال المسلمين قيما إنسانية ما أحوجنا إليها الآن.

كلمات مفتاحية: فن - مهارات - نبوية - التواصل - الأطفال - التعامل.



## مقدمة

إن الزاد الضخم من تراثنا الإسلامي النبوي وما انعكس منه من تصرفات الصحابة بعده ومن تتلمذ علي يديه صلى الله عليه وسلم وكيف تعاملوا مع مختلف شرائح المجتمع من مسلمين وغير مسلمين مع الكبير ومع الصغير منهم مع المرأة ومع الرجل منهم مع العالم ومع المتعلم منهم فأعطونا بذلك قدوات للتعامل وكيفياته لصالح حالنا في الدارين ولعل فن التعامل مع صغار السن حينها كان له مقصدا كبيرا وهو بناء رجال الغد فطفل اليوم هو رجل الغد فقط هي بضع سنوات وستجده هو المسؤول وهو المربي وهو حامل مشعل البناء والتطور والتغيير (اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وتربويا...)؛ فالتفريط فيه الآن معناه التفريط في مستقبل الأمة وهذا ما وعاه رجالات الدعوة على أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف لا وهو من علمهم فنون التعامل مع جميع البشر ومنهم أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض ولعل الكثير سنقف عليه من خلال هذا الرصد المبدئي لكثير من النماذج التي تعامل معها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه فأعطانا بذلك النموذج الأسمى للتعامل مع الفئة الأكثر هشاشة في مرحلة عمرية معينة (الصغر) والتي ستصبح أشدنا عودا في مرحلة الشباب وفي مرحلة الكبر من مرحلة الأخذ إلى مرحلة العطاء.

### أهمية الدراسة:

ينطوي موضوع دراستنا على أهمية كبرى وهي التي دفعتنا لاختياره وضبطه بهذا العنوان بالذات وتتلخص هذه الأهمية في الآتي:

- ١- التذكير بإنسانية الاسلام وإنسانية نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٢- التنبيه على خطورة وأهمية مرحلة الطفولة في حياة الأمم والشعوب.

- ٣- لفت الانتباه للطفل والاعتناء بتنشئته باعتباره رجل الغد.
- ٤- التذكير بما كان عليه محمد الانسان والقدوة صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الفئات الضعيفة حتى تقوى ويشد عودها ومنها فئة الأطفال.

#### أسباب الدراسة:

للدراصة التي بين أيدينا أسبابها ودوافعها التي أراني ملزما بذكرها وهي:

- ١- الرغبة الشخصية في بحث وسبر أغوار هذا الموضوع وغيره من المواضيع ذات الصلة (باعتباري أبا وباعتباري معلما ومربيا وأستاذا لأزيد من ٣٤ سنة).
- ٢- خدمة أحد محاور المؤتمر والذي أتمنى أن أضيف من خلال جلساته إضافة علمية مهمة في الموضوع.

#### الدراسات السابقة:

ككل البحوث الأكاديمية إلا وتعتمد على ما سبق بحثه في ذات الموضوع أو ما يكون قريبا منه؛ وفي بحثنا هذا حاولت جاهدا الاستفادة من أسفار عدة في ذات الموضوع؛ بعضها اعتمده في البحث وبعضها استأنست به فلم يظهر في قائمة المصادر والمراجع المرصوفة في آخر بحثنا والتي اتفق مع ما جاء فيها تمام الاتفاق ولا مؤاخذات عليها فيما ذهب إليه فيها أصحابها والحمد لله؛ ولعل من أبرزها الآتي:

- كتاب إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور حسين صبري استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الشيخ زايد رحمه الله بدولة الامارات العربية المتحدة والذي تناول فيه انسانية رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم مناقشا

- التميز البشري في سيرته العطرة وفن تعامله مع كل شرائح المجتمع أنداك .
- كتاب انسانيات محمد صلى الله عليه وسلم لصاحبه خالد محمد خالد وهي دراسة مائة رغم قلة صفحاتها؛ وقد عرج فيها الكاتب على جوانب انسانية عدة في حياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم معتمدا على الأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب .
  - كتاب أطفالنا وحب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمني زكريا الرمادي والذي يتحدث عن كيفية ربط أطفالنا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهديه؛ وكيف كانت معاملته لأطفال الصحابة رضي الله عنهم؛ فقد زرع فيهم حبه بحسن معاملته لهم صلى الله عليه وسلم .
  - وأيضا كتاب فن التعامل مع مرحلة المراهقة (فتيان وفتيات) لصاحبه محمد فهد الثويني؛ والذي عرج فيه على مرحلة حساسة في حياة أبنائنا وهي ما تعرف بمرحلة المراهقة .
  - وكتاب مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية لصالح بن سليمان المطلق؛ وهو كتاب فريد في فنه وتخصصه؛ وهو لؤلؤة ثمينة بالنسبة لمن انبرى للتعليم والتربية .
  - وكتاب من أساليب الرسول في التربية دراسة تحليلية لنجيب خالد العامر؛ فقد عرج فيه على أساليبه صلى الله عليه وسلم في الدفع بالناشئة نحو الفضائل الإيجابية بعيد عن السلبية في حياتهم .
- هذه الكتابات وغيرها كثير كما سبق وأن ذكرت؛ ففي اعتقادي هي جامعة للكثير من الفضائل النبوية الشريفة وغير مفصلة ومبوبة لها وهي تحتاج الى تصنيف وتبويب بالاعتماد على ما ورد في الحديث النبوي الشريف؛ ومن خلال سيرته



العطرة صلى الله عليه وسلم؛ فقد حاولت من خلال هذا المنجز البحث البسيط أن أفصل وأخصص فئة ضعيفة في المجتمع الاسلامي وكيف تعامل معها صلى الله عليه وسلم باسما لهم بساط الرحمة والعطف لعلنا نتأسى بها كأولياء وكمربين نشتغل في حقل التربية والتعليم والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة في اعتقادي إلى:

- ١- التنبيه لعملية التربية للناشئة والتحذير من إهمالها؛ وأثار هذا الإهمال المدمرة على الأفراد والمجتمعات.
- ٢- إظهار شمولية السنة النبوية وصلاحتها لحل أزمات الأمة التربوية ومشاكلها من خلال مجموعة من النصوص النبوية الصحيحة.
- ٣- التعرف على التوجيه النبوي للعملية التربوية وكيفية التعامل مع فئة في حالة نشاط تعليمي دائم وتهذيب بعض سلوكيات الطفل الناشئ.

### طفل اليوم ليس كطفل الأمس

إن طفل اليوم ليس كطفل الأمس وطفل الغد لن يكون بالتأكيد كطفل اليوم وهذا لحدوث متغيرات جمّة؛ وما يلاحظ من تطور اقتصادي وسياسي ومالي وتكنولوجي بين حضارة الأمس وحضارة اليوم أدى بالضرورة إلى تغيرات في الأنماط والنماذج التربوية؛ فنحن عندما نتحدث عن نماذج نبوية لا يجب التفكير على أنها مجردة من تأثيرات خارجية معاصرة في يومنا هذا؛ بل ما نتحدث عنه في عصر النبوة المشرقة هي خطوط عريضة لكيفيات ومهارات التعامل مع الناس جميعاً ومع هذه الفئة العمرية على وجه الخصوص؛ فهي الثابت التي يجب البناء عليها مع وجوب وضرورة مراعاة المتغيرات الحياتية والظرية لكل مجتمع

ولكل حقبة زمنية يعيش فيها لكي لا يحدث انفصام للأطفال عن واقعهم المعاش؛ وبالتالي فلا يؤثرون فيه بل يصبحون عناصر سلبية فيه وهذا ما لم يكون رسولنا صلى الله عليه وسلم يرنوا ويصبوا إليه فهو كان عليه الصلاة والسلام يرنوا إلى أن يصبح أطفال اليوم شباب الغد وأبطال المستقبل ورواده يحملون راية الإسلام والدعوة إلى الله تعالى وروح الإسلام بوسائل عصرهم.

وعليه أقول: أيها الأب؛ أيها المعلم؛ أيها المربي؛... ازرع في طفلك القيم الإنسانية والشجاعة والحب والحنان والرفق والقوة والتفكير ونصرة الحق والمظلوم والعدل والمساواة.

### إنسانية الإسلام وصناعة القدوة المسلمة لأطفالنا

مما يؤسف له في عصرنا أن نجد الكثير من أبناء الإسلام يتخذون القدوات البشرية وغيرها من الشرق ومن الغرب... ولا يلتفتون ولو قليلا إلى موروثهم الحضاري عامة والنبوي خاصة؛ والذي في اعتقادي ضرب بينه وبينهم بصور بفعل الدس والمكر الدخيل—؛ فلو فعلوا لوجدوا فيه الخير الكثير وفي جميع مناحي الحياة من أفكار توجيهية خاصة وخطوط عريضة كلها إنسانية ونفعا للغير قبل الذات ولبناء حياة العزة والكرامة للإنسانية عامة... (فما هو الواجب نحو هذه المسألة بالذات؟ هل نضع قدوات ربانية في مختلف الفنون والمجالات [رياضية؛ علمية؛ اقتصادية...]) لأطفالنا بأطفالنا) أم ننظر لهم قدوات من خارج محيطنا وموروثنا الحضاري المبسوط في الكتاب والسنة النبوية.

أدبيات التواصل ومهاراته الإنسانية عند الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد قالت العرب قديما: (فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، إِنْ نَطَقَ؛ نَطَقَ بِيَّانٍ، وَإِنْ قَاتَلَ؛ قَاتَلَ بِجَنَانٍ)؛ فمن أدبيات التواصل ومهاراته نجد ما يسمى

بأدبيات الكلام والتي نجلها في (هيئة المتكلم؛ وصوته؛ وطبيعة الكلام؛ وأدبيات المحاوره او المحادثة)؛ فالكلام هو صفة المتكلم؛ فبمقدار ما يكون الكلام محتويا على شروطه الموضوعية والأخلاقية فانك بالغ هدفك ومحقق نجاحا لا تقا يكسب شخصيتك تأثيرا جميلا في الآخرين؛ فالكلام هو أوسع طرائق الاتصال الأربعة (الكلام / الاستماع / القراءة / الكتابة)؛ التي ينبغي للمرء إتقانها ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ فإن أتقنها غدت مهارة يمتاز بها وفنا رفيعا يمهّد سبيل النجاح لصاحبه ويعينه على انجاز علاقات وثيقة وفاعلة مع الآخرين؛ وهذا ما فاق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره في تعامله مع عامة الناس ومع فئة الأطفال خاصة؛ ولذلك نجده قد حقق نجاحا كبيرا مع هذه الفئة التي استطاعت بناء الدولة وتقويتها والقيام بالفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام بالدعوة إلى الله تعالى متمثلة في ذلك ما تعلمته في صغرها من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته<sup>(١)</sup>.

### خصوصية مرحلة الطفولة

واجب العاملين في حقل التربية عامة وفي حقل التعليم خاصة أو في أي حقل فيه مساس بعالم الطفولة الواسع (مؤسسات التنشئة الاجتماعية الثمانية)؛ أن ينتبهوا إلى خصوصية هذه المرحلة العمرية وان يدركوا بأن في شخصية الطفل الواحد قد نجد عوالم متنوعة ومختلفة وشتى؛ منها الايجابية والسلبية في آن واحد (الحب وما يقابله؛ الشجاعة وما يقابلها؛ البذل والعطاء وما يقابله؛ النباهة وما يقابلها وهكذا...)؛ وعليه وجب على المربي الحرص على تنمية الخير والحيز الايجابي في هذا الطفل ليسمو وينمو ويتغلب على الحيز السلبي؛ فلا يهملنا قطع فسيلة الشر والسلبية في الطفل بقدر تنمية فسيلة الخير والايجابية فيه؛ خاصة في

١- راشد علي عيسى . مهارات الاتصال . من كتاب الامة (سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بقطر؛ العدد ١٠٣ السنة ١٤٢٥ / ٢٠٠٤م؛ السنة ٢٤)؛ ط١؛ ص ٩٥ وما بعدها.

عصرنا هذا الذي سادت وعلقت فيه بعض الشوائب بثقافتنا الإسلامية فأزاحت الأبصار وراقت لبعض ضعاف القلوب وألقت في أذهان أبنائنا خاصة بعضا من المفاهيم المغلوطة المستوردة فكريا من هنا وهناك؛ إما دسيسة وإما بسبب الانفتاح على العالم من خلال ما نحن فيه من تطور علمي والذي لا يجب أن نبقي على هامشه وإنما وجب علينا مسابرة والأخذ منه والاحتياط له لأجل ناشئتنا خاصة؛ فلا يجب البتة التقصير في واجبنا كمبرين ومهتمين بالطفولة اتجاه أطفالنا سواء بالتربية الوقائية أو التربية العلاجية أو التربية البنائية هذا الواجب الذي نعتبره حجر الأساس لضمان التفوق في مستقبلنا القريب ففيه الرجاء كما فيه البلاء لا قدر الله؛ وفيه البناء وفيه الخراب لا قدر الله؛ فالأم في غالبها تشقى بشقاء أبنائها وتسعد بسببهم أيضا...<sup>(١)</sup>.

### منهج تربية (الطفل الإنسان) في الإسلام (المفهوم والخصائص)

لا بد أن نعي منهج التربية في التصور النبوي؛ حيث ينبني على أسس؛ وله خصائص يتميز بها عن غيره من مناهج التربية الأخرى؛ فهو كل متكامل كل جزء فيه يتأثر ببقية الأجزاء ويؤثر فيها أيضا؛ كما أنه نابع من التصور الإسلامي عامة للكون وللحياة وللإنسان؛ فهو منهج رباني متكامل من حيث المصدر ومن حيث الوجهة والغاية؛ لاعتماده على عقيدة التوحيد الواضحة المعالم في عالمنا الإسلامي؛ كما أنه منهج يتميز بعالميته المستمدة من عالمية وإنسانية الإسلام والرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم؛ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) (الأنبياء / ١٠٧)؛ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ / ٢٨)؛ كما أنه منهج نبوي متفرد؛ من

١- طارق أحمد البكري. قراءات في التربية والطفل والإعلام. دار الرقي. بيروت. ط١؛ ٢٠٠٥م. ص ٣٣ وما بعدها.

خصائصه أنه ثابت المبادئ متغير في الوسائل؛ وأنه منهج يمتاز بالشمول والتوازن والايجابية وأنه منهج واقعي وفريد متميز؛ إنه منهج إنساني قويم<sup>(١)</sup>.

فالإنسان في هذا المنهج هو خليفة الله في أرضه له وظيفة وهي عبادة الله وتنفيذ منهجه في الأرض لتحقيق غايته وهي السعادة الدنيوية بالحياة الراقية؛ والسعادة الأخروية بالخلود في الجنة بحول الله<sup>(٢)</sup>؛ ويمكن تلخيص هذا من خلال الرسم البياني الآتي<sup>(٣)</sup>:



### المهارات النبوية في التعامل مع فئة الأطفال من خلال نماذج إنسانية مختارة

ولأن هذه الفئة العمرية أشد الفئات وأكثرها حاجة للرعاية والعطف والحنو في كل المجتمعات؛ كان اهتمامه صلى الله عليه وسلم بهذا الشكل؛ وفي النماذج المختارة ذات البعد الإنساني والتي سنقوم بسردها؛ الكثير من المهارات النبوية في تواصله مع هذه الفئة والتي أعطى من خلالها النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً عريضة لكل مربّي ليحذو حذوها في مدرسته ولكل ولي من الأولياء

١- علي أحمد مدكور. منهج التربية في التصور الإسلامي. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٩٠م / ١٤١١هـ؛ ص ٤٠ وما بعدها.

٢- علي أحمد مدكور. منهج التربية في التصور الإسلامي. مرجع سابق؛ ص ٣٥ وما بعدها.

٣- علي أحمد مدكور. منهج التربية في التصور الإسلامي. مرجع سابق؛ ص ٢٩ بتصرف.

ليستأنس بها في منزله مع أطفاله؛ وما سنسرده لا تعدو أن تكون نماذج إنسانية راقية للتعامل وللقياس عليها؛ ففيها الحكم والأساليب التربوية والمهارات العالية في تعاملاته عليه الصلاة والسلام مع الأطفال من خلال رصدنا لطرق وأساليب تربوية وإنسانية في تعامله صلى الله عليه وسلم مع هذه الفئة أيضا؛ فتتجلى إنسانيته صلى الله عليه وسلم من خلال تواضعه لهم؛ حبا لهم؛ رحمة بهم؛ شفقة عليهم؛ تنبيها لهم؛ توجيها لهم؛ مواساة لهم؛ مساعدة لهم؛ ...؛ وهذا تحفيزا لكل مربي للتأسي برسولنا الإنسان صلى الله عليه وسلم؛ والنماذج كثيرة وفي ميادين شتى رصدنا منها الآتي:

الهدف العام هو مرافقة الصغار بهدف التوجيه وغرس القيم الإنسانية

لقد روى البخاري عن عُرْوَةَ: (أَنَّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكْفٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَذَكِيَّةٌ وَأَرْدَفَ أَسَامَةَ وَرَأَاهُ يَعُودُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةٌ الدَّابَّةِ خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَةَ بَرْدَانَهُ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَفَ وَنَزَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصِصْ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاعْشِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحِبُ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَشَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَكَتُوا، فَرَكِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ أَيُّ سَعْدٍ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ،

فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ أَنْ يُتَوَجَّهَ فِي عَصْبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ (١)؛ ولنحاول تخيل الكم الهائل من المهارات والأخلاق التي غرسها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الطفل وهو أسامة بن زيد رضي الله عنهم جميعا وهو في سن لا تتجاوز العاشرة؛ كيف غرس فيه خلق التواضع؛ تواضعه بأن حمله معه وأردفه وراءه على دابته؛ وكذا تعليمه كيف يتنازل الحاكم والسلطان ويزور أحد رعاياه حين مرضه؛ ونرى أيضا كيف علمه عمليا عيادة المريض؛ وكذا الدعوة إلى الله في أوساط الناس؛ وتهذئة الغاضبين وطرق الرد على المخالفين وكيف كان يتصرف رسولنا صلى الله عليه وسلم مع الخاطئين بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله؛ وهذا ما يمكن أن نسميه التربية بمعيشة الأحداث (٢)؛ ومن المقصد العام لهذه المرافقة يمكننا استكشاف مهارات نبوية أخرى نذكرها فيما يلي:

### أولا: إنسانيته صلى الله عليه وسلم في دعائه للأطفال

لا تكاد تمر مناسبة من المناسبات يلتقي فيها النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الفئة إلا وأبدى اشد الاهتمام بها؛ فكان يبادرها بالسؤال والتمازح ليجد منفذا من خلال الكلام والأفعال إلى قلوبهم وقلوب أوليائهم في الوقت ذاته؛ فكان يدعو لهم بالشفاء والتوفيق والإنبات الحسن وحسن الخلق والتعلم والتأدب؛ والآثار كثيرة في هذا الشأن سواء مع أطفال أهله أم مع أطفال المسلمين عامة؛ فلا فرق عنده بين هؤلاء وهؤلاء صلى الله عليه وسلم؛ ولعلنا نستشهد ببعض ما ورد في الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم:

- ١- أخرجه البخاري في كتاب المرضى؛ باب عيادة المريض راكبا وماشيا وردفا على الحمار؛ ج ٧؛ ص ١٠٨؛ حديث رقم (٥٦٦٣).
- ٢- محمد أمحزون. منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ط ٢. ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م. القاهرة؛ ص ٢٠٥.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوتَى بِالصَّبِيَّانِ فَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ وَيَحْنُكُهُمْ، فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ، فَقَالَ عَلَيْهِ فِدَاعًا بَجَاءً، فَاتَّبَعَهُ بَوْلُهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ<sup>(١)</sup>)؛ كما ثبت دعاءه صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة فقال اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل فكان من شأن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما كان في العلم عامة وفي التفسير خاصة؛ ومثل هذا التصرف منه صلى الله عليه وسلم كان يأسر به قلوب الوالدين قبل قلوب الأطفال لأن الطفل في هذه المرحلة قد لا يعني ما يحدث من حوله مثلما يعيها الأولياء.

ثانياً: إنسانيته صلى الله عليه وسلم في إفشاء السلام عليهم والسؤال عن أحولهم

كما كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبادر ويبدأ بإفشاء السلام على عموم الناس ومنهم الأطفال وهو من هو بأبي وأمي أنت يا رسول الله؛ وهذا تأديبا لهم ونشر المزيد من أساليب التعامل مع الناس في شخصيتهم ونشر الأخلاق فيهم، وأيضا رفقا بهم، وتلطفاً معهم، ولإشعارهم بالمكانة التي يحضون بها لديه؛ فقد كان إفشاء السلام من وسائل النبي صلى الله عليه وسلم في التواصل مع الناس عامة وحتى مع الأطفال؛ مع اعتبارهم وتشجيعهم وتعليمهم بالقدوة والتجربة العملية؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أنه مرَّ على صَبِيَّانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>. ونتيجة هذا في عمومها هو حصول ثقة الطفل بنفسه؛ فينشأ قوي الإرادة صلب العريكة ثابت الشخصية، ولا يمنعه هذا من أن

١- أخرجه مسلم، كتاب الطهارة؛ باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله (ج ١ ص ١٦٣) حديث رقم: (٢٨٦).

٢- أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان - باب التسليم على الصبيان؛ (ج ٨ ص ٥٥) حديث رقم: (٦٢٤٧).

٣- محمد فهد الثويني. فن التعامل مع مرحلة المراهقة فتیان وفتیات.. دار الخلدونية. الجزائر. ٢٠٠٤م. ص ٢٣.



يكون مَرَحًا عَطُوفًا عَلَى غَيْرِهِ، عَضُوءًا فَعَالًا فِي مَجْتَمَعِهِ<sup>(١)</sup>، كما أنه كان يمدحهم ويشن عليهم مثلما هو الحال مع عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حيث قال عليه الصلاة والسلام في حقه رضي الله عنه: فَعَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ أُخْتِهِ حَفْصَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ<sup>(٢)</sup>؛ كما كان صلى الله عليه وسلم لا يغلظ لهم في العتاب والقول فكان يلتبس لهم الأعداء ويترفق بهم؛ كما فعل مع خادمه أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كما كان يؤاكلهم، غايته صلى الله عليه وسلم في كل هذا تقديم النصيح لهم وإصلاح أحوالهم وتوجيههم إذا رأى منهم مخالفة للآداب والقيم بشيء من اللين والرفق والرحمة موصيا لهم بالخير موجهًا لهم نحو توحيد الله عز وجل؛ قال عليه الصلاة والسلام: (يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللهُ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهُ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهُ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)<sup>(٣)</sup>؛ كما أنه لم يكن مقصده التوبيخ والعقوبة ولكن مقصده هو إصلاح أمورهم وتهيئتهم لما هو آتٍ في قابل الأيام والسنون كما فعل مع عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه؛ فعن عمر بن أبي سلمة قال: (كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي

١- صالح بن سليمان المطلق. مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية»، ص ١٢٣ وما بعدها.

٢- أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ (ج ٥ ص ٢٥)؛ حديث رقم: (٣٧٤٠).

٣- أخرجه الترمذي في جامعه؛ أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب؛ (ج ٤ ص ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦)؛ حديث حسن صحيح.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ<sup>(١)</sup>.

الكثير من الكبار يتجاهل الأطفال في إلقاء السلام والمبادرة بالتحية؛ على عكس النبي صلى الله عليه وسلم الذي اشتهر بتواضعه لهذه الفئة العمرية ولم يتردد في إلقاء السلام والتحية لهم؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيانٍ فسَلَّم عليهم وقال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ<sup>(٢)</sup>.

ويا له من أسلوب إنساني يدخل السرور والفرح إلى نفوس هؤلاء الناشئة، ويعطيهم طاقة إيجابية ودفع معنوي لأن يكونوا أعضاء إيجابيين في مجتمعهم نافعين لأمتهم، وهذا من حكمته عليه الصلاة والسلام ومن حسن تدييره.

وفي قصته مع أحد الصبية والسؤال عن أحوال عصفوره دروسا وعبرا ذات دلالات تربوية عميقة ودقيقة؛ فعن أنس قال: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسَبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ نَغْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا)<sup>(٣)</sup>. ويستفاد من هذا كله الآتي:

١- بالرغم من كثرة انشغاله وحجم الدعوة والتغيير الذي كان بصددده صلى الله عليه وسلم في المجتمع الناشئ آنذاك فلم ينسه هذا هذه الفئة العمرية

- ١- أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة؛ باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، (ج ٧ ص ٦٨) حديث رقم: (٥٣٧٦).
- ٢- أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان؛ باب التسليم على الصبيان؛ (ج ٨ ص ٥٥)؛ حديث رقم: (٦٢٤٧)؛ وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب السلام على الصبيان، ص ١٠٤٧؛ حديث رقم: (٥٢٠٢)؛ صحيح من حديث أنس.
- ٣- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبوي وقبل أن يولد للرجل؛ (ج ٨ ص ٤٥)؛ حديث رقم: (٦٢٠٣).

من صغار السن رغم كثرة المشاغل وبداية التشريع في المدينة المنورة وجهاد وتسيير للدولة الناشئة؛ وهذا الوقت المتاح لهذه الفئة العمرية ما هو إلا فسحة تربوية لإعداد قادة ورجال المستقبل.

٢- الطفل في مرحلته العمرية هذه يحتاج لوسائل توجيه تختلف عن وسائل توجيه الكبار ووسائل إيضاح تختلف عن وسائل إيضاح للكبار؛ ولألفاظ تقريب وجذب عوض ألفاظ إبعاد وتنفير؛ مثالها قصته صلى الله عليه وسلم وأبا عمير سألته الذكر؛ فقد أشعرته بالأمان وبأنه صارت به رجولة أو بعض خصالها من خلال تكنيته بأبي عمير؛ فهذا الإيحاء جدير بأن يشعر الطفل بأنه في سن يعول عليه فيها أكثر من أي وقت مضى؛ فتكسر بذلك جذور الميوعة فيه وبالرغم من أنها كلمات قليلة وبحروف معدودة إلا أنها جمعت الخير كله؛ فقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم [ المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة ]؛ فكلماته له سهلة لا غريب فيها ولا حشو ولا وحشي من الألفاظ (كلام وحشي)؛ مسجوعة يسهل حفظها ويصل معناها إلى ذهن المتلقي؛ فتستسيغها النفس قبل كل هذا لفظا ومعنى.

٣- نزول المربي الإنسان إلى مستوى الطفل (العقلي) للارتقاء به؛ فيدخل السرور في نفسه وحتى في أهله؛ ولنتخيل أو لنحاول أن نعيش هذه اللحظة [ قصة أبا عمير في حياتنا الآن ] ولنحاول استشعار ما كان يشعر به أبا عمير حينها؛ فهذا السلوك التربوي للطفل والدعوي لأوليائه أسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب هذا الطفل وقلوب أهله؛ فالإحسان إلى الطفل يتعدى إلى أهله وأوليائه أيضا.

إن الكم الهائل من الانسانية والحنان والاهتمام الذي أبداه ومنحه النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الأطفال كفيل بإنباتهم النبات الحسن؛ بشخصية مكتملة

سالمين من الكثير من الأمراض النفسية التي قد يكون سببها نقص الحنان في با  
الطفولة لجفوة في الآباء والمربين خصوصا وفي الأهل عموما كمرض التوحد  
والانطواء والغيرة والتبرير... إلخ.

لا أعتقد أن أبا عمير سيكره ذات يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة  
لما يعلم كيف كان يقدره ويعامله ويسأله عن عصفوره؛ فالمؤكد أن العلاقة التي  
بدأت صغيرة بسيطة بأسلوب تربوي دعوي ستثمر وتينع في مرحلة الشباب  
[القوة]؛ لتنتج لنا رجلا محبا لمن رعاه ورباه وقس على ذلك بقية من أحسن  
النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في مثل سن أبا عمير؛ وهذه رسالتي للمعلمين  
وللمربين وللأولياء عامة فالأسلوب اللين في التربية والدعوة والتوجيه يبقى هو  
الأسلوب الأمثل والفعال والموصل إلى الهدف [بجهد أقل + بتكلفة أقل + في وقت  
أقل]؛ على عكس الخشونة في التعامل والغلظة والعنف في التربية والتوجيه؛  
فإن تربي وأنت محب لمهنتك أحب وأفضل من أن تزاول مهنتك وأنت كاره لها؛  
ولعل هذا أيضا ينسحب على جميع الوظائف والمهن في تقديري؛ مع يقيني بأن  
التربية هي رسالة وليست وظيفة بحثة<sup>(١)</sup>.

ثالثا: اللمسة الحانية من النبي الإنسان؛ المحب العطوف صلى الله عليه وسلم  
لقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزور أحياء الأنصار، وَيُسَلِّمُ عَلَى  
صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالخير لهم والبركة فيهم؛ ويحنك  
المولود الجديد لهم؛ ولأن الطفل في حاجة دائمة وماسة إلى عطف الآخرين  
وإظهار الحب له فيتغذى بذلك عاطفيا من هذا العطف والحنان المغدق عليه مثلما  
يحتاج الجسم إلى الغذاء المادي أيضا؛ فهذا هو رسولنا صلى الله عليه وسلم يبادر  
إلى احتضان الأطفال وتقبيلمهم معطيا بذلك الدروس لمن هم حوله ليفعلوا ما يفعله

١- نجيب خالد العامر. من أساليب الرسول في التربية دراسة تحليلية. ط١؛ (حولي؛ الكويت؛ مكتبة  
البشري الإسلامية؛ ١٩٩٠م / ١٤١٠هـ)؛ ص ٩٦ وما بعدها.

ويحذوا حذوه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قَبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَفْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ) (١)؛ وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ (٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يوحى إليهم بتحمل المسؤولية وقياس درجة الأمانة لديهم حين تكليفهم ببعض الأمور البسيطة ليستطيعوها حينما تكون كبيرة وكأنه من باب التدريب لهم ولتنشيط هذه المهارة لديهم؛ فعن أنس أيضا رضي الله عنه قال: (انْتَهَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا غُلَامٌ فِي الْعُلَمَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ، أَوْ قَالَ: إِلَى جِدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ) (٣).

وكرسالة للمربين والدعاة والأولياء نستخلصها من هذه الأحاديث وهي: كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يشعر هؤلاء الصغار بلذة الرحمة والحنان، والحب والعطف، وذلك بالمسح على رؤوسهم، والأمر الذي يشعر الطفل بوجوده، وحب الكبار له، واهتمامهم به. فعن جابر بن سمرّة قال: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ

١- أخرجه البخاري في كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (ج ٨ ص ٧)؛ حديث رقم (٥٩٩٧)؛ وأخرجه أيضا في باب رحمة الناس والبهائم (ج ٨ ص ١٠)؛ حديث رقم (٦٠١٣).

٢- أخرجه ابن حبان في صحيحه؛ كتاب البر والإحسان؛ باب الرحمة؛ ذكر ما يستحب للمرء استعمال التعطف على صغار أولاد آدم؛ (ج ٢ ص ٢٠٤)؛ حديث رقم: (٤٥٩)؛ وأخرجه النسائي في الكبرى في التسليم على الصبيان والدعاء لهم وممازحتهم (ج ٩ ص ١٣١)؛ حديث رقم (١٠٠٨٨) قال الحافظ إسناده صحيح؛ أنظر الصحيحة (حديث رقم ١٢٧٨).

٣- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب؛ أبواب السلام/ باب السلام على الصبيان؛ (ج ٤ ص ٥١٨)؛ حديث رقم (٥٢٠٣)؛ وهو حديث صحيح.

خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ<sup>(١)</sup>.

رابعاً: إنسانيته صلى الله عليه وسلم في مداعبته وملاعبته وملاطفته للصغار كان عليه الصلاة والسلام ينادي الأطفال بأحسن الأسماء وأزينها والأكثر تأثيراً في شخصيتهم وفي نفسياتهم فيزيد من درجة محبته وقربه منهم صلى الله عليه وسلم؛ كما كان يلاعبهم ويداعبهم ويحتضنهم ويدعوا لهم ويحث على محبتهم؛ ويتوقف في الطريق ليتحدث إليهم ويدخل إلى قلوبهم بعض السرور والفرح ثم يمضي لأمر الدولة وشان الرعية وكبار المسلمين صلى الله عليه وسلم؛ فقد روي عن أنس بن مالك، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْعَبُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا زُوَيْنَبُ، يَا زُوَيْنَبُ، مَرَارًا)<sup>(٢)</sup>؛ كما كان عليه الصلاة والسلام يحب الأطفال فيه فيتصابي للأطفال؛ فكان مصلاً يخرج لسانه لسبته الحسين بن علي رضي الله عنه فيرى الصبي حمرة لسانه، فيركض نحوه ويسرع إليه بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْلَعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَى الصَّبِيَّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَهْشُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ: أَلَا أَرَى تَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا، وَاللَّهِ لَيَكُونُ لِي الْإِبْنُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبْلَتَهُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَا يُرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)<sup>(٣)</sup>؛ وقد روى الطبراني أيضاً عن يعلى بن مرة، قَالَ: (كُنَّا مَعَ

١- أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم ولين مسه والتبرك بمسحه؛ (ج ٧ ص ٨٠)؛ حديث رقم: (٢٣٢٩).

٢- أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، مسند أبي حمزة أنس بن مالك سليمان بن المغيرة (ج ٥ ص ١٠٩) حديث رقم (١٧٣٢) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢١٤١) قال: سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات.

٣- أخرجه ابن حبان في صحيحه؛ كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين؛ ذكر ملاعبة المصطفى صلى الله عليه وسلم للحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما؛ (ج ١٥ ص ٤٣١)؛ حديث رقم: (٦٩٧٥)؛ وأخرجه أبو الشيخ في كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه»، ما روي في كظمه الغيظ وحلمه صلى الله عليه وسلم (ج ١ ص ١٩١)؛ حديث رقم (٨٤)؛ وأخرجه البغوي في شرح السنة كتاب الاستئذان باب المزاح (ج ١٣ ص ١٨٠)؛ حديث رقم (٣٦٠٣)؛ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط سنده صحيح.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ، فَإِذَا الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَاسْرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ،  
فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمْرُورًا هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا، فَيُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ  
فِي ذِقْنِهِ، وَالْأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَلَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّهُ، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ  
الْأَسْبَاطِ<sup>(١)</sup>.

وكان يمازحهم صلى الله عليه وسلم ويسأل عن أحوالهم كما سبق ذكره؛ غير  
أن مزاحه هذا كان كله توجيهًا وتربية لهم وتواضعًا لهم صلى الله عليه وسلم؛ فعن  
أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِي: يَا ذَا  
الْأُذُنَيْنِ)<sup>(٢)</sup>؛ أي يا صاحب الأذنين السامعتين ممازحًا له<sup>(٣)</sup>.

وكان في لعبه ومزاحه معهم لا يقول إلا حقًا وتوجيهًا فعن أبي هريرة قال:  
(قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَدَاعِبُنَا، قَالَ: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا)<sup>(٤)</sup>؛ أي قال: نعم، غير  
أنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا<sup>(٥)</sup>.

كما كان يلاعب أبناء أهل بيته صلى الله عليه وسلم كالحسن والحسين لأن

- ١- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير؛ باب الحاء؛ من اسمه حسن؛ حسن بن علي بن أبي طالب يكنى أبا محمد؛ بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ (ج ٣ ص ٣٢)؛ حديث رقم: (٢٥٨٦)؛ وأخرجه البخاري في الأدب، والترمذي وابن ماجه والحاكم، وحسنه الألباني، في صحيح الجامع، حديث رقم: (٣١٤٦)
- ٢- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير؛ باب الألف؛ من اسمه أنس؛ أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ صفة أنس بن مالك وهيأته رضي الله عنه؛ (ج ١ ص ٢٤٠)؛ حديث رقم: (٦٦٤).
- ٣- يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني . وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ط ٢؛ (جدة؛ دار المنهاج؛ ١٤٢٥هـ)؛ ص ٢٣٠.
- ٤- أخرجه الترمذي؛ أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ باب ما جاء في المزاح؛ (ج ٣ ص ٥٢٩)؛ حديث رقم: (١٩٩٠)؛ قال الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.
- ٥- يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني . وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ط ٢؛ (جدة؛ دار المنهاج؛ ١٤٢٥هـ)؛ ص ١٣١.

الطفل في حاجة دائمة للعب ولمن يتقمص أدواره ويلعبه وكأنه من أقرانه فيحس بالاطمئنان إليه فيبادره باللعب بلا تردد لما لهذا الأمر من انعكاسات نفسية ايجابية وانعكاسات على شخصية الطفل مستقبلا حين يؤمر فيطبق لمن كان يرتاح معه في لعبه صغيرا؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: (دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعَلَى ظَهْرِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يَقُولُ: نَعَمَ الْجَمَلُ جَمَلَكُمَا، وَنَعَمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا)<sup>(١)</sup>.

خامسا: إنسانيته صلى الله عليه وسلم في كلمته الطيبة وشكر للأطفال

كان صلى الله عليه وسلم يعلم الأطفال من خلال تصرفه هذا لينمي فيهم الجانب المعنوي والاعتباري بعيدا على الجانب المادي الحسي؛ فاللفظة المجردة المادحة قد تعوض الملايين الماديين فكان بذلك يغرس فيهم أن الإنسان لن يكون سعيدا بالمادة كما عند الغير؛ فجميل جدا تقديم الشكر للأطفال حين انجازهم لأعمالهم المكلفون بها تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم مشجعين إياهم من خلالها على فعل الخير والاستزادة منه وبذل العطاء وألا ينتظرون مقابلا ماديا إلا كلمة طيبة تكفيهم إن وجد؛ فلنحرص على تقديم الكلمة الطيبة والشكر والمدح لكل طفل قام بعمل حسن وعامل الناس معاملة طيبة؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علمه الكتاب)؛ وقال أيضا: وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءا؛ قال: من وضع هذا؟ فأخبر؛ فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل؛ ولما كان سيدنا أنس بن مالك خادما لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته.

١- أخرجه الطبراني في الكبير؛ باب الحاء؛ من اسمه حسن؛ حسن بن علي بن أبي طالب يكنى أبا محمد؛ بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ (ج ٣ ص ٥٢)؛ حديث رقم (٢٦٦١)؛ في سننه مسروح أبو شهاب وهو ضعيف.



## سادسا: إنسانيته صلى الله عليه وسلم في تنميته لخيال الأطفال وحثهم على التفكير

كان صلى الله عليه وسلم يدفع بالطفل إلى إعمال فكره وتنمية خياله ومواهبه من خلال مجموعة من توجهاته لهم صلى الله عليه وسلم فيستخرج قدرات هؤلاء الأطفال وتمرينهم عليها لترقيتها حسب طاقة واستعداد وميولات كل واحد منهم، فيحملهم المسؤوليات كل حسب تلك الطاقة، فعلي رضي الله عنه ينمي عنده مهارة الفداء والشجاعة فينام في فراشه ليلة هجرته صلى الله عليه وسلم؛ كذلك وإنفاذا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته ها هو أسامة بن زيد يتولى جيشا فيه كبار الصحابة رضي الله عنهم جميعا كأبي بكر وعثمان؛ لأنه تعلم منه مهارة القيادة والتوجيه والتخطيط في الحرب؛ ويثق في قوة حفظ زيد بن ثابت فيأمره بتعلم اللغات وتعليمها لأطفال المسلمين كالعبرانية والسريانية فيتعلمهما في أيام قلائل (أقل من سبعة عشر يوماً)؛ كما أن من أساليبه الحكيمة صلى الله عليه وسلم أسلوب التشويق مع عامة المسلمين ومع الأطفال خاصة لما يتميز به الطفل في هكذا مرحلة؛ فأسلوب التشويق يحمل السامع على التفكير والتدبر والتأمل فلم يكن يقدم لهم المعلومات مباشرة، بل كان يسأل وينظر الجواب لشد انتباه الأطفال والتفكير في المسألة المطروحة لمعرفة الإجابة؛ قبل أن يقوم عليه الصلاة والسلام بتوجيه الإجابة، سأل صلى الله عليه وسلم ذات يوم صحابته وفيه عبد الله بن عمر وهو طفل ابن عشر سنين فقال عليه الصلاة والسلام: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟) فأخذ الصحابة يتحدثون عن شجر البوادي والرسول صلى الله عليه وسلم لا يؤيدهم فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فوق في نفسي أنها النخلة ولكنني استحييت أن أقول وأنا صغير وفي الحضور كبار الصحابة؛ ولما انتهى المجلس أخبر عبد الله أباه سيدنا عمر رضي الله عنهما فقال عمر لو قلت ذلك لكان أحب إلي من حمر النعم؛

ولننظر كيف صار سيدنا عبد الله بن عمر والمكانة التي نالها في العلم؛ الذي كان موهوبا في صغره أصبح من أفقه الصحابة في كبره .

وتأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم يجب على المربي أن لا ينزعج من تساؤلات الأطفال؛ بل بالعكس فيجب عليه أن يستقبل تساؤلاتهم بصدر رحب ومحاولة الإجابة عنها إجابة مناسبة ومقنعة أو على الأقل مشاركة هؤلاء الأطفال ومساعدتهم في البحث عن الإجابة لتساؤلاتهم والتي قد تكون محرجة في بعض الأحيان ومحيرة أحيانا أخرى<sup>(١)</sup>.

سابعا: إنسانيته صلى الله عليه وسلم في مؤاكلته للأطفال والتواضع لهم

كان صلى الله عليه وسلم يجلس إلى الأطفال في مجالسهم ويتناول معهم الطعام قليله أو كثيره ولا يأنف من هذا مطلقا وفي ذات الوقت يعلمهم آداب الطعام؛ ويأمرهم بما يصلحهم إذا رأي منهم مخالفة لآداب الأكل مثلا بكل رفق ولين ورحمه فهدفه ليس التوبيخ وإنما الإصلاح والتوجيه، غير أنه بالهيبة وبالوقار الذي قد يقول بعضهم إن تصرفه هذا ينافيهما؛ والذي في اعتقادي أنه سيزيدها، فالأثر الجميل لا ينسى وإن طالت مدته فلنظر المربي ما سيلاقيه من تلامذته ومن أبنائه في الكبر فهم ثمرة تعب بلا حواجز نفسية بينه وبين هؤلاء الذين كانوا صبيانا في مرحلة ما؛ فعن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: (كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طَعْمَتِي بَعْدُ)<sup>(٢)</sup>.

- ١- ماهر اسماعيل صبري. طفلك يسأل وانت تجيب. من سلسلة ابناؤنا فلذات اكبانا؛ (٢٣)؛ دار سيدي الخير للكتاب. الجزائر. طبع وزارة الثقافة. الجزائر؛ ص ٥١.
- ٢- أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، (ج ٧ ص ٦٨) حديث رقم: (٥٣٧٦).

### الخاتمة (نتائج وتوصيات)

نختم بحثنا فنقول: إن الدعوة إلى زرع قيم الخير عامة والإنسانية خاصة وكذا تأديب الأطفال منشؤها شدة اهتمامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم؛ فقد كان يغرس القيم الإنسانية والخلق الكريم فيهم، كما كان يحث على رحمتهم والإشفاق عليهم، فقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا)<sup>(١)</sup>.

كان المقصد من هذا كله أن يغرس فيهم صلى الله عليه وسلم روح العشرة الطيبة؛ والالتزام بالخلق الحسن وغرس القيم الإنسانية النبيلة فيهم؛ والتعامل بحب وحنان معهم من خلال غرسها فيهم والتعامل بها معهم؛ وكذا بناء الثقة بالنفس؛ وتنمية الإبداع لديهم والتفكير؛ كما وكان يهدف إلى تعليمه كتمان الأسرار تحضيرا لهم كرجال دولة وقادة المستقبل في تلك الدولة... وأخيرا يمكنني الخلوص إلى النتائج والتي اعتبرها في ذات الوقت توصيات للجنة التحضيرية للمؤتمر وهي كالآتي:

- ١- تراثنا فيه كم هائل من المهارات الإنسانية والتربوية التي تصلح في عصرنا هذا وجب التنبه إليها والرجوع إليها مع بعض التعديلات وفق ما يتناسب مع الزمان والمكان؛ فهي خطوط عريضة يمكن الاستئناس بها لتقعيد أسس إنسانية بمفاهيم الحاضر.
- ٢- ما ورد في البحث موجه لكل من له علاقة بالتربية والتوجيه لهذه الفئة العمرية (أباء؛ أمهات؛ مربون؛ دعاة...).

١- أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة؛ (ج ٤ ص ٤٤١؛ حديث رقم (٤٩٢٩)؛ صحيح؛ من حديث عبد الله بن عمرو.

- ٣- طفل اليوم ليس كطفل الأمس فوجب الأخذ في الحسبان الفروقات الزمنية في الحسبان؛ كما أن الأطفال في ذات الفترة ليسوا سواء فوجب الأخذ في الحسبان أيضا الفروقات الفردية بينهم؛ وهذا كله لتنمية الروح الإنسانية في ناشئتنا.
- ٤- العمل على ضبط برامج تربوية إنسانية لمؤسسات التنشئة الاجتماعية المتعددة كالمسجد والكشافة والمركز الثقافي والمكتبة...؛ مع ما يتناسب وهذه الفئة العمرية.
- ٥- وجب التنبه لوسائل الإعلام التي تصنع القدوات وإخراجها لأطفالنا عامة وفي شقها الإنساني خاصة.
- ٦- وجب التنبه إلى أن أطفال اليوم هم رجال الغد؛ حماة وبناءة للأوطان؛ فالمرابي يقع على عاتقه صناعة مستقبل الوطن بتنشئة وصناعة الرجل الإنسان.
- ٧- فئة الأطفال هي أشد الفئات ضعفا وأكثرها طلبا للعطف والحنان والاهتمام والرعاية (أكثر فئات المجتمع المحتاجة للتعامل معها بإنسانية).
- ٨- في الإسلام نجد منهجا تربويا إنسانيا متكاملا مختلفا عن مناهج الغرب التربوية؛ وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم نماذج عملية رائدة يمكن الاستئناس بها.
- ٩- أيها الأب والمربي الإنسان؛ قل لطفلك ولتلميذك: إني أحبك؛ قبله؛ ترفق به وأنت توجهه؛ وازرع فيه الثقة بالنفس والخلق الإنساني الرفيع؛ كما كان عليه الصلاة والسلام من خلال النماذج السالفة الذكر...
- ١٠- سنحصد كمرين ووالدين؛ ما زرعناه قبل سنوات في حقول التربية؛ فلنحسن الزرع ليكون جني المحصول على قدر المجهود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

### قائمة المصادر والمراجع المستعملة في البحث على ترتيب المعجم

- الجامع الكبير «سنن الترمذي». للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. تحقيق وتعليق: عصام موسى هادي؛ دار الصديق للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. ط؛ ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م.
- سنن أبي داود. للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق وتعليق: عصام موسى هادي؛ دار الصديق للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. ط؛ ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م.
- صحيح البخاري. للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. دار التأصيل. القاهرة؛ مصر؛ ط١؛ ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- صحيح مسلم «الجامع الصحيح». للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، (دون سنة النشر).
- طفلك يسأل وأنت تجيب. ماهر إسماعيل صبري. من سلسلة أبنائنا فلذات أكبادنا؛ (٢٣)؛ دار سيدي الخير للكتاب. الجزائر. طبع وزارة الثقافة. الجزائر.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني. دار احياء التراث العربي؛ بيروت؛ لبنان. ط١؛ ١٣٠١هـ.
- فن التعامل مع الآخرين. محمد سعيد مرسي. ط١؛ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- فن التعامل مع مرحلة المراهقة فتیان وفتيات. محمد فهد الثويني. دار الخلدونية. الجزائر. ٢٠٠٤م.
- قراءات في التربية والطفل والإعلام. طارق احمد البكري. دار الرقي. بيروت. ط١؛ ٢٠٠٥م.
- مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين «من منظور التربية الإسلامية». صالح بن سليمان المطلق.
- من أساليب الرسول في التربية دراسة تحليلية. نجيب خالد العامر. ط١؛ (حولي؛ الكويت؛ مكتبة البشري الإسلامية؛ ١٩٩٠م / ١٤١٠هـ).

- منهج التربية في التصور الإسلامي. علي أحمد مدكور. دار النهضة العربية . بيروت ١٩٩٠م / ١٤١١هـ.
- منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة. محمد أمحزون. ط٢. ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . القاهرة.
- مهارات الاتصال. من كتاب الأمة. راشد علي عيسى . (سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ العدد ١٠٣ السنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م؛ السنة ٢٤)؛ ط١.
- مهارات نبوية في الاتصال) للمفتي، للقاضي، للواعظ، للمعلم؛ للمربي؛ وللقائد)؛ د. صالح بن خالد بن صالح الشقيرات جامعة الجوف / المملكة العربية السعودية؛ مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية - جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي العدد ١٣؛ الصادر يوم ١٤ ديسمبر ٢٠١٥.
- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. يوسف بن إسماعيل بن يوسف النّبّهاني. ط٢؛ (جدة؛ دار المنهاج؛ ١٤٢٥هـ).



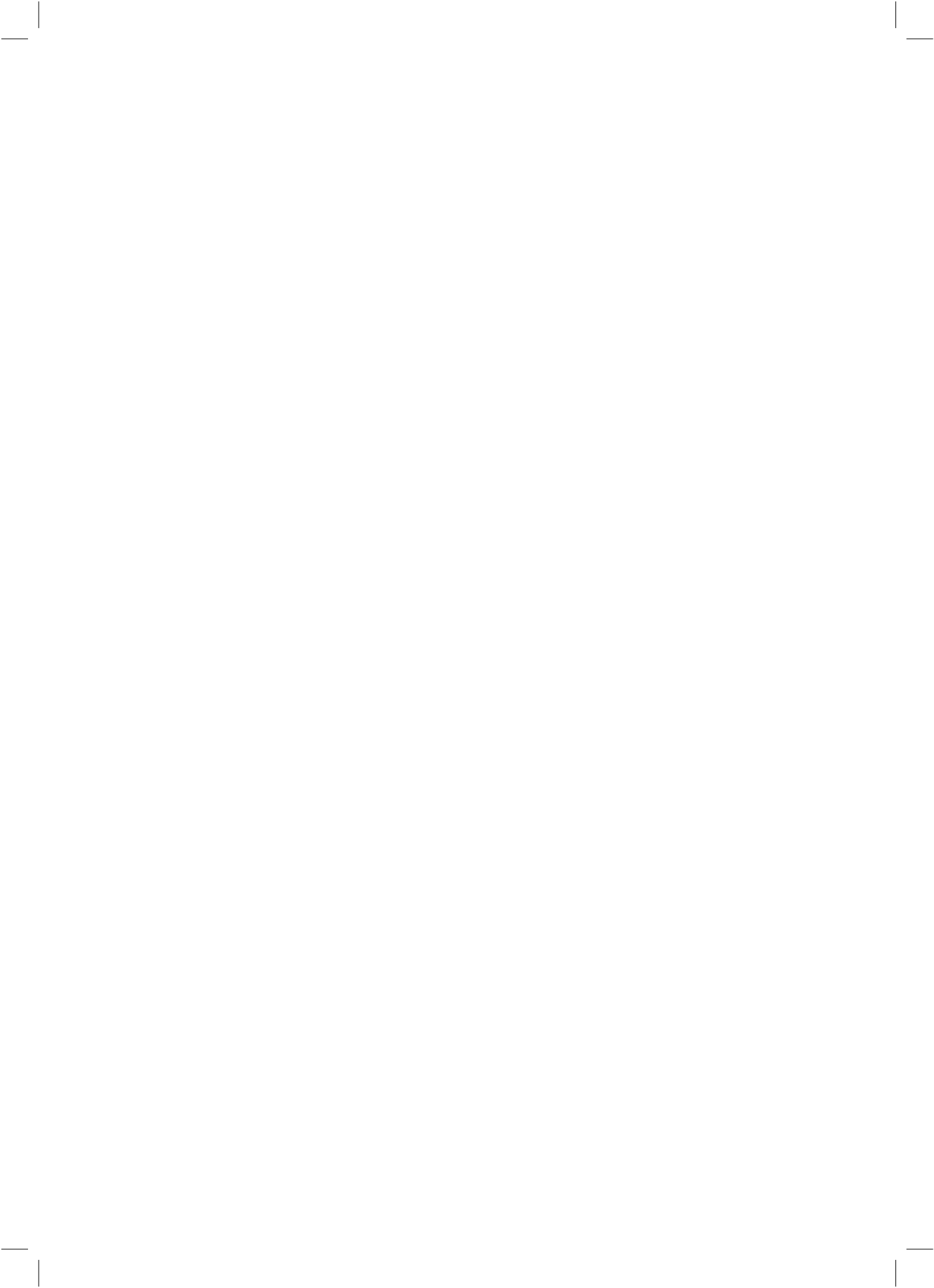
# أثر التسول في إهدار كرامة الإنسان ودور السنة النبوية في مواجهته

**د. عماد حمدي إبراهيم**

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك - جامعة الوصل دبي  
وجامعة سوهاج مصر

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.12>







## Abstract

Praise be to Allah alone, and blessings and peace be upon the Prophet who will not be any Prophet after him.

The contemplator of the texts of the Prophet's Sunnah finds in it a wonderful approach in confronting begging, and perhaps what distinguishes this prophetic approach in confronting beggary is the combination at the same time of comprehensiveness, diversity, and integration between the means and mechanisms of confrontation. Between ideological, cultural, intellectual, educational, social, economic, developmental, legislative and legal.

**Keywords:** Begging, human dignity, waste, the Sunnah of the Prophet, confrontation

## ملخص البحث

الحمد لله وحده وصلاةً وسلاماً على من لا نبي بعده، وبعده،، فقد اهتمت السنة النبوية بإنسانية الإنسان، واعتنت بكرامته، ولعل ظاهرة التسول تُعد من أخطر الآفات، وأشنع العادات، وأقبح السلوكيات التي تهدد إنسانية الإنسان، وتهدر كرامته، وتُريق ماء وجهه، وإن المتأمل في نصوص السنة النبوية يجد فيها منهجاً رائعاً في مواجهة التسول، ولعل ما يميز هذا المنهج النبوي في مواجهة التسول، هو الجمع في آنٍ واحد بين الشمول والتنوع، والتكامل بين سبل وآليات المواجهة؛ ما بين العقائدية، الثقافية، والفكرية، والتربوية، والاجتماعية، والاقتصادية والتنموية، والتشريعية والقانونية.

**الكلمات المفتاحية:** التسول، كرامة الإنسان، هدر، السنة النبوية، مواجهة



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،

فقد اهتم الإسلام الحنيف بإنسانية الإنسان، واعتنى بكرامته، وفضله الحق سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) ﴿ الإسراء: ٧٠ 》.

فالإنسان هو أعظم المخلوقات وأكرمها عند الله عز وجل، خلقه بيده، وجعله خليفةً في أرضه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠). وعلمه الأسماء كلها، وأمر ملائكته بالسجود له تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤).

ولعل من أخطر الآفات، وأشنع العادات، وأقبح السلوكيات التي تهدد إنسانية الإنسانية، وتهدر كرامته، وتريق ماء وجهه، وتحيد به عن مهمة الاستخلاف في الأرض؛ (التسول) الذي أصبح ظاهرة خطيرة استشرت في كافة المجتمعات..

«وتعد ظاهرة التسول واحدةً من الظواهر الاجتماعية التي عرفتتها المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثاً، بغض النظر عن اختلافات هذه الظاهرة في تلك المجتمعات من حيث؛ طبيعة حدوثها وحجمها ومدى انتشارها، فهي لا تخص رقعة جغرافية دون أخرى أو ثقافة بعينها، وإنما يتسع نطاقها إلى أماكن متعددة ومتنوعة، إذ تعاني منها الدول النامية والمتقدمة على حد سواء»<sup>(١)</sup>.

١- مشاب فاطمة الزهرة، ظاهرة التسول في المجتمع الجزائري دراسة ميدانية لعينة من المتسولين بالجزائر العاصمة، ص٧.

## إشكالية البحث:

رغم الجهود الكبيرة التي تبذلها الدول والحكومات، والجهات المعنية في مواجهة مشكلة التسول إلا أنها لا زالت تفاقم، وتنتشر بشكل كبير حتى أصبحت تمثل مشكلة اجتماعية تؤرق العديد من المجتمعات وذلك لما تسببه من تشويه لصورتها الحضارية من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سلوك التسول يعد في أغلب صورته وأشكاله سلوكاً منحرفاً، يشوه إنسانية الإنسان، ويهدر كرامته، ومن هنا تبرز إشكالية هذا البحث.. والتي يمكن صياغتها في الأسئلة الآتية: ما هي حقيقة إنسانية الإنسان وكرامته ومراتبها؟ وكيف اعتنت بها السنة النبوية المطهرة؟ وما حقيقة التسول؟ وما هي أهم صورته وأنواعه وأسبابه ودوافعه، وما هي أهم آثاره على إنسانية الإنسان وكرامته؟ وما هو الدور الذي يمكن أن تقوم به السنة النبوية في مواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها؟

## أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، لعل أهمها ما يلي:
- توضيح مفهوم التسول، وخطورته، وأثره في هدر إنسانية الإنسان، وامتتهان كرامته.
  - بيان أهم أنواع التسول وصوره وأشكاله، وأهم أسباب تفشيه وانتشاره.
  - إبراز أثر السنة النبوية في مواجهة ظاهرة التسول والحد من انتشارها.

## منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع استخدام المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال جمع واستقراء النصوص القولية والمواقف العملية التي تتجلى فيها

عناية السنة النبوية بإنسانية الإنسان، وصيانتها واحترامها لكرامته ثم استخدام المنهج الوصفي لوصف وبيان أثر التسول في هدر كرامة الإنسان وتشويه إنسانيته، ثم المنهج التحليلي والاستنباطي لمحاولة تحليل تلك النصوص النبوية الشريفة، واستنباط ملامح المنهج النبوي في مواجهة آفة التسول، ومحاصرتها، والقضاء عليها.

### الدراسات السابقة:

- البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضعية المعاصرة، د. نهاد عبد الحليم عبيد، بحث منشور ضمن أعداد مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الصادرة عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، عدد (٣١) (ذو القعدة ١٤١٧هـ - إبريل ١٩٩٧م).
- منهج معلم الأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معالجة ظاهرة التسول، د: عبد الجبار عبد الستار روكان طه، بحث منشور ضمن أعداد مجلة الجامعة العراقية، عدد (٤٤) (ج ٢).
- ظاهرة التسول: حكمها، آثارها، وطرق علاجها في الفقه الإسلامي، د: على عودة الشرفات، بحث منشور ضمن أعداد المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع، عدد (٣) (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).
- حكم التسول والسؤال في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، د: خالد محمد أبو النجاة شعبان، بحث منشور ضمن أعداد مجلة الدراية، الصادرة عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين، جامعة الأزهر بدسوق، عدد (١٥) (٢٠١٥م).

## الجديد في هذا البحث:

ولا شك أن هذه البحوث والدراسات لها أهميتها الكبرى في التعريف بمفهوم التسول وبيان حقيقته، وأنواعه، وآثاره، وحكم ممارسة هذا السلوك في ميزان الفقه الإسلامي، وطرق علاجه سواء من النواحي الشرعية أو القانونية، بيد أنه: لا توجد دراسة علمية - على حد علم الباحث - تناولت هذا السلوك المنحرف، مُحاولَةً: التأسيس العلمي والمعالجة الهادئة والعميقة لهذه الظاهرة، مُبرزةً: أهم أسباب ودوافع التسول، وأبرز صوره وأشكاله، مُبينةً آثارها السلبية في هدر إنسانية الإنسان، والنيل من كرامته، والحط من قدره وقيمه، والحيد به المقصد الأسمى لوجوده في الحياة وهو قضية (الاستخلاف في الأرض) مستشرفةً: ملامح المنهج النبوي في مواجهة ظاهرة التسول ومحاصرتها والحد من شيوعها وانتشارها.

## عناصر البحث:

- مقدمة:
- تمهيد: إنسانية الإنسانية، وكرامته.. حقيقتها ومراتبها.
- المبحث الأول: حقيقة التسول، وآثاره على الفرد والمجتمع.
- المبحث الثاني: سبل وآليات مواجهة التسول في ضوء السنة النبوية.
- الخاتمة.

## تمهيد

إنسانيته الإنسان وكرامته .. حقيقتها ومراتبها

إن الفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، وهو عنصر مؤسس في بناء العلاقات العامة، فهل عرف الفرد الإنساني، ما له في دستور الإسلام من عزة وكرامة ومنزلٍ عزيزٍ كريم؟!

إن الكرامة التي يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية، ليست كرامة مفردة، ولكنها كرامة مثلثة؛ أو بعبارة أخرى هي كرامة لها ثلاث مراتب: كرامة: هي عصمة وحماية، وكرامة: هي عزة وسيادة، وكرامة هي استحقاق وجدارة؛ كرامة: يستغلها الإنسان من طبيعته: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) الإسراء: ٧٠. وأخرى تتغذي من عقيدته ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨) المنافقون: ٨ . وثالثة يستوجبها بعمله وسيرته وجده واجتهاده ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٢) الأنعام: ١٣٢ .

ولعل أوسع هذه الكرامات وأعماقها وأقدمها وأدومها؛ الكرامة الأولى تلك التي ينالها الفرد منذ ولادته، بل منذ تكوينه جنيناً في بطن أمه .. فهي كرامة لم يؤد لها ثمناً مادياً ولا معنوياً، ولكنها منحة السماء، التي منحتها فطرته، والتي جعلت كرامته وإنسانيته، صنوين مقترنين في شريعة الإسلام، وسنة نبينا محمد خير الأنام ..»<sup>(١)</sup>.

١ - د: محمد عبد الله دراز، نظرات في الإسلام، ص ١١٢.



إن هذه الكرامة الإنسانية تمثل سياجاً من الصيانة والحصانة، وهي بمثابة الظل الظليل الذي ينشره الإسلام وشريعته السمحة على كل فرد من أفراد البشر: ذكراً أو أنثى، أبيضاً أو أسود، ضعيفاً أو قوياً، فقيراً أو غنياً، من أي ملة.. ظل ظليل ينشره قانون الإسلام على كل فرد؛ يصون به دمه أن يُسْفَك، وعرضه أن يُنتَهَك، وماء وجهه أن يُرَاق، وماله أن يُغتصب، ومسكنه أن يُقتحم، ونسبه أن يُبدل، ووطنه أن يُخرج منه، أو يُزاحم عليه، وضميره أن يُتَحَكَم فيه قسراً، وتُعطل حرите خداعاً ومكراً.

إن كل فرد في نظر الإسلام له قدسية الإنسان، فهو في حمى محمي، وفي حرم محرم، ولا يزال كذلك حتى ينتهك هو حرمة نفسه، ويريق هو ما وجهه، ويضرب بيده هذا الستر المضروب عليه بارتكاب جريمة منكرة، أو سلوك منحرف يرفع عنه جانباً من تلك الحصانة، وهو بعد ذلك برئ حتى تثبت جريمته، وحتى بعد ثبوت تلك الجريمة لا يفقد حماية القانون كلها، لأن جنائته ستقدر بقدرها، ولأن عقوبته لن تجاوز حدها؟ فإن نزع عن الحجاب الذي مزقه هو فلن تنزع عنه الحجب الأخرى، بهذه الكرامة يحمي الإسلام أعداءه كما يحمي أبناءه وأولياءه..»<sup>(١)</sup>.

إن الكرامة الإنسانية هي قبل كل شيء سياج من الحرمة والعصمة والصيانة والحصانة، تصون صاحبها من أن يهون على الناس أو أن يُضيّعوا حقاً من حقوقه، أو ينتهكوا حرمة من حرماته، ذلك هو جانبها السلمي الخارجي الدفاعي، أما حقيقتها الإيجابية الانبعاثية، فإنها تاج من الشرف والنبيل يتقاضى صاحبه أن ينظر إلى نفسه نظرة احترام وتكريم، نظرة يعرف بها أن مكانته في هذا العالم مكانة السيد لا المُسود، وليس المراد هنا بهذه السيادة سيادة الإنسان على أخيه الإنسان، فالناس في نظر الإسلام كلهم سيدٌ على نفسه، لا سيادة لأحدٍ على غيره، ولا

١ - السابق، نفسه.

سيادة لغيره عليه، وإنما هي من جهة سيادة عالمية يسيطر بها الإنسان على مختلف الأشياء في البر والبحر والهواء ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣) الجاثية: ١٣.

وهي من ناحية أخرى سيادة ذاتية لكل فرد فيما بينه وبين الناس، سيادة تسوي رأسه برؤوسهم، ومنكبه بمنابكهم، ومن هذه السيادة المزدوجة تتألف المرتبة الأولى من الكرامة الإنسانية.. كرامة الحرية والعزة، التي تأبى بصاحبها أن يهون على نفسه، وأن يذل لمخلوق كائن من كان.. هذه الكرامة هي كسابقتها منحة ربانية وطبيعية عامة تولد مع الإنسان، غير أنه لا يشعر بها على تمامها، ولا يقدرها حق قدرها غير المؤمن الموحد، الذي لا يعرف السجود لحجر، ولا لشجر، ولا لشمس، ولا لقمير ولا لملك ولا لبشر، وهكذا يضم كرامة الإيمان إلى كرامة الإنسان.

وأخيرا ترتفع هذه الكرامة من مستوى الطبيعة، ومن مستوى العقيدة إلى مستوى السلوك والسيرة، لتعانق مرتبة ثالثة من الكرامة ينشئها المرء إنشاءً ويكتسبها اكتساباً، بما يختطه لنفسه من نهج حميد، وسلوك رشيد، وبما يحققه بجسده وجهده من أهداف رفيعة مستوحياً مواهبه الإنسانية العليا، مسيطراً على قواه وعرائزه الدنيا، مسترشداً بأمر ربه وهده، محاذراً من خدع شيطانه وهواه، تلك هي كرامة العمل الصالح المصلح، وإنها لعلي درجات متفاوتة تسير طرذاً وعكساً بقدر الإتيان والإخلاص في العمل..<sup>(١)</sup>.

وإن المتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يرى بوضوح لا لبس فيه كيف اعتنى الإسلام بإنسانية الإنسان، وصيانة كرامته، بكل درجاتها ومراتبها، التي سبقت الإشارة إليها «فوضع المبادئ والثوابت التي من شأنها

١ - أ.د: محمد عبد الله دراز، نظرات في الإسلام، ص ١١٧.

صيانة إنسانية الإنسان والحفاظ على كرامته، وفي مقدمة تلك الثوابت؛ احترامه للكرامة الإنسانية، ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) الإسراء: ٧٠. و ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٤) التين: ٤. و ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) البقرة: ٣٠. هذه الآيات عامة شاملة تتجه صوب كل إنسان، وعلى الإنسان أن يحافظ على هذه (الكرامة) أو (الخلاقة) أو يهبط بها أسفل سافلين»<sup>(١)</sup>.

ولذا فقد كان أول ما بدأ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو بناء الإنسان، بتحريره من أباطيل الشرك، وأهواء الجاهلية، وترسيخ عقيدة التوحيد في نفسه، ومعاني الإيمان في قلبه، ومكارم الأخلاق في حياته، وتطهير رأسه من ضلال الفكر، وإرادته من شهوات الغي، وعلى هذا ربي الجيل المثالي الأول، الذي امتحن فصير، وأعطى فشكر، وثبت على السراء والضراء، وجاهد في الله حق جهاده، وتحمل عبء نشر الدعوة، وإقامة الدولة، وتربية الأمة.

١- د: عبد الحليم عويس، الحضارة الإسلامية.. إبداع الماضي وآفاق المستقبل، ص ٣٠٢.

المبحث الأول: حقيقة التسول، وآثاره على الفرد والمجتمع .

المطلب الأول: حقيقة التسول وأنواعه

الفرع الأول: حقيقة التسول:

التسول لغة:

للتسول في اللغة معانٍ عدة لعل من أهمها:

السؤال والاستجداء والاستخبار: جاء في لسان العرب: «سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه، ﴿وإن تؤمنوا وتنفوا يوتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم﴾ (٣٦) محمد: ٣٦. وسألته عن الشيء: استخبرته، ﴿يتأيتها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفورٌ حلِيمٌ﴾ (١٠١) المائدة: ١٠١. وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أعظم المسلمين جرماً، من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته»<sup>(١)</sup>.

الإغواء والتزيين والتحسين للشيء وإن كان قبيحاً: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ يوسف: ١٨. أي زينت وحسنت، وسول له الشيطان: أغواه»<sup>(٢)</sup>.

التمني: «فالتسويل تفعيل من السول، وهو أمنية الإنسان يتمناها، فتزين لطالباها الباطل، وغيره من غرور الدنيا»<sup>(٣)</sup>.

ولعل الناظر والمتأمل في هذه المعاني للتسول يلحظ أنه لا تعارض فيما بينها

- ١- ابن منظور، لسان العرب (٣١٩/١١) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه (٩/٩٥) حديث (٧٢٨٩).
- ٢- الزبيدي، تاج العروس (١٠١٧/١) مادة: (سول).
- ٣- الزبيدي، تاج العروس (٢٩/٢٣٩) مادة: (سول).

«.. فإن منها ما يُعبر عن حقيقة التسول، وهو: السؤال والاستخبار والاستجداء والاستعطاء، ومنها ما يُعبر عن تصور المتسول لمشروعية ما يصنع، وهو الإغواء والتزيين والتحسين للشيء وإن كان قبيحاً، ومنها ما يُعبر عن نتيجة التسول وعاقبته، وهو الاسترخاء والحمول والكسل والقعود عن الإنتاج والعمل، وتمني الغنى والشراء».

### التسول اصطلاحاً:

لم يتطرق علماء الشريعة سابقاً لتعريف التسول وبيان معناه، ولعل ذلك يعود إلى أن هذه اللفظة لم يكن لها نفس المدلول السيء الذي تدل عليه في زماننا هذا.

وقد عرف أحد الباحثين المعاصرين التسول بأنه: «طلب الصدقة من الأفراد في الطرق العامة والمتسول هو: الشخص الذي يتعيش من التسول، ويجعل منه حرفة له ومصدراً وحيداً للرزق..»<sup>(١)</sup>.

كما يطلق التسول: «على كل من سأل الناس، وجمع الصدقات، محتاجاً كان أو غير محتاج»<sup>(٢)</sup>. كما عرفه المشرع بأنه «الاستجداء بهدف الحصول على منفعة مادية أو عينية بأية صورة أو وسيلة..»<sup>(٣)</sup>.

### الفرع الثاني:

#### أنواع التسول وصوره وأشكاله

يمكن القول بأن ظاهرة التسول تعد من الظواهر ذات الأبعاد المتعددة

- ١- د: أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٣٧.
- ٢- د: عبد الجبار عبد الستار روكان طه، منهج معلم الأمة محمد صلى الله عليه وسلم في معالجة ظاهرة التسول، ص ١٨٥.
- ٣- قانون اتحادي رقم (٩) لسنة ٢٠١٨ م في شأن مكافحة التسول.

والمختلفة، وتبعاً لذلك فقد اتخذ التسول أشكالاً وأنواعاً متعددة ومتنوعة ولعل من أهمها ما يلي:

- التسول الظاهر: وهو التسول الواضح الصريح المعلن، حيث يمد المتسول يده إلى الناس مستجدياً، ويعرف أيضاً بالتسول: الصريح أو المباشر.
- التسول غير الظاهر: وهو التسول المستتر حيث يقوم المتسول بعرض أشياء أو سلع أو خدمات رمزية مثل مسح زجاج السيارات وغيرها، أو القيام بأعمال بسيطة كبيع المناديل الورقية، وعزف الموسيقى.. إلخ، ويعرف بالتسول غير المباشر (الخفي):
- التسول العارض: وهو تسول عابر ووقتي لعوز طارئ كما في حالات الطرد من الأسرة، أو خلال الطريق، أو فقدان النقود في السفر.
- التسول الموسمي: وهو المرتبط بأوقات خاصة، وتتم ممارسته في مواسم ومناسبات معينة، كالأعياد الدينية، خاصة في شهر رمضان.
- التسول الإجباري: وهو التسول الاضطراري كما يحدث في حالات إجبار الأطفال على التسول
- التسول الاختياري: حيث يسعى المتسول من خلاله إلى التكسب، أي جعله حرفة ووظيفة.
- تسول الجانح: وهو التسول الذي يكون مصحوباً بارتكاب بعض الجرائم كالسرقة أو النهب<sup>(١)</sup>.
- التسول الفردي: وهو الذي يقوم به المتسول بقناعة شخصية دون تدخل من الآخرين.

١- طلعت مصطفى السروجي، ظاهرة الانحراف بين التبرير والمواجهة، ص ١١٤.

• التسول المنظم: وهو ذلك النوع من التسول الذي ترعاه أو تديره مؤسسات بعينها، كأن تقوم إحدى المؤسسات، أو الجماعات بتدريب الأطفال أو المعاقين أو غيرهم على التسول وجعله مهنة لهم مقابل عائد مادي أو ما يمكن تسميته بالراتب لهؤلاء المتدربين، وفي هذه الحال تكون هذه المؤسسة هي المسؤولة عن تلك الجريمة..»<sup>(١)</sup>.

ورغم هذا التشابه والتداخل الواضح بين تلك الأنواع، إلا أن هناك نوعاً لا يقل أهمية عن تلك الأنواع، فرضته التطورات العلمية الحديثة، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، ألا وهو ما يعرف بـ:

### التسول الإلكتروني:

«وهو نوع من أنواع التسول يتم باستخدام وسائل تقنية المعلومات وعبر منصات التواصل الاجتماعي؛ بهدف استعطف المستخدمين للحصول على المنافع المادية والعينية بإرسال رسائل نصية وصور إنسانية وغيرها من عبارات الاستجداء التي يتم تصميمها بمهارة لمساعدة أيتام أو علاج مرضى أو بناء مساجد ومدارس في دول فقيرة وغيرها..»

وتعدُّ ظاهرة التسول الإلكتروني من أخطر ظواهر التسول على الإطلاق، بل هي وسيلة لجني مبالغ خيالية تفوق بكثير طرق التسول المعتادة التي يقوم بها المتسولون أمام أبواب المساجد أو في الأسواق والطرقات..»<sup>(٢)</sup>.

١- سعيدة عيوش، سمية مختاري، ظاهرة تسول الطفل في المجتمع الجزائري دراسة ميدانية في مدينة خميس مليانة، ص ٧١.

٢- شرطة أبوظبي تحذر من التسول الإلكتروني، خبر منشور بتاريخ (٣٠ مارس ٢٠٢٢م) على الموقع الرسمي لجريدة (الاتحاد) <https://www.alittihad.ae/news/>

## المطلب الثاني:

أسباب التسول، وآثاره على الفرد والمجتمع

الفرع الأول: أسباب تفشي ظاهرة التسول

للتسول أسباب كثيرة لعل من أهمها:

١- المشكلات الأسرية والاجتماعية: حيث تعد المشكلات الأسرية والاجتماعية، من الأسباب المعاصرة التي تؤدي إلى انتشار ظاهرة التسول، فتلك المشكلات وما ينتج عنها من تفكك أسري، وتشرذم للأطفال، كلها دوافع لممارسة التسول والاستجداء، لاسيما في ظل غياب رقابة الأسرة، بسبب انشغال الزوجين بتلك المشكلات، مما يؤدي إلى تراجع دورها في النصح والإرشاد والإصلاح والتهذيب<sup>(١)</sup>.

ومن ناحية أخرى فإن الأسرة هي الحاضنة الأولى للإنسان، يتعلم منها الآداب الحسنة والأخلاق الحميدة والإيجابية، كما يأخذ منها السلوكيات والتصرفات السيئة والسلبية فقد ينشأ الإنسان في بيئة بنت حياتها على التسول، والبطالة، وعدم العمل فيقتدي بمن هم أكبر منه سنًا من أفراد أسرته، بل ربما قد يدفع من قبلهم دفعًا، فيعتاد التسول، وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا      عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبَوُهُ<sup>(٢)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن أمثال هؤلاء: «يمارسون مهنة التسول دون تردد أو خجل أو شعور بالخرج، مما يجعلهم أكثر أنواع المتسولين تعقيدًا، وصعوبة في العلاج، لأن قناعتهم بُنيت على ضرورة ممارسة مهنة التسول للحصول على المال

١- د: على عودة الشرفات، ظاهرة التسول حكمها وآثارها وطرق علاجها في الفقه الإسلامي، ص ٦٢.

٢- البيت من قصيدة بعنوان " قد اختل الأنام بغير شك " لأبي العلاء المعري، ينظر: <https://www.aldiwan.net>



دون النظر إلى الأسباب، أو مراعاة العواقب والمآلات»<sup>(١)</sup>.

٢- العوامل النفسية: والتي تتمثل في العوز والحرمان العاطفي واضطرابات نمو الشخصية (وهذا السبب له علاقة بسابقه) فلو أخذنا الحرمان العاطفي كمثال لوجدناه من أهم الأسباب التي يمكن أن تدفع الأبناء إلى التسول، ذلك أن الحرمان له تأثيره السلبي على شخصية الفرد، مما يجعله يبحث عما يحقق له الإشباع العاطفي، وبالتالي فإن هناك علاقة بين الحرمان العاطفي وتسول الأبناء، بسبب غياب الحوار الأسري وكثرة العلاقات مما ينعكس سلباً على سلوك الأبناء...»<sup>(٢)</sup>.

٣- البطالة وعدم القدرة على الكسب: ذلك أن التسول ينشأ أول ما ينشأ بسبب البطالة وعدم القدرة على العمل، فالقاعد عن العمل وليس له منهاج يقضي فيه فراغه، عادة ما يكون أول ما يفكر فيه؛ هو سد حاجاته من طرق عدة، ومنها التسول.

ومن ناحية أخرى فقد يكون للمرء حرفة يتكسب منها، وعمل يكفيه، ولكنه جشع، مصاب بداء الطمع، لا يشبع أبداً، ولا يقنع بما بين يديه، فيسأل الناس من أجل الكثرة، ومن أجل أن يصبح غنياً، وقد نبه المصطفى صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر، وذم هذه الصفة، قائلاً: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ...»<sup>(٣)</sup>.

٤- سوء التربية والتوجيه في المدارس والجامعات: وقد يكون سوء التربية والتوجيه في المدارس والجامعات والمعاهد من الأسباب المهمة التي تؤدي

١- فاطمة حميد ناصر المعموري، أحلام حامد جاسم الحسن، دراسة أسباب ظاهرة تسول الأطفال في مركز محافظة بابل ومعالجتها، ص ٧١.

٢- د: زينب هاشم عبود، العوامل الاجتماعية لظاهرة التسول وسبل معالجتها من وجهة نظر أساتذة الجامعات.. دراسة ميدانية في مدينة بغداد، ص ٣٤٥.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال (٨/ ٩٢) حديث (٦٤٣٦).

إلى شيوع ظاهرة التسول؛ إما بكثرة الرسوم المفروضة على الطلاب مع قلة مواردهم، وإما بعدم توجيه الطلاب بأن يكونوا أعزة يكسبون قوتهم بجهدهم وعرقهم، دون أن يكون لأحد عليهم منة..»<sup>(١)</sup>.

٥- سهولة التسول وغياب الرقابة والمتابعة: حيث تعد سهولة فعل التسول من الدوافع المهمة لظهور وانتشار هذه الظاهرة؛ ذلك أن المتسول لا يبذل جهداً كبيراً في القيام بهذا السلوك، كما أن التسول لا يحتاج في فعله إلى معدات ومستلزمات، فهو مهنة وحرقة تدر المال الوفير بلا كدٍ أو تعبٍ أو مجهودٍ...»<sup>(٢)</sup>.

كما أن تهاون السلطات في القيام بمسئولية الرقابة والمتابعة وملاحقة المتسولين يمكن أن يكون أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى شيوع التسول وانتشار المتسولين...»<sup>(٣)</sup>.

## الفرع الثاني:

### آثار ظاهرة التسول على الفرد والمجتمع

سبق القول بأن التسول يعد أحد السلوكيات المنحرفة، والتي تنافي إنسانية الإنسان، وتهدر كرامته، وتتعارض مع الهدف من وجوده في هذا الكون، ولذا فإن للتسول العديد من الآثار الكارثية التي تعود سلباً على الفرد والمجتمع في آن واحد، ولعل من أهم تلك الآثار ما يلي:

الخط من إنسانية المتسول وإهدار كرامة: حيث يصاب المتسول بحالة من الذل؛ لأنه في أغلب الأحوال يلجأ إلى وسائل مهينة لاستدراار عطف الناس،

١- د. نهاد عبد الحليم عبيد، البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضعية المعاصرة، ص ٨٤.

٢- د: على عودة الشرفات، ظاهرة التسول حكمها وآثارها وطرق علاجها في الفقه الإسلامي، ص ٦٢.

٣- المصدر السابق، نفسه.

وعادة فإنه لا يأخذ حاجته إلا بانتهاز الآخرين، أو احتقارهم وازدراءهم له، ولذلك خاطب الشارع الحكيم أهل العطاء، وأهل البذل والإحسان، بعدم انتهاز السائل، واحتقاره وازدراءه، قائلًا: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۗ﴾ الضحى: ١٠. وألا يعطي المسلم صدقته مقرونة بالمن والأذى، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذًى﴾ البقرة: ٢٦٣.

١- فقدان المتسول لصفة الخيرية بين أفراد المجتمع: فقد وصف المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المنفق والمعطي والمتصدق، صاحب اليد العليا بأنه خير ممن يده من الأسفل يطلب مساعدة غيره، ويريق ماء وجهه، ففي الصحيح من حديث حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غَنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ...»<sup>(١)</sup>.

٢- هدر طاقات الأمة وتعطيلها: وذلك من خلال شيوع الخمول والكسل، والركون إلى السكون والراحة وترك الإنتاج والعمل، فالتسول لا محالة يدفع إلى الخمول والكسل وبشجع على البطالة، ويعطل الإنتاج، ويهدر طاقات الأمة، فما دام المتسول يحصل على المال دون جهد أو كد أو تعب، فلماذا العمل؟! كل ذلك أن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا إلى العمل، وحثَّ عليه وأثنى على من يأكل من عمل يده، فعن المقدام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى (١١٢/٢) حديث (١٤٢٧).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل من عمل يده (٥٧/٣) حديث (٢٠٧٢).

٣- إضاعة المال ووضعه في غير مكانه الصحيح: فلو وضعت هذه الأموال التي تُعطى للمتسولين في مكانها الصحيح، وتم استثمارها في مشاريع إنتاجية، أو في مشاريع تُعنى برعاية الأسر الفقيرة المحتاجة لكان ذلك أفضل بكثير..»<sup>(١)</sup>.

٤- ضياع هيبة الأمة وسقوطها في عين الأعداء؛ ذلك أن التسول مظهر غير حضاري يكشف عن وجود خلل في الأمة؛ إما فقر، أو بطالة، أو سوء توزيع، أو عدم عناية بمؤسسات الأمة، أو انتشار للجريمة، وهذا كله ينتهي لا محالة إلى سقوط الأمة من أعين أعدائها، فينظرون إليها على أنها العالم المتخلف، أو دول العالم الثالث.

ومن ناحية أخرى: فإن التسول يجعل الأمة عاجزة عن تقرير مصيرها، واتخاذ القرارات التي تخدم مصالحها، فغالباً ما يكون تحديد مصيرها بيد غيرها، ولعل هذا الأمر يكون أكثر وضوحاً إذا علمنا أن: «التسول في كثير من الأحيان قد لا يكون سلوكاً فردياً قاصراً على الأفراد؛ فهناك مؤسسات تتسول الناس في صورة جمع صدقات أو هدايا، كما أن هناك دولاً تتسول من الدول الأخرى للحصول على مساعدات إما في صورة منح نقدية أو عينية مباشرة، أو في صورة تخفيف أعباء ديونها، أو تأجيل سداد هذه الديون التي تستحق عليها وغير ذلك، فالتسول بطبيعة الحال ليس عملاً فردياً وإنما قد يمارس على المستوى الدولي..»<sup>(٢)</sup>. وبطبيعة الحال فإن الدول التي تتسول من غيرها غالباً ما تقدم العديد من التنازلات والامتيازات لتلك الدول المانحة على حساب مصالح شعوبها.

١- د: على عودة الشرفات، ظاهرة التسول حكمها وآثارها وطرق علاجها في الفقه الإسلامي، ص ٦٨.

٢- عيد البقمي، ظاهرة التسول في مدينة الرياض، ص ١١٤.

٥- سهولة اختراق صفوف الأمة: فمتى أصيب الإنسان بالذل وتعود عليه، وهانت عليه كرامته، سهل على العدو أن يخضعه لما يريد، لأنه استمرراً للذل والهوان، وصارت سجيته: أنه لا يستطيع أن يعيش إلا في ظل هذا الجو من الهوان، ومن فقد إنسانيته، وهانت عليه كرامته، فلا تسأل عن ولائه لقوم أو وطن أو أمة!!

٦- شيوع الجريمة وانتشارها: ذلك أن المتسول يحصل على المال، وقد يكون هذا المال فوق حاجته من غير جهد ولا تعب، ويفكر في صرفه، وتكون الشهوات هي الباب المفتوح أمامه، فتقع الجريمة وتشيع وتنتشر؛ من شرب للمسكرات، أو سفك للدماء، أو اقتراف للزنا وغيره من الموبقات، إلى غير ذلك من الجرائم...»<sup>(١)</sup>.

ومن ناحية أخرى: فإن التسول عادة ما يكون سبباً في تعرض بعض شرائح المجتمع كالنساء والأطفال إلى العديد من أخطار الاستغلال والابتزاز خاصة الجنسي والمادي، وكذا مخاطر الانحراف والإجرام، كالإدمان والتدخين، وغيرها.

٧- دفع الأطفال إلى التسرب من المدارس: وتدني تحصيلهم العلمي، وهذا الأثر ملاحظ في كثير من بلداننا العربية، فكثيراً ما نجد أطفالاً يتسولون في أوقات المدارس، ليس هذا فحسب، بل إن الطالب لمتسول قد يترك المدرسة والتعليم بالكلية.

٨- تعرض الأطفال وكبار السن إلى أخطار الحوادث المرورية: كالدھس في الطرق والإشارات الضوئية، فضلاً عن تشرد الكثير منهم نتيجة النوم في

١- د. نهاد عبد الحليم عبيد، البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضعية المعاصرة، ص ٨٨.

الشوارع والساحات العامة والحدائق...<sup>(١)</sup> مما يؤدي إلى اكتساب الأطفال والبالغين سلوكيات وممارسات غير مرضية، كالتدخين والإدمان، ولا يخفى ما في كل هذه الآثار والتبعات التي يخلفها التسول من امتهان لإنسانية الإنسان، وهدر لكرامته.

## المبحث الثاني:

### سبل وآليات مواجهة التسول في السنة النبوية المطهرة:

إن المتأمل في نصوص السنة النبوية المطهرة يجد فيها منهجاً رائعاً في مواجهة التسول يجمع في آنٍ واحد بين الشمول والتنوع والتكامل بين السبل والآليات المتبعة في مواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها؛ ما بين سبل وآليات عقائدية، وثقافية فكرية، وتربوية، واجتماعية واقتصادية تنموية، وقانونية، وفيما يلي محاولة لتسليط الضوء أبرز تلك السبل:

### أولاً: سبل وآليات عقائدية:

لا شك أن للعقيدة أثرها العظيم في نفوس أفراد المجتمع المسلم، كما أنها يمكن أن تلعب دوراً بارزاً في مواجهة التسول، ولعل الناظر والمتأمل في النصوص والإرشادات النبوية يرى ذلك بوضوح ومن ذلك:

#### ١- تحريم التسول والتهديد والوعيد لفاعله:

فقد حرمت السنة النبوية التسول وسدّت أبوابه إلا في ظروف استثنائية وعند الضرورة، فعن قبيصة بن مخارق الهلالي، قال: تَحَمَلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمَّ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ:

١- عزت ملوك قناوي حسن، الآثار الاقتصادية والاجتماعية لظاهرة التسول في مصر خلال الفترة من (٢٠٠٠-٢٠١٦م)، ص ٦٦.

ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةَ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ، تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يَمْسُكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّ مَالِهِ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ سَحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سَحْتًا..» (١).

وفي هذا الحديث إرشاد إلى ضرورة العمل في دائرة الحلال، وسد باب الاستجداء والشحاذة والتسول من ناحية ومن ناحية أخرى فيه نهي عن أكل أموال الناس بغير حق، وأن ذلك من قبيل السحت، الذي يوجب على صاحبه النار وبئس القرار، وفي الحديث «إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سَحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ..» (٢).

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ..» (٣).

وقد جاء في شرح هذا الحديث: «يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَأْتِي سَاقِطًا لَا قَدْرَ لَهُ وَلَا جَاهَ أَوْ يَعْذِبُ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَسْقُطَ لَحْمُهُ لِمَشَاكَلَةِ الْعُقُوبَةِ فِي مَوَاضِعِ الْجُنَايَةِ مِنَ الْأَعْضَاءِ لِكَوْنِهِ أَذِلَّ وَجْهِهِ بِالسُّؤَالِ أَوْ أَنَّهُ يَبْعَثُ وَوَجْهِهِ عَظِيمٌ كَلَّهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ شِعَارَهُ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ..» (٤). وفي هذا الحديث ما فيه من بيان لأثر التسول في هدر كرامة الإنسان، وإذلاله، والنيل من إنسانيته.

- ١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة (٧٢٢/٢) حديث (١٠٤٤).
- ٢ - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: السفر، باب: ما ذكر في فضل الصلاة (٢١٢/٥) حديث (٢١٤) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ» وقال الألباني: «صحيح»
- ٣ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: من سأل الناس تكثرا (١٢٣/٢) حديث (١٤٧٤).
- ٤ - ابن حجر، فتح الباري (٣/٣٣٩).

لاسيما وأنه يصيب الإنسان في أخص مظهر لكرامته وإنسانيته ألا وهو وجهه، ولم يستثن من ذم المسألة إلا حالتين، كما جاء في حديث سَمُرَةَ بن جندب عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَسْأَلُ كُدُوحٌ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بَدَأً...»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث أنه ما فَتَحَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ - وهو غني عنها - «إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ...»<sup>(٣)</sup>.

## ٢- النهي عن سؤال المخلوق والإعراض عنه:

ذلك أن الاستغناء عن المخلوقين، والافتقار إلى الخالق من أعظم أسباب العزة في الدنيا، فلا يزال الإنسان عزيزاً كريماً عالي القدر محفوظ الكرامة، ما دام مستغنياً عن الناس، لا يحتاج إليهم، ومتى سألهم وأكثر من المسألة، وطلب الإعانة، هان عليهم، وقل قدره عندهم، وشعر هو بجميل معروفهم، وأصبح أسيراً لهذا الإحسان، ولهذا ربي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتباعه على الاستغناء عن الناس، وعدم طلب الحوائج منهم، وكثرة سؤالهم، وكره لهم هذا السلوك، وأن الله عز وجل لا يرضاه لعباده، لما فيه من إراقة ماء الوجه، وإهدار للكرامة، فعن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ: أَنْ اكْتُبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ

١- أخرجه أحمد في مسنده، (٣٣/ ٣٩٥) حديث (٢٠٢٦٥) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير زيد بن عقبة، فقد روى له أصحاب "السنن" غير ابن ماجه، وهو ثقة.

٢- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: الزهد، باب: بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ (٤/ ٥٦٢) حديث (٢٣٢٥) وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح " وقال الألباني: " صحيح " .

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة (٣/ ٧٢٠) حديث (١٠٤١).



سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»<sup>(١)</sup>.

### الحث على سؤال الخالق والإقبال عليه:

وهذا الأمر له علاقة بالسابق، فمن سأل الخالق حق المسألة استغني بطبيعة الحال عن المخلوقين، وقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بهذا الأمر، وأولته السنة النبوية عناية فائقة، وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على ترسيخه في نفوس أتباعه بالتفصيل والبيان والتبليغ، وذلك لكونه أصلاً عظيماً من أصول الدين والتوحيد، ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ (٧٩) الشعراء: ٧٩. ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ هود: ٦. فخرائن الرزق بيده سبحانه وتعالى، وهو الزراق ذو القوة المتين وفي الحديث عن أبي ذرٍّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَلَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرُكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرُكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرُكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الْفَسَّادُ الْفَاسِقَ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وَكَمُ الْغِنَى (٢/ ١٢٤) حَدِيثُ (١٤٧٧).

مَسْأَلَتُهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ..»<sup>(١)</sup>.

ولنا أن نتأمل في ألفاظ وعبارات هذا الحديث فالله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي الضال، ويطعم الجائع، ويكسو العريان، ويتوب على المذنب، ويعطي السائل، وهو سبحانه وتعالى يفرح بسؤال عبده، بل وينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ينادي في عباده، ويحثهم على السؤال والتضرع والاستغفار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلَاثُهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ..»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الحث على التعوذ من الفقر:

وهذا أيضا متعلق بما سبق فالتعوذ من الفقر، وطلب الغنى من الله عز وجل هو ضرب من ضروب سؤال الخالق سبحانه وتعالى واللجوء إليه، والاستعانة به والاستغناء عن سواه، وفي الحديث عن أبي بكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ..»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: سبل وآليات ثقافية فكرية:

ولعل من أهم هذه السبل والآليات التي حفلت بها السنة النبوية في مواجهة هذه الآفة الخطيرة، آلية تصحيح المفاهيم وتصويب الأفكار لدى أبناء الأمة الإسلامية، ومن ذلك:

- ١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والآداب والصلوة، باب: تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٤) حديث (٢٥٧٧).
- ٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، وَالْإِجَابَةُ فِيهِ (١/ ٥٢٢) حديث (٧٥٨).
- ٣- أخرجه أحمد في المسند، (١٧/ ٣٤) حديث (٢٠٣٨١) وقال الشيخ: شعيب الأرنؤوط: "إسناده قوي على شرط مسلم".

## ١- تصحيح مفهوم الغنى وبيان حقيقة الغنى:

ذلك أن كثيراً من الناس من الناس يعتقد أن الغني هو من كانت لديه الأموال، والمتاع الكثير، لكن نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَرَّفَ وَبَيَّنَّ أَنَّ الْغَنِيَّ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْغَنِيُّ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغَنِيَّ غِنَى النَّفْسِ...»<sup>(١)</sup>.

والمعنى أن الغنى المحمود؛ هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة، لم يستغن بما معه، فليس له غنى، وإلى هذا المعنى أشار ابن بطال رحمه الله قائلاً: «إن حقيقة الغنى ليست عن كثرة متاع الدنيا، لأن كثيراً ممن وسع الله عليه في المال يكون فقير النفس لا يقنع بما أعطى فهو يجتهد دائماً في الزيادة، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير من المال؛ لشدة شرهه وحرصه على الجمع، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، الذي استغنى صاحبه بالقليل وقنع به، ولم يحرص على الزيادة فيه، ولا ألح في الطلب، فكأنه غنى واجد أبداً...»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- تصحيح مفهوم المسكنة وبيان حقيقة المسكين:

ذلك أن المسكين لدى كثير من الناس هو: ذلك المحتاج الذي يطوف عليهم يسألهم ما يسد به حاجته، ويطلب منهم نفقة ينفق منها على نفسه وعياله، وهو الذي يبين ضعفه وفقره، مريقاً ماء وجهه، معلناً ذلك، دون حرج أو حياء، لكن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم يبين أن المسكين - حقيقة - هو المحتاج المعدم الذي ليس له غنى يغنيه، يستعف به عن المسألة، ويحفظ به ماء وجهه أن يراق أمام الناس، ويتعفف عن السؤال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: الغنى غنى النفس (٨ / ٩٥) حديث (٦٤٤٦).

٢- شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠ / ١٦٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللَّقْمَةُ وَلَا اللَّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمَسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ، وَأَقْرَبُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ البقرة: ٢٧٣ .

### ٣- تصحيح مفهوم الإفلاس وبيان حقيقة المفلس:

حيث ينظر كثير من الناس إلى المال على أنه الوسيلة التي تجعل للإنسان مكانة عظيمة في المجتمع، وينظرون إلى المفلس نظرة دونية، تجعل عيشه في المجتمع صعباً، واندماجه بين أفراد عسيراً إن قال فلا يُسمع وإن أمر فلا يُطاع وإن نكح فلا يُنكح وإن شفع فلا يُشفع، فلا قدر له ولا عزة ولا كرامة؛ مما يجعله يسعى إلى الحصول على المال بأية وسيلة؛ مشروعة كانت أو غير مشروعة.

وبطبيعة الحال فإن التسول يعد وسيلة مهمة بين تلك الوسائل بوصفه أحد طرق الكسب السهل والمريح والسريع، وبسبب خطورة هذه النظرة في واقع الناس، فقد حرص المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على تصحيح مفهوم الإفلاس، ونظر إليه نظرة جديدة، تجعل من لا مال له يعيش عيشة راضية، وبطريقة سوية لا انحراف فيها ولا فساد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ...»<sup>(١)</sup>.

١- أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: البر والصلة والآداب باب: تحريم الظلم (٤/١٩٩٧) حديث (٢٥٨١).

## ٤- التأكيد على أن المال ليس هدفاً في ذاته:

وإنما هو وسيلة لتحقيق هدف عظيم وغاية سامية؛ وهي إحياء المجتمع البشري في ظل جو من التعاون والمودة والتعاطف، تسود فيه الكرامة، وتعلو فيه إنسانية الإنسان، وقد أراد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يفهم الأغنياء أنهم بأدائهم ما على المال الذي بين أيديهم من حقوق للغير ليس في هذا تضحية فهم مستخلفون في مال الله..»<sup>(١)</sup>.

فمن طارق المحاربي، قال: قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمُنْبَرِ يَخُطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ: «يَدُ الْمُعْطَى الْعُلْيَا، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ، وَأَبَاكَ، وَأَخْتِكَ، وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ، أَدْنَاكَ..»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا إشارة إلى بيان حقيقة موقف الأغنياء مما تحت أيديهم من الأموال، فالمال ليس هدف الحياة، بل هو وسيلة من وسائلها لأداء وظيفة اجتماعية، ومسئولية إنسانية خطيرة.

## ثالثاً: سبل وآليات تربية:

فقد ربي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، على الأخلاق النبيلة، ووجه أنظار أمته إلى العناية بمنظومة القيم الفاضلة المتكاملة التي شرعها لهم، والتي من شأنها أن تبني الفرد والمجتمع، وتحافظ على كينونته، وتعمل على رقيه وتقدمه، وتصونه من الآفات التي تخلخل بناءه الاجتماعي، وصرحه الاقتصادي، وتزعزع أمنه واستقراره النفسي، ولعل من أبرز تلك القيم التي ربي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أتباعه عليها:

- القناعة: فالقناعة هي الرضا بما قسمه الله تعالى للإنسان وفي الحديث «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ ظَهْرٍ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِنَاهُ

١- أ. يسري محمد أرشد، حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، ص ٨٠.

٢- أخرجه أحمد في المسند، (١٥٩/٢٧) حديث (١٦٦١٣) وقال الشيخ: شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين".

- فِي نَفْسِهِ وَتَقَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ..»<sup>(١)</sup>.
- أي جعل نفسه غنية قانعة راضية عن الله، قانعة بالكفاف، لئلا تتعب في طلب الزيادة وليس لها إلا ما قدر لها، فالقناعة بالمقسوم تحول بين المرء وبين الحرص والطمع والشره، ولهذا كام المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيز من النفس الشرهة الحريصة التي تشيع ولا تقنع فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يَسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ..»<sup>(٢)</sup>.

كراهة السؤال: ليكونوا - ومن بعدهم - أعزة فقد كان يطلب منهم في المبايعة أن يبايعوه على ألا يسألوا الناس شيئاً، فعن عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةِ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَتُطِيعُوا - وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ..»<sup>(٣)</sup>.

الاستعفاف والاستغناء عن الخلق: وقد أثنى القرآن الكريم على التعفف ومدح أهله ورغب فيه، وكره سؤال الناس ونهى عنه ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ

١ - أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤ / ١٠١) حديث (٦٢١٧) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن. رجاله ثقات رجال مسلم غير أبي السمح واسمه دراج بن سمعان، وهو صدوق".  
 ٢ - أخرجه أحمد في المسند، (٢١ / ٤٢٢) حديث (١٤٠٢٤) وقال الشيخ: شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح، وهذا إسناد قوي".  
 ٣ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس (٢ / ٧٢١) حديث (١٠٤٣).

مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا ﴿البقرة: ٢٧٣﴾. وقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرغب أصحابه في التعفف، ويربيهم على التحلي بغني النفس والقناعة، وذلك لما لهذه الصفات من أثر بالغ في الحفاظ على إنسانية الإنسان وصيانة كرامته، ويُحبب إليهم عزة النفس، وعلو الهمة، والترفع عن كل ما يهدر كرامة الإنسان، ويهين كرامته، ويُشجعهم على طلب الغنى حتى يغنيهم الله.

فمن قبيل الحث على الاستعفاف والصبر ما روي عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غَنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»<sup>(١)</sup>. ولا شك أن اليد العليا خير من اليد السفلى فهي المنفقة والسفلى هي السائلة.

رابعاً: سبل وآليات اقتصادية وتنموية:

ضرورة محاربة البطالة:

والبطالة هي حالة من التعطل عن العمل والعجز عن الكسب، وهنا لا بد من التأكيد على العلاقة المتينة والصلة والوثيقة بين التسول والبطالة: «تلك التي تعد من أهم المشكلات التي يعاني منها العالم اليوم، وأكثرها ظهوراً وأشدّها خطراً على الأمة، وعلى كيانها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأمني؛ فالبطالة تعتبر باباً رئيسياً ومعبراً خطيراً يعبر منه المتسولون، وربما جرتهم البطالة إلى الانحراف عن دين الله القويم، واقتراف الرذائل وسلوك سبيل المجرمين، والعبث بالأمن، وانتهاك الحرمات، والاعتداء على أملاك الناس بطرق غير مشروعة، ومن ناحية أخرى فإن البطالة قد تكون ثمرة من ثمار التسول، فكلاهما مترابط ارتباطاً

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى (١١٢/٢) حديث (١٤٢٧).

وثيقاً بالآخر..»<sup>(١)</sup>.

### الإعلاء من قيمة العمل:

فقد دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العمل، وحثَّ عليه، وأثنى على من يأكل من عمل يده، فعن عَنَ الْمُقَدَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ..»<sup>(٢)</sup>.

وهنا لابد من الإشارة إلى: «أن الإنسان قد يأكل من ميراث والديه أو أحدهما، وقد يأكل من المال الذي يكسبه أولاده، وهذا وذاك جائز ومباح لا شيء فيه، ولكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعل أفضل الطعام الذي يتناوله العبد؛ هو الذي يكون من كسب يده، ويستدل على ذلك بأن هذه الميزة لا تقف عند الإنسان العادي، بل هي محور وجود الإنسان الفرد، فنبي الله تعالى داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده، ولم تشفع له النبوة والاصطفاء في أن يأكل من عمل يد غيره من الناس..»<sup>(٣)</sup>.

بل إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعل جوهر كرامة الإنسان وحقيقة إنسانيته في العمل مهما كان شأن هذا العمل، طالما أنه يقع ضمن دائرة المباح، فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفَى اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ..»<sup>(٤)</sup>.

- ١- د. نهاد عبد الحليم عبيد، البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضعية المعاصرة، ص ٧١.
- ٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل من عمل يده (٣/ ٥٧) حديث (٢٠٧٢).
- ٣- د: محمد أبو زيد الفقي، العمل العمراني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ص ١٠٦.
- ٤- المصدر السابق، نفسه.



ففي هذا الحديث تظهر بوضوح نظرة السنة النبوية المطهرة إلى قيمة العمل في حياة الإنسان، فهو كما أسلفنا عماد الكرامة والعزة الإنسانية، فها هو المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى أن قطع الحطب وحمله على الظهر وبيعه للحصول على ثمنه، والانتفاع بثمرة العمل خير من سؤال الناس - بما فيهم العصبية والقرابة - سواء أعطوه وأشبعوا حاجته أو منعه، فالعطاء والمنع لا قيمة لهما بعد صدور السؤال من السائل وإراقة ماء وجهه فالقضية عند المصطفى صلى الله عليه وسلم هي إما ان تسأل وإما أن تعمل؟ وليست المسألة قضية عطاء أو منع، ذلك أن التسول وسؤال الناس، يقضي على إنسانية الإنسان، ويهدر كرامته، ويلغي مهمته في الخلافة، ويدخله في دائرة العجز، لأن العجز إلغاء للخلافة، والله تعالى قد أعطى الإنسان قدرات كثيرة يستطيع ان يعمل بها، حتى وإن فقد عضوا من أعضائه فهو قادر دائما حتى الموت.

أما أن يترك الإنسان العمل ويلجأ للتسول بحجة العجز، أو أنه ينتمي إلى ولي معين، فذاك ما يرفضه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يدرك عظمة الهدى النبوي في هذا الحديث إلا من يدرس سيكولوجية - نفسية - المتسول، ويدرك مدى الانحطاط والتردي الذي أصاب هذه النفس التي خلقها الله تعالى كريمة عزيزة، وكيف أن العاطل عن العمل لا يفكر في خير أبداً وكيف أن الرجل العاطل من السهل عليه أن يفرط دينه وعرضه وكل مقدس له، ولا يشعر لذلك بشيء من الحزن والأسى، كما نطن ونحن نشاهد من بعيد!! إن القعود عن العمل يُكوّن لدى المتسول أنماطا وأخلاقيات لا أصل لها في كل الأديان السماوية، أو التجارب الإنسانية، ومن هنا جاء هذا الهدى النبوي الكريم في إعلاء قيمة العمل علاجاً كافياً وبلسماً شافياً..»<sup>(١)</sup>.

١ - د: محمد أبو زيد الفقي، العمل العمراني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ص ١٠٧، ١٠٨.

## السعي لتوفير وتهيئة فرص عمل جديدة:

ورغم التشابه بين هذا العنصر وسابقه إلا أنه ثمة فارق كبير بين فكرة الإعلاء من قيمة العمل، وبيان شرفه وفضله، وكرامة العامل المحترف، وفضله على المتواكل البطال، وبين السعي لوضع الخطط والبرامج والتدابير التي من شأنها أن توفر فرص العمل الجديدة للشباب فالأولى تمثل الجانب الفكري والتربوي، والثانية تمثل الجانب العملي والإجرائي، وقد كان كلا الجانبين حاضرًا في الهدي النبوي لمكافحة البطالة والتسول.

فَعَنَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى، حُلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَدْ حَشَرْنَا فِيهِ الْمَاءَ، قَالَ: «اِئْتِنِي بِهِمَا» قَالَ: فَاتَّاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمٍ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ دَرَاهِمٍ؟» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا، فَاتْنِي بِهِ» فَفَعَلَ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَدَّ فِيهِ عُوْدًا بِيَدِهِ، وَقَالَ: «أَذْهَبْ فَاحْتَطَبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا» فَجَعَلَ يَحْتَطَبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ: «اشْتَرِ بَعْضَهَا طَعَامًا وَبِيعْ بَعْضَهَا ثَوْبًا» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَحْجِيَءَ وَالْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْطِعٍ، أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ»<sup>(١)</sup>.

١ - أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: التجارات، باب: بيع المزايدة (٧٤٠ / ٢) حديث (٢١٩٨) والترمذي في سننه، أبواب: البيوع، باب: ما جاء في بيع من يزيد (٥١٤ / ٣) حديث (١٢١٨) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث الأخضر بن عجلان» «وعبد الله الحنفي الذي روى عن أنس هو أبو بكر الحنفي» والعمل على هذا عند بعض أهل العلم.

## الهجرة في طلب الرزق الحلال:

فلا يجوز للمسلم أن يتزرع بأنه متعطل أو متبطل لا يجد عملاً، لأنه في بلد لا يجد فيه العمل، فالحق سبحانه وتعالى أمره بالهجرة، والسعي في الأرض والأكل من رزق الله، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) الملك: ١٥. ووعدهم من يهاجر من بيته بسعة الرزق، ﴿وَمَن يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ النساء: ١٠٠.

«وَالْمُرَاغِمُ اسْمٌ مَّكَانٍ مِنْ رَاغِمٍ إِذَا ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ، وَفَعُلَ رَاغِمٌ مُسْتَقٌ مِنَ الرَّغَامِ - بَفَتْحِ الرَّاءِ - وَهُوَ التُّرَابُ. أَوْ هُوَ مِنْ رَاغِمٍ غَيْرُهُ إِذَا غَلَبَهُ وَقَهَرَهُ، وَلَعَلَّ أَصْلَهُ أَنَّهُ أَبْقَاهُ عَلَى الرَّغَامِ، أَيِ التُّرَابِ، أَيُّ أَنْ الْمُهَاجِرَ يَجِدُ مَكَانًا يُرْغَمُ فِيهِ مَنْ أَرْغَمَهُ، أَيُّ يَغْلِبُ فِيهِ قَوْمَهُ بِاسْتِقْلَالِهِ عَنْهُمْ كَمَا أَرْغَمُوهُ بِإِكْرَاهِهِ عَلَى الْكُفْرِ. وَالسَّعَةُ ضِدُّ الضِّيقِ، وَهِيَ حَقِيقَةُ اتِّسَاعِ الْأَمْكِنَةِ، وَتُطْلَقُ عَلَى رَفَاهِيَةِ الْعَيْشِ، فَهِيَ سَعَةٌ مَجَازِيَةٌ...»<sup>(١)</sup>. ولا يخفي ما يمكن أن يعود على الإنسان من وراء الهجرة والسعي في الأرض من عزة وكرامة وصيانة لإنسانية وحفظاً لماء وجهه، وقد قال الإمام الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا      وسافر ففي الأسفار خمس فوائد  
تفرج هم و اكتساب معيشة      وعلم آداب وصحبة ماجد<sup>(٢)</sup>.

تحريم الاحتكار منعاً للتحكم والاستغلال في الأقوات والأرزاق:

ولعل من الأساليب التي حارب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التسول من خلالها تحريم الاحتكار، ذلك السلوك الاقتصادي الذي يسهم في زيادة الهوة بين الأغنياء والفقراء فيزداد الأغنياء من خلاله غني، ويزداد الفقراء بسببه فقراً،

١- ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨٠ / ٥).

٢- الشافعي، ديوانه ص ٧٤.

وتزداد حياتهم ضيقاً وقسوة وذنكاً، مما يدفعهم إلى التسول، وسؤال الناس، فعن عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ...»<sup>(١)</sup>.

قال النووي: «والحكمة من تحريم الاحتكار، دفع الضرر عن عامة الناس، كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام واضطر إليه الناس، ولم يجدوا غيره أجبر على بيعه دفعا للضرر عنهم...»<sup>(٢)</sup>.

الحث على التوسط والاعتدال في الإنفاق وعدم الإسراف:

فقد يتعرض المسلم لأزمات اقتصادية وظروف قاسية، فينفذ ما عنده من مال، وقد تحمل هذه الظروف على الاستدانة من الناس، وقد لا يستطيع سداد ديونه، لازدياد سوء وضعه المادي، وقد يضطر إلى التسول، وتكف الناس، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى كيفية علاج هذه المشكلة؛ ألا وهو الاعتدال في النفقة وعدم التبذير والإسراف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٣)</sup> الأعراف: ٣١.

كما نبهنا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ضرورة الاعتدال والتوسط في الإنفاق وتجنب التبذير والإسراف، ففي الصحيح أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ»<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات (٣/ ١٢٢٨) حديث (١٦٥٥).

٢- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١/ ٤٣).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: اللباس، باب: قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. (٧/ ١٤٠).

خامساً: سبل وآليات اجتماعية:

تحقيق وترسيخ مبدأ الضمان الاجتماعي:

إن الإسلام مع حرصه الشديد على تقرير مبدأ الإنفاق في سبيل الله تعالى، لم يرد من تقرير هذا المبدأ مجرد الإنفاق والبذل بإخراج الغني بعض ماله لغيره أيًا كان ذلك الغير، بل كان للإسلام فلسفة عجيبة في ذلك؛ فقد أراد بالإنفاق الذي قرره على أغنياء المسلمين ما يحقق (الضمان الاجتماعي) بين الأغنياء وأرباب الحقوق عليهم، وذوي الفقر والحاجة الذين لم يكن لديهم قوة عملية يدفعون بها حاجتهم، وينقذون أنفسهم من مخالب الفقر المذلة للنفوس، المضیعة للكرامات، ومن هنا رسم للإنفاق دوائره التي ينبغي أن يتجه إليها به، وذلك على النحو الآتي:

أ- دائرة الأقارب:

﴿وَأَقِ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ البقرة: ١٧٧. ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأنفال: ٧٥. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ النساء: ٣٦. ﴿وَأَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبْذَرِ تَبَذُّرًا﴾ الإسراء: ٢٦.

دائرة الفقراء والمساكين الذين لا يجدون ولا يقدرّون على ممارسة العمل:

﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الماعون: ٣. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة: ٦٠. ﴿وَأَقِ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ البقرة: ١٧٧.

## ت - دائرة الإنفاق في المصالح العامة والمشروعات الجماعية:

وفي أوائلها المصانع الحربية والمستشفيات العلاجية، والمعاهد العلمية، وما إلى ذلك؛ مما يحقق للمجتمع حاجته في حفظ كيانه، وحفظ صحته وعقله وثقافته، وصيانة إنسانيته وكرامته، ولا يكاد يشتبه أحد في تحديد دائرة أهله وأقاربه، ولا في تحديد دائرة المشروعات النافعة، والمصالح الجماعية فما دائرتان واضحتان لا لبس فيهما ولا خفاء، في حين يقع اللبس والاشتباه لدى كثير من الناس في دائرة الفقر والمسكنة؛ هذه الدائرة التي يتزيا بزيتها كثير من المحترفين، الذي سولت لهم أنفسهم البطالة فمدوا أيديهم بالسؤال، واتخذوا مشروعية الصدقة في الإسلام سبيلاً للجمع والتكثُر عن طريق التمسك، والظهور بمظهر الفقراء المستحقين، وبذلك استغلوا بماء وجوههم عاطفة الناس»<sup>(١)</sup>.

«هؤلاء ليسوا في واقعهم إلا أرباب نهب وسلب عن طريق الغش والخديعة التي تصرف الناس عن حقيقة أمرهم، وليسوا إلا عناصر بطالة وهدم لكرامة الجماعة التي يجب أن تعيش وحدتها على أساس العزة والتعفف والرفعة وصيانة إنسانية الإنسان»<sup>(٢)</sup>.

«إن الحق سبحانه وتعالى يطالب الإنسان القادر على العمل أن يعمل تحصيلاً لرزقه وحفظاً لماء وجهه، ويشدد عليه في ذلك كله، ويضع السعي أمامه في مستوى العبادة فيتحلل الإنسان من تلك الأوامر، وينزع نفسه من معاني الكرامة نزحاً، ويتخذ التسول صنعة، يتنقل الطرق والمقاهي، وأبواب المساجد ودور العبادة، ومركبات الترام، ومحطات القطار، والميادين العامة، منها يتعيش، وبها للمال يجمع: ليقف للمارة بالمرصاد، يسد عليهم طريقهم، ويعترضهم في سيرهم،

١ - الشيخ: محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص ١٣٦، ١٣٧.

٢ - السابق، نفسه.

مرتلاً لهم دعوات، فإذا لم يعط قلبها لعنات: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ (٥٨) التوبة: ٥٨. وللأسف فإن هذا الصنف كثر في هذه الأيام، وأخذ يتفنن في مظاهر العجز، ودواعي السؤال، فممنهم من يتعارج، وممنهم من يتعامى، وممنهم من يزعم أنه خرج من المستشفى وليس معه أجرة القطار، ولا أجرة المأوى، ولا ثمن الخبز، هؤلاء كذبة فجرة، أهدروا إنسانية الإنسان، فقدوا ماء الوجه، وحرموا فضيلة الحياء، واستطابوا هذه الوسيلة الوضيعة لجمع المال بغير كد ولا عمل»<sup>(١)</sup>.

الحث على تبني هموم الناس وقضاء حوائج المحتاجين:

فقد حث المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القيام برعاية المنكوبين والمكروبين وإسعاف المحتاجين وإطعام الجائعين، والقيام على شئونهم، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: سبل وآليات قانونية وتشريعية:

أمرنا الحق سبحانه وتعالى بطاعة أولي الأمر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء: ٥٩. «إطاعة الله هي الأخذ بكتابه كله، وفيه ما رأيت من النهي عن الاختلاف والتفرق في الدين. وإطاعة رسوله بعد وفاته هي الأخذ بسنته، وإطاعة أولي الأمر هي العمل بما يتفق أهل الحل والعقد وأولو الشأن من علمائنا ورؤسائنا بعد المشاورة بينهم في أمر اجتهادي، على أنه هو الأصلح لنا

١- الشيخ: محمود شلتوت، من توجهات الإسلام، ص ١٣٦، ١٣٧.  
٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ (١٢٨/٣) حديث (٢٤٤٢).

الذي يستقيم به أمرنا...»<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن القوانين والتشريعات التي يضعها أولو الأمر؛ تهدف في أغلب الأحيان إلى دفع المفسد ومواجهة كل ما يلحق الضرر بعامه الناس، كما تهدف إلى جلب المنافع وتحقيق المصالح العامة.

وقد اهتمت معظم التشريعات في الدول العربية والإسلامية بمكافحة التسول، نظراً لآثاره الضارة، وانعكاساته السلبية على الأفراد والمجتمعات على حد سواء، ولو أخذنا على سبيل المثال القانون الاتحادي رقم (٩) لسنة (٢٠١٨ م) لدولة الإمارات العربية المتحدة، لوجدنا أن المشرع يسير في مكافحة التسول في اتجاهات ثلاثة وذلك على النحو الآتي:

#### الرعاية الاجتماعية أو التأهيل للعمل:

حيث نصت المادة (٣) من القانون الاتحادي رقم (٩) لسنة (٢٠١٨ م) في شأن مكافحة التسول على أن: «للنيابة العامة أن تحيل المتهم في جريمة التسول إلى وزارة تنمية المجتمع أو الجهة المحلية المختصة، للعمل على رعايته، أو تأهيله، وذلك إذا توافرت في حقه أحكام الضمان الاجتماعي».

#### العقوبة:

حيث نصت المادة (٥) من القانون الاتحادي رقم (٩) لسنة (٢٠١٨ م) في شأن مكافحة التسول على أن: «يعاقب بالحبس مدة لا تزيد ثلاثة أشهر وبالغرامة التي لا تقل عن (٥٠٠٠) خمسة آلاف درهم كل من ارتكب جريمة التسول، كما يعد ظرفاً مشدداً (أي للعقوبة) إذا ارتكبت الجريمة في الأحوال الآتية:

- إذا كان المتسول صحيح البنية، أو له مورد ظاهر للعيش.

١ - محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٩ / ٣).



• إذا كان المتسول قد اصطنع إصابات، أو جروح أو عاهات مستديمة، أو تظاهر بأداء خدمة للغير، أو استعمل أية وسيلة من وسائل الخداع والتغريب بقصد التأثير على الآخرين لاستدراار عطفهم<sup>(١)</sup>.

كما نصت المادة (٦) من نفس القانون على أنه يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر والغرامة التي لا تقل عن (١٠٠٠٠٠) مائة درهم كل من أدار جريمة التسول المنظم، كما يعاقب بذات العقوبة كل من يستقدم أشخاصاً وفقاً لقانون دخول وإقامة الأجانب ليستخدمهم في جريمة التسول المنظم<sup>(٢)</sup>.

كما نصت المادة (٧) من نفس القانون على أنه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وبالغرامة التي لا تقل عن (٥٠٠٠) خمسة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من شارك في جريمة التسول<sup>(٣)</sup>.

#### المصادرة والإبعاد:

كما نصت المادة (٩) من نفس القانون على أنه: «تحكم المحكمة عند الحكم بالإدانة بمصادرة الأشياء والأموال المضبوطة التي استعملت في جريمة التسول، أو كان من شأنها أن تستعمل فيها، أو كانت محللاً لها أو التي تحصلت منها، فإذا تعذر ضبط أي من تلك الأشياء أو الأموال حكمت المحكمة بغرامة تعادل قيمتها»<sup>(٤)</sup>.

ولعل الناظر والمتأمل في مواد ونصوص هذا القانون يلحظ بوضوح، كيف قدّم المشرع الإماراتي التربية والإصلاح وإعادة التأهيل على التجريم والعقاب، كما يلاحظ أيضاً كيفية التنويع في العقوبة، بين الحبس، والغرامة، والمصادرة من

- ١- المادة (٥) من القانون اتحادي رقم (٩) لسنة ٢٠١٨ م في شأن مكافحة التسول.
- ٢- المادة (٦) من القانون اتحادي رقم (٩) لسنة ٢٠١٨ م في شأن مكافحة التسول.
- ٣- المادة (٧) من القانون اتحادي رقم (٩) لسنة ٢٠١٨ م في شأن مكافحة التسول.
- ٤- المادة (٩) من القانون اتحادي رقم (٩) لسنة ٢٠١٨ م في شأن مكافحة التسول.

ناحية، وبين التدرج في العقوبة من التخفيف إلى التشديد لاسيما في حالات الغش وخداع الغير، والتسول المنظم من ناحية أخرى، وبين الشمول حيث شملت كل من ارتكب هذه الجريمة كما في المادة (٥) أدراها كما في المادة (٦) أو شارك فيها كما المادة (٧) من ناحية ثالثة.

## الخاتمة

### النتائج:

- اعتنى الإسلام الحنيف بإنسانية الإنسان، ورفع قدره وفضله على سائر المخلوقات، ووضعت من من الأنظمة والقواعد والضوابط ما يصون إنسانية ويحفظ عليه كرامته.
- يعد التسول أحد السلوكيات السلبية المنحرفة التي تنتقص من قدر الإنسان وتمتهن إنسانيته وتهدر كرامته.
- تنوعت الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى انتشار التسول، فمنها ما يعود إلى المتسول ذاته، ومنها ما يعود إلى التنشئة غير السليمة داخل الأسرة، ومنها ما يرجع إلى القصور في المؤسسات التربوية والتعليمية، ومنها ما يعود إلى المجتمع.
- الآثار التي يخلفها سلوك التسول ليست قاصرة على المتسول وحده، بل تتعداه إلى الأسرة لتلحق بها الخزي والعار، وإلى المجتمع والأمة بأثرها لتشوه وجهها المشرق، وصورتها الحضارية..
- نهت السنة النبوية المشرفة عن التسول، ونفرت منه؛ لما له من آثار سلبية تعصف بإنسانية الإنسان وتهدر كرامته حيث صورت المتسول بأبشع الصور يوم القيامة.
- لم تكتف السنة النبوية المشرفة في مواجهة ظاهرة التسول بمجرد النهي والتحريم، بل وضعت منهجاً شاملاً متكاملًا تنوعت أساليبه وآلياته ما بين العقائدي والفكري والثقافي، والتربوي، والاجتماعي، والاقتصادي والتنموي، والتشريعي والقانوني..

### التوصيات:

- تفعيل دور وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة في بث الوعي الأخلاقي والاجتماعي لأسر المتسولين، وتنبههم بمخاطر التسول على أبنائهم.
- ضرورة صرف الزكاة إلى مستحقيها والتفتيش عن الجهات والفئات المستحقة مما يسهم في تحقيق الكفاية لكثير من المتسولين في المجتمع.
- تفعيل دور رجال الدين والدعاة في خطبهم للحد من هذه الظاهرة مع عمل ندوات دورية توعوية للآباء والأبناء توضح خطورة التسول.
- ضرورة التزام السلطات والجهات المعنية بتهيئة الظروف المناسبة للمتسولين والمتشردين للمعيشة الكريمة من جميع النواحي؛ في إطار من احترام الكرامة الإنسانية، وذلك بتوفير أعلى مستوى ممكن من المقومات الأساسية لذلك، من عملٍ مناسب، ومسكنٍ ورعايةٍ صحيةٍ واجتماعيةٍ ونفسيةٍ، وغيرها.
- محاولة الاستفادة بأكبر قدر ممكن من النماذج والتجارب التنموية العالمية وذلك من خلال إنشاء المراكز المتخصصة لإعداد الدراسات والمشروعات والبرامج الاجتماعية والنفسية التي تُسهم في تقديم الدعم المادي والمعنوي للعوائل، والأسر الفقيرة والمحتاجة والمتسولة.
- ضرورة قيام الأجهزة الأمنية بتفعيل الأنظمة والقوانين الخاصة بمكافحة التسول، من أجل الحفاظ على الصورة الحضارية للمجتمع، حماية المجتمع من الجرائم المرتبطة بالتسول.

## قائمة المصادر

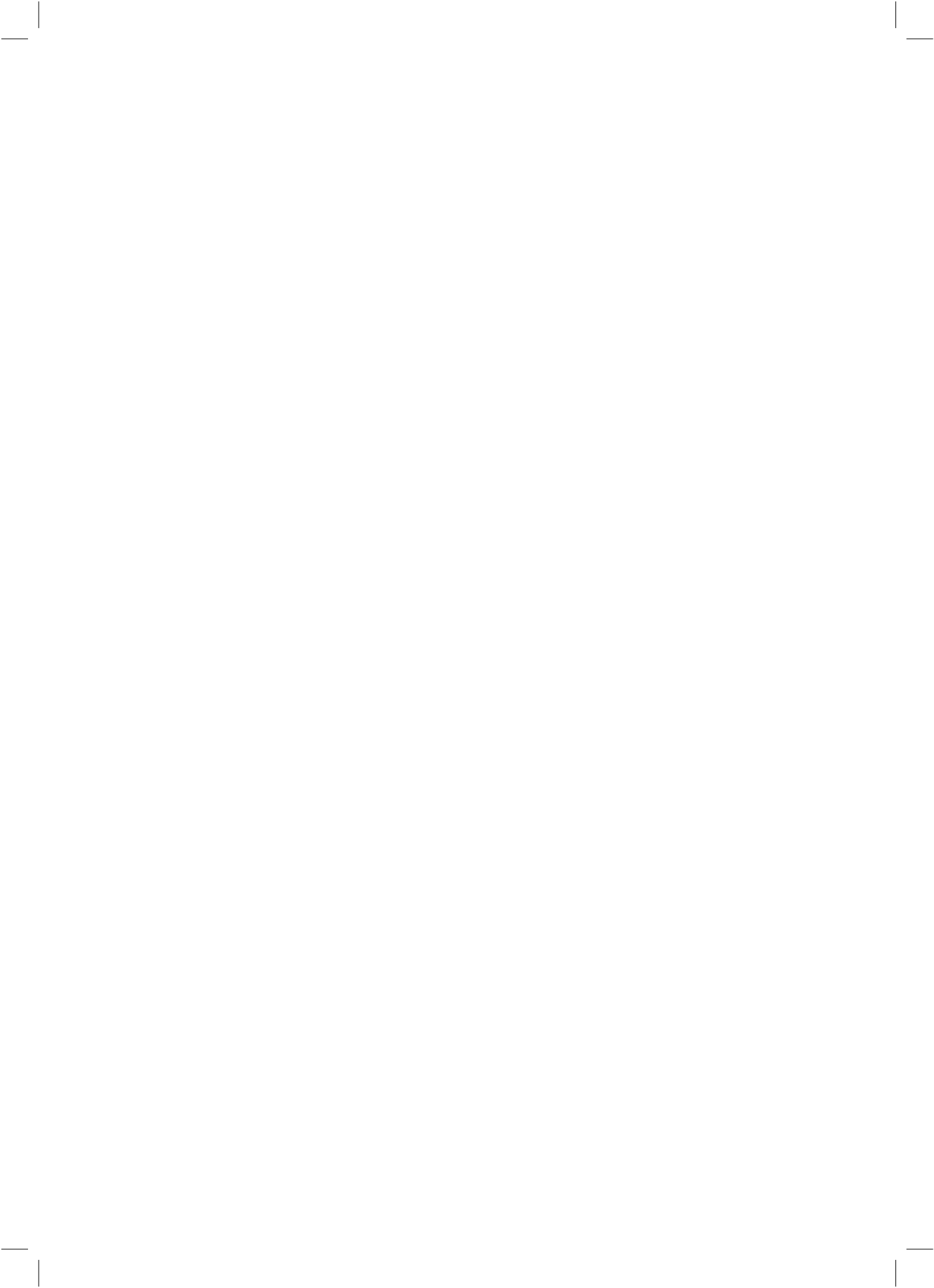
- الآثار الاقتصادية والاجتماعية لظاهرة التسول في مصر خلال الفترة من (٢٠٠٠-٢٠١٦م)، عزت ملوك قناوي حسن، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، العدد الأول، المجلد الأول، (مارس ٢٠١٧م).
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضعية المعاصرة، د. نهاد عبد الحليم عبيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، عدد (٣١) (ذو القعدة ١٤١٧هـ - إبريل ١٩٩٧م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط.د.ت.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، ط١ (١٩٨٤هـ).
- التسول وآثاره الاجتماعية والاقتصادية، عاصم إسماعيل، مقال منشور بتاريخ [www.asahafainfo.info](http://www.asahafainfo.info) (٢٠٠٨ / ٢ / ١٨م)
- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ (١٩٩٠م).
- الحضارة الإسلامية.. إبداع الماضي وآفاق المستقبل، د: عبد الحليم عويس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ط١ (٢٠١٢م).
- حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، يسري محمد أرشد، سلسلة كتاب (الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (١١٤) (رجب ١٤٢٧هـ).

- دراسة أسباب ظاهرة تسول الأطفال في مركز محافظة بابل ومعالجتها، فاطمة حميد ناصر المعموري، أحلام حامد جاسم الحسن، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد (٢٧) عدد (٢) (٢٠١٩م).
- ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: د: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ط.د.ت.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط.د.ت.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطل (ت: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- شرطة أبو ظبي تحذر من التسول الإلكتروني، خبر منشور بتاريخ (٣٠ مارس ٢٠٢٢م) على الموقع الرسمي لجريدة (الاتحاد) <https://www.alittihad.ae/news>
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي) ط١ (١٤٢٢هـ).
- ظاهرة الانحراف بين التبرير والمواجهة، طلعت مصطفى السروجي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط٢ (١٩٩٢).
- ظاهرة التسول حكمها وآثارها وطرق علاجها في الفقه الإسلامي، د: علي عودة الشرفات، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (٩) العدد (٢) (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

- ظاهرة التسول في المجتمع الجزائري دراسة ميدانية لعينة من المتسولين بالجزائر العاصمة، مشاب فاطمة الزهرة، رسالة علمية غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (٢٠٠٩-٢٠١٠م).
- ظاهرة التسول في مدينة الرياض، عيد البقمي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية (٢٠٠٩م).
- ظاهرة تسول الطفل في المجتمع الجزائري دراسة ميدانية في مدينة خميس مليانة، سعيدة عيوش، سمية مختاري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجيلاني بونعامه خميس مليانة، (٢٠١٥-٢٠١٦م).
- العمل العمراني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د: محمد أبو زيد الفقي، بحث منشور ضمن سلسلة (دراسات إسلامية) الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، عدد (٢١٠) (١٤٣٤ هـ - ٢٠١٢م).
- العوامل الاجتماعية لظاهرة التسول وسبل معالجتها من وجهة نظر أساتذة الجامعات.. دراسة ميدانية في مدينة بغداد، د: زينب هاشم عبود، مجلة آداب المستنصرية، العدد (٨٨) (كانون أول ٢٠١٩م).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة - بيروت، (١٣٧٩هـ).
- قانون اتحادي رقم (٩) لسنة ٢٠١٨م في شأن مكافحة التسول.
- الكليات، لأيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط ٣ (١٤١٤هـ).
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد

- الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.د.ت.
- المسند، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
  - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د: أحمد زكي بدوي.
  - معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تحقق: عبد السلام محمد هارون، ط ١ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
  - من توجهات الإسلام، الشيخ: محمود شلتوت، دار العالم العربي، القاهرة، ط ١ (٢٠١٦م).
  - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢ (١٣٩٢هـ).
  - منهج معلم الأمة محمد صلى الله عليه وسلم في معالجة ظاهرة التسول، د: عبد الجبار عبد الستار وكان طه، مجلة الجامعة العراقية، عدد (٤٤) (ج ٢).
  - مهارات التدريس، إمام مختار حميدة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ١ (٢٠٠٠م).
  - مهارات التربية الإسلامية، د: عبد الرحمن بن عبد الله المالكي، سلسلة: (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (١٠٦) (ربيع الأول ١٤٢٦هـ).
  - الموقع الإلكتروني: <https://www.aldiwan.net>
  - نظرات في الإسلام، أ.د: محمد عبد الله دراز، بحث منشور ضمن سلسلة (دراسات إسلامية) الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، عدد (١٧٨) (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).





نماذج من المنهج النبوي في  
بناء السّواء وحماية إنسانية الإنسان

د. كلثم عمر عبّيد الماجد المهيري

أستاذ مشارك في جامعة زايد دبي  
قسم دراسات العالم الإسلامي

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.13>





## Abstract

This study aimed at revealing the comprehensiveness of the prophetic guidance in building, developing, and protecting human equality, emphasizing its connection with human humanity, and revealing the aspects that the Sunnah took care of to achieve this. The research followed the descriptive analytical method. It concluded that the Sunnah of the Prophet was full of Strong foundations in building, developing, and protecting human equality, and that the characteristic of equality is closely related to human humanity. In terms of the controls that achieved balance for man in all fields, and that the prophetic guidance varied in the aspects of care for achieving human equality and emphasizing its continuity by detecting negative influences and warning against them and building a methodology for promoting and developing equality.

**Keywords:** Assunnah Annabawiya, Equality, Human, Behavior.

## ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن شمولية الهدى النبوي في بناء السّواء الإنساني، وتنميته وحمايته، والتأكيد على صلته بإنسانية الإنسان، والكشف عن الجوانب التي اعتنت السنة بها لتحقيق ذلك، كما هدفت إلى تجلية أثر الضوابط النبوية لتعزيز السّواء وتجنب المؤثرات السلبية. واتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، وخلص إلى أن السنة النبوية حفلت بأسس متينة في بناء السّواء الإنساني وتنميته وحمايته، وأن صفة السّواء تتصل بإنسانية الإنسان اتصالاً وثيقاً؛ من جهة الضوابط التي حققت التوازن للإنسان في جميع المجالات، وأن الهدى النبوي تنوعت فيه مظاهر العناية بتحقيق السّواء الإنساني، والتأكيد على استمراريته من خلال الكشف عن المؤثرات السلبية والتحذير منها، وبناء منهج التعزيز والتنمية للسّواء.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، السّواء، الإنسانية، السلوك.



## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

تحتفل السنّة النبوية المطهّرة بالتوجيهات المتعلّقة بإحكام السّواء الإنساني لتبلغ بالإنسان منزلةً تحفظ له إنسانيّته والكرامة التي أعدّها لها. وبالنظر في مجموع الأحاديث النبويّة المأثورة يُلاحظ أنّ الهدي النبويّ أحاط الإنسان بالتوجيه والرعاية الشاملة؛ حيث توافر ذلك في موضوعات الإيمان والعلم وموضوعات العبادات والمعاملات والرفائق والحدود وغيرها؛ لما حوته هذه الموضوعات -بالإضافة إلى موضوعاتها الأساسية - من توجيهات منوّعة شملت المعتقد، والسلوك الإنساني والآداب العامة، والمعاملات، وغيرها.

وجاء البحث الذي بين يدينا ليناقد بعض الأحاديث النبويّة، ذات الصّلة المباشرة بتحقيق السّواء الإنساني، وتهذيب إنسانيّة الإنسان ورعاية شخصيّته والعناية بها. ولتحقيق هذه الغاية تمت دراسة نماذج من الأحاديث النبوية المطهّرة، التي حوى بعضها التوعية والتنبيه للسّلبات المؤثرة في السّواء الإنساني، وإنسانيّة الإنسان، وحوى بعضها الآخر توجيهات تُعزز السّواء وتُتمّمه وتُبيّن كيفية المحافظة عليه لتحقيق استمراريته، وتحقيق دعم إنسانيّة الإنسان.

وهذا جهد المقلّ؛ فإن أحسنت فمن الله تعالى، وإن أسأت فمن نفسي وتقصيري، وأسأل الله تعالى أن ينفع به.

مشكلة البحث:

تتسم الدراسات المعنية بالسّواء وإنسانية الإنسان في ضوء السنّة النبوية بالندرة؛ إذا ما تمّ النظر إليها من الجانب الموضوعي في دراسة السنّة النبوية. وقد

جاء هذا البحث ليكشف عن ضرورة تكثيف الدراسات الموضوعية للسنة النبوية في موضوع السواء وإنسانية الإنسان خاصة، لما لها من أهمية في ضبط ذلك وتقويمه.

### أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في الإضافة العلمية التي قدمها؛ حيث جلى شمولية الهدى النبوي في تحقيق السواء ودعم إنسانية الإنسان، كما جلى العناية النبوية بذلك في جانبي التعزيز من جهة، والتحذير من السلبيات المؤثرة من جهة أخرى.

### أهداف البحث:

- ١- الكشف عن شمولية الهدى النبوي في بناء السواء الداعم لإنسانية الإنسان وتنميته وحمايته.
- ٢- التأكيد على صلة السواء بإنسانية الإنسان.
- ٣- التعريف بالجوانب التي اعتنت السنة النبوية بها؛ لتحقيق السواء وحماية استمراريته، ودعم إنسانية الإنسان.
- ٤- تجلية أثر الضوابط النبوية الواردة في العقيدة والعبادات ورعاية النفس والجسد والعلاقات الاجتماعية في تحقيق السواء وإنسانية الإنسان.

### منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باختيار نماذج من الهدى النبوي المتعلق بالسواء الإنساني، وتحليلها بالاستفادة من الشروح الحديثة والدراسات السابقة وبعض كتب علم النفس عند الحاجة. والاستفادة من المنهج الاستنباطي لوصف المنهج النبوي في هذا الموضوع.

## منهج الباحثة في جمع الأحاديث النبوية وإيرادها:

- ١- الاستدلال لمباحث الدراسة بنماذج من الأحاديث الواردة في الصحيحين. وفي حالة عدم وجود أحاديث فيهما تخدم موضوعاً معيناً؛ تتوسع الباحثة على الترتيب في كتب السنن الأربعة ومسنند أحمد وغيرها من المصادر الأصلية.
- ٢- عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، مع ذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، للكتب التي رتبت ترتيباً موضوعياً، والاكتفاء بالجزء والصفحة ورقم الحديث في غيرها.
- ٣- ترتيب الكتب الستة في التخريج كما هو معروف لدى المتخصصين في الحديث.
- ٤- لم تتعرض الباحثة للحكم على الحديث إذا كان في الصحيحين أو أحدهما؛ لتلقي الأمة لهما بالقبول، أما إن كان في غير الصحيحين فإن الباحثة اكتفت بحكم صاحب الكتاب، إن كان من الاعتبارين في الحكم على الرجال؛ كالترمذي. وفي حال عدم وجود الحكم تستأنس الباحثة بأحكام كتب التخريج، فإن لم تجد تنتقل إلى حكم المحققين لكتب السنة، إن كان من العلماء الاعتبارين كشعيب الأرنؤوط وغيره. ولم تلجأ الباحثة لدراسة الأسانيد، حتى لا تطول الدراسة وتخرج عن موضوع البحث.
- ٥- تصنيف الأحاديث تصنيفاً موضوعياً حسب مباحث الخطة.
- ٦- سياق الحديث بالمتن، دون إسناذه، والاكتفاء -غالباً- بذكر الصحابي.



## الدراسات السابقة:

في إطار البحث عن الدراسات السابقة اتضح أن غالب الدراسات التي اعتنت بالسواء الإنساني هي دراسات نفسية وتربوية، وعلى الرغم من الربط اليسير -الذي حواه بعضُها- بين الموضوعات النفسية والتربوية وموضوعات السنة النبوية إلا أنها خلت من الدراسة الموضوعية للأحاديث النبوية. أما أقرب ما أمكن عداؤه في الدراسات السابقة فهما دراستان:

أولاً: بحث «أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية، دراسة تأصيلية» للدكتور يحيى ضاحي شطناوي، نُشر في مجلة دراسات الأردنية، للعلوم الشرعية والقانون، مجلد ٣٧، عدد ١، ٢٠١٠ م. الصفحات ٨١ - ٩٥. عني المؤلف ببيان أثر السنة النبوية في بناء شخصية المسلم، وعنايتها بالجوانب المادية والعقلية والروحية له. وأورد لهذه الغاية عدداً من القضايا التربوية التي نالت نصيباً من الهدى النبوي، ودلّل عليها بالأحاديث الشاهدة لها. وقد غلب على دراسته الأسلوب التربوي الذي يجمع ما أمكن من الفوائد التربوية للنصّ الحديثي. وبهذا اختلفت دراسته عن موضوع البحث الذي بين يدينا.

ثانياً: بحث «أسس الشخصية السوية في السنة النبوية»، للدكتورة سندس عادل العبيد، نُشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، ٢٠٢١، الصفحات ١٣ - ٤٣. عرضت الباحثة عدداً من القواعد النفسية الفاعلة في السواء الإنساني، وأوردت لها عدداً من الأحاديث النبوية الدالة على ما حوته السنة النبوية من أسس الشخصية السوية، وخلصت إلى أن الشخصية السوية المتكاملة في السنة النبوية لها ثلاث سمات: القيم والمخططات المعرفية والدوافع والانفعالات... وقد جاء أسلوب هذه الدراسة -كما ذكرت المؤلفة- بلغة نفسية شرعية، لذا اختلف أسلوب الطرح والمعالجة في

هذه الدراسة عن الدراسة التي بين يدينا.

أما البحث الذي بين يدينا فقد اعتنى بتوضيح الجانب التطبيقي للهدى النبوي في تحقيق السّواء وحماية إنسانية الإنسان، كما اعتنى بعرض الأساليب النبوية في بناء السّواء؛ فحوت جوانب التعزيز والتنمية للسّواء الإنسان، وبيان الجوانب المؤثرة سلباً فيه.

### خطة البحث

حوى البحث مقدمةً ومبحثين، على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم السّواء الإنساني وصلته بإنسانية الإنسان.

المطلب الأول: التعريف بمفهوم السّواء في اللغة والاصطلاح الشرعي.

المطلب الثاني: صلة السّواء بإنسانية الإنسان.

المبحث الثاني: مظاهر بناء السّواء وحماية إنسانية الإنسان في السنة النبوية وأثر التوعية النبوية في الجوانب المؤثرة سلباً

المطلب الأول: مظاهر بناء السّواء وحماية إنسانية الإنسان، وتعزيزهما في السنة النبوية.

المطلب الثاني: الجوانب المؤثرة سلباً في السّواء وإنسانيّة الإنسان وأثر التوعية النبوية.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

## المبحث الأول

## مفهوم السواء الإنساني وصلته بإنسانية الإنسان

المطلب الأول: التعريف بمفهوم السواء؛ في اللغة والاصطلاح الشرعي.

يَتَّفَقُ المعنى اللغوي والشرعي لكلمة «السواء»؛ فتُطْلَقُ على الوسط والمماثلة والاعتدال بين الشيئين؛ قال الأخفش: «وسواءٌ؛ أي عدلٌ ووسطٌ فيما بين الفريقين»<sup>(١)</sup>. وقال ابن منظور: «وسواءُ الشيء مثله، والجمعُ أسواءٌ»<sup>(٢)</sup>.

كما تُطْلَقُ كلمة السواء على «السويِّ والمثل والنظير والمستوي»؛ يُقال: مكان سواء، وثوبٌ سواء؛ مستوٍ طولُهُ وعرضُهُ وطبقاتُهُ... والسواء من الأرض التي ترابها كالرملِّ والسّهلة المستوية. والسوي؛ المستوي والمعتدل لا إفراط فيه ولا تفريط»<sup>(٣)</sup>.

و«السويُّ» يُرادُ به «مستو»؛ وهو التأمُّ في كلام العرب الذي بلغ الغاية في شبابه وتمام خلقه وعقله»<sup>(٤)</sup>. ويُقابله الجنوح؛ فجَنَحَ «الشخصُ؛ أي انقادَ وحادَ عن الطريقِ السويِّ»<sup>(٥)</sup>. وكذا «الشذوذ»؛ «فالشاذُّ من الناس: يُرادُ به: غير الطبيعي، خلاف السويِّ... والسلوك الشاذُّ معيَّبٌ غير سويِّ»<sup>(٦)</sup>. وتُقاس درجة الجنوح أو الشذوذ أو الانحراف عن حال السواء بحسب درجات ميل الإنسان

١- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢٣٨٥/٦. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن جمال الدين، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ١٤/٤٠٨. دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٣- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ١/٤٦٦، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دط. دت.

٤- الهروي، محمد بن أحمد الأزهرى، (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ١٣/٨٨، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٥- عمر، أحمد مختار عبد الحميد، (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/٤٠٢، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٦- معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/١١٧٩. بتصرف يسير.

للإفراط أو التفريط .

ويقال: «التَّسْوِيَّةُ والسَّوِيَّةُ والسَّوَاءُ: الذي سَوَى اللهُ خَلْقَهُ؛ وهو السَّوِيُّ»<sup>(١)</sup>.  
 وورد لفظ «السَّوَاء» في مواضع عدَّة في الكتاب العزيز؛ كما في قوله تعالى:  
 ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ  
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨]، أي قصد السَّبِيل، وقوله: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ  
 بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ [طه: ٥٨]،  
 أي مكاناً يكون للنَّصْف فيما بيننا وبينك، وقوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا  
 وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴿١٠﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي العَدْل والنَّصْف.  
 وقوله: ﴿ إِذْ نُسِيتُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ [الشعراء: ٩٨]، أي نعدلكم به فنجعلكم  
 سواءً في العبادة<sup>(٢)</sup>. وسواء الشيء وسطه لاستواء المسافة إليه من الأطراف<sup>(٣)</sup>.

قال الراغب: «السَّوِيُّ؛ يُقَالُ فِيمَا يُصَانُ عَنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ مِنْ حَيْثُ الْقَدْر  
 وَالْكَيفِيَّةُ، وَمِنْهُ ﴿ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ  
 ﴿١٣٥﴾ [طه: ١٣٥]، و ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ  
 لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ [مريم: ١٠]، ورجل سوي؛ استوت أخلاقه وخلقه عن الإفراط  
 والتفريط»<sup>(٤)</sup>.

- ١- عباد، صاحب إسماعيل، (ت ٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، ٢/ ٢٨٤. تحقيق محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٢- يُنظر ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ٤١١ - ١٤/ ٤١٣ - ١٤/ ٤١٦.
- ٣- يُنظر الكجراتي، محمد بن طاهر الهندي، (ت ٩٨٦هـ) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، ٣/ ١٥٥، ١٥٦. بتصرف. الفاروق الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ٤- الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٨/ ٣٣٧، تحقيق جماعة من المحققين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. أعوام النشر: ١٣٨٥-١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١م). دط.

وجميع هذه المعاني تفيد أنّ السواء هو الاعتدال والاتزان والانضباط في جميع المجالات، وما يترتب على ذلك من تحريّ الصواب في مسيرة الإنسان وحياته وتفاعله مع المجتمع، وما يقتضيه ذلك التفاعل من الارتباط الوثيق بالمنهج الإسلامي؛ لأنه هو الإطار المحيط بذلك التفاعل وما ينتج عنه من أعراف ومعايير اجتماعية في المجتمع المسلم؛ فتبقى تلك الأعراف والمعايير مطبوعة بطابع الإسلام ومميّزةً بخصائصه؛ وعليه فدين الإسلام يُحدّد معالم الشخصية السوية والمنهج الذي ينبغي أن تسير فيه للمحافظة على الصفة المتزنة لإنسانية الإنسان.

### المطلب الثاني: صلة السواء بإنسانية الإنسان.

يتصل السواء بإنسانية الإنسان اتصالاً وثيقاً، بل يجب أن يكون صفةً ملازمة للإنسانية؛ إذ يُعبّر السواء عن الشخصية المتزنة القادرة على «الرقابة والمتابعة الذاتية من جهة الفرد للتأكد من عدم انحياز النفس عن الطريق السوي أو إساءة استعمال ما حباه الله من نعم عقلية وحسية، وتستطيع الرقابة الداخلية الفعالة والصارمة أحياناً من قبل الفرد أن تمنع الخطأ وتقي النفس من الشطط أو الزلل أو الانحراف»<sup>(١)</sup>. وبهذا يرتبط السواء في الشخصية بالإرادة التي حباها المولى جلّ وعلا للإنسان، وبالضمير الحارس له في جميع حالاته، وفي هذا دلالة على أن إرادة الإنسان تُسهّل رعايته لنفسه وسلوكه، وتدعم قدراته في تحقيق التوازن - في جميع حالاته - بين الإفراط والتفريط، وعليه يتأكد لنا أن الإرادة الإنسانية التي تسير في ظل المنهج الإلهي، تُعبّر عن الإنسانية الحقة، التي تحفظ للإنسان منزلته وقدره، وهو ما يُعبّر عنه بإنسانية الإنسان، ويكشف عن الغاية التي خُلق من أجلها.

١- القذافي، رمضان محمد، علم النفس في الإسلام، ص: ١١. جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ١٩٩٩م.

ويتأكد ذلك فيما أوجزه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان حال السَّوي؛ الذي اختار المنهج الإلهي القويم، وحال غير السَّوي الذي رفض ذلك المنهج وظلم نفسه وإنسانيته؛ بما جرّه لنفسه من الحرمان من الخير والنَّجاة. روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ أَبِي؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي»<sup>(١)</sup>. وهذا من جوامع كلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ أن طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هما الأساس القويم الذي تُصقل به إنسانية الإنسان، فيتحقق الهدف الذي خُلق لأجله. وتتجلى إنسانيته فيما يتحلَّى به من الشمائل والأخلاق والسيرة العطرة والاتزان في السلوك والقول والعمل، ولا يخفى أن كل هذه الصفات بلغت الغاية والكمال في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القدوة الحسنة. فتجلى فيه السَّواء والإنسانية بأبهى حللها.

وتتأكد صلة السَّواء بإنسانية الإنسان فيما تضمنه كلام جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فيما يرويه عن حال الجاهلية وأثرها الوخيم في الفرد والمجتمع، ثم ما آل إليه الحال بعد بلوغ الهدي النبوي ورحابة الإسلام؛ حيث اختصر أثر الهدي النبوي فيما ذكره أمام النجاشي في هجرته والمسلمين للحبشة؛ فبدأ بذكر مختلف أشكال الانحراف الذي مارسه أهل الجاهلية؛ منه الانحراف العقيدي بعبادتهم الأصنام: «كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ» ومنه الانحراف السلوكي في ممارسات عديدة: «وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَاتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقَطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِمَّا الضَّعِيفُ». ثم وضح منهج السنة النبوية في تعديل تلك الانحرافات؛ للأخذ بيد الإنسان إلى إنسانيته الحقَّة التي تحفظ له كرامته وتصون

١ - أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (٣)، الاقتداء بسنن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث، رقم الحديث (٧٢٨٠)، ص ١٥٣٠.

قدره، وتوَّول به إلى الفلاح، فقال: «فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحَجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرْنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدَّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ... الْحَدِيثِ»<sup>(١)</sup>.

وهذه الصفات هي صفات الاتزان في الاعتقاد والعبادات والسلوك الفردي والاجتماعي، وكلها تعبر عن حال السواء، وحاجة الإنسانية إليه.

### المبحث الثاني

#### مظاهر بناء السواء وحماية إنسانية الإنسان في السنة النبوية وأثر التوعية النبوية في الجوانب المؤثرة سلباً

المطلب الأول: مظاهر بناء السواء وحماية إنسانية الإنسان وتعزيزهما في السنة النبوية.

تضمّنت السنة النبوية جميع الأسس الفاعلة في بناء السواء وإنسانية الإنسان، وتنميتها وحراستها، إذا تحيط الإنسان بالعناية السابقة لوجوده؛ (بما تضمّنته من مبادئ اختيار الزوجين)، والعناية بالمولود والطفولة؛ (بما تضمّنته من

١- رواه الإمام أحمد في مسند حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (١٧٤٠). ٢٦٦/٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه؛ باب ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى الحبشة، إذ النبي صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة قبل هجرته إلى المدينة، رقم الحديث (٢٢٦٠)، ٤/١٣. صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ) تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، دط. قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، رقم (٩٨٤٣) ٦/٢٧، لأبي الحسن علي بن أبي بكر سليمان، (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، دط، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م. وقال الأرنؤوط (محقق مسند أحمد): إسناده حسن، رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانفتت شبهة تدليس.

مبادئ الحضارة والتربية والتعليم)، والعناية بالشباب؛ رجالاً ونساءً، وبالشيوخ؛ (بما تضمّنته من مبادئ وتوجيهات شاملة)، وذلك في جميع مناحي الحياة وجميع الاحتياجات البدنية والفكرية وغيرها.

وقد تأكّد أثر السنّة النبويّة في تحقيق السَّواء وإنسانية الإنسان، بما حوته من أسس التربية المتوازنة «بين الجسد والروح، وبين العاطفة والعقل، وبين مصالح الدنيا والآخرة، وبين الإيمان والعمل، وبين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، وبين الذكر والأنثى؛ إنها لا تُغلبُ جانباً على آخر بما يؤدي إلى إفساد الحياة؛ فهي تتعامل مع الإنسان على أنه وحدةٌ واحدة، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحُمى والسهر»<sup>(١)</sup>.

ولا يمكن للباحث في عوامل بناء وتعزيز السَّواء وإنسانية الإنسان، في السنّة النبويّة أن يُحصي ويناقش كلّ ما ورد في هذا الجانب من الهدى النبوي؛ لذا اقتصر البحث على بعض الشواهد الدالّة على ذلك.

أولاً: دوام الصلّة بالله تعالى واليقين به والاطمئنان إلى قضائه يُرسّخ السَّواء الإنساني ويحمي إنسانية الإنسان.

يُعدُّ الحرص على الصلّة بالله تعالى واليقين به والاطمئنان إلى قضائه وقدره سلوكاً سوياً، ومُعتقداً صحيحاً، ويُعبّرُ بصورة جليّة عن إنسانية الإنسان، الذي يرجو دائماً أن يبقى في إطار رضى ربه وعفوه وتوفيقه. وقد جاءت شريعة الإسلام بادئ ذي بدء بترسيخ هذا المعتقد والسلوك المبني عليه، دلّ على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ»<sup>(٢)</sup>. ومعلوم أن الاستقامة تُعبّر عن حقيقة إنسانية الإنسان، وتؤكد صدقها في واقع البشر. وليس عجيبٌ

١ - موسى؛ نظمي خليل أبو العطا، بناء الشخصية الإسلامية في السيرة النبويّة، ص ٦٣، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م.

٢ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (١٣) جامع أوصاف الإسلام، رقم الحديث (٦٨)، ص ٤٩.



أن يعتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الجانب عنايةً بالغةً لصيانة الإنسانية واحترامها وضمَانِ حُسْنِ مآلاتها.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ؛ أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تُجِدْهُ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»<sup>(١)</sup>.

إنَّ صِدْقَ اليقين بالله تعالى يؤثر تأثيراً كبيراً في بناء السواء الإنساني وصقل إنسانية الإنسان؛ وقد تضمّن هذا الحديث قواعد اليقين بالله تعالى، لتحقيق دوام الصّلة والاستعانة به سبحانه، والثقة في قضائه وقدره؛ لما حواه من حكم وجوامع كلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه من الفوائد ما ينهض بالعقول والقلوب والنفس، وما تستقيم به العقيدة والخلق والسلوك؛ لما في معنى حفظ الله تعالى من حفظ «حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب... ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة»<sup>(٢)</sup>. لقوله تعالى: ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾<sup>(٤٥)</sup>

- ١- أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٣/ ٣٨٩، باب ٥٩، رقم الحديث ٢٥١٦. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرج بنحوه، الإمام أحمد في مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ٤/ ٤٨٨. رقم الحديث ٢٧٦٣. قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، رواه أحمد عن شيبه أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ بثلاثة أسانيد، الأخير منها متصل، والأول والثاني فيهما انقطاع. ينظر المرجع نفسه.
- ٢- ابن رجب، زين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب، (ت ٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ١/ ٤٦٢. تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

[العنكبوت: ٤٥]، وكفى بهذه الموعظة دليلاً على أثر الصلاة في تحقيق السَّواء الإنساني؛ فكيف بالإنسان إذا امتثل حفظ الله تعالى في جميع حقوقه وحدوده وأوامره ونواهيه.

ويُقابل ذلك حفظُ الله تعالى لعبده الحافظ له؛ فيحفظُ له المصالح من المال والولد والأهل والصَّحَّة؛ وإذا اجتمع حفظُ الله تعالى لعبده، وقابله حفظُ عبده له بمراقبته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه تجمَّلت بذلك إنسانيَّة الإنسان، لتكون في هذا الإطار مُصانَةً عن الزلل، وتمتَّعةً بالسَّواء.

أما وصيَّته صلى الله عليه وسلَّم بإفراد الله تعالى بالسؤال والاستعانة، فلأنَّ اللجوء إليه سبحانه يجمع قلب المسلم ومشاعره وآماله وطموحاته على مرجوٍّ واحد، هو الله جلَّ وعلا، فيتخلَّص بذلك من شواغل الرِّجاء من غيره؛ فيستقلُّ فكره ويستجمع طمأنينته واستقامته، فتوثقُ عراها عنده؛ فيجد الثَّبات، ويستلهم قوَّة الاتزان والاعتدال في العقيدة والعبادة والسلوك، وفي كلِّ مناحي الحياة، وهذا - بلا شك - يدعم السَّواء الإنساني؛ فتضبط به معالم إنسانيَّة الإنسان، وتسير في ضوء ذلك التوحيد نحو الغاية التي خُلق الإنسان لأجلها.

ويستخلص مما سبق أن جميع معاني التوحيد واليقين بالله جلَّ وعلا هي أسسٌ قومية تبني إنسانية الإنسان، وتصونها من الانحراف وعواقب الزلل.

ثانياً: بين الخوف والرجاء ميزانٌ للسَّواء ودعمٌ لإنسانية الإنسان.

تُحكَّم الصَّلَةُ بالله جلَّ وعلا من خلال الخوف والرجاء، وهما جانبان تتردَّد حالة الإنسان بينهما، وإذا ما تمَّ الاتزان تجلَّت مزايا تلك الصَّلَة، فلا يُغلب الخوف على الرجاء، ولا الرجاء على الخوف، بل تبقى علاقته بربه منضبطةً بالاعتدال بين الجانبين. ويترتب على ذلك أن السَّواء الذي يعتمد «الخوف» في الحذر من

المزائق والمحرمات وما تسوقُ إليه من الانحراف عن السبيل السوي. ويعتمد من جهة أخرى «الرجاء» الذي يدفعه للقرب من ربه ولزوم بابه والاستعانة به في حال اليأس والشدة؛ فذلك يؤدي إلى انضباط إنسانية الإنسان؛ بانضباط سلوكه تجاه خالقه، ثم تجاه نفسه وتجاه الخلق والكون من حوله. وقد تضمن الهدي النبوي الشريف الأسس الفاعلة في توجيه الخوف الرجاء.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ، لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث أصلٌ عظيم في الخوف والرجاء، فأما الرجاء ففيما ذكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَدْرِ الرَّحْمَاتِ الْمُدَّخِرَةِ عِنْدَ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا؛ روى ابن حجر عن ابن أبي جمرة قال: «وفيه الحثُّ على الإيمان، واتِّساعِ الرَّجَاءِ فِي رَحْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُدَّخِرَةِ»<sup>(٢)</sup>. وقبول بابِ الرَّجَاءِ هَذَا بِبَابِ التَّخْوِيفِ، الَّذِي نَصَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَشِدَّتِهِ بِقَوْلِهِ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ».

وبين الخوف والرجاء يتجلى أثرُ السنَّةِ النبوية في تربية السواء الإنساني؛ فذلك حين يكون الرجاء والخوف حاضرا، فتوجد الخشية، وتوجد التقوى، وينبri الافتقار إلى الله تعالى؛ فتراجع من بينهما ميول الإفراط والتفريط. قال ابن حجر: «اشتمل على الوعد والوعيد المُقتَضِيَّ لِلرَّجَاءِ وَالخَوْفِ؛ فَمِنْ عِلْمِ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الرَّحْمَةَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَهُ، وَالانْتِقَامَ مِمَّنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِمَ

١- ابن حجر، فتح الباري، ١٠/٤٣٣

٢- ابن حجر، فتح الباري، ١١/٣٠٢..

منهُ لا يَأْمَنُ انتقامه مَنْ يَرْجُو رَحْمَتَهُ، ولا يَأْسُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَنْ يَخَافُ انتقامَهُ، وذلكَ بَاعِثٌ عَلَى مُجَانِبَةِ السَّيِّئَةِ، ولو كانت صغيرةً، وملازمة الطَّاعةِ، ولو كانت قليلةً.».

وقوله هذا يشير إلى صفة إنسانية الإنسان، التي تلتزم الدقة بالخوف والرجاء، في مواقف الإنسان تجاه ربه جلَّ وعلا، فيما أحلَّ وأباح، من جهة، وفيما حرَّم ونهى من جهة أخرى. ومفهوم الدقة هنا يتأتى عن صفة السَّواء التي تعبَّر عن الإنسانية الحقَّة للإنسان؛ فإنَّ الإنسان مُزوَّد بالعديد من الوسائل التي تُعينه على ابتغاء هذا الطريق والمداومة عليه؛ تلك الوسائل هي عقله وضميره وما أُوتي من الحواس والقدرات العقلية التي لا حدَّ لها، والقدرات البدنية التي يستعين بها في احترام إنسانيته وحمايتها من الدخائل والمزلق.

ثالثاً: تحمُّل المسؤولية يبني السَّواء ويدعم إنسانية الإنسان.

ورد في المسؤولية توجيهات نبوية شاملة لفئات عدَّة من الناس، بما دلَّ على أنَّ المسؤولية ترتبط بالإنسان عموماً، وتهدف إلى أن يتبوأ إنسانيته الحقَّة، التي تلائم صفته البشرية، والكرامة التي أعدَّ لها. فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>.

١- أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب (١)، قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) النساء: ٥٩ رقم الحديث ٧١٣٨، ص ١٥٠٣.

إن تحمل المسؤولية خلق فاعل في بناء السواء وإنسانية الإنسان؛ لما يتطلبه من الحاجة إلى ضبط النفس وتهذيبها وتهيتها لاكتساب القدرة على رعاية ما تتحمل مسؤوليته، إذ لا يتمكن الإنسان من ذلك إلا إذا بدأ بتنمية نفسه وعرف قدر الأمانة التي بين يديه. قال ابن بطال: «كل من جعله الله أميناً على شيء، فواجب عليه أداء النصيحة فيه، وبذل الجهد في حفظه ورعايته، لأنه لا يسأل عن رعيته إلا من يلزمه القيام بالنظر لها وصلاح أمرها»<sup>(١)</sup>. وهذه الآراء تؤكد ضرورة تحقيق صفة السواء فيمن يسترعى الأمانة ويقوم عليها؛ لأنه في مقابل ذلك سيكون مُحاسباً على هذه المسؤولية. يقول أبو العباس القرطبي: «وكل من ذكر في هذا الحديث قد كلف ضبط ما أسند إليه من رعيته وأُتمن عليه، فيجب عليه أن يجتهد في ذلك وينصح ولا يفترط في شيء من ذلك؛ فإن وفي ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر»<sup>(٢)</sup>. وبهذا يجتمع في الإنسان عدد من الخلال؛ هي الأمانة التي استرعىها، والقيام على تلك الأمانة بما يصلحها، والاجتهاد في ذلك إلى أقصى حد، وعدم التفريط فيه. فإذا ما تحلى بهذه الخلال عبرت عن سلامة إنسانيته وصدق معانيها في نفسه وسلوكه. وذلك لما يرتبط بتحمل المسؤولية من صفات الإحسان وسلامة النفس؛ لأنه «إذا تحقق للفرد تحمله للمسؤولية فإنه يتحقق له جانب كبير من جوانب الصحة النفسية؛ ذلك أن كثيراً من الأمراض النفسية إنما ترجع إلى عدم تحمل المسؤولية والهروب منها، وأن الأمراض العقلية قد تكون هروباً من المسؤولية الاجتماعية في صورة انفكاك عن الواقع»<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤكد الصلة بين تحقيق السواء وإنسانية الإنسان من جهة، وتحمل المسؤولية من جهة أخرى؛ أن مقومات الشخصية الإسلامية يجب أن تترايط لتؤدي دورها

١- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٣٢٢/٧.

٢- القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. ٢٧/٤.

٣- بوعود، أسماء، الاضطرابات النفسية بين منظور علم النفس الحديث والمنظور النفسي الإسلامي، ص ٤٧. مجلة الاضطرابات النفسية بين السيكولوجيا الحديثة والمنظور الإسلامي، إصدارات لجنة التراث النفسي العربي الإسلامي. العدد ٨. الصفحات ١ - ٥٠.

الصحيح؛ فالإيمان واجبٌ لتحصيل التقوى. وكذا المراقبة الدائمة لله تعالى واجبة<sup>٦</sup> أيضاً، لأن المسلم يحتاجُها لتوجيه السلوك والاستقامة، والتعمير وإتقان العمل. لذا فإن مَنْ يفصلُ المقومات الدينية والسلوكية عن حياته ومعيشتَه، فسَيُؤوِلُ إلى فصام في شخصيَّته يتنافى مع كمال الدين<sup>(١)</sup>. ومعلوم أن الإيمان ومراقبة الله تعالى لهما أثر في استشعار المسؤولية والحرص على تحملها على أكمل وجه، فإذا ما تحقَّق هذا تحقَّقت صفة السَّواء وإنسانيَّة الإنسان.

المطلب الثاني: الجوانب المؤثرة سلباً في السَّواء وإنسانية الإنسان، وأثر التوعية النبوية.

يتعرَّض الإنسان للعديد من المؤثرات التي قد تُزعزع السَّواء بدرجات متفاوتة، وقد لا تكونُ مؤثَّراتٌ سلبيةً، بل سلوكيات يظنُّها في صالحه وخيره فتترتب عليها آثارٌ سلبية؛ كما فعل الرهط الثلاثة في عزمهم على التبتل والصوم المستمر والقيام الدائم. وسيأتي الحديث عنهم.

وقد جاء في السنَّة النبويَّة توجيهات تتضمَّن توعيةً وتنبهًا وحلولاً لمساعدة المسلم على تفاديها أو التقليل من أثرها.

وفيما يأتي تم إيراد بعض المواقف التي تؤثر سلباً في السَّواء الإنساني.

أولاً: توجيه مُقارنة الإنسان نَفْسَهُ بغيره، حفاظاً على سلامة إنسانيَّته.

من المبادئ الأساسية للمسلم أن يتحلَّى بالتسليم والقناعة بما قدره الله تعالى له؛ وقد يتأثر هذا الخلق بما ينتاب الإنسان من مقارنات بين حاله وحال الآخرين؛ فيؤول ذلك إلى التأثير السلبي في الإيمان بالقضاء والقدر، وقد يترتب عليه الجنوح إلى ما لا يرتضيه الإسلام من القول والعمل؛ ولهذا جاء التوجيه النبوي

١ - موسى، نظمي خليل، بناء الشخصية الإنسانية في السيرة النبوية، ص ٧٩.

في تهذيب سلوك المقارنة؛ للتوعية والتنبيه إلى العواقب؛ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>. لأن مقارنة الإنسان حاله بحال غيره ممن هم أدنى منه في الغنى أو الصحة ونحوها، يُعرفه بفضل الله تعالى عليه، ويغرس الرضا بقضاء الله تعالى واليقين بحكمته في تدبير خلقه. وهذا الرضا واليقين يحتاجه الإنسان لدعم اتزانه النفسي واتزان علاقاته بغيره. لذا ترى بعض الدراسات النفسية أن «هناك دلالات على أن المقارنة الاجتماعية السالبة تؤدي دوراً في الاكتئاب... والسمة الرئيسية للمكتئبين هي نظرتهم السلبية لأنفسهم، والتي تتضمن نظرة تقدير منخفضة للذات وانتقادها ولوم النفس... ويكون إدراكهم للأمور غير موضوعي؛ إذ أنهم يميلون إلى المبالغة في الأخطاء التي تحدث لهم»<sup>(٢)</sup>. وعلى خلاف هذا الحال، حال من أدرك أنه، وإن كان «على حالة خسيصة من دُنياه، إلا وجد من أهلها من هو أحسن منه حالاً، فإذا تأمل ذلك وتفكره وتبين نعم الله عليه؛ أنها وصلت إليه ولم تصل إلى كثير من خلقه، فضله الله بها من غير أمر أو جب ذلك له على خالقه؛ ألزم نفسه من الشكر عليها أن وفق لها ما يعظم به اغتباطه في معاده»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج مسلمٌ هذا الحديث بزيادة لفظ: «فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ

١- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب (٣٠)؛ «لينظر إلى من هو أسفل منه، ولا ينظر إلى من هو فوقه»، رقم الحديث (٦٤٩٠). ص ١٣٨٠، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت ٢٥٦هـ)، رقم كتبه وأبوابه محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د. ط. وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب (١) «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، رقم الحديث ٧٥٣٨، ص ١٤١٢.

٢- اللحياني، مريم حمد أحمد، مقال: «المقارنة الاجتماعية وعلاقتها بالاكتئاب والتوجه نحو الآخرين لدى الطالبات العاديات والموهوبات وذوات الإعاقة بالمرحلة الثانية بمكة» ص ٧٩. المجلة الدولية للأبحاث التربوية، مجلد ٤٤، عدد ٣، أكتوبر / ٢٠٢٠ م.

٣- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ١٠ / ١٩٩. وهو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ) تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م.

الله - أي - : «عَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>. ومعلوم أن سلوك الازدراء هذا ينأى بفاعله عن صفة السَّواء؛ لذا روى ابن حجر أن «في هذا الحديث دواءُ الدَّاءِ، لأنَّ الشخص إذا نظرَ إلى مَنْ هو فوقَهُ لم يَأْمَنْ أن يُوَثِّرَ ذلك فيه حسداً، ودواؤه أن ينظرَ إلى مَنْ هوَ أسْفَلَ منه ليكون ذلك داعياً إلى الشُّكر»<sup>(٢)</sup>. وشُكْرُ الله تعالى يدعُمُ الرضا والقناعة النفسية، التي تُعزِّزُ الثَّبات والاعتزان، وهما - بلا شك - يُعبِّران عن حالة السَّواء التي تهبُّ الإنسانَ معنى الإنسانية السليمة، التي ينبغي أن ينعمَ بها ويتمتع بحاسنها. وذلك يؤكِّد ضرورة السلوك الصحيح في مقارنة الإنسان نفسه بغيره، ليعتني بما يترتب على ذلك من توخِّي السلامة الإنسانية وتجنُّب ما يُوَثِّرُ فيها سلباً.

ثانياً: تجاوز حدِّ الاعتدال في السلوك والعبادة؛ مُخالفٌ للسَّواء وإنسانيَّة الإنسان.

وكما تُرشدُ السنَّة النبويَّة إلى تجنُّب الإفراط والتفريط في السلوك تُرشدُ إلى تجنُّبه أيضاً في العبادات؛ لما يقتضيه الإفراط فيها من تضييع حقوق الله تعالى، والتجاوزُ فيها عن حدِّ ما فرض، وكذا تضييع حقوق العباد؛ لأنَّ الصحة النفسية في الإسلام لا تقتصر على مفهوم «تحقيق التوازن داخل الفرد، بل امتدَّ إلى تحقيق التوازن بين مطالب الفرد ومطالب الجماعة التي يعيش فيها»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن تحقيق السَّواء في الشخصية الإنسانية يقتضي تحقيق الاعتدال في العبادة والسلوك معاً، وقد ورد في الهدي النبوي توجيهات نبوية تُرشدُ إلى ذلك وتأخذ بيد الإنسان إلى ما يُراعي به إنسانيَّته والقدرات البشرية؛ ففي صحيح البخاري: «جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ

١ - أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفاق، باب (١)، "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"، رقم الحديث ٧٥٤٠، ص ١٤١٢.

٢ - ابن حجر، فتح الباري، ١١/ ٣٢٣، رقم ٦٤٩٠.

٣ - علي، سعيد إسماعيل، شخصية المسلم بين السَّواء والمرض، ص ٩، جمعية المسلم المعاصر، مجلد ٢١، عدد ٨٢، ١٩٩٧ م. الصفحات ٧ - ٤٠.



عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: «وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: «أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

إن التوجيه الوارد في هذا الحديث تضمن بيان ضرورة الاعتدال في العبادة والسلوك، وبين خلل الإفراط فيهما، وما قد يترتب على ذلك من الإعياء والضجر الذي يقود إلى التفريط. وفيه أيضاً مظهر الاعتدال الذي تجلّى في بيان سلوكه عليه الصلاة والسلام، وكونه القدوة في ذلك، ومن هنا منحى آخر خالف المنهج النبوي الداعي للسواء، وآثر منهج الطغيان على إنسانيته. قال المهلب<sup>(٢)</sup>: «في هذا الحديث من سنن الإسلام، وأنه لا رهبانية في شريعتنا... وفيه الاقتداء بالأئمة في العبادة، والبحث عن أحوالهم وسيرهم في الليل والنهار، وأنه لا يجب أن يتعدى طرق الأئمة الذين وضعهم الله ليقتدى بهم في الدين والعبادة، وأنه من أراد الزيادة على سيرهم فهو مُفسد؛ فإن الأخذ بالتوسط والقصد في العبادة أولى؛ حتى لا يعجز عن شيء منها، ولا ينقطع دونها»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن الانقطاع عن العبادة انقطاع عن الهدى الإلهي الضابط لصفة السواء الإنساني؛ لذا أولى الإسلام اهتماماً بقدرات النفس والجسد، ودعا إلى عدم التجاوز والإفراط فيهما. وفي الصورة التي وضّحها المهلب رحمه الله تعالى

١- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب (١)، الترغيب في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٣، ص ١١١٥.

٢- هو المهلب بن أبي صفرة أحد شراح صحيح البخاري.

٣- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، باب الترغيب في النكاح، ١٥٩/٧.

اتضح أنه ربط بين مَنْ يجب أن يُقتدى بهم، وهم أئمة الهدى، وفي مقدّماتهم سيّدنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم، وبين الأسلوب الأمثل الذي سار عليه الرسول صلّى الله عليه وسلم، وبين الانحراف الذي يتأتى بمخالفة هذا الأسلوب، وما يترتب عليه من إفساد.

إلا أنه قصرَ كلامه على الدين والعبادة، وقد حوى الحديث النبوي توجيهات شاملة للعبادة والسلوك؛ لما جاء فيه من ذكر صلاة الليل، والصيام، والزواج. ولكنه أوضح بذلك الربط - وإن قصره على العبادة - أن السواء لا يتحقق إلا بالاعتداء واتباع منهج القدوة صلّى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وعباداته؛ لما في منهجه من اتزان واعتدالٍ تتحقّق به صفة السواء وإنسانيّة الإنسان.

وفي دراسة ناقشت موضوع القدرة على العمل والإنتاج؛ ذكر «الضجر» وعواقبه؛ فجاء فيه أن الضجر «من العوامل التي تؤثرُ على الكفاية الإنتاجية للعامل، ومن العسير غالباً التفرقة أو التمييز بين الملل ومشاعر الإجهاد المصاحبة للتعب، وكلاهما يبعث على عدم الراحة وينتج عن العمل المرهق المستمر»<sup>(١)</sup>. وهذا القول - وإن كان مختصاً بالكفاءة الإنتاجية في العمل - إلا أنه يُعبّر عن القاعدة المستمرة في قدرات البشر. وهو ما أراده رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بتوضيحه صفة الاعتدال في صيامه وصلاته ونومه وقيامه وزواجه. وأنه عليه الصلاة والسلام - وبالتزامه الصفات المتزنة هذه - هو أخشاهم لله تعالى وأتقاهم له؛ إذ حقق بالاعتدال في العبادة والعمل ما كُلف به دون أن يتجاوز الطاقة والقدرة.

١ - مرسى، سيد عبد الحميد، الشخصية المنتجة، ص ٧٩، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

ثالثاً: فَقد الاتزان عند المصائب، والتوجيهات الضابطة للنفس والسلوك لتحقيق السواء:

قُدّر الابتلاء على جميع البشر، وتفاوتت قدراتهم في الصبر على المصائب، وقد جاء الإسلام، وفي أوساط الجاهلية من يجني على نفسه ويؤذيها بسبب وقوع المصيبة، ولكن هُذبت هذه الخلال بهدي الإسلام وبركة السنّة النبوية.

وفي هذا الإطار ورد العديد من التوجيهات النبوية الهادفة إلى حماية السواء ورعاية إنسانية الإنسان؛ كتوجيهات ضبط الاتزان النفسي والسلوكي حين وقوع المصيبة، وتربية الضمير، والتحلي بالسّماحة والأدب؛ وصولاً إلى القدرة على ضبط النفس وتحقيق الاتزان، وهو ما يهدف إليه الهدي النبوي الشريف.

روى البخاري عن عبد الله<sup>(١)</sup> رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

إنّ نَفْيَ الانتماء لمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأتي بالأفعال المذكورة، ويجانب صفة الاهتداء والافتداء به عليه الصلاة والسلام؛ يتضمّن توعية إلى خطورة تلك الأفعال<sup>(٣)</sup> على النفس والبدن، لأنها تقود إلى فقد الاتزان، والانحراف السلوكي؛ فتخلي الإنسان من صفة السواء، وتناهى به عن العاطفة الإنسانية المنضبطة التي تحافظ على اتزانه النفسي؛ وذلك لمخالفتها للسنّة النبوية، ولما يعترى الإنسان من مخالفة التعقل والسلوك السليم حين وقوع المصيبة؛ لذا

١- هو عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال ابن حجر: "ثم أورد المصنّف حديث ابن مسعود من وجه آخر...". يُنظر فتح الباري، ٣/١٦٦، باب قوله: "ليس منّا من ضرب الخدود".  
٢- أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب (٣٥)، "ليس منّا من شقّ الجيوب"، رقم الحديث (١٢٩٤)، ص ٢٧٢. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (٤٢) "تحريم ضرب الخدود وشقّ الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية". رقم الحديث (١٩٨)، ص ٧٠.  
٣- وفي الباب أفعال أخرى ورد النهي عنها؛ كالنياحة والحلق والدعاء بالويل..

تضمّن الحديث «حُضّاً على الصّبر عند المصائب واحتساب أجرها على الله»<sup>(١)</sup>. ومن «أبدى السُّخْط والكراهة لقضاء ربّه وفعل ما نهاه عنه فقد كفر نعمته فيما أعدّ للصّابرين من ثوابه وتشبّه بمن كفر من الجاهلية»<sup>(٢)</sup>. وهذا التشبّه - بلا شكّ - انحرافٌ عن جادة الصّواب والسلوك السّويّ؛ بدلالة لفظ «وشقّ الجيوب»؛ «لأنّ شقّ الجيب أشدّها قُبْحاً مع ما فيه من خسارة المال في غير وجه»<sup>(٣)</sup>. وهذه فائدة تُنبئ عن فقدان العقل حين القيام بذلك، وهو حالٌ مخالفٌ للسَّواء ومُنافٍ لإنسانية الإنسان التي كرمها الشرعُ وأحاطها بجميع ما تُصان به من وجوه الاحترام وقواعد الإنسانية السليمة.

وفي الحديث الشريف مظهر من مظاهر وقاية الإنسان من الانحراف والزلل عموماً، إذ يمكن أن تعتري الإنسان مصائبٌ أخرى غير فقدّ العزيز من الأهل والأحباب، فتؤثّر فيه سلباً، إلا أنّ الاهتداء بالحديث النبوي يمنح المسلم قاعدةً عريضةً في الضبط المستمر للنفس والسلوك؛ لما حواه هذا الحديث من منهج إسلاميٍّ يساعد الإنسان على «تحجيم ضغوط الحياة النفسية أو صدّه عنها كليّةً...». لما يمكن أن تؤدي به إلى المرض والانحراف»<sup>(٤)</sup>. ومعلومٌ أنّ تحجيم ضغوط الحياة يقتضي الصبر على البلاء، ومجاهدة النفس فيه. وقد جاء النهي في الحديث الشريف عن سلوكيات تقوّد فاعلها إلى مضاعفة الضغوط، لا تحجيمها. أما الحديث النبويّ فتضمّن هدفاً واضحاً؛ هو تدريب النفس على تحجيم الضغوط إلى حدٍّ يحفظ للإنسان الاتزان الفاعل في حماية إنسانيّته وحفظها من الزلل.

١- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٣ / ٢٧٧.

٢- القاضي، عياض، إكمال المعلم، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، ١ / ٣٢٦.

٣- القسطلاني، أحمد بن محمد المصري، أبو العباس، (٩٢٣هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢ / ٤٠٦، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر. الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.

٤- العاني، نزار، الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، ص ١٧٧.

رابعاً: مجالس الطُّرُقَات والأماكن العامة في ميزان الإنسانية.

يَتَّخِذُ بَعْضُ الْأَفْرَادِ مَجَالِسَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْأَمَاكِنِ الْعَامَةِ، وَقَدْ يُعِينُهُمْ هَذَا الْمَجْلِسُ عَلَى تَتَبُعِ الْعَوْرَاتِ وَإِيذَاءِ الْمَارَّةِ مِنَ النَّاسِ. وَهُوَ ذَرِيعَةٌ لِلْفَسَادِ وَاِكْتِسَابِ الْإِثْمِ وَمَجَانِبَةِ السُّلُوكِ السَّوِيِّ؛ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ اِمْتِهَانِ اِنْسَانِيَّةِ الْاِنْسَانِ، وَاحْتِقَارِهَا. لَذَا وَرَدَتِ التَّوْعِيَةُ النَّبَوِيَّةُ فِيمَا يَنْبَغِي مِرَاعَاتِهِ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ وَمَا هِيَ الصُّوَابُطُ الَّتِي تُحْتَرَمُ بِهَا اِنْسَانِيَّةُ الْاِنْسَانِ؛ سِوَاءِ فِي ذَلِكَ مِنْ جُلُوسِ فِي الطُّرُقَاتِ، وَمِنْ مَرِّ بِهَا؛ فَكِلَاهُمَا مَحْمِيٌّ فِي الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَكِلَاهُمَا مُعْتَبَرٌ فِي الْاِنْسَانِيَّةِ الْحَقَّةِ، بِمَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بِدُّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»<sup>(١)</sup>.

تَضْمَنَ هَذَا الْحَدِيثُ قَوَاعِدَ اخْتِلَاقِيَّةٍ وَمُوَازِينِ سُلُوكِيَّةٍ ذَاتِ اَثَرٍ بَعِيدٍ فِي أَطْرَافِ عِدَّةٍ؛ الْجَالِسُونَ فِي مَجَالِسِ عَلَى الطُّرُقَاتِ، وَالْمَارُونَ بِهِمْ؛ فَكُلُّهُمْ فِي مِيزَانِ الْاِنْسَانِيَّةِ سِوَاءٍ؛ وَلَهُمْ حَقُّ التَّمَتُّعِ بِهَا، وَدَوَامِ الْاِرْتِبَاطِ بِمَعَانِيهَا وَحُسْنِ مَالَاتِهَا. لَذَا تَضْمَنَ الْهَدْيُ النَّبَوِيُّ تَوْعِيَةً وَإِرْشَادًا لِتِلْكَ الْقَوَاعِدِ وَبَيَانًا لِضَرُورَةِ الْاِلْتِزَامِ بِهَا.

وَهِيَ: غَضُّ الْبَصَرِ عَنِ الْمُحْتَرَمِينَ مِنَ الْبَشَرِ، وَكُلِّ بَنِي آدَمَ مُحْتَرَمٍ لِاِنْسَانِيَّتِهِ. وَكَذَا غَضُّ الْبَصَرِ عَنِ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَجَمِيعِ مَا تُخْشَى مِنْهُ الْفِتْنَةُ، وَوُجُوبِ رَدِّ السَّلَامِ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَلِزُومِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَكَفِّ

١- أخرج البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب ٢٢، أفنية الدور والجلوس فيها على الصَّعْدَاتِ، رقم الحديث (٢٤٦٥) ص: ٥١١. وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب (٣٢)، النهي عن الجلوس في الطرقات، وإعطاء الطريق حقه، رقم الحديث (٥٦١٤)، ص ١٠٤٩.

الأذى<sup>(١)</sup>. قال المهلب: «وفيه قطع الذرائع؛ لأن الجلوس ذريعة إلى تسليط البصر»<sup>(٢)</sup>. ولقطع الذرائع أثرٌ بالغ في وقاية الإنسان من الوقوع في الزلل، لذا جاء الأمر بَعْضُ البصر وكفّ الأذى، أما رد السلام فهو مُتَمِّمٌ لمكارم الأخلاق إذا يتحلَّى الجالسون بالأدب ورعاية من ألقى السلام عليهم. وتُسكِّمُ الفضيلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ يفتح باباً للخير ينبغي أن يلتزمه الجالسون في مجالس الطرقات. قال العيني في شرحه لـ «وأمرٌ بالمعروف»: «وهو كلُّ أمرٍ جامع لكل ما عُرف من طاعة الله تعالى والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس، وكلُّ ما ندب إليه الشرع من المحسِّنات ونهى عنه من المقبِّحات»<sup>(٣)</sup>. وذلك لما للمارّة من حقوق إنسانية تحفظ بها كرامتهم وتُصانُ بها أحوالهم، وتُراعى بها احتياجاتهم؛ بما يُعينهم به الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبالنظر إلى مجموع هذه القواعد يمكن القول إنها قواعد تبني أسس السَّواء النفسي والسلوكي لحماية الإنسانية ورعايتها. ولهذا قال طلحةُ بن عبيد الله: «مجلس الرجل بيانُ مروءة»<sup>(٤)</sup>. أي موضعٌ يكشف عن مروءة الجالس ومحاسن أفعاله، التي تتأثر -حتمًا- «بالتوازن الذي تهتم به التربية، وهو التوازن في السلوك الإنساني والاعتدال في التصرفات الصادرة عنه، ليعيش الإنسان رَضِيًّا بلا إفراط أو تفريط، دون أن يعتدي على أحد أو يعتدي أحدٌ عليه، فالتجاوز لحدود التوازن والاعتدال هو الذي يضرُّ بالمجتمعات إضراراً بالغاً»<sup>(٥)</sup>. وها هي التربية النبوية؛ تُحيطُ الإنسان بالتربية والرعاية التي تقيه وتزوِّده بالأسس الرصينة

١- يُنظر ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ٦/ ٥٨٩. بتصرّف يسير.

٢- المرجع نفسه.

٣- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي، (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٣/ ١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت. دط، دت.

٤- ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ٦/ ٥٩٠.

٥- الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، انتماء وارتقاء، ص ١٦٤. دار الفرقان، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

الفاعلة في تحقيق ذلك التوازن وبناء إنسانية الإنسان ورعايتها المستمرة بدوام الالتزام بالمنهج النبوي.

خامساً: صفات تُجانبُ السواء وإنسانية الإنسان، كشفت السنة النبوية عنها، وحذرت من عواقبها.

أولها النفاق؛ فتعدّ صفة النفاق صفةً مذمومةً، تُنافي السواء وتُجانبُه؛ لأنها تخالف الصفات السليمة التي تجعل الإنسان صادقاً في أقواله وأفعاله، مُتَزَنّاً في مواقفه، ضابطاً لانفعالاته. وباختصار سويّاً في عقله وتفكيره وسلوكه. وتنضبط هذه الصفات بتمام الإيمان في قلب المؤمن، وإذا ما داخله شيءٌ من صفات النفاق «دخل النقص في إيمانه بالكذب، وخلف الوعد وخيانة الأمانة والفجور في الخصام»<sup>(١)</sup>.

يروى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ؛ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»<sup>(٢)</sup>.

فلفظ «النفاق» من حيث المعنى الذي يصدق على المنافق نفسه، والمعنى الذي يصدق على من تشبّه بسلوكه، مؤشّر دال على اختلال السواء؛ لأن «الكاذب يُظهر إليك أنه صدق ويُبطنُ خلافه، والخصمُ يُظهر أنه أنصف ويُضمر الفجور، والواعد يُظهر أنه سيفعل وينكشف الباطن بخلافه»<sup>(٣)</sup>. ولا يمكن أن يكون هذا سويّاً في نفسه أو سلوكه.

١- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٩٠ / ١.

٢- أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب ١٧، إذا خصم فجر، رقم الحديث (٢٤٥٩)، ص ٥١٠.

٣- القاضي، عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣١٣ / ١.

وفي رواية أخرى وردت ثلاث علامات للنفاق؛ الكذب والخيانة والخلف؛ وكلُّها مخالفةٌ للدين، ومخالفةٌ للسَّواء، ومخالفةٌ للإنسانية<sup>(١)</sup>، قال ابن حجر: «وجه الاختصار على هذه العلامات أنها مُنبهَةٌ على ما عداها؛ إذ أصل الديانة مُنحصِرٌ في ثلاث: القولُ والفعلُ والنِّيَّةُ؛ فنبهَ على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النِّيَّةِ بالخلف»<sup>(٢)</sup>. وقد جاء الحديث النبوي لتهديب هذا الانحراف وتقويمه؛ لما يترتب على تلك السمات من آثار سلبية، حيث يقع بها الإضرار بالنفس وبالناس. قال الخطابي: «معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التي يُخافُ عليه أن تُفْضي به إلى حقيقة النفاق»<sup>(٣)</sup>. وإذا ما أفضت به إلى ذلك فقدَ السَّواء وبدأ مسيرة الانحراف في أقواله وأفعاله؛ فتأثرُ بذلك إنسانيته فتتناقض وتجرُّ له العواقب الوخيمة. وإنما جاء الهدي النبوي لإنقاذ الإنسان من هذه العواقب احتراماً لإنسانيته، ودعمًا لاستمراريتها سويةً قويمَةً.

والصفةُ الثانية؛ وهي الأسوأ والأقبح؛ لما تُحدثه من الإضرار بالنفس وبالآخرين، تلکم هي صفة ذي الوجهين، وهو أشرُّ الناس كما وصفه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهِينِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِهِ وَهَوْلًا»

- ١- اختلف عدد علامات النفاق في الروايات الواردة؛ وقد جمع الشنقيطي بينها فقال: "لكن هذه الخمسة في الحقيقة ترجع إلى الثلاث؛ لأن الغدر في العهد مُنطوٍ تحت الخيانة في الأمانة، والفجور في الخصومة داخل تحت الكذب في الحديث". ينظر الشنقيطي، محمَّد الخضر الجكني، (ت ١٣٥٤هـ)، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- ٢- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١ / ٩٠، باب علامات المنافق. دار المعرفة، بيروت. رقم كتبه وأبوابه وأحاديث محمد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب.
- ٣- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، (٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢ / ٤٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.



بوجه»<sup>(١)</sup>.

عرّف القرطبي ذا الوجهين أنه «الذي يدخل بين الناس بالشر والفساد، ويواجه كل طائفة بما يتوجه به عندها مما يُرضيها من الشر»<sup>(٢)</sup>. ووضح ذلك النووي فقال: «المراد من يأتي كل طائفة ويُظهر أنه منهم ومخالف للآخرين مُبغض»<sup>(٣)</sup>. ووصفه ابن بطل بالمداهنة فقال: «واستحق اسم المداهنة للأسباب الظاهرة عليه، المُشبّهة بالدهان الذي يظهر على ظواهر الأشياء ويستتر بواطنها»<sup>(٤)</sup>.

وهو حال مُعبر عن نفس غير سوية، لما يسلكه صاحبها من الكذب والخداع والحيلة والتفائق، وهو بذلك «مدخلٌ للفساد بين الناس والشرور والتقاطع والعدوان والبغضاء والتنافر»<sup>(٥)</sup>.

ويُعَلّل سلوك ذي الوجهين بعدة أسباب؛ فمنها: الضغائن التي يُكنّها في نفسه تجاه الآخرين، ومنها، الرغبة في استمرار الحصول على المصالح المتحققة بغرس الكراهية بين الأطراف الأخرى. ومنها إعلاء النفس والتصنع بالخيرية، ومنها الأحقاد النفسية<sup>(٦)</sup>. وجميعها تناقض إنسانية الإنسان، والخير الذي جُبلت عليه؛ لأنها تخلي الإنسان من إنسانيته التي جعلت أمانة بين عينيه، فتجعله خائناً

١- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب (٥٢)، ما قيل في ذي الوجهين، رقم الحديث ٦٠٥٨٨، ص: ١٢٩٩، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله. رقم ٦٧٢٥، ص ١٢٥٤.

٢- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، (ت ٦٥٦هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٦/ ٥٨٩، رقم (٢٥١٢). حققه محي الدين ديب ميستو وآخرون، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٣- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٦/ ١٥٦.

٤- ابن بطل، شرح صحيح البخاري، ٩/ ٢٥١.

٥- العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، (ت ٨٠٦هـ). طرح التثريب في شرح التقريب، ٨/ ٩١، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عديدة منها دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، دط. دت.

٦- ينظر، زامل، يوسف عناد، ومنصور، جميل محسن، النفاق الاجتماعي وأثره على العلاقات الإنسانية، دراسة ميدانية، ص ١٧. مقال منشور في مجلة واسط للعلوم الإنسانية، الصفحات: ٩ - ٣٨، المجلد ١١، العدد ٣٢، عام ٢٠١٦م. بتصرف تام.

لتلك الأمانة عازفاً عنها إلى اللاإنسانية.

وقد تضمّن الهدي النبويُّ علاجاً يردُّ هذا السلوك ويُزعزِعُ أركانه؛ لأنه منافٍ للسواء والخلق السليم من جهة، ومُنافٍ لشرع الله تعالى وهديه، فاستحقَّ أن يوصف فاعله بشرّ الناس. وفيه من الوعيد ما يردع النفس ويوعّيها؛ لتتهذّب ولتعود خاضعةً للمنهج الإسلامي وتردّ هواها؛ فيتقوّم بذلك السلوك، وينهض به الحرص على السواء والإنسانية السليمة التي تعي حدودها وحقوقها، وحقوق الآخرين عليها، وتعرف ما لها وما عليها، وما مظاهر الشرّ والبلاء التي تعود عليها بالنقمة والعاقبة الوخيمة، لتتجنّبها وتحول دون ميل النفس إليها.

وهذه جوانب مشرقة من الهدي النبوي تُعزز السواء الإنساني، وتُقوّم إنسانية الإنسان. أوردتها لتكون نماذج في إطار بيان تكامل المنهج النبوي وشموليّته في رعايتهما.

## الخاتمة

الحمدُ لله الذي بفضلِهِ تمُّ الصّالحات، والصلاة والسلام على خير مبعوث بالهدى والرّحمت.

طوّف البحثُ بعدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تُعزّز السواء الإنساني وتدعم جانب إنسانيّة الإنسان، وتُحذّر من عواقب الإفراط والتفريط، وتؤكد في إطار هذا التعزيز وسائل بناء إنسانية الإنسان واحترامها وديمومتها، والسبيل الفاعلة في الحفاظ عليها.

وقد توصل البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

### أولاً: النتائج:

- ١- حفلت السنّة النبويّة المطهّرة بأسس الهدى النبوي في بناء السواء وإنسانية الإنسان، وتنميتها وحماية استمراريتها سليمةً مُعافاة.
- ٢- تتّصل صفة السواء بإنسانيّة الإنسان اتصالاً وثيقاً، من حيث الضوابط التي تنتج عن اتزان العقيدة والعبادات والسلوك القويم والمعاملات وغيرها. فأما العقيدة ففي تأثيرها الإيجابي على اتزان علاقة الإنسان بربه، وخوفه منه ورجاؤه له. وأما العبادات ففي تأثيرها على مشاعر الاتصال بالله تعالى في كلّ عبادة يؤدّيها ويتأثّر بها. وأما السلوك القويم ففيما يجنيه من الخير في حياته وآخرته، وأما المعاملات ففيما تستقيم بها حياة الإنسان، وتنتظم بها جميع علاقاته، وتلبّي بها جميع احتياجاته.
- ٣- تنوّعت مظاهر الهدى النبويّ في بناء وتنمية وحماية السواء؛ فشملت منهج الكشف عن المؤثرات السلبية في السواء، ومنهج التعزيز والتنمية. وهما جزءان من منهج متكامل في السنة النبوية؛ يهدف إلى صيانة إنسانية

الإنسان والارتقاء بها إلى حيث منزلة الكرامة التي تبوّأها الإنسان بين غيره من المخلوقات.

٤- شملت الرعاية النبوية للسواء وإنسانية الإنسان، جوانب عدّة؛ أولها: العقيدة؛ بدعم الإيمان ومراقبة الله تعالى، والاستعانة به، وتوقّي المحظورات، والخوف والرجاء. ثانيها: النفس؛ بإقصائها عن الأحقاد وأمراض القلوب، وب حمايتها من عوامل الزلل والانهيّار. ثالثها: الجسد؛ برعاية متطلّباته وقدراته، وتعزيز قوّته ومهاراته. رابعها: العلاقات الاجتماعية؛ بدعم أسسها ومُعزّزاتها. ويجمع مظاهر الرعاية النبوية للسواء يتّضح أنّ هذه الرعاية لا تستهدف السواء بعينه، بل تستهدف إنسانيّة الإنسان وإسعادها والتعريف بالمنزلة الرفيعة التي خلقت لأجلها.

ثانياً: التوصيات:

- ١- دعم المقررات الدراسية بالمنهج النبوي في بناء السواء وإنسانيّة الإنسان.
- ٢- الاستفادة من شمولية المنهج النبوي في تربية السواء ودعم إنسانية الإنسان لتكون في الإطار القويم الذي ارتضاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في صحابته الكرام.
- ٣- تنشئة الأبناء على الارتباط بالمنهج النبوي الشامل، ودعم الجانب التطبيقي له، من خلال التربية المنزلية أولاً، ثم باستخدام التكنولوجيا الحديثة.

## فهرس المصادر والمراجع

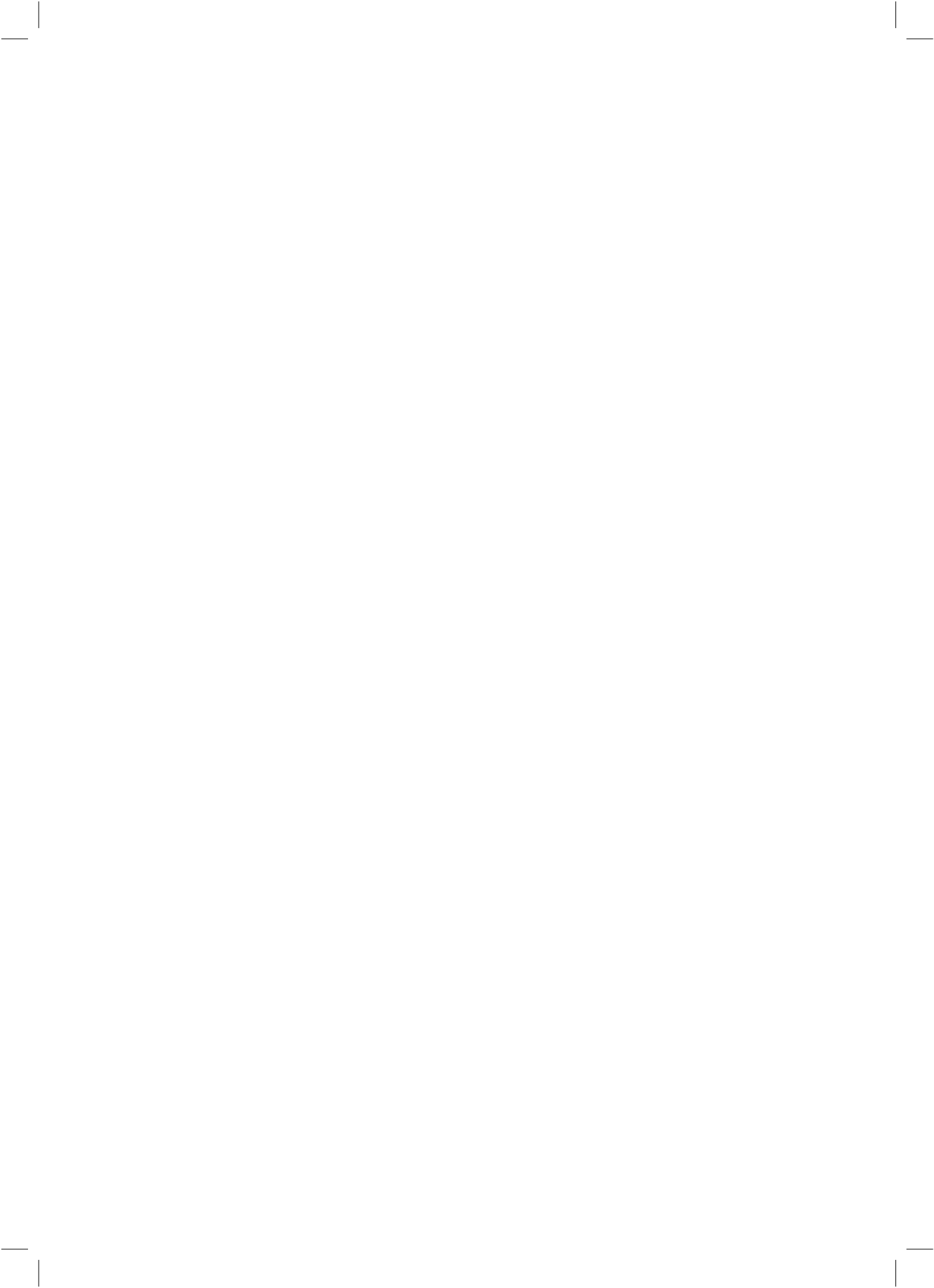
- إرشاد الساري، لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ). المطبعة الكبرى الأميرية، مصر. الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.
- إكمال المعلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل، (ت ٥٤٤هـ). تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- بناء الشخصية الإسلامية في السيرة النبوية، نظمي خليل أبو العطا موسى، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق جماعة من المحققين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. أعوام النشر: ١٣٨٥-١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١م). دط.
- التعيين في شرح الأربعين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، (ت ٧١٦هـ)، تحقيق أحمد حاج محمد عثمان، المكتبة المكية، مكة المكرمة. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- توجيهات نبوية على الطريق، دكتور السيد محمد نوح، الطبعة الثامنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، الشهير بابن رجب، (ت ٧٥٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسُننه وأيامه، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت ٢٥٦هـ)، رقم كتبه وأبوابه محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دط.
- الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، نزار العاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- شخصية المسلم بين السواء والمرض، سعيد إسماعيل علي، جمعية المسلم المعاصر، مجلد ٢١، عدد ٨٢، ١٩٩٧م. الصفحات ٧ - ٤٠.
- الشخصية المنتجة، سيد عبد الحميد مرسي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ) تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- صحيح ابن خزيمة؛ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ) تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، دط.
- طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي، أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، (ت ٨٠٦هـ). الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عديدة منها دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، دط. دت.
- علم النفس في الإسلام، رمضان محمد القذافي، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ١٩٩٩م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، بدر الدين العيني، (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. دط، دت.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديث محمد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب.
- فلسفة التربية في الإسلام، انتماءً وارتقاءً، تأليف الدكتور أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- كتاب السنن، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (ت ٢٧٥هـ). دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، لمحمد الخضر بن السيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، (ت ١٣٥٤هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن جمال الدين، ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- المجلة الدولية للأبحاث التربوية، مجلد ٤٤، عدد ٣، أكتوبر / ٢٠٢٠م. مقال: «المقارنة الاجتماعية وعلاقتها بالكتابة والتوجه نحو الآخرين لدى الطالبات العاديات والموهوبات وذوات الإعاقة بالمرحلة الثانية بمكة» مريم حمد أحمد اللحاني.
- مجلة الاضطرابات النفسية بين السيكلوجيا الحديثة والمنظور الإسلامي»، مقال: «الاضطرابات النفسية بين منظور علم النفس الحديث والمنظور النفسي الإسلامي»، أسماء بوعود، إصدارات لجنة التراث النفسي العربي إسلامي. العدد ٨. الصفحات ١ - ٥٠.
- مجلة العلوم الاجتماعية، مقال: معايير السواء ومؤشرات الصحة النفسية، دراسة نظرية تحليلية، مجلد ١٥، عدد ٢٧، عام ٢٠١٨م. الصفحات ١٧٤ - ١٩٢.
- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، للشيخ العلامة اللغوي محمد بن طاهر الصديقي الهندي الفتني الكجراتي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن علي بن أبي بكر سليمان، (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، دط، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

- المحيط في اللغة، للصاحب إسماعيل بن عباد، (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام الحافظ أبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، رقم كتبه وأبوابه وفقاً للعهجم الفهرس وتحفة الأشراف وصنع فهارسه محمد بن نزار تميم وهيثم بن نزار تميم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، (٣٨٨هـ). المطبعة العلمية، حلب. الطبعة الأولى ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.
- المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي المازري المالكي (ت ٥٣٦هـ). حققه الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر. الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دط. دت.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦هـ) حققه محي الدين ديب ميسو وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- النفاق الاجتماعي وأثره على العلاقات الإنسانية، دراسة ميدانية، تأليف يوسف عناد زامل، وجميل محسن منصور. مقال منشور في مجلة واسط للعلوم الإنسانية، الصفحات: ٩ - ٣٨، المجلد ١١، العدد ٣٢، عام ٢٠١٦م. بتصرف تام.





# مبدأ الإنسانية في السنة النبوية وأثره في حسن تنشئة الولدان ورعاية الضعفاء والرفق بالحيوان

**د. حمده خلفان بالجافلة المنصوري**  
كبير باحثين - دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري  
دولة الإمارات العربية المتحدة

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.14>





## Abstract

The Sunnah of the Prophet is a moderation approach with integrated elements, in the various stages of upbringing and edification, in which the human world found its goal, because it included methods of education and upbringing that are consistent with human instinct, and preserve the cohesion, interdependence and compassion of family members.

Prophetic conversations instilling the principle of humanity in all its contents, taking into account children's moral upbringing in order to protect their humanity and preserve their religion, and determining the most important principles of humanity in dealing with the vulnerable, caring for and guaranteeing orphans, carrying out the interests of widows and the poor, honouring and honouring the elderly. Islam also encroached on the instillation of the principle of humanity in man's behaviour and treatment of the vulnerable group of human beings into animal welfare and charity.

The Prophetic Year included the etiquette of treating the animal gently and smoothly; This prophetic approach testifies to the greatness of man's humanity and its impact on animal welfare, attaching an animal or bird to a fine-hearted thin, whose humanity flows kindly and tenderly.

**Keywords:** Human Humanity - Dulans - Vulnerable - Animal Welfare.

## ملخص البحث

السنة النبوية منهج وسطي متكامل الأركان، في مختلف مراحل التنشئة والبيان، وجد فيه العالم الإنساني ضالته؛ لأنها تضمنت من أساليب التربية والتنشئة ما يتفق مع الفطرة الإنسانية، ويحفظ على أفراد الأسرة تماسكها وترابطها وتراحمها.

توالت الأحاديث النبوية التي تغرس مبدأ الإنسانية بكل ما احتواه هذا المبدأ من مراعاة تنشئة الأطفال على الأخلاق الفاضلة حماية لإنسانيتهم وحفظاً لدينهم، وتقرير أهم مبادئ الإنسانية في التعامل مع الضعفاء، برعاية الأيتام وكفالتهم، والقيام بمصالح الأرامل والمساكين وإكرام كبار السن وتوقيرهم. كما تعدى الإسلام غرس مبدأ الإنسانية في سلوك الإنسان وتعامله مع الفئة الضعيفة من بني البشر إلى الرفق بالحيوان والإحسان إليه.

فقد تضمنت السنة النبوية آداب التعامل مع الحيوان برفق ولين؛ ليكون هذا المنهج النبوي شاهداً على عظمة إنسانية الإنسان وأثرها في الرفق بالحيوان، فلا يرفق بحيوان أو طير إلا رقيق القلب طيب الطبع، تتدفق إنسانيته عطفاً وحناناً.

الكلمات المفتاحية: إنسانية الإنسان -  
الولدان - الضعفاء - الرفق بالحيوان.



### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وقضى الموت والحياة، وقدر المعاش والمعاد، وأعطى من شاء من السمع والبصر والفؤاد، ومن شاء منهم المعرفة والعقل والنظر والاستدلال، ومن شاء منهم الهداية والرشاد، وبعث الرسل بما شاء من أمره ونهيه، مبشرين بالجنة من أطاعه، ومنذرين بالنار من عصاه، وأيدهم بدلائل النبوة وعلامات الصدق؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وخصنا بالنبى الكريم، والرسول الأمين، سيد المرسلين، وخاتم النبيين أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، أفضل خلقه نفساً، وأجمعهم لكل خلق رضي في دين ودنيا، وخيرهم نسبا، وقرن اسمه باسمه، محمد سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، ما عبد عابد وسجد ساجد، وبعد:

فإن من مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه أن جعل صفة الإنسانية في الإنسان هدفاً لإسعاده، وإسعاد من حوله، خاصة السعادة التي يجدها المسلم في تربية أولاده وفق المنهج النبوي؛ ليكونوا له في الدنيا قرة عين، وسفراء عن الدين الإسلامي دين الرحمة والتنشئة على مكارم الأخلاق التي تجعلهم في ميادين الحياة سادة وقادة وأئمة للهدى في محارِب العبادَة؛ لأن من شأن تربيتهم على مراعاة مبدأ الإنسانية أن يترك آثاراً حسنة في نفوسهم، ويعود عليهم بالخير والبركة، ويعودهم على الثقة بالله ثم بالنفس، ويربِّي فيهم حب الخير والتآخي.

كما أن من يتصفح السيرة النبوية يجد أنها حافلة بتثبيت القيم الإيجابية في المجتمع الإنساني؛ والتفكير من درن القيم الجاهلية المنفرة. من الانحياز للظالم مادام من ذوي القربى؛ الجور والبطش وأكل القوي للضعيف.

توالت الآيات والأحاديث الشريفة التي تغرس مبدأ الإنسانية بكل ما احتواه

هذا المبدأ من مراعاة تنشئة الأطفال على الأخلاق الفاضلة حماية لإنسانيتهم وحفظاً لدينهم، وتقرير أهم مبادئ الإنسانية في التعامل مع الضعفاء، برعاية الأيتام وكفالتهم، والقيام بمصالح الأراامل والمساكين وإكرام كبار السن وتوقيرهم. كما وتعدى الإسلام غرس مبدأ الإنسانية في سلوك الإنسان وتعامله مع الفئة الضعيفة من بني البشر إلى الرفق بالحيوان والإحسان إليه فقال ﷺ: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»<sup>(١)</sup>.

### حدود الدراسة:

تظهر هذه الدراسة مظاهر تفعيل مبدأ إنسانية الإنسان من خلال المنهج النبوي، غير أن المنهج النبوي لا يعني الاعتماد فقط على الأحاديث النبوية، بل أيضاً ما ورد عن منهج النبي ﷺ من خلال آيات القرآن الكريم في الموضوع.

مشكلة الدراسة: الوقوف على مظاهر مبدأ الإنسانية في السنة النبوية، وإظهار كيفية غرس النبي ﷺ لهذه المبدأ، وأثر تطبيق هذا المبدأ على صلاح الولدان ورعاية الضعفاء والرفق بالحيوان.

### الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع:

١- يعتبر موضوع إنسانية الإنسان من الموضوعات التي أصبحت تشغل الكثير حول العالم، ولقد وجدت أن هذا المبدأ بات مهجوراً في واقع البعض منا؛ وذلك لتركنا- أحياناً العمل بما جاءت به السنة النبوية الشريفة من قوانين الرحمة وقيم التراحم والتسامح، وعليه آثرت الكتابة في موضوع «مبدأ الإنسانية في السنة النبوية وأثره في حسن تنشئة الولدان وإكرام الشيبان والرفق بالحيوان»؛ لأنني رأيت أن حسن تربية النشء على منظومة القيم

١- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، ٤ / ١٧٦١. حديث رقم (٢٢٤٤).

والإخلاق الفاضلة التي رسمت معالمها السنة النبوية المطهرة عامل أساسي في تعميق أواصر الإنسانية وتنشئة جيل مؤمن بالقيم الإنسانية كأداة للتراحم الأسري.

٢- كما أن من خلال تدريس مساق الحضارة الإسلامية وجدت أن من أسباب السقوط والتردي بعد السمو والارتقاء لبعض المجتمعات إهمال حقوق الضعفاء، والتي حثت السنة النبوية بالاهتمام والاعتناء بهم كونه من أسباب النصر، يقول النبي ﷺ: «هَلْ تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ»<sup>(١)</sup>. وقوله (بضعفائكم) ببركتهم ودعائهم لصفاء ضمائرهم وقلة تعلقهم بزخرف الدنيا فيغلب عليهم الإخلاص في العبادة ويستجاب دعاؤهم.

٣- هناك الكثير من جمعيات حماية حقوق الحيوان التي تهتم بهذا الكائن وتوليه رعايتها، وهي حديثة عهد بهذه الحماية، سبقتها السنة النبوية الشريفة في هذا الأمر. وعليه فهذا البحث يسلط الضوء على التشريعات الإسلامية في هذا الجانب مما يؤكد عالمية الدين الإسلامي وشموله كافة مناحي الحياة.

٤- من خلال قراءة مجمل القوانين والسياسات التي تنتهجها دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا المجال وجدت الكثير من معالم مبدأ الإنسانية مطبقة على أرض الواقع سواء على الصعيد المحلي أو الإقليمي أو الدولي، مما يدل على أن سير الدولة منهاج الإسلام القويم هو أساس الحكم في هذه الدولة، خاصة وأن التشريعات التي تعالج قضايا الطفولة أو ذوي الهمم وكبار السن، باتت مضرب المثل في نشر قيم ومبادئ الإنسانية، وهذه من تمام نعمة الله تعالى على دولتنا المباركة وقيادتنا الرشيدة.

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ٣٦ / ٤. حديث رقم (٢٨٩٦). وهو مروى عن مصعب بن سعد، قال: قال: رَأَى سَعْدٌ أَنْ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ».



## الدراسات السابقة:

نظرت في المكتبة البحثية فوجدت أن الدراسات المعنية بتناول هذه المسألة سواء من الناحية التربوية أو غيرها تكاد تكون كثيرة، لكن دراستها في إطار ما قامت به ندوة السنة النبوية في جامعة الوصل في ثوبها (الحادي عشر)، يكاد يكون جديداً؛ لذا كان إخراج هذا الموضوع بهذا الطرح وتلك الرؤية مفيداً في الذود عن السنة النبوية، ومقرراً أن العمل بما جاءت به سبب من أسباب السعادة الدينية والدينية للإنسان ولمن حوله.

**منهج الدراسة:** تقتضي طبيعة البحث اتباع المنهج الإستقرائي القائم على تتبع جزئيات الدراسة، والمنهج الإستنباطي القائم على تحليل النصوص الواردة في الموضوع ومحاولة فهمها وأساليب تفعيلها؛ للاستفادة منها في تنمية الواقع المعاصر.

**خطة الدراسة:** يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة:

فالمقدمة في التعريف بفكرة البحث، وبيان أهميته وأسباب الكتابة فيه، والدراسات السابقة وخطته.

المبحث الأول: قيم الإنسانية ومبادئها في السنة النبوية بشأن تنشئة الأولاد.

المبحث الثاني: قيم الإنسانية ومبادئها في السنة النبوية بشأن التعامل مع الفئات الضعيفة.

المبحث الثالث: قيم الإنسانية ومبادئها في السنة النبوية بشأن الرفق بالحيوان.

## المبحث الأول

### قيم الإنسانية ومبادئها في السنة النبوية في تنشئة الأولاد

تعتبر تربية الأطفال في ضوء عالم متغير من التحديات التي لا يمكن تجاهلها، فالانفتاح على العالم، واستخدام التكنولوجيا، واتساع شبكات التواصل الاجتماعي، كلها تدعو لتبنى منهج رصين في تربية أبنائنا والتعامل معهم وفي تطبيق المنهج النبوي من خلال الأحاديث الصحيحة من أنجح الطرق لغرس مبدأ الإنسانية في طرق التعامل مع الأبناء، بما يحتويه هذا المبدأ من الأخلاقيات والمبادئ السامية التي نشأ عليها الفرد والتي تضع له القواعد الرئيسية لتعاملاته مع الآخرين فيما بعد حتى يكون عنصراً فعالاً في المجتمع المسلم. وتتعدد هذه المبادئ في السنة النبوية ما بين العدل والحرية والكرامة والمساواة والعطف والرحمة اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

#### أولاً: الرفق بالبنات وتطبيب خاطرهن:

لما جاء الإسلام، جاء في أعراف عربية مختلفة منها ما أقره الإسلام لتوافقه منهجه الإلهي، كالشجاعة والكرم والعزة والمروءة وحسن رعاية الأولاد وخاصة البنات وحياة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- شاهداً على ذلك، ومنها ما هذبه بالضوابط التي تمنع الحيف والجور والعدوان، وتحديد عدد الطلقات للرجل على زوجته من شواهد هذا الاتجاه، ومنها ما جاءت عليه شريعة الإسلام بالإبطال والتحريم لما تنطوي عليه هذه العادات من مخالفات صارخة لمبدأ الرفق والرحمة، ومن شواهد هذه العادات وأد البنات، أو كراهية إنجابهن، لذا واجه الإسلام هذه العادة الجائرة ليس بالتحريم فقط وإنما بالتطبيق العملي والقولي الذي نهجه رسول الله ﷺ، فقد أنجب البنات وكن قررة عينه، وتزوج النساء وأحسن معاشرتهن، وأوصى بهن خيراً، بل علق بتحقيق خيرية الرجل في

الإسلام بحسن تعامله مع أهله، وفي السطور التالية أذكر بشيء من التفصيل بعض الشواهد التي تُعد غيضاً من فيض في معالم الإنسانية في هدي خير البشرية.

### الشاهد الأول: المنهج النبوي في الصبر على تربية البنات:

تربية الأولاد في الإسلام مسؤولية كبيرة ومنوطة بالدرجة الأولى بالوالدين، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته<sup>(١)</sup>، والتربية لا تعني توفير الاحتياجات الأصلية من المأكل والملبس والمشرب والمسكن فقط، وإنما تعني التوجيه القويم لتعاليم الإسلام منذ نعومة أظافرهم ليصبحوا أفراداً صالحين نافعين لأنفسهم ومجتمعهم ووطنهم، قادرين على العطاء والتعايش مع الآخر ضمن منظومة أخلاقية فريدة لن نجد لها مثيلاً في تشريعات سابقة، وتربية الأولاد مما اعتنى به الإسلام وخاصة البنات، لأن البنت هي زوجة الحاضر وأم المستقبل، فإذا أعدت إعداداً طيباً ارتقى بها ومعها المجتمع، وصدق الشاعر: الأم مدرسة إذا أعددتها..... أعددت شعباً طيباً الأعراق<sup>(٢)</sup> ومعلوم أن الإعداد الذي يؤتي ثماره هو ما يكون في مرحلة التربية الأولى في الصغر، تلك التربية التي أشار إليها رسولنا الكريم فيما روي عن عروة بن الزبير - رضي الله عنه -: «أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ قَالَتْ: جَاءَتْني امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلِنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثَتْهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «مَنْ ابْتَلَى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

- ١- رواه البخاري في كتاب: النكاح، باب: المرأة رابعة في بيت زوجها، ١٩٩٦/٥، حديث رقم (٤٩٠٤).
- ٢- قصيدة الأم مدرسة للشاعر حافظ إبراهيم.
- ٣- رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٧/٨، حديث رقم (٥٩٩٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلى البنات، ٢٠٢٧/٤. حديث رقم (٢٦٢٩).
- ٤- التخريج السابق، نفسه.

ففي هذا الموقف الإنساني الذي حدث في بيت النبي ﷺ امرأة تأتي مع ابنتيها الصغيرتين تسأل السيدة عائشة رضي الله عنها من فضل الله تعالى، فقد تكون أرملة ليس لها عائل يقوم عليها وعلى بناتها، وقد لا تحسن صنعة تدر لها مالا يساعدها في تربية بناتها، أو تكون زوجة رجل مريض أو مقعد لا يقدر على الكسب، فتلك هي أهم مسوغات سؤال الناس، ولأن بيت النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مشغولاً بإعداد مالد وطاب من الطعام والشراب بل كانت النار لا توقد في بيته ﷺ الهلال ثم الهلال<sup>(١)</sup>، وكانوا يعيشون على الأسودان التمر والماء، فلما سألت المرأة لم تجد في بيت النبي ﷺ إلا تمرة واحدة! فجادت بها وآثرت هذه الأم بناتها على نفسها، وقامت بشق التمرة نصفين لتعطي كل واحدة منهما نصف في موقف إنساني يتجلي فيه معاني الرحمة والحنو، فلم تأكلها، ولم تعطها لواحدة منهما، بل راعت رغبتها في الطعام، وإرضاء نفوسها بالمساواة في العطاء، ثم يأتي رسول الله ﷺ ليزيد الموقف جلالاً وجمالاً حينما أخبرته السيدة عائشة - رضي الله عنها - بما كان من قصة المرأة فبين لها مكافأة هذه المرأة وكل من رزقه الله تعالى البنات فأدبهن وعلمهن كن له حجاب من النار، أي تحققت له السعادة والهناء في الدنيا فلا يشقى بهن، وتحقق له رضى الله تعالى والوقاية من عذابه في الآخرة.

وقد بين أهل العلم أن النبي ﷺ أكد على حق البنات في هذه الحديث رغم أن التربية تشمل البنين والبنات؛ لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور؛ لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال<sup>(٢)</sup>.

١- رواه البخاري في كتاب: الهبة وفضلها، باب: الهبة وفضلها والتحرير عليها، ٣/ ١٥٣، حديث رقم (٢٥٦٧).

٢- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (١٠/ ٤٢٩).

## الشاهد الثاني: المنهج النبوي في تطيب خاطر البنات:

في السنة العملية للنبي ﷺ قدم لنا النموذج الإنساني الأمثل في التعامل مع البنات ليعطي للأباء والأمهات درسا عمليا في حسن الرعاية والتربية، خاصة التربية النفسية، ففي الوقت الذي تضطرب فيه معاملة البنات من أعلاها وهي وأد أو كراهية إنجاب، أو مفاضلة بينهن وبين البنين، أو منعهن من الميراث، وأدناها وهو ترك حملها وتطيب خاطرها يقدم لنا النبي ﷺ في هذا الموقف الإنساني صورة تتجلى فيها كل معاني الرحمة والإنسانية فيما روي عن قتادة - رضي الله عنه - قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ<sup>(١)</sup> عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهُ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا»<sup>(٢)</sup>. أخبرنا هذا الصحابي الجليل بأن رسولنا الكريم ﷺ خرج على أصحابه وهو يلتفت حفيدته أمامة بنت ابنته الكريمة السيدة زينب - رضي الله عنها - على عاتقه، ولم يمنعه من ذلك مقامه من النبوة والرسالة والقيادة، ليعطي درسا عمليا في المعاني الإنسانية الراقية التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان فالمسؤوليات العظام لا تنسخ المعاني الروحية لدقائق الأمور، كما نلاحظ أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج بها وهي في يده أو على يده وإنما على عاتقه، تلك الهيئة التي يحبها الصغار في الحمل عادة، فلم يعكر عليها نهمتها في هذا الأمر، بل تعطي لنا الصورة معان أكثر عمقا حينما دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، فلم ينزلها من على كتفه إلا عند السجود حتى لا ترتطم بالأرض وتصاب بأذى، وقد يسأل سائل لماذا لم يضعها النبي صلى الله عليه وسلم بجواره حتى ينتهي من الصلاة؟ نقول لحبها في اعتلاء كتف النبي صلى الله عليه وسلم فإذا وضعها بجواره قد تصيح وتصرف المصلين عن الخشوع والخضوع في الصلاة، أو تحبو خارج المسجد، أو غير ذلك، ولم يكن

١ - أمامة بنت أبي العاص: أي بن الربيع وهي ابنة زينب بنت النبي ﷺ -

٢ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٧/٨. حديث رقم (٥٩٩٦).

هناك من هو غير مشغول بالصلاة فيحملها عنه، فبقي عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المكان الأكثر أماناً وحفظاً لها.

قال ابن حجر: «ورحمته ﷺ لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض، وكأنها كانت لتعلقها به لا تصير في الأرض فتجزع من مفارقتها فيحتاج أن يحملها إذا قام. واستنبت منه بعضهم: عظم قدر رحمة الولد؛ لأنه تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدّم الثاني»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تربية الأطفال على مكارم الأخلاق لحماية إنسانيتهم وحفظاً لدينهم:

تعد من أهم مظاهر عناية السنة النبوية بحماية إنسانية الإنسان في السنة النبوية، تربية الأطفال على مكارم الأخلاق، وتنشئتهم على حب الفضيلة ومساعدة الآخرين في الأزمات والنوائب دون تمييز بينهم، وزع القيم الإنسانية في سلوكياته، فأطفال اليوم هم شباب الغد، وهم قادة المستقبل، ويتجلى ذلك مما يأتي:

**الشاهد الأول:** روي عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنَّ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَّانَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وِرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

١- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (١٠/٤٢٩).

٢- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ٤/١٨٠٥. حديث رقم (٢٣١٠).

في النص الكريم والمنطق الطاهر الذي بين أيدينا تتلألاً وتتجلى معاني اهتمام النبي ﷺ بأخلاق الأطفال وتربيتهم على الأخلاق الحسنة، علماً وعملاً، وقد كان لهذه التربية أثرها في بناء جسد الأمة بناءً رصيناً من مكارم الأخلاق، خاصة وأن بعثة النبي ﷺ إنما كانت في جميع جوانبها مبنية على مكارم الأخلاق، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

**الشاهد الثاني: منهج النبي ﷺ في تربية الطفل على خلق الأمانة، يتسم بمدى حرصه ﷺ على حماية المجتمع من نواقض الإنسانية إنه لم يرض من الطفل هذا الخطأ وإنما عاقبه عليه، عندما أخلَّ به، وشدَّ أذن الطفل. روى النووي في الأذكار عن عبد الله بن بسر المازني الصحابي - رضي الله عنه - قال: «بعثني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطفٍ من عنب، فأكلتُ منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئتُ به أخذَ بأذني وقال: يا غدرُ»<sup>(٢)</sup>.**

هذه التربية مصدر أمان تعصم الطفل أن تمتد يده إلى أموال غيره، بل يحفظ على الآخرين أموالهم، فإن من شَبَّ على شيء شاب عليه، وأن من يسرق البيضة قد يسرق الجمل؛ لذا روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ، قال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتَقَطُّعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْجَبَلَ فَوَقَطُّعُ يَدُهُ»<sup>(٣)</sup>.

ومقصود النبي ﷺ أنه يعتاد السرقة فيسرق ما هو أكبر منها مما يساوي نصاب القطع فتقطع يده فيكون السبب الأول سرقة للبيضة. وهذا من باب التمثيل لما

- ١- رواه الحاكم في المستدرک، ٢/ ٦٧٠. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: "على شرط مسلم"
- ٢- رواه النووي في "الأذكار"، ص: ٢٨٩، رقم: ٨٥٧؛ وابن السني في "عمل اليوم والليلة"، ص: ٣٥٦؛ وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ٦/ ١٠٥. وإسناده ضعيف؛ عبد الله بن بسر الجبراني؛ ضعيف الحديث.
- ٣- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الحدود، ٨/ ١٥٩ حديث رقم (٦٧٩٩)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الحدود، باب: حد السرقة ونصابها، ٣/ ١٣١٤. حديث رقم (١٦٨٧).

يؤول إليه الأمر من تكرار السرقة؛ لذا قال ابن حجر نقلاً عن الخطابي في رده على الأعمش في تأويله للحديث: «.. وإنما وجه الحديث وتأويله ذم السرقة وتهجين أمرها وتحذير سوء مغبتها فيما قل وكثر من المال، كأنه يقول: إن سرقة الشيء اليسير الذي لا قيمة له كالبيضة المذرة والحبل الخلق الذي لا قيمة له إذا تعاطاه فاستمرت به العادة لم ييأس أن يؤديه ذلك إلى سرقة ما فوقها حتى يبلغ قدر ما تقطع فيه اليد فتقطع يده، كأنه يقول: فليحذر هذا الفعل وليتوقه قبل أن تملكه العادة ويمرن عليها ليسلم من سوء مغبته ووخيم عاقبته»<sup>(١)</sup>. مما سبق يتضح مدى حرص السنة النبوية الشريفة على زرع مبدأ إنسانية الإنسان في الأطفال وذلك بغرس قيمة الأمانة وهي من الأخلاق الحميدة التي حثت السنة النبوية عليها حفظاً للممتلكات الخاصة للآخرين ونشر الأمن بعدم سرقتها أو إخفاءها.

### ثالثاً: الحوار الهادئ مع الأولاد، وخاصة الأطفال منهم:

الحوار مبدأ إنساني أصيل، يحترم أول ما يحترم أعظم ملكات الإنسان الراقية وهي العقل، وذلك أنها تحتفظ له بإطار التكريم البشري الذي يميزنا عن بقية مخلوقات الله -تعالى- وفي الحوار الهادئ مع الأطفال تنمية عقولهم وتوسيع مداركهم، وزيادة قدرتهم على صناعة قراراتهم النافعة في المستقبل وتوقي الأساليب المدمرة في مواجهة معترك الحياة. وعليه فليس من الحكمة أن يُلزم الأب أولاده بالسكوت المطبق، كدليل على التهذيب الأخلاقي والأدب الرفيع فليس مندوباً إليه.

وباستقراء منهج النبي ﷺ في التعامل مع الأطفال يجد الناظر أنه حاور

١- وكان الأعمش يقول: "إن البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تجعل في الرأس في الحرب وأن الحبل من حبال السفن" قال ابن حجر: "فهذا تأويل بعيد لا يجوز عند من يعرف صحيح كلام العرب؛ لأن كل واحد من هذين يبلغ دنائير كثيرة وهذا ليس موضع تكثير لما سرقة السارق". ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (١٢/ ٨٢).



الأطفال بهدوء، فعن ابن عباس، - رضي الله عنهما - قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ،»<sup>(١)</sup>. وهذا المنهج يعرف بـ«الخطاب المباشر للطفل» ومعناه: خطاب عقل الطفل بصورة مباشرة، مما يجعله أشد قبولاً وأكثر استعداداً لتلقي المعلومات.

فقد خاطب النبي ﷺ الغلام بصورة مباشرة وبعبارة وجيزة مفيدة، تشتمل على كثير من المسائل العقدية في مرحلة الطفولة يشب عليها إذا ما كبر وأصبح شاباً، مما يسهل عليه حل الكثير من المشاكل والنجاة من براثن الأفكار الشاردة.

رابعاً: التربية على الإيثار:

برفق ولطف، وما من شك أن تربية النشء على هذه القيمة والمبدأ عامل مؤثر في حسن تكوين شخصية الطفل، وتعويده على احترام الكبير وتوقيره وإيثاره، وخاصة إذا عمل في مجال التربية والتعليم بعد كبره، فلا شك أن ذلك سيظهر جلياً في طريقة تعامله بإنسانية مع الآخرين.

ففي الصحيحين عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: أُنِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدْحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ<sup>(٢)</sup> أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاحُ»، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ بَفْضَلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ<sup>(٣)</sup>.

- ١- رواه الترمذي في سننه، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ٦٦٧/٤، حديث رقم (٢٥١٦)، وقال: «حديث حسن صحيح».
- ٢- اختلف في الغلام، فقيل: هو عبد الله بن عباس. وقيل: الفضل بن العباس - رضي الله عنهما - أما الأشياخ فكان منهم: خالد ابن الوليد - رضي الله عنه - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (٤٩٤/٦).
- ٣- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشرب، باب: في الشرب، ١٠٩/٣، حديث رقم (٢٣٥١)؛ ومسلم في كتاب: الأشربة، باب: استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، ١٦٠٤/٣، حديث رقم (٢٠٣٠).

## خامساً: معاملة الأطفال بما يؤنسهم ويزيل وحشتهم:

ولقد كان من هديه ﷺ في تعامله مع الأطفال مداعبة الأطفال، تارة بالمضاحكة، وأخرى بالركض وثالته بالحمل، ورابعة بتصغير الاسم، وإلى غير ذلك، وذلك ليقتندي الأب أو المربي الرحيم والودود في معاملته مع من هم في ولايته وتحت رعايته بصنيع النبي ﷺ وهديه، ليزرع في هذا الطفل منظومة متكاملة من القيم الإنسانية بفضائل الصفات ومكارم الأخلاق، مما يعود على المجتمع بجعله مجتمعاً إنسانياً سعيداً ضاحكاً باسماء يعانق الحياة بصدر رحب وقلب منشرح، حتى وإن ضاقت بهم سبل المعاش؛ ولذا قال النبي ﷺ «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَيْسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخَلْقِ»<sup>(١)</sup>.

والشواهد الدالة على هذه المعاملة في السنة النبوية كثيرة، اذكر منها:

١- ما رواه البخاري في صحيحه عن أَنَسٍ - رضي الله عنه - أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أَيُّسُّ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

٢- ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن يعلى بن مرة - رضي الله عنه - أنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَاسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَفِرُّ هَهُنَا وَهَهُنَا وَيُضَاحِكُهُ

١- رواه الحاكم في المستدرک، فصل: في توقيف العالم، ٢١٢/١؛ والبيهقي في شعب الإيمان، ٦/٢٥٣، عن أبي هريرة - رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٢/٨: «فيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف». وقال الذهبي في التلخيص: «قلت عبد الله يعني عبد الله بن سعيد المقبري واه».

٢- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ٤/١٨٠٥، حديث رقم (٢٣١٠).

النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهُ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَفْنِهِ وَالْأُخْرَى فِي رَأْسِهِ ثُمَّ أَعْتَنَقَهُ  
ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ  
سَبَطَانَ مِنَ الْأَسْبَاطِ»<sup>(١)</sup>.

٣- فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قَبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسْنَ بْنَ عَلِيٍّ  
وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ  
الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا  
يُرْحَمُ»<sup>(٢)</sup>. وفي جواب النبي ﷺ للأقراع إشارة إلى أن تقييل الولد وغيره  
من الأهل المحارم وغيرهم من الأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة لا للذة  
والشهوة وكذا الضم والشم والمعانقة<sup>(٣)</sup>.

فالرحمة والشفقة صفتان نبعتا من نبع الإنسانية الحاني، أما قسوة القلوب  
وغلظة الطباع لا تنبع إلا من أهل القسوة والشقاوة، ومن فقد إنسانيته؛ ومشاركة  
الأطفال باللعب والضم والمحاورة والبسمة يبني شخصياتهم ويجعلهم ينفسون  
عن أنفسهم ويحركون طاقاتهم وينمي مهاراتهم العقلية والاجتماعية، وقد أثبت  
الواقع أن الآباء والأمهات الذين لا يلاعبون أولادهم ولا يضحكونهم ويغلب  
عليهم القسوة والقوة يولدون شخصيات قاسية وجافة قريبة من العبوس  
والتشاؤم، وما أخذه الطفل من صغره سينتجه في كبره كالشجرة ماتسقى به وما  
يصيبها من هواء وشمس يظهر ذلك في ثمرها بعد زمن.

١- رواه البخاري في الأدب المفرد بالتعليقات، ص: ١٣٣؛ حديث رقم (٣٦٤). صحيح الأدب المفرد،  
٣/ ٢٢٩؛ وابن ماجه في سننه (ت الأرنؤوط) كتاب: افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة  
والعلم، باب: فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، ١/ ٥١؛ حديث رقم  
(١٤٤). والطبراني في معجم الكبير، ٣/ ٣٢، حديث رقم (٢٥٨٦). وذكره الشيخ الألباني في السلسلة  
الصحيحة، حديث رقم (١٢٢٧).

٢- رواه البخاري، في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٧/ ٨. حديث رقم  
(٦٠١٣). ومسلم في كتاب: الفضائل باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال، ٤/ ١٨٠٨. حديث رقم  
(٢٣١٨).

٣- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (١٠/ ٤٣٠).

## المبحث الثاني

### قيم الإنسانية ومبادئها في السنة النبوية بشأن التعامل مع الفئات الضعيفة

من أهم مظاهر غرس القيم الإنسانية في الإسلام رعاية حقوق الضعفاء، من اليتامى والمساكين وذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن غيرهم؛ مما يؤكد أن الإسلام دين رفق ورحمة ومحبة ومودة، يضمن لجميع الفئات في المجتمع حقها في العيش الكريم والحياة الإنسانية السعيدة، ويراعي حقوق الضعيف قبل القوي، والصغير قبل الكبير، والمريض قبل الصحيح. وبإعطاء هؤلاء الضعفاء حقوقهم تدرء من أنفسهم الحقد والحسد والمرض النفسي، وتعم روح الوثام والسلام في المجتمع، ويظهر المجتمع بصورة ترضي الله - عز وجل - وتستوجب رحمته، فالخير والبركة لا يحلان إلا بسبب مراعاة هؤلاء الضعفاء والقيام على قضاء حوائجهم. يؤكد ذلك قول النبي ﷺ مستنكراً على سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - عندما رأى أن له فضلاً على من دونه، فقال له النبي: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!». <sup>(١)</sup> ومن أهم مظاهر رعاية حقوقهم في السنة النبوية تحقيقاً لحفظ إنسانيتهم أمور عدة، اذكر منها:

أولاً: حسن رعاية اليتيم وكفالتة:

اهتمت السنة النبوية بشأن اليتيم اهتماماً بالغاً من حيث تربيته ورعايته ومعاملته وضمان سبل العيش الكريمة له، حتى ينشأ عضواً نافعاً في المجتمع المسلم، فلا يشعر بغربة اليتيم وذل الحاجة، وفي السنة النبوية الكثير من الشواهد الدالة على أن الرفق به لا يكون إلا من أصحاب القلوب الحانية والأيدي النّدية، وأن من قسى قلبه وضاعت منه معالم الإنسانية فليرفق باليتيم ليسترد بالإنسانية ما سلبته الغلظة والقسوة.

١ - سبق تخريجه في مقدمة البحث.

ولاشك أن الإحسان إلى اليتيم يتسع معناه ليشمل معاملته بمزيد الرعاية والتعظيم وإكرامه لله تعالى خالصاً، والتلطف معه، وتأديبه أحسن تأديب وتعليمه أحسن تعليم، ومراعاة الغبطة في ماله والقيام على تزويجه، ومن شأن هذا كله تخليص القائم بأمره من نوازع القسوة ومشاعر الجفوة، فإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي<sup>(١)</sup>.

وتظهر قيمة الإنسانية في وعد الرسول ﷺ بالأجر العظيم لمن تكفل برعاية الأيتام، فعن عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ، وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيِّفُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَهَاتَيْنِ أُخْتَانِ» وَأَلْصَقَ إِضْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى<sup>(٢)</sup>. عن سهل بن سهل الساعدي - رضي الله عنه -: «قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية الإمام مسلم: «قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيره أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

فالذي يكفل اليتيم ويتعهده؛ وينمي ثروته ويهذب نفسه؛ ويطمئن والده في جدته؛ ويعوضه عنه كافلاً رحيماً، وراعياً حكيماً؛ فلا جرم أن كان مكانه عند الله عظيماً؛ وكان حرياً أن يكون لرسول الله ﷺ في الجنة صاحباً وقريناً؛ يتمتع بما فيها من النعيم؛ كما متع برعايته اليتيم؛ وفي هذا ترغيب عظيم في كفالة الأيتام، والعناية بأموالهم، أيًا كان الكافل قريباً، أو أجنبياً أو صديقاً.

١- الإمام المناوي، فيض القدير، (١/١٠٨). بتصرف

٢- رواه ابن ماجه في سننه، كتاب: الأدب، باب: حق اليتيم، ١٢١٣/٢. حديث رقم (٣٦٨٠). قال البوصيري: ١٠٤/٤: «هذا إسناد ضعيف». وضعفه الشيخ الألباني. انظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ٨/١٨٠.

٣- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: اللعان، ٥٣/٧. حديث رقم (٦٠٠٥).

٤- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرفاق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، ٢٢٨٧/٤. حديث رقم (٢٩٨٣).

لكل هذه الأسباب نهى الله تعالى عن قهر اليتيم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝١﴾ [الضحى: ٩]. وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ۝١﴾ فذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ١ - ٢]، وهاتان الآيتان تؤكدان على العناية باليتيم والشفقة عليه، وهي من كمال تقرير إنسانية الإنسان في الشريعة الإسلامية كي لا يشعر بالتقص عن غيره من أفراد المجتمع، فيتحطم ويصبح عضواً هادماً في المجتمع المسلم. قال ابن كثير عن تفسير الآية الأولى: «فلا تقهر اليتيم: أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به، وكن لليتيم كالأب الرحيم»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: السعي في قضاء مصالح الأرملة ودفع جوع المساكين:

من صور مراعاة النبي ﷺ إنسانية الإنسان رحمته ووصيته بالنساء عامة، وبالنساء الأرمال خاصة، فالأرملة من مات عنها زوجها<sup>(٢)</sup> ومما لا شك فيه أنها تحتاج إلى من يقوم على شئونها ومصالحها، ويسعى في قضاء حاجاتها. ولذلك كان لهذا الساعي على الأرملة والمسكين كأجر المجاهد في سبيل الله. روي أبو هريرة - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ»<sup>(٣)</sup>.

ولقد حاز الساعي على الأرملة والمسكين هذا الفضل، كونه يكد ويتعب؛ ويجاهد وينصب، ليكفي تلك الأرملة حاجاتها، بعد أن فقدت بعلمها، الذي كان يرعاها وينفق عليها، فهو بذلك يخفف عنها من ألم المصيبة؛ ويسليها على الفجاعة؛ ويكف يدها عن المد؛ ويصون وجهها عن العرض. وكذلك يصنع للمسلم الذي فقد المال؛ وعجز عن الكسب أو قدر ولكن لم يجد العمل، فهو يجمع المال بعرق

١ - تفسير ابن كثير، ٤١٣/٨.

٢ - ابن حجر، فتح الباري، ١٢٥/١.

٣ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب: النفقات، باب: الساعي على الأرملة والمسكين، ٥/٢٠٤٧ حديث رقم (٦٠٠٦)؛ ومسلم، في كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان على الأرملة والمسكين واليتيم، ٤/٢٢٨٦. حديث رقم (٢٩٨٢).

جبينه. لا ليمتّع نفسه أو ولده؛ أو لينفقه في البذخ واللذّة، ولكن ليسد به جوعة المسكين، ويغنيه عن الاستجداء فيحفظ على وجهه ماء الحياء، وعلى نفسه خلق العفاف، فكان خليقا بمرتبة المجاهدين، ومنزلة المقرين»<sup>(١)</sup>.

فالسعي في دفع الجوع عن المساكين والمحتاجين من ضعفاء المسلمين، وأهل الحاجة من القيم الإنسانية النبيلة في الإسلام، ولقد ضرب النبي ﷺ المثل والنموذج الأعلى في سعيه لقضاء حوائج الناس وبخاصة للضعفاء والأيتام، والأرامل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر؛ فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: وجوه الإنسانية في التعامل مع ذوي الهمم أو ذوي الاحتياجات الخاصة<sup>(٣)</sup> في السنة النبوية:

الإعاقّة الذهنية أو البدنية ليست نقيصة من قدر الإنسانية التي هي مناط التكريم من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، ويتضح ذلك من عدة أمور:

- ١- محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الحنولي، الأدب النبوي، ص: ١١٧.
- ٢- رواه مسلم، في كتاب: اللقطة، باب: اب استِحْبَابِ الْمُوَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، ٣/ ١٣٥٤، حديث رقم (١٧٢٨).
- ٣- المراد بهم: العجزة، والعميان، والمرضى، والأعرج، والضعفاء وغيرهم. وهؤلاء جميعاً يجمعهم معنى واحد هو: الذي يحتاج إلى الآخرين في تدبير حياته الجسدية وهو عاجز عن توجيه نفسه في مجتمعه، وهو الذي لا يستطيع التحرك بفاعليه أمام الآخرين ولا يستطيع القيام بعمل منتج قياساً بمن هم في مثل عمره وجنسه وبيئته، وهو عاجز عن المشاركة في العلاقات الاجتماعية وتأمين العيش لنفسه.

**الشاهد الأول:** السعي في قضاء مصالحهم: الثابت من سنة النبي ﷺ وسيرته العطرة أنه كان يسعى في قضاء حوائج أصحاب الهمم، فعن أنس - رضي الله عنه - أن امرأةً كان في عقلها شيءٌ، فقالت: يا رسول الله ﷺ إن لي إليك حاجةً، فقال: «يا أم فلان انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق<sup>(١)</sup>، حتى فرغت من حاجتها<sup>(٢)</sup>.

**الشاهد الثاني:** التحذير من إيذائهم والسخرية منهم: فقد حذر النبي ﷺ أشد التحذير من تضليل الكفيف طريقه، أو إيذائه عبساً وسخرية، فقال ﷺ: «ملعون من كمه أعمى عن طريق»<sup>(٣)</sup>، أي أضله. (عن الطريق)، فإنه مأمور بهداية الضال عن طريقه<sup>(٤)</sup>، وهذا وعيد شديد، لمن اتخذ العيوب الخلقية سبباً للتندر أو التلهي أو السخرية، أو التقليل من شأن أصحابها، فصاحب الإعاقة هو أخ أو أب أو ابن امتحنه الله؛ ليكون فينا واعظاً، وشاهداً على قدرة الله، لا أن نجعله مادة للتلهي أو التسلي.

**الشاهد الثالث:** تثبيت ذوي الهمم أو ذوي الاحتياجات الخاصة على تحمل البلاء؛ ليصنع الإرادة في نفوسهم، ويبني العزم في وجدانهم، فعن عمران أبي بكر قال: حدثني عطاء بن أبي رباح قال: «قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله

١- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، ٤/ ١٨١٢. حديث رقم (٢٣٢٦).

٢- قوله: «فخلا معها في بعض الطرق» أي: وقف معها في طريق مسلك ليقضي حاجتها. شرح النووي على مسلم، ١٥/ ٨٢.

٣- رواه الإمام أحمد، في مسنده، ٣/ ٣٦٨.

٤- الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، (٩/ ٥٧٠).



أن لا أتكشف، فدعا لها<sup>(١)</sup> «فها هي المرأة التي كانت تعاني من مرض الصرع، وكانت الحالة تنتابها أحيانا وهي في الطريق فتسقط وتتكشف، فجاءت إلى رسول الإنسانية ﷺ، تسأله أن يدعو الله لها بالشفاء، وقد كان ﷺ قادرا على ذلك، إلا أنه وضع قاعدة لكل مريض مرض ميؤوس من شفاؤه أن يجعل هذا المرض ابتلاء وتمحيص لاختبار قوة الإيمان والصب والتحمل في الدنيا، والذي ليس له مكافأة في الآخرة إلا الجنة، فهنا يشد النبي ﷺ عضد المبتلى بحنو ورحمة ولطف بأن مايعانيه من ألم إذا صاحبه الصبر بقضاء الله تعالى، كان هذا عملا صالحا يكفل دخوله الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب، وهذه من أهم الوسائل التي يجب أن نشد بها أزر المبتلى ليهون عليه ابتلاءه، ويعلم أنه في خير.

#### الشاهد الرابع: الإحسان إلى كبار السن أو الشيبان:

إن من أهم المكارم الإنسانية العظيمة، والفضائل الجسيمة البر والإحسان إلى كبار السن، ورعاية حقوقهم، والقيام بواجباتهم، لما يصاحب هذه الفترة العمرية من حياة الانسان من ضعف عام، بحيث تظهر بعض التغيرات على جسم الانسان في حالة تقدمه في السن، مثل ثقل في السمع، وضعف في البصر والحواس بشكل عام، وبطء الحركة، وضعف الذاكرة والنسيان، وبروز هذه التغيرات يتطلب الرعاية بهم، ولذا قال نبينا ﷺ وهو يرشدنا إلى حق الكبير: «لَيْسَ مِنْ مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا»<sup>(٢)</sup>، لأن الإسلام دين الرحمة، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المرضى، باب: من يصرع من الريح، ١١٦/٧. حديث رقم (٥٦٥٢).

٢- رواه الترمذي في سننه، أبواب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في رحمة الصبيان، ٣/٣٨٥. حديث رقم (١٩١٩)، قال: «هذا حديث غريب...» والحديث رواه البخاري في الأدب المفرد، باب إجلال الكبير، ص: ١٣٠. حديث رقم (٣٥٨). وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

وفي القيم الانسانية في الإحسان إلى كبار السن شواهد كثيرة في السنة النبوية، اذكر منها:

أولاً: توقير كبار السن واحترامهم:

تواترت الأحاديث النبوية التي تجعل هذا الالتزام الإنساني وفق المنهج النبوي، ففي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» قيل: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ»<sup>(٢)</sup>.

فالسعيد الذي يبادر اغتنام فرصة برهما لثلاث فوته بموتهما فيندم على ذلك. والشقي من عقهما، لا سيما من بلغه الأمر ببرهما<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: «معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط والبول الذي رآياه منك في الصغر فلا تقذرهما وتقول أف. والآية أعم من هذا»<sup>(٤)</sup>.

وبمطالعة قصص كبار السن في واقع حياة كثيرين نجد مظاهر هذه القسوة من سوء معاملة الأبوين عند الكبر بارزة، خاصة وقد نفذت أسباب قوتهم، وخارت إراداتهم، وضعفت ذاكرتهم فيجحد الأبناء حقوقهم ويتقاذفونهم من بيت إلى

- ١- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب باب: رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يدخل الجنة ٤/ ١٩٧٨. حديث رقم (٢٥٥١).
- ٢- رواه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم، ٤/ ٢٦١، حديث رقم (٤٨٤٣). وابن أبي شيبة في مصنفه، في: الإمام العادل، ٤/ ١٤٠. قال الشيخ الألباني: «صحيح». انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ١٠/ ٥٦.
- ٣- تفسير القرطبي، ١٠/ ٢٤٢.
- ٤- تفسير القرطبي، ١٠/ ٢٤٢.

بيت، وقد يضيقون بهم ذرعاً فيتركونهم أمانه في مأوى اجتماعي، وهذه من أشد مظاهر قسوة الأبناء على الآباء، نسأل الله العفو والعافية.

وعليه ينطلق منهج السنة النبوية في توقير المسنين وإكرامهم من منطلق الحفاظ على إنسانية الإنسان، فجعل إكرام المسنين من إجلال الله. وربط بين توقير الخالق وتوقير المخلوق، وإجلال القوي سبحانه وإجلال المسن الضعيف، وذكر علامة، يُكرم بها صاحبها، هي الشيب، فكان حقاً على كل من رأى هذه العلامة في إنسان أن يكرمه ويجله.

وتحت لفظ «إكرام ذي الشيبة المسلم»، تأتي بيان قيم رعاية إنسانية الإنسان بكل صور الرعاية والإكرام للمسنين، كالرعاية الصحية، والرعاية النفسية، والرعاية الاجتماعية والاقتصادية، ومحو الأمية، والتعليم والتثقيف، وغيرها من صور العناية التي ينادي بها المجتمع الدولي الآن.

وإذا كنا نتكلم عن المسن الذي له عائل فمن ليس له عائل أولى وأحرى بالرعاية والحماية، لأن هؤلاء المسنين أفنوا أعمارهم في خدمة مجتمعهم، فكان واجبا على المجتمع رد الجميل لهم.

وقد استطاع صلى الله عليه وسلم بمنهجه الرباني الذي يتسم بالحلم والرحمة والتواضع أن ينمي عند صحابته الحافظ والدافع لرعاية المسن الرعاية الشاملة، وإن كانوا من أهل الذمة، فالله أرسله رحمة للعالمين، وليس للمسلمين فقط، فهي هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يفرض رواتب للعجزة من بيت المال احتراماً لإنسانيتهم - لم يقف عند هذا الحد وإنما كان يقوم بنفسه لخدمة بعض من العجزة وهو مما سار عليه الصحابة - رضي الله عنهم <sup>(١)</sup>. وقد ترك لعمر - رضي الله عنه -

١ - أحكام أهل الذمة، لابن القيم، ١ / ١٤٤، الخراج، لأبي يوسف يعقوب القاضي، ١٤٣-١٤٤. وأخرج السيوطي في تاريخ الخلفاء عن أبي صالح الغفاري: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيسقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها =

لمن بعده إرثاً إنسانياً وقدوة صالحة في التعامل مع المسنين دون النظر إلى نسبهم أو عرقهم أو لونهم أو دينهم، ذلك الإرث الذي يستند إلى قاعدة قرآنية نورانية وهي أن الإنسان بنیان الله - تعالى - وهو مكرم على سائر مخلوقاته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، هذا التكریم هو مادعی رسولنا الكريم ﷺ في موقف تتجلى الإنسانية فيه بأبهى معانيها أن يقف لجنازة يهودي في رحمة، ولماسئل عن ذلك قال: «إليست نفس»<sup>(١)</sup>. بهذا الموقف يضع رسولنا الكريم ﷺ أسس التعامل والتعايش مع الآخر فالله تعالى أمرنا أن نبر بالذين لم يقاتلونا في الدين قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكَمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

ثانياً: إحسان خطابه وتقديمه:

إن للمسن في الإسلام مكانة لا تدانيها مكانة وهو في نظر الشرع بمنزلة الأب والجد ألم يقل الله تعالى في محكم كتابه ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨]، فيجب معاملته بضوابط معاملة الأب والجد في الإسلام فلا يجوز التأفف منه أو انتهاره، ولا يعامل إلا بالتوقير والإجلال، ولا يخاطب إلا بالقول الكريم، فعن أبي أمامة بن سهل قال: صلينا مع عمر بن عبدالعزيز الظهر، ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس ابن مالك فوجدناه يصلي العصر، فقلت: يا عم، ما هذه الصلاة التي صليت؟ قال: العصر، وهذه

= وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها، فرصده عمر - رضي الله عنه، فإذا هو بأبي بكر - رضي الله عنه - الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر - رضي الله عنه: «أنت هو لعمرى». تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٦٥.  
١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ٢ / ٨٥ حديث رقم (١٣١٢).

صلاة رسول الله ﷺ التي كنا نصلي معه<sup>(١)</sup>، وعن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا<sup>(٢)</sup>.

وكذلك من صور الإحسان إلى كبار السن تقديمهم في وجوه الإكرام والتشريف عامة بتقديمهم في الكلام وفي المجالس، وتقديمهم في الطعام، والشراب والدخول والخروج. قال النبي ﷺ: «إذا سقي ابدؤوا بالكبراء أو قال بالأكابر»<sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يستنُّ وعنده رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فأوحى الله إليه في فضل السواك، أن كبر أعط السواك أكبرهما<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن كعب: «كان ﷺ إذا استن أعطى السواك الأكبر، وإذا شرب أعطى الذي عن يمينه»<sup>(٥)</sup>. إلى غير ذلك من وجوه الإكرام والتقديم.

- ١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر، ١ / ١١٥ حديث رقم (٥٤٩).
- ٢- رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب، ٤ / ٩١، حديث رقم (٣١٤١).
- ٣- رواه أبو يعلى في مسنده، مسند ابن العباس، ٤ / ١٢. قال الهيثمي في «المجمع» ٥ / ١٣١: «رواه أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط»، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.
- ٤- رواه أبو داود بإسناد حسن في سننه، كتاب الطهارة، باب: الرجل يستاك بسواك غيره، ١ / ١٣. حديث رقم (٥٠). قال الألباني في السلسلة الصحيحة: صحيح.
- ٥- ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢ / ٨٥٤، حديث رقم (٨٧٩٧).

ثالثاً: العفو عن جاهلهم، والحلم على سفيهم:

قد يكون كبير السن لم ينل حظه من التعلم والتربية الصالحة في صغره، وليس هذا سببا في سوء معاملته، بل هذا السبب أدعى إلى الحلم والتلطف به، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل والقدوة الصالحة بموقف حدث معه في غزوة أحد وإن كان المسن الذي آذى رسول الله ﷺ غير مسلم، إلا أن رسولنا الكريم رحمه لجهله، والقضية أنه لما توجه الرسول ﷺ بجيشه صوب أحد، وعزم على المرور بمزرعة لرجل منافق ضير، أخذ هذا الأخير يسب النبي ﷺ وينال منه، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَرَبِعُ بْنُ قَيْظِيٍّ، وَكَانَ أَعْمَى، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَجَازَ فِي حَائِطِهِ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى أَحَدٍ: لَا أَحِلُّ لَكَ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا أَنْ تَمُرَّ فِي حَائِطِي. وَأَخَذَ فِي يَدِهِ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ لَرَمَيْتُكَ بِهَا. فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ»<sup>(١)</sup>. ولم ينتهز رسول الله ﷺ ضعف هذا الضير، فلم يأمر بقتله أو حتى بأذيته، رغم ما قاله هذا الضير، وما فعل، فقد أبى رسول الله ﷺ إلا العفو عنه، والصفح له، فليس من شيم المسلمين الاعتداء على أصحاب الإعاقات فضلاً عن أنه من كبار السن، بل كانت سنته معهم؛ الرفق بهم، والاتعاظ بحالهم، وسؤال الله -تعالى- أن يشفيهم ويعافينا مما ابتلاهم. ويظهر من معاملة النبي ﷺ لهذا الرجل الضير من رعاية الشريعة الإسلامية للبعد الإنساني، فمن المقرر من هدي النبي ﷺ نهي عن قتل من لم يقاتل من الصبيان والنساء والشيوخ.

١ - ابن كثير، السيرة النبوية، ٢ / ٣٤٧.

## المبحث الثالث

## قيم ومبادئ الإنسانية في السنة النبوية في شأن الرفق بالحيوان

قبل أربعة عشر قرناً أعلن نبينا محمد ﷺ مبدأ الرفق بالحيوان أحد أعظم مبادئ الإنسانية، وقد حرص عليه الصلاة والسلام على صناعة الإنسان الإحساني الكوني؛ الذي لا يقتصر نفعه على نفسه ومحيطه الضيق فقط بل يتسع ليشمل الكون برمته.

فعمد ﷺ إلى غرس مبدأ الرفق بصورة عامة في جميع شؤون حياته، ليجعل منها سمة بارزة يتميز بها المؤمن، وعنصراً يقوي إيمانه، وفضيلة تزين عمله، وفي ذلك قول رسول الله ﷺ من حديث عائشة - رضي الله عنها - : «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»<sup>(١)</sup>. ومعنى الرفق في الأمر كله أي في مناحي الحياة، في علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بأخيه الإنسان مسلماً كان أو غير مسلم، وعلاقة بالحيوان، وعلاقة بالبيئة المحيطة به ليضع لنا دستوراً يرتقي بالإنسان إلى معارج الإنسانية.

وفي هذا المبحث أخص بالذكر بيان البعد الإنساني في التعامل مع الحيوان، فقد توافرت الأحاديث النبوية الدالة على أن الإحسان إلى الحيوان والرفق به قيمة إنسانية عظيمة وعبادة من العبادات التي قد تصل في بعض الأحيان إلى أعلى درجات الأجر وأقوى أسباب المغفرة، ونهت عن التعسف مع الحيوان، أو حبسه لعلة التعذيب والتي قد تصل في بعض الأحيان إلى سخط الله وعقابه ومن هذه الشواهد:

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الديات، ١٦/٩ حديث رقم (٦٩٢٧)؛ مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، ٤/٢٠٠٣. حديث رقم (٢٥٩٣). وتامه في كما صحيح البخاري عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - : «اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ». والحديث مظهر من مظاهر كمال الإنسانية في شخص سيد البرية، وطريقته الراقية في التعامل مع من يتعرض له بالأذى.

## أولاً: النهي عن تعذيب الحيوان ووجوب القيام بحقه في الطعام والشراب والراحة:

اهتمت السنة النبوية بتربية المسلم على القيم الإنسانية والحضارية الرفيعة التي ترقى بسلوك المسلم وتبرز إنسانيته ورحمته، ولذا أوصانا خيراً بالحيوان، وحثنا على التعامل معه برفق ورحمة، واحترام حقوقه، بل والإحسان إليه. وفي مظاهر هذا الرقي الإنساني في التعامل مع الحيوان جاءت أحاديث شتى نهت أشد النهي عن تعذيب الحيوان، فقد ورد في الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>. روى البخاري بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى صَلَاةَ الْكُسُوفِ، فَقَالَ: «دَنَتْ مِنِّي النَّارُ، حَتَّى قُلْتُ: أَيُّ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ، حَسَبْتُ أَنَّهُ قَالَ: تَخْدِشُهَا»<sup>(٢)</sup> هِرَّةٌ، قَالَ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا»<sup>(٣)</sup>.

فهذا النص الكريم يضع قاعدة في التعامل مع الحيوان، وقد كان للإسلام السبق في هذا الأمر، فمن تعاليمه التي انتشرت في ربوع الأرض ظهرت القوانين المتأثرة بتعاليم الإسلام السمحة مثل قوانين حماية الحيوان والرفق به، والناظر إلى هذا الأثر الذي بين أيدينا يجد أنه يحمل ترهيب ظاهر وترغيب خفي، أما الترهيب فهو التحذير من سوء معاملة الحيوان فهو لا ينطق بما يحتاجه أو بما يصيبه من ألم أو مرض، لذا كان عقاب المرأة التي تسلطت على قطة وحرمتها حرقتها فضلا عن حرمانها للطعام والشراب حتى ماتت، فما كان جزاء هذه المرأة التي اتسمت

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم، ٤/ ١٣٨ حديث رقم (٢٣٦٥)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلوة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها، من الحيوان الذي لا يؤذي، ٤/ ٢٠٢٢. حديث رقم (٢٦١٨).  
٢- قوله: «تخدشها هرة» قشر الجلد بعود أو نحوه ولو لم يدم. فتح الباري لابن حجر، ١/ ١١٠.  
٣- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشرب، باب: فضل سقي الماء، ٣/ ١١٢. حديث رقم (٢٣٦٤).



بالقسوة، ولم ترحم ضعف هذا الحيوان إلا أن يكون مصيرها النار، وأما الترغيب فهو من مفهوم المخالفة، فإذا كان إيذاء الحيوان وعدم الرفق به سببا من أسباب دخول الناي، إذا الإحسان إليه والرحمة به سببا من أسباب دخول الجنة،

ثانياً: النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه<sup>(١)</sup> فيه:

من مظاهر الرأفة والرحمة بالحيوان كما تعلمناها من رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه إحسان التعامل معه والاعتراف بكل حقوقه، فقد علمنا أيضاً أن الإساءة إلى الحيوان والقسوة عليه أو تعذيبه بأي شكل من الأشكال يحبط أعمال الإنسان وهو مخالف لكمال إنسانيته. يعرض مرتكب هذه الإساءة لغضب الله وعقابه فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ»<sup>(٢)</sup>، وروي عن جنادة بن جرادة أحد بني غيلان بن جاوة، أنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِإِبِلٍ قَدْ وَسَمْتُهَا فِي أَنْفِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا جُنَادَةُ مَا وَجَدْتُ فِيهَا عَضْوًا تَسْمُهُ إِلَّا فِي الْوَجْهِ، أَمَا إِنَّ أَمَامَكَ الْقِصَاصُ» فَقَالَ: أَمْرُهَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَتْنِي بِشَيْءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَسْمٌ» فَاتَيْتُهُ بِأَبْنٍ لُبُونٍ وَحَقَّةٍ فَوَضَعْتُ الْمَيْسَمَ فِي الْعُنُقِ فَلَمْ يَزَلْ، يَقُولُ: «أَخْرَ أَخْرَ» حَتَّى بَلَغَ الْفَخْدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَمَّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ» فَوَسَمْتُهَا فِي أَفْخَادِهَا وَكَانَتْ صَدَقْتَهَا حَقَّتَانِ وَكَانَتْ تَسْعِينُ»<sup>(٣)</sup>.

- ١- الوسم: أثر كية يقال: بعير موسوم، وقد وسمه يسمة وسما وسمة، وأصله كله من السمة وهي العلامة. شرح النووي على مسلم، ١٤ / ٩٧.
- ٢- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ١٦٧٣ / ٣.
- ٣- رواه الطبراني في الكبير، ٢ / ٢٨٣. قال الهيثمي: «الحديث رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨ / ١١٠.

وفي رواية عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه: «مَرَّ حَمَارٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ كُوِيَ فِي وَجْهِهِ، يَفُورُ مَنْخَرَاهُ مِنْ دَمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا» ثُمَّ نَهَى عَنِ الْكَيِّْ فِي الْوَجْهِ وَالضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ»<sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ يوجه إلى قيمة إنسانية رفيعة، جعل الالتزام بها أحد منظومة الإخلاق الإنسانية ألا وهي: «الرفق بالحيوان»، فمن خلال تعاليمه يحرص على التعامل الإنساني الرحيم مع الحيوان. وينهى المؤمنين الذين تمكنت الإنسانية من قلوبهم عن الضرب في وجه كل حيوان محترم، من الحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها. فضلاً عن الوسم في الوجه فهو منهي عنه بالإجماع، إذ لا حاجة إليه فلا يجوز تعذيب الحيوان به.

ثالثاً: النهي قتل الحيوان دون حاجه والتمثيل به:

أنه بالقدر الذي أوصلت به الشريعة الإسلامية الإحسان إلى الحيوان والرفق به ووضعت أجر ذلك إيصال الإنسان إلى أعلى درجات العبادة، أوصلت الإساءة للحيوان وتعذيبه إلى أعمق دركات الإثم والمعصية، فالمسلم الذي تمكن الإنسانية من قلبه ينأى بنفسه عن كل قسوة في التعامل مع الحيوان. فقد روي عمرو بن الشريد - رضي الله عنه - أنه قال: سَمِعْتُ الشَّرِيدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

١- رواه ابن حبان في: الإحسان، ٤٥٦/٧ في صحيحه. انظر: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد، ٣١٦/٦.

٢- رواه النسائي في سننه، كتاب: الضحايا، باب: من قتل عصفورا بغير حقها، ٢٣٩/٧، وابن حبان في صحيحه، كتاب الذبائح، باب ذكر الزجر عن ذبح المرء شيئاً من الطيور عبثاً دون القصد في الانتفاع به، ٢١٤/١٣. وقال الحافظ في التلخيص، ٣٨٠/٤: "صحيح الإسناد، وأعله ابن القطان بصهيب مولى ابن عامر، الراوي عن عبد الله، فقال: لا يعرف حاله، ورواه الشافعي وأحمد والنسائي وابن حبان عن عمرو بن الشريد عن أبيه مرفوعاً، بلفظ: "من قتل عصفورا عبثاً؛ عج إلى الله يوم القيامة، يقول: إن فلانا قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة".

وَالْعَجَّ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - معناه: رفع صوته إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لأجل الشكوى من الذي قتله لاعتباً. وفيه دليل على أنه: أنه لا ينبغي قتل الحيوان بغير حاجة<sup>(١)</sup>.

لأنه من الإسراف المنهي عنه، وفيه إضرار بمورد من موارد الطبيعة، والضرر والضرار منهي عنه في الإسلام، فإذا لم يكن هناك حاجة أو ضرورة لقتل الحيوان فلا يجوز أن نتعرض له بأذى وروى الحاكم في المستدرک عن عبد الله عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَقْتُلُ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بغير حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: «حَقُّهَا أَنْ يَذْبَحَهَا فَيَأْكُلَهَا وَلَا يَقْطَعَنَّ رَأْسَهَا فَيُرْمِيَ بِه»<sup>(٢)</sup>. ففي هذا الحديث بين رسولنا الكريم أن الثروة الحيوانية التي منحنا الله تعالى إياها لا يجوز للإنسان أن يتصرف فيها بعبث، فالله خلق كل شيء على وجه الأرض لخدمة الإنسان حتى يقوم بمهمته التي خلقه الله تعالى من أجلها وعبادة الله تعالى وإعمار الأرض، لذا يجب أن يتعامل مع موارد البيئة برفق دون إسراف أو إضرار، لذا بلغ حرص رسولنا الكريم على هذه الثروة مبلغه حتى في وقت الحرب فقد أمر أصحابه بعدم قتل حيوانات العدو إلا لحاجة الأكل.

كما نهى النبي ﷺ عن التمثيل بالحيوان، ولو كان كلباً عقوراً: بما أخرجه البخاري ومسلم في الأحاديث الدالة على تصبير البهائم، وهي دالة على لعنة من مثل بالحيوان وكان النبي ﷺ «يَنْهَى عَنِ الْمَثَلَةِ وَلَوْ بِالْكَلبِ الْعُقُورِ»<sup>(٣)</sup>، وعن سمرة

- ١- محمد بن علي بن آدم الإثيوبي الوَلَوِيُّ، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، ٦٣/٣٤.
- ٢- رواه الحاكم في المستدرک، كتاب الذبائح، ٤/٢٦٤. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح".
- ٣- رواه الطبراني في المعجم الكبير، ٩٧/١. قال الهيثمي: "الحديث رواه الطبراني، وهو مرسل، وإسناده حسن. مجمع الزوائد، ٩/١٤٥. وراوي هذا الحديث هو: عوانة بن الحكم، وهو حديث طويل ورد في شأن مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفيه: قال: لَمَّا ضَرَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ عَلِيًّا - رضي الله عنه - وَجُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، أَنَاهُ الْعَوَادُ... فَقَالَ عَلِيُّ لِلْحَسَنِ - رضي الله عنهما: إِنَّ بَقِيَّةَ رَأْيْتُ فِيهِ رَأْيِي، وَإِنْ هَلَكْتُ مِنْ ضَرْبَتِي هَذِهِ فَاضْرِبْهُ ضَرْبَةً، وَلَا تَمَثِّلْ بِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يَنْهَى عَنِ الْمَثَلَةِ وَلَوْ بِالْكَلبِ الْعُقُورِ».

بن جندب - رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ الْمَثَلَةِ»<sup>(١)</sup>. لأن المثلة بالحيوان فيها تعذيب لروح خلقها الله تعالى، ولا يملك هذا الحيوان أن يدافع عن نفسه، فتكفلت الشريعة بهذا الأمر ووضعت دستوراً للرفق بالحيوان لا تضاهيه دساتير الدنيا.

ثانياً: النهي عن التعسف في استعمال الحق:

نهى النبي ﷺ عن تعسف الإنسان في استعمال حقه مع الحيوان. وشواهد في السنة النبوية كثيرة:

### الأول: إحسان الذبح

روي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رضي الله عنه -، أَنَّهُ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفَظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ «فأحسنوا القتلة» عام في كل قتل من الذبائح والقتل قصاصاً وفي حد ونحو ذلك وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام<sup>(٣)</sup>. فمع أن الإسلام أباح ذبح الحيوان لأكله إلا أن هذه الإباحة مقيدة بضوابط تمنع الضرر والتعسف وتتسم بالرفق، فيجب أن يكون الذابح ماهراً في الذبح ويحد شفرته حتى لا يُعذب الذبيحة أثناء الذبح، ولا يذبح الحيوان أما حيوان آخر لعدم ترويعه.

- ١- رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ٤ / ٤٤٤؛ وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب: في النهي عن المثلة، ٣ / ٥٣؛ حديث رقم (٢٦٦٧). وابن حبان في صحيحه، ١٢ / ٤٣٤. وصححه الشيخ الألباني، كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود، ٦ / ١٦٧.
- ٢- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة ٣ / ١٥٤٨، حديث رقم (١٩٥٥)؛ والترمذي في سننه، أبواب: الديات، باب: ما جاء في النهي عن المثلة، ٣ / ٧٥. حديث رقم (١٤٠٩). وقال حديث حسن صحيح.
- ٣- شرح النووي على مسلم، ١٣ / ١٠٧.

الثاني: عدم حد الشفرة أمام الحيوان المراد ذبحه، منعا لترويعها، ومن يفعل ذلك فكأنما ذبح الحيوان مرتين.

روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ، أنه قال: «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى رَجُلٍ وَاضِعَ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ، وَهُوَ يَحْدُ شَفْرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِيَصْرِهَا، فَقَالَ: «أَفَلَا قَبْلَ هَذَا، أَتُرِيدُ أَنْ تَمِيتَهَا مَوْتَيْنِ؟!»<sup>(١)</sup>.

### الثالث: الرحمة بالحيوان

روي عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةِ أَنْ أُذْبَحَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وهنا يبين رسولنا الكريم ﷺ أن رحمة الإنسان للحيوان، سببا في رحمة الله تعالى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على منهج الشريعة في الحرص على ترسيخ مبدأ الرحمة والرفق بالحيوان. والله تعالى أعلى وأعلم.

١- رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ٤/ ٥٣؛ والحاكم في المستدرک، کتاب: الأضاحي، ٤/ ٢٥٧، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري.

٢- رواه الحاكم في المستدرک، کتاب: الأضاحي، ٤/ ٢٥٧، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح".

## الخاتمة

وفي ختام هذا البحث: فإن إنسانية الإنسان في السنة النبوية باب واسع يتسع ليشمل كل ما خلقه الله تعالى، من تربية الولدان على منظومة متكاملة من القيم الإنسانية بفضائل الصفات ومكارم الأخلاق، مما يعود على المجتمع بجعله مجتمعاً إنسانياً سعيداً، كما وراعت السنة النبوية إنسانية الفئات الضعيفة من بني الإنسان، والحيوان، وهذه من الرحمة العامة التي جاء بها نبينا الكريم ﷺ، لتكون شاهدة على كمال نبوته وجمال رسالته وعظيم إنسانيته، وعلى الأمة في مجموعها السير على نهجه لتسعد البشرية بحياة آمنة مطمئنة هادئة ومستقرة.

لقد جعل النبي ﷺ مبدأ الإنسانية مبدأ عالمياً وواقعياً وشاهداً على سمو رسالته، وأنها جاءت لصالح العالمين، وأن ما تقع فيه الأمة من عثرات مصحوبة بالقسوة أو الغلظة سببه الانحراف عن منهج النبوة، والاحتكام إلى سيء الطباع وقبيح الأعراف، وهذا يدعونا إلى تجديد الدعوة بين الحين والآخر وعبر كل وسيلة إلى حتمية العودة إلى ميراث النبوة لصالح وسعادة البشرية.

ولقد كان من أهم نتائج البحث:

١. عند قراءة السنة النبوية يتأكد لنا أسبقية السنة النبوية قبل ألف وأربعمائة سنة قبل العالم كله إلى سن منظومة أخلاقية متكاملة من القيم الإنسانية النبيلة في تربية الإبناء ورعاية الفئات الضعيفة والرفق بالحيوان ما أحوج الإنسانية جمعاء إلى اقتباس هذه القيم الإنسانيو من هذه المدرسة الحضارية والتحلي بها والعمل على ترسيخها بعدما نخر كيانها العنف والتطرف بشتى أنواعه في الواقع المعيش وفي العالم الافتراضي الرقمي، وتجاه الإنسان والحيوان.
٢. أن الاهتمام بتربية النشء - ذكوراً وإناثاً - على منهج النبوة ضمانة أساسية

لتربية جيل قادر على تحمل المسؤولية وضرب أعظم المثل في خدمة الأوطان وتقديم يد العون والمساعدة في مختلف أرجاء العالم إعلاءً لقيم الإنسانية.

٣. يكشف البحث عن الوجوه المثالية المستقاة من منهج خير البشرية في التعامل مع الفئات الضعيفة من اليتامي والأرامل والمساكين وأصحاب الهمم وكبار السن وغيرهم، تمكيناً لهم في القيام بدور مجتمعي مواز للدور الذي تقوم به بقية فئات المجتمع، بلا سخرية ولا إزدراء، بل على وجه التكامل والمساواة والإنسانية.

٤. وفي شأن الرفق بالحيوان: فإن منهج السنة النبوية من خلال إعمال مبدأ «الإنسانية» قاطع بجمال وكمال هذه الشريعة الغراء، التي وضعت من قوانين الحماية ما يندر أن يتحقق في النظم الوضعية المعاصرة، وأن أقصى ما قررته هذه النظم من وجوه الحماية ما هو إلا قطرة من بحر الإنسانية التي جاء بها رسول الإنسانية، رحمة للعالمين.

لكل ما تقدم أوصي بـ:

إخراج بحوث هذه الندوة لتصل إلى جميع بقاع المسلمين، وغير المسلمين بترجمتها إلى لغاتهم سيكون من البر الذي يدوم خيره ولا ينقطع ثمره، وسيكون خير شاهد على أن الإسلام دين الرحمة والتسامح والتعايش السلمي؛ لأن رسوله ﷺ جاء رحمة للعالمين، من الآدميين، ولكل كائن حيواناً كان أو طائراً، أو حجراً، أو مرفقاً، أو شجراً.

وفي الختام فإن الشكر الجزيل لجامعة الوصل بكل عناصرها القيادية والأكاديمية والإدارية ممثلة في شخص رجل البر والإنسانية معالي الشيخ «جمعة الماجد» حفظه الله تعالى بحفظه الجميل، وزاده من فضله ما تقر به عينه، فقد كان

ولازال وسيظل مثلاً رائداً في الخير والإنسانية.

ومن بعده العقل المفكر السامي دوماً المتطلع إلى مزيد من التجديد والتطوير، معالي الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن «مدير الكلية» وعقلها المنير، وإلى جميع الأساتذة أعضاء هيئة التدريس بجامعة الوصل، وخاصة القائمين بأمر هذه الندوة التي باتت خير ظهير للدفاع عن السنة النبوية ومناصرة قضاياها الراشدة، مما جعل جميع قلوب الباحثين والباحثات من أي بقعة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي تهفو للكتابة في جانب من جوانب طرحها العلمي المستنير، الذي يزيد السنة النبوية ثراءً في معالجة مختلف القضايا بأسلوب علمي راق ومتميز. وختاماً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



### فهرست بأهم المصادر والمراجع

- ابن السني، عمل اليوم والليلة، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة .
- ابن القيم، أحكام أهل الذمة، رمادى للنشر، الدمام، ١٤١٨ - ١٩٩٧ م.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ط: ٦، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ابن قدامة المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة، ط: ١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ابن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه (ت الأرنؤوط)، دار الرسالة العالمية، الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، ١٩٨٦ م.
- أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال، شرح صحيح البخاري لابن بطلال، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط: ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- أبو الحسن نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- أبو الحسن نور الدين الهيثمي، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، دار الثقافة العربية، دمشق، ط: ١، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
- أبو الفداء ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت، ط: ١، ١٤١٩ هـ.

- أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين - القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت).
- أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ م.
- أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤ م.
- أبو بكر بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد - الرياض، الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- أبو داود سليمان السجستاني، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- أبو عبد الله المواق المالكي، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٤ م.
- أبو عبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١١ - ١٩٩٠ م.
- أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٠٩ هـ.
- أبو يوسف يعقوب القاضي، الخراج، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١١ - ١٩٩١ م.
- أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- أحمد كمال الدين عبد الجواد، الاعجاز العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ، بحث منشور، بموقع موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.quran-on-com).
- بدر الدين العيني، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ب، ت).

- بهاء الدين المقدسي، العدة شرح العمدة، دار الحديث، القاهرة، بدون طبعة، : ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.
- البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، دار العربية - بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣ هـ.
- بيان الإسلام للرد على الشبهات المثارة حول الإسلام، موقع بيان الإسلام موقع الكتروني (bayanelislam.nwt).
- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- جمال الدين أبو الفرج الجوزي، صفة الصفوة، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط: ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- زين الدين ابن نجيم المصري، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، ط: ٢، بدون تاريخ.
- زين الدين محمد الحدادي ثم المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الأولى، ١٣٥٦ هـ.
- سراج الدين ابن الملتن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط: ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الهدى النبوي في تربية الأولاد، مطبعة سفير، الرياض، ٢٠٠١ م.
- شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: ٧، ١٣٢٣ هـ.
- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: ١، ١٩٩٤ م.
- شهاب الدين الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الطبعة: ط أخيرة - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٣ هـ.
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، ط: ٢، ١٤٠٣ هـ.

- عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط: ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- عياض بن موسى بن عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- كمال الدين، أبو البقاء الشافعي، النجم الوهاج في شرح المنهاج، دار المنهاج (جدة) المحقق: لجنة علمية الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية بيروت، ط: ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٨٦م.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، المبسوط، دار المعرفة - بيروت، (ب، ت) ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، ط: ٢، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.
- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، المحقق: محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط: ٤، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
- محمد بن حبان أبو حاتم، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.
- محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط: ٢، ١٤٢٦هـ.
- محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، دار الحديث، مصر، الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- محمد بن علي بن آدم الإثيوبي الوَلَوِي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، دار المعراج الدولية للنشر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي، الجامع الكبير - سنن الترمذي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨ م.
- محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ٢، ١٤١٥ هـ.
- محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي، الأدب النبوي، دار المعرفة - بيروت، ط ٤، ١٩٨٨ م.
- محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف - الرياض، (ب، ط)، (ب، ت).
- محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط: ٤، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- محمود بن عمر بن مازة البخاري، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مصطفى غالب، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦ م
- منصور بن يونس البهوتي الحنبلي، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، (ب، ط)، (ب، ت).
- هامبشير وينشستر، مجله العلوم الأمريكية (موقع إلكتروني)، عدد (٤ أغسطس ٢٠٠٩ م) تاريخ الدخول (١٥ / ٥ / ٢٠٢٢ م).
- يحيى بن شرف النووي، الأذكار، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ٢، ١٣٩٢ هـ.

إنسانية الإنسان في السنة النبوية:  
القيم والروابط الأسرية نموذجاً

د. ليلى أحمد سالم المشجري

الأستاذ المساعد بأكاديمية ريدان

دولة الإمارات العربية المتحدة

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.15>





## Abstract

The family relations and bonds in the Sunnah of the Prophet are an integral piece of legislation, and a guarantee for the protection of human humanity over the course of time, and that the elements of humanity in it are visible in more than one way. Parallels with moral, religious and social values. This aspect appears in all stages of family construction, even in permissible matters within the scope of marital relations.

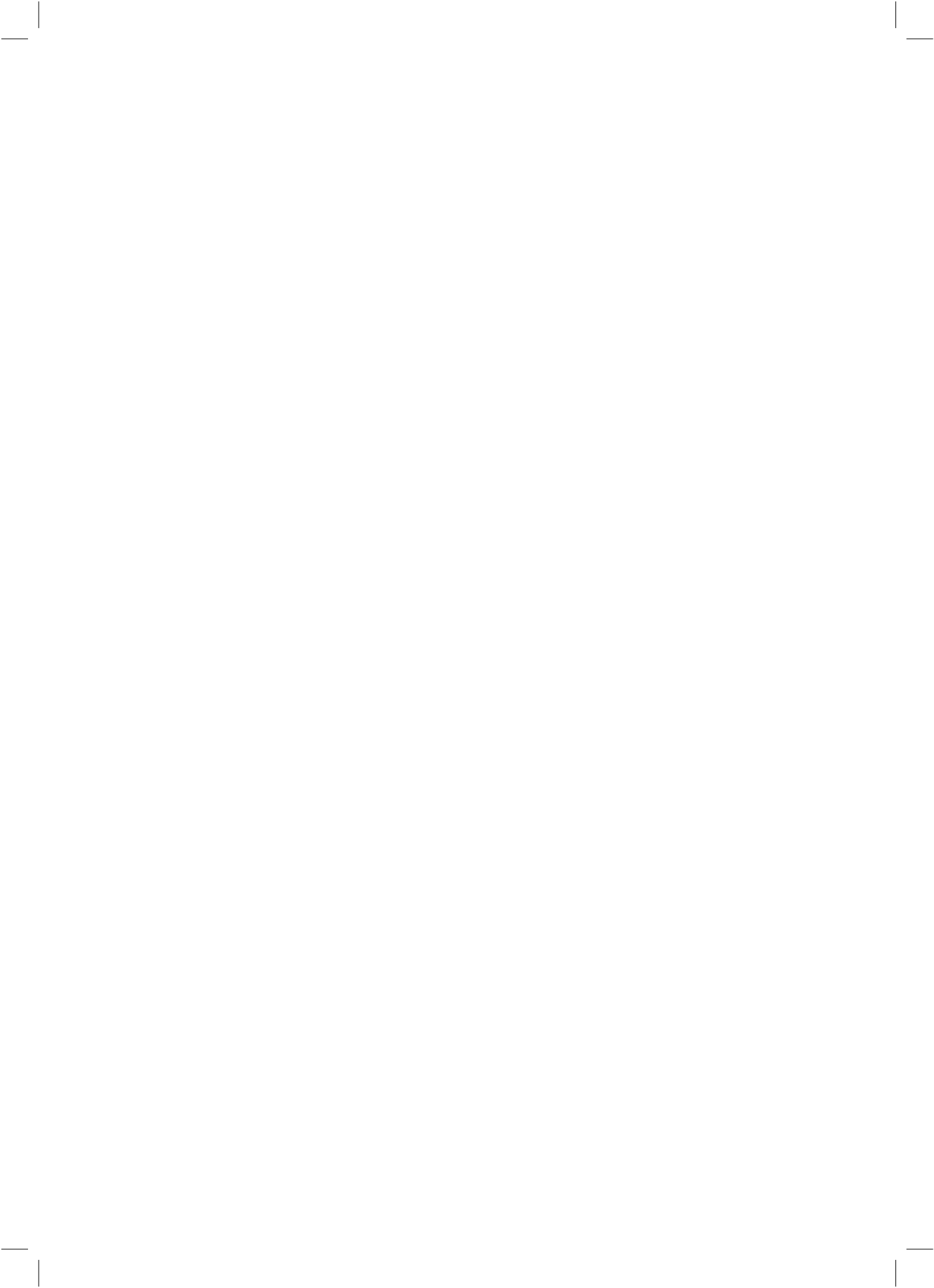
**Keywords:** Humanity, Human, Prophetic Sunnah, values, Links, family

## ملخص البحث

إن العلاقات والروابط الأسرية في السنة النبوية تشريع متكامل الأركان، وضمان لحماية إنسانية الإنسان على مدى الدهر، وأن عناصر الإنسانية فيها ظاهرة للعيان في أكثر من وجه، فالمنهج النبوي في الإطار الإنساني يهدف إلى الإعلاء والتسامي بالغرائز والدوافع والشهوات، والسمو بها إلى مستويات الروحية والأنشطة الخلقية الموازية مع القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية. ويظهر هذا الوجه في جميع مراحل البناء الأسري، حتى في الأمور المباحة في نطاق العلاقات الزوجية.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية، الإنسان، السنة النبوية، القيم، الروابط، الأسرة





### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين، البرّ الرحيم، الجواد الكريم، والصلاة والسلام على رسول الإنسانية، المبعوث رحمة من الله لسعادة البشرية، عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، المهديين الأخيار خير من شرفت بهم الأمة المحمدية، وبعد:

فإن الناظر في سنة النبي -ﷺ- يجد أنها أساس كل بناء أسري، واستقرار مجتمعي، فهي قوام كل اعوجاج، وصلاح كل فاسد؛ لأنها من نبع القرآن الكريم الذي جعله الله تعالى مصدر هداية العالمين، وقانون سعادة الأولين والآخرين، والتسليم بأحكامهما واجب، فإن نعم الله -ﷻ- على عباده كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، وأجلُّ نعمة أنعم الله بها على الإنس والجن في آخر الزمان أن بعث فيهم رسوله الكريم محمداً -ﷺ-، فبلغهم ما أرسل به إليهم من ربهم على التمام والكمال، وقد قال الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري -رحمه الله-: (من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله -ﷺ- البلاغ، وعلينا التسليم) (١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ-: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: «وَمَا فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- شَيْئًا قَطُّ إِلَّا بَوْحِيٍّ فَمِنْ الْوَحْيِ مَا يُتْلَى وَمِنْهُ مَا يَكُونُ وَحِيًّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-»

١ - ذكره البخاري عنه في أول باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧ من كتاب التوحيد من صحيحه، ١٩٤ / ٩.

٢ - صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب كيف نزل الوحي، ١٨٢ / ٦، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (إلى جميع الناس، ١ / ١٣٤ رقم: ١٥٢).

فَيَسْتَنُّ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

والعلاقات والروابط الأسرية في السنة النبوية تشريع متكامل الأركان وعناصر الإنسانية فيها ظاهرة للعيان في أكثر من وجه، فالمنهج النبوي في الإطار الإنساني يهدف إلى الإعلاء والتسامي بالغرائز والدوافع والشهوات، والسمو بها إلى مستويات الروحية والأنشطة الخلقية الموازية مع القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية. ويظهر هذا الوجه في جميع مراحل البناء الأسري، حتى في الأمور المباحة في نطاق العلاقات الزوجية، ومن هذه الأحاديث ما روي في الصحيح عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»<sup>(٢)</sup>. فقد جعل - صلى الله عليه وسلم - مجرد قضاء الشهوة مع الزوجة - وهو أمر مباح - جعل مجرد الاشتغال بهذا الأمر صدقة، لأن الاشتغال به في ذاته انصراف عن الحرام، ولو كان الدافع إليه قضاء المتعة واللذة والشهوة البشرية.

واهتم الإسلام الحنيف بتنظيم العلاقة الزوجية بين الزوج والزوجة بما ينتظم به عقد الحياة الدنيا، وبما يعود بالنفع الكثير على الأفراد والأسرة والمجتمع. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»<sup>(٣)</sup>.

- ١- الشافعي: الأم (٧/ ٣١٤). وقال في الرسالة: "وفي شهادته له بأنه يهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله، والشهادة بتأدية رسالته، واتباع أمره، وفيما وصفت من فرضه طاعته، وتأكيده إياها في الآي ذكرت: ما أقام الله به الحجة على خلقه، بالتسليم لحكم رسول الله واتباع أمره". الرسالة للشافعي، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م، ١/ ٨٨.
- ٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٦٩٧/٢ رقم: ١٠٠٦.
- ٣- أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب حق اليتيم، ١٢١٣/٢، رقم ٣٦٧٨، قال البوصيري (٤/ ١٠٣): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات " والنسائي في سننه، باب حق المرأة على زوجها، ٣٦٣/٥، رقم: ٩١٤٩؛ وابن حبان في صحيحه، ٣٧٦/١٢، رقم: ٥٥٦٥؛ والحاكم في المستدرک، ٤/ ١٤٢، رقم ٧١٦٧ =

وفي الحديث خير شاهد على النهي عن تضييع حقوق الضعيف واليتيم، والمرأة، وبيان أنه من الظلم الثابت بيقين، قال ابن الأثير معني: «أخرج» أي: أضيقه وأحرمه على من ظلمهما. يقال: خرج علي ظلمك: أي حرمه. وأخرجها بتطبيقه: أي حرمها<sup>(١)</sup>.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار معالم إنسانية الإنسان في مجال الروابط الأسرية من خلال المنهج النبوي الراشد، وخاصة:

١- إظهار أثر القيم الأسرية والمجتمعية المنبثقة من السنة النبوية في تحقيق الاستقرار الأسري وتكامل بنيانه؛ لتحقيق الكثير من عوامل أمن الأوطان وازدهارها

٢- من شأن البناء المجتمعي بصفة عامة والبناء الأسري بصفة خاصة، وفق منهج الإنسانية الذي جاء به خير البشرية، صلاح الحال والمآل؛ لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع.

٣- تهذيب الغرائز الإنسانية وإشباعها على الوجه المأمور به شرعاً، صوناً للأعراض من الامتهان أو الابتذال، وسد منافذ التهجم على الحرمات، وحياة النساء والفتيات حياة آمنة بعيدة عن غوائل الجريمة؛ لأنه إذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة.

= وقال: "صحيح على شرط مسلم". وحسنه الالباني. انظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه: ٨ / ١٧٨. وقوله: "أخرج" من التحريج أو الإخراج. أي: أضيقت على الناس في تضييع حقهما، وأشدد عليهم في ذلك. هامش سنن ابن ماجه، شرح محمد فؤاد عبد الباقي، ٢ / ١٢١٣. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٣٦١.

٤- تقرير حق المرأة في التحصن من موجبات الفتن عنصر أمن وأمان لها في نفسها وفي أسرتها وبيئتها، خاصة وأن سيطرة الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد عمل ممقوت شرعاً وطبعاً.

#### سبب اختيار البحث:

يرجع اختياري لهذا الموضوع من موضوعات المحور الخامس لبيان أن إنسانية الإنسان في السنة النبوية تستوعب جميع التصرفات والعلاقات المجتمعية، وأن البناء الأسري السليم وفق منهاج النبوة يضمن تكامل منظومة حقوق الإنسان في مختلف المجالات، وأنه متى كانت الشريعة الإسلامية كانت الإنسانية، مع الأخذ في الاعتبار أهمية استشعار مراقبة الله عز وجل في كل التصرفات الإنسانية.

#### منهج البحث:

تتطلب دراسة هذا البحث الاعتماد على:

المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع تفاصيل الموضوع وفق تناول السنة النبوية له، وما عليه الحال في الواقع المعاصر.

المنهج التحليلي: وذلك من خلال تحليل دلالة السنة النبوية على الموضوع محل البحث.

#### الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الدراسات السابقة في مجال حقوق المرأة والأسرة، سواء من منظور فقهي أو تربوي أو مجتمعي، إلا أن دراستي هذه تتناول الموضوع من منظور إنساني في ضوء دلالة السنة النبوية، مما يزيد الموضوع الكثير من الأهمية، في نطاق طرح الندوة «إنسانية الإنسان» في السنة النبوية.

## خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين، وخاتمة:

المقدمة في التعريف بالموضوع وفائدته، وسبب اختياره، ومنهج البحث والدارسات السابقة، وخطته.

المبحث الأول: معالم الإنسانية في الحق في الزواج وفروعه في السنة النبوية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الحق في الزواج حق إنساني.

المطلب الثاني: تقرير حق المرأة في التزوج للتحصن من الشيطان.

المطلب الثالث: تنظيم الحق في التعدد بما يضمن الموازنة بين الزوجة وبين حقها في التحصن

المطلب الرابع: مراعاة رضا الفتاة تقديراً لكرامتها الإنسانية.

المطلب الخامس: وجوب تيسير أمور الزواج لتحصين الشباب والفتيات.

المطلب السادس: وجوب اختيار الزوجة التي تتوافر فيها الصفات الإنسانية الطيبة.

المبحث الثاني: الحقوق الإنسانية في العلاقات الزوجية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حق المرأة في التعليم والتعلم حق إنساني.

المطلب الثاني: تنظيم الحق في التأديب بما يحفظ على المرأة كرامتها وإنسانيتها.

المطلب الثالث: تنظيم الحق في الهجر بما يتفق وإنسانية المرأة وكرامتها.

المطلب الرابع: وجوب تصحيح النظر إلى المرأة على أنه سر يجب أن يخبأ.

المطلب الخامس: المعاشرة بالمعروف والمجاملة والملاينة.

## المبحث الأول

### معالم الإنسانية في الحق في الزواج وفروعه في السنة النبوية

إشباع الغريزة الإنسانية بالطرق المشروعة حق إنساني، تواترت النصوص الشرعية بوجوبه، سواء في حق الرجل أو في حق المرأة، صوناً للأعراض عن الامتهان أو الابتذال. وفي السنة النبوية من القيم والآداب ما يضمن تهذيب هذا الحق، ويحقق المقاصد الشرعية التي تعبدنا الله تعالى بها، وبيان ذلك في سبعة مطالب:

#### المطلب الأول: الحق في الزواج حق إنساني:

يهدف المنهج النبوي في الإطار الإنساني إلى الإعلاء والتسامي بالغرائر والدوافع والشهوات، والسمو بها إلى مستويات الروحية والأنشطة الخلقية الموازية مع القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية.

ولما كانت مرحلة الشباب أيضاً مرحلة قوة في الشهوة الجنسية، لزم الاهتمام بها، وتحصين الشباب من الوقوع في المعصية، من أجل ذلك حرص الرسول - ﷺ - على تحصين شباب الصحابة - رضي الله عنهم -.

ويظهر ذلك في قول النبي - ﷺ -: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ

بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» (١) (٢).

وفي الحديث خير شاهد على أهمية ضبط الغريزة الجنسية وإشباعها بالطرق المشروعة؛ لدفع الشهوة، خاصة لدى الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء، ولا ينفكون عنها- كما ذكر النووي في شرحه (٣)-؛ ولذا علل النبي -ﷺ- طريقة التحصين بالصوم بقوله: «-ﷺ-»: ﴿فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ﴾ أي وقاية من الوقوع في الفاحشة والآثام- وإنما خص الشباب بوصيته الغالية لحاجتهم إليها بحكم نوازعهم الفطرية والشباب في هذه السن الباكرة يكونون أصلح للتربية والتوجيه، وأسمع للنصح والترشيد. فإذا وجدوا من يأخذ بأيديهم اتبعوه، وعملوا بأمره.

حيث إن هذا التوافق فيه تصريف للطاقة الزائدة داخل نفس المراهق وتساعده في بناء نفسه وتحميه من الغرق في ملذات الحياة دون وجود رقابة ذاتية ودينية تضبط سلوكه وتحدد وجهته وتأخذ به إلى طريق التوفيق والسداد حيث كان النبي -ﷺ- يُقَوِّمُ سلوك الشباب من حوله ويرشدهم إلى التمسك بتعاليم دينهم ويمنعهم من الوقوع في الخطأ.

ويستفاد مما تقدم أن إشباع الغريزة الإنسانية بالطرق المشروعة حق من حقوق الإنسان رجلاً كان أو امرأة، وأن القوة البشرية والطاقة الإنسانية لها حد مقبول عند درجة معينة، تختلف باختلاف درجة القرب من الله تعالى، فلو لم يتم إشباعها على الوجه المعتبر شرعاً لكانت هناك مذلة أقدم نعوذ بالله منها.

- ١- الوجاء: هو رض الخصيتين. والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المنى كما يفعله الوجاء. النووي: شرح صحيح مسلم، ١٧٣/٩.
- ٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي -ﷺ-: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح»، ٣/٧، حديث رقم: ٥٠٦٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، ١٠١٨/٢-١٠١٩ حديث رقم: ١٤٠٠.
- ٣- شرح النووي على مسلم، ١٧٣/٩.



عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ،  
«فَرَخَّصَ لَهُ»، وَأَتَاهُ آخِرُ، فَسَأَلَهُ، «فَنَهَاهُ»، فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ، وَالَّذِي نَهَاهُ  
شَابُّ»<sup>(١)</sup>.

وتحصين المتعفف بالنكاح حق على الله تعالى، روى النسائي عن أبي هريرة  
- رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَوْنُهُمُ الْمُجَاهِدُ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ وَالنَّكَاحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَاةَ وَالْمَكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: (حق على الله عونه) أي لازم عليه تعالى بمقتضى كرمه ووعدده.  
(يريد التعفف) أي الكف عن الوقوع في المحارم<sup>(٣)</sup>.

وتأكيداً للحق في الزواج - كحق إنساني - أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى تيسير  
مسالكه والتوسط في تدبير موارده؛ فقد زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض أصحابه على  
ما معه من القرآن الكريم، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ  
لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «هَلْ تَزَوَّجْتَ يَا فَلَانُ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا عِنْدِي  
مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ قُلُوبُ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «ثَلَاثُ الْقُرْآنِ»،  
قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «رُبْعُ الْقُرْآنِ» قَالَ:  
«أَلَيْسَ مَعَكَ قُلُوبُ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «رُبْعُ الْقُرْآنِ» قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ

١ - أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصوم، باب كراهيته للشباب، ٧٨١ / ٢، حديث رقم: ٢٣٨٧، وابن  
ماجه بنحوه، عن ابن عباس، قال: «رُخِّصَ لِلْكَبِيرِ الصَّائِمِ فِي الْمُبَاشَرَةِ، وَكُرِهَ لِلشَّابِّ» كتاب الصيام،  
باب ما جاء في المباشرة للصائم، ١ / ٥٣٩، حديث رقم: ١٦٨٨، وحسنه الألباني، كما في صحيح  
وضعيف سنن ابن ماجه، ٤ / ١٨٨.

٢ - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في المجاهد والنكاح والمكاتب وعون الله إياهم  
٤ / ١٨٤، رقم: ١٦٥٥، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن»؛ والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الجهاد،  
باب فضل راحة في سبيل الله، ٣ / ١٢، رقم: ٤٣٧٨؛ وابن ماجه في سننه، باب المكاتب، ٢ / ٨٤١، رقم:  
٢٥١٨.

٣ - هامش سنن ابن ماجه، ٢ / ٨٤١.

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «رُبِعَ الْقُرْآنِ» قَالَ: «تَزَوَّجَ تَزَوَّجٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث توجيه رشيد لكل من ولي أمر فتاة أن ييسر أمر زواجها؛ تمكيناً لها من العيش في كنف الحلال، فإن العيش في كنف الحلال عبادة، وخاصة إذا عظمت الفتن واشتدت، وهذا واقع في زماننا في ظل التقدم التقني من جانب، وتحريض خصوم الإسلام على إغراق الشباب المسلم والفتيات المسلمة على ولوج أبواب المعاصي بدعوة الحرية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.!

واعترافاً من الإسلام بخطورة الغريزة الجنسية نهى النبي -ﷺ- عن التبتل، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: «جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -ﷺ-، يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَإَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ -ﷺ-؟ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(٢)</sup>.

والحديث شاهد على أن التبتل فيه مصادمة للغريزة الجنسية، وأن العبادات ليس المراد منها أن تصادم هذه الفطرة، بل وسيلة مرادة شرعاً لتهديب الغرائز لا مصادمتها؛ ليحيا الإنسان آمناً في كنف الآداب والتعاليم الشرعية التي جاء بها المبعوث رحمة للعالمين.

وتأكيداً لهذه الرؤية نهى الإسلام عن الاختصاص، روى ابن عمر -رضي

١ - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في «إذا زلزلت»، ١٦٦/٥، رقم: ٢٨٩٥، وقال: حديث حسن

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٢/٧، حديث رقم: ٥٠٦٣؛ ومسلم في النكاح باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه. ١٠٢٠/٢، رقم: ١٤٠١.

الله عنهما- قال: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَلَيْسَ لَنَا شَيْءٌ، فَقُلْنَا: أَلَا نَسْتَخْصِي؟» فَهَنَانَا عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ رَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكَحَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]»<sup>(١)</sup>.

وفي كل ماتقدم دليل على أن إشباع الغريزة الجنسية بكل طريق مشروع واجب شرعاً وعقلاً؛ إعمالاً لمبدأ التحصن والتعفف، وتهذيباً للغريزة الجنسية، وخاصة عند تهيجها، وقد خلق الإنسان ضعيفاً، وهذا من الثابت بيقين.

**المطلب الثاني: تقرير حق المرأة في التزوج للتحصن من الشيطان:**

تقرير حق المرأة في التزوج للتحصن من الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر وحفظ الفرج، من أهم الحقوق الإنسانية؛ لذا تواترت الأحاديث النبوية التي تدعو إلى تحصين المرأة بزواج يعفها الله به ويثيبه على قضاء وطره ووطرها فهو في لذاته وصحائف حسناته تتزايد.

ومن هذه الأحاديث ما روي في الصحيح عن أبي ذر - ﷺ - أن رسول الله - ﷺ - قال: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقة، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه أو إعفاف زوجته ومنعهما جميعاً من النظر

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، ٤/٧، رقم: ٥٠٧٥.  
٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٦٩٧/٢، رقم: ١٠٠٦.

إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة<sup>(١)</sup>.

ومما يدخل في هذا الوجه من الإنسانية نهي الأولياء عن العضل<sup>(٢)</sup>. والولي: من يقوم بتحمل المسؤولية والولاية وهي القدرة على الفعل والقيام بالأمور والتصرف فيها والتدبير لها. ويجد هذا الحكم دليلاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه البخاري عن الحسن قال: «حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] فَقُلْتُ: الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَزَوِّجْهَا إِيَّاهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُنِبَ لهنَّ وَتَرَعَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] قَالَتْ: «هَذَا فِي الْيَتِيمَةِ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ، لَعَلَّهَا أَنْ تَكُونَ شَرِيكَتُهُ فِي مَالِهِ، وَهُوَ أَوْلَى بِهَا، فَيَرَعِبُ عَنْهَا أَنْ يَنْكِحَهَا، فَيَعْضُلُهَا لِمَالِهَا، وَلَا يَنْكِحَهَا غَيْرَهُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَشْرَكَهُ أَحَدٌ

١- شرح النووي على مسلم، ٩٢/٧.

٢- العضل: هو أن يمنعها وليها من الزواج وهو من معني التضييق والتعسير. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزْوِجَهَا وَإِنْ شَاءَ وَآزْوَاجُهَا، وَإِنْ شَاءَ وَآزْوَاجُهَا فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا، وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩] الآية، ٦ / ٤٤، رقم: ٤٥٩٧. وقال الطبري (رحمه الله) في تفسير هذه الآية، ٢ / ٤٨٨: «وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة قول من قال: «لا نكاح إلا بولي من العصبه». وذلك أن الله تعالى ذكره، ومنع الولي عضل المرأة إن أرادت النكاح ونهاه عن ذلك».

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي، ١٦/٧، رقم: ٥١٣٠.

في مَالِهَا»<sup>(١)</sup>.

ووجه الإنسانية في النهي عن العضل: أن العضل منع لمباشرة المرأة حقها في التعفف والتحصن، وأن فاعله ظالم لنفسه، معاند لقوانين الفطرة الإنسانية وما تستوجبه من فتح أبواب التحصن بالزواج متى وجد الولي لذلك سبيلاً.

إن ولي المرأة الذي يقف كثيراً عند حدود الله تعالى وما شرعه من أحكام لا يجد غضاضة أو حرجاً أن يسعى في تحصين ابنته واعفائها متى كان الخاطب أهلاً لها واجدر بصيانتها والذود عنها، وهذا ما بينته السنة النبوية المطهرة، ففي صحيح البخاري عن سالم بن عبد الله - أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، فَتَوَفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيْالِي ثُمَّ لَقَيْتَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنَّ شِئْتَ زَوْجَتِكَ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً، وَكُنْتُ أَوْجَدُ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي ثُمَّ «خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ»، فَلَقَيْتَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلِيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلِيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلِيَّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَبَلْتُهَا»<sup>(٢)</sup>.

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي، ١٦/٧، رقم: ٥١٢٨.  
٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ١٤/٧، رقم: ٥١٢٢.

والحديث واضح الدلالة في أنه لا حرج على الإنسان الراشد أن يعرض ابنته أو اخته على من يعتقد خيره وصلاحه؛ لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك»<sup>(١)</sup>.

وبالمقارنة بين من يسلك سبيل العضل وبين من يسعى في تحصين موليته - بنتاً أو اختاً - فالأول يصادم الفطرة السوية والغريزة الإنسانية، والثاني: يفتح باب الاستعفاف كلما ظهرت له الحكمة الراشدة، وعليه لا يجوز للولي عن منع المرأة من حقها في الزواج كحق إنساني قضت به كثير من النصوص الشرعية.

المطلب الثالث: تنظيم الحق في التعدد بما يضمن الموازنة بين الزوجة وبين حقها في التحصن:

تنظيم الحق في التعدد بما يضمن الموازنة بين الزوجة وبين حقها في التحصن، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]. وفي الآية إخبار من الله تعالى بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء، وذلك في ميل الطبع بالمحبة والجماع والحظ من القلب. فوصف الله تعالى حالة البشر وأنهم بحكم الحلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض دون بعض، ولهذا روي عن عائشة قالت كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ». يَعْنِي الْقَلْبَ<sup>(٢)</sup>. ثم نهى فقال: (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ). قال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة بل الزموا التسوية في القسم والنفقة، لأن هذا مما استطاع<sup>(٣)</sup>.

- ١- فتح الباري لابن حجر، ١٧٨/٩؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعبيني، ١١٥/٢٠.
- ٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب القسم في النساء، ٢/٢٠٨، رقم: ٢١٣٦؛ والحاكم في المستدرک، ٢/٢٠٤، رقم: ٢٧٦١. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط مسلم. وضعفه الشيخ الألباني. ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ١٣٤/٥.
- ٣- الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٧/٥.

وروى قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: (من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) (١). وعند أبي داود: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَقُّهُ مَائِلٌ» (٢). وعند النسائي: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شَقَيْهِ مَائِلٌ» (٣).

أما قوله تعالى ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي لا هي مطلقة ولا ذات زوج، قاله الحسن. وهذا تشبيه بالشيء المعلق من شيء، لأنه لا على الأرض استقر ولا على ما علق عليه انحمل. وقال قتادة: كالمسجونة، وكذا قرأ أبي (فتذروها كالمسجونة). وقرأ ابن مسعود (فتذروها كأنها معلقة) (٤).

ووجه مراعاة الإنسانية في التعدد واضح جلي في أن عدم العدل في المبيت والمعاشرة بالمعروف جريمة في حق المضرور، وحرمان من حقها البدني الذي تحكمه غريزتها كأمراة، أما القسمة القلبية فهذه أمور نفسية لها ضوابط أخرى.

#### المطلب الرابع: مراعاة رضا الفتاة تقديراً لكرامتها الإنسانية:

الثابت من سنة النبي - ﷺ - أنه رد زواج امرأة زوجت بغير رضاها، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ يَرْفَعُ بِي خَسِيسَتَهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا قَالَتْ فَإِنِّي قَدْ

١- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب التسوية بين الضرائر، ٣/٤٧٧، رقم: ١١٤١؛ الحاكم (٢/٢٠٣)، رقم ٢٧٥٩. وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب القسم في النساء، ٢/٢٤٢، رقم: ٢١٣٣. وحكم الشيخ الألباني بصحته. ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ٥/١٣٣.

٣- أخرجه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، ميل الرجل إلى بعض نساءه دون بعض، ٧/٦٣، رقم: ٣٩٤٢. وحكم الشيخ الألباني بصحته. ينظر: صحيح وضعيف سنن النسائي، ٩/١٤.

٤- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٥/٤٠٨.

أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنَّ لَيْسَ لِلْأَبَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «ليرفع بي خسيسته» أي فقره وحقارته. والخسيس الدني الحقير يُقال: رفعت من خسيسته إذا فعلت به فعلا يكون به رفعتة، وهذا الكلام يحتمل أن يكون راجعا إلى أبي، أي: يريد أبي أن يزيل حقارة نفسه ودنائه بسبب تزويجي بابن أخيه الغني، فعلى هذا يكون الأب فقيرا وابن أخيه غنيا موسرا، ويحتمل أن يكون راجعا إلى ابن أخيه فعلى هذا يكون فقيرا محتاجا، وكانت المرأة أو أبوها من أهل اليسار وهذا أقرب والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

والذي نود التأكيد عليه هو أنه لا بد من رضا الفتاة، ولولي أمرها أن يرضى، وهذا ما اشترطه الكثير من الفقهاء، فقالوا بوجوب موافقة ولي الأمر حتى يتم النكاح، وجاء في الحديث: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ»<sup>(٣)</sup>.

وعن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَإِنْ أَصَابَهَا فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْ فَرَجِهَا وَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالْسلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ينبغي رضا الأم، كما جاء في الحديث عن ابن عمر - رضي الله عنهما - «أَنَّهُ خَطَبَ إِلَى نَسِيبٍ لَهُ ابْنَتُهُ قَالَ فَكَانَ هَوَى أُمِّ الْمَرْأَةِ فِي ابْنِ عُمَرَ وَكَانَ

- ١- أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٤١ / ٤٩٢ رقم: ٢٥٠٤٣؛ وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب من زوج ابنته وهي كارهة ١ / ٦٠٣ رقم: ١٨٧٥، والنسائي في سننه، ٣ / ٢٨٤ رقم: ٥٣٩٠؛ والدارقطني في سننه، ٣ / ٢٣٢ رقم: ٤٦. قال الشيخ الألباني: "ضعيف شاذ".
- ٢- انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص، ٥٤١؛ ابن الأثر: النهاية في غريب الحديث، ٢ / ٣١؛ شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره، ص: ١٣٥؛ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ٢ / ١٠٢.
- ٣- سبق تخريجه.
- ٤- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها)، ٤٠ / ٢٤٣، رقم: ٢٤٢٠٥؛ وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في الولي، ٢ / ٥٦٦، رقم: ٢٠٨٣؛ وابن ماجه في سننه، ١ / ٦٠٥، والترمذي في سننه، في كتاب النكاح، باب لانكاح إلا بولي، ٣ / ٤٠٧، رقم: ١١٠٢. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.



هَوَىٰ أَبِيهَا فِي يَتِيمٍ لَهُ قَالَ فَزَوَّجَهَا الْأَبُ يَتِيمَهُ ذَلِكَ فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - أَمَرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ<sup>(١)</sup>. أي: شاوروهن في تزويجهن، استطابة لأنفسهن.

والحكمة في اشتراط رضا الأم أن الأم تعرف رغبة بنتها، وبهذا تدخل الفتاة حياتها الزوجية وهي راضية، وأبوها راضي، وأمها راضية، وأهل زوجها راضون، فلا تكون بعد ذلك حياة منغصة مكدره.

#### المطلب الخامس: وجوب تيسير أمور الزواج لتحسين الشباب والفتيات:

لا خلاف في أن الزواج الشرعي هو السبيل الراشد لتصريف الشهوة والتقاء الجنسين، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]<sup>(٢)</sup> أي: الاستعفاف حتى يغنى الله بالتمكين من الزواج، إن المرء مهما أوتى من قوة في دينه وسمو في تفكيره وعلو في خلقه، فلن يستطيع في النهاية أن يبيت فطرته أو يخالف سنن الطبيعة وناموس الحياة، ولن يستطيع الاستمساك بحبل الاستعفاف أكثر من عشر سنوات.

إن تيسير الزواج الباكر هو الحل الوسط الذي يجب أن توجه الدعوة إليه للتعاون، حتى نضمن العفة النفسية والجسدية للأجيال المسلمة، وهو السبيل الأمثل لوقف تيار الإباحية الجنسية والقضاء على العلاقات غير المشروعة وحسر موجة الأمراض النفسية والعقلية التي تهدد شبابنا المسلم، كما أنه حصان البيت المسلم ورابط المجتمع بأوثق العرى.

- ١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٥٠٥/٨، رقم: ٤٩٠٥؛ وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في الاستئثار، ٢/٢٣٢، رقم ٢٠٩٥؛ والبيهقي في سننه، ٧/١١٥، رقم ١٣٤٤٢. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه رجلا مبهما حدث عنه إسماعيل بن أمية ووثقه". وقال الألباني: "ضعيف".
- ٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، ٢/١٠٣٧، رقم: ١٤٢١.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «حَضَرْنَا عُرْسَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَمَا رَأَيْنَا عُرْسًا كَانَ أَحْسَنَ مِنْهُ حَيْسًا، وَهَيَأُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - زَيْتًا وَتَمْرًا، فَأَكَلْنَا وَكَانَ فِرَاشُهُمَا لَيْلَةَ عُرْسِهِمَا إِهَابُ كَبْشٍ»<sup>(١)</sup>.

هكذا جهزت بنت رسول الله - ﷺ - لكي تكون سلفاً ومثلاً للمسلمين، وأما الذين لا يستطيعون الزواج فقد وجههم الإسلام وجهات أخرى تكفيهم شر الوقوع في الخطأ، ومن هنا كان قول الرسول - ﷺ -: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل هذا كان توجيه الرسول للشباب باستفراغ طاقاتهم في الرماية والسباحة وركوب الخيل، وكان ينادى في الشباب دائماً: «يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ، لَا تَزْنُوا أَلَا مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا يتأكد الاهتمام بالشباب من أولياء أمورهم ومن المرين والدعاة، والسعي إلى تحصينهم، وأن يبعدوهم، ويبعدوا عنهم كل ما شأنه إثارة شهواتهم ووقوعهم فيما حرم الله عليهم.

وتعظم هذه القيم في الاستعفاف وخاصة عند الشباب؛ لاجتماع شهواتهم وكثرة الفتن من جهة، ومن جهة أخرى فإن معظم النار من مستصغر الشرر،

١- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٦/ ٢٩٠، رقم: ٦٤٤١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٥٠: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلم بن خالد الزنجي، وهو ضعيف، وقد وثق".

٢- سبق تخريجه

٣- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مع تعليقات الذهبي في التلخيص، ٤/ ٣٩٨، رقم: ٨٠٦٢، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وسكت عنه الذهبي في التلخيص "والبيهقي في شعب الإيمان، ٤/ ٣٦٥، رقم: ٥٤٢٥. وفي رواية للبيهقي: "يا فتیان قريش لا تزنا، فإنه من سلم له شبابه دخل الجنة" أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٧/ ٣٠٢، رقم: ٥٠٤٣. وقال البزار: "لا نعلم بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد. قلت: إسناده صحيح". إتخاف الخيرة المهرة، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن اسماعيل البوصيري، ٤/ ٦، رقم: ٣٠٦٦/ ٢.

وفي هذا يقول ابن القيم: - رحمه الله: « والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان. فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع. وفي هذا قيل: «الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده»<sup>(١)</sup>.

**المطلب السادس: وجوب اختيار الزوجة التي تتوافر فيها الصفات الإنسانية الطيبة:**

الإسلام يجعل من الأسرة مصدر السكينة والمودة والرحمة، ويسوى فيها بين المرأة والرجل لتساويهما في الإنسانية، ويعطى لكل منهما الحق في إنشاء الزواج واستمراره ما وسعهما أن يقيما حدود الله مع أمرهما بالصبر على ما قد يكرهون فيه، عسى أن يكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، ويطلب بتنشئة الناشئة في الأسرة على الإيمان بالله والثقة في حكمته ليكون ذلك الإيمان هو سياق الأمن والأمان لكل فرد في خطواته من طفولته إلى شيخوخته، ويجعل الرجل قواماً على الأسرة بحكم مسؤوليته عنها، وتحمله عبء الوفاء بمتطلباتها، وحماية النشء، وحملهم على الصلاة حتى تنهائم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، فلا تنحرف بهم الطريق إلى الهاوية بسبب قلة خبرتهم مع كثرة الإغراءات حولهم، وتوهج الغرائز فيهم.

وفي سبيل هذا ارشد الإسلام إلى مراعاة الكثير من جوانب الإنسانية في بناء العلاقة الزوجية، فأوجب أن يكون النظر نحو (الخامة) والمعدن: الخامة التي تتوافر فيها الصفات الإنسانية الطيبة، بأن يبحث الرجل عن المرأة (الإنسان) ويجب أن تبحث المرأة عن الرجل (الإنسان)<sup>(٢)</sup>.

١- ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص: ١٣٤.  
٢- عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف: الزواج في ظل الإسلام، ص: ٣٤.

ويظهر هذا المعنى بوضوح عندما خطب أبو طلحة - رضي الله عنه - وهو مشرك كافر امرأة من المسلمين هي أم سليم - رضي الله عنها - أخرج النسائي وصححه من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «تزوج أبو طلحة أم سليم، فكان صداق ما بينهما الإسلام، أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة، فخطبها، فقالت: إني قد أسلمت، فإن أسلمت نكحتك فأسلم، فكان صداق ما بينهما»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية قال: «خطب أبو طلحة أم سليم، فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يُردُّ، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحلُّ لي أن أتزوجك، فإن تسلم، فذلك مهري، ولا أسألك غيره. فأسلم، وكان ذلك مهرها، قال ثابت: فما سمعتُ بامرأة قطُّ كانت أكرم مهراً من أم سليم: الإسلام، فدخل بها فولدت له»<sup>(٢)</sup>.

فقول هذه المرأة الفقيهة: (والله ما مثلك يرد) معناه أن الرجل فيه الصفات الإنسانية التي تطمح المرأة في وجودها في الرجل ولك منعها من الموافقة كفر<sup>(٣)</sup>.

ومن وجوه الإنسانية أن الإسلام لا يقر أي علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعي، الذي يقوم بين الرجل والمرأة بشروط وأوضاع لا يؤتى ثماره بدونها، ويضع أغلظ العقوبات على الزنا واللواط، ولو تم بالرضا بين الرشيدين، ويمنع المقدمات التي تفضي إليهما كالخلوة والاختلاط الفاجر، بل إنه ليأمر كلاً من الذكر والأنثى بغض بصره حتى لا ينساق إلى طريق الغواية والضلال، وما ذلك كله إلا لأن الإسلام يحرص - كما حرصت سائر الرسالات السماوية - على استقرار

- ١ - أخرجه النسائي في سننه، باب التزويج على الإسلام - بأحكام الألباني ٦/ ١١٤، رقم: ٣٣٤٠. وصححه الشيخ الألباني، كما في صحيح وضعيف سنن النسائي، ٧/ ٤١٢.
- ٢ - أخرجه النسائي في سننه، باب التزويج على الإسلام، ٦/ ١١٤، رقم: ٣٣٤١؛ وابن حبان في صحيحه، ١٦/ ١٥٥، رقم: ٧١٨٧؛ والطبراني في المعجم الكبير، ٥/ ٩٠، رقم: ٤٦٧٦؛ وصححه الشيخ الألباني، كما في صحيح وضعيف سنن النسائي، ٧/ ٤١٣.
- ٣ - صالح بن عبد العزيز بن إبراهيم: الزواج بنية الطلاق من خلال أدلة الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية، ص ١٣.

المجتمع على الطريق القويم الذي يكفل له القوة والمتعة الصحية والاستقرار النفسي والمجتمعي.

ولا نزاع في أن المجتمع الذي يكون بهذه الصورة مجتمع إنساني، أما الفوضى الجنسية فلا لفظ يستوعبها إلا لفظ «البهيمية»؛ لذا يقال: تصرف غير إنساني / تصرف لا إنساني: أي منتهك للمشاعر الإنسانية<sup>(١)</sup>. ولعل طريقة إشباع الغريزة في المجتمعات غير الإسلامية خير شاهد على ذلك.

والعرب وهم على شركهم كانوا يتهاكون في حفظ أحسابهم وأنسابهم وصيانة نساءهم، ولذلك حينما سمعت هند أحكام الزنى تعجبت وقالت أو تزني الحرة يا رسول الله، استبعاداً لوقوع الزنا من الحرائر.

روت أم عطية - رضي الله عنها -: «قالت لما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم بعث إليهن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله - ﷺ - إلكن قلنا مرحباً برسول الله ورسول رسول الله وقال تباعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تاتين بهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينه في معروف قلنا نعم فمددنا أيدينا من داخل البيت ومد يده من خارج البيت..»<sup>(٢)</sup>.

وروى عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: كنا عند النبي - ﷺ - فقال: «أبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، وقرأ آية النساء - وأكثر لفظ

١ - المعجم الوسيط، ١ / ٢٩.

٢ - أخرجه أحمد في المسند، ٦ / ٣٦٥، رقم: ٢٧١٠٧؛ وابن حبان في صحيحه، ٧ / ٣١٣، رقم: ٣٠٤١؛ وابن خزيمة في صحيحه، ٣ / ١١٢، رقم: ١٧٢٢؛ يوالطبراني ٢٤ / ٣٤٣، رقم ٨٥٧ قال الهيثمي، ٦ / ٣٨: "فيه عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم، وهو ضعيف". وقال الألباني: إسماعيل بن عبد الرحمن لم يذكره له راوياً غير إسحق بن عثمان فهو مجهول". صحيح ابن خزيمة، ٣ / ١١٢.

سُفِيَانُ: قَرَأَ الْآيَةَ - فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسْتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذْبُهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

ويستفاد مما تقدم أنه مع تقرير الإسلام حق المرأة في أن تتمتع بخصائصها الإنسانية والفكرية، حفظ كرامتها من أن تمتهن، فشرع السبل الكفيلة بإبعاد مشاعر الامتهان عنها، وحصن شخصيتها الإنسانية التي هي أساس اشتراكها مع الرجل، ضد كل ما يتهددها أو يتربص بها.

### المبحث الثاني

#### الحقوق الإنسانية في العلاقات الزوجية في ضوء السنة النبوية

البيت الإسلامي - كما يقول بعض أهل العلم - «ليس وجاراً تسكنه الثعالب، أو غاباً يضم بين جذوعه الوحوش» ثم قال: «لقد وصف الله مكان المرأة من الرجل ومكان الرجل من المرأة بهذه الجملة الوجيزة ﴿هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].»

إن هذه النماذج بين حياتين يكاد يجعلهما كياناً واحداً، وليست الغريزة هي الجامع المشترك، فالنزوة العابرة لا تصنع حياة دائمة<sup>(٢)</sup>.

وقد عنى المفسرون الأولون بجو البيت المسلم وهم يشرحون حدود الله التي تكررت كثيراً وكانوا أهم ما حذروا منه الظلم. قال صاحب المنار: «والظلم آفة العمران ومهلك الأمم، وإن ظلم الأزواج للأزواج أعرق الإفساد وأعجل في الإهلاك من ظلم الأمير للرعية، فإن رابطة الزوجية أمتن الروابط وأحكمها فتلاً في الفطرة الإنسانية، فإذا فسدت الفطرة فساداً أنتكت به هذا الفتل، وانقطع

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، - باب تفسير سورة الممتحنة، ٦ / ١٥١، رقم: ٤٨٩٤.

٢ - محمد الغزالي: قضايا المرأة، ص ١٥٤.

ذلك الحبل، فأى رجاء في الأمة من بعده يمنع عنها غضب الله وسخطه...، إن هذا التجاوز لحدود الله يشفى أصحابه في الدنيا كما يشفيهم في الآخرة، وقد بلغ التراخي والانفصام في رابطة الزوجية مبلغاً لم يعهد في عصر من العصور الإسلامية لفساد الفطرة في الزوجين واعتداء حدود الله من الجانبين»<sup>(١)</sup>.

والحقوق الإنسانية في العلاقات الزوجية في ضوء منهج رسول الإنسانية - ﷺ - كفيلة بتحقيق أسرة آمنة مستقرة، تصنع السعادة لأهلها، فيكثر خيرها، ويفيض على من حولها حباً وحناناً، وبيان ذلك في خمسة مطالب:

### المطلب الأول: حق المرأة في التعليم والتعلم حق إنساني:

يقف الإسلام من الاختلاط موقفاً حذراً؛ لما يترتب عليه من المفسد، لكنه لا يجعل ذلك قيداً أو أغلاً لتعيق حركة المرأة والقيام بدورها في بناء المجتمع، فقد أوجب تعليم المرأة، حيث يقول الله تعالى في شأن نساء النبي - ﷺ - وعموم المؤمنات: ﴿وَأذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «مَنْ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَعَالَهَا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: (فعالها) أي أنفق عليها وقام بما تحتاج إليه من قوت وكسوة وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية عن أبي بردة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ، فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ

١- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ٢/ ٣٠٢.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب فضل من أدب جاريته وعلمها، ٣/ ١٤٩، رقم: ٢٥٤٤.

٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ١٣/ ١٠٦.

أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ،..»<sup>(١)</sup>. وقوله: (أيما رجل كانت عنده وليدة) أي: أمة (فعلمها) ما يجب تعليمه من الدين (فأحسن تعليمها وأدبها) لتتخلق بالأخلاق الحميدة (فأحسن تأديبها) برفق ولطف من غير عنف (ثم أعتقها وتزوجها) بعد أن أصدقها (فله أجران) أجر العتق وأجر التزويج<sup>(٢)</sup>.

وروت السيدة عائشة - رضي الله عنها -، أَنَّ أَسْمَاءَ<sup>(٣)</sup> سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ - عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ فَقَالَ: «تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا، فَتَطَهَّرُ فْتُحَسِّنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًَا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فَرِصَةً مُمْسَكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا» فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِينَ بِهَا» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَّبِعِينَ أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ؟ فَقَالَ: «تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فْتُحَسِّنُ الطُّهُورَ أَوْ تُبْلِغَ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «نَعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»<sup>(٤)</sup>. وفي الحديث دليل على جواز سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يحتشم منها<sup>(٥)</sup>.

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي

- ١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري، ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، ٦/٧، رقم: ٥٠٨٣.
- ٢- العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٩/٢٠؛ القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٥/٨.
- ٣- (أسماء) ليست هي أخت عائشة. وإنما هي امرأة من الأنصار يقال لها أسماء بنت شكل. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، (١/٢٢١).
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ٣٨/١، رقم: ١٣٠ ومسلم، في كتاب المحيض، باب استعمال المغتسلة من الحيض، ١/٢٦١، رقم: ٣٣٢. واللفظ له.
- ٥- ابن حجر: فتح الباري، ١/٤١٦.



وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينِكَ، فَبِمِ يَشْبِهُهَا وَلَدَهَا»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم: «جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ، - وَهِيَ جَدَّةُ إِسْحَاقَ -، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَتْ لَهُ، وَعَائِشَةُ عِنْدَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَرْأَةُ تَرَى مَا يَرَى الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ، فَتَرَى مِنْ نَفْسِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، فَضَحَّتِ النِّسَاءَ، تَرَبَّتْ يَمِينِكَ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ: «بَلْ أَنْتِ، فَتَرَبَّتْ يَمِينِكَ، نَعَمْ، فَلْتَغْتَسِلِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِذَا رَأَتْ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وقولها: (فضحت النساء) معناه حكيت عنهن أمرا يستحي من وصفهن به ويكتمنه وذلك أن نزول النبي منهن يدل على شدة شهوتهن للرجال<sup>(٣)</sup>.

ودفاعاً عن السنة النبوية وحماية لحقوق المرأة التعليمية جرى حوار بين الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - وبين أحد القراء عن حكم قرأه في مصدر إسلامي مهم، أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - منع النساء من تعلم الخط، وكأنه يرى أن الأمية أولى بهن، فأجاب فضيلته بقوله: يا هذا، ولم تكون الأمية حكراً عليهن وحدهن؟ ينبغي أن تشمل الزوجين الذكر والأنثى تمثيلاً مع الفهم الأعوج لحديث «نحن أمة أمية»!!

ثم قال: «يا صديقي: إن الحديث الذي يمنع النساء من تعلم الكتابة مكذب<sup>(٤)</sup> وكل خبر يهون من شأن العلم بما في الأرض والسماء لا يوثق به، وقد ورد وصف

- ١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ١ / ٣٨، رقم: ١٣٠؛ ومسلم في كتاب المحيض، باب استعمال المغتسلة من الحيض، ١ / ٢٦١، رقم: ٣١٣.
- ٢- أخرجه مسلم في كتاب المحيض، باب استعمال المغتسلة من الحيض، ١ / ٢٥١، رقم: ٣١٠.
- ٣- النووي: شرح صحيح مسلم، ٣ / ٢٢١.
- ٤- وهو المروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ - قال: «لَا تَعْلَمُوا نِسَاءَكُمْ الْكِتَابَةَ، وَلَا تُسْكِنُوهُنَّ الْغُرَفَ الْعَلَالِيَّ». أخرجه ابن عدي في الكامل، ٢ / ١٥٢، وانظر الموضوعات لابن الجوزي، ٢ / ٢٦٨؛ وأخرجه البيهقي في الشعب، ٢٤٥٣؛ والحاكم في المستدرک، ٢ / ٤٣٥، عن عائشة، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٩٢٢)، والضعيفة (١٣٨١): موضوع».

الأمية في الكتاب والسنة للعرب الذين بعث فيهم رسول الله - ﷺ - على أنه واقع معروف عالمياً ومحلياً، وهذا الواقع زال مع نزول القرآن الكريم، وانهمار غيوث من المعارف مع آياته البيّنات قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَابِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وعلى الرجال والنساء أن يزدادوا علماً، وألا يشبعوا من فنون الثقافات التي تتاح لهم<sup>(١)</sup>.

وعليه يمكن القول بأن الإسلام أعطى للمرأة الحق في أن تضطلع بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أداءها ولا تتنافر مع طبيعتها، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها عن التبذل. أما إذا لم تكن هناك ضرورة لعمل المرأة فإن خروجها للعمل كارثة على البيت، فهو يفتت الأسرة ويترك تربية الأطفال للخادّات والمدارس وحدها، كما أنه يؤدي إلى ضياع الجانب الأنثوي في المرأة، وغيره كثير ويكفي دلالة على هذه الحقائق شهادة شوبنهاور الألماني: «.....»: «قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده، وبإذخ رفعته، وسهل عليها التعالي في مطامعها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها...» وقد نجم عن ذلك أن المنازل لم تعد هي المنازل، وانطفأت المحبة الزوجية، واختل - أحياناً - التوازن الفكري والأخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة<sup>(٢)</sup>.

**المطلب الثاني: تنظيم الحق في التأديب بما يحفظ على المرأة كرامتها وإنسانيتها:**

الحق في التأديب حق شرعي، وضعت له الشريعة الإسلامية من القيود ما

١ - محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ص ٢٤ وما بعدها.

٢ - أحمد عبدالعزيز الحصيني: المرأة ومكانتها في الإسلام، ص ٩١.

يحفظ على المرأة كرامتها وإنسانيتها.

وأساس هذه السلطة أنها سلطة تهذيب وإصلاح وتوجيه، بالقدر الذي يحقق الاستقرار الأسري، ويحفظ ترابطها والاحترام المتبادل بين أفراد أسرتها، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَدِّ قَدِيدَتِ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

فالذي أمر به الله سبحانه وتعالى من ضرب النساء لتقويمهن عند النشوز هو الضرب غير المبرح، وهذا ما بينته السنة النبوية، في أكثر من موطن. فعن عائشة - رضی الله عنها - قَالَتْ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرْبَ خَادِمًا لَهُ قَطُّ وَلَا امْرَأَةً لَهُ قَطُّ وَلَا ضَرْبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...<sup>(١)</sup>؛ لما في ذلك من الاستهانة بالمرأة، وتحقيرها، وإنزالها غير المنزلة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لها من الاحترام.

وكذلك فالتعرض للوجه بالضرب أو التقيح مناف لما أمر به الله ورسوله - ﷺ - من الهدى في تقويم النساء عند النشوز.

وعن عبد الله بن زمعة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: («ثم يجامعها») لم ينهه عن ذلك، وإنما أخبر أنه قد يبدو له فيجامعها فيأتيها وهي كارهة، فلا يجد منها المودة التي تكون عند الوطء، وهو تقيح الضرب

١ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٩٢/٤٣، رقم: ٢٥٩٢٣؛ والنسائي في السنن الكبرى، باب ضرب الرجل زوجته، ٣٧١/٥، رقم: ٩١٦٥. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، ٣٢/٧، رقم: ٥٢٠٤.

وقرب ما يناقضه؛ لقلة الرياضة بذلك؛ لأن المرأة إذا عرفت قرب الرجعة وسرعة الفيئة، لم تعبأ بأدبه، ولا يقع فيها ما ندبه الله إليه من رياضتها. (١).

وفي رواية قال: «نهى النبي ﷺ - أَنْ يَضْحَكَ الرَّجُلُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفُسِ، وَقَالَ: «بِمِ يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ أَمْرَأَتَهُ ضَرْبَ الْفَحْلِ، أَوْ الْعَبْدِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَعَانِقُهَا» (٢).

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: أتيت النبي ﷺ - فقلت: إنَّ أبا الجهم ومعاوية خطباني؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما معاوية، فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم، فلا يضع العصا عن عاتقه» (٣).

وقوله (فلا يضع العصا عن عاتقه) فيه تأويلان مشهوران، أحدهما: أنه كثير الأسفار. والثاني: أنه كثير الضرب للنساء، وهذا أصح، وهو اختيار النووي.

وفي رواية لمسلم: «وأما أبو الجهم فضراب للنساء» وهو تفسير لرواية: «لا يضع العصا عن عاتقه» (٤).

فدل هذا على عدم استحباب رسول الله ﷺ - هذا الهدى مع النساء إلا في مظانه المشروعة، وبسننه المشروعة.

وفي الأحاديث السابقة إشارة إلى أن ضرب الزوجة لا يكون إلا لمصلحة مشروعة أو لدرء مفسدة، وأن يكون غير مبرح وأن يكون ضرباً رقيقاً، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر - رضي الله عنه - في صفة حجة رسول الله ﷺ - قوله في خطبته يوم عرفة: فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم

- ١- ابن الملقن: لتوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٩ / ٢٥؛ ابن بطلان: شرح صحيح البخاري، ٧ / ٣٢٦.
- ٢- أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا أَحَدًا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، ٨ / ١٥، رقم: ٦٠٤٢؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٤ / ٢١٩١ رقم: ٢٨٥٥.
- ٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لانفقة لها، ٢ / ١١١٤، رقم: ١٤٨٠.
- ٤- النووي: شرح صحيح مسلم، ٩٧ / ١٠.

فُرُوْجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوْنَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.. الْحَدِيثُ (١).. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الضَّرْبُ آخِرَ مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فِي تَأْدِيبِ امْرَأَتِهِ، وَأَنْ يَتَقَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلِّ فِيهَا (٢).

ولاريب أن عدم الضرب والاعتذار والسماحة أشرف من ذلك كما هو أخلاق رسول الله - ﷺ - في بيت النبوة مع أزواجه ومع خدمه، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفٌّ، وَلَا: لَمْ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَّا صَنَعْتَ» (٣). فإذا كان هذا شأنه مع خادمه، فكيف يكون شأنه - ﷺ - مع أهل بيته، وقد أحسنت السيدة عائشة - رضي الله عنها - وصف النبي - ﷺ - ففي صحيح البخاري عن إبراهيم عن الأسود، قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (٤).

ففي رواية الإمام أحمد وغيره عن عروة، قال: سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيْطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ» (٥).

قال ابن بطال: «من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التمتع وامتهان النفس

- ١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي - ﷺ - ٨٨٦ / ٢، رقم: ١٢١٨.
- ٢ - عبد القادر شيبه الحمد: فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام»، الناشر: مطابع الرشيد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ٧ / ١٨٠.
- ٣ - أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل ٨ / ١٤، رقم: ٦٠٨٣؛ وأخرجه مسلم في الفضائل باب كان رسول الله - ﷺ - أحسن الناس خلقا، ٤ / ١٨٠٤، حديث رقم: ٢٣٠٩.
- ٤ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، ١ / ١٣٦، حديث رقم: ٦٧٦.
- ٥ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٢ / ٢٠٩، رقم: ٢٥٣٤١، وابن حبان في صحيحه، ١٤ / ٣٥١، رقم: ٦٤٤٠، وصححه الألباني، انظر: «المشكاة» رقم: ٥٩٢٢.

ليستن بهم ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة»<sup>(١)</sup>.

وعن عمرة قالت: سَأَلْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : «كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا خَلَا بِنِسَائِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ كَالرَّجُلِ مِنْ رِجَالِكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، كَانَ ضَحَّاكًا بَسَامًا»<sup>(٢)</sup>.

وعليه فليس من المرؤة أن يتهجم رجل على امرأة ولو كانت زوجته أو ابنته، أو غيرهما، فإن في مكارم الأخلاق الكثير من المخارج التي تحفظ الكرامة الانسانية ولا تخدش الحياء.

### أقبح الضرب:

ومن أقبح الضرب ضرب الوجه أو التقبيح، وفي صحيح البخاري عن معاوية بن حيدة<sup>(٣)</sup>، مرفوعاً إلى النبي - ﷺ -: «غَيْرَ أَنْ لَا تَهْجَرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»<sup>(٤)</sup>. وهذا طرف من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد وأبو داود، وغيرهما، فعن حكيم بن معاوية البهزي عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي - ﷺ -: قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ: «تُطْعَمُهَا إِذَا طَعَمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبُ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»<sup>(٥)</sup>. وإنما جاء النهي عن ضرب الوجه؛ لأنه أعظم الأعضاء وأظهرها ومشتمل على أجزاء شريفة وأعضاء لطيفة

١ - فتح الباري لابن حجر، ١٠ / ٤٦١.

٢ - مسند إسحاق بن راهويه، ٣ / ١٠٠٨، حديث رقم ١٧٥٠، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، ١ / ١٢٠ حديث رقم: ٣٩٧، وأخرجه ابن سعد في الطبقات، ١ / ٣٦٥، وابن عساکر في تاريخ دمشق، ص ٣٢٣. والحديث إسناده ضعيف؛ لأن فيه حارثة ابن محمد بن أبي الرجال وهو ضعيف. انظر: الداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي لأبي الفيض الغماري، ٥ / ٣٥٦. ينظر: مصباح الزجاجة، ١ / ١١.

٣ - صحابي مشهور وهو جد بهز بن حكيم بن معاوية. ابن حجر: فتح الباري، ٩ / ٣٠١.

٤ - صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب هجرة النبي - ﷺ - نساءه في غير بيوتهن، ٧ / ٣٢.

٥ - أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب النكاح باب في حق المرأة على زوجها، ٢ / ٢٤٤ - ٢٤٥، حديث رقم: ٢١٤٢؛ وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح: باب حق المرأة على الزواج، ١ / ٥٩٣ - ٥٩٤، حديث رقم: ١٨٥٠؛ وأحمد في مسنده، ٤ / ٤٤٧، رقم: ٢٠١٣؛ والحاكم في المستدرک، ٢ / ١٨٨، والبيهقي في السنن، ٧ / ٢٥٩، والحديث علقه البخاري، ٧ / ٣٢، كتاب "النكاح"، باب: "هجرة النبي - ﷺ - نساءه في غير بيوتهن" بصيغة التمريض عن معاوية بن حيدة بهذه الزيادة، ثم قال: والأول أصح

وفيه دليل على وجوب اجتناب الوجه عند التأديب . وقوله: (ولا تقبح) بتشديد الباء، أي لا تقل لها قولاً قبيحاً ولا تشتمها ولا قبحك الله ونحوه (ولا تهجر إلا في البيت) أي لا تتحول عنها أو لا تحولها إلى دار أخرى<sup>(١)</sup>.

وفي فتح الباري نقلاً عن المهلب: «هذا الذي أشار إليه البخاري -أي باب هجرة النبي - ﷺ- نساءه في غير بيوتهن»، كأنه أراد أن يستن الناس بما فعله النبي - ﷺ- من الهجر في غير البيوت وفقاً للنساء؛ لأن هجرانهن مع الإقامة معهن في البيوت ألم لأنفسهن وأوجع لقلوبهن بما يقع من الإعراض في تلك الحال، ولما في الغيبة عن الأعين من التسلية عن الرجال.. «قال: وليس ذلك بواجب؛ لأن الله قد أمر بهجرانهن في المضاجع، فضلاً عن البيوت..»<sup>(٢)</sup>.

ومع كثرة النقول والتوجيهات في المسألة فإن الحق ما قال ابن حجر: «أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال فربما كان الهجران في البيوت أشد من الهجران في غيرها وبالعكس، بل الغالب أن الهجران في غير البيوت ألم للنفوس، وخصوصاً النساء لضعف نفوسهن..»<sup>(٣)</sup>.

**المطلب الثالث: تنظيم الحق في الهجر بما يتفق وإنسانية المرأة وكرامتها:**

قد يحلف الرجل على ترك مجامعة زوجته، سواء على وجه التأديب أو على وجه المضارة وفي المسألة تفصيل:

**أولاً: الحلف على الهجران على وجه التأديب:**

روى الإمام مسلم في صحيحه عن الزهري أن النبي - ﷺ- أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً، قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة - رضي الله

١- عون المعبود، ٦/ ١٢٧.

٢- ابن حجر: فتح الباري، ٩/ ٣٠١.

٣- المرجع السابق

عَنْهَا - قَالَتْ: لَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً أَعْدُهُنَّ، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَالَتْ بَدَأَ بِي - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعِ وَعِشْرِينَ أَعْدُهُنَّ، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ»<sup>(١)</sup>.

وعلاقة الحديث بمسألة الإنسانية أن حلف الزوج بالله على أن لا يدخل على زوجته شهراً أو نحو ذلك، حتى وإن كان على وجه التأديب، إلا أنه لا ينبغي أن يكون ذلك على حساب حق المرأة في المعاشرة بالمعروف، لما يترتب عليه من ضرر نفسي بالنسبة للزوجين، وقد يضيق الزوج بما وقع منه وما ترتب عليه من ضرر، وفي تقديره أن الحنث في اليمين والتكفير عنه بما هو مشروع إزالة للضرر النفسي المترتب على الحلف، ويكون مسوغ الزوج في الحنث ما شرعه النبي ﷺ - بقوله «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلْيَتْرِكْ يَمِينَهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي في شرحه: «في هذه الأحاديث دلالة على من حلف على فعل شيء أو تركه وكان الحنث خيراً من التمادي على اليمين استحباب له الحنث وتلزمه الكفارة وهذا متفق عليه»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: الحلف على الهجران على وجه المضارة، وهو ما يعرف بـ (الإيلاء)، وهو وجه من وجوه الضرر بالمرأة وحرمان لها من حقها المشروع في المعاشرة بالمعروف، نص عليه قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧].

والإيلاء في الشرع الحلف المانع من جماع المرأة، وهو أن الرجل كان إذا لم

- ١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن لكل بلد رؤيتهم وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لا يثبت حكمه لما بعد عنهم ٢ / ٧٦٣، رقم: ١٠٨٣
- ٢ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه. ٥ / ٨٥، رقم: ٤٣٦٥
- ٣ - النووي: شرح صحيح مسلم، ١١ / ١٠٩.



يرد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره، يحلف أن لا يجامعها، ويتركها كذلك، لا إيماءً، ولا ذات بعل، فأراد الله أن يجعل لها مخرجاً فحكم بهذه الآية<sup>(١)</sup>.

قال عبد الله بن عباس: كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساء، فوقت لهم أربعة أشهر، فمن آلى بأقل من ذلك فليس بإيلاء حكيم.

والثابت في السنة النبوية أن النبي -ﷺ- قد آلى النبي من زوجته وطلق، وسبب إيلائه سؤال نسائه إياه من النفقة ما ليس عنده، ففي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في حديث طويل -، قال: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ، فَقَالَ عُمَرُ، فَقُلْتُ: لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، عَلَيْكَ بَعِيَّتِكَ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةَ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-؟<sup>(٢)</sup>.

أما سبب التحريم: فقد تواترت أقوال العلماء بشأنه ومن ذلك ما روي في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، قالت فتواطأت أنا وحفصة أن آيتنا ما دخل عليها رسول الله -ﷺ- فلتقل: إني أجد منك ريح مغاير! أكلت مغاير<sup>(٣)</sup>؟ فدخل على

١- الراغب الاصفهاني: تفسير الراغب الاصفهاني، ١/ ٤٦٣.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، واعتزال النساء، وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤] ٢/ ١١٠٥، رقم: ١٤٧٩.

٣- (مغاير) هو جمع مغفور وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه الشجر يقال له العرفط يكون بالحجاز. قال أهل اللغة العرفط من شجر العضاة وهو شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي -ﷺ- يكره أن توجد منه رائحة كريهة. القرطبي: الجامع لاحكام القرآن، ١٨/ ١٧٨.

إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ». فَنَزَلَ: لَمْ تُحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ - إِلَى قَوْلِهِ - إِنْ تَوْبَا (لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ)، [وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا] [التَّحْرِيمَ ٣] لِقَوْلِهِ: (بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا).. الْحَدِيثُ «<sup>(١)</sup>».

وقال سعيد بن المسيب: كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها، فكان يتركها بذلك لا أيما ولا ذات بعل، والغرض منه مضارة المرأة، ثم إن أهل الإسلام كانوا يفعلون ذلك أيضا، فأزال الله تعالى ذلك وأمهل للزوج مدة حتى يتروى ويتأمل، فإن رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها، وإن رأى المصلحة في المفارقة عن المرأة فارقها<sup>(٢)</sup>..

والذي عليه العلماء: أن الإيلاء لا يكون إلا في حالة الغضب، قال الليث والشعبي والحسن وعطاء، كلهم يقولون: الإيلاء لا يكون إلا على وجه مغاضبة ومشاركة وحرجة ومناكدة ألا يجامعها في فرجها إضرارا بها، وسواء كان في ضمن ذلك إصلاح ولد أم لم يكن، فإن لم يكن عن غضب فليس بإيلاء<sup>(٣)</sup>.

وحكمة تأقيت الإيلاء بأربعة أشهر، لأن الأربعة الأشهر هي التي لا تستطيع ذات الزوج أن تصبر عنه أكثر منها، وهذا ما فعله الفاروق عمر - رضي الله عنه - مع المرأة التي غاب عنها زوجها لمشاركته في القتال<sup>(٤)</sup>.

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب ﴿لَمْ تُحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التَّحْرِيمَ: ١] [٤٤/٧] رقم: ٥٣٦٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، ولم ينو الطلاق ١١٠٠/٢، رقم: ١٤٧٤. وانظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٧٧).

٢ - الرازي: تفسير الرازي، ٤٢٩/٦.

٣ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٠٦/٣.

٤ - قد روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يطوف ليلة بالمدينة فسمع امرأة تنشد:

أَلَا طَالَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَسْوَدَ جَانِبُهُ... وَأَرْقَنِي أَنْ لَا حَيْبَ أَلَاعِهِ  
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ... لَزَعَزَعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ.  
مِخَافَةَ رَبِّي وَالْحَيَاءِ يَكْفُنِي... وَإِكْرَامِ بَعْلِي أَنْ تَنَالَ مَرَائِبَهُ.  
فَلَمَّا أَصْبَحَ عُمَرُ أَرْسَلَ إِلَى الْمَرْأَةِ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ: هَذِهِ فُلَانَةُ بِنْتُ فُلَانَ، وَرَزَوَجُهَا غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،  
فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا امْرَأَةً، فَقَالَ: كُونِي مَعَهَا حَتَّى يَأْتِيَ زَوْجُهَا، وَكُتِبَ إِلَيْ زَوْجِهَا، فَأَقْفَلَهُ، ثُمَّ دَهَبَ إِلَى =

وخلاصة ما تقدم أن الحلف على ترك الرجل معاشرته أهله يجب الا يطول عن مدة الإيلاء فإما أن يمسك بالمعروف أو يطلق، حتى لا يدخل عليها الضرر، روى البخاري في صحيحه عن نافع أن ابن عمر - رضي الله عنهما -، كان يقول في الإيلاء الذي سمى الله: «لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن يمسك بالمعروف، أو يعزم بالطلاق كما أمر الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

وفي كل ما تقدم دعوة إلى القيام بحقوق الزوجية على الوجه الذي يعفها، وخاصة حق الزوجة في المبيت والفراش، الذي هو المقصد الأول من النكاح، والذي تحصل به عفة الفرج للرجل والمرأة.

المطلب الرابع: وجوب تصحيح النظر إلى المرأة على أنه سر يجب أن يخبأ:

يظن بعض المتعصبين أن المرأة سر يجب أن يخبأ، وأن صلتها المعلنة بالرجل يزرى به ويتقص من مكانته، وهذا لم يرد به الشرع الحنيف، فقد كان رسول الله - ﷺ - يخرج مع نسائه ويجمع بهن طريق واحد، ففي الصحيحين عن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - أن صفيّة - زوج النبي - ﷺ - أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ص - ﷺ - تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي - ﷺ - معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلاً من الأنصار، فسلماً

= حَفْصَةَ بِنْتَهُ، فَقَالَ لَهَا: «يَا بِنْتِي، كَيْفَ تَصْبِرُ الْمَرْأَةَ عَنِ زَوْجِهَا؟» فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَتِي، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَمْثَلَكَ يَسْأَلُ مِثْلِي عَنِ هَذَا؟ فَقَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَوْلَا أَنَّهُ شَيْءٌ أُرِيدُ أَنْ أَنْظِرَ فِيهِ لِلرَّعِيَّةِ، مَا سَأَلْتُكَ عَنِ هَذَا»، قَالَتْ: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، أَوْ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَقَالَ عُمَرُ: «يَعْزُرُوا النَّاسَ يَسِيرُونَ شَهْرًا ذَاهِبِينَ وَيَكُونُونَ فِي غَزْوِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَيَقْفَلُونَ شَهْرًا»، فَوَقَّتْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ مِنْ سَنَتِهِمْ فِي غَزْوِهِمْ. رواه سعيد بن منصور في السنن، ت الأعظمي ٢ / ٢١٠، رقم: ٢٤٦٣؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ٩ / ٢٩. ورجال إسناده عند البيهقي ثقات سوى إسماعيل بن أبي أويس فهو صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب ﴿لَا يَحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] / ٧ / ٤٤ رقم: ٥٣٦٧؛ وفي باب قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٣٧] وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٧] [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧]، ٧ / ٥٠ رقم: ٥٢٩٠

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ - ﷺ - : «عَلَى رُسُلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا». (١)

فلم يتحرج رسول الله - ﷺ - من السير مع زوجته، ولم يجد أي غضاضة في التعريف بها وذكر اسمها.

قال ابن حجر: «في الحديث من الفوائد جواز اشتغال المعتكف بالأمر المباحة من تشييع زائره والقيام معه والحديث مع غيره وإباحة خلوة المعتكف بالزوجة وزيارة المرأة للمعتكف وبيان شفقتة - ﷺ - على أمته وإرشادهم إلى ما يدفع عنهم الإثم..» (٢).

وقد كان رسول الله - ﷺ - يسامر نسائه ويتجاذب معهن أطراف الحديث الذي يعجبهن، وربما طاب لهم أن يتلهين بأحاديث خرافية أو أقاصيص للمتعة، فيشترك معهن في ذلك، وربما ذكرهن من هذا القبيل بالكثير. ولم يكن - ﷺ - يرى في ركونه إلى ذلك أي منقصة تلحقه، بل كان يرى ذلك قرينة إلى الله - ﷻ - .. وقد ثبت ذلك في حديث أم زرع الذي قصته السيدة عائشة - رضيت الله عنها - على رسول الله - ﷺ - هو من الطرائف التي تتناقله النساء في مجالسهن، فقال لها رسول الله - ﷺ - في نهاية الأقصوة التي ذكرتها له «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ» (٣) قال العلماء: «هو تطيب لنفسها وإيضاح لحسن عشرته إياها ومعناه أنا لك كأبي زرع. واستثنى من ذلك الأمر المكروه منه أنه طلقها «وإني

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب النكاح، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، ٤٩ / ٣، رقم: ٢٠٣٥؛ ومسلم في السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة.. ٤ / ١٧١٢، رقم ٢١٧٥.

٢ - فتح الباري لابن حجر، ٤ / ٢٨٠. وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، ٢٣ / ٤٩؛ شرح النووي على مسلم، ١٤ / ١٥٨.

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل، ٧ / ٢٧، رقم: ٥١٨٩، ومسلم في صحيحه في فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع. ٤ / ١٦٩٨، رقم ٢٤٤٨.

لا أطلقك»؛ تميما لتطيب نفسها، وإكمالا لطمأنينة قلبها، ورفعاً للإيهام؛ لعموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع، إذ لم يكن فيها مذمة سوى طلاقه له<sup>(١)</sup>.

وجاء أن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: بأبي أنت وأمي، بل أنت خير لي من أبي زرع. «وهو جواب مثلها في فضلها وعلمها، فإنه - ﷺ - لما أخبرها أنه لها كهو؛ لفرط محبة أم زرع له وإحسانه إليها، أخبرته هي أنه عندها أفضل، وهي له أحب من (أم زرع لأبي زرع)»<sup>(٢)</sup>.

ويتفرع على هذه الرؤية الصادقة أن الرجل ينظر إلى جرم زوجته على أنه جرم لا يغتفر، فخطيئة الزوجة في نظره لا تكفرها التوبة الصادقة فيقتلها غير آبه لتوبتها، وهذه عادة باطلة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

#### المطلب الخامس: المعاشرة بالمعروف والمجاملة والملاينة:

وفي نهاية هذا المبحث وجدت من الأهمية ختامه بهذا المطلب ليكون خير ختام، وفيه بيان حسن المعاشرة بالمعروف، ممن هو بالمؤمنين رحيم ورؤوف. فقد كان من أخلاقه - ﷺ - أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه؛ ليقيم الدليل على أنه ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله - ﷺ - فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل - كما سبق - وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكَ وَرِضَاكَ» قالت: قُلْتُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّكَ إِذَا كُنْتَ رَاضِيَةً قُلْتُ: بَلَى وَرَبِّ

١- ابن الملقن: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤ / ٦٠٣.

٢- ابن الملقن: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤ / ٦٠٤.

مُحَمَّدَ، وَإِذَا كُنْتَ سَاحِطَةً قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ «قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلٌ، لَسْتُ أَهَاجِرُ إِلَّا اسْمَكَ»<sup>(١)</sup>.

وقد كان رسول الله - ﷺ - يمزح معهم وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه - ﷺ - كان يسابق السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - يتودد إليها بذلك، فعن عائشة، - رضي الله عنها -، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بَتْلُكَ السَّبِقَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن هشام عن أبيه قال: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَاللَّهِ إِنْ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِّي رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يَهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمَّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ - ﷺ -، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَإِنَّا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرَهَا»<sup>(٣)</sup>.

وكان - ﷺ - أرحم الناس بالنساء والعيال، ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك - ﷺ - قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -»، قَالَ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرَضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ

- ١ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الهجران لمن عصى، ٢١ / ٨، رقم: ٦٠٧٨
- ٢ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، ٢٩ / ٣، رقم: ٢٥٧٨؛ والنسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، مسابقة الرجل زوجته، ٣٩٤ / ٥، رقم: ٨٩٤٣؛ وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح: باب حسن معاشره النساء، ٦٣٦ / ١، حديث: ١٩٧٩. وصححه الشيخ الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود، الشيخ الألباني، ط غراس، ٣٢٩ / ٧.
- ٣ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب فضل عائشة - رضي الله عنها -، ٣٠ / ٥، رقم: ٣٧٧٥

وَأَنَّهُ لَيُدْخَنُ، وَكَانَ ظُهُرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث بيان كريم خلقه - ﷺ - ورحمته للعيال والضعفاء<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها -، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ بَغْنَاءَ بَعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَيَّ الْفَرَّاشَ، وَحَوْلَ وَجْهِهِ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مَزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ -، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ: «دَعُهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجْتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالْدَرَقِ وَالْحَرَابِ، فِيمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ -، وَإِمَّا قَالَ: «تَشْتَهِيَنَّ تَنْظُرِينَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ» حَتَّى إِذَا مَلَّتْ، قَالَ: «حَسْبُكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَادْهَبِي»<sup>(٣)</sup>.

قال القاضي عياض: «إنما كان غناؤهما بما هو من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة، وهذا لا يهيج الجوارى على شر ولا إنشادهما لذلك من الغناء المختلف فيه، وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد ولهذا قالت وليستا بمغنياتين أي ليستا ممن يغني بعادة المغنيات من التشويق والهوى والتعريض بالفواحش والتشبيب بأهل الجمال وما يحرك النفوس ويبعث الهوى والغزل كما قيل الغنا رقية الزنا وليستا أيضا ممن اشتهر وعرف بإحسان الغناء الذي فيه تمطيظ وتكسير

١ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته - ﷺ - الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ٤/ ١٨٠٨، رقم: ٢٣١٦

٢ - النووي: شرح صحيح مسلم، ١٥/ ٧٦. والعوالي: القرى التي عند المدينة. وقوله: (إنه ليدخن) بضم الباء وتشديد الدال المفتوحة وفتح الخاء، يقال: ادخنت النار البيت، بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة وفتح الخاء والنون أي ملأته دخانا. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ٩/ ١٥٨.

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب العيدين، باب الحراب والدراق يوم العيد ٢/ ١٦، رقم: ٩٤٩؛ ومسلم في العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، ٢/ ٦٠٧، رقم: ٨٢٩. قال شراح الحديث: والجارية هي: الأنتى دون البلوغ. (تغنيان بغناء بعاث) تشدان وترفعان أصواتهما بما قاله العرب في يوم بعاث وهو حصن وقع عنده مقتلة عظيمة بين الأوس والخزرج في الجاهلية. (فانتهرني) زجرني وأنبني. (مزماراة الشيطان) يعني الضرب على الدف والغناء مشتق من الزمير وهو صوت الذي له صفير وأصيف إلى الشيطان لأنه يلهي عن ذكر الله عز وجل وهذا من عمل الشيطان. (غمزتهما) من الغمز وهو الإشارة بالعين أو الحاجب أو اليد. (بالدراق) جمع درقة وهي الترس.

وعمل يحرك الساكن ويبعث الكامن ولا يمن اتخذ ذلك صنعة وكسبا والعرب تسمي الإنشاد غناء وليس هو من الغناء المختلف فيه بل هو مباح وقد استجازت الصحابة غناء العرب الذي هو مجرد الإنشاد والترنم وأجازوا الحداء وفعلوه بحضرة النبي - ﷺ - وفي هذا كله إباحة مثل هذا وما في معناه وهذا ومثله ليس بحرام ولا يجرح الشاهد»<sup>(١)</sup>.

ومن وجوه الإنسانية في القصة - كما يقول الإمام النووي: «وإنما سكت النبي - ﷺ - عنهن لأنه مباح لهن وتسجى بثوبه وحول وجهه إعراضا عن اللهو ولئلا يستحيين فيقطعن ما هو مباح لهن وكان هذا من رأفته - ﷺ - وحلمه وحسن خلقه»<sup>(٢)</sup>.

وعن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَالْأَطْفَهُمْ بِأَهْلِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال في خطبته الجامعة في خطبة الوداع عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَأَسْتَحَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَؤُوطُنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُوْنَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»<sup>(٤)</sup>. وفيه دليل على مراعاة حق النساء والوصية بهن ومعاشرتهن بالمعروف.

١- النووي: شرح صحيح مسلم، ٦/ ١٨٢.

٢- النووي: المرجع السابق، ١٨٣/.

٣- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ٥/ ٩، رقم: ٢٦١٢، وقال: " حَدِيثٌ حَسَنٌ وَلَا نَعْرِفُ لِأَبِي قَلَابَةَ " والنسائي في سننه كتاب عشرة النساء، باب لطف الرجل بأهله، ٥/ ٣٦٤، رقم: ٩٦٥٤؛ وألحاكم في المستدرک، ١/ ١١٩، رقم: ١٧٣، وقال: " رُؤَاةٌ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ آخِرِهِمْ ثِقَاتٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرَجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ " وقال الذهبي في التلخيص: وفيه انقطاع.

٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي - ﷺ -، ٢/ ٨٨٦، رقم: ١٢١٨.



كما أرشد النبي - ﷺ - إلى المداراة في التعامل مع النساء، بمعنى لمجاملة والملاينة، لما علم منهن من تسرع، وسوء تصرف في بعض المواقف، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ الْمَرْأَةَ كَالضِّلَعِ، إِذَا ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسْرَتَهَا، وَإِنْ تَرَكْتَهَا اسْتَمْتَعَتْ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا توجيه من رسول الله - ﷺ - إلى معاشرة الإنسان لأهله، وأنه ينبغي أن يأخذ منهم العفو ما تيسر والصبر على ما قد يقع منهن من الأذى في غير عفافهن، وهو عامل مهم من عوامل تثبيت أركان الأسرة في الإسلام وصيانة الحياة الزوجية من أسباب الانهيار لما جُربَ من شدة انسياق المرأة وراء عواطفها، بخلاف الرجل الذي هو المسئول الأول في البيت وله القوامة فيه، وعليه تبعات هذه القوامة<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر - رضي الله عنه - مع خشونته: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا. ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت: والله لقد كان ضحوكا إذا ولج، سكينتا إذا خرج، آكلا ما وجد، غير مسائل عما فقد»<sup>(٣)</sup>. وفي كل ما تقدم دليل على أن البيت الإسلامي ليس وجارا تسكنه الثعالب، أو غابا يضم بين جذوعه الوحوش، بل هو السكن والطمأنينة وبيت الرحمة والمودة.

- ١- أخرجه البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء ١/٢ - ٩٠، رقم: ١٤٦٨
- ٢- انظر: ابن حجر: فتح الباري، ٢٥٢/٩؛ إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦٨٠/٤؛ عبد القادر شيبه الحمد: فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام»، ٤٢/٧.
- ٣- الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي، ٣٠٨/٢.

### الخاتمة

الحق في تكوين أسرة آمنة وفق نصوص الشريعة الإسلامية ومقاصدها المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية ضماناً أساسية أن يحيا الإنسان آمناً مستقراً، وخاصة ما يتعلق بالجانب النفسي والاجتماعي، وقد ظهر جلياً من البحث أن هذا الحق وضعت له السنة النبوية الكثير من القيود والضوابط وأحاطته بسياج منيع، خرجت الإنسانية من سهامه؛ لبناء مجتمع شريف متعفف، يقدس الاستعفاف، ويحفظ على المرأة كرامتها وإنسانيتها، ولا يجعلها سلعة تباع وتشترى، كما هو الشأن في بعض المجتمعات.

وقد استبان من البحث سعة المسائل الفقهية المخرجة على الأحاديث النبوية، وهي شاهدة على أن الأحكام الفقهية مبينة في تأصيلها- بالإضافة إلى القرآن الكريم - على السنة النبوية المطهرة، فجميع المسائل الفقهية يستدل على مشروعيتها بالقرآن الكريم أولاً، ثم السنة النبوية، ثم الاجماع، وهو ما يعرف بالأدلة المتفق عليها. وهذه سمة بارزة لا تخرج البحث عن دائرة الإنسانية في السنة النبوية، فقد رأينا أن الكثير من الأحكام معللة بقيم الإنسانية وأثرها في الاستقرار النفسي والاجتماعي ليس بخاف على أحد، فولى المرأة التي يزوجها بغير رضاها، أو يعضلها أن تتزوج، أو يمنعها الحق في التعليم يحرمها من حقوقها الإنسانية، سواء حقها في إشباع غريزتها، أو الارتقاء بالمستوى التعليمي.

ولا يُنقص من قدر البحث اختيار هذه المسائل، فهي منصوص عليها في الدساتير، والمعاهدات والاتفاقيات الدولية، فقد نص الدستور الإماراتي لعام ١٩٧١م، في مادته رقم (١٥) على أن: «الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن، ويكفل القانون كيانها، ويصونها ويحميها من الانحراف».

وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - المادة السادسة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ - «يحق لكل فرد طبقاً لحقه الاجتماعي العام أن يبرم عقد الزواج بالكيفية وفي الحدود التي يحددها قانونه، بمعنى أن الحق العام في الزواج وفي تأسيس أسرة، هو حق يسمو على القانون لأنه يصدر عن الخصائص الطبيعية للإنسان ويرتبط بحريته الشخصية. ويجب أن يفرق بين الزواج من ناحية، وبين تأسيس الأسرة من ناحية أخرى. فالأول لا يعدو إنشاء علاقة بين رجل وامرأة، يكون موضوعها النكاح وإنجاب الأطفال.

أما الحق في تأسيس أسرة، فهو أوسع شمولاً لأنه يتناول تحديد الشخصية القانونية الاعتبارية لهذه المجموعة من الأفراد الذين يجمعهم عقد الزواج، وتسمى الأسرة أو العائلة. الزوج والزوجة والأطفال كما ينشئ لها كيانا قانونيا محددًا، يتحدد به محل إقامة هذه المجموعة أو موطنها أو تبعيتها، ويضفي عليها حماية أو حرمة خاصة، ويحظر الدستور أو القانون انتهاكها أو الاعتداء عليها».

وفي تبرير التمتع بهذه الحقوق من المنظور الشرعي كانت السنة النبوية مصدر الكثير من الأحكام، مما يجعل الاعتراف بهذه الحقوق الإنسانية خدمة للسنة النبوية في استيعاب كافة الأحكام - محلية كانت أو دولية.

ومن هنا تظهر الحكمة من طرح الندوة لمثل هذه الموضوعات، ومنها: إظهار أن السنة النبوية ما تركت شيئاً يمس الإنسان بصفته إنساناً إلا واستوعبته؛ ليشهد العالم أن السنة النبوية لم تكن قاصرة على الجزيرة العربية، أو دائرة المجتمع الإسلامي فحسب، بل اتسعت لتشمل كافة حاجات المجتمع الإنساني، في كل زمان ومكان.

وفي الختام: فلا أجد توصية أهم من التوصية بإخراج ما تنتهي إليه أعمال هذه الندوة إلى النور بكل لغات العالم؛ ليعرف العلم بأسره أن إنسانية الإنسان في السنة النبوية هي قانون حياة وسفينة نجاة، وصدق الله العظيم إذ يقول في وصف منهج خير البشرية والرحيم بالإنسانية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].. يقول القرطبي: «فَالرُّسُلُ خُلِقُوا لِرَحْمَةِ، وَمُحَمَّدٌ - ﷺ - خُلِقَ بِنَفْسِهِ رَحْمَةً، فَلذَلِكَ صَارَ أَمَانًا لِلخَلْقِ، لَمَّا بَعَثَهُ اللهُ أَمَّنَ الخَلْقُ العَذَابَ إِلَى نَفْخَةِ الصُّورِ». وَلذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ) <sup>(١)</sup> يُخْبِرُ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ رَحْمَةٌ لِلخَلْقِ مِنَ اللهِ. وَقَوْلُهُ (مُّهْدَاةٌ) أَي هَدِيَّةٌ مِنَ اللهِ لِلخَلْقِ <sup>(٢)</sup>. والحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

١- أخرجه الحاكم في المستدرک، ٩١/١، رقم ١٠٠. وقال: "صحيح على شرطهما". والبيهقي في شعب الإيمان، ١٤٤/٢، رقم ١٤٠٤، وقال: هذا مرسل.  
٢- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن/٦٣.

## أهم مصادر البحث ومراجعته

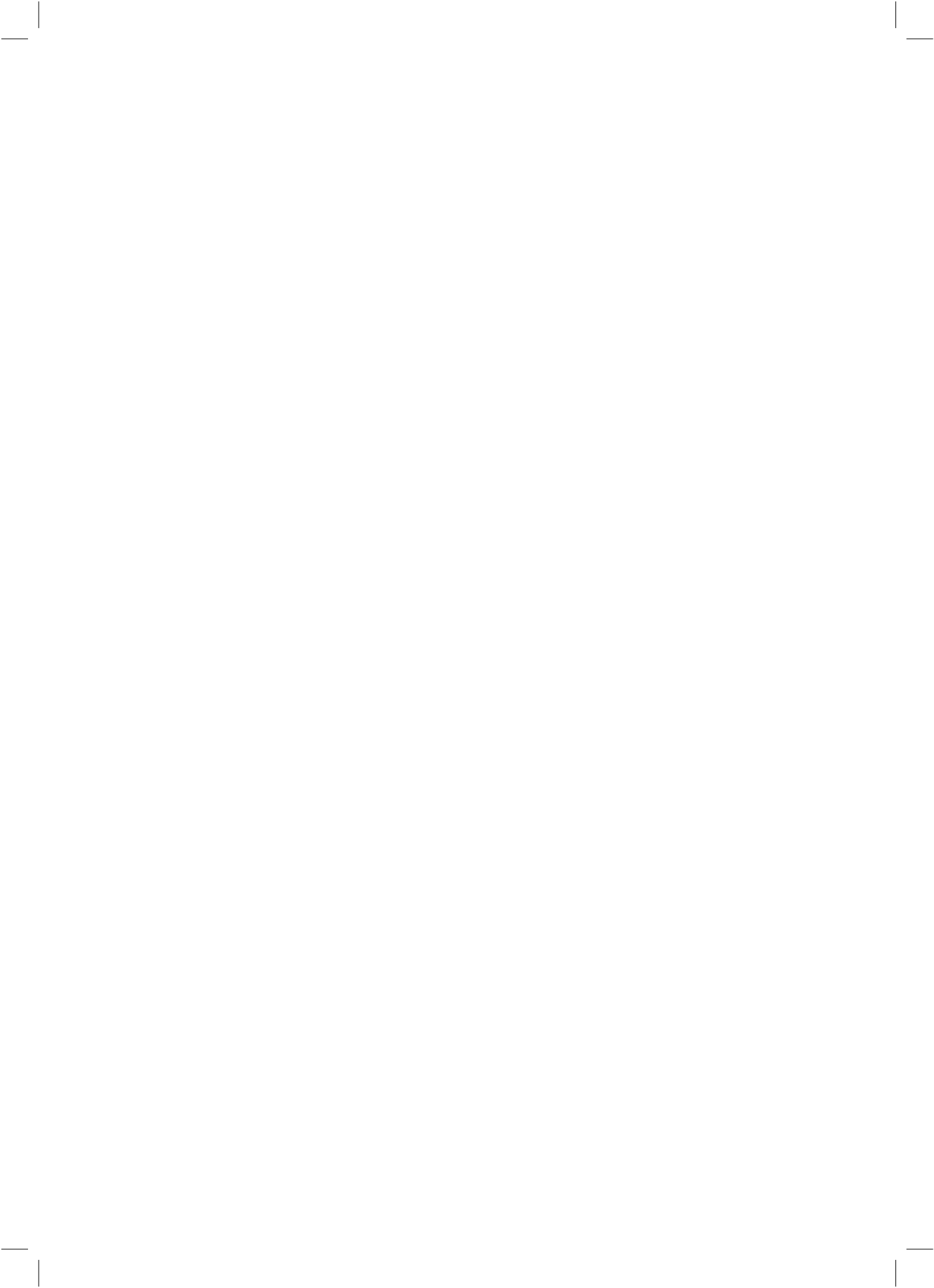
- ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد مكارم الأخلاق، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة.
- ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، الموضوعات، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ج ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء، الرياض، نشر مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٢ هـ.
- ابن الملتن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ابن راهويه: أبو يعقوب إسحاق، مسند إسحاق، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١ م.
- ابن سعد: أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.
- ابن شبة عمر: تاريخ المدينة، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، ١٣٩٩ هـ.
- ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧ هـ.
- أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني: سنن سعيد بن منصور، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية - الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.

- أحمد عبدالعزيز الحصيني: المرأة ومكانتها في الإسلام، مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢، ١٩٨١ م.
- الأصبحي: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الموطأ، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- الألباني: محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، المنتقى شرح الموطأ، الناشر: مطبعة السعادة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.
- البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تخ: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- البوصيري: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن قايماز بن عثمان الكناني الشافعي إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أ، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- البوصيري: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن قايماز بن عثمان مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- البيهقي: شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الجرجاني: أبو أحمد بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، الناشر: الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

- الراغب الاصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشّدي، دار النشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الزيلعي: جمال الدين، نصب الراية لأحاديث الهداية، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- الشاقعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس، الأم، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- صالح بن عبد العزيز بن إبراهيم آل منصور، الزواج بنية الطلاق من خلال أدلة الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ.
- الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- عبد القادر شيبه الحمد: فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام»، الناشر: مطابع الرشيد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.
- العيني: بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- العُمّاري: أحمد بن محمد بن محمد بن الصّدّيق بن أحمد، أبو الفيض الحسنّي، المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، الناشر: دار الكتبي، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.
- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، لأبي طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- قرار مجمع الفقه الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة في الترة من ١٠-١٤/٣/١٤٢٧ هـ الموافق ٨-١٢/٤/٢٠٠٦ م.
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.
- القشيري: أبو الحسن، مسلم بن الحجاج صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- لاشين: موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- مجمع الفقه الإسلامي: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من ٨-١٣ صفر ١٤٠٧ هـ / ١١ - ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦ م بشأن تنظيم حق المرأة في الانجاب.
- محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م، ط ١.
- محمد رشيد بن علي رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- المناوي: عبد الرؤوف، فيض القدير، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- النسائي: المجتبي من السنن، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.
- اليوسف: عبد الرحمن بن عبد الخالق: الزواج في ظل الإسلام، الناشر: الدار السلفية، الكويت، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.





**تفعيل القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية  
بين تنوع المقاربات ودعم المرجعيات**

**أ. د. رقية بوسنان**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية  
قسنطينة - الجزائر

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.16>





## Abstract

The prophetic sunnah establishes a number of approaches that work to activate human values, including the psychological approach, the values of contentment and tranquility, self-affirmation and appreciation, psychological security, and realization of the truth. The legal approach is concerned with human freedom, honouring him, justice among people without discrimination, and protecting the privacy of individuals. The administrative approach, respecting time, achievement, perfection, continuity, and performance evaluation. These values are supported by multiple references from family, mosque, charities, media and communication, and through them they ensure the preservation of foundations of society, nation, civilization, and humanity for the sake of continuous progress leading to a world free of convulsions. Conflicts and strife.

**Keywords:** values, approaches, references, Sunnah.

## ملخص البحث

تؤصل السنة النبوية لجملة مقاربات تعمل على تفعيل القيم الإنسانية، فتشمل المقاربة النفسية، قيم، الرضا والطمأنينة، وإثبات الذات وتقديرها، والأمن النفسي، وإدراك الحق، وتلخص قيم المقاربة السلوكية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون والتكافل، والرحمة في كل تجلياتها، بينما تهتم المقاربة القانونية بحرية الإنسان، وتكريمه والعدل بين الناس من غير تمييز، وحماية خصوصية الأفراد، وتنظم المقاربة الاقتصادية في جملة قيم تحرم الغش في البيع، وتدعو إلى التوافق في الرضا أثناء البيع والشراء، كما تحرم الربا، والتطفيف في الكيل والميزان، والاحتكار، وتؤسس المقاربة الإدارية، لاحترام الوقت، والإنجاز، الإتيان، والمداومة، وتقييم الأداء، تدعم هذه القيم مرجعيات متعددة من الأسرة والمسجد، والجمعيات الخيرية، ووسائل الإعلام والاتصال وتسهر من خلالها على حفظ مقومات المجتمع والأمة والحضارة والإنسانية من أجل التقدم المستمر المفضي إلى عالم خال من، التشنجات والصراعات والفتن.

الكلمات المفتاحية: القيم، المقاربات،

المرجعيات، السنة النبوية



## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين...

تعد السنة النبوية مدرسة قيمة بامتياز حيث تعمل على بناء الإنسان وفق سنن كونية ونفسية ومجتمعية، تحاول من خلالها الحرص على سلامته وسلامة البشرية لأنه الفاعل الأول فيها، وقد ارتأيت في هذه الورقة أن أبحث في قواعد تفعيل القيم الإنسانية بالاعتماد على مقاربات متعددة ومختلفة، تنطلق من جوهر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنعكس بأبعادها على مختلف الأنساق والسياقات بطرق إيجابية، تتفاعل من خلالها أنسجة المجتمع ومرجعياته، كما تتفاعل من خلالها مختلف الثقافات والحضارات، من غير إقصاء أو إجحاف، كما تناولت مختلف المرجعيات التي تعمل على دعم تفعيل هذه القيم التي تنطلق ابتداء من تقدير الذات، والشعور بالرضا، ومرورا بإشاعة قيم التعاون والتكافل والتراحم، واحترام الغير، وردع كل السلوكيات السلبية، وتنمية المجتمع، وتطويره وانتهاء بتسيير شؤون الفرد وشؤون المؤسسات، وشؤون الدولة.

اعتمدت الورقة منهجي الاستقراء والاستنباط، حيث تم من خلال الأول إدراج كل الجزئيات الخاصة بموضوع البحث تحت هذه المحاور الرئيسية وتحليلها، ثم قراءة جزئيات الموضوع انطلاقاً من منظور السنة النبوية، وتم من خلال الثاني، الانطلاق من القاعدة الكلية، ليستنبط منها ما يصلح من قواعد يمكن تطبيقها على الجزء، ووضع نظريات محددة، لتوقع ما ستصل إليه هذه النظريات من نتائج، ووفقاً لاعتماد المنهجين، قسمت الورقة إلى مبحثين، تناولت في المبحث الأول، أنواع المقاربات لتفعيل القيم الإنسانية، وتضمن، المقاربة النفسية، المقاربة السلوكية، المقاربة القانونية، المقاربة الاقتصادية، والمقاربة الإدارية.

تناولت الورقة في المبحث الثاني، مرجعيات دعم تفعيل القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية، فركزت على الأسرة باعتبارها المصدر الأساسي للقيم ولتفعيل هذه القيم، فهي تصاحب الفرد من النشأة إلى الخاتمة، وركزت أيضا على المسجد الذي اعتبر منذ نشأة الدولة الإسلامية مركز إشعاع وتعليم وتوجيه وتربية وسياسة شؤون الدنيا والدين، ثم المؤسسات الخيرية التي تأخذ من مفهومها النصيب الأوفر في تفعيل القيم، وتعد العمود الفقري للإنعاش الاقتصادي والاجتماعي، وأخيرا وسائل الاتصال، وهي الوسائل التي تتطور في كل مرحلة من مراحل الإنسانية ولها دور فعال في حياة الإنسان، باعتبار جماهيريتها، وجاذبيتها، وهي الطرق والأساليب لنشر الوعي بالقيم الإنسانية وعلاقتها بالتطور والتحضر وعمارة الأرض، وتبليغ كنوز الوحيين التي تستقيم بهما الإنسانية جمعاء، وفي الأخير تم تذييل الورقة بخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات.

ولعل القيمة المضافة في هذه الورقة التي يعتبر موضوعها جديدا، ولم تتوفر فيه الدراسات السابقة في حدود علم الباحثة، هي الانطلاق من مقاربات أجنبية في مختلف التخصصات واجتهادها في تصنيف القيم ضمنها، ثم إدراجها في إطار الوحيين، وتحديد نصوص السنة النبوية، للتأكيد على شموليتها لجميع العلوم والتخصصات، وقدرتها على استيعاب الماضي والحاضر والمستقبل في خدمة القيم الإنسانية، بكل تجلياتها ومساءلة الواقع في ضوءها، ومحاولة تقديم الأفضل في عالم متغير، يعج بالصراع والاضطراب والفتن، المنبعث من تقصير الإنسان وعزوفه عن الامتثال لقوانين الوحيين، ثم تصنيف مرجعيات الدعم التي تخدم كل ما تصبوا إليه هذه الورقة البحثية، وتذييلها بخاتمة تتضمن النتائج المتوصل إليها، وتوصيات للمؤتمر من أجل تبيين أهدافه واستشراف أعماله.

## المبحث الأول: مقاربات القيم الإنسانية في السنة النبوية

تعرف المقاربة بأنها الطريقة التي تعتمد في تقديم الموضوع، وقد اقتصرَت الباحثة على تصنيفها إلى خمس مقاربات، المقاربة النفسية، المقاربة السلوكية، المقاربة القانونية، المقاربة الاقتصادية، والمقاربة الإدارية، وتتضمن كل مقاربة أنواعاً من القيم الإنسانية التي تعتبر معايير للسلوك، وتبرز أهميتها في النسق الاجتماعي والحضاري والعالمي.

### المطلب الأول: المقاربة النفسية

ذكر القرآن الكريم كلمة النفس في عدة مواطن وفي مختلف السياقات أكثر من مئتي مرة، وذلك لأهميتها في إدارة شؤون المجتمع بصفة إيجابية أو سلبية، وبحسب توصيفها، فقد وردت النفس الخيرة، والنفس السيئة، وسأحاول أن أبرز أهمية النفس الخيرة في تفعيل القيم الإنسانية، كما اهتمت بها السنة النبوية على غرار المدرسة الإنسانية في علم النفس الذي أسسها كل من «كارل روجرز» و«إبراهيم ماسلو»، والتي ركزت على إرادة الإنسان الحرة وقدرته على اتخاذ القرارات، وإحساسه بمشاعره وحاجته إلى تحقيق ذاته من خلال تحقيق الإنجازات والأنشطة المختلفة، وقد جاءت أفكارها مضادة لأفكار مدارس علم النفس الأخرى التي ترى في الإنسان مجرد آلة تعمل بميكانيكية، عبر الهرمونات والأدوات البيولوجية والفسولوجية<sup>(١)</sup>، ومن أهم المرتكزات التي ركزت عليها السنة النبوية في دراسة النفس وفاعلها القيمي للمحافظة على التوجه الفردي في خدمة الصالح العام ما يأتي:

١- يحيى سعد، المدرسة الإنسانية في علم النفس، ٣٠/١٠/٢٠٢١ / <https://drasah.com/Description.aspx>



١- الرضا والطمأنينة: مفردتان مناقضتان للسخط، تنبعان عن نفس طيبة، وقنوعة وسعيدة، ولها انعكاس إيجابي في دنيا الفرد وفي آخرته، فالرضا قيمة نفسية إيجابية تعمل على تحمل المشكلات اليومية والتعامل معها بشكل إيجابي، ومن أنواعها الابتلاءات، والأمراض، والتعرض للمخاطر ويترتب على التعايش معها والصبر عليها أجر عظيم: «إِنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»<sup>(١)</sup>، والطمأنينة شعور نفسي يتحقق عن الرضا، ومآلها الخلود في جنة النعيم التي ارتضاها الله لها، ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾<sup>(٢٧)</sup> أَرْجَى إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً<sup>(٢٨)</sup> فَأَدْخِلْنِي فِي عِبَادِي<sup>(٢٩)</sup> وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي<sup>(٣٠)</sup> ﴿ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] تعني الطمأنينة ومعها الرضا: الانسراح، والتسلية، والخلو من الهم، وكل هذه المشاعر هي بمثابة محركات إيجابية تبعث على الراحة النفسية والسعادة التي تجعل الفرد مستكيناً ومسالماً مع نفسه ومع الآخرين، ولا يتحقق ذلك إلا بالعبادة التي أمرنا الله بها وامثال أمر رسوله صلى الله عليه وسلم: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها»<sup>(٣)</sup>، فالصلاة تقرب إلى الله، وبها تعلق النفس وتطهر وتجتنب كل ما يؤذيها، فتركن إلى التسليم وتنتهي عن المنكر، فتؤدي إلى تحقيق الهدوء لها ولمن حولها ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ وَجْهِكَ وَأَنْتَ مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤٥)</sup> [العنكبوت: ٤٥].

٢- إثبات الذات وتقديرها: تعني قيمة إثبات الذات، القدرة على حسن إدارتها ومواجهة المواقف الحرجة، وتجاوز العقبات، وهي صنو للثقة بالنفس، وتعد

١- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (٤/ ٥١٩)، حديث حسنه الألباني.

٢- أخرجه أبو داود في باب في صلاة العتمة، (٤٣٩٦)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير مسدد فمن رجال البخاري.

من العوامل الهامة التي تمكن الفرد من الانفتاح على الآخرين، وحسن التواصل معهم، بالإضافة إلى أنها تساعد على توظيف إمكانياته وقدراته التوظيف الأمثل، و تمكنه أيضا من الإنجاز في الحاضر، وتحقيق الأهداف في المستقبل، وتقدير الذات لا يعني الغرور والتكبر، وإنما التوسط في إعطائها حقها من التصور في ما تقدمه من حسن الأعمال النافعة، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن نفسه: «والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادا يقول غير ذلك»<sup>(١)</sup>، وقال: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه»<sup>(٢)</sup>.

ومن صورها في السنة النبوية لفت الإنسان إلى صفاته الإيجابية بدل من الصفات السلبية، قوله لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنك غلام معلم»<sup>(٣)</sup>، وقوله لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود»<sup>(٤)</sup>، وقوله لأشج عبد القيس رضي الله عنه: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»<sup>(٥)</sup>، وقال: «أرحم أممي بأمتي أبو بكر، وأرفق أممي لأمتي عمر، وأصدق أممي حياء عثمان، وأقضى أممي علي بن أبي

- ١ - أخرجه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلة الله عليه وسلم، (١٩١٢/٤).
- ٢ - أخرجه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلة الله عليه وسلم، (١٩١٢/٤).
- ٣ - أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، (٤٦٢/١)، إسناده حسن من أجل عاصم - وهو ابن أبي النجود - وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي بكر بن عياش فمن رجال البخاري، وأخرج له مسلم في «المقدمة».
- ٤ - أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، (١٩٢٥/٤).
- ٥ - أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في التأني والعجلة، (٣٢٢/٤)، صححه الألباني.

طالب، وأَعْلَمَهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذَ بَنِي جَبَلٍ، يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بَرْتُوَّةً، وَأَقْرَأُ أُمَّتِي أَبِي بَنِي كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقَدْ أُوتِيَتْ عَوِيْرُ عِبَادَةٍ. يعني أبا الدرداء<sup>(١)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «يا رسول الله ألا تستعملني أي في منصب قال: فضرِبَ بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيفٌ وإنها أمانةٌ وإنها يومَ القيامةِ خزيٌّ وندامةٌ إلا من أخذها بحقِّها وأدى الذي عليه فيها»<sup>(٢)</sup>.

حرصت السنة النبوية على توظيف الطاقات وخاصة الشبابية منها، وهي الصورة الأمثل لتقدير الذات أيضا وتحميلها مسؤولية هذا التقدير، «فقد أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت في غزوتي بدر والخندق وهو صاحب الخمسة عشرة سنة، واختار مصعب سفيرا إلى المدينة، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبة، ويدخل غيرهم في دين الله، ويعد المدينة ليوم الهجرة العظيم.

٣- الأمن النفسي: وتحقيق هذه القيمة من أهم مقاصد الشريعة، ويتم ذلك بتوفير المأكل والمشرب والملبس، «مَنْ أَصْبَحَ مَعَاْفَى فِي بَدَنِهِ آمِنًا فِي سِرِّهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حَيَّرَتْ لَهُ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>، وصونها من الآفات والموبقات، «الحلال بينٌ، والحرام بينٌ، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك»<sup>(٤)</sup>، والدفاع عنها ضد أي خصم أو عدو، ﴿مَنْ آجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بَغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ

- ١- ذكره الهيثمي في كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، باب جامع في مناقبه رضي الله عنه، (١٥٥ / ٩)، ضعفه الألباني.
- ٢- ذكره الشوكاني في كتاب الأفضية والأحكام، باب المنع من ولاية المرأة والصبي ومن لا يحسن القضاء أو يضعف عن القيام بحقه، (٣٠٤ / ٨)، صححه الألباني.
- ٣- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من أصبح آمنا في سربه، (١٢٧).
- ٤- الألباني، صحيح الجامع، (٣١٩٤).

بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لِمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ [المائدة: ٣٢].

٤- إدراك الحق: ذهب أهل العلم إلى القول بأن: «الإنسان مُرَكَّبٌ مِنْهُ وَفِيهِ وَعَلَيْهِ مِنَ الْمَوَادِّ وَالْأَخْلَاطِ وَالْهَيْئَاتِ الْعَجِيبَةِ، كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ التَّشْرِيحِ الدَّالِّ عَلَى حِكْمَةِ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَذَلِكَ مَا هُوَ مَجْبُولٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ تَحْتَ الْأَقْدَارِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ بِحَوْلِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَحِيلِهِ، وَحَدْرِهِ أَنْ يَجُوزَهَا، وَلَا يَتَعَدَّهَا»<sup>(١)</sup>، ولما كانت هيئة خلق الإنسان بهذه المواصفات فإنه سيهتدي إلى الحق ليميز الخبيث من الطيب، ويدرك قدرة ومعجزة الخالق الصانع في تسيير الكون وسننه، ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقد ارتبط الحق بالقضاء بين الناس، والمقصود به العدل، ثم الجزاء الذي يترتب على عدم إحقاقه، «قاضيان في النار، وقاض في الجنة، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمداً أو قضى بغير علم فهما في النار»<sup>(٢)</sup>، إن حق الفرد - ومن واجبه - أن يدافع عن حق أي فرد آخر، وعن حق الجماعة «حسبة»: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»<sup>(٣)</sup>، يتطوع بها حسبة دون طلب من أحد.

### المطلب الثاني: المقاربة السلوكية

تعد المقاربة السلوكية من أهم المقاربات التي تفعل فيها قيم الإنسان، وتبرز تجلياتها على مستوى المجتمع والأمة والحضارة، وقد جاء الإسلام كدين خاتم ليبين أهمية السلوك المستقيم في بناء المجتمعات، انطلاقاً من الداخل ووصولاً

١- ابن كثير، التفسير الكبير، (٧ / ١٨٧).

٢- الألباني، صحيح الجامع، (٤٢٩٨).

٣- ذكره النووي في كتاب الأفضية، باب بيان خير الشهود، (١٢ / ٣٨٠).

إلى الخارج، فشرع القرآن الكريم والسنة النبوية ممارسات سلوكية تفضي إلى بناء قيمي لا ينهار مهما استفحلت المشاكل والظواهر السلبية والأزمات العميقة، فشهدنا بذلك دولة قوية، يتعايش فيها القوي مع الضعيف، والكبير مع الصغير، والغني مع الفقير، والرجل مع المرأة، والمتدين مع غير المتدين، من غير إقصاء أو تهميش، تجتمع كلها في وصف القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤]، وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>، ومكارم الأخلاق مما تم عده عشرة، «مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده، فقسّمها الله عز وجل لمن أراد السعادة: صدق الحديث، وصدق البأس، وحفظ اللسان، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وأداء الأمانة، وصلّة الرحم، والتذم للجار، والتذم للصاحب، وإقراء الضيف، ورأسهن الحياء»<sup>(٢)</sup>، ومن صور المقاربة السلوكية وقيمها ما يأتي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تعتبر من القيم العليا التي حث عليها القرآن الكريم في غير موضع، وهي فرض على الأمة، والجماعة والفرد، لحفظ النفس، والدين، والعرض، والمال، وكل مقصدي شرعي، وبها يكون الفلاح في الدنيا والآخرة، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويقترن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإيمان، كما يقترن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، وقد أشارت الآية الكريمة إلى ترتيب أولويات المؤمن، فكان لهذه القيمة والفرض، الأسبقية في الترتيب، مع أهمية الصلاة والزكاة كركن من أركان الإسلام، ومن مخرجات

١- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، (١١٨).

٢- الألباني، السلسلة الضعيفة، (٧١٩).

القيمة شمول رحمة الله تعالى للجماعة والمجتمع والأمة وما لها من خير عميم،  
ورزق كريم ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ  
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجات، أعلاها التغيير بالوسائل المتاحة  
والمشروعة، وأدناها التغيير بالقلب الذي محله الدعاء والاستعانة بالله عز وجل،  
يوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ  
لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>، والتأخر عن  
القيام بها، له من الآثار الوخيمة الجلية ما يجعل المرء يضيق بمن حوله، وما يجعل  
المحيط الاجتماعي والبيئي يتعذر العيش فيه، «كيف بكم - أيها الناس! - إذا  
طغى نساؤكم، وفسق فتيانكم؟ قالوا: يا رسول الله! إن هذا لكائن؟» قال: نعم،  
وأشد منه، كيف أنتم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: يا  
رسول الله! إن هذا لكائن؟ قال: وأشد منه، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً،  
والمعروف منكراً؟<sup>(٢)</sup>.

قرن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك الأمر بالمعروف، بقيام الساعة وما  
يصاحبها من أهوال تذهل المرء وتجعله في مرية من أمره: «ثلاثة إذا رأيتهن فعند  
ذلك تقوم الساعة: خرابُ العامر، وعمارةُ الخراب، وأن يكونَ المعروفُ منكراً،  
والمُنْكَرُ معروفاً، وأن يتمرسَ الرجلُ بالأمانة، تَمَرَّسَ البعيرُ بالشجرة»<sup>(٣)</sup>، ويترتب  
على تركه عواقب وأثار سلبية، كعموم البلاء والعقاب الذي يسلطه الله على  
المجتمع والأمة، وقد شهدنا أنواعها من انتشار للأوبئة الفتاكة والأمراض المزمنة

١ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان ان النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص،  
(٦٩ / ١).

٢ - الألباني، السلسلة الضعيفة، (٥٢٠٥).

٣ - الألباني، ضعيف الجامع، (٢٥٧٣).

في الزمن الحاضر، ومن مخرجات هذه الآثار إعراض الله على خلقه، فلا يستجاب لهم ولا يتقبل منهم دعاءهم، «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف و لتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونهُ فلا يستجيبُ لكم»<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر استحقاق العقاب أن يخفق الفرد في القيام بهذه القيمة، فتسود فيها مظاهر التلاعب والنفاق، فيصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صديقا صدوقا لفاعله، بحثا عن تحقيق مصلحة معينة، تنطلق من صور المرافقة والمواكلة، فجاء الحديث ليقر بهذا السلوك الشنيع، ويؤكد على صور الأمر والنهي ومنها محاسبة الظالم، وإرشاده إلى الحق أو يتحقق العقاب من حلول لعنة الله على الجميع «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقولُ: «يا هذا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِّ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لِيَضْرِبَنَّ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَلْعَنُكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

**التعاون والتكافل:** يحث القرآن الكريم على التعاون كقيمة اجتماعية تظهر مدى تماسك المجتمع بين أفرادهِ، والأخوة والوحدة، وبين طبيعته، والطريق الموصلة إليه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا سَعَيْرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَأْيِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠﴾ [المائدة: ٢٠]، كما يبين حالاته القائمة في

١- أخرجه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (٤/ ٤٦٨)، حسنه الألباني.

٢- الألباني، ضعيف الجامع، باب حرف الألف، (١/ ٢٦٢).

زمن الدولة الإسلامية، من الإيواء والنصرة، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وتأتي السنة النبوية لتشرح صورته فعرضت لها الأمثلة، كالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، «حيث لم يترك الأنصار إخوانهم المهاجرين يشعرون بالوحشة والغربة، بل تحركت مشاعر الإيثار بداخلهم فعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم ما يملكون من نخيل بينهم وبين المهاجرين؛ قالت الأنصار للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: لَا فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمُثُونَةَ، وَنَشْرَكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»<sup>(١)</sup>.

استمرت مشاعر المؤاخاة بين أفراد المجتمع من مهاجرين وأنصار في وتزايدت بشكل مستمر، فيذكر صاحب سبل الهدى والرشاد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تحول من بني عمرو بن عوف في قباء إلى المدينة تحول أصحابه من المهاجرين، فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترحوا فيهم بالسهمين، فما نزل أحد منهم على أحد إلا بقرعة سهم<sup>(٢)</sup>، وَوَهَبَتِ الْأَنْصَارُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ فَضْلٍ كَانَ فِي خِطَطِهَا وَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ شِئْتَ فَخَذْ مَنَازِلَنَا، فَقَالَ لَهُمْ خَيْرًا<sup>(٣)</sup>.

أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبد الرحمن: أَقَاسِمُكَ مَالِي نَصْفَيْنِ وَأَزْوَجُكَ. قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ. فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقْطًا وَسَمْنًا،

١ - أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكفني مئونة النخل وغيره، وتشركني في الثمر، (١٠٤/٣).

٢ - الصالحى، سبل الهدى والرشاد، ٣٢٥/٤.

٣ - ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٢٥/١.



فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَّنَّا يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضُرٌّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهِيمٌ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: «مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَوَآةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَزَنَ نَوَآةٍ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: «أَوْلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»<sup>(١)</sup>.

تكفلت المعاهدة التي أبرمت بين اليهود والمسلمين بتنظيم العلاقة والتعاون بينهم، فكان مما نصت عليه: وَإِنَّ الْيَهُودَ يَنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَعُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ «وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفَةٍ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ يَثْرَبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ، وَإِنَّهُ لَا تِجَارَ حُرْمَةً إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا»<sup>(٢)</sup>.

تعد الإغاثة عند الأزمات الكبرى من أكبر وأهم مظاهر التعاون، وقد جاء في الحديث «حَمَلْتُ حَمَالَةً، فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمِ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةَ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحُلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ: رَجُلٌ تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يَمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّى مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ

١ - أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَمَعَةَ نِفَاحُونَ ﴿١١﴾ وَرَكَعًا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجَنَّةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ [الجمعة: ١٠-١١]، وقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الذَّبَابُ عَامِنًا لَا تَأْكُلُ مِنْ أَمْرِكُمْ بَيْنَكُمْ وَلَا يَبْطِلُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (١٢) [النساء، ٢٩]، (٣/٥٣).

٢ - ابن كثير، السيرة النبوية ٢/٣٢٢.

قال: سدادًا من عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ - يَا قَبِيصَةَ - سُحْتًا، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا<sup>(١)</sup>.

الرحمة في كل تجلياتها: تتجلى هذه القيمة في سلوك يقتضى إيصال المنافع والمصالح إلى العباد، وإن كرهتها أنفسهم، وشقت عليها، وأرحم الناس بالناس من شق عليهم في إيصال مصالحهم، ودفع المضار عنهم، فمن رحمة الأب بولده، أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل من ولده كان لقلته رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل، كرحمة الأم، لهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين، تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أعراضه وشهواته من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه<sup>(٢)</sup>، ويمكن تعريفها إجرائياً بأنها: صفة وخلق يحمل دلالات واسعة كالعفو والتسامح، والإحسان، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه بها في قوله: --- [الأنبياء: ١٠٧].

أثبتت نصوص السنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رحيمًا بالإنسان مهما كان جنسه أو لونه أو طائفته، فهو رحيم بالمرأة إذ يماثلها بجنس الرجل في المكانة «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»، ويوصي في خطبة حجة الوداع قائلاً: «وَأَسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا»<sup>(٣)</sup>، وهي وصية التكريم والمحافظة عليها، وإحقاق حقوقها، «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ»<sup>(٤)</sup>.

أشارت السنة النبوية إلى ضرورة الرحمة بالصغار، ومن مظاهرها، «أن

- ١ - أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، (٢ / ٧٢٢).
- ٢ - ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢ / ١٧٤.
- ٣ - أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء، (٧ / ٢٦).
- ٤ - أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، (٢ / ١٠٩١).

النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح برؤوسهم»<sup>(١)</sup>، ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغار أنه كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحكنهم»<sup>(٢)</sup>، وكان يصلي وهو حامل أمّامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها وإذا سجد وضّ عها؟ قال يحيى: قال مالك: نعم».

أقر الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة بالمخالف في العقيدة، في السلم أو الحرب، ومن مظاهرها، الحرص على إسلامهم، «بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: انطلقوا إلى يهود. فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فناداهم: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم»<sup>(٣)</sup>، وكان يدعو لهم بالهداية، قالوا: «يا رسول الله! أخرجتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم. فقال: اللهم اهد ثقيفاً»<sup>(٤)</sup>، قالوا يا رسول الله، إن دوساً قد كفرت وأبت، فادع الله عليها فقيل: هلكت دوس فقال: اللهم اهد دوساً وأت بهم»<sup>(٥)</sup>.

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو لذي القربى المخالفين في العقيدة بالهداية، فقد دعا لأم أبي هريرة «إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اهد أم أبي هريرة، فخرجت مستبشراً

١- أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان باب الرحمة ذكر ما يستحب للمرء استعمال التعطف على صغار أولاد آدم، (٢ / ٢٠٥)، حديث صحيح.

٢- أخرجه مسلم، في كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام، (٣ / ١٦٩١).

٣- أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه، في الحق وغيره، (٩ / ١٢).

٤- الألباني، ضعيف سنن الترمذي، (٣٩٤٢ / ٥٢٧).

٥- أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل غفار، وأسلم، وجهينة، وأشجع، ومزينة، وتميم، ودوس، وطبي، (٤ / ١٩٥٧).

بَدْعُوَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، ولم يكن يدعو على المخالفين بالرغم من خطورتهم على لحمة المجتمع «قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»<sup>(٢)</sup>، وكان يحترم النفس البشرية رحمة بها وإشفاقا عليها، «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةٌ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا»<sup>(٣)</sup>، وتبقى صفة الرحمة من القيم السلوكية الملازمة لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن مخرجاتها إشاعة روح التكافل والتعاون، والمحبة والسلام، والخير والصلاح، والقضاء على الشقاق، والفرقة، والعنف، والجريمة.

### المطلب الثالث: المقاربة القانونية (الحقوقية)

تقوم هذه المقاربة على حفظ حقوق وحریات الإنسان من كل تعسف أو اعتداء أو إقصاء، وتستدعى القوانين لتنفيذ الأحكام المتعلقة بها، وغالبا لا تستند هذه المقاربة للمرجعية الشرعية أو الدين، فهي وضعية بامتياز، يمكن العدول عنها أو تعديلها، ولما كانت كذلك، فهي تستخدم بالطرق الإيجابية لإنصاف المعتدى عليهم، وأحيانا بطرق تعسفية وتحايل من أجل العقاب والترهيب، ولهذا تركز الورقة على نصوص الوحيين لاستنباط القوانين والتشريعات المفضية إلى لتنظيم المجتمعات والدفاع على حريات وحقوق الأفراد المكفولة، ويمكن أن نستدل على ذلك بأكثر من نص، وفقا للمحاور الآتية:

١- حرية الإنسان: ما تلبث معظم الأدبيات التي ألفت حول الحرية، أن تتفق جميعا على ضرورتها الإنسانية، وإن كانت جل القوانين تؤكد عليها، إلا أن تطبيقها على أرض الواقع قد جنح بها إلى غير ما يجب أن تكون عليه،

١- أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، (٤ / ١٩٣٨).

٢- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (٤ / ٢٠٠٦).

٣- أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، (٢ / ٨٥).

فتحولت الممارسات إلى فوضى أخلاقية، متجاوزة شعار «تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين»، وللرجوع بهذه القيمة إلى مبتغائها، عرضت سلم تقييمها على نصوص السنة النبوية التي أقرت بعض مظاهرها وممارساتها الإيجابية.

رغبت السنة النبوية في تحرير الرقاب، حيث اعتبرته عملاً ينقذ صاحبه من النار، فجاء في الحديث «أَيُّ أَمْرٍ مُسْلِمٌ أَعْتَقَ أَمْرًا مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ حِينَ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَذَكَرْتُهُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَأَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ ابْنُ جَعْفَرٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ<sup>(١)</sup>»، قال المهلب: «في هذا الحديث فضل العتق، وأنه من أرفع الأعمال، ومما ينجي الله به من النار، وفيه أن المجازاة قد تكون من جنس الأعمال، فجوزي المعتق للعبد بالعتق من النار، وإن كانت صدقة تصدق عليه في الآخرة، وهذا الحديث يبين أن تقويم باقي العبد على من أعتق شخصاً منه إنما هو لاستكمال عتق نفسه من النار، وصارت حرمة العتق تتعدى إلى الأموال لفضل النجاة به من النار، وهذا أولى من قول من قال: إنما ألزم المعتق باقيه ليكمل حرمة العبد، وتتم شهادته وحدوده، وهو قول لا دليل عليه<sup>(٢)</sup>»، «قال الله: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ<sup>(٣)</sup>».

ومن أوجه تحرير الإنسان، أن يعتق الولد والده وهذا العتق هو بمثابة المكافأة للولد الذي حرصت السنة على الإقرار به من قبيل البر بالوالدين وحفظ كرامتهما وحقهما في الحياة، «لَا يَجْزِي وُلْدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ،

١- أخرجه مسلم، في كتاب العتق، باب فضل العتق، (٢ / ١١٤٨).

٢- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (٧ / ٣٤).

٣- أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً، (٣ / ٨٢).

وفي رواية: «وَلَدٌ وَالِدَةٌ»<sup>(١)</sup>، وهو أعظم البر لما يترتب عليه من جزاء أخروي، وقد اقترن بعبادة الله عز وجل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

كفلت السنة النبوية أيضا الحرية للإنسان بكل فئاته، فنجدها تركز على حرية العقيدة، فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان لمن طلبه ودخل بيوت المسلمين، فجاء عن أم هانئ بنت أبي طالب، أَنَّهَا أَجَارَتْ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَآتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّا مَنْ أَمَنْتِ»<sup>(٢)</sup>، ولم ينتقم الرسول من المشركين عند فتح مكة، بل أقرهم على حرية دينهم، «معشر قريش، ماترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم!! قال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(٣)</sup>، وتبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من بطش خالد بن الوليد بالأسرى عندما بعثه إلى «بني جذيمة، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا: صبانًا صبانًا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم إن ي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين»<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه مسلم في كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، (٢ / ١١٤٨).

٢- أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في أمان المرأة، (٣ / ٤٦٠)، صححه الألباني.

٣- الغزالي، فقه السيرة، ٣٨٣، حديث ضعيف، رواه ابن إسحاق معضلا كما في (ابن هشام): (٢ / ٢٧٤)؛ وقد ذكره الغزالي في (الإحياء): (٣ / ١٥٨)، من حديث أبي هريرة دون قوله: «اذهبوا». وقال الحافظ العراقي في تخريجه: «رواه ابن الجوزي في (الوفاء) من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف»، ثم ذكره الغزالي من حديث سهيل بن عمرو. فقال العراقي: «لم أجده».

٤- أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور، أو خلاف أهل العلم فهو رد، (٧٣ / ٩).

أقر الرسول صلى الله عليه وسلم حرية تقرير المصير، في سياسة المجتمعات بعد تنبيههم إلى ضرورة اعتناق الإسلام ولم يجبرهم على ذلك، ففي رسائله للملوك، إقراراً بذلك، وهو السمو في الخطاب والترغيب لا الترهيب: «مَنْ مُحَمَّدَ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ، إِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسَلِمُ تَسَلَّمَ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيَّ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]»<sup>(١)</sup>، وقد أكد هذه الدعوة في رسالته إلى ملكي عمان، «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابن الجلندي، السلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فإني أدعوكم بدعاية الإسلام؛ أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما؛ وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما؛ وخيلي تطأ ساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»<sup>(٢)</sup>.

٢- تكريم الإنسان بتشريع العقوبات: حرصت رسالة الإسلام بوحيتها (القرآن والسنة)، على تكريم الإنسان بحفظ دمه ونفسه، وعرضه، وحياته العامة، فأقرت بتشريع العقوبات على اختلاف أنواعها، والتي تتناسب مع كل عدوان أو جريمة، فتحددت نصوص عقوبات الحدود، ومنها الزنا بالجلد، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عِدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]، وجاء في الحديث عن ابن عباس في قوله: «وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ»، قال: «كَنْ يُحْبَسَنَّ فِي الْبَيْوتِ فَإِنْ مَاتَتْ مَاتَتْ وَإِنْ عَاشَتْ عَاشَتْ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ

١- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، (٦ / ٣٥).

٢- أبو زهرة، خاتم النبیین صلى الله عليه وآله وسلم، (٣ / ٨٦٩).

الآية التي في سورة النور الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ونزلت سورة الحدود فمن عمل شيئاً جليداً وأرسل<sup>(١)</sup>.

شرعت عقوبة قذف المحصنات بالحد نفسه، مع اختلاف العدد: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَأَجْلِدُوهُنَّ مِائِينَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، وفي الحديث «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(٢)</sup>، كما حددت عقوبة السرقة بقطع الأيدى ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِغَنَائِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله صلى الله عليه وسلم «تقطع يد السارق في ربع دينار»<sup>(٣)</sup>، وشرع القصاص، ردا لمظالم العباد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ النَّعْمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، «وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً؛ فمظالم العباد بينهم القصاص لا محالة»<sup>(٤)</sup>، وإن كان العفو قد شرع معه، فجاء في الحديث، «أن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية، فطلبوا الأرض، وطلبوا العفو، فأبوا، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله، لا والذي بعثك بالحق، لا تكسر ثنيتهما، فقال: يا أنس كتاب الله القصاص، فرضي القوم وعفوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره زاد

- ١- الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، سورة النساء، (٧/٢)، رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مرزوق، وهو ضعيف.
- ٢- أخرجه البخاري في كتاب الوصايا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ تُلْمَةً إِيَّاهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، (٤/١٠).
- ٣- أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] وفي كم يقطع؟، ٨/١٦٠.
- ٤- الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، (١/٤٤٣).



الْفَزَارِيِّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ»<sup>(١)</sup>.

العدل بين الناس من غير تمييز: حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بالعدل بين الناس، على اختلاف انتماءاتهم، نزولا عند أمر الله: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وقضى الرسول صلى الله عليه وسلم بالعدل وإن كان على المسلمين، وذلك فيما ورد عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه قال: انطلق عبدُ الله بنُ سهلٍ، ومُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودِ بنِ زَيْدٍ، إلى خَيْبَرَ وهي يومئذٍ صُلْحٌ، فتفرقا فأتى مُحَيِّصَةُ إلى عبد الله بن سهل وهو يتشمط في دمه قتيلا، فدفعه ثم قدم المدينة، فانطلق عبد الرحمن بن سهل، ومُحَيِّصَةُ، وحويصة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال: كبر كبر وهو أحدث القوم، فسكت فتكلمنا، فقال: تحلفون وتستحقون قاتلكم، أو صاحبكم، قالوا: وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر؟ قال: فتبريكم يهود بخمسين، فقالوا: كيف نأخذ أيمان قوم كفار، فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده<sup>(٢)</sup>، ولما اختصم الأشعث بن قيس ورجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أرض باليمن ولم يكن لعبد الله بينة قضى فيها لليهودي بيمينه، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألك بينة»، قلت: لا، قال: فقال لليهودي: «أحلف»، قال: قلت: يا رسول الله، إذا يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية<sup>(٣)</sup>.

ومن عدله معهم أنه صلى الله عليه وسلم منحهم حق التحاكم فيما بينهم إلى

- ١- أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب الصلح في الدية، (٣ / ١٨٦).
- ٢- أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب الموادة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره، وإثم من لم يف بالعهد، (٤ / ١٠١).
- ٣- أخرجه البخاري في كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، (٣ / ١٢١).

قوانين دينهم، ولم يلزمهم بقوانين المسلمين إذا كان طرفا القضية من أتباعهم، إلا إذا ترفعوا إليه وطلبوا منه الحكم بينهم، فكان حينئذ يحاكمهم بالشريعة الإسلامية. «جاء رجلٌ من حضر موتَ ورجلٌ من كندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي، فَقَالَ الْكَنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدَي أَرْضِهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَضْرَمِيِّ: «أَلَك بَيْتَةٌ» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَك يَمِينَةٌ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>، ولم يجز الرسول صلى الله عليه وسلم مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه تحت أي مسوغ: «عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَخَذَ سَنًّا، فَجَاءَ صَاحِبُهُ يَتَقَضَاهُ، فَقَالُوا لَهُ: فَقَالَ: إِنَّ لَصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، ثُمَّ قَضَاهُ أَفْضَلَ مِنْ سَنِّهِ، وَقَالَ: أَفْضَلُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»<sup>(٢)</sup>، «فَإِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخِصْمَانِ فَلَا تَقْضُ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

٤ - حماية خصوصية الأفراد: لا بد أن أشير أن وسائل الإعلام الجديدة أربكت البيئة الاجتماعية في كل موطن، حيث أفرط بعض مستخدميها وباسم حرية التعبير في إشاعة العنف اللفظي والتعدي على خصوصيات الأفراد من مختلف المستويات، حيث نجد التسريبات ذات المضامين المخلة بالحياء، مع صور تشويهية لواقع سياسي واجتماعي، وصور لشخصيات سياسية ودينية لا تتوافق مع الآداب العامة، وبالرغم من ترسانة القوانين التي تدعو إلى الالتزام ومراعاة مشاعر الأفراد في تلقي محتوى هادف وأخلاقي، إلا أن

١ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، (١ / ١٢٣).

٢ - أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب من أهدي له هدية وعنده جلساؤه، فهو أحق، (٣، ١٦٢).

٣ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأفضية، باب كيف القضاء، (٣ / ٣٠١)، حسنه الألباني.

الأمر مستمر مع أي مستحدث اتصالي أو إعلامي جديد، وتتلخص الدعوة إلى حماية خصوصيات في الآية الكريمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَحْسَسُوهُ وَلَا يَحْتَسِبُ وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، كما تعد الآية الكريمة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلَةٍ فَضُصِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] بمثابة دستور إعلامي يختزل آداب ومسؤولية نقل المعلومات، وما يترتب على عدم الالتزام بذلك على المستوى النفسي والجماعي.

وضحت السنة أنه لا يمكن محاكمة الأفراد ونياتهم، فسراير البشر إلى خالقهم، «بَعَثْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهِينَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتُ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسَلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»<sup>(١)</sup>، وحرصت السنة النبوية على حماية خصوصيات الأفراد، ولهذا فهي تنهي عن تتبع العورات والحياة الخاصة، وما يتعلق بها من ممارسات فردية مسيئة، وتبين عقاب الله تعالى وهو السلوك من جنسه، فمن فضح عورة مسلم فضحة الله عز وجل «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بَلْسَانَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

١- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، (١ / ٩٦).  
٢- أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (٤ / ٣٧٨)، قال الألباني حسن صحيح.

دعت السنة النبوية إلى بناء اجتماعي سليم يقوم على الأخوة التي تختفي معها كل السلوكيات والنوايا السيئة، من أجل مجتمع سليم قوي البنين والعمران، «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الرابع: المقاربة الاقتصادية

تتلخص المقاربة الاقتصادية من الناحية الإجرائية، في طبيعة المعاملات من بيع وشراء، وما يحيط بهما من شبهات كما تتلخص في الممارسات التجارية، ومدى صحتها وسلامتها، وقد أحاطت السنة النبوية بطبيعة هذه المعاملات والممارسات، فحرمت ونهت عن كل ما يشته به، وحثت على كل مستحسن جالب للمنفعة، ومن أهم هذا الأوجه ما يأتي:

١- تحريم الغش في البيع: أشارت السنة النبوية إلى النهي عن الغش إجمالاً في كل المعاملات والتعاملات، فجاء في الحديث «ليس منا من غش»<sup>(٢)</sup>، «كما أشارت إلى شروط البيع، كالرضا وما يترتب عن الصدق في إظهار السلعة الجيدة حيث تحل البركة، وأثر الكذب والغش فيها، من رفع البركة ومحققها «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»<sup>(٣)</sup>، وأشارت أيضاً إلى أنواع الغش فيه، كالغرر والجهالة: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرْرِ»<sup>(٤)</sup>، وعن بيع الثمار قبل نضجها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ بَيْعِ النَّخْلِ حَتَّى يَزْهُو، وَعَنْ السُّنْبُلِ حَتَّى يَبْيَضَّ، وَيَأْمَنَ الْعَاهَةُ» نَهَى

١- أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، (٦ / ٢٤٧٤).

٢- أخرجه مسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع فضل الماء الذي يكون بالفلاة ويحتاج إليه لرعي الكلاء، (٣٤ / ٥).

٣- القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (٤ / ٤٤).

٤- أخرجه مسلم في كتاب البيوع، باب بطلان بيع الحصاة، والبيع الذي فيه غرر، (٣ / ١١٥٣).

## البَّاعِ وَالْمُشْتَرِيَّ<sup>(١)</sup>.

٢- **تحريم الربا:** اتفقت نصوص الوحيين على تحريم الربا، الذي يعتبر مخالفا لأعراف البيوع الصحيحة، وأظهرت الآية الكريمة عاقبة التعامل بمقتضاه، وعدم الإقلاع عنه ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥]، و«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ الرِّبَا، وَمُوكَلَّهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَكَاتِبَهُ»<sup>(٢)</sup>، وأوضح النص النبوي الأصناف المختلفة من العملات والثمار التي لا يجوز فيها إلا بمقدار التساوي والكيفية: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبَاً إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ رِبَاً إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِبَاً إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِبَاً إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

٣- **تحريم التطفيف في الكيل والميزان:** والتحريم والوعيد لمن يقوم بذلك، واضح بحكم نص الآية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۗ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۗ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۗ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۗ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۗ (٥)﴾ [المطففين: ١ - ٥]، وهو أيضا موضح في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي شدد على خمس يتلى فيها الإنسان بمختلف الابتلاءات فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ،

١- أخرجه مسلم في كتاب البيوع، باب النهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها بغير شرط القطع، (٣/ ١١٦٥).

٢- أخرجه الترمذي في أبواب البيوع باب ما جاء في أكل الربا، (٣/ ٥٠٤)، حديث حسن صحيح.

٣- أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الشعير بالشعير، (٣/ ٧٤).

إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ...»<sup>(١)</sup>.

٤- تحريم الاحتكار: نهى النص القرآني عن الاحتكار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥]، قال حبيب بن أبي ثابت: «ومن يرد فيه بالحد بظلم»، قال: المحتكر بمكة، وكذا قال غير واحد، وقال ابن أبي حاتم ناقلا عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احتكار الطعام بمكة إحداد»<sup>(٢)</sup>، وجاء في الحديث، «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اِحْتِكَارُ الطَّعَامِ فِي الْحَرَمِ إِحْدَادٌ فِيهِ»<sup>(٣)</sup>، وهو قول عمر بن الخطاب، ومما ورد في النهي عن الاحتكار قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِيٌّ»<sup>(٤)</sup>.

٥- التوافق والرضا في البيع والشراء: لم تكتف نصوص الوحيين بالتفصيل في نقيض القيم المتعلقة بالبيع والمعاملات، وإنما وازنت بينها وبين القيم الإيجابية، حيث حثت على التوافق والتراضي، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]، وفي الحديث أمر بذلك، ونهى عما يشوب هذا التراضي ويسىء إليه: «لَا أَلْقَيْنَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَالِ أَحَدٍ، مِنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، إِذَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ، وَلَكِنْ فِي بَيْعِكُمْ خِصَالًا، أَذْكَرُهَا لَكُمْ، لَا تَضَاغُنُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا يَسُومُ الرَّجُلُ، عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا يَبِيعَنَّ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَالْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ،

١- أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب العقوبات، (٢/ ٣٣٢)، في الزوائد هذا حديث صالح للعمل به. وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه، حسنه الألباني.

٢- ابن كثير، التفسير الكبير، ٣٣٥.

٣- أخرجه أبو داود في كتاب المناسك باب تحريم حرم مكة، (٢/ ٢١٢)، ضعفه الألباني.

٤- أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، (٣/ ١٢٢٨).

وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الخامس: المقاربة الإدارية:

تعرف الإدارة من وجهة نظر الباحثة بأنها، الممارسة التي تنتهج التخطيط وتحقيق الأهداف، وفقا لمؤشرات تتعلق بسلوك الفرد على حدة أو سلوكه داخل مؤسسة العمل، من أجل تطوير الذات وتطوير وتحقيق المخرجات المخطط لها، وهي متعددة ومتنوعة، سيق منها الأهم فالمهم، وتشمل:

١- احترام الوقت: هو الزمن الذي يقدم فيه الإنسان خلاصة تجربته في الحياة، ومسار عمله الإيجابي النافع، وقد أقرن بالصحة وهي أساس الحركة والفاعلية، وكلاهما نعمة، حذر الحديث من تضييعها وعدم الاستثمار في خصوصياتها، لأنها منفعة في الدنيا لجلب المصالح، وهي منفعة في الآخرة لنيل الثواب، «نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ»<sup>(٢)</sup>، والوقت كالسيف لا يرجع إن لم تقطعه قطعك، وهم قيمة هامة للانطلاق وفق خط مستقيم، وقد علم الرسول صحابته حسن إدارة الوقت، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيَصِلِي عَلَيْهِ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ، قال الطيبي رحمه الله تعالى: «إن الأوقات والساعات كرأس المال للتاجر، فينبغي أن يتجر فيما يربح فيه، وكلما كان رأس المال كثيرا كان الربح أكثر، فمن مضى لطيبه فاز وأفلح، ومن أضع

١- أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البيوع، باب البيع المنهي عنه ذكر العلة التي من أجلها زجر عن هذا البيع، (١١ / ٣٤٠).

٢- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، (٨ / ٨٨).

رأس ماله لم يريح وخسر خسرا مبينا<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته»...<sup>(٢)</sup>، فالاهتمام بالوقت، وإعمال العقل في استثماره والاستفادة منه، مطلب مهم في حياة المسلم، «أعلى الفكر وأجلها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة؛ فما كان لله أنواع، وذكر منها: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهمم - أي: الهمة - كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبداً<sup>(٣)</sup>».

قال الشيخ حافظ الحكمي، معلقاً على حديث الخمس: «اغْتَنِمَ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»<sup>(٤)</sup>، «يعني أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة، هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاتته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها ولا ينفعه التمني للأعمال بعد التفريط منه والإهمال في زمن الفرصة والإمهال، فإن بعد كل شباب هرما وبعد كل صحة سقما وبعد كل غنى فقرا وبعد كل فراغ شغلا وبعد كل حياة موتا، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا الغنى لم يدركه في حالة الفقر ومن فرط فيه في

١- الطيبي، كتاب شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن، (١٠/ ٣٢٨).

٢- ابن القيم، الداء والدواء، (١/ ٣٥٨).

٣- الجريسي، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، ١/ ١١٩.

٤- المنذري، الترغيب والترهيب، كتاب التوبة والزهد الترغيب في التوبة والمبادرة بها وإتباع، (٤/ ١٢٥)، رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا.



ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ويطلب الكرة وهيهات وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات<sup>(١)</sup>.

٢- الإنجاز: تعد قيمة الإنجاز ضمن المقاربة الإدارية، من أهم القيم التي يجب أن يحرص عليها الفرد أو الجماعة أو المؤسسة، وهي سلوك عملي يجانب التسويف، والتقاعس عن الأداء، ويدل على الاستمرارية وتوقع النتائج الإيجابية، فيحث الحديث على الإنجاز وتوقع الفائدة منه، وأجر تلك الفائدة في الآجل أو العاجل، وقد تبينت في الصدقة وهي تطفئ الخطيئة، «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرُسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»<sup>(٢)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

يعني الإنجاز أيضا، عدم الانتقاء، والتمسك بأي عمل يعود على صاحبه بالمنفعة المادية التي تحفظ للإنسان كرامته، «اذْهَبْ فَاحْتَطَبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا»، فَجَعَلَ يَحْتَطَبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ: «اشْتَرِ بَعْضَهَا طَعَامًا وَبَعْضَهَا ثَوْبًا»، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَحِيَّاءَ وَالْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْطَعٍ، أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ»<sup>(٤)</sup>، وهو التوجيه نفسه في هذا الحديث أيضا «لَأَنَّ يَحْتَطَبَ أَحَدُكُمْ

١- الحكمي، معارج القبول ٢ / ٧١١، ٧١٢.

٢- أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٣ / ١٠٣).

٣- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، (٢ / ١١٥).

٤- أخرجه ابن ماجه، في كتاب التجارات، باب بيع المزايدة، (٢ / ٧٤٠)، حديث صحيح.

حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

٣- الإثقان: ذكرت هذا القيمة بلفظ صريح في الآية الكريمة ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِذِي الْأَنْفُسِ كُلِّ شَيْءٍ إِيَّاهُ خَيْرًا يَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، وقد دلت على بديع الإثقان الذي تقوم به الذات الإلهية، في الأفاق، وفي الأنفس، وهي قيمة تدل على المهارة والحداقة في التعامل مع المحيط وواقعه ومتطلباته، فهناك محيط العمل الذي يجب أن يتم فيه الإثقان بشكل دقيق، «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ»<sup>(٢)</sup>، وهناك المحيط الاجتماعي الذي يتعامل فيه المرء مع كل كائن حي أو جامد، فنجد التوجيه إلى حسن الانضباط والدقة في القيام بالشيء، «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(٣)</sup>.

٤- المداومة: وهي الاستمرارية في تحقيق العمل مع ضمان معايير الجودة، ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرْدُوكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَشِرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وهي تتطلب الكيف لا الكم «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ»، قال: وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمَلَتْ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ<sup>(٤)</sup>، والمداومة تعني الاستقرار على عمل الشيء إلى غاية تحقيقه «وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبِتُوهُ»<sup>(٥)</sup>.

١- أخرجه البخاري في كتاب المساقاة باب بيع الحطب والكلأ، (٣ / ١١٣).

٢- البيهقي، شعب الإيمان، (٧ / ٢٣٢).

٣- أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، (٣ / ٥٤٨).

٤- أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، (١ / ٥٤١).

٥- أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، (١ / ٥٤٠).

٥- التقييم: يتطلب أي فكر أو مراجعة للسلوك هذه القيمة العملية، وفقا لطبيعة المخرجات وتحقيقها في أي مجال، كما يأتي هذا التقييم لمراجعة الأخطاء التي يقع فيها الفرد أو الجماعة، ويستند إلى الأنموذج والقدوة المثلى، فقد جاء في كلام جعفر بن أبي طالب مثال رائع على هذا التقييم، وهو يصف وضعهم الاجتماعي قبل البعثة: «كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، - قال: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به...»<sup>(١)</sup>.

وفي قصة الحباب بن المنذر ما يتناسب مع التقييم بعد المشورة، هذه الأخيرة تعد أيضا من أساسيات قيم المقاربة الإدارية، فقد شاور الرسول الله وسأله عن نوع العمل الذي يقومون به، «قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزَلًا أَنْزَلَكَ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قال: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، ثم شرع في تقييم الوضع معتمدا على رأيه الصائب، «قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَأَمُضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَنَنْزِلُهُ، ثُمَّ نَعُورَ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلُوهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ

١- أخرجه أحمد في مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، (٢ / ٣٥٧)، حديث جعفر بن أبي طالب وهو حديث الهجرة.

أَشْرَتْ بِالرَّأْيِ<sup>(١)</sup>»، فنهض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثاني: مرجعيات دعم تفعيل القيم الإنسانية

يستند تفعيل القيم الإنسانية المدرجة ضمن المقاربات المتنوعة التي سبق ذكرها إلى مرجعيات متعددة والتي تعتبر بمثابة المؤسسات التي تعمل على تربية الفرد وتنشئته، وتعليمه وإرشاده وفقاً لسلماها الذي يعد إيجابياً، ومن هذه المرجعيات، الأسرة، والمسجد، والمؤسسات الخيرية، ووسائل الاتصال، وقد اقتصر على ذكرها لأهميتها الاجتماعية والتربوية، بما يتوافق ونصوص الوحيين بصفة عامة، ونصوص السنة النبوية بصفة خاصة.

#### المطلب الأول: الأسرة

تعد الأسرة المؤسسة الأولى التي ينشأ فيها الفرد على جل القيم، كما تعد الحصن الحصين الذي يحمي الفرد من الانحراف والضياع، وهي المؤسسة التي ترسم للفرد خريطة الطريق، للانطلاق وفق سبيل مستقيم، وتنطلق هذا المؤسسة من اجتماع عدد من الأفراد تربطهم علاقة مقدسة، تبنى على المودة والرحمة بين الرجل والمرأة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وتتأسس العلاقة بين الأهل وفقاً لمسؤوليات عظيمة، تأهل الإنسان ليكون خط الدفاع الأول للتوجيه والتربية على أصول الدين، ومن ثمة تحصينه من العذاب الدنيوي والعذاب الأخروي، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

١- ابن كثير، السيرة النبوية، ٢/٤٠٢.

٢- الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/٢١٣.

عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحرير: ٦].

وضعت السنة النبوية منهجا واضحا للأسرة، ابتداء من اختيار عقيدة الفرد السليمة، فهي المسؤول الأول عن استقامتها أو انحرافها «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانَهُ وَيُنَصِّرَانَهُ وَيُيَسْرِكَانَهُ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»<sup>(١)</sup>، كما وضحت القيم النبيلة في تعامل الفرد مع الأهل من الإحسان والرحمة واللطف والمحبة، «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَالْأَطْفَهْمُ بِأَهْلِهِ»<sup>(٢)</sup>، وأكد على مسؤولية كل فئة من الرجال والنساء، التي تكون بالتكامل والتعاون، لا بالتنافر والتناحر، وهو ما تستقيم بها الحياة: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(٣)</sup>، وبينت نصوص السنة المنهج الأقوم للمحافظة على القيم وهو التأديب والتربية «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»<sup>(٤)</sup>، والسبيل المفضي إلى ذلك باختيار المرأة الصالحة المحافظة على دينها، فهي نصف المجتمع، إذا صلحت، صلح معها، وإذا انحرفت انحرف معها، «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: عِ: لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ»<sup>(٥)</sup>.

ولا يمكن للمرأة أن تشترك في إصلاح أسرتها ومجتمعها إلا إذا تدعمت بمن يحافظ عليها، وينزلها المكانة التي تستحق، وهي المكانة التي حرصت نصوص

١- أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (٢٠٤٨ / ٤).

٢- أخرجه الترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، (٩ / ٥)، حسنه الألباني.

٣- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، (٣١ / ٧).

٤- أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في أدب الولد، (٢٣٨ / ٤)، هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْخَزَّازِ وَهُوَ عَامِرُ بْنُ صَالِحِ بْنِ رُسْتَمِ الْخَزَّازِ وَأَبُو بِنِ مَوْسَى هُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهَذَا عِنْدِي حَدِيثٌ مَرْسَلٌ.

٥- أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الأكنفاء في الدين، (٧ / ٧).

الوحيين، وقد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم في أولويات خطبته الشهيرة «وَأَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: المسجد

أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة واستقراره فيها، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر، بناء المسجد، الذي يعد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي وبناء قيمه، ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه، التي تنطلق من روح المسجد ووحيه<sup>(٢)</sup>.

أسس الرسول صلى الله عليه وسلم مسجد قباء وهو في الطريق إلى المدينة، ثم أسس المسجد الحرام، واتخذه المسلمون دار عبادتهم، قام المسجد النبوي بمهام متعددة ومتنوعة، ففيه بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم المسلمين، ويلتقي بهم، وكان يلتقي بالوفود، والغرباء، وقد أدرك المسلمون أهمية المسجد النبوي لما فيه من كثرة البركة، وعظم الخير كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>، وبادر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى بناء المساجد، لتظهر فيها شعائر الإسلام، التي طالما حوربت، ولتقام فيها الصلوات، التي تربط المرء برب العالمين، وتنقي القلب من أدران الأرض، ودسائس الحياة الدنيا<sup>(٤)</sup> ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ

١ - أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، (٢ / ١٠٩١).

٢ - البوطي، فقه السنة النبوية، ١٤٣.

٣ - غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٢٢٠ - ١٠٨.

٤ - الغزالي، فقه السيرة، ١٨٨.

اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا يَبِيعُ  
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ [النور:  
٣٦ - ٣٧].

كانت المساجد قبله للأفراد ليعلنوا إسلامهم ويتبرؤا من جاهليتهم، ويحاورن الرسول وينظرونه حول الدين الذي ابتعث به، فقد أعلن عمر بن الخطاب إسلامه في المسجد، «أتى المسجد وفيه بطون قريش متحلقة فجعل يعلن الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»<sup>(١)</sup>، وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد، ليناظر النضر بن الحارث ومعه من رجال قريش، فعرض له النضر، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هُنَّ لَاءَ آلهةَ مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠]<sup>(٢)</sup>.

وظف الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد ومرفقاته ليكون مأوى للمساكين، وراحة لهم، فجعل فيه محلا مظلا يسمى الصفة، وكان أهله يسمون أهل الصفة، وكان صلى الله عليه وسلم في وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معهم<sup>(٣)</sup>، وعلمهم آداب الدخول إليها حيث أمرهم بالنظافة والكف عن الأذى: «مَنْ أَكَلَ الثُّومَ أَوْ الْبَصَلَ مِنَ الْجُوعِ أَوْ غَيْرِهِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا»<sup>(٤)</sup>، كما علمهم اللين والتواضع، والاستقامة والمساواة، والاتحاد «أقيموا الصفوف، فإنما تصفون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا في أيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفا وصله الله تبارك وتعالى،

١- الألباني، صحيح السيرة النبوية، ١٩٣.

٢- الألباني، سبق ذكره، ١٩٧.

٣- الحلبي، سبق ذكره، ١١٢.

٤- أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب ما جاء في الثوم الني والبصل والكراث، (١/ ١٧٠).

ومن قطع صفا قطعه الله»<sup>(١)</sup>، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح المساجد أمام النساء للصلاة والتعبد لأن فيه الخير الكثير لهن، بدل الانشغال بغير ذلك، «اخذنوا للنساء بالليل إلى المساجد تَفَلَات»<sup>(٢)</sup>.

ولم تكن المساجد إلا مكانا للتقوى والعبادة والبشارة بالفلاح التام لمن يرتادها ويحسن الالتزام بتشريعاتها، «بَشِّرِ الْمُشَائِنَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسارعة في تشييدها، والإكثار منها، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»<sup>(٤)</sup>، وحذرت الآية الكريمة من إغلاقها، والتهاون في خدمتها، والسعي إلى هدمها بطريقة أو بأخرى، وهي المؤسسة التي يجب أن يحرص عليها الجميع، أفراد، وجماعات، وحكومات، وهذا التحذير جاء في شكل وعيد بالخسران في الدنيا والعذاب في الآخرة، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> [البقرة: ١١٤].

### المطلب الثالث: المؤسسات الخيرية

حث نصوص الوحيين على المشاركة في أعمال المؤسسات الخيرية بالنفس والمال، والجود عليها بالوقت، وعلى الحضور، وتكثير السواد فيها، وحسن استقبال روادها، وإتقان وضع برامجها وترتيب جداولها، وشحن الهمم لتنفيذ مهامها، والعمل على تحقيق مقاصدها، ونشر فكرتها، وتصحيح مسيرتها، والذب

- ١- أخرجه أحمد في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٢١٦/٥)، ذكره ابن وهب بهذا الإسناد موصولا، ومن طريق الليث بن سعد عن كثير بن مرة مرسلًا، لم يذكر فيه ابن عمر، وهو عنده مختصر قليلا، لم يذكر فيه قوله «فإنما تصفون بصفوف الملائكة».
- ٢- سبق تخريجه.
- ٣- أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، (١/ ١٥٤)، صححه الألباني.
- ٤- أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب في بناء المساجد، (١/ ١٢٣)، صححه الألباني.



عنها، وحراسة أهلها، ومقاومة محاولات هدمها وإعاقتها<sup>(١)</sup>، وفعل الخير واجب بالنص القرآني: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧]، ومن مستلزمات فعل الخير، الإيمان بالله و المسارعة لذلك، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ٦٠ - ٦١].

وقد ارتبط فعل الخير ابتداء بالإيمان، وتاليا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ [آل عمران: ١١٤].

وورد في الوحيين أيضا الكثير من أنواع أعمال الخير، كالصدقة، سواء كانت نقدا عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سَبَقَ دَرَاهِمٌ مِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ» قالوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَ «أَنَّ لِرَجُلٍ دَرَاهِمَانَ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَىٰ عَرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا»<sup>(٢)</sup>، أو كانت شيئا ذو قيمة من طعام، ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ [الإنسان: ٨]، وجاء في الحديث: «إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ، وَلَزَّ وَجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>، أو كسوة أو لباس، مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا إِلَّا كَانَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ مَا دَامَ مِنْهُ عَلَيْهِ خِرْقَةٌ»<sup>(٤)</sup>.

تعد كفالة اليتيم من أهم الأعمال الخيرية، يترتب عليها الجزاء الحسن، «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ يَأْضُبَعِيهِ السَّبَابَةُ وَالْوَسْطَىٰ<sup>(٥)</sup>، أما تقديم الخير

١- المنجد، كونوا على الخير أعوانا، ٣٠.

٢- أخرجه النسائي في كتاب الزكاة جهد المقل، (٥٩ / ٥)، حسنه الألباني.

٣- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب من أمر خادمه بالصدقة ولم يناول بنفسه، (١١٢ / ٢).

٤- أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (٦٥١ / ٤)، ضعفه الألباني.

٥- أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب فضل من يعول يتيما، (٩ / ٨).

للثقات الضعيفة، فهو أمر عظيم كالجهاد والقيام والصيام، «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارَ»<sup>(١)</sup>، والمال الحسن الطيب، وهو مال الصدقة للمساكين والأيتام وابن السبيل، «وَأَنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينُ، وَالْيَتِيمُ، وَأَبْنُ السَّبِيلِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن أوجه الخير أيضا سلوكيات وممارسات قد لا نلقي لها بال، بخلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي لقاء الناس بوجوه فرحة مبتسمة، وإرشاد التائهين، وفاقدي البصر، ودفع الأذى عن الطريق والإيثار، ففي الحديث: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَ وَالْعِظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

تتجلى أعمال الخير أيضا فيما يتم وقفه من مؤسسات وأراضي، وآبار، ودور عبادة، «وقد أدرك المسلمون في وقت مبكر من تاريخهم أهمية الأوقاف لاستمرار أعمال البر وديمومتها، خصوصا في المرافق التعليمية والدينية كالمدارس، والمساجد والاجتماعية كالملاجئ والمستشفيات، هذه الأوقاف على تلك المرافق تكفل لها الاستمرار تبعاً لرغبات الواقفين ومقاصدهم المشروعة»<sup>(٤)</sup>، يقول الأستاذ محمد بن عبد العزيز بن عبد الله في دراسته القيمة عن الوقف وأهميته بالنسبة للمسجد: «أنه أهم مورد مالي رصد لحياة المسجد ليستمر بكل ما يتعلق بالشؤون الإسلامية، ودور تحفيظ القرآن الكريم، وكانت وما تزال أهم مورد لشؤون

١- أخرجه البخاري في كتاب النفقات باب فضل النفقة على الأهل، (٦٢ / ٧).

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، (٧٢٨ / ٢).

٣- أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في صنائع المعروف، (٤ / ٣٣٩)، صححه الألباني.

٤- أبو سليمان، كتاب عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، ١٨.

الدين، وللتعليم الإسلامي على الإطلاق، وأكثرها دخلاً وإدراكاً، وإليها يرجع الفضل في بقاءه واستمراره أحقاباً وقرونًا، وفي انتظام الحياة العلمية والدراسية في جامعات الإسلام وكلياته ومؤسساته<sup>(١)</sup>، وعد الوقف الخيري والأهلي من الصدقة الجارية التي يستمر أجر صاحبها حياً وميتاً<sup>(٢)</sup>، بل في أوليات ما حث النبي صلى الله عليه وسلم عليه، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

#### المطلب الرابع: وسائل الاتصال

تتنوع وسائل الاتصال في ضوء السنة النبوية، وقد اهتم بها الرسول صلى الله عليه وسلم ووظفها في عمله الدعوي، مدركاً لأهميتها في إبلاغ المدعوين والتواصل معهم في شؤون دينهم وديانهم، وقد اختصرت هذه الوسائل في ما يأتي:

١- الخطابة: تعرف بأنها ضروب القياس المؤلف من أقوالٍ مضمونة أو مقبولة، والأقوال المضمونة: ما يُؤخذ فيها بالاحتِمالِ الراجح، والأقوال المقبولة: ما تُتلقى ممن يعتقد صدقه وسداد رأيه، ويعرفها الأدباء والبلغاء: «بأنها فن إلقاء الكلام المنثور سَجْعاً أو مُرْسَلاً؛ لاستمالة السامعين إلى رأي، أو ترغيبهم في عمل»<sup>(٤)</sup>، وأعرفها باختصار بأنها «فن الإلقاء والإقناع»، والخطيب البارع يتفنن في إقناع كل فئات المجتمع، وبوظائفهم المتنوعة، فهو «من يقف في الجُندِ المتباطئ، ويصف له ما يناله الأبطال من عِزَّةٍ يوم يعيشون، أو سعادةٍ يوم يموتون، فينقلب الترددُ عِزماً صارماً، والإحجامُ هجوماً رائعاً، وهو من

١- الوقف في الفكر الإسلامي، ٢ / ٥٧.

٢- أبو سليمان، سبق ذكره، ١٦.

٣- أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٣ / ١٢٥٥).

٤- حسين، كتاب الخطابة عند العرب، ١٧٣ - ١٧٧.

يقف في الجماعة الحاملة، فيهزُّ قلوبهم هزًّا، فإذا هي ناهضةٌ من حُمولها، عاملةٌ لإعلاء ذكرها، مُقْتَحِمَةٌ كلَّ عقبةٍ تقوم في طريقها، وهو يقف بين قوم نشؤوا في بيئةٍ مغبرةٍ جهلاً وعمايةٍ، أو تلقَّتْهم دُعاةُ الغواية، قبل أن تألفَ الحقَّ بصائرهم، ويشتدَّ في العلم ساعدُهم، فلا يبرح يعرض عليهم سُبُلَ الهداية في استوائها ونقائها، فإذا هم الرِّجالُ المصلحون، أو الزعماءُ الناصحون، و يقف أيضا بين طائفتين استعرت بينهما نارُ العداوة، ولم يبقَ بينهم وبين أن يصبح لونُ الأرض أحمرَ قانياً إلا شبرٌ أو ذراع، فيذكّرهم بعواقب التدابر، وينذرهم مصارعَ القتال، فإذا القلوب راجعةٌ إلى اتئلافها، والسيوفُ عائدةٌ إلى أعمادها»<sup>(١)</sup>.

إن ما تم ذكره من مواصفات الخطيب البارِع، إنما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم، فكانت الخطابة بالنسبة إليه، نشاط اتصالي دائم، يستغله في كل المناسبات والأحوال، فقد خطب في عامة الناس وخاصتهم لإقناعهم بمبادئ الإسلام وقيمته، خطب في عشيرته عندما نزل قوله أ--- [الشعراء: ٢١٤]، حيث أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصفا، فصعد عليه، ثم نادى الناس، فاجتمعوا عليه، فقال: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم؛ ما جربنا عليك كذبا، قال: إني نذير لكم بيد يدي عذاب شديد»<sup>(٢)</sup>، فما سمعنا بمثل هذا الإيجاز، ولا بمثل هذا الإعجاز، لقد جعل من خطبته قضية منطقية، ألزمهم بها الحجة، وانقطع بها ما كان يمكن أن يقوم من جدل فهذا قول المبلغ، الذي يحرص على ألا يقيم بينه وبين غايته حواجز من التكلف والصنعة، والغموض، وسبيل الرسول الذي يريد أن يصل إلى قلوب سامعيه، من أقرب سبيل، ويبلغ رسالته

١- المرجع نفسه، ٤٨٠.

٢- ابن كثير، البداية والنهاية ٣ / ٣٨.

كأحسن ما يكون التبليغ<sup>(١)</sup>.

خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في الجند عند فتح مكة، ليتعلموا منه قيم الشجاعة والبطولة والجهاد، «فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده، إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به؛ فإني حريص على رشدكم. إن الاختلاف والتنازع والتشيط من أمر العجز والضعف، وهو ما لا يحبه الله، ولا يعطي عليه النصر»<sup>(٢)</sup>.

وخطب أيضا ليضع بداية دستور يسوس به الناس ويحدد العلاقة بينهم ويعلمهم أصول التعامل الاقتصادي والاجتماعي، وكان آخر بنوده الدعوة إلى حفظ كرامة المرأة لأنها الأهم: «أيها الناس أسمعوا قولي، فلعللي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا. أيها الناس إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، وكل رباً موضوع، لكم رؤوس أموالكم، وإن ربنا العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وكل دم كان في الجاهلية موضوع، وأول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل. أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك، وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم. أيها الناس، ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧]، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ

١- شلبي، الخطابة الإسلامية، ٣٥.

٢- صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (١ / ١٤٩-١٥٠).

كَافَّةً كَمَا يُفَنِّدُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦] أَيُّهَا  
النَّاسُ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا...»<sup>(١)</sup>.

خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في عموم الناس، يدعوهم إلى التآخي، وترك العداوة والبغضاء، والتمسك بقيم الدين التي أنزلت في كتاب الله عز وجل، «أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئٍ مال إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فلا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!. أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب»<sup>(٢)</sup>.

٢- الرسائل والوفود (البعثات الدبلوماسية): لم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على دعوة قومه، بل امتدت دعوته إلى خارج حدود دولته، فاستخدم الرسائل والوفود الدبلوماسية إلى دول أخرى مجاورة، يخاطبها ببلاغة وأدب ونباهة لتعتنق الدين طوعاً، أو تلتزم بتعاليمه، ولم يكن يرتاب من قوة الخصوم، فدعا هرقل كاتباً: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَنْ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمْتُ تَسْلَمَ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ» وَأَنَّ قُلُوبَ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]<sup>(٣)</sup>.

١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٢ / ١٦٦).

٢- سبقي ذكره، ٤٣.

٣- أخرجه البخاري في بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٨ / ١).

إنها رسالة فيها الوضوح والقوة والعزة والحكمة في كل كلمة من كلمات الخطاب، فقد بدأ باسمه قبل اسم هرقل، قال: من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم، ثم دعاه مباشرة إلى الدخول في الإسلام، فقال: أسلم تسلم، فهو لم يعرض الطلب بصيغة فيها تردد أو صيغة فيها عرض يقبل أو لا يقبل وإنما قال: (أسلم تسلم، ومع إظهار هذه العزة والقوة إلا أنه لم يقلل من قيمة الطرف الآخر، بل بالعكس رفع قدر الطرف الآخر وحفظ له المكانة، حيث قال: إلى هرقل عظيم الروم، وأجاد الرسول صلى الله عليه وسلم في حسن اختيار الآية المناسبة من القرآن الكريم، حيث أتى بآية تقرب كل أهل الكتاب، وَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤] وتوضح أن هناك قواسم مشتركة كثيرة بيننا وبينهم، من أجل ذلك يمكن أن يفتح عقله للتفكير، ويرفع حواجز كثيرة جدا بين الطائفتين المسلمة والنصرانية.

هكذا كان الخطاب لهرقل عظيم الروم، وهكذا كان الخطاب لكل زعماء العالم، فالخطابات تقريبا مشابهة لهذا مع اختلافات قليلة جداً في الألفاظ حسب البلد المرسل إليها والدين الذي يدينون به، ومع وحدة الخطاب تقريبا لكل مكان من السبعة الأماكن التي تكلمنا عليها إلا أن ردود الأفعال كانت متباينة جداً، فقد بلغ بعضها القمة في الأدب وحسن الرد، بينما بلغت بعضها أدنى مستوى لسوء الأدب والمعادة، وبين هذا وذاك كانت هناك ردود أفعال أخرى كثير<sup>(١)</sup>.

٣- المناسبات الدينية (الحج لقاء الحضارات): الحج نشاط اتصالي وتواصلية ولقاء حضاري، تقوم عليه المؤسسات الدينية والاجتماعية والصحية، ويلتقي

١- السرجاني، السيرة النبوية، ٣٣ / ٤.

فيه الناس من جميع الأمم، المختلفة في الأعراف والتقاليد، ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧]، تسود فيه مظاهر المساواة، والعدل، فلا فرق بين الناس، في النوع واللون والعرق، كما تسود فيه مظاهر الرحمة والإخاء والتعاون على سقاية الناس وتوفير المسكن، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]، وتأمين المكان أ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ عِبَدِي عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

يتكرر هذا النشاط مرة في كل عام، أشهره معلومة، فيها دعوة إلى أن يتخلق الفرد ويسلك السلوك الإيجابي، فلا إتيان للمعاصي، ولا سباب ولا منازعة، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]، وتختتم أعمال هذا التجمع الحضاري الكبير بغفران الذنوب، وتزكية النفس، ومآل ذلك اللجنة لمن أتقن العبادة بإحسان وتقوى «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»<sup>(١)</sup>.

١ - أخرجه البخاري في أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، (٢/٣).



## خاتمة

تؤكد الباحثة في خاتمة هذا الورقة على جملة من النتائج التي توصلت لها وهي كالآتي:

- تنطلق السنة النبوية من جملة مقاربات لتفعيل القيم الإنسانية، وتشمل المقاربة النفسية، والمقاربة السلوكية، والمقاربة القانونية، والمقاربة الاقتصادية، والمقاربة الإدارية.
- توظف المقاربة النفسية جملة من القيم الإنسانية وتعمل على تفعيلها، ومنها الرضا والطمأنينة، إثبات الذات وتقديرها، الأمن النفسي، إدراك الحق.
- تتضمن المقاربة السلوكية جملة من القيم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التعاون والتكافل، الرحمة في كل تجلياتها.
- تتعدد أنواع القيم في المقاربة القانونية (الحقوقية) التي تتضمن، حرية الإنسان، تكريم الإنسان بتشريع العقوبات، العدل بين الناس من غير تمييز، حماية خصوصية الأفراد.
- تشير المقاربة الاقتصادية إلى المعاملات بين الناس، وتشمل قيما مادية ومعنوية، منها، تحريم الغش في البيع، التوافق والرضا في البيع والشراء، تحريم الربا، تحريم التطفيف في الكيل والميزان، تحريم الاحتكار.
- تركز المقاربة الإدارية على حسن تسيير الفرد لشؤونه، وحسن تسييره للمؤسسات التي يشتغل فيها، ومن أهم قيمها، احترام الوقت، الإنجاز، الإلتقان، المداومة، تقييم الأداء.
- تتعدد مرجعيات دعم القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية، وتشمل

- الأسرة، والمسجد، والجمعيات الخيرية، ووسائل الاتصال، ولكل مرجعية وظيفتها الاجتماعية والقيمية، التي لا تتحقق إلا بالتكامل بينها.
- تعد الأسرة من أهم مرجعيات دعم تفعيل القيم الإنسانية، فهي مؤسسة للتربية والتنشئة المصاحبة للفرد من المهد إلى اللحد، وتبرز السنة النبوية مكانتها من خلال الدور الأبوي تحديدا في تعامله مع أفراد الأسرة.
  - يبرز المسجد كمؤسسة ومرجعية هامة في قيادة المجتمع نحو اعتناق القيم الإنسانية، وقد كان النواة الأولى التي تأسست من خلاله الدول الإسلامية، وقد وظفه الرسول صلى الله عليه وسلم في كل المجالات.
  - تقوم المؤسسات الخيرية بدور هام في تفعيل القيم الإنسانية، فالخير هو صفة دائمة لمنطلق تعاملها مع الأفراد على اختلاف توجهاتهم، وتتجلى صورها في البذل والعطاء عبر وسائل مختلفة أهمها الأوقاف.
  - تستخدم وسائل الاتصال المختلفة من منظور السنة النبوية، كل الآليات لدعم تفعيل القيم الإنسانية، فقد وظف الرسول صلى الله عليه وسلم فن الخطابة، كما وظف الرسائل وابتعث الوفود لدعوة الخصوم، ووظف المناسبات الدينية التي تعتبر بمثابة التجمعات التواصلية لنشر وتبادل القيم الإنسانية.

توصي الباحثة من خلال الورقة المقدمة بالآتي:

- تحويل الموضوع إلى سلسلة بحثية، تتوسع في دراسة قيم كل مقاربة على حدة من منطلق السنة النبوية، ومرجعيات دعمها.
- ترجمة الأبحاث المقدمة للندوة، ونشرها ورقيا ورقميا، وتوزيعها على المؤسسات الأجنبية، من جامعات ومدارس، لنشر قيم الإسلام السمحة.

## المصادر والمراجع

- إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، لخالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٣ م.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الرياض، مكتبة المعارف.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ١٤٠٧ هـ.
- تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، بيروت، دار التراث الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، لأحمد زكي صفوت، بيروت، المكتبة العلمية.
- خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٥ هـ.
- الخطابة الإسلامية، لعبد العاطي محمد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦ م.
- الخطابة عند العرب، لمحمد الخضر حسين، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٣٣ هـ.
- الداء والدواء، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاح، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٩ هـ.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالح الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.

- سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
- السنن الصغرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد غلوش، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ.
- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٥هـ.
- السيرة النبوية، لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ..
- السيرة النبوية، لراغب الحنفي راغب السرجاني مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>
- السيرة الحلبية، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- شرح سنن أبي داود، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (مكة المكرمة - الرياض)، مكتبة نزار مصطفى، ١٤١٧هـ.

- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، تحقيق، عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الهند، الدار السلفية، ١٤٢٣ هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة - الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.
- صحيح أبي داود، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٣ هـ.
- صحيح الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق، زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
- صحيح السيرة النبوية، لمحمد ناصر الدين الألباني، - عمان - الأردن، المكتبة الإسلامية، ١٤٢١ هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٠٨ هـ.
- ضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١١ هـ.
- عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، لعبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١ هـ.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس اليعمري، تحقيق: إبراهيم محمد، ١٤١٤ هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة. ١٣٧٩هـ.
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة لمحمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤٢٦هـ.
- فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا، ١٤٢٧هـ.
- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ.
- كونوا على الخير أعوانا، لمحمد صالح المنجد، <https://ar.islamway.net/book/217>
- مجمع الزوائد ومنبع، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ.
- المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٠هـ.
- الوقف في الفكر الإسلامي، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ.



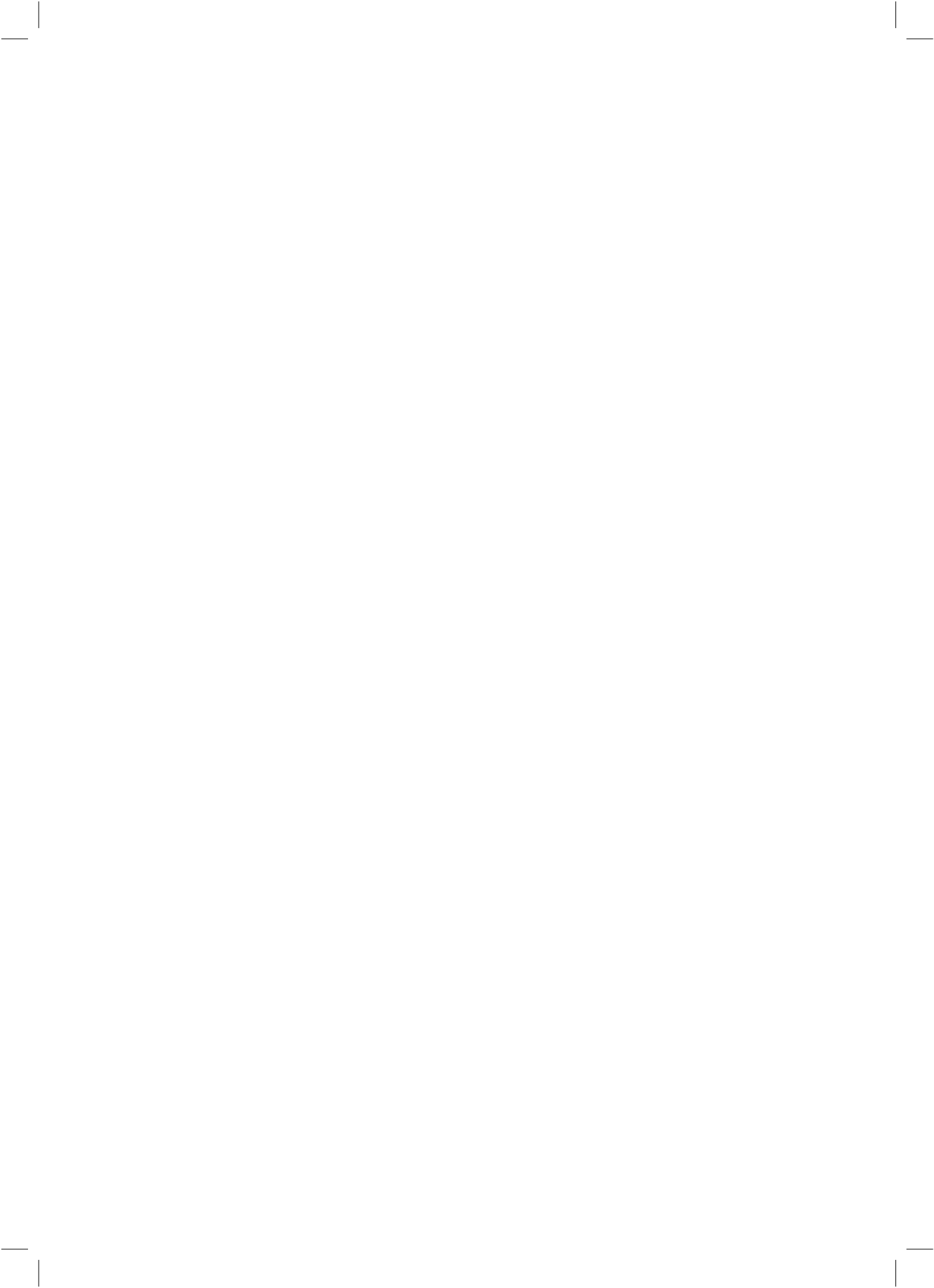
مبدأ إنسانية الإنسان من  
خلال الأدب المفرد للإمام البخاري  
موازنة تحليلية بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة

د. أحمد ذيب

أستاذ مشارك بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.17>







## Abstract

This research is to show the Islamic side Based on a book "Al-Adab Al-Mufrad" of Imam Bukhari.

In addition to a comparison between the Islamic method and the modern philosophical method.

The research yielded several results:

The interest of the Islamic method in the subject of humanity.

The interest of the Islamic method in the soul and body.

The interest of the Islamic method in answering is not a result of war or conflict, but rather a free choice.

**Keywords:** Humanity, dignity, Al-Adab al-Mufrad, Prophetic Sunnah, Secularism

## ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى كشف المعالجة الإسلامية لمبدأ إنسانية الإنسان، اعتماداً على أحد أهم المدونات الحديثية، وهو كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري -رحمه الله-، مع عقد موازنات تحليلية بين الرؤية الإسلامية والمقاربات الفلسفية المعاصرة.

وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج، منها: أن موضوع إنسانية الإنسان احتل مساحة غير منكورة من موضوعات كتاب الأدب المفرد، وأن مبدأ إنسانية الإنسان شرع في الإسلام بأصل الخلق تجسيداً لمقاصد الدين وغاياته العليا، ولم يأت نتيجة صراعات خارجية أو احتراب داخلي، كما لاحظ البحث شمول المعالجة الإسلامية للجانبين الروحي والخلقي.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية، الكرامة، الأدب المفرد، السنة النبوية، العلمانية



## مقدمة

ظهرت العناية بموضوع النزعة الإنسانية في الثقافة الغربية لأول مرة في القرن التاسع عشر، حيث استعملت في مجال التربية كرافد قيمي يهدف إلى تكوين الناشئة اعتماداً على الثقافة والآداب القديمة.

وبالرغم من الآمال الكبار التي رافقت ظهور هذا المشروع الواعد، إلا أن الاختبارات الفعلية خيبت الظن، وزيفت الحُسبان، ونَبَهتْ الإنسانية إلى ما ينطوي عليه هذا التوجه الجديد من تطرف واختلال، الأمر الذي أدى إلى ظهور تيار فلسفي جديد - كرد فعل معاكس للاتجاه الأول - يدعو إلى التغرّب عن الذات، تحت شعار «موت الإنسان» بدلاً من «أصالة الإنسان»، وهو ما عبّر عنه «ميشال فوكو» بقوله: «إن النزعة الإنسانية هي أثقل ميراث انحدر إلينا من القرن التاسع عشر، وقد حان الأوان للتخلّص منه، ومهمّتنا الراهنة هي العمل على التحرّر نهائياً من هذه النزعة»<sup>(1)</sup>.

وإذا نحن عدّونا هذا الصراع الحدائثي وجدنا أن الإسلام - بوصفه ديناً يمتلك رؤية شاملة للكون والوجود والإنسان - جعل من الإنسان محوراً للتفكيره وغاياته وقيمه العليا.

ومن أجل ذلك يجيء هذا البحث كاشفاً عن المعالجة الإسلامية لمبدأ إنسانية الإنسان، اعتماداً على أحد أهم المدوّنات الحديثية، وهو كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري - رحمه الله -، مع عقد موازنات تحليلية بين الرؤية الإسلامية والمقاربات الفلسفية المعاصرة.

1- Foucault.Michel. Dits et écrits: paris: Gallimard.1994.p127

## إشكالية البحث وتساؤلاته:

بعيداً عن التصوّرات الغربية لمفهوم النزعة الإنسانية المرتبط أساساً بتمجيد فكرة «اللوغوس» ونظرية أصالة الإنسان «أومانيسم»، فإنّ البحث يتساءل عن مدى تناول السنة النبوية - كتاب الأدب المفرد على وجه التحديد - لموضوع إنسانية الإنسان؟

## أهداف البحث ومَراميه:

إنّ التعريف بإنسانية الإنسان يُعدُّ هدفاً قاصداً وموردًا مُستَعَدَّبًا، فهو يُمثِّل خطوة مهمّة في سبيل التعريف بالإسلام وتقوية الثقة بأحكامه وتشريعاته. وعليه، فإنّ البحث يتوخّى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعرّف على الأحاديث النبويّة التي تناولت مبدأ إنسانية الإنسان.
- بيان خصائص مبدأ إنسانية الإنسان في السنة النبوية، مع إبراز القيم الكونية المؤطّرة لهذا المبدأ المركزي.
- محاولة استرجاع مفهوم الإنسانية كما بيّنته المصادر التشريعية، مع عقد مقارنات تقريبيّة مع التداول الغربي.

## الدراسات السابقة:

عنى الباحثون بموضوع إنسانية الإنسان في الإسلام على وجه العموم، بيّد أنّ أحاديث كتاب «الأدب المفرد» لم تنل حظّها من الدراسة والبحث، فضلاً عن مُقارنتها بالمقاربات الفلسفية المعاصرة.

ولستُ أزعم أنّ كلّ ما جاء في هذه الدراسة هو من قبيل الجديّد المُبتكر، وإنّما مكّمن الجدّة - فيما أحسب -، هو اختيار عيّنة جديدة، مُمثّلة في كتاب

«الأدب المفرد»، ثم مقارنتها بالمقاربات الفلسفية الحديثة.

ومع هذا وذاك لست أدعي انفرادي بالموضوع في نفس الأمر، فكم من كلام تُنشئه، تجدك قد سَبَقَكَ إليه مُتَكَلِّمٌ، وكم من فهم تستظهره وقد تقدَّمَكَ إليه مُتَفَهِّمٌ، وقديماً قيل: «هل غادر الشعراء من متردِّم».

### منهج البحث:

إنَّ المنهج الذي لاءَمَ طبيعة البحث، وانتفض لاستيفاء مقاصده المرسومة، مُرَكَّبٌ من المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي؛ وذلك بغرض تقصي الأحاديث النبويّة التي تناولت مبدأ إنسانية الإنسان في كتاب الأدب المفرد.
- المنهج الاستنباطي؛ وذلك بهدف استخراج المعاني الدالّة على مُراعاة إنسانية الإنسان من أحاديث الأدب المفرد.
- المنهج المقارن؛ وذلك بغرض عقد موازنات تحليليّة بين الرؤية الإسلامية والمقاربات الفلسفية المعاصرة.

### خطة البحث وتصميمه:

وفي تقصينا للإشكالية المطروحة نجد أنّ من المهم أن يسير البحث وفق طريق ثنائيّ المسلك يجمع بين تحقيق مفهوم إنسانية الإنسان في التداولين الإسلامي والغربي أولاً، ورصد أهم المقاربات المؤطّرة لهذا المفهوم ثانياً.

## المحور الأول: الإنسانية بين المدلولين الإسلامي والغربي

يفترض منطق البحث العلمي - داخل كل دراسة علمية - تحديد المفاهيم المستعملة من طرف الباحث، تحقيقاً للبيان والإيضاح، ودفعاً للّبس والاشتباه. وبالرجوع إلى موضوع البحث وعنوانه نجد أن أول صعوبة تواجهنا في تعريف مصطلح «الإنسانية» هو ما يُسمّى في المنطق بـ «الإسناد الذاتي»، فمفهوم المشكلة هو ذاته مشكلة.

فلئن بدى - للوهلة الأولى - حصول الاتفاق على تفسير لفظة «الإنسانية» بمعاني الإحسان وإعلاء قيمة الكرامة الإنسانية ومنحه المكانة الأسمى في هذا الكون، إلا أنها - في الحقيقة - مصطلح إشكاليّ رَجْرَجٌ يُثير الكثير من الخلاف بين مختلف الاتجاهات والمدارس الفلسفية.

ومن أجل ذلك استحسن البحث البدء بتجلية مدلول إنسانية الإنسان في السياقين الإسلامي والغربي، مع إبراز أهم أوجه الوفاق والفرق بينهما. وسوف لن أطيل في إيراد البيانات اللغوية والاصطلاحية إلا بالقدر المُوفي بالعرض؛ لأنه يُمثّل قصداً الفرعيّ التابع في هذا البحث بعد القصد الأصلي المتبوع، والذي يرتبط أساساً ببيان المقاربات النّاطمة لمبدأ إنسانية الإنسان في التداولين: الإسلامي والغربي.

### ١-١- التداول الإسلامي:

الإنسان: من النَّاسِ اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع، واختُلِفَ في اشتقاقه مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة، فقال البصريون: هو من الأنس، فالنوع الإنساني يستأنس ببعضه ببعض. وقال الكوفيون: مشتق من

النسيان<sup>(١)</sup>.

والمُختار هو الأول؛ لما فيه من المناسبة اللفظية والمعنوية، بخلاف الثاني، حيث لا مناسبة فيه إلا من جهة المعنى<sup>(٢)</sup>.

وأما الإنسانية في الاصطلاح الإسلامي فهي تعني: مجموعة السلوكات والصفات القائمة على احترام قيمة الإنسان وكرامته، لكونه إنساناً.

فمحلها: عموم الإنسان،

وأداتها: والكينونة والتجرد.

وغايتها: تحقيق مرضاة الله تعالى.

فهذا التعريف يعطينا:

- عموم المحلّ واتساعه، فهي تعني احترام قيمة الإنسان وكرامته مهما كان دينه ومعتقده ولونه وعرقه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٠]، ولما حُذف متعلق التكريم دلنا على إرادة التعميم، فالمراد ببني آدم جميع النوع<sup>(٣)</sup>، فلا اعتبار باللون ولا بالجنس ولا بالعرق.
- إعلاء أسلوب الكينونة والتجرد (الاستخلاف) على حساب أسلوب التملك على حد تعبير عالم النفس «إريك فروم»<sup>(٤)</sup>، وخلاصة الفرق بينهما: أنّ الكينونة تعني الارتباط بروابط حقيقية ومُستدامة، فهي تقتضي أن لا

١- انظر: أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص ١٠، ومحمد ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ٣/ ٣٠٧.

٢- انظر: محمد بن إبراهيم الحلبي، نور الإنسان في اشتقاق لفظ الإنسان، ص ٦.

٣- انظر: برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ١١/ ٤٧٦، ومحمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٥/ ١٦٤.

٤- انظر: إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ص ٢٦.



يجعل المرء ذاته تقف عقبه في طريقه، ففي حديث: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»<sup>(١)</sup> ما يُشِيرُ إِلَى بِنَاءِ الْإِنْسَانِ الْمَسْئُولِ الْمُتَطَلِّعِ إِلَى تَحْقِيقِ النِّفْعِ الْعَامِ إِلَى آخِرِ لِحْظَاتِ حَيَاتِهِ، فَهَذَا الَّذِي يُعْطِي لَوْجُودِهِ مَعْنَى، خِلَافًا لِلتَّوَجُّهِ التَّمَلُّكِيِّ الَّذِي يَقْنَعُ بِالْمَنْفَعَةِ الذَّاتِيَّةِ الْقَاصِرَةِ.

- أَنْ الْغَايَةَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ هِيَ تَحْقِيقُ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ أَعْلَى الْمَطَالِبِ وَأَعْظَمُهَا، فَالْإِنْسَانِيَّةُ لَيْسَتْ مَجْرَدُ سُلُوكٍ أَخْلَاقِيٍّ يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْمَرْءُ لِكَيْ تَسْكُنَ بِهِ نَفْسُهُ، وَيَمْلَأُ بِهِ فِرَاقَ قَلْبِهِ، وَيُحَقِّقَ بِهَا الرِّضَا عَنْ نَفْسِهِ فَحَسْبُ، وَقَدْ كَانَ سَتِيفِنُ لَوْ مُحَقِّقًا حِينَمَا قَالَ: «مَنْ دُونَ الْإِلَهِ لَا تَعْدُو الْإِنْسَانِيَّةَ سِوَى بَقْعَةٍ قَدْرَةَ فِي كُرَةِ مِنَ الْحِجَارَةِ ضَائِعَةً فِي كَوْنِ شَاسِعٍ جَدًّا لَنْ يَحْمِلَ فِي النِّهَايَةِ أَيَّ أَثَرٍ لَوْجُودِنَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَسِيْنَهَارٍ فِي طِيَّاتِ الْعَدَمِ.. فَنَحْنُ نَسْكُنُ كَوَكْبًا مَخْلُوقًا لَنَا، خَلَقَهُ الْإِلَهِ الَّذِي يُحِبُّنَا، وَالَّذِي جَعَلَ لَنَا غَايَةَ مَقْدَسَةً، فَهَذَا الَّذِي يُعْطِي لِحَيَاتِنَا مَعْنَى»<sup>(٢)</sup>.

### ١-٢- التداول الغربي:

يعود الجذر اللاتيني لهذه الكلمة إلى القرن السادس عشر الميلادي، حيث ترجع إلى كلمة (Humus) التي تعني: الأرض والتربة، فالمراد: الإنسان الواقف على الأرض<sup>(٣)</sup>.

أما الإنسانية كمصطلح فلسفي فقد استعمل في الثقافة الغربية للمرة الأولى في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي عام ١٨٠٨ م للدلالة على منهاج تعليمي

١- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال، حديث: (٤٧٩)، وأحمد في المسند، ١٨٣/٣، وصححه المناوي في شرح الجامع الصغير، ١/٣٧٢، والأباني في السلسلة الصحيحة، ٣٨/١.

٢- ستيفن لو، مقدمة قصيرة جدا، ص ١١٥.

3- Humanism and Muslim Culture: Historical Heritage and Contemporary Challenges.p.93

وتربوي جديد يهدف إلى تكوين الناشئة عن طريق الثقافة والآداب القديمة (اللاتينية والإغريقية) لإعلاء قيمة الإنسان ومكانته<sup>(١)</sup>، حيث كانت كلمة الإنساني تُطلق على البحاثة المُتبحرين في العلم، وبخاصة علوم الأقدمين (اليونان، الرومان)، فهي حركة تحرير الإنسان من طريق اكتشاف القيم الأخلاقية والفكرية في الأدبيات اليونانية؛ لذلك كان للمفكرين الإنسانيين اهتمام بالغ بالشعر والأدب، ومن هنا ارتبطت النزعة الإنسانية ارتباطاً وثيقاً باللغات واللسانيات.

جاء في موسوعة لالاند الفلسفية: «ليست الإنسانية حب العصر القديم فحسب، إنها عبادته، العبادة المدفوعة بعيداً جداً لدرجة أنها لا تكتفي بالعبادة، بل تبذل جهداً في سبيل التكاثر، وليس الإنساني هو الإنسان الذي يعرف القدامى ويستوحي منهم، إنه ذلك الذي يكون منبهراً، منسحراً بنفوذهم وسحرهم لدرجة أنه يُقلدهم حرفياً، يحاكيهم، يُكرِّرهم، يتبنى نماذجهم، أمثلتهم، آلهتهم، روحيتهم ولغتهم. إن نزعة كهذه مدفوعة إلى أقاصيها المنطقية لا تنزع إلى شيء أقل من إلغاء الظاهرة المسيحية»<sup>(٢)</sup>.

أما في السياقات الحديثة فهي تعني: مجموعة من السلوكيات أو طريقة للحياة متمركزة حول الكرامة الأساسية وقيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات من خلال العقل والمنهج التجريبي<sup>(٣)</sup>.

وبلحاز هذا التعريف تترشح لنا المبادئ الآتية<sup>(٤)</sup>:

- إعلاء الإنسان مقابل التفصّي عن الإله<sup>(٥)</sup>، فالإنسان -بحسب هذا التصور-

- ١- انظر: ستيفن لو، الإنسانية: مقدمة قصيرة جداً، ص ٣٢.
- ٢- انظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد ٢، ص ٥٦٦.
- ٣- انظر: بيتر كونزمان، فرانز - بيتر بوركارد وفرانز فيدمان، أطلس الفلسفة، ص ٩٧.
- ٤- انظر: ستيفن لو، الإنسانية: مقدمة قصيرة جداً، ص ٩، ألف بارتون، إنسانية الإنسان، ص ٩، وعبد الرزاق بلعقروز، قوة القداسة، تصدع الدنيوية واستعادة الديني، ص ٧٩، وإبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٢٣.
- ٥- في شعار جمعية (AHA GOOD WITHOUT A GOD) أي: هكذا جيد من غير إله.

هو مركز الكون المُستغني عن أيّ توجيه سماوي (من الإنسان العبد إلى الإنسان الإله)، فما يُجلّ الإنسان ويرفعه إنما هو شيء يمتلكه الإنسان بطبيعته، لا شيء يُمنحه ببركة مخلوق آخر وَتَكَرَّمَهُ<sup>(١)</sup>.

- إعلاء العقل مقابل التفصّي عن الوحي، فأغلب المذاهب الإنسانية تعتق المذهب الطبيعي الذي يقضي بأنّ العالم الطبيعي المادي هو الواقع الوحيد الموجود<sup>(٢)</sup>.

- إعلاء الدنيا مقابل التفصّي عن الآخرة<sup>(٣)</sup>، فواجب الإنسان -بحسبهم- هو أن يجعل إرادته مطابقة لا لإرادة الله تعالى، بل لأفضل معرفة لشروط السعادة البشرية<sup>(٤)</sup>.

- الاستقلال الأخلاقي الفرد، فمن مسؤوليتنا كأفراد أن نصدر أحكامنا الأخلاقية الخاصة، بعيدا عن أي سلطة دينية<sup>(٥)</sup>.

- ارتباط منظومة الأخلاق برفاهية الإنسان<sup>(٦)</sup>.

وخالص القول: إنّ مفهوم «الإنسانية» في الأدبيات المعاصرة - كما يقول لوي ألتوسير (١٩١٨-١٩٩٠) - ليس سوى مفهوم / شعار وجداني إيديولوجي فضفاض<sup>(٧)</sup> يقوم على تمجيد الإنسان<sup>(٨)</sup>.

- ١- انظر: رالف بارتون، إنسانية الإنسان، ص ٣٢.
- ٢- انظر: ستيفن لو، الإنسانية: مقدمة قصيرة جدا، ص ١١.
- ٣- في شعار جمعية (BHA FOR ONE LIFE WE HAVE)، أي: لأجل حياة واحدة نعيشها؛ لنفي أي حياة أخرى وإنكار الجزاء الأخروي.
- ٤- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص ٥٦٨.
- ٥- انظر: ستيفن لو، الإنسانية: مقدمة قصيرة جدا، ص ١٠، و ص ٧١.
- ٦- المرجع نفسه، ص ٨٧.
- ٧- انظر: عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص ٢٧، وإبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٦٦.
- ٨- انظر: رالف بارتون، إنسانية الإنسان، ص ٣١.

يقول غودي: «لقد وضع الغرب مزاعم امتلاكه لمجموعة من القيم المتمركزة حول مفهوم المذهب الإنساني والسلوك الرحيم.. ولكن مثل هذه المقولات هي في الغالب خطائية بلاغية تنطبق على جماعات معينة فقط..، وذلك واضح جداً في زمن الحرب الذي يجري فيه في الغالب قمع مثل هذه القيم»<sup>(١)</sup>.

## المحور الثاني

### المقاربات المؤطرة لإنسانية الإنسان في كتاب الأدب المفرد

#### ٢-١ - إنسانية الإنسانية بين التكريم والتأليه:

لما كان الإنسان أقرب الموجودات إلى الله تعالى، جعلت العناية به أتم وأكمل، وألبسه الله خلع الكرامة كلها، من العقل والعلم والبيان والنطق والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقَدِّ المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر واقتناص الأخلاق الفاضلة من البر والطاعة والانقياد، والمبالغة في النظافة والطهارة<sup>(٢)</sup>، فهو «رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له»<sup>(٣)</sup>.

ومن النصوص النبوية الدالة بوضوح على شرفية الخلق الإنساني ما رواه البخاري في الأدب المفرد بسنده، عن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُولَنَّ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشَبَّهُ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صُورَتِهِ»<sup>(٤)</sup>، ودون الدخول في تفصيلات المتأولين من أهل العلم، فإنَّ المعنى المؤكَّد الذي يُفيده هذا الحديث هو التنويه بهذا المخلوق الذي خصَّه الله بعنصر شريف في تكوينه هو عنصر الروح الذي أضافه

١- جاك غودي، سرقة التاريخ، ص ٣٧٣.

٢- انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢١ / ٣٧٤، وأبو بكر ابن العربي، أحكام القرآن، ٤ / ٤١٥، وابن القيم، مفتاح دار السعادة، ١ / ٢٦٣.

٣- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ١ / ٦٠٧.

٤- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب إذا العبد فليجتنب الوجه، رقم: (١٧٣)، وأحمد في المسند، حديث: (٢ / ٤٣٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث: (٤٤٩).

الى نفسه تعريفًا بشرفه و قدسيته<sup>(١)</sup>، فهي إضافة تحمل معنى الشرف والرفعة<sup>(٢)</sup>، سيما أن الحديث خرج على سبب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل يضرب عبده في وجهه لطمًا ويقول قبحَ الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلَیَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ..»<sup>(٣)</sup> الحديث، وإنما خصَّ آدم بالذكر لأنه هو الذي ابتدئت خلقه وجهه على الحد الذي يُحتذى عليها من بعده، كأنه يُنبهه على أنك قد سببت آدمَ وولده من بعده مبالغة في الردع له عن مثله<sup>(٤)</sup>.

وفائدة تعريفنا نعمة الله تعالى على أيينا آدم - عليه السلام - أن فضله بأن خلقه بيده وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته وعلمه ما لم يُعلمه أحدًا قبله من الأسماء والأوصاف، وجعلته خليفة له في أرضه<sup>(٥)</sup>.

يقول يحيى بن معاذ: «إني وجدت أمر الإنسان أمرًا عجيبيًا»<sup>(٦)</sup>.

وقال الإمام أبو حنيفة: «لا شيء أحسن من الإنسان»<sup>(٧)</sup>.

وقال المسعودي: «لم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الإنسان».

وقال ابن العربي المالكي: «ليس لله تعالى خلق هو أحسن من الإنسان؛ فإنَّ الله خلقه حيًّا عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا مُدبِّرًا حكيماً، وهذه صفات الربِّ، وعنهما عبَّر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله: «فإنَّ الله خلق آدم على

١- انظر: الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتین، ص ١٣.

٢- انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٢ / ٢٣٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣ / ٣٠٣.

٣- سبق تخريجه.

٤- انظر: ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص: ٤٩، وابن بطلال القرطبي، شرح صحيح البخاري، ٧ / ٦٩.

٥- انظر: موسى ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص: ٤٩، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٢١ / ٣٧٣.

٦- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ / ١٧.

٧- أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١ / ٥٩٧.

صورته..» يعني: على صفاته التي قدمنا ذكرها»<sup>(١)</sup>.

ومن أروع ما تناولته كتب «المناقب» ما دار بين الشيخ الشاذلي والشيخ علي، إذ قال الشاذلي في شأن بني الإنسان: «أراهم كالهباء في الهواء، إن أنت فَتَشْتَهُمْ لم تجدهم بشيء»، وعلق عليه الشيخ علي: «بل إن فَتَشْتَهُمْ وجدتهم شيئاً، وذلك الشيء ليس كمثله شيء»<sup>(٢)</sup>.

ويعترف أحد أعظم فلاسفة النهضة «بك دي لا ميراندول» بهذه المنزلة فيقول في مفتتح كتابه «كرامة الإنسان»: «قرأت في كتب العرب أنه لا يمكن أن نرى في العالم أبدع من الإنسان»<sup>(٣)</sup>.

هذه هي صورة الإنسان في المرجعية الإسلامية، فهو تكريم من غير تقديس ولا تأليه.

أما المذاهب الإنسانية الحديثة فقد أقامت بنائها الفكري على نظرية أصالة الإنسان «أومانيسم»، أي: نظرية تقديس الإنسان<sup>(٤)</sup>. فالإنسان هو المقابل الأرضي للإله كما يقول «نيتشه»، فمنذ عصر النهضة ظهرت هذه النظرية كرد فعل معاكس لتسلط الكنيسة في القرون الوسطى<sup>(٥)</sup>، ثم أضحت -باعتبارها مذهباً عالمياً- القاعدة الفكرية والفلسفية للمدنية الحديثة في الغرب. فالإنسان -بحسبهم- بعدما كان تابعاً لله صار اليوم هو النجم المركزي الأوحده<sup>(٦)</sup>.

١- أبو بكر ابن العربي، أحكام القرآن، ٤ / ٤١٥.

٢- انظر: محمد ابن عجيبة الحسني، ايقاظ الهمم في شرح الحكم، ص ١٦٦.

3- Pic de la mirandole: de la dignité de l homme.2005.p3

٤- انظر: علي شريعتي الإنسان والإسلام ص ١١، علي عزت بيغوفيتش، هروبي إلى الحرية، ص ٦١.

٥- المصدر نفسه، ص ١٢.

٦- انظر: بوبكر بوخريسة، مذاهب إنسانية في العلوم الإنسانية، ص ١٣٦، وعبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحضارة الغربية، ص ٣٤.

يقول هيغل: «دخل الإله دخل في الطبيعة، ثم نما ودخل في النبات، وبعد النبات نما ودخل في الحيوان تلك الروح المطلقة الواعية، ثم دخل في الانسان، ثم دخل الإنسان الشرقي، ثم تكامل من الانسان الشرقي ودخل في الانسان الغربي، ثم تكامل مع من الانسان الغربي ودخل في الانسان الجرمني، ثم تكامل من الانسان الجرمني ودخل في الانسان الألماني»<sup>(١)</sup>.

وبالإمكان القول هنا: إنَّ عملية تأليه الإنسان وتقديسه تفضي إلى نتائج عكسية، فحين تخلى الإنسان عن مرجعيته الغيبية واكتفى بذاته، ثم جعل القوانين الطبيعية الأصل الذي يحكم الكون، وجعل نفسه ضمن هذه المنظومة = فقد أزاح نفسه بنفسه<sup>(٢)</sup>.

لقد أصبح الإنسان كائنًا أعلى من السوبرمان، ولكن هذا الإنسان الأعلى الذي يمتلك قوة تفوق قوة الإنسان، لم يرتفع إلى مستوى عقلائي أعلى، بل إنه ليزداد فقرًا بقدر ما يزداد قوة.. وأحرى بضميرنا أن ينتابه القلق ونحن نشهد أنفسنا نزداد تجردًا من إنسانيتنا كلما ازدادنا اقترابًا من حالة السوبرمان (الإنسان الأعلى)<sup>(٣)</sup>.

## ٢-٢- الإنسان بين القيم الأخلاقية والمنفعة الذاتية:

نلاحظ أن أول حديث افتتح بها البخاري كتابه «الأدب المفرد» كان تحت مُسمًى «الصِّلة»، ضمَّنه جملة من الأحاديث الدالَّة على أعظم الصِّلات وجميل المبرَّات.

- ١- انظر: هيغل، أصول فلسفة الحق، ص ١٤٦.
- ٢- انظر: هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ص ١٣٩.
- ٣- إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ص ١٧.

- منها: الأمر بصلة الأم المشتركة<sup>(١)</sup>.
- ومنها: صلة الرجل لأهل ودّ أبيه<sup>(٢)</sup>.
- ومنها: صلة ذا الرحم الظالم<sup>(٣)</sup>.
- ومنها: إعالة الأخوات<sup>(٤)</sup>.
- ومنها: إعالة اليتامى<sup>(٥)</sup>.
- ومنها: الوصاة بالجار<sup>(٦)</sup>.
- ومنها: إجلال وإكرام الكبير وذو الشيبة<sup>(٧)</sup>.

- ١- فعين أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبةً، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم: أصلها؟ قال: «نعم». رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الصلة، حديث: (٢٥)، وأصله في صحيح البخاري، كتاب الهبة، حديث: (٢٦٢٠).
- ٢- عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أبر البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه». رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الصلة، حديث (٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب صلة أصدقاء الأب، حديث: (٢٥٥٢).
- ٣- عن البراء قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يقربني من الجنة، ويباعدني من النار، قال: لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسيمة، وفك الرقبة، قال: يا رسول الله، أوليسنا واحداً؟ فقال: «لا، عتق الرقبة أن تفرّد بعنتها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها، والمنحة الكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق، فكف لسانك إلا من خير» رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الصلة، حديث: (٦٩)، والدارقطني في سننه، حديث: (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، حديث: (٦٩).
- ٤- عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهن، إلا دخل الجنة». الأدب المفرد، باب الصلة، حديث: (٧٩)، وأبو داود في سننه، كتاب البر والصلة، حديث: (٥١٤٨)، وقال الأرنؤوط في تخريج سنن أبي داود: صحيح لغيره.
- ٥- عن أم سعيد بنت مرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، أو كهذه من هذه». الأدب المفرد، باب الصلة، حديث: (١٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، حديث: (٥٣٧٢).
- ٦- عن الحسن، أنه سئل عن الجار، فقال: «أربعين داراً أمامه، وأربعين خلفه، وأربعين عن يمينه، وأربعين عن يساره». الأدب المفرد، باب الأذن فالأذن من الجيران، رقم: (١٠٩)، والطبراني في الأوسط، رقم: (١٠٥٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٦٨١: حسن الإسناد.
- ٧- عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا» رواه البخاري في الأدب المفرد، باب فضل الكبير، حديث: (٣٥٣)، والترمذي في الجامع، باب ما جاء في رحمة الصبيان، حديث: (١٩٢١)، وقال: حديث حسن صحيح.



ومنها: معانقة الصبي<sup>(١)</sup>.

ومنها: عيادة المشرك<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن الود يُتوارث<sup>(٣)</sup>.

ومنها: الزكاة للمؤلفة قلوبهم<sup>(٤)</sup>.

إنَّ هذه العناوين الحديثية تُفصح بنفسها عن مدى اهتمام الإسلام بتهذيب النزعات الفردية، وتوثيق العلاقات الأسرية بالتراحم والتزاور، وتقوية أوامر المحبة الصادقة الخالية من شوائب المنفعة الذاتية وشوائب المصلحة العاجلة، كل ذلك تحت عنوان «البرِّ والصلة»، وهي دائرة واسعة تقضي بالإحسان إلى فئات متعدّدة: القريب والبعيد، الكبير والصغير، الذكر والأنثى، المسلم والكافر؛ إذ لا على محلِّ إخاءٍ مُستَحَكَمٍ وإِثَارٍ مُتَوَارَثٍ.

وتتأكد هذه الصِّلة الإنسانية أكثر في مرحلة الضعف؛ لأنها الحالة التي يشعر فيها المرء بالعجز<sup>(٥)</sup>، أين تتميز النظرة الإسلامية بالحرص على الإبقاء على عنصر المشاركة والتفاعل من خلال التشجيع على الأسرة الممتدة، بحسبانها الفضاء

- ١- الحديث السابق.
- ٢- عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ غُلَامًا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَضَ، فَاتَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ: «أَسْلِمٌ»، فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري في الأدب المفرد، باب عيادة المشرك، حديث: (٥٢٤)، وأحمد في المسند، حديث: (١٢٨٩٦).
- ٣- عن أبي بكر بن حزم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إن الود يتوارث». الأدب المفرد، باب الود يتوارث، حديث (٤٣)، وأكرمذي في جامعهم، كتاب الأطعمة، باب الود والعداوة يتوارثان، حديث: (٢٦٩٩)، وصححه ابن رجب في الفتوحات الربانية، ٥/ ٣٢٥.
- ٤- قال الفخر الرازي: «أوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال، وهو اتصافه بكونه محسنا إلى الخلق، ساعيا في إيصال الخيرات إليهم، دافعا للآفات عنهم». الرازي: مفاتيح الغيب، ١٦ / ٧٨.
- ٥- في هذه المرحلة يصبح المسن أقل تركيزا وأكثر استجابة حول ذاته وذكرياته، مع الشعور بقلّة قيمته في الحياة، وهذا يؤدي إلى الاكتئاب وسرعة الاستثارة والنكوص إلى الانكالية. انظر: عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الشيخوخة، ص ٦٧.

الأمثل للحفاظ على ديناميكية الشيخوخة وتوفير الدور الاجتماعي المناسب للمسنّ، حيث يُوسَّع له في المجالس، ويتولى عقود الزواج، ويتبدأ بالكلام والسلام، ولا يخاطب إلا بالقول الكريم، ولا يعامل إلا بالتوقير والإحسان.

وجليّ أننا إذا ما عاملنا كبار السنّ بهذه الإنسانية الحائية والمشاركة الفاعلة، فإننا نشعرهم بكرامتهم وذاتيتهم وأهميتهم في الحياة<sup>(١)</sup>.

وإذا ما قارنا واقع هذه الفئات المُستضعفة بنظيراتها في المجتمعات الغربية ألفيناه محترقة منبوذة تعيش ما يُسمّى في علم النفس بـ «العزلة الاجتماعية» أو «عقدة الشيخوخة»، حيث يتخلى عنهم الأبناء والأقربون لينتهي بهم الأمر إلى قهر العزلة وغلواء الاكتئاب.

لقد كان من آثار المذهب الإنساني انتشار نزعة الأنا الشخصية والفردانية القاتلة، وعن ذلك يقول إيرينفيلد: «في انطباعي أرى الأنا الشخصية في ارتفاع في العالم، وأنسب ذلك إلى التأثير الإنساني»<sup>(٢)</sup>.

وقالت باومان: «إن احتمال ملء العالم بالمزيد من الناس العطوفين ودفع الناس ليعطفوا أكثر = ليس فيما يظهر في البانوراما التي يرسمها العالم المثالي للاستهلاك»<sup>(٣)</sup>.

هذا، وقد كَشَفَتْ جائحة كورونا عن إنهيار كبير في قيمة الإنسان في المجتمعات الغربية، وإفلاس رهيب لمنظومتها الاجتماعية والتضامنية، أين حلت النزعة الفردية محلّ التضامن والتضحية ونكران الذات، ففي بريطانيا يُصرّح رئس

١- انظر: فؤاد عبد المنعم، حقوق المسنين وواجباتهم في الإسلام، ص ٧.

2- Ashley Knox. Resurrecting the Humanity Of the Undead: Humanism and Posthumanism in Zombie film.p12

بواسطة إبراهيم الرماح، ص ٩٥.

٣- الطيب بوغزة، نقد الليبرالية، الرياض: مجلة البيان، ١٤٣٠هـ، ص ٣١.

الوزراء بأنَّ على العائلات الاستعداد لفراق أحبَّتها، وفي إيطاليا أمرت الحكومة بتحويل أجهزة الإنعاش من كبار السن الى الشباب المُصابين، وفي أمريكا كانت الصورة أكثر بشاعة، حيث شاعت مظاهر السطو والاعتداء والجرائم<sup>(١)</sup>.

وترجع أسباب هذا الاختلال المجتمعي إلى تفكك نظام الأسرة الغربية، وانحلال رباطها، حيث تشير إحصاءات مكتب الإحصاء الأوروبي (يوروستات) إلى أن أكثر من (٥٠٪) من المراهقين الأوربيين يُفضّلون العيش في شقق مستقلة بعيداً عن العائلة، الأمر الذي يجعلهم يعانون من الوحدة العاطفية والعزلة القاتلة<sup>(٢)</sup>.

وبهذا وذاك الذي بعده يصحّ القول: إنَّ إقامة الإنسانية على غير أرضية الإيمان يجعل منها إنسانية نفعية براغماتية محدودة النفع، وقد أدرك الإلحاد الجديد هذا المأزق الأخلاقي فاعترف ريتشارد دوكنز بالصعوبة الكبيرة أمام تأسيس قيم على أرضية غير دينية<sup>(٣)</sup>.

ويُضيف في موضع آخر: «الحالة المنطقية الوحيدة التي يمكن أن يتبرع فيها الملحد بالمال هي أن تكون هناك فائدة بالحجم ذاته تعود عليه من ذلك»<sup>(٤)</sup>.

- ١- انظر: علي الحاج حسن، التحولات القيمة في ظل تحدي كورونا، مجلة الاستغراب، ع ٢٠، ص ٦٢.
- ٢- مكتب الإحصاء الأوروبي، مجلة BBC
- ٣- انظر: سامي أحمد الزين، قطيع القطط الضالة، ص ١٠١، عن إبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ١٨٨.
- ٤- المرجع نفسه.

وإذا أردنا أن نُمثّل لهذا الاختلال استحضرنّا الصور الآتية:

- حركة تحرير العبيد ففي أوروبا التي كانت بدافع استغلالي محض؛ حيث إنّ المُجتمع الصناعي الناشئ كان بحاجة إلى اليد العاملة، ولم يكن النظام الإقطاعي السائد يسمح بانتقال القن، فوجب تحريره لنقله من عبودية الإقطاعية إلى عبودية المصنع<sup>(١)</sup>.
- انتهاك قدسية الحياة البشرية تحت مُسمّى القتل الرحيم.
- تشريع عمليات الإجهاض على نطاق واسع.
- ثمة إذن مايزاً كبيراً بين تشريع ينظر إلى الضعفاء أنهم أسباب للنصرة والرزق، وبين فلسفات تزدرى الضعيف وتعيبه وتستتهين به.

### ٢-٣- الإنسانية الشكل والروح:

مما يلفيه الناظر في أحاديث الأدب المفرد العناية التامة بالروح الإنسانية، فالإنسان في التصور الإسلامي هو عنصر روحي يتألف من بُعدين الروح والشكل، وليس عنصراً بيولوجياً أو اجتماعياً فحسب<sup>(٢)</sup>؛ لأنه - كما يقول الرازي - «جوهر مركب من النفس والبدن، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي»<sup>(٣)</sup>.

فالحاجات الجسدية هي المتطلبات المادية التي تُسهم في نموه وتقويته، كالطعام والشراب واللباس ونحوها.

والحاجات النفسية: هي الكمالات الروحية والنفسية التي تنشدها الروح

١- انظر: إبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٩٧.

٢- انظر: علي عزت بيغوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص ٤٠.

٣- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢١ / ٣٢.

وتتطلع إليها، كالرحمة والمحبة ونحوها.

ولذا حرصت التشريعات النبوية على إيجاد حالة من التوازن والانسجام بين متطلبات الجسد من حيث هو كائن بشري، وإمكانية تنمية روح التصالح مع العالم، والتناغم مع إيقاع الكون، وتكريس حالة الانتماء للوجود، والتعاطف مع كافة الكائنات الحية والشفقة عليها، وتعزيز أخلاق المحبة، وتدريب المشاعر والأحاسيس والعواطف على القيم النبيلة، والسعي لاكتشاف روافد ومنابع إلهام الطاقة الحيوية الإيجابية في هذا العالم، والتواصل العضوي معها<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية: «قد ذكرت في غير هذا الموضوع أن النَّاسَ اختلفوا في مُسَمَّى الإنسان: هل هو الجسد؟ وهو الجملة المُشاهدة.. أو اسم لما وراء هذه الجملة، وهو الروح..؟ أو هو اسم للمجموع؟ والثالث هو الصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة وجمهور النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

ويضيف تلميذه ابن القيم: «بحكمته وصنعه جعل الإنسان مركباً من جوهرين: جوهر طبيعي كثيف، وهو الجسم، وجوهر روحاني لطيف، وهو الروح»<sup>(٣)</sup>.

ونحن إذا أردنا أن نُمثِّل لهذه الرعاية المركبة من أحاديث الأدب المفرد وجدنا أن أغلب الأدعية النبوية في هذا الكتاب تشي بعناية الاسلام بالروح الإنسانية واحتفائها بها.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي»<sup>(٤)</sup>.

١- انظر: عبد الجبار الرفاعي، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، ص ٢٩٥.

٢- ابن تيمية، المستدرک على مجموع الفتاوى، ١ / ٩٧.

٣- ابن القيم، مدارج السالكين، الرياض، ٣ / ٣٩٧.

٤- الأدب المفرد، حديث: (٦٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، حديث: (٦٦٨).

ومما ينخرط في هذا السلك أيضا: مراعاة نفسية المريض وتطمينه، فعن ابن عباس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، كَيْمَا تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، قَالَ: «فَنَعَمْ إِذَا»<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى ما في ذلك من تقوية نفس المريض واستحثائها على طلب الشفاء والتفتيش عليه، فإنَّ المريض إذا استشعرت نفسه إمكانية الشفاء والتعافي، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الأمل، متى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح القوي التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته<sup>(٢)</sup>.

أما فلسفة الإنسان في الحضارة الغربية فتنتقل من التسوية بين الإنسان والمادة، وبهذا أصبح الهدف الوحيد هو البقاء، وآلياته الأساسية، هي: الذكاء والقوة، فهي نظرة اختزالية للوجود الإنساني ترفض الحقيقة الروحية والمعنوية وتنكرها، وتخزل الوجود الإنساني في الاستهلاك والاحتفاء بالرفاهية<sup>(٣)</sup>.

لقد عملت الاجتهادات الإنسانية الحديثة على إخراج الإنسان من أية قيود إلهية لتضعه بدورها في قيود أخرى جديدة من صنعها، لا ترى فيه إلا كائناً مادياً تقوده الشهوة وتصرفه حياته عمّا بعد الموت وتعمي قلبه عن المآل الأخلاقي والقيمي لوجوده<sup>(٤)</sup>.

١- الأدب المفرد، باب عيادة المريض، حديث: (٥١٤)، وأصله في الصحيح، حديث: (٥٦٦٢).

٢- انظر: ابن القيم، الطب النبوي، ص ١٥ بتصرف.

٣- انظر: شريعتي، الإنسان والإسلام، ص ٣٠، وإبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٢٣.

٤- الإنسانية المستحيلة، إبراهيم الرماح، ص ٥.

وَجَلِيٌّ أَنْ طَغِيَانِ الرَّوْيَةِ الْمَادِيَةِ أَسْهَمَ فِي مَسْخِ مَا هِيَ الْإِنْسَانُ وَحَوْلَتِهِ مِنْ إِنْسَانٍ مَسْؤُولٍ عَنِ الْعَالَمِ إِلَى صَمَاءٍ لِلإِنْتِاجِ الْمَادِيِ وَالتَّكْنُولُوجِيِ، ضَمَّنَ سِلْسِلَةَ أَعْمَالٍ جَبْرِيَّةٍ فِي النِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِ الْمَادِيِ، مَا جَعَلَهُ يَسْقُطُ فِي رِقِّ الْعِبُودِيَّةِ لِلنِّظَامِ الْمُسَيِّطِ، فَحَلَّ الرِّبْحَ مَحَلَّ الْقِيَمَةِ وَالْعَقْلَ الْحَاسِبَ مَحَلَّ الشُّعُورِ الْعِرْفَانِيِّ وَحُبَّ التَّسَلُّطِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الْعِلْمِ مَحَلَّ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَاللَّذَّةِ مَحَلَّ الْفَضِيلَةِ<sup>(١)</sup>.

## ٢-٤- الإنسانية: بين الجزاءين الدنيوي والأخروي:

مَنْ تَقَرَّرَ أَحَادِيثَ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ لَا يَفُوتُهُ مِلَاحِظَةُ الْاِرْتِبَاطِ الْوَثِيقِ بَيْنَ أَغْلَبِ مَوْضُوعَاتِهِ مِنْ عِبَادَاتٍ وَمَعَامَلَاتٍ مَالِيَّةٍ بِالْجَانِبِ الْأَخْلَاقِيِ الْأَخْرُويِ، فَلَيْسَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ وَغَيْرِهَا لِتَحْقِيقِ الْذَاتِ وَالرِّضَا عَنِ الْذَاتِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا - هِيَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ أَيْضًا - اسْتِرْضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِعْدَادًا لِلْقَائِهِ.

وتقريره: أَنْ تَعْظِيمَ اللَّهِ تَعَالَى أَسْبَقَ مِنْ صِنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، بَلْ هُوَ الْبَاعْثُ الْحَقِيقِيُّ لِلْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَكَلَّمَا ازْدَادَ تَعْظِيمَ اللَّهِ فِي قَلْبِ الْمَرْءِ كَلَّمَا حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ وَرَقَّ طَبْعُهُ، فَقَدْ جُوزِيَتْ امْرَأَةٌ بِالْجَنَّةِ فِي سُقْيَا كَلْبٍ<sup>(٢)</sup>، وَفِي الْمَقَابِلِ اسْتَحَقَّتْ أُخْرَى النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>.

فالأولى استقرّ في قلبها من تعظيم الله ما جعل عملها اليسير عظيمًا عند الله

١- المصدر نفسه.

٢- عن أبي هريرة مرفوعاً: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطْشُ إِذْ رَأَتْهُ بَعِيٌّ مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَّتَهُ فَعَفَّرَ لَهَا بِهِ». رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث: (٣٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: (٣٧٨).

٣- عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عُدْبَتُ امْرَأَةٍ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَّتَهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ». رواه البخاري في الأدب المفرد، باب رحمة البهائم، حديث: (٣٧٩)، وابن حبان في صحيحه، ٤٣٩ / ١٢، وصححه النووي في شرح مسلم، ٤ / ٢١٠.

تبارك وتعالى، عكس الثانية التي أجدت فيها معاني التعظيم لله، فقدت إنسانيتها وفطرتها.

وجميل ما قرره الفخر الرازي بقوله: «ويجب أن يكون التعظيم لأمر الله مُقدِّماً على الشفقة على خلق الله، فقوله: ﴿يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧] مُشعر بالتعظيم لأمر الله تعالى، وقوله: ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧] مُشعرٌ بالشفقة على خلق الله»<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، قال: «وقد ذكرنا مراراً أن الله تعالى بعد ذكر تعظيم نفسه يذكر الشفقة على خلقه»<sup>(٢)</sup>.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

وهنا يتبين الفرق بين حقيقة الإنسانية في التداول الإسلامي وبين الدين الإنساني الجديد الذي يختزل العمل الإنساني في الجزاء الدنيوي المباشر. يقول نارسينغ (١٨٩٧-١٩٧٢) مؤسس الاتحاد الإنساني الهندي: «أن تكون إنسانياً هو أن تكون لك القدرة على أن تقف منتصباً محتقراً الاتكال على مطلق قوة خارجية، كانت تلك القوة: القانون الطبيعي، الله، أو حقوق الإنسان الممنوحة له من قبل الله»<sup>(٤)</sup>.

١- الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧ ص ٤٨٩.

٢- المصدر نفسه.

٣- رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الأدعية، حديث: (٦٣٣)، وأحمد في المسند، ٣/ ٤١١، وابن أبي شيبة، ٣/ ٤٢٨، والحاكم في المستدرک، ١/ ٦٢٧، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

4- Earl.Stevick.Humanism in language Teaching.p22

بواسطة إبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٥٣.



ويقول وائل حلاق: «تعتبر الإنسانية نفسها متجاوزة للأديان ومتعالية عليها، فالمشروع المركزي للتنوير الذي شُيّد المذهب الإنساني على أساسه كان استبدال الأخلاق المحلية والعرفية والتقليدية وكل أشكال الإيمان المتعالي بأخلاق نقدية وعقلانية، قُدمت أساساً لحضارة كونية»<sup>(١)</sup>.

لقد رفعت المذاهب الإنسانية شعار تحقيق الرفاهية الحياة ورفع الكدح والمعاناة عن كاهل البشرية، مغريا الإنسان بغد أفضل، وبمستقبل أكثر إشراقاً تتحقق فيه الأمنيات التي باتت بالأمس مستحيلة، وهو ما يُمكن تسميته بالفردوس الأرضي، وكان هذا هو القناع المبهر الذي قدمت الإنسانية الجديدة نفسه من خلالها، لكنها أخفت تحت هذا القناع وجهها القميء المتمثل في انتهاك كرامة الإنسان وتحويل الإنسانية - بتعبير كانطي - من الكرامة إلى التشيؤ<sup>(٢)</sup>.

ولعلنا لن نكون مخطئين لو زعمنا أن تجريد العمل الإنساني من دوافعه الدينية سيحوّله في النهاية إلى دين جديد، وقد كان روبرت واغنز محقاً حينما قرّر بأن الإنسانية الجديدة إذا لم تكن ديناً فإنها بالتأكيد تتصرف كأحد الأديان<sup>(٣)</sup>؛ ذلك أن انسلاخ الإنسان كلية عن حقيقة الدين - أيّا كان هذا الدين - أمر متعذر، فكلّ النَّاس مُتديّنون حتى الملاحظة كما قال جاك لاكان (١٩٠١-١٩٨١)، وجوليان هكسلي (١٨٨٧-١٩٧٥)<sup>(٤)</sup>.

١- وائل حلاق، الدولة المستحيلة، ص ٤٠.

٢- انطوني غرنز، علم الاجتماع، ص ٥٤، وهادي قيسي، الانسان مختزلاً، مجلة الاستغراب، ع ١٧، ٢٠١٧، ص: ٩٧

3- Robert I.Waggoner.The Religious face of humanism.p2

بواسطة إبراهيم الرماح، ص ٥٤.

٤- انظر: طه عبد الرحمن، شرود ما بعد الدهرانية، ص ٢٢٧، وحيد خان، الدين في مواجهة العلم، ص ٩٥، وإبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٦٤.

وتدلّ المُعَاينة التاريخية على أنّ أول سياق تاريخي تحقّقت فيه الدعوة إلى الأخلاق هو السياق الديني .

والعقل وإن كان يثبت حسن بعض الأخلاق قبل ورود الشرع عليه، إلا أنه لا يستقل بمعرفة التفاصيل، فالنّاس وإن اتفقوا على حسن العدل -مثلاً- في الأصل لكنهم يختلفون عند التفاصيل وتطبيق هذه القيمة في الواقع، فقد يكون العدل في ملة وسياسة خلاف العدل عند آخرين، كقسمة الموارث مثلاً<sup>(١)</sup>.

يقول نيقولاوي برديائيف (١٨٧٤-١٩٨٤): «إنّ القول بمذهب إنساني ملحد ضرب من التناقض؛ لأنه إذا انتفى وجود الله انتفى بالتالي وجود الإنسان»<sup>(٢)</sup>.

وَوُجِدَ في إحدى الإحصائيات أنّ معدل تبرع المسلم هو الأكثر، ثم اليهودي، ثم البروتستانت، ثم الكاثوليك، وأقلهم الملحد. وفي دراسة أخرى وُجِدَ أن تبرعات الملاحدة في المعدل هي أقل من سُبُع تبرعات أهل الأديان<sup>(٣)</sup>.

## ٢-٥- الإنسانية بين الاطراد والانتقائية:

يتبنى الإسلام نظرة المساواة بين كافة البشر، حيث يعتبر البشر جميعاً متساويين في قيمتهم الإنسانية، ويؤكد على أنّ العلاقات التي يجب أن تسود بينهم هي المحبة والحنو والرحمة والتعاون، وأنّ الهدف الذي يجب أن يعمل له الجميع هو تحقيق الإنسان السوي<sup>(٤)</sup>.

ولا غرو، فقد جعل الله تعالى رسالته رحمة لجميع العوالم. قال تبارك وتعالى:

- ١- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢٠، ص ٦٩، وطه عبد الرحمن، شرود ما بعد الدهرانية، ص ٥٤٤.  
 ٢- انظر: علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص ٨٩.  
 3- Marie juul peterse for hamanity or for the Umma.ideologies of aid in four transnational muslim NGOs.university of Copenhagen.2011

بواسطة إبراهيم الرماح، ص ١٩٤.

٤- ينظر: برهان زريق، الكرامة الانسانية، دمشق: وزارة الإعلام السورية، ٢٠١٦، ص ١٣.

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [١]، وهذه الرحمة الحانية شملت كافة أفراد المجتمع: الخدم، والعدو في الحرب، والبرّ والفاجر<sup>(١)</sup>، فالإسلام يقصد بـ«الإنسان» مطلق الإنسان، وليس امتيازاً لإنسان على إنسان، بخلاف الحضارة الغربية التي تقصد بالإنسان الإنسان الأبيض.

بل إن التشريع الإسلامي يعتبر التعدي على نفس واحدة تعدي على الجميع، فحكمه حكمهم، ووجهه: أن «كل إنسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة، فإذا قُتل فقد أهين ما كرم على الله وهُتكت حُرمته، وعلى العكس، فلا فرق إذن بين الواحد والجميع في ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وفي الأدب المفرد عن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: «واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصدّيق والعدوّ والغريب والبلديّ والنافع والضار والقريب والأجنبي»<sup>(٤)</sup>.

بينما تقرّر الإنسانية الغربية التفاوت الطبيعي بين الأجناس والأعراق. وهذا أمر يكشفه واقع الإنسانويين أنفسهم وطريقة تعاملهم مع غيرهم، ومما يجلي ذلك مشاهد التمركز الغربي حول ذاته وتاريخه، والتناقض الكبير بين الدعاوى المثالية والواقع الصادم<sup>(٥)</sup>.

- ١- وعليه بوب البخاري في الأدب المفرد: «باب الإحسان إلى البرّ والفاجر».
- في وسع الإسلام أن يفاخر بأنه لم يعرف قط الإبادة الجماعية ولا معسكرات الاعتقال. انظر: مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ص ٢٩٥، وإبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ١٠٦.
- ٢- الزمخشري، الكشاف، ١/ ٦٢٨.
- ٣- رواه البخاري في الأدب المفرد، باب وصاة بالجار، حديث: (١٠٢)، وأصله في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار، حديث: (٤٧).
- ٤- ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٤٤١.
- ٥- ينظر: إبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ١٥.

فهذا نورم ألين - الرئيس التنفيذي لمنظمة أمريكيان أفارقة من أجل الإنسانية (African Americans for Humanism) - في الورقة المَعنونة بـ «غطرسة الإنسانية» يقول: «إنَّ كثيرًا من الإنسانويين البيض يعتقدون أنَّ الحضارة الغربية (البيضاء) هي المعيار الذهبي للعقلانية والموضوعية، ويظنّون أنهم محصّنون ضدّ التعصب والعنصرية»، ثم يذكر بعض المواقف التي تعرّض فيها الأفارقة إلى تهميش من الإنسانويين البيض، ويصف هذه النزعة الاستعلائية بأنها «ليست جديدة على الإنسانويين»<sup>(١)</sup>.

وقريبًا منه بول فيرابند: «اعلم أنَّ هناك أناس يعتقدون أنهم يحبون الإنسانية، ويكتبون عن علاقات الحب الغربية هذه، ولكن سرعان ما يتبخّر حبّهم حين تقدّم لهم وجوهًا معينة ترتبط بأجساد معيّنة»<sup>(٢)</sup>.

ويدعو ديفيد أتنبه إلى ضرورة إيقاف إطعام أمم العالم الثالث بغرض تقليل عدد سكان العالم<sup>(٣)</sup>.

ويروي علي شريعتي أنه حضر مناقشة أطروحة دكتوراه في جامعة السوربون كانت بعنوان «خلايا دماغ الرجل الأسود» مُنحت أعلى تقدير لأنَّ صاحبها أثبت أنَّ دماغ الأسود أحقر وأكثر انحطاطًا من دماغ الابيض<sup>(٤)</sup>.

- 
- ١- إلى عهد قريب كان في ولاية فرجينيا الأمريكية قانون ينص «على كل شخص يدير قاعة أو مسرحاً أو سينما أو أي مكان آخر لعقد الاجتماعات يحضره أشخاص بيض وسود، أن يخصص أماكن محددة للبيض وأخرى للسود، بما يضمن فصلهم عن بعضهم البعض». انظر: مارك غوديل: الاستسلام للمثالية، ص ١٩٦، عن إبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٩٦.
- ٢- ينظر: طغيان العلم، ص ٤١، عن الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٩٦.
- 3- David Attenborough: Stop Feeding third world nations to reduce population infowars. September 18.2013

بواسطة إبراهيم الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص ٩٤.

٤- ينظر: علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ص ٢٦.

## نتائج البحث:

تبعاً للوظيفة المنهجية للخاتمة فإننا سنعمد إلى استخلاص أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي على النحو الآتي:

- كشف البحث ارتباط مصطلح الإنسانية بسياقات تاريخية وفلسفية شكّلت هويتها ومحدّداتها، بطريقة تباين السياق التاريخي للفكر الإسلامي.
- لاحظ البحث أن موضوع إنسانية الإنسان احتلّ مساحة غير منكورة من موضوعات كتاب الأدب المفرد. وإذا ما نحن نظرنا إلى الشخصية التي جسّدَ فيها الإسلام، وجُعِلت مثلاً شاخصاً لهديه وتعاليمه، أمكننا بأن نصفه بأنّه «الرسول الإنسان»، واستطعنا الحكم على سيرته بأنها ليست سيرة إله، ولا بعض إله، ولا ملاكٍ مُتجرّدٍ من اللحم والدم، بل هي سيرة النبيّ الإنسان.
- أوضح البحث أنّ التأسيس الفعلي للإنسانية في تصوّر الاسلامي يكون من داخل الدين لا من خارجه، وهذا بخلاف المذاهب الإنسانية الحديثة التي شيّدت قيمها ومحدّداتها على نظريات فلسفية، كنظرية الحق الطبيعي، وحتمية الصيرورة التاريخية..
- من أهم ما رصده البحث أنّ مبدأ إنسانية الإنسان شرع في الإسلام بأصل الخلق تجسيدا لمقاصد الدين وغاياته العليا، ولم يأت نتيجة صراعات خارجية أو احتراب داخلي.
- كما أنّه ليس منحة من أحد، وإنما هي حقوق واجبة الأداء، وذمّام مُتأكدة الرعاية، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل.
- لاحظ البحث اقتصار التنظيرات الفكرية والفلسفية على معالجة الجانب المادي والشكلي للإنسان، واهتمامها للجانب الروحي والخلقي.

- أوضح البحث أن الإنسان يحمل في ذاته تكريماً إلهياً يكون إنسان بغض النظر عن جنسه أو دينه أو لونه، وذلك بناءً على فلسفته في تكريم الإنسان من حيث هو إنسان. بينما نلاحظ اقتصار تطبيق مبادئ إنسانية الإنسان في الغرب على الإنسان الأبيض فقط.

هذا، وإنَّ البحث إذ يُسجَّل هذه النتائج، فإنه يُوصي بالآتي:

- وضع مقرر تعليمي تحت مسمى «إنسانية الإنسان»، تستقى مادته من نصوص قرآنية وأخرى حديثة، إلى جانب تطبيقات ميدانية عملية.
- إنجاز المزيد من البحوث والدراسات مبدأ إنسانية الإنسان في السنة النبوية، بغرض إعطاء صورة أشمل لمكانة الإنسان في شريعتنا الإسلامية.

## لائحة المصادر والمراجع

- أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧ م.
- أصول فلسفة الحق، هيغل، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، بيروت: دار التنوير، ط ٢، ١٩٨٣.
- أطلس الفلسفة، بيتر كونزمان، فرانز، بيتر بوركارد وفرانز فيدمان، ترجمة جورج كتورة، بيروت: المكتبة الشرقية، ٢٠٠١.
- الإنسان بين الجوهر والمظهر، لإريك فروم، ترجمة: سعد زهران، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٩.
- الإنسان في اشتقاق لفظ الإنسان، لمحمد بن إبراهيم الحلبي، تحقيق: رشيد العبيدي، بغداد: جامعة بغداد.
- إنسانية الإنسان، رالف بارتون، ترجمة: سلمى الجيوسي، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦١.
- الإنسانية المستحيلة، لإبراهيم الرماح، بيروت: مركز دلائل، ١٤٣٩ هـ.
- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، لعبد الجبار الرفاعي، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ط ٢، ٢٠١٣.
- إنسانية الإنسان، رالف بارتون، ترجمة: سلمى الجيوسي، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦١ م.
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لمحمد ابن عجيبة الحسني، القاهرة: دار المعارف، ٢٠١١ م.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٣٩٣ هـ.
- تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين، للراغب الأصفهاني، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣ م.
- حلية الأولياء وطبقات، لأبي نعيم الأصفهاني، الأصفياء، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ديوان المبتدأ والخبر، لعبد الرحمن ابن خلدون، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
- الدولة المستحيلة، لوائل حلاق، ٢٠١٥.
- الدين في مواجهة العلم، لوحد خان، ط ٤، ١٩٨٧.

- دراسات معرفية في الحداثة الغربية، لعبد الوهاب المسيري، ٢٠٠٦.
- سرقة التاريخ، جاك غودي، ترجمة: محمد التوبة، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطال القرطبي، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨هـ.
- شروود ما بعد الدهرانية، لظه عبد الرحمن، بيروت: المؤسسة العربية للفكر، ٢٠١٦م.
- الطب النبوي، لابن القيم الجوزية، بيروت: دار إحياء الكتاب العربية، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.
- علم الاجتماع، لانطوني غرنز، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- قوة القداسة، تصدع الدنيوية واستعادة الديني، عبد الرزاق بلعقروز بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٤م.
- الكرامة الانسانية، لبرهان زريق، دمشق: وزارة الإعلام السورية، ٢٠١٦.
- لسان العرب، لمحمد ابن منظور الأنصاري، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.
- مذاهب إنسانية في العلوم الإنسانية، لأبي كربول خريسة، الرباط: دار الأمان، ط ١، ٢٠١٣.
- مشكل الحديث وبيانهن لموسى ابن فورك، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- مفتاح دار السعادة، لابن القيم الجوزية، الرياض: دار عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.
- مقدمة قصيرة جداً، لستيفن لو، ترجمة ضياء رواد، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط ١، ٢٠١٦.
- مدخل إلى التنوير الأوروبي، لهاشم صالح، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦.
- مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، الرياض: دار الصميعة للنشر، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.



- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد الفيومي، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ط٢ باريس؛ بيروت: منشورات عويدات، ٢٠٠١.
- نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.
- نقد الليبرالية، للطيب بوعزة، الرياض: مجلة البيان، ١٤٣٠هـ.
- هروبي إلى الحرية، لعلي عزت بيجوفيتش، ترجمة: إسماعيل أبو البندورة، ط١، ٢٠٠٢.

### المقالات:

- الإنسان مختزلاً، هادي قبيسي، مجلة الاستغراب، ع١٧، ٢٠١٧.
- التحولات القيمية في ظل تحدي كورونا، علي الحاج حسن، مجلة الاستغراب، ع٢٠.

### مصادر أجنبية:

- Foucoult.Michel. Dits et ecrits: paris: Gallimard.1994.
- Humanism and Muslim Culture: Historical Heritage and Contemporary Challenges.
- Pic de la mirandole : de la dignité de l homme.2005.
- Ashey Knox. Resurrecting the Humanity Of the Undead: Humanism and Post-humanism in Zombie film.
- Earl.Stevick.Humanism in language Teaching.
- Robert I.Waggoner.The Religious face of humanism.
- Marie juul peterse for hamanity or for the Umma.ideologies of aid in four transnational muslim NGOs.university of Copenhagen.2011.
- David Attenborough: Stop Feeding third world mations to reduce population infowars.September 18.2013.



United Arab Emirates  
Al Wasl University - Dubai  
College of Islamic Studies

# Al-Mawel Journal

Specialized in Islamic Studies  
A Peer Reviewed Journal - Annual

---

Issue No. 2

2023 CE - 1445 H